ترجمان

إليزابيث ف. تومبسون

# كيف سرق الغرب الديمقراطية من العرب

## المؤتمر السوري في عام ١٩٢٠ وتدمير التحالف التاريخي الليبرالي-الإسلامي فيه

ترجمة: محمد م. الأرناؤوط



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies




# كيف سرق الغرب الديمقراطية من العرب

## المؤتمر السوري في عام 1920

## وتدمير التحالف التاريخي الليبرالي-الإسلامي فيه




# كيف سرق الغرب الديمقراطية من العرب

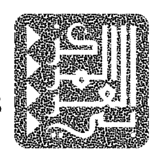
## المؤتمر السوري في عام 1920

## وتدمير التحالف التاريخي الليبرالي-الإسلامي فيه

إليزابيث ف. تومبسون

ترجمة

محمد م. الأرناؤوط



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

**الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات**
تومبسون، إليزابيث ف.
كيف سرق الغرب الديمقراطية من العرب: المؤتمر السوري في عام 1920 وتدمير التحالف التاريخي الليبرالي - الإسلامي فيه/ إليزابيث ف. تومبسون؛ ترجمة محمد م. الأرناؤوط.
600 ص.؛ 24 سم. - (سلسلة ترجمان)
يشتمل على ببليوغرافية (ص. 557-587) وفهرس عام.
ISBN 978-614-445-486-2
1. المؤتمر السوري العام، 1919-1920. 2. سوريا - تاريخ - العصر العثماني، 1516-1920.
3. سوريا - تاريخ - الاحتلال الفرنسي، 1920-1946. أ. الأرناؤوط، محمد م. ب. العنوان. ج. السلسلة.
956.9103



الناشر



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع الطرفة - منطقة 70
وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر
هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 00961 1991837 8 فاكس: 00961 1991839
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org



الطبعة الأولى
بيروت، أيلول/ سبتمبر 2022

## الإهداء

إلى كُلِّ السوريين

# المحتويات

## القسم الرابع: الدستور: سلاح مدني ضد الاستعمار

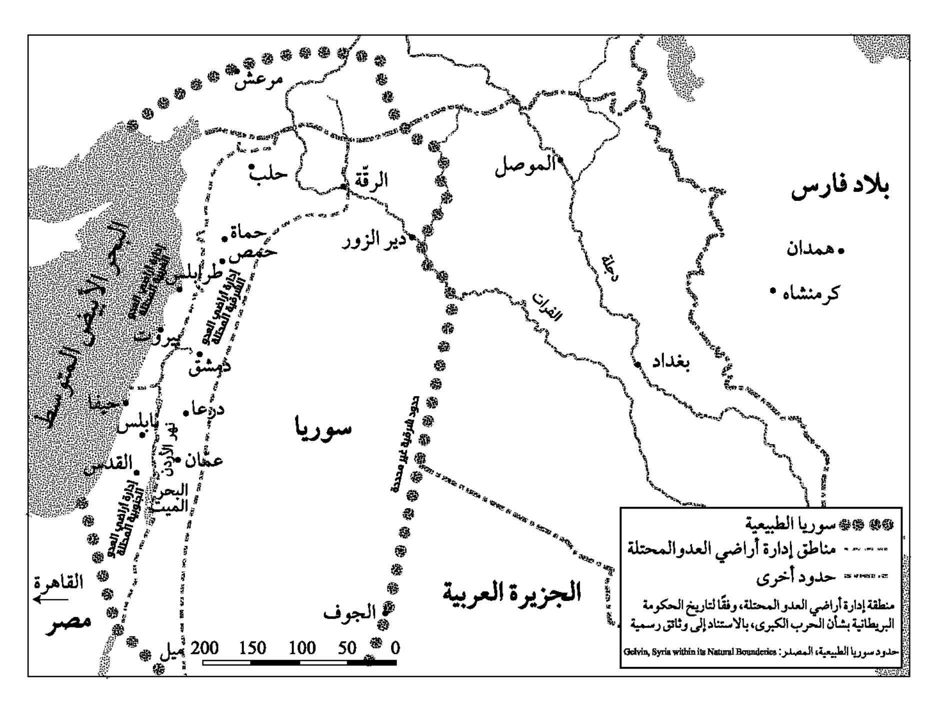


## القسم الخامس: طرد سوريا من العالم المتمدّن



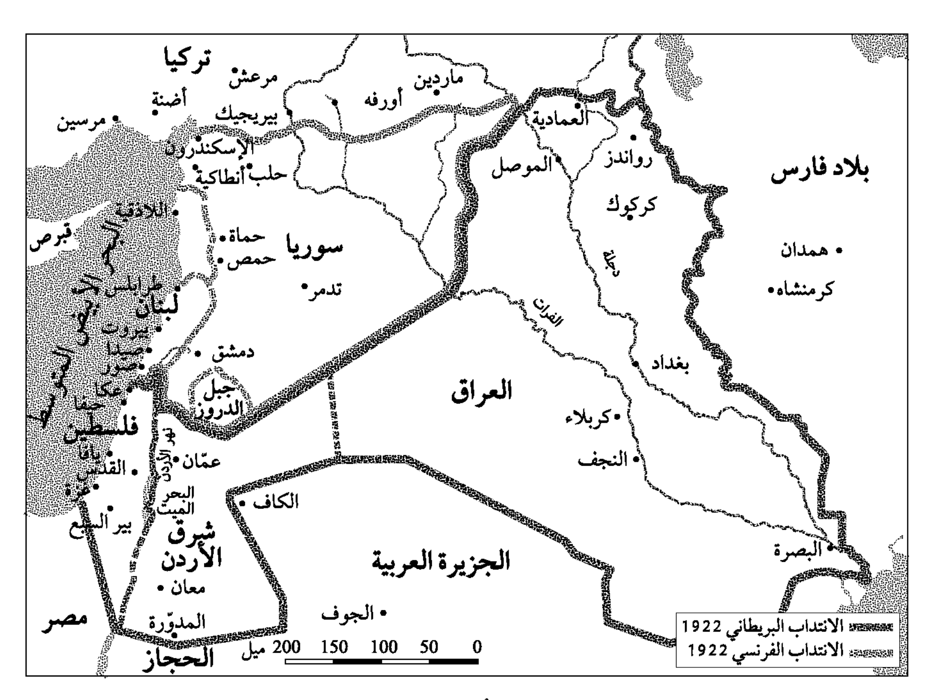
## الملاحق

# مطالب الحدود في عام 1919




طالب الأمير فيصل بإقليم "بلاد الشام" المعروف أيضًا بـ"سوريا الكبرى" أو "سوريا الطبيعية" في خطابه أمام المجلس الأعلى للحلفاء في مؤتمر الصلح بباريس. في غضون ذلك، احتلت جيوش الحلفاء كلّ الأراضي وقسّمتها إلى مناطق أراضي العدو المحتلة.

# مطالب الحدود في عام 1922




مناطق سوريا الكبرى بعد أن قُسّمت رسميًا بين بريطانيا وفرنسا من قبل مجلس عصبة الأمم في تموز/ يوليو 1922.

# شكر وتقدير

هذا الكتاب ثمرةُ جهودٍ من سوريين للحفاظ على ذاكرة أحداث عامي 1919 و1920، وعلى الوثائق التي تركها صحافيون وسياسيون كانوا شهود عيان على ما حدث في دمشق في ذلك الوقت. فقبل وقت طويل من تحذير جورج أورويل (George Orwell) [في روايته 1984] من لغة السلطة (Newspeak) قام أولئك بشكل جدّي بتسجيل الحقيقة التي سعت السلطات إلى محوها.

ولذلك، يجب علي أولًا أن أشكر في المقام الأول السوريين الذين سمحوا لي بسخاء بأن أستفيد من أبحاثهم ومن الوثائق والصور التي جمعوها. ولكن بسبب الحساسيات السياسية في الوقت الحاضر، فإن أسماءهم لم تُذكر هنا. كما علي أن أشكر ثانيًا أولئك الذين يؤمنون بحقيقة هذه القصة إلى حد أنهم موّلوا بحثي وعملي الطويل في ترجمة وترتيب الوثائق التي جمعتها. فقد منحتني مؤسسة كارنيجي في نيويورك منحة أولية، ومنحني مركز وودرو ولسون الدولي للباحثين زمالة سنة للكتابة. كما أن عميدي السابق جيمس غولدغاير (James Goldgeier) دعمني بسنة أخرى للتفرغ للكتابة حين انضممت إلى كلية الخدمة الدولية ((School of International Service (SIS)) في الجامعة الأميركية في واشنطن العاصمة. وجاءني تمويل آخر من هاني فارسي، كمنحة من كرسي محمد س. فارسي للسلام الإسلامي الذي كنت أتولاه، إضافةً إلى تمويل مبكر لعملي من ثاناسيس كامبانيس (Thanassis Cambanis) من "مؤسسة سنتشري" (Century Fondation).

كما عليّ بعد ذلك أن أشكر الزملاء الذين ألهموني هذا المشروع. لقد بدأ الأمر مع مقالة كتبتُها في آب/ أغسطس 2013 مباشرة بعد خلع الجيش للرئيس المنتخب محمد مرسي، والمجزرة التي حصلت لمؤيديه من الإخوان المسلمين الذين تجمعوا بشكل سلمي في ميدان رابعة في القاهرة. كان صديقي سامر شحادة قد نشر مقالة افتتاحية حول كيف أن "الربيع العربي" فرّق الديمقراطيين الإسلاميين والليبراليين النخبويين. كان يبدو كأنه يصف الافتراق بين السوريين بعد الاحتلال الفرنسي[1]. بدأت أدرك أن المؤتمر السوري كان استثنائيًا في حفظه للمعسكرين معًا، وأن مثل هذا الائتلاف لا يزال إلى اليوم المفتاح لثورة ديمقراطية ضد الدكتاتورية. ولكن ثوار الربيع العربي في تونس فقط نجحوا في بناء ائتلاف كهذا. قدّمتُ تلك المقالة إلى ندوة في جامعة برنستون حول عهد الانتداب، جرى تنظيمها في أيلول/ سبتمبر 2013 من قبل سيروس شيغ (Cyrus Schayegh) وأندرو آرسن (Andrew Arsan). وأشكر هنا المشاركين في الندوة على تشجيعي، وخاصة ديالى حمزة من جامعة مونتريال، التي عرّفَتني أطروحتها عن رشيد رضا بأهميته كناشط سياسي.

تمكّنتُ من تأسيس دراستي عن المملكة العربية السورية في الإطار التاريخي الأوسع بفضل زملائي في المؤسسة الوطنية للعلوم الإنسانية (National Endowment for the Humanities (NEH)) في سمينار عن الحرب العالمية الأولى في الشرق الأوسط عام 2014. وأنا ممتنةٌ كثيرًا للمدير المشارك مصطفى أكساكال (Mustafa Aksakal) لتشجيعه المتواصل واطلاعي على التجربة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، حيث أنقذتني تعليقاته على فصول عدة من الوقوع في الخطأ. كذلك أشكر ضيفَيْ سمينار المؤسسة الوطنية للعلوم الإنسانية جون ميلتون كوبر (John Milton Cooper) وسليم تماري لنصائحهما المبكرة حول المشروع. كما استفدت من رؤى أندرو باتريك (Andrew Patrick) وليونارد ف. سميث (Leonard V. Smith) وما لديهما من مواد قيمة عن لجنة كينغ-كراين ومؤتمر الصلح في عام 1919. وأشكر أيضًا خوان كول (Juan Cole) لدعوتي إلى ندوة عن السلام الإسلامي في جامعة ميتشغن، التي ساعدتني على صياغة أفكاري حول آراء رشيد رضا.

---

(1) Samer S. Shehata, "In Egypt, Democrats vs. Liberals," *New York Times*, 2/7/2013, op-ed page.

من المستحيل أن أذكر اسم كل باحث ساعدني في البحث لأجل هذا الكتاب. من بين المرشدين الرئيسيين لي كان عمر رياض، المتخصّص في رشيد رضا، الذي سمح لي بسخاء بالاستفادة من خبرته ومن المصادر الفريدة لديه. ولولا مساعدته ما كان لهذا الكتاب أن يكون. كما أن سامي مبيض وعمر الملاح سمحا لي بالاستفادة من أبحاثهما وأرشيفهما الشخصي عن المملكة العربية السورية، وكانا يردّان بصبر على استفساراتي الكثيرة. ومع الأحاديث الطويلة عبر خدمة سكايب وفي باريس مع محمد علي الأتاسي وسلام كواكبي، اغتنى إدراكي للجذور العميقة للنشاط الديمقراطي في سوريا. قام نائل جورج بمراجعة ترجمتي وتصحيحها لدستور عام 1920، كما أن جيمس غلفن (James Gelvin) راجع مخطوط الكتاب وسمح لي بلطف أن أستفيد من الوثائق النادرة التي جمعها في دمشق قبل ثلاثين سنة. أما زميلي المثقف في دراسة الدستورية الليبرالية في الشرق الأوسط شارلي كورزمان (Charlie Kurzman)، فقد استغرق وقته في قراءة مخطوط الكتاب بكامله والتعليق عليه، ولذلك أنا ممتنةٌ بعمق له على اقتراحه بمراجعة الفصل المتعلق بالمسيحيين.

في فرنسا قدّم لي هنري لورنس (Henri Laurens) وماتيو ري (Matthieu Rey) وجولي داندورين (Julie d'Andurain) مشورة قيمة للغاية وسمحوا لي بالاستفادة من وثائق ثمينة. وخلال سفراتي إلى بيروت قدّم لي الكثير من الأصدقاء وقتهم وخبرتهم بحرية، ومن هؤلاء عبد الرحيم أبو حسين ومحمد علي الأتاسي وتايلور براند (Tylor Brand) وآنيا سيزادلو (Annia Ceizadlo) وسليم درنجيل ونادين معوشي ولينا منذر ويوسف معوض ونادیا سبايتي وطارق التل. وفي أكسفورد فتح لي يوجين روغان (Eugene Rogan) العديد من الأبواب وأمدّني دائمًا بكلمات الدعم. أما عزة دروزة في كلية لندن الجامعية (University College of London (UCL)) فقد قضى معي يومًا لا يُنسى بكامله في مناقشة عمل جدّه سكرتير المؤتمر السوري، الذي سُمي على اسمه.

إنني ممتنةٌ أيضًا للمساعدة التي قدّمتها لي مراكز الوثائق والمكتبات. فقد ساعدني طاقم العاملين في مكتبة جافت (Jafet) بالجامعة الأميركية في بيروت على

العثور على الدوريات وأوراق هوارد بليس (Howard Bliss). كما أن العاملين في أرشيفي وزارة الخارجية الفرنسية في لاكورنوف (La Courneuve) ونانت (Nantes) فتحوا أمامي أوراق الجنرال غورو وساعدوني في البحث حتى أقصى ما يمكن عن نسخة دستور عام 1920 في مجموعة بيروت (Beirut Collection). كما أن ديبي آشر (Debbie Usher) في مركز الشرق الأوسط في أكسفورد فتحت لي أرشيفها في يوم عطلة حتى لا تفسد برنامج رحلتي. كذلك، إن باتريك كرون (Patrick Kerwin) وريان رفت (Ryan Reft) في قسم المخطوطات بمكتبة الكونغرس ساعداني على اكتشاف كنوز في مجموعة الوفد الأميركي إلى مؤتمر الصلح عام 1919.

ولم يكن بوسعي جمع كل الوثائق المستخدمة هنا وترتيبها وترجمتها لولا مساعدة باسم الزاولي، الذي كان أفضل مساعد بحث كنت آمل فيه دائمًا. عمل معي بصبر خلال سنين وأصبح يعرف الآن ما أعرفه، وغدا صديقًا لي في السنوات الست الأخيرة. كما قامت كاترين باتروني (Catherine Batruni) وجولي بلالاك (July Blalack) في البحث عن الدوريات لأجلي. وكانت كلير غلنر (Claire Gellner) خير مساعدة في مراكز الوثائق الفرنسية وفي مركز ولسون، كما كانت سامنثا باركس (Samantha Parks) منحة سماوية في البحث في الانترنت عن المصادر في الفرنسية.

عليّ أن أشكر أيضًا أولئك الذين ساعدوني على إكمال هذا المشروع. فقد أنهيتُ كتابة المخطوط بتشجيع ودعم من زملائي الجدد في كلية الخدمات الدولية بالجامعة الأميركية. فقد استمدَدْتُ الدعم بشكل خاص من زملائي أعضاء فريق البحث في مركز الدراسات الدولية التاريخية، وعلى رأس هؤلاء أشكر جورج لوكاتش (George Lucas) من إنكويل (Inkwell) ومورغن إنتركين (Morgan Entrekin) من دار نشر غروف أتلانتيك (Grove Atlantic) لإيمانهما بالمشروع وتسهيل نشره.

إن هذا الكتاب يحمل التقدير إلى مشرفي لسنوات طويلة عبد الكريم رافق. التقيت الدكتور عبد الكريم رافق في جامعة دمشق حين التحقتُ بمحاضراته في التاريخ العثماني، وأرشدني إلى البحث في مركز الوثائق. لاحقًا انتقل للتدريس في جامعة وليام وماري وأشرف على أطروحتي وكتابي الأول **المواطنون الكولونياليون**، ولم يتوقف عن دعمي بسخاء وإلهامي منذ ذلك الحين. فقد

بقي خلال عمله في الجامعة السورية وبحثه في العهد المتأخر للتاريخ العثماني مصدرًا للإلهام. قرأ الدكتور رافق مسودة هذا الكتاب جيدًا وقدّم لي ملاحظات مفيدة للغاية، ووصلني بخيرية قاسمية التي تعتبر باحثة رائدة في المملكة العربية السورية.

أخيرًا، لم يكن في وسعي الاستمرار في العمل بالكتابة طيلة السنوات من دون حب الأصدقاء المقربين والعائلة وتفهمهم. كانت آن بارتلت (Anne Bartlett) تسحبني من وكر الكتابة لمحادثة عميقة على العشاء كل شهر. كان لإيمانها الثابت بأن الجمهور يحتاج إلى أن يعرف هذه القصة، دور في مساعدتي على الاستمرار. كانت نجم الشمال الموحي لي طويلًا أرييل سالزمان (Ariel Salzmann) من جامعة كوينز (Queen’s University)، التي هي نموذج للمثقف العام. كانت صحبتي لها في مراكز الوثائق والندوات، والاتصالات الهاتفية في ما بينها، قد ساعدتني على العثور على قلب وروح عملي. كما وأشكر بعمق زوجي ديفيد والدنر (David Waldner)، الذي ألهمني ومكّنني من إنجاز أبحاثي وكتاباتي خلال ثلاثين سنة تقريبًا. فقد أغنت بصيرته وإجادته التحليلية كلّ صفحة تقريبًا مما هو مكتوب هنا. فصبره وحبه ودعمه، إلى جانب أولادنا دايلن وبنيامين والدنر، هي وراء وصول هذا الكتاب إلى نهاية ناجحة.

# مقدّمة

في 8 آذار/ مارس 1920 أصدر المؤتمر السوري إعلان الاستقلال باسم غالبية السكان الناطقين بالعربية في سوريا الكبرى، التي تشمل الآن دول لبنان وسوريا والأردن وفلسطين وإسرائيل. وكان السوريون خلال الحرب العالمية الأولى قد انضمّوا إلى الحلفاء للقتال ضد الدكتاتورية العسكرية العثمانية. وفي نهاية الحرب تبنّوا "المبادئ النبيلة للدكتور (وودرو) ولسون عن حرية الشعوب الكبيرة والصغيرة، واستقلالها القائم على الحقوق المتساوية، والتخلّي عن سياسة الفتح والاستعمار"[1]. كان المؤتمر السوري قد بدأ لتوّه في وضع دستور لمملكة ديمقراطية وبرلمانية، ما كان يمكّن سوريا آنذاك من أخذ مكانها في "المجتمع الدولي المتمدّن" إلى جانب بولندا وتشيكوسلوفاكيا وغيرهما من الدول القومية التي اقتُطِعت من الإمبراطوريات الروسية والنمساوية والعثمانية المهزومة في الحرب العالمية الأولى.

إن الباحثين والسياسيين يتذكّرون النقاط الـ 14 المشهورة لولسون التي بيّنت أهداف الحرب العظمى، ولكن معظم هؤلاء نسوا الدور السوري الحيوي في الجهود المبذولة لاستكمال رؤية الرئيس الأميركي حول النظام العالمي الجديد. فإلى جانب الخلافات حول معاقبة ألمانيا، كانت الخطط حول سوريا تثير المواجهات المريرة بين رجالات الدولة الذين اجتمعوا في مؤتمر السلام في باريس خلال عام 1919.

(1) مقتبس من إعلان الاستقلال كما نشر في: محمد رشيد رضا، "باب التاريخ: استقلال سوريا والعراق"، مجلة **المنار**، مج 21، ج 8 (حزيران/ يونيو 1920)، ص 442.

كان ولسون قد وصل إلى باريس كنبيٍّ منقذ للسلام بعد أربع سنوات من المجازر. وقد تعهد بأن يزيل النظام العالمي الذي ألقى العالم في حرب عام 1914. وهكذا عوضًا عن المنافسات الإمبريالية والمكائد الدبلوماسية، أصبح بإمكان عصبة الأمم أن تدير علاقات الدول ضمن نظام قائم على القانون الدولي. وحول هذا، كان ولسون يردّد "لقد ولّت أيام الفتح والتفاخر بالعظمة وكذلك أيام المعاهدات السرية"، و"أن يكون العالم ملائمًا وآمنًا للعيش فيه، وخاصة لكل شعب محبّ للسلام يرغب مثلنا في عيش حياته الخاصة، وإقامة مؤسساته الخاصة به، وأن يكون آمنًا مع تطبيق العدل والعدالة من قبل الشعوب الأخرى في العالم"[2].

لقد تبنّت شعوب الشرق الأوسط وآسيا وأفريقيا مبادئ ولسون كي تتخلّص من المرحلة الكولونيالية، وتقيم نظام الحكم القائم على رضا المحكومين. ولكن ولسون كان عليه أن يواجه مقاومة صلبة من قادة دول الوفاق المنتصرة التي كانت تقودها إمبراطوريات بريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان. ولكي يكسبهم لدعم عصبة الأمم، أصبح عليه أن يقدّم تنازلات مقيتة مثل موافقته على احتلال فرنسا لألمانيا، وحماية بريطانية على مصر، واحتلال ياباني لشبه جزيرة شاندونغ الصينية.

إلا أنه في ما يتعلّق بسوريا، فقد تمسّك ولسون أكثر بموقفه، مصرًّا على حق السوريين في تقرير المصير. وهكذا أرسل ولسون في صيف 1919 لجنة كينغ-كراين المشهورة لتستطلع الطموحات السياسية للسوريين. وقد قدّم السوريون آنذاك مئات العرائض التي تذكّر قادة دول الوفاق بمشاركتهم في الحرب العظمى كحلفاء لهم ومساعدتهم في إلحاق الهزيمة بالعثمانيين. وكان للسوريين مشاركتهم في الحكم البرلماني العثماني، ولذلك كانوا يعتبرون أنفسهم أمة تستحق السيادة.

ولكن ولسون تعرّض إلى سكتة دماغية في نهاية عام 1919، ولم تنضم الولايات المتحدة قط إلى عصبة الأمم التي كانت قد أنشأتها. كان السوريون بعد أشهر عدة من إعلانهم الاستقلال، قد جُرّدوا من السيادة والديمقراطية معًا. فقد قامت فرنسا وبريطانيا، وبشكل يتناقض مع ميثاق عصبة الأمم والنقاط

(2) "President Wilson's Fourteen Points," Avalon Project, Yale Law School, accessed on 13/6/2019, at: https://bit.ly/3laJZaF

الـ 14 لولسون، باحتلال سوريا الكبرى وتقسيمها إلى دول عدة: لبنان وسورية وفلسطين والأردن. وبرّرت فرنسا وبريطانيا استخدام القوة بواسطة عصبة الأمم نفسها، بإعلانهما أن الاحتلال أمر مؤقت تحت مسمى "الانتداب"، الذي يعني إرشاد الشعوب التي لم تكن مستعدة بعد لحكم نفسها بنفسها. وفي نهاية الأمر تعاملت القوى العظمى ومؤتمر السلام مع حلفائهم العرب بشكل أسوأ من معاملتهم لألمانيا العدوّة، فارضين بذلك الظروف التي كانت تعاني منها الشعوب المستعمَرة قبل الحرب. وبهذا، فقد خبَر السوريون مباشرة ما عبّر عنه عالم حقوقي بالقول "الأصل القذر للقانون الدولي الذي تمخّض عن النظام الاستعماري"، الذي استمرّ يكرّس عدم المساواة في الحقوق بين الشعوب أكثر من السابق[3].

شاعت خيبة أمل السوريين المُرّة عبر القارات. فقد كان إعلان الاستقلال نُشر في المجلات المعروفة من المغرب إلى الهند، وحتى إنه استُشهد به في مجلس النواب الفرنسي في باريس. كما نُشرت تقارير عن هذا الاستقلال في الصحافة السورية في المهجر في أميركا، وفي الصحف الرئيسية في نيويورك ولندن وباريس[4]. وقد بدت هزيمة سوريا بمثابة ناقوس يُقرع معلنًا موت العدالة في فترة ما بعد الحرب. وقد أدّت الجهود الرجعية لمؤتمر السلام في باريس إلى إعادة النظام العالمي الذي كان موجودًا قبل عام 1914، إلى اندلاع حرب عالمية

---

(3) Noura Erakat, *Justice for Some: Law and the Question of Palestine* (Stanford: Stanford University Press, 2019), p. 6.

يحاجج مارك مازور بأن الأمم المتحدة حافظت على الانحياز الإمبراطوري للعصبة في بلده، يُنظر كتابه:
*No Enchanted Palace: The End of Empire and the Ideological Origins of the United Nations* (Princeton: Princeton University Press, 2009); *Governing the World: The History of an Idea, 1815 to the Present* (New York: Penguin: 2012).

ينظر أيضًا:
Antony Anghie, *Imperialism, Sovereignty and the Making of International Law* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004).

(4) Stacy D. Fahrenthold, *Between the Ottomans and the Entente: The First World War in the Syrian and Lebanese Diaspora, 1908-1925* (New York: Oxford University Press, 2019), pp. 85-111;

"إلى الأمام ولا تيأسوا" و"مملكة سوريا الجديدة":
*al-Shams* (Buenos Aires), March 20, 1920, 1 and 5; "Syria Proclaims Freedom and King," *New York Times*, 12/3/1920; "Feisal's Assumption of Kingship," *The Times*, 17/3/1920; "L'émir Faiçal proclamé roi," *Le Temps*, 14/3/1920;

رضا، "باب التاريخ"، ص 441-444.

ثانية، وعقود من الثورات المعادية للاستعمار. وكما صرّح مؤرخ أوروبي حديثًا، فإنّ "أكثر صراعات مرحلة ما بعد الكولونيالية ديمومةً ثبُت أنها تلك التي لاحقت الأراضي العربية التي حكمها العثمانيون ذات يوم"[5].

فقد انتشرت الثورات المعادية للأوروبيين في سوريا وفلسطين والعراق خلال العشرينيات والثلاثينيات. وكما يشير عنوان كتاب مشهور، فقد فرض الحلفاء في الشرق الأوسط **سلامًا قضى على كلّ السلام**[6]. كان مصدر الخطر لا يتعلّق بنزاع حول السيطرة على الأراضي، بل بانهيار مفاصل الحكم الديمقراطي مع نظام الانتداب الذي أخذت به عصبة الأمم. فقد شُوّهت سمعة الليبراليين العرب الذين دعموا الإمبرياليين الأوروبيين نتيجة هزيمتهم وتعرّضهم للسجن والنفي. وهكذا أصبحت الدول تحت الانتداب البريطاني أو الانتداب الفرنسي مستعمرات بكل معنى الكلمة باستثناء الاسم فقط. فتحتَ أنظمة المراقبة العسكرية، لم يعد للبرلمانات سوى سلطة بسيطة. ونظرًا إلى انعدام المجال أمام معارضة شرعية، فقد انتقل القادة السياسيون إلى وسائل تستخدم العنف في مقاومتهم. ومع انسحاب بريطانيا وفرنسا من هذه البلاد، بعد الحرب العالمية الثانية، انتقلت السلطة في العالم العربي الذي كان تحت الحكم العثماني، إلى ضباط معادين لليبرالية وملّاك الأراضي والشعبويين المتديّنين.

إن القصة الواردة في صفحات هذا الكتاب - أي عن كيفية سرقة الأوروبيين الديمقراطية من العرب، وإخراج سوريا مما يسمّى "العالم المتمدّن" - لم تُروَ حتى الآن في اللغة الإنكليزية. فقد ركّز المؤرخون البريطانيون والأميركيون

---

(5) Robert Gerwarth, *The Vanquished: Why the First World War Failed to End* (New York: Farrar, Straus and Giroux, 2016).

إنّ جذور السياسة العالمية الوحشية تكمن في عنف الحكومات على شعوبها خلال سنوات الحرب. ينظر:

Adam Hochschild, *To End All Wars* (Boston: Houghton Mifflin Harcourt, 2011); Uğur Ümit Üngör, *The Making of Modern Turkey: Nation and State in Eastern Anatolia, 1913-1950* (New York: Oxford University Press, 2011); Ronald Grigor Suny & Fatma Müge Goçek (eds.), *A Question of Genocide: Armenians and Turks at the End of the Ottoman Empire* (New York: Oxford University Press, 2011).

(6) David Fromkin, *A Peace to End All Peace: The Fall of the Ottoman Empire and the Creation of the Modern Middle East* (New York: Henry Holt, 2009; [1989]).

على سنوات الحرب العظمى وعلى الضابط البريطاني توماس إ. لورنس (T. E. Lawrence)، الذي اشتُهر خاصةً بلقب "لورنس العرب"، بعد عرض الفيلم الملحمي الذي يحمل ذلك الاسم. أما المؤرخون العرب، فقد تناولوا لورنس في إطار واقعي أكثر، باعتباره مجرد مستشار للأمير فيصل قائد الجيش العربي الشمالي خلال الثورة العربية ضد الدولة العثمانية. وفي كلتا الروايتين (الغربية والعربية)، تنتهي القصة عادة باكتمال السيطرة البريطانية العسكرية على سوريا الكبرى في تشرين الأول/ أكتوبر 1918[7]. وفي هذا السياق، ترسّخت صورة فيصل باعتباره رجلًا نبيلًا، ولكنه ضعيف الشخصية. كما أن المملكة العربية السورية كان مقدّرًا لها السقوط، لأن السوريين لم يتّسموا بالواقعية حين قاوموا قرارات مؤتمر الصلح في باريس[8].

ولكن في العقود الأخيرة، بدأ المؤرخون في الاعتماد على الوثائق الموجودة في اللغة العربية، لرسم صورة دقيقة أكثر عن تلك اللحظة التاريخية في سوريا[9]، ولكن القصة بقيت تُروى في إطار التضحية القومية للسوريين، وليس في إطار

---

(7) T. E. Lawrence, *Seven Pillars of Wisdom: A Triumph* (New York: Doubleday, 1935); George Antonius, *The Arab Awakening* (London: H. Hamilton, 1939);

أمين سعيد، **أسرار الثورة العربية الكبرى** (بيروت: دار الكتاب العربي، 1965)؛ أبو خلدون ساطع الحصري، **يوم ميسلون** (بيروت: دار الاتحاد، 1965)؛

ترجمه إلى الإنكليزية سيدني غليزر، بعنوان:

*The Day of Maysalun* (Washington, DC: Middle East Institute, 1966); Scott Anderson, *Lawrence in Arabia: War, Deceit, Imperial Folly and the Making of the Modern Middle East* (New York: Anchor, 2014).

(8) Zeine N. Zeine, *The Struggle for Arab Independence: Western Diplomacy and the Rise and Fall of Faisal's Kingdom in Syria* (Beirut: Khayat's, 1960); Philip S. Khoury, *Urban Notables and Arab Nationalism: The Politics of Damascus 1860-1920* (New York: Cambridge University Press, 1983); Malcolm B. Russell, *The First Modern Arab State: Syria under Faisal 1918-1920* (Minneapolis: Bibliotheca Islamica, 1985); Gérard D. Khoury, *La France et l'Orient arabe: Naissance du Liban moderne, 1914-1920* (Paris: Albin Michel, 2009); Margaret MacMillan, *Paris 1919: Six Months That Changed the World* (New York: Random House, 2001).

(9) James L. Gelvin, *Divided Loyalties: Nationalism and Mass Politics in Syria at the Close of Empire* (Berkeley: University of California Press, 1998); Eliezer Tauber, *The Formation of Modern Syria and Iraq* (London: Frank Cass, 1995); Keith David Watenpaugh, *Being Modern in the Middle East: Revolution, Nationalism, Colonialism and the Arab Middle Class* (Princeton: Princeton University Press, 2006); Ali A. Allawi, *Faisal I of Iraq* (New Haven: Yale University Press, 2014).

الديمقراطية المرفوضة من الغرب[10]. ومن بين المؤلفات لدينا فقط أربعة كتب حتى الآن ركّزت على مداولات المؤتمر العربي السوري ووضع دستور للبلاد، الأمر الذي كان يستقطب النشاط السياسي في دمشق بين عامي 1918 و1920. وقد أثمر هذا المؤتمر عن وضع دستور يتضمن 147 مادة بالاستناد إلى الدستور العثماني السابق، مع تعديلات تستلهم الفدرالية الأميركية، وتأخذ في الاعتبار المراجعات والتوازنات. ومن الملاحظ بشكل خاص، أن الدستور قد حدّ من سلطة الملك، ولم يعتبر الإسلام دينًا للدولة، وضَمِن الحقوق المتساوية للمسلمين وغير المسلمين[11].

ولا يبدو هنا مصادفة، التجاهل التاريخي للمؤتمر السوري ودستور 1920. فقد كشفت أبحاثي عن جهد متعمّد للسياسيين الأوروبيين لتدمير الدولة العربية السورية ومحو كل دليل على الديمقراطية فيها. فقد أفشلت فرنسا وبريطانيا لجنة التحقيق الأميركية لاستطلاع رغبات السوريين السياسية في عام 1919، الذين كانوا يفضّلون استقلالًا تحت حكم دستوري. وعوضًا عن ذلك، فقد أعلنت بريطانيا وفرنسا عدم شرعية المؤتمر السوري، وعملتا على تدمير الحكومة العربية في دمشق. وبسبب خشيته من أن تدعم عصبة الأمم الوليدة الاستقلال السوري، فقد طلب رئيس الوزراء الفرنسي بشكل موارِب من جنرالاته أن يمحوا كل أثر لحكومة المملكة العربية السورية. وهكذا على إثر ذلك، فقد اقتحمت القوات الفرنسية مكاتب المؤتمر العربي وقصر الملك فيصل. ومنذ ذلك الحين، بحث المؤرخون السوريون، من دون جدوى، عن النسخة الأصلية للدستور، التي نعرف أنها كانت بيد الفرنسيين حتى آب/ أغسطس 1920.

---

(10) علي سلطان، **تاريخ سورية 1918-1920: حكم فيصل بن الحسين** (دمشق: طلاس، 1987)؛ سهيلة ريماوي، **الحكم الحزبي في سوريا: أيام العهد الفيصلي 1918-1920** (عمان: دار مجدلاوي، 1997).

(11) خيرية قاسمية، **الحكومة العربية في دمشق بين 1918-1920**، ط 2 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982)؛ محمد موفاكو الأرناؤوط، **دراسات حول الحكومة: الدولة العربية في دمشق 1918-1920** (عمان: دار الشروق، 2000)؛ ماري ألماظ شهرستان، **المؤتمر السوري العام 1919-1920** (بيروت: دار أمواج، 2000)؛ يوسف مازن الصباغ، **المؤتمر السوري: برلمان الاستقلال لبلاد الشام** (دمشق: دار الشرق، 2011).

لقد استخدم الدبلوماسيون الفرنسيون والبريطانيون عصبة الأمم لتبرير احتلالهم والتعتيم على احتجاجات العرب السوريين. كما أنهم جنّدوا الصحافيين المستعدين لنشر الدعاية المسيئة للعرب التي تظهرهم كشعوب شرقية تحتاج إلى المساعدة من الغرب العقلاني. وهكذا بعد مضي سنوات، بقيت جريدة **التايمز** (*The Times*) اللندنية تصوّر إعلان الاستقلال في 8 آذار/ مارس باعتباره عملًا من صنع "المتطرفين" وليس من نتاج الآباء المؤسّسين للديمقراطية[12].

إن هذا المحو لماضي سوريا الديمقراطي، تكرّر في مشاهد فيلم "لورنس العرب" (*Lawrence of Arabia*) الذي حظي بإقبال كبير. فبعد دخول الجيش العربي إلى دمشق، يُظهر الفيلم كيف تستسلم دمشق للفوضى. والعرب الذين يظهرون كلهم بملابس بدوية، يبدون غير قادرين على تأسيس حكومة بسبب انقساماتهم العشائرية وجهلهم، وهو ما يجعل الجيش البريطاني يتدخل لاستعادة النظام. وعندما يقرر لورنس الذي أصيب بخيبة أمل أن يغادر دمشق، يقول له ضابط عربي قيادي (أدى دوره الممثل المعروف عمر الشريف) بلهجة اعتذارية: "سأبقى هنا لأتعلّم السياسة"، "لقد جهدتم كثيرًا لتعطونا دمشق". ولكن عمر الشريف يمثل هنا شخصية مثيرة للشفقة باعتباره بدويًّا شبه أمي من الجزيرة العربية. وينتهي هذا الفيلم إلى تكريس الصورة الإمبريالية الزائفة للتاريخ التي تُظهر السوريين عاجزين عن حكم أنفسهم. وفي الحقيقة كانت دمشق قد أصبحت موطنًا لسياسيين حصلوا على شهادات عليا، وعلى عسكريين اكتسبوا خبرة طويلة خلال الحكم العثماني.

إنّ الصفحات التالية تروي ما حصل بالفعل بالاستناد إلى الوثائق والمذكرات التي تبعثرت كثيرًا بعد 25 تموز/ يوليو 1920، أي ذلك اليوم الذي دخلت فيه القوات الفرنسية دمشق، وأرغمت القادة السياسيين على مغادرة دمشق باتجاه المنافي في فلسطين والأردن ومصر وأوروبا. ولحسن الحظ، فقد احتفظ بعض شهود العيان بيومياتهم معهم، كما أن الصحف استمرّت في الصدور. وقد بقيت أيضًا نسخ من المنشورات العربية والخطابات والرسائل في ملفات وزارات الخارجية في لندن وباريس وواشنطن.

---

(12) "King Feisal," *The Times*, 9/9/1933, p. 12.

ومع جمع هذه القطع المبعثرة، أصبح في الإمكان إعادة تركيب القصة عن كيفية تأسيس العرب نظامًا ديمقراطيًّا من خلال النقاشات والمداولات، التي يمكن لطلاب المؤتمر الدستوري الأميركي لعام 1787[13] أن يدركوا ما فيها. وتكشف الوثائق المتوفرة أيضًا عن أنّ العرب لم يكونوا محبطين فقط لكون القوى العظمى حرمتهم من السيادة. لقد كانوا مصدومين أيضًا عندما رأوا كيف أن آليات السلام الجديد بعد الحرب العظمى قد خُطفت على يد المستعمرين الذين استخدموا عصبة الأمم لرمي العرب خارج أسرة الشعوب المتمدّنة وخارج حماية القانون. ففي شهادة مقدّمة لعصبة الأمم، فَبْرَكَ المسؤولون البريطانيون والفرنسيون سردية عن التطرّف العربي والتعصّب الإسلامي لتبرير احتلالهم سوريا كإجراء سياسي ضروري لحماية السلام.

ومع تجاهل الحقائق على الأرض، عمد العديد من الباحثين والسياسيين منذ ذلك الحين إلى ترديد، دونما خجل، الصورة المتخيَّلة الاستعمارية التي تقول إن العرب ينقصهم التمدّنُ والنضجُ اللازمان ليكون لهم دولة ذات سيادة. إنّ صفحات هذا الكتاب تكشف عن أنّ الديمقراطية لم **تفشل** في دمشق، بل إنها سُرقت عمدًا. فقد جاءت الدكتاتورية مع أقدام الجنود البريطانيين والفرنسيين الذين أرسوا "انتدابات" عصبة الأمم – التي كانت تعني نظامًا يوفر المشورة والمساعدة الودية المؤقتة – من طريق القوة الغاشمة. وهكذا فقد استأصل نظام الانتداب أُسس الديمقراطية التي أقيمت في عام 1920، ووضع العراقيل لاستعادتها بواسطة تقوية نخبة كبار الملّاك الرجعية.

إنّ الهدف الأسمى للمؤرخ هو الكشف عن المصادر بجلاء، حتى يمكن للشعب أن يتحرر من قيود الماضي، سواء المتخيَّلة أو الواقعية. لقد ألهمني في ذلك عمل مؤرخ آخر كشف عن ديمقراطيين في بلاد لم يتوقع الأوروبيون أن تكون قد وُجدت فيها.

---

(13) المقصود هنا هو الاجتماع الفدرالي الذي عُقد في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا خلال 25/ 5- 7/ 9/ 1787 لمناقشة نظام حكم جديد للولايات المتحدة الأميركية، وهو الذي تمخّض عن وضع دستور الولايات المتحدة الذي أرسى المؤسسات التي نعرفُها الآن. (المترجم)

ففي عام 1938، كشف سيريل ليونيل روبرت جيمس (C. L. R. James) عن حقائق الثورة في هاييتي في كتابه الكلاسيكي **اليعاقبة السود**. كان أحفاد العبيد الأفريقيين قد تبنّوا مُثُل الثورة الفرنسية وطبّقوها، إلى أن قام نابليون بونابرت بخداعهم وفرض العبودية عليهم من جديد. وحسبما يكتب جيمس فقد "كانت الإمبريالية تمارس أسوأ فنونها على الشعب المستعمَر من دون أساليب الدعاية المضادة". فقد سحقت فرنسا الثورة في هاييتي بوسائل وحشية، حيث إن بونابرت لم يكن يخشى فقط قائد الثورة في هاييتي توسان لوفرتور (Toussaint-Louverture) بل إنه، كما يقول جيمس، كان "يخشى أيضًا الثورة الفرنسية التي قام هو وأمثاله بخنقها". إنّ الأوروبيين البيض ببساطة لا يمكن أن يتقبّلوا أن "بين أولئك السود الذين يحكمهم هناك رجالًا يتمتعون بتفوّق واضح في القدرة والطاقة ومدى الرؤية والإصرار على بلوغ الهدف"[14].

وهكذا أيضًا، كان الفرنسيون في عام 1920 يخشون النظام العالمي الذي وعدت به عصبة الأمم. فالعرب الذين بنوا نظامًا ديمقراطيًّا في دمشق لم يكونوا عبيدًا، بل كانوا مواطنين في دولة عثمانية ذات سيادة. كانوا يعتبرون أنفسهم متمدنين وحتى من البيض (وهي نظرة أيدتها المحكمة العليا في الولايات المتحدة). إلا أن قادة فرنسا وبريطانيا، مثل بونابرت خلال ثورة هاييتي، كانوا يخشون من أن العرب السوريين "اليعاقبة السود" في ذلك الوقت يمكن أن ينسفوا ادعاءاتهم بحكمهم الاستعماري في أماكن أخرى بآسيا وأفريقيا. فإذا نجح العرب في أن يثبتوا قدرتهم على الحكم الديمقراطي الحديث في دمشق، فإنّ ذلك يمكن أن يتكرّر في بغداد والقدس والقاهرة والجزائر.

ببساطة، إنّ تاريخ سوريا بعد الحرب العظمى يكشف أن مأساة مؤتمر باريس 1919 ليست من نتاج رجال دولة مرهقين من النمط القديم، بل هي نتاج جهودهم

---

(14) C. L. R. James, *The Black Jacobins: Toussaint L'Ouverture and the San Domingo Revolution*, 2nd ed. (New York: Vintage Books, 1963), pp. 294, 362, 376.

القوية لتوسيع نظام عالمي استعماري وعنصري[15]. وبعملهم هذا فقد بدّدوا فرصة بزوغ سلمي لعصر ديمقراطي جديد.

إنّ الهدف الثاني للمؤرخين، هو أن يوفروا الدروس من الماضي التي تساعدنا على تخيُّل مستقبل أفضل. ومن هنا، إننا نهدف إلى إظهار كيف أن الأحداث المؤسفة لها أسباب محدّدة، وأن خلفَ الكثير من المصائب تكمن قوة بشرية. إن الخيارات الخاطئة يمكن تصحيحها. فأحد الدروس الكثيرة الواردة في صفحات هذا الكتاب قد ساعدني على أن أفهم بطريقة جديدة انتفاضات الربيع العربي في سورية ومصر خلال عام 2011. لقد جمعت هذه الاحتجاجات الناس من كل الأطياف - من مسلمين ومسيحيين وعلمانيين ومتديّنين - حول هدف واحد ألا وهو الحكم الدستوري. إلا أنّ عدم الثقة بين الليبراليين العلمانيين والتنظيمات الإسلامية الشعبية، نسف هذا الائتلاف. وهكذا فقد انتهت انتفاضات الربيع العربي إلى فتنة طائفية وإرهاب دولة واستمرارٍ لدكتاتورية.

لقد كان مفاجئًا لي كيف أن المؤتمر السوري في عام 1920 تمكّن من أن يوحّد الليبراليين والإسلاميين بطريقة عجزت عنها الانتفاضة في عام 2011. فقد كان رئيس المؤتمر رجلَ دينٍ ومصلحًا إسلاميًّا معروفًا، ألا وهو رشيد رضا. وعلى الرغم من خلفيته الدينية، فقد مرّر وضع دستور لا يشير إلى الإسلام دينًا للدولة لمصلحة المساواة مع غير المسلمين. إن أبحاثي كشفت عن أن رضا أدى دورًا مهمًّا كوسيط بين الليبراليين العلمانيين والمحافظين المتديّنين في المؤتمر

---

(15) هناك مؤرخون يرون أن الزعماء المنهكين من الطراز القديم الذين اجتمعوا في باريس لم يكن في وسعهم أن يفعلوا أكثر مما توصلوا إليه، بمن فيهم:

MacMillan, *Paris 1919*; Erez Manela, *The Wilsonian Moment* (New York: Oxford University Press, 2007); Fromkin, *A Peace to End All Peace*; Susan Pedersen, *The Guardians: The League of Nations and the Crisis of Empire* (New York: Oxford University Press, 2015);

ومحررو ومؤلّفو مقدمة:

Markus M. Payk & Roberta Pergher, *Beyond Versailles: Sovereignty, Legitimacy, and the Formation of New Polities after the Great War* (Bloomington: Indiana University Press, 2019).

وهناك موقف نقدي أكثر تجاه مؤتمر باريس برز أولًا مع مؤرخين أوروبيين بمن فيهم:

Eric D. Weitz, "From the Vienna to the Paris System: International Politics and the Entangled Histories of Human Rights, Forced Deportations, and Civilizing Missions," *American Historical Review* (December 2008), pp. 1313-1343.

السوري. كان يعمل في عالم يرفض الانقسام اللاحق بين الشرق والغرب، بين الإسلام والديمقراطية. لقد كان من النادر أن نجد رجل دين مسلمًا يؤمن بأنّ القيم الديمقراطية الليبرالية هي قيم عالمية، وليست ملكًا لما يسمّى الغرب المتمدّن.

أما في عام 2011، فقد بدت إمكانية توحّد الليبراليين والإسلاميين لبناء ديمقراطية، أمرًا صعب التخيّل لغالبية السوريين والمصريين. فعلى الطرف الليبرالي سادت فكرة أن الإسلام في جوهره غير ديمقراطي، ولذلك فإنّ الليبراليين في عام 2011 كانوا سيصابون بالذهول لو عرفوا ما قام به رشيد رضا في عام 1920. أما النظرة السائدة على الطرف الإسلامي فكانت أن الليبراليين قد ارتبطوا بالقوى الغربية، وهم ما كانوا ليصدقوا لو علموا أنّ من يسمّون العلمانيّين في عام 1920 لم يتخلّوا عن معتقداتهم الدينية لأجل بناء ديمقراطية. لقد أدى تدمير المؤتمر السوري بالقوة الغاشمة إلى افتراق الليبراليين والإسلاميين إلى معسكرين سياسيين متعارضين. وهكذا، فإن سرقة الغرب للديمقراطية العربية قد أدت لاحقًا إلى صعود الإخوان المسلمين والأحزاب الإسلامية الأخرى المعادية لليبرالية. وبعبارة أخرى، فقد أدى ذلك إلى نزع المصداقية عن الليبراليين الذين وضعوا ثقتهم في وعود ولسون، وأصبحوا يصوَّرون بأنهم أدوات للاستعمار. وباختصار، إنّ الدبابات الفرنسية التي دخلت دمشق سحقت القاعدة الشعبية للديمقراطية الليبرالية.

لقد كتبتُ هذا الكتاب كمؤرخة حظيت بامتياز وسرور العيش في دمشق خلال الأيام التي تمتعت فيها بالسلام كثيرًا. فقد غيّرت السنة التي قضيتها في الدراسة بجامعة دمشق حياتي، وألهمتني الحصول على درجة الدكتوراه. إنني مدركة بأسف لأنني خلال بحثي وإنجازي هذا الكتاب، كنت أستمتع بالوقت والاطلاع على مصادر لم تكن متاحة لغالبية المؤرخين السوريين. إنّ ما طرحته من مسائل عن الماضي تختلف عما يمكن أن يطرحه الباحثون السوريون، ولذلك آمل أن يلهمهم هذا الكتاب في يوم ما أن يكتبوا رواياتهم الخاصة عن ذلك الماضي.

إنني كتبتُ ما كتبتُ أيضًا بوصفي حفيدةً لأميركيين ساندوا الحقوق السورية والعربية بعد الحرب العالمية الأولى، ومواطنةً تنتقد سياسات حكومتي التي جلبت المعاناة أكثر من السلام لسكان سوريا الكبرى. إن هذا الكتاب يهدف إلى

التخلّص من الشيطنة التي لا تزال تضلّل وسائل الإعلام لدينا وسياساتنا، بتوضيح أن السبب الحقيقي للدكتاتورية وخطر الإسلاميين المعادين لليبرالية يكمن في ما جرى قبل قرن، وليس في الخصائص الثابتة لما يسمى الثقافة الشرقية. ومع عرض الأسباب الحقيقية للدكتاتورية والإسلام السياسي المعادي لليبرالية، يمكن أن نأمل في التخلّص من هذه الشيطنة التي لا تزال تشوّش إعلامنا وسياستنا.

بعد قرن من مؤتمر الصلح في باريس، نجد أنفسنا في لحظة محاسبة تاريخية. ففي عام 2017 صرّح رئيس فرنسي لأول مرة بأن الاستعمار كان جريمة ضد الإنسانية. لقد دعا إمانويل ماكرون هذا الجيل إلى مواجهة التاريخ ومعاودة التفكير و"إعادة هندسة علاقة جديدة" بين فرنسا وشعوب مستعمراتها السابقة[16].

لقد حان الوقت لتفكيك الأساطير الإمبريالية والاعتراف بأن السوريين الذين برزوا في عام 1920 ليسوا "متعصبين" ولا "متطرفين" أضرّوا بلادهم نتيجة لتمرّدهم على الأوروبيين، بل إنهم كانوا ديمقراطيين تبنّوا المبادئ العالمية والليبرالية، مثلهم مثل المتظاهرين الذين أطلقوا شرارة انتفاضة 2011 في مدينة درعا الجنوبية. وكما كتب صديق سوري بأسلوب معبّر في ذلك الوقت:

> لم تكن مفاجأة في لحظة تجلّي الحقيقة أن يقوم السوريون بفتح قلوبهم وعقولهم لرياح الربيع العربي، تلك الرياح التي أسقطت الجدار الذي كان قائمًا بين العرب والديمقراطية، وفرضت خيارات زائفة بين الاستقرار والفوضى والدكتاتورية والتطرف الإسلامي. إنّ التاريخ لم يترك خلفه سورية الحقيقية. إنّ سورية تعود الآن للمطالبة بحقوقها المسروقة وبدفع الفواتير التي تأخّر دفعها لها[17].

في تلك المدينة الصغيرة درعا تبدأ قصتنا.

واشنطن العاصمة

28 تشرين الأول/ أكتوبر 2019

---

(16) Patrick Roger, "Colonisation: Les propos inédits de Macron font polémique," *Le Monde,* 12/2/2017; "Macron reconnaît à nouveau les 'crimes' de la colonisation," *Le Figaro,* 28/11/2017, accessed on 28/4/2019, at: https://bit.ly/3MqMRME and https://bit.ly/39vevJO

(17) Mohammad Ali Atassi, "My Syria, Awake Again after 40 Years," *New York Times,* 27/6/2011, p. A21.

# الموقع

دمشق واحدةٌ من أقدم مدن العالم المأهولة باستمرار. كانت موجودةً قبل أن يتّخذها الآراميون عاصمة لهم حوالى 1100 ق.م، وأصبحت في ما بعد مغرية للفتح لحكّام بلاد الرافدين وفارس واليونان والرومان. عرف المسيحيون الأوائل المدينة باعتبارها المكان الذي اهتدى فيه القديس بولس إلى المسيحية. وعرف الرسول محمد دمشق في مطلع القرن السابع باعتبارها مركزًا تجاريًّا، ترتبط بمكة بواسطة القوافل التجارية. بعد وفاة الرسول قام جيش عربي بفتح المدينة، وجعلت الأسرة الأموية دمشق عاصمة لدولة الخلافة التي امتدت من إيران إلى إسبانيا. ويضمّ الجامع الأموي في دمشق ضريح صلاح الدين، الذي هزم الصليبيين ووحّد سوريا ومصر تحت حكمه في القرن الثاني عشر. أصبحت دمشق مركزًا رئيسيًّا للعلوم العربية والإسلامية، وبقيت كذلك حتى بعد الفتح العثماني لها في عام 1517[1]. في كل عام كان آلاف المسلمين يتجمّعون في دمشق للانطلاق إلى الحج في مكة. ومع استمرار العربية لغتهم الأم، بدأت دمشق في القرن التاسع عشر بإرسال أبنائها للدراسة ورجالها لتمثيلها في البرلمان العثماني في العاصمة إسطنبول. وصل الولاء للدولة العثمانية إلى ذروته في عام 1908 مع الثورة الدستورية، التي أمَلَ السوريون منها أن تؤمّن لهم الحرية والحقوق المتساوية والحكم الذاتي المحلي.

---

(1) هكذا في الأصل، وهي تصحّ على فتح كامل بلاد الشام حتى العريش، بينما من المعروف أن السلطان سليم الأول دخل دمشق في أواخر شعبان 922هـ - أيلول/ سبتمبر 1516، وصلّى أول جمعة في الجامع الأموي في 7 رمضان 922هـ - 4 تشرين الأول/أكتوبر 1516. (المترجم)

إنّ قصتنا تبدأ مع انتصار الحلفاء على العثمانيين في نهاية الحرب العالمية الأولى. ففي نهاية الحرب قام الأمير فيصل قائد الجيش العربي مع القوات البريطانية بفتح دمشق في تشرين الأول/ أكتوبر 1918. كان السوريون في محنة كبيرة تحت ظروف حرب شاملة، ولذلك رحّبوا بجيوش الحلفاء والعرب الذين حرّروهم من الحكم العسكري التركي، إلا أن طبيعة دولتهم الجديدة لم تكن قد تحدّدت. كان معظم السكان في سوريا يعتبرون أنفسهم أبناء مدينتهم أولًا وأبناء أسرة كبيرة أو عشيرة يتوزع فيها أقاربهم في مدن أخرى. وفي المقام الثاني كانوا يعبّرون عن انتمائهم إلى جماعة دينية، أي واحدة من الطوائف العديدة للإسلام والمسيحية واليهودية. وفي المقام الثالث كان العديد من هؤلاء يَعون أنهم يسكنون إقليمًا متميزًا يسمّى بلاد الشام، أو سوريا الكبرى في الإنكليزية، الذي يمتدّ من البحر المتوسط غربًا إلى بادية الشام شرقًا ومن جبال طوروس في الشمال إلى البحر الأحمر في الجنوب. كانت تُستخدم لهجة عربية متشابهة في هذا الإقليم الذي ساهمت في توحيده أيضًا شبكة التجارة والصلات العائلية. وقد أيّد العديد من السياسيين في مدن سوريا الكبرى الحركة الداعية إلى حكم ذاتي للإقليم قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى.

إنّ سوريا الكبرى هي مسرح الأحداث التي ستُسرد هنا. وضمن هذا الإقليم أصبح اسم "سوريا" بعد عام 1918 يعني المنطقة الشرقية من مناطق احتلال جيوش الحلفاء، التي تضمّ معظم سوريا الحالية والأردن. إلا أن بعض الجماعات التي تعيش في أطراف بلاد الشام رفضت الوحدة السياسية: السكان الناطقون بالتركية في شمال سوريا، والموارنة في جبل لبنان، واليهود الصهيونيون في جنوب سوريا، أو فلسطين. كان الكفاح في سبيل تحديد حدود سوريا يتزامن مع الكفاح في سبيل السيادة. ولو أنّ سوريا الكبرى حافظت على وحدتها ضد التقسيم الأوروبي، ضمن المملكة العربية السورية، لكان عدد سكانها الآن يوازي عدد سكان تركيا أو إيران أو مصر.

# الفاعلون

## الفاعلون الرئيسون

**الأمير فيصل** (1882–1933): ولد في مكة، من أحفاد الرسول محمد وقائد الثورة العربية ضد الحكم التركي العثماني (1916–1918). درس في إسطنبول واعتنق مُثل الثورة الدستورية لعام 1908 وانضم إلى جمعية العربية الفتاة القومية السرّية. عارض توجّهات والده الشريف حسين ودافع عن استقلال سوريا.

**الشيخ رشيد رضا** (1865–1935): كان رضا المولود في القلمون (لبنان) مجدِّدًا إسلاميًّا وناشرَ المجلة المعروفة **المنار**. اضطر للهجرة إلى القاهرة (مصر) في عام 1897، وأيد الثورة الدستورية في عام 1908 باعتبارها ضربة ضد الاستبدادية العثمانية. خلال الحرب العالمية الأولى أيد الوحدة العربية والاستقلال.

**الرئيس وودرو ولسون** (1856–1924): ولد في فرجينيا، وكان وراء دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى مع وعده بنظام عالمي ديمقراطي جديد يقوم على القانون الدولي. طرحت نقاطه الـ 14 أهداف الحرب لأجل التخلص من نظام الدبلوماسية السرية والإمبريالية التي كانت وراء اندلاع الحرب. ومع أنه لم يكن معنيًّا أساسًا بسوريا، إلا أنه استمع إلى مشورة أصدقائه المقربين الذين كانوا يديرون الجامعات الأميركية في المنطقة.

## الفاعلون الثانويون (بحسب الظهور)

### السوريون العرب

**رستم حيدر** (1889–1940): ولد في بعلبك (لبنان). درس الحقوق في إسطنبول وباريس، حيث شارك في تأسيس جمعية العربية الفتاة القومية السرّية. أصبح لاحقًا المستشار الشخصي للأمير فيصل وممثله في أوروبا.

**عزة دَروزة** (1888–1984): ولد في نابلس (فلسطين) وانضم إلى جمعية العربية الفتاة خلال الحرب العالمية الأولى بينما كان يعمل في مديرية البرق والبريد في بيروت. أصبح سكرتيرًا للمؤتمر السوري، وكان مدافعًا قويًا عن الاستقلال، وأصبح عضوًا في لجنة وضع الدستور السوري.

**كامل القصّاب** (1873–1954): ولد في حمص (سوريا)، تخرج في جامعة الأزهر الإسلامية وعاد إلى دمشق ليؤسس مدرسة أهلية. كان خطيبًا موهوبًا وأصبح على رأس أكبر حركة لأجل الدستور، اللجنة الوطنية العليا.

**الدكتور عبد الرحمن الشهبندر** (1880–1940): ولد في دمشق. تخرج في معهد الطب في الكلية البروتستانتية الأميركية في بيروت، حيث بدأ نشاطه للمطالبة بالحقوق العربية. في أثناء وجوده في المنفى خلال الحرب، شارك مع الشيخ رشيد رضا في تأسيس حزب الاتحاد السوري. أصبح وزيرًا للخارجية في المملكة العربية السورية، وأحد قادة الثورة السورية ضد فرنسا في عام 1925.

### المبعوثون الأميركيون

**تشارلز كراين** (1858–1939): ولد في شيكاغو في أسرة صناعية غنية. كان محبًا للسفر ودبلوماسيًا شعبيًا مع خبرة في روسيا والصين والشرق الأوسط. شارك في تمويل الحملة الانتخابية للرئيس ولسون في عام 1916 الذي عيّنه منسقًا للجنة التحقيق الأميركية "كينغ–كراين" إلى سوريا في عام 1919. أصبح صديقًا للشهبندر وأبرز المدافعين الأميركيين عن استقلال سوريا خلال عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين.

## الضباط ورجال الدولة البريطانيون

**ت. إ. لورنس** (1888–1935): ولد في تريمادوغ (Tremadog) بويلز، واشتغل في طاقم المخابرات بالمكتب العربي في القاهرة قبل التحاقه بالأمير فيصل في الثورة العربية. كان مستشارًا لفيصل خلال مؤتمر الصلح بباريس، ولكنه سرعان ما أُصيب بخيبة أمل وانسحب من السياسة ليكتب مذكراته المشهورة عن الثورة العربية تحت عنوان **أعمدة الحكمة السبعة**.

**الجنرال إدموند ألّنبي** (1861–1936): ولد في نوتنغهامشر (Nottinghamshire) في إنكلترا، وأصبح قائد الحملة المصرية البريطانية التي كان مركزها القاهرة. حرّر القدس في كانون الأول/ ديسمبر 1917، ودعم فيصل في فتح دمشق في نهاية أيلول/ سبتمبر 1918. كان متعاطفًا مع الاستقلال السوري، ولكنه اضطر للإذعان إلى وزارة الحرب البريطانية لمصلحة فرنسا.

**رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج** (1863–1945): ولد في مانشستر في إنكلترا، تولى وزارة الحرب في عام 1916 في قلب الحرب العالمية الأولى وقاد بريطانيا إلى النصر. كان مسيحيًّا إنجيليًّا، ونال الكثير من الثناء على فتحه الأراضي المقدسة. بعد الحرب استغل مكانته لتوسيع النفوذ البريطاني على حقول النفط في العراق.

**جورج ناثانيال كرزون** (اللورد كرزون) (1859–1925): ولد في كدلستون (Kedleston) في إنكلترا في أسرة أرستقراطية. كان نائب الملك في الهند قبل الحرب، ووزير الخارجية بين عامي 1919 و1924. كان من المدرسة الإمبريالية للقرن التاسع عشر، ولذلك لم يعبّر عن اهتمام أو تأييد لرؤية ولسون عن نظام عالمي جديد.

## الضباط ورجال الدولة الفرنسيون

**رئيس الوزراء جورج كليمنصو** (1841–1929): ولد في فنديه (Vendée) بفرنسا. عُرف بلقب "النمر" بسبب نزعته الجمهورية العنيفة وقيادته القوية خلال الحرب العالمية الأولى بين عامي 1917 و1918. كان معاديًا للإمبريالية، ولذلك حاول

أن يتوصل إلى حلٍّ وسطٍ بالنسبة إلى المطالب الفرنسية حول سوريا. إلا أن ضغط اللوبي الاستعماري في فرنسا ولويد جورج، أرغمه على التضحية بمُثُله العليا.

**روبير دو كيه** (1869–1970): ولد في باريس في أسرة أرستقراطية عريقة، وأصبح صحافيًّا معروفًا ومن المطالبين بعودة الأراضي الفرنسية التي استولت عليها ألمانيا. كان دو كيه من قادة اللوبي الاستعماري الذي كان يدافع عن توسيع الإمبراطورية الفرنسية كجائزة لانتصارها في الحرب. كان معاديًا للورنس في فرنسا، وكان دخيلًا على وزارة الخارجية الفرنسية، وقاد بلا كلل الحملة لاحتلال سوريا.

**الجنرال هنري غورو** (1867–1946): ولد في باريس في أسرة اشتهرت بالأطباء. قضى خدمته العسكرية في المستعمرات الفرنسية في غرب أفريقيا والمغرب. خلال الحرب العالمية الأولى شارك برتبة جنرال في معركة غاليبولي (Gallipoli) ومعركة شمبانيا (Champagne) قبل أن يصبح المندوب السامي في بيروت عام 1919. وجّه القوات الفرنسية لفتح سوريا واحتلال دمشق في تموز/ يوليو 1920.

**رئيس الوزراء ألكسندر ميلران** (1859–1943): ولد في باريس، برز أولًا كاشتراكي راديكالي مدافع عن حقوق العمال. قبل الحرب أصبحت ميوله أكثر محافظة، وانجذب نحو اللوبي الاستعماري. أصبح رئيسًا للوزراء ثم رئيسًا للجمهورية في عام 1920 بعد سقوط كليمنصو عن السلطة.

# مختصرات مستخدمة للمصادر الأرشيفية

# Abbreviations Used for Archival Sources

| | |
|---|---|
| Bodleian Library | Special Collections, Bodleian Libraries at Weston Library, Oxford |
| Library of Congress | Manuscript Division and/or prints and photographs Division, Library of Congress, Washington, DC |
| LN-Geneva | League of Nations Archive, Geneva |
| MAE-Courneuve | French Ministry of Foreign Affairs archive at La Courneuve |
| MAE-Nantes | French Ministry of Foreign Affairs archive at Nantes, Beyrouth series on the French mandate in Syria and Lebanon |
| St. Antony | Middle East Centre Archive at St. Antony's College, Oxford |
| SHAT-Vincennes | French Historical Service of the Army in Vincennes |
| TNA-London | The National Archives of the United Kingdom in London |

# القسم الأول

# دولة عربية في سوريا

# الفصل الأول

## دمشق: دخول الأمير

كان يوم الاثنين الموافق لـ 30 أيلول/ سبتمبر 1918. حلّ الليل في درعا، البلدة الحدودية الصغيرة التي تقع على تقاطع رئيسي لسكة الحديد على بعد ستين ميلًا إلى الجنوب من دمشق. كتب رستم حيدر في يومياته "ما أعظم السرور". كان حيدر مساعد الأمير فيصل، قائد الجيش العربي الشمالي الذي كان يقود الثورة العربية ضد الدولة العثمانية منذ سنتين وأكثر. وكانت الإجراءات القاسية التي اتخذها النظام العثماني وترافقت مع حصار الحلفاء، قد أدّت إلى تجويع السوريين وإيذائهم. وكان هذا ما يفسّر خروج سكان درعا للترحيب بوصول الجيش العربي[1].

كان حيدر قد وصل لتوّه من اجتماع مع الأمير في محطة القطار بدرعا. كان مبنى المحطة، المبني من الحجر من طابقين، هو الوحيد الذي تدبّ فيه الحياة على طول خط سكة حديد الحجاز الذي يمتدّ 820 ميلًا نحو الجنوب إلى المدينة المنوّرة. وكانت الثورة التي تبِعَتْ هذه السكة نحو الشمال من نقطة بدايتها في الحجاز، قد اندلعت في حزيران/ يونيو 1916.

خارج المحطة كان الظلام يلفّ الجانب الآخر للانتصار. كان الجنود الجرحى من القوات العثمانية المنسحبة يملؤون كلّ الطرقات، بينما كانت جثث الجنود القتلى ملقاة على الأرض من دون أن تُدفن كما هو معتاد. كانت الخيول

(1) رستم حيدر، **مذكرات رستم حيدر**، تحقيق نجدة فتحي صفوة (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1988)، ص 184.

الطليقة تجوب الطرقات. أما الفلاحون البائسون، الذين أنهكتهم سنوات المجاعة خلال الحرب العظمى، فقد هجموا على السرايا الحكومية وخلعوا الأبواب والنوافذ الخشبية فيها كي يستخدموها للتدفئة. كان ما بقي من السرايا يرمز إلى نهاية حكم الأتراك العثمانيين الذي دام 400 سنة في هذه البلاد.

داخل المحطة، كان فيصل وحيدر قد أشعلا شمعتين تطلقان رائحة لإبعاد البعوض الحامل الملاريا، وأخذا في مراجعة الوضع. كان فيصل يتحدث بلكنته الواضحة التي تميّز موطنه في شبه الجزيرة العربية. كان في الخامسة والثلاثين، يحمل مظهر المقاتل البدوي في الصحراء مع لحية صغيرة مشذّبة. أما حيدر، ذو الثلاثين سنة، فكان يمثل البنية الأقصر والأعرض لشعوب المتوسط. كان حيدر ينظر إلى فيصل بتركيز، بعينيه العميقتين، ويتحدث بصوت ناعم يميّز موطنه قرب جبل لبنان. لم يكن حيدر من العسكريين بل من المتعلمين، إذ إنه تخرج في أرفع كلية في إسطنبول وتابع دراسة الإدارة العامة في باريس. أمضى سنوات الحرب مديرًا لمدارس النخبة في القدس ودمشق. أما فيصل فقد كان من الأشراف، من الأحفاد السُنّة للرسول محمد، والابن الثالث للحسين ملك الحجاز وراعي مكة المدينة المقدسة. كان حيدر ينحدر من أسرة تنتمي إلى الطائفة الإسلامية الأخرى: الشيعة. وعلى الرغم من التاريخ الطويل للنزاع بين السنة والشيعة، فقد ربطت بين الرجلين مهمة واحدة، ألا وهي المطالبة بدولة عربية مستقلة من حطام الدولة العثمانية.

ولدت الثورة من استياء العرب من حكم الأتراك الجدد، الذين خانوا آمال العرب بحكم ذاتي وديمقراطي يقوم على حكم القانون، تلك الآمال التي برزت مع الثورة الدستورية العثمانية في عام 1908. ولكن انقلاب الأتراك الجدد في عام 1912[2] أدّى عمليًّا إلى تعليق العمل بالدستور. فقد قام هؤلاء بإسقاط الحكومة

(2) تستخدم المؤلفة هنا وفي الصفحات اللاحقة تعبير "الأتراك الجدد"، الذي ظهر في النصف الثاني للقرن التاسع عشر ليعبّر عن طيف واسع من الأفكار والاتجاهات الفكرية والسياسية ثم الأحزاب السياسية التي تشكّلت في الربع الأخير للقرن التاسع عشر ضدّ حكم السلطان عبد الحميد الثاني، الذي جمّد دستور 1876 وحلّ البرلمان في عام 1878. ومن هذه القوى كان "حزب الاتحاد والترقّي" المقصود هنا الذي قام بانقلاب عسكري في 1913/1/23 أسقط فيه حكومة "حزب الحرية =

وإعادة تنظيم الجيش كي يضمنوا الامتيازات للأتراك على حساب العرب. وهكذا في بداية الحرب العالمية الأولى، وعلى الرغم من مشاركة الكثير من العرب في القتال إلى جانب الأتراك في معركة غاليبولي التي انتهت بانتصار الجيش العثماني، فقد قام الحاكم العثماني لسوريا بإعدام 21[3] من قادة العرب المعروفين ونفي الكثيرين بسبب شبهات الخيانة، نظرًا إلى ما عبّروا عنه من معارضة سياسية في السابق.

كان فيصل قد بقي ضمن أسرته الأكثر ولاءً للدولة العثمانية، وبشكل خاص للسلطان الذي يحمل أيضًا لقب خليفة، أي الزعيم الروحي للمسلمين السنة. كان فيصل قد نشأ في إسطنبول ومثّل بلاده في البرلمان العثماني في بداية الحرب. كان يعتبر العثمانيين أفضل حُماة ضد الرغبة المتواصلة للأوروبيين في تقسيم الدولة العثمانية واستعمارها، وهو ما كانوا قد قاموا به بالفعل في مصر وبلدان أفريقيا الشمالية الناطقة بالعربية. ولكن الهزائم التي لحقت بالعثمانيين في بداية الحرب، في البصرة بجنوب العراق وفي قناة السويس بمصر، ألقت الشكوك على هذه الحماية العثمانية.

ومع أن العرب كانوا يقاتلون مع الجيش العثماني، إلا أن الأتراك الجدد كانوا قلقين من تردّد السياسيين العرب في ولائهم. وحين عرف والد فيصل بالمؤامرة التركية لخلعه عن منصبه، اختار من أبنائه فيصل باعتباره الأكثر تأييدًا للعثمانيين كي يكون مبعوثه إلى إسطنبول. ولكن ما شاهده فيصل خلال سفره في ربيع 1915 كان كافيًا كي يهزّ ما كان يؤمن به. فقد ترافق وصوله إلى إسطنبول مع اعتقال مئتين من قادة الأرمن، كما أنه رأى من نافذة القطار مشاهد الترحيل الجماعي الأول للأرمن المساكين. عندما توقف في دمشق علم فيصل باعتقال قادة عرب. كان استقبال حاكم سوريا جمال باشا فاترًا في دمشق. انضمّ فيصل بشكل سري إلى

= والائتلاف"، الذي كان يمثل أكثر القوميات في الدولة العثمانية ويميل إلى اللامركزية، واحتكر السلطة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. ولذلك انصبّ نقد الشريف حسين وجريدة **القبلة** الناطقة باسم الثورة العربية على "الاتحاد والترقي" أو "الاتحاديين" بالذات. (المترجم)

(3) في الأصل "دزينة"، ورأينا من الاحترام ذكر العدد (21) الذين أعدموا في 6 أيار/ مايو 1916 في دمشق وبيروت. (المترجم)

جمعية العربية الفتاة، التي كان ينتمي إليها رستم حيدر، كما أنه قابل الرجال الذين تصدّروا لاحقًا، في عام 1918، المشهد لبناء الدولة السورية: الجنرال علي رضا الركابي، المعروف أيضًا برضا باشا الركابي، والجنرال ياسين الهاشمي اللذان وعدا بالدعم العسكري، والدكتور أحمد قدري والدكتور عبد الرحمن الشهبندر اللذان تعهدا له بالدعم السياسي. وهكذا في حزيران/ يونيو 1915 حمل فيصل "بروتوكول دمشق" إلى والده. كان البروتوكول يطرح إمكانية تحالف مع دول الوفاق ضد العثمانيين مقابل الوعد بدولة عربية مستقلة تمتدّ من الأناضول إلى الخليج والبحر الأحمر(4).

وبالاستناد إلى هذا الدعم من دمشق، باشر الشريف حسين، والد الأمير فيصل، بالمفاوضات مع المعتمد البريطاني في مصر خلال صيف 1915. كانت بريطانيا آنذاك تقاتل في معركة خاسرة ضد الدولة العثمانية في غاليبولي، ولذلك مالوا إليه باعتباره حليفًا مسلمًا مهمًّا للشروع في جهاد مضاد(5). كانت بريطانيا تخشى من أن يتمرّد ضدها ملايين المسلمين الذين تحكمهم، سواء في مصر أو الهند وغيرهما. ولكن في المقابل كان التمرد على الخليفة العثماني خلال الحرب حركة خطرة. كان يمكن للحسين فقط أن يقوم بهذا التمرد بحجة الدفاع عن سيادة العرب والإسلام. ولذلك اقترح على المعتمد البريطاني في القاهرة السير هنري مكماهون أن تَعِد بريطانيا العرب بدولة مستقلة تشمل أراضي سوريا الكبرى والعراق والجزيرة العربية. وفي تشرين الأول/ أكتوبر 1915 ردّ مكماهون بشكل إيجابي، مع استثناء الأراضي الواقعة على طول الساحل السوري-اللبناني، التي تطالب بها فرنسا، وجنوب العراق وساحل الخليج الذي تحتله بريطانيا والحكام المحليون التابعون لها. إلا أنّ الحسين رفض الادّعاءات الفرنسية وأصرّ على أن يتم الانسحاب من الأراضي العراقية بعد الحرب. وفي آذار/ مارس 1916 تمّ

(4) Ali A. Allawi, *Faisal I of Iraq* (New Haven: Yale University Press, 2014), pp. 52-57.

(5) استخدمت المؤلفة في الأصل تعبير جهاد (Jihad) و"جهاد مضاد" في إيحاء للرد على إعلان شيخ الإسلام للجهاد في حضور السلطان محمد الخامس في 13/ 11/ 1914 مطالبًا المسلمين في المناطق التي تحكمها بريطانيا وفرنسا وروسيا بالثورة ضد "أعداء الإسلام"، وهو ما تمخّض عن "حملة السويس" في مطلع عام 1915 التي باءت بالفشل. (المترجم)

التوصّل إلى تحالف بين الطرفين، إلا أن الكلمات المبهمة في وعود مكماهون، التي لم تكن معروفة للأمير فيصل حتى عام 1918، ستلاحق المفاوضات البريطانية-العربية بعد نهاية الحرب[6].

أشعل العرب الثورة بعد أن أمر جمال باشا بشنق الدفعة الثانية من الشخصيات العربية البارزة في الساحتين الرئيسيتين بدمشق وبيروت يوم 6 أيار/ مايو 1916، في الوقت الذي أخذ فيه نقص الغذاء يمتدّ ليشمل السكان السوريين. ومن ناحية أخرى قام جمال باشا بنفي خمسة آلاف أسرة سورية إلى الأناضول ونقل القوات العربية كلها من بلاد الشام. ولذلك لم يعد في وسع الثورة العربية أن تعتمد على الدعم من داخل سوريا، وهو ما جعل التحالف مع بريطانيا أمرًا حاسمًا لنجاح الثورة. ومع ذلك أعلن الشريف حسين الثورة في 10 حزيران/ يونيو 1916، وتمكن من السيطرة على مكة. تحركت القوات العربية نحو الشمال وتمكنت خلال صيف 1917 من السيطرة على العقبة، الميناء الرئيس على البحر الأحمر. أما الجاسوس البريطاني ت. إ. لورنس، الذي قابل الأمير فيصل في تشرين الأول/ أكتوبر 1916، فقد قاد عمليات تخريب سكة حديد الحجاز لإعاقة تحرك القوات العثمانية. أثبت الأمير فيصل أنه الابن الأكثر كفاءة عسكريًا للحسين. فقد قاتل الجيش العربي الشمالي تحت قيادته خلال أراضي الأردن الحالي بالتنسيق مع الحملة البريطانية التي انطلقت من مصر، واحتلت القدس في كانون الأول/ ديسمبر 1917. وعشية الهجوم الأخير على دمشق كان الأمير فيصل يقود جيشًا مؤلفًا من ثمانية آلاف من الجنود النظاميين وأربعة آلاف من الجنود غير النظاميين، إلى جانب 69 ألف جندي تحت قيادة الجنرال ألّنبي، في مواجهة 34 ألف جندي عثماني. كان الجيش العربي الشمالي بقيادة فيصل آنذاك يتألف في غالبيته من الجنود السوريين والوحدات البدوية. أما القبائل الحجازية التي بدأت الثورة قبل سنتين فقد بقيت في الجنوب، إضافةً إلى السوريين المحليين الفارين من الجيش العثماني للانضمام إلى الأمير فيصل. وقد أدت القوات السورية-العربية الدور

(6) Eugene Rogan, *The Fall of the Ottomans* (New York: Basic Books, 2015), pp. 275-285.

الرئيسي في شلّ مركز المواصلات في درعا وتحييد 25 ألف جندي معادٍ، وإبعاد القوات العثمانية من طريق تقدم الجيش البريطاني على طول الساحل. وقد أرسل الجنرال ألّنبي رسالة شكر إلى الأمير فيصل يشيد فيها بجيشه الذي قام بدور رئيسي في انتصار الحلفاء(7).

كان رستم حيدر صلة الوصل وراء الخطوط العثمانية. وعندما بدأت السفينة العثمانية تغرق، سارع في آب/ أغسطس 1918 مع أعضاء آخرين من جمعية العربية الفتاة إلى الفرار من دمشق والالتحاق بجيش الأمير فيصل الذي كان يستعد للهجوم النهائي. وقبل يوم من الدخول إلى درعا قام الأمير فيصل ورستم حيدر برفع العلم العربي في بُصرى المجاورة، البلدة الرومانية القديمة المبنية من حجارة البازلت البركانية السوداء. كان العلم يتكون من ثلاثة مستطيلات ملونة، بالأخضر والأسود والأبيض، تمثل دول الخلافة العربية الثلاث. أما المثلث الأحمر فكان يمثل السلالة الهاشمية التي ينتمي إليها فيصل ووالده. كان الدعم الذي قدّمته بُصرى حاسمًا لأن المدينة كانت تسيطر على إمدادات الغذاء وعلى الطريق الموصل إلى دمشق.

في الوقت ذاته أرسلت القوات العربية المتقدمة رسالة علنية إلى القيادة العسكرية في المدينة تعلن أنها جاءت بالاستناد إلى فتوى لتحارب الأتراك الجدد الذين أخطأوا في جرّ رعاياهم إلى الحرب العظمى إلى جانب ألمانيا في عام 1914، وتعد بالانتقام لضحايا جرائم الحرب التي ارتكبها النظام. وقد ورد في الرسالة ما يأتي:

> لقد حمى الله الإنسانية منكم ومن شروركم التي تذكّر بجنكيز [خان]. لقد دمّرتم بيوت الأيتام بنيّة فعل الخير، وقطعتم الأشجار لتستخدموها وقودًا لقطاراتكم التي تحمل أبناء البلاد إلى الدمار والموت. إنكم تعلنون أن حربكم غير المبرّرة حربٌ شرعية، وحطّمتم مدينة المسلمين

---

(7) Suleiman Mousa, *T. E. Lawrence: An Arab View,* Albert Butros (trans.) (New York: Oxford University Press, 1966), pp. 185-187; Allawi, pp. 132-137; Eugene Rogan, *The Arabs* (New York: Basic Books, 2009), pp. 150-153; Rogan, pp. 296-309, 333-342, 373-377.

(مكة)، واقترضتم الملايين لأجل مصلحتكم، وأثقلتم على الشعب الذي لم تستشيروه حول الحرب (التي) لم يكن يرغب فيها[8].

أصبح النصر العربي آنذاك في متناول اليد. ففي اليوم التالي كان على الجيش العربي أن يفتح دمشق[9]، ولكن برزت مشكلة في الساعة الحادية عشرة. فقد وصلت إلى مسامع الأمير فيصل ورستم حيدر شائعات تفيد بأن القوات البريطانية تسعى إلى دخول دمشق أولًا ووضعها تحت قيادتهم العسكرية. ويبدو أن القادة البريطانيين كانت لهم سياسات متضاربة. ففي حين أنهم في عام 1915، وعدوا العرب بدولة مستقلة مقابل الانضمام إلى الحلفاء، غيروا ذلك الوعد في الصيف السابق: إن العرب سيديرون فقط تلك الأراضي التي يقومون بتحريرها مباشرة من العثمانيين. ومن هنا نصح رستم حيدر الأمير فيصل بأنه من المهم أن يصل العرب أولًا إلى دمشق. كل شيء كان يتوقف على السرعة.

وهكذا أمر قائد قوات الحملة المصرية الجنرال ألَّنبي جنوده (الذين كانوا بغالبيتهم من الأستراليين) بأن يتوجّهوا من الساحل باتجاه دمشق، بينما قامت الطائرات البريطانية بإلقاء منشورات تحذّر الأتراك بأنّ حليفتهم بلغاريا قد استسلمت. أما الجنرال ليمان فون ساندرس، قائد القوات الألمانية-العثمانية في سوريا، فقد أمر بالانسحاب الشامل للقوات باتجاه حلب[10]. وفي ليلة 30 أيلول/

---

(8) St. Antony College, Oxford, Middle East Archive, "Open Letter to the Commander in Chief of the Fourth Army," Private Papers of Feisal, Emir of Hedjaz, box 195, translation of document from Akaba archive no. Akaba I/Q/17.

(9) هناك عدم اتفاق بين المؤرخين حول التواريخ. سليمان الموسى يحاجج في أن ت. إ. لورنس دخل درعا مع عدة ضباط عرب مع غروب 27 أيلول/ سبتمبر 1918 ورفع العلم العربي في صباح 28 أيلول/ سبتمبر على مبنى السرايا. وصل نوري السعيد في مساء 28 أيلول/ سبتمبر، بينما وصل فيصل بالسيارة إلى درعا في 29 أيلول/ سبتمبر وبدأ يخطط للهجوم على دمشق. غادر لورنس درعا في فجر 30 أيلول/ سبتمبر. ينظر:

Mousa, pp. 200-201.

يزعم جيريمي ولسون أن لورنس وصل إلى درعا في صباح 28 أيلول/ سبتمبر. يُنظر:

Jeremy Wilson, *Lawrence of Arabia: The Authorized Biography of T. E. Lawrence* (New York: Atheneum, 1990), pp. 558-559.

(10) Otto Liman von Sanders, *Five Years in Turkey*, Carl Reichmann (trans.) (Annapolis: United States Naval Institute, 1927), pp. 301-304.

سبتمبر انطلق القطار العثماني الأخير مغادرًا دمشق تحت وابل طلقات رصاص الثوار من سطوح وشرفات البيوت. كان آخر المغادرين الجنود الألمان الذين فجروا مخازن الذخيرة قبل رحيلهم.

من أعلى تلٍّ يَطلّ على المدينة، كان ضابط المخابرات البريطاني لورنس يشاهد ألسنة اللهب تتصاعد من انفجارات مخازن الذخيرة، وكتب يقول: "كان دويُّ الانفجارات يُبقينا مستيقظين"(11). كان لورنس، في الثلاثين من عمره آنذاك، قد قاتل حوالى سنتين إلى جانب العرب، وأمضى ليالي كثيرة هو والأمير فيصل يتحدثان عن هذه اللحظة. وعندما أشرقت الشمس انطلق نحو تلك المدينة الأسطورية في صحبة نوري السعيد كبير مرافقي الأمير فيصل، وهو ضابط عراقي خدم في الجيش العثماني. كان الفلاحون يحرثون أراضيهم. أما درعا كما وصفها لورنس، فقد "كانت خضرة بساتينها الصامتة تبدو بصعوبة وسط الضباب، بينما كانت المدينة فيها تتلألأ، جميلة كما كانت دومًا، كأنها لؤلؤة في شمس الصباح"(12).

كان نهر بردى المنعش يروي دمشق والبساتين المثمرة منذ أقدم الأزمان. في قلب المدينة بُني الجامع الأموي في مطلع القرن السابع في موقع لمعبد روماني وكنيسة. وإلى جوار الجامع، ضريح صلاح الدين الذي هزم الصليبيين بعد 500 سنة من بناء الجامع. ومنذ ذلك الحين أصبح المؤمنون يجتمعون أمام الجامع كي ينطلقوا من هناك للحج إلى مكة. بقيت دمشق مركزًا دينيًّا وعلميًّا إلى أن فتحها العثمانيون في عام 1516 . وقد أصبحت الآن مركزًا للنهضة الثقافية العربية الحديثة. ومع خسارة العثمانيين دمشق، انتهى حكمهم للمشرق العربي الذي دام 400 سنة.

---

(11) David Garnett (ed.), *The Letters of T. E. Lawrence* (New York: Doubleday, 1939), p. 256.

الاقتباس من آخر مساهمة للورنس في:

"The Destruction of the Fourth Army," *Arab Bulletin*, no. 106; Major Sir Hubert Young, *The Independent Arab* (London: John Murray, 1933), p. 254.

(12) T. E. Lawrence, *Seven Pillars of Wisdom: A Triumph. The Complete 1922 Text* (Blacksburg, VA: Wilder Publications, 2011), p. 535.

في صباح 1 تشرين الأول/ أكتوبر دخل الجيش العربي دمشق من حدودها الجنوبية. عبَر مئات الجنود حي الميدان، الذي كان مركزًا لتجارة الحبوب والوافدين من الريف، في طريقهم إلى مركز المدينة وسط البيوت المزينة بالعلم العربي[13]. وكما كتب أحد الجنود في يومياته فقد "كان الأهالي يتجمّعون على طرفي الطريق بالآلاف... كان الجميع يرحبّون بنا بالتصفيق والنداءات والأناشيد والأزهار ورشّ ماء الزهر علينا. كانت دموعي تنهار وقلبي يكاد يتوقف من الوجيب"[14]. أما لورنس فقد كتب عن ذلك يقول: "كان العديد يبكون والقليل يهتفون بصعوبة، أما أكثرهم جرأة فكانوا يهتفون بأسمائنا، ولكن في العموم كانوا يطيلون النظر إلينا وعيونهم تشعّ بالفرح"[15]. وقد وصف عميل المخابرات الأميركية وليام ييل (William Yale) هذا المشهد كما يأتي: "ساد الهرج والمرج. دُعينا إلى بيوت الناس وقُدّم لنا الخمر والحلوى. كان يومًا عاصفًا ومحمومًا، يكون من حظ المرء أن يعيشه مرة على الأقل في حياته"[16].

ولكن خلف الوجوه الفرحة كان يكمن الخوف والقلق. لم ينم الدمشقيون الليلة السابقة بسبب خوفهم من قيام الألمان بتدمير المدينة قبل أن يغادروها. كذلك انتابهم الخوف من رؤية البدو في الجيش العربي، الذين اشتهروا بالنهب والسلب. كانت المدينة غارقة في الظلام منذ عام 1917، بعد أن قطعت السلطات العثمانية الكهرباء عن شوارع المدينة[17].

---

(13) George Antonius, *The Arab Awakening*, reprint ed. (New York: Routledge, 2010), p. 235.

(14) صبحي العمري، **أوراق الثورة العربية، ج 1: المعارك الأولى على طريق دمشق** (لندن: رياض الريس، 1991)، ص 289.

(15) Lawrence, *Seven Pillars of Wisdom Complete*, p. 535.

(16) Anderson, p. 474.

الاقتباس من:

William Yale.

(17) خيرية قاسمية، **الحكومة العربية في دمشق بين 1918-1920**، ط 2 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982)، ص 47-50؛

Sami Moubayed, "Two September Weeks That Saved Damascus in 1918," *Arab Studies Quarterly*, vol. 37, no. 4 (Fall 2015), pp. 367-385.

الإحالة في ص 371.

خلال الأسبوعين الأخيرين كانت دمشق تتّجه إلى الفوضى. فقد أُغلقت دائرة الشرطة، واختفت غالبية النخبة الحاكمة التي كانت تؤمّن عادة المزيد من الأمن، إما نتيجة للموت وإما نتيجة للنفي. وفي هذا الفراغ برزت أسرة الجزائري المعروفة. فقد قامت هذه الأسرة، بناء على طلب الوالي المغادر، بنشر أفرادها المسلحين لحراسة الشوارع. وبعد ذلك قامت بإعلان استقلال الدولة العربية السورية تحت سلطة الأمير فيصل ووالده الشريف حسين في مكة، وحتى إنهم رفعوا العلم العربي الذي زعموا أنهم حملوه من مكة بناء على أوامر من الأمير فيصل، على مبنى السرايا العثمانية[18].

في الواقع، لم تكن هذه هي الخطة الرسمية. فقد طلب فيصل من أنصار الثورة العربية في دمشق إعلان حكومة عربية بعد مغادرة الأتراك المدينة مباشرة. كان قادة الثورة الآخرون يشكّون في آل الجزائري، لكونهم كانوا يخدمون فرنسا، التي كان لها مطامعها في سوريا. ولذلك كان هؤلاء القادة يعرفون أن الأخوين [سعيد وعبد القادر] الجزائري كانا يهدفان إلى الاستيلاء على السلطة لمصلحتهما.

وهكذا فقد كتب أحمد قدري الذي كان على صلة وثيقة مع رستم حيدر قائلًا: "لم نتحمّل هذا الوضع"[19]. وفي 1 تشرين الأول/ أكتوبر قام هو ولورنس بطرد الأخوين من السرايا، وقُتل خلال ذلك أحدهما. كانت ردة فعل آل الجزائري في تلك الليلة تتمثل في إرسال مئات الأفراد المسلحين إلى شوارع دمشق وهم يهتفون بكلمات عنيفة ضد الأمير فيصل[20]. إلا أن الجيش العربي الشمالي قضى عليهم بعد معارك عدة معهم في شوارع دمشق، وأعلن بعدها السيطرة على المدينة. إلا أن هذا الحادث كان ينذر بمقاومة قادمة لأعيان المدينة ضد حكومة الثوار الشباب.

---

(18) Mousa, p. 210

(مقابلة مع سعيد الجزائري)؛
Malcolm B. Russell, *The First Modern Arab State: Syria under Faisal 1918-1920* (Minneapolis: Bibliotheca Islamica, 1985), pp. 9-10;

قاسمية، ص 48؛ فايز الغصين، **مذكراتي عن الثورة العربية** (دمشق: 1939)، ج 2، ص 590-591.

(19) أحمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** (دمشق: ابن زيدون، 1956)، ص 73-74.

(20) Allawi, pp. 138-142; Moubayed, p. 382; Russell, pp. 8-13; Eliezer Tauber, *The Arab Movements in World War I* (New York: Routledge, 1993), pp. 239-240.

وكان عميل المخابرات الأميركية وليام ييل قد حصل على عدد من جريدة جديدة صدرت في اليوم الذي أُعلن فيه الاستقلال. فقد ورد في المقالة الافتتاحية: "تحية إلى سواعد العرب الذين نشروا السلام والابتهاج في هذه البلاد التعيسة التي دمرها الظلم والاضطهاد وأدّى بها إلى الخراب". وقد عبّرت المقالة عن الولاء للشريف حسين ملك سوريا والحجاز: "أيها العرب، هذا هو استقلالكم فحافظوا عليه. هذا هو عَلَمكم فأحبّوه، هذا هو ملككم فأيّدوه"[21].

ولكن وليام ييل الذي كان يتمتّع ببنية قوية، وهو في الحادية والثلاثين من عمره، وتربطه صلة قرابة بمؤسّس الجامعة التي تحمل اسمه، لم يكن متحمسًا للشريف حسين، وكان متشكّكًا في الأمير فيصل. كان قد جاء إلى الشرق الأوسط موظفًا في شركة "ستاندرد أويل" (Standard Oil). إلا أنه خلال الحرب عمل لمصلحة وزارة الخارجية وقضى السنتين الأخيرتين وهو يرسل لها التقارير عن الشؤون السورية من القاهرة، وقد تبنى موقفًا متشكّكًا إزاء المسلمين بتأثير من العميل البريطاني لورنس (عن الانسحابات المتكررة من ساحة القتال) ومن المسيحيين اللبنانيين والصهيونيين. كانت معرفته باللغة العربية محدودة[22]. في تقاريره إلى واشنطن كان يحذّر من أخذ تأييد المسلمين السوريين للرئيس ولسون ورغبتهم في حكومة دستورية، على محمل الجدّ. كان يطرح تحذيرات استشراقية حول ميول المسلمين إلى الدكتاتورية والفوضى وازدراء غير المسلمين. وهكذا ادّعى ييل أنه خلال سنوات الاستبداد التركي كانت الكلية السورية البروتستانتية الأميركية في بيروت هي الوحيدة التي تروّج للتسامح والوحدة القومية بين المسلمين والمسيحيين، مستندًا إلى ما كان يسمعه من مصادره في القاهرة[23].

---

(21) Library of Congress, Manuscript Division, Washington DC, William Yale, "The Political Situation in Syria," report no. 112, November 9, 1918, U.S. American Commission to Negotiate Peace, Box 1.

(22) Anderson, pp. 24-26, 46-49, 88-89, 354-357, 386-387, 417-421, 451-453; Andrew Patrick, *America's Forgotten Middle East Initiative: The King-Crane Commission of 1919* (New York: I. B. Tauris, 2015), p. 56.

(23) Library of Congress, Yale Reports nos. 12, 13, 16, 18, 22, 23, and 61, dated January 28, February 4, February 25, March 11, April 8, April 15, and September 12, 1918, Records of the U.S. American Commission to Negotiate Peace, Box 1; Max Reibman, "The Case of William Yale: Cairo's Syrians and the Arab Origins of American Influence in the Post-Ottoman Middle East, 1917-19," *International Journal of Middle East Studies*, 46 (2014), p. 683.

كانت تقارير ييل المرسلة من سوريا تهدف إلى التأثير على الوفد الأميركي إلى مؤتمر الصلح في باريس، الأمر الذي كان يُغضب الأمير فيصل ورستم حيدر.

في اليوم التالي 2 تشرين الأول/ أكتوبر - مع أن الجنرالات الألمان أخبروا حكومتهم بخسارة الحرب - قامت القوات العربية بإرساء النظام في دمشق، فأعادت تشغيل شبكة الكهرباء، وتنظيم دوريات الشرطة لوضع حدّ للنهب الذي مارسه جنود البدو، وأزالوا الجثث وحطام الأسلحة من الشوارع. وسرعان ما وصلت أيضًا الإمدادات الغذائية من ميناء حيفا ومستودعات الجيش[24]. وكان الأتراك قد تخلوا عن جنودهم الجرحى في المستشفيات العسكرية، وساعد لورنس في دفن من توفّي منهم[25].

أرسل الأمير فيصل برقيات عن تقدّم الجيش العربي عبر سوريا، ورفع القوميون السوريون الأعلام العربية في المدن الرئيسية مثل حمص وحماة وحلب، وعلى الساحل في بيروت وطرابلس واللاذقية. كان كلّ علم يُرفع يرمز إلى التأكيد على الحكم العربي ضد المطامع الاستعمارية الأوروبية[26].

كان العرب ينفذون الخطط التي وُضعت قبل أسابيع من قبل قادة جمعية العربية الفتاة القومية السرية التي كان رستم حيدر وأحمد قدري قد أسّساها قبل الحرب عندما كانا يدرسان في باريس. خلال سنوات الحرب وسّعا شبكة الجمعية بتأسيس فروع لها في معظم المدن السورية، وانضم إليها فيصل في عام 1915. كان هناك تحالف بين جمعية العربية الفتاة والأمير فيصل، تحالفٌ بين الخبرة السياسية المدنية والقوة العسكرية العشائرية، التحالف الذي هندس الثورة العربية.

في 2 تشرين الأول/ أكتوبر قام أحمد قدري بتنظيم تنظيف الشوارع وتزيين دمشق استعدادًا لدخول الأمير فيصل رمزًا للانتصار. وبينما كانت هذه

---

(24) Lawrence, *Seven Pillars of Wisdom Complete*, p. 545;

العمري، ص 290-291؛ قاسمية، ص 50.

(25) Special Collections, Bodleian Libraries at the Weston Library, Oxford, UK, Lawrence to Yale, October 22, 1929, T. E. Lawrence Correspondence, MS.Eng.c.6737, fol. 305-7.

(26) Russell, p. 13.

الاستعدادات تجري، كان الأمير فيصل ورستم حيدر يقضيان وقتهما في زيارة القرى الواقعة جنوب دمشق لتأمين ولاء الزعماء المحليين. كانا يتابعان بقلق الأخبار عن دخول القوات العربية إلى دمشق: هل وصلت هذه القوات أولًا أم سبقتها القوات البريطانية؟ كان الأمير فيصل قلقًا لأنّه علم بوجود اتفاقية سرية بين بريطانيا وفرنسا حول تقاسم الأراضي العربية بينهما. وفي حين قيل إن الاتفاقية تركت إقليمًا لاستقلال ذاتي للعرب، إلا أن فرنسا لم تعترف علنًا بالوعد البريطاني لوالد الأمير فيصل بأي استقلال عربي كامل. ولذلك كان من الملحّ أن يقوم الجيش العربي بإنجاز المهمة.

ارتاح الأمير فيصل عندما أخبره زعماء الدروز المقيمون قرب درعا، بأن الجيش العربي سبق القوات البريطانية إلى دخول دمشق. وفي الواقع كان زعماء الدروز قد أرسلوا قوة منهم للانضمام إلى جيش الأمير فيصل، وهي كانت أول الواصلين إلى دمشق[27]. لم يشأ الأمير فيصل أن يشكّك في ذلك. وفي الواقع كان الدعم الدرزي للثورة العربية متواضعًا. كان الدروز جماعة عشائرية متماسكة تتبع طائفة سرية إسلامية. ومع أنهم يتكلمون العربية إلا أن هويتهم لم تنصهر تمامًا في القومية العربية. ولذلك ردّ الأمير فيصل بتهنئة زعماء الدروز لمشاركة أبنائهم في فتح دمشق، موضحًا لهم "أنه لا فرق بيننا". "كان الأمر المهم هو دخول دمشق"، ولذلك أرسل الأمير فيصل رستم حيدر لتنظيم استعراض في دمشق بمناسبة النصر.

## المطالب العربية بشأن سوريا

في 3 تشرين الأول/ أكتوبر انطلق الأمير فيصل ممتطيًا حصانه على رأس موكب منظم لاستقطاب التأييد المحلي والأوسع للثورة العربية. كان نوري السعيد، من بغداد، يسير إلى جانبه مع نخبة من الضباط العراقيين الذين كانوا يأملون في تأسيس دولة عراقية مستقلة ضمن فدرالية مع سوريا، يليهم رستم حيدر ممثل لبنان الساحل في

(27) Ibid., p. 12.

يرفض راسل حجة إيلي قدوري بأن العرب لم يحرروا دمشق أولًا.

عربة مع الدمشقيين: الجنرال علي رضا الركابي والدكتور أحمد قدري. كان الركابي ضابطًا في منتصف العمر بزيٍّ عسكري مرصّع بالأوسمة، بينما كان قدري طبيبًا يبلغ بالكاد الخامسة والعشرين من عمره. كان كلّ من الركابي وقدري يعملان ضمن جمعية العربية الفتاة لمصلحة الأمير فيصل داخل سوريا، أي خلف الخطوط التركية. وبعد ذلك كانت تأتي العشائر من سوريا الكبرى، مثل الحويطات والرولا والدروز، ثم الجنود النظاميون الذين كانوا بمعظمهم من سوريا الكبرى، وهم يسيرون راجلين. أما قوات الجزيرة العربية، الذين كانوا قد أطلقوا الثورة العربية قبل سنتين، فقد عادوا إلى مواطنهم[28].

وكما يتذكر أحد ضباط الجيش العربي، فقد "كان عددهم كبيرًا يفوق الألف"، و"كان مشهدًا مثيرًا"[29]. كان الأمير فيصل يبدو منتصب القامة مع عباءة داكنة وكوفية تقليدية، وهو يقف بين عدد كبير من معتمري الطرابيش والعمامات. وتُظهر صور فوتوغرافية لذلك المشهد وجود بعض النسوة ضمن الحشد الذي كان يرحب بالموكب[30].

فجأة تقدّمت الموكب سيارة مرسيدس بنز باتجاه الأمير فيصل. كان وراء المقود العقيد هوبرت يونغ (Hubert Young)، الذي عمل ضابط إمداد للجيش العربي الشمالي. كانت السيارة الفاخرة قد أُخذت من مخلفات الضباط الألمان. أخبر العقيد يونغ الأمير فيصل أنه مدعو إلى مقر القيادة العامة للجنرال إدموند ألّنبي، قائد القوات البريطانية في سوريا، في فندق فيكتوريا بمركز المدينة.

فوجئ الأمير فيصل. كان الموكب يتّجه إلى السرايا، حيث كان في انتظاره أعيان دمشق للترحيب به. ولكن يونغ أصرّ على أن الجنرال ألّنبي يطلب لقاءه أولًا. وافق الأمير ولكنه رفض أن يركب السيارة إلى جانبه. وعوضًا عن ذلك تابع سيره مع نوري السعيد وسط الأعلام العربية المرفوعة فوق أسطح البيوت

---

(28) الغصين، ص 599.

(29) حيدر، ص186؛ العمري، ص 296؛ Allawi, p. 144.

(30) Bodleian Library, T. E. Lawrence Correspondence, MS.Photogr.C.123/2, Fol. 203.

وعلى شرفاتها، بينما كان العقيد يونغ يتبعهما. ويتذكّر يونغ: "تخلّفتُ عنهم مسافة قصيرة، متأثرًا بهتافات الحشود، التي أخذتني إلى بطل اللحظة"[31].

وصلوا بعد دقائق إلى ساحة المرجة، المركز السياسي لدمشق. كانت المرجة القائمة خارج أسوار دمشق القديمة محاطة بالفنادق والمقاهي والمسارح (ومنها أول دار سينما ومسرح) ودائرة الشرطة ومبنى البلدية والسرايا أو مقر الحكومة. وأمام مبنى البلدية كانت هناك مشنقة لتردع من تسوّل له نفسه السلب والنهب[32]. في هذا المكان بالذات، قامت السلطات العثمانية في 6 أيار/ مايو 1916 بشنق قوميين عرب من أبرز العائلات[33]. توقف الأمير هناك للتعبير عن احترامه للشهداء، ثم عبر الطريق ليدخل فندق فيكتوريا بصحبة نوري السعيد والعقيد يونغ.

كان لورنس إلى جانب الجنرال ألّنبي وهو يراقب من الشرفة وصول الأمير فيصل من بين الحشد المبتهج. وحالما وصل الأمير فيصل ترجم له لورنس برقية وصلت إليه من لندن تقول إن وزارة الخارجية تعترف بالعرب مقاتلين حلفاء، ولذلك تضمن لهم مقعدًا في مفاوضات مؤتمر الصلح القادم.

وكتب لورنس عن هذا اللقاء قائلًا: "ابتسم فيصل من خلال الدموع التي انهمرت تأثرًا باستقبال شعبه له، ووضع (البرقية) جانبًا ليشكر القائد العام على الثقة التي أولاها له ولحركته. كان الاثنان يمثلان مفارقة قوية: فيصل بعينين كبيرتين، شاحب اللون، نحيل كخنجر رفيع، وألّنبي الضخم والمتورّد والمرح"[34].

كان هذا اللقاء الأول بينهما، بعد أسابيع من التنسيق في جبهات عدة للقتال. كان عليهما الآن ترتيب إدارة مؤقتة للأراضي المحتلة بانتظار الحل النهائي بعد توقّف الحرب. وبالاستناد إلى ما دوّنه العقيد يونغ، فقد أخبر ألّنبي الأمير فيصل بأنه سيبقى تابعًا للجنرال كضابط عسكري برتبة فريق (Lieutenant General)،

---

(31) Young, p. 255.

(32) Russell, p. 14.

(33) Bodleian Library, Photo 123/2 fol. 200 of crowd at Town Hall. October 1, 1918, T. E. Lawrence Correspondence, MS Eng.c.6750, Nuri al-Said 1888-1959. Photographs 1914-18.

(34) Lawrence, *Seven Pillars of Wisdom Complete*, p. 547.

وسيكون مسؤولًا أمام أَلَّنبي من خلال ممثله والضابط السياسي السامي، من دون أن يتدخل في الشؤون السياسية. لم يتفاجأ الأمير فيصل بما سمعه.

ولكن المفاجأة جاءت كالقنبلة بعد ذلك: كان على الأمير فيصل أيضًا أن يقبل بضابط ارتباط فرنسي حالما يتمّ تعيينه، وأن الإدارة العربية لن تشمل لبنان وفلسطين الساحلية، بل سوريا الداخلية فقط[35]. كان فيصل متزنًا لا يسمح للغضب بأن يسيطر عليه، حتى إن فائز الغصين قال عنه: "لم أرَ مثله رجلًا صبورًا"[36]. ولكن الأمير فيصل لم يستطع في تلك اللحظة أن يسيطر على غضبه. فكما يتذكّر أحد الحاضرين في اللقاء "رفض فيصل ذلك بقوة". وقد أقسم حينذاك بأن العرب لن يقبلوا الإشراف الفرنسي ولن يجتمع أبدًا بضابط ارتباط فرنسي. أما أَلَّنبي فقد هدّأ الأمير فيصل بالقول إن الحاكم العسكري الفرنسي في بيروت لن يتدخل في السياسة العربية[37].

ولكن ما لم يخبره أَلَّنبي لفيصل هو أن بريطانيا وفرنسا أكدتا في 30 أيلول/ سبتمبر التزامهما باتفاقية سايكس بيكو، التي تمّ التوصل إليها بشكل سري في باريس، وهي الاتفاقية التي ضمنت لفرنسا الحكم المباشر للساحل اللبناني- السوري وجنوب شرق تركيا، وتركت لبريطانيا جنوب العراق، بينما تركت فلسطين تحت إدارة دولية. أما بالنسبة للعرب فقد تركت الاتفاقية المجال لدولة عربية مستقلة ذاتيًا في الداخل، أي ضمن مناطق النفوذ الفرنسية والبريطانية[38]. وكانت بريطانيا قد قدّمت هذه الوعود لفرنسا في لحظة فارقة خلال الحرب العالمية الأولى حين كانت فرنسا قلقة لكون قواتها متمركزة في الجبهة الغربية، بينما كانت القوات البريطانية تتمركز على الجبهة العثمانية وتستعدّ للاستيلاء على مستعمرات جديدة. ومع هذه الوعود لفرنسا بالحصول على مكاسب أرضية

---

(35) Young, p. 257;

قاسمية، ص 52.

(36) الغصين، ص 608-609؛ الاقتباس مأخوذ بتاريخ 2/ 9/ 2018، من موقع:
https://bit.ly/3lWd0qK

(37) Allawi, p. 146; Russell, pp. 15-17; Anderson, pp. 480-481.

(38) "The Sykes-Picot Agreement: 1916," accessed on 31/8/2018, at: https://bit.ly/3lfKVug

رسّخت اتفاقية سايكس بيكو التحالف بينهما. ولكن بريطانيا بذلك انتهكت الوعد الذي قطعته لوالد فيصل في عام 1915 بدولة عربية كبيرة مستقلة تمامًا. وكان المعتمد البريطاني في مصر السير مكماهون قد قدّم هذا الوعد للشريف حسين مقابل مساعدة العرب في إلحاق الهزيمة بالعثمانيين.

مع ما سمعه فيصل للتوّ، اهتزّت آماله في أن تحترم بريطانيا ما وعدت والده به. إلا أن اللحظة الآن لم تكن مناسبة لتحدي أَلّنبي. كان شعبه ينتظره في الخارج للاحتفال به. أخفى الأمير إحباطه وخرج إلى حفل الاستقبال الذي كان ينتظره في السرايا. وكما كتب رستم حيدر في مذكراته عن لحظة وصول الأمير "كان الدويُّ والهتافات والتصفيق. الكلّ يترامى على يده مرحين مبتهجين... والناس يتدافعون من الباب". كان هناك المسؤولون الحكوميون وزعماء العشائر ورجال الدين وأعيان المدينة الذين جاؤوا للترحيب به. قام مفتي دمشق وأعلن الولاء للأمير فيصل ووالده الشريف حسين. وكما كان الأمر مع أعيان المدينة، بقي المفتي يؤيد العثمانيين حتى نهاية الحرب. وذكر رستم حيدر أن المفتي كان قد أصدر فتوى بهدر دم الأمير فيصل.

فهم فيصل أنه لا بدّ من كسب تأييد أعيان دمشق المحافظين الذين سيحرصون على الحفاظ على نفوذهم المحلي ضد احتوائهم في دولة عربية قومية يحكمها الشباب من أمثاله. وحين نهض ليخطب في الحضور شعر بالراحة وهو يشاهد وجوه القوميين الذين التقاهم سابقًا خلال زياراته إلى دمشق[39]. شكر الأمير فيصل كلّ واحد من الحضور على الاستقبال الحارّ، ثم أوضح أن نهوض سوريا لا يمكن أن يتحقق إلا بـ"توحيد قلوبنا وألسنتنا والوقوف جنبًا إلى جنب". إنّ الحرب لم تنتهِ، وأن سوريا لم تتحرّر، ولذلك ذكّرهم بـ"لزوم إخراج الأتراك من حلب إلى ما وراء جبال طوروس"[40].

بعد هذا الاستقبال توجّه الأمير فيصل إلى حضور حفل أقامه الجنرال أَلّنبي. ثم استقبل بعد ذلك على حدة أعيان المدينة والزعماء الدينيين الذين أيدوا رؤيته

(39) قدري، ص 46-48.

(40) حيدر، ص 187-188.

حول الوحدة العربية[41]. ومع أن اليوم الأول للأمير فيصل بدأ بإحباطه مما سمعه من حديث الجنرال أَلَّنبي عن أن بريطانيا تنوي تحديد سلطته، إلا أن ذلك اليوم انتهى بأمل أن تقوم النخبة الدمشقية بدعم حكمه.

وقبل أن يخلد إلى النوم، أمر الأمير فيصل رستم حيدر أن يذهب فورًا إلى بيروت كي يرفع العلم الهاشمي ويعلن تأسيس الحكومة العربية هناك. لم يكن الأمير ينوي الامتثال لتحذير أَلَّنبي بأن يترك الساحل لفرنسا. فمع خلق حقائق جديدة على الأرض، كان العرب يأملون بأن تحافظ بريطانيا على وعدها. أعدّ رستم حيدر حقيبته وانطلق قبل أن يبدأ النهار الجديد.

وفي اليوم الثاني 4 تشرين الأول/ أكتوبر غادر لورنس أيضًا. كان فيصل ولورنس قد أصبحا صديقين حميمين خلال السنتين الأخيرتين. كان كل واحد يخاطب الآخر في رسائلهما بعبارة "الصديق العزيز" أو "الأخ". ربما كان الأمير فيصل يتوقع أن يبقى ليسانده في بناء الدولة الجديدة. لم يوضح لورنس السبب الحقيقي لمغادرته. ربما كان السبب في مغادرته المفاجئة يعود إلى ما سمعه من أوامر أَلَّنبي لفيصل، الذي جعله يُصدم أو يشعر بالذنب. فقد وصلت إلى مسامع لورنس في ربيع 1917 اتفاقية سايكس بيكو. ولكنه، مثله مثل فيصل، كان يأمل في أن البسالة التي أبداها العرب قد تُخجل أَلَّنبي وتدفعه إلى الوفاء بما وعد به. فبعد مغادرة الأمير فيصل فندق فيكتوريا، بقي لورنس هناك ليتحدث شخصيًا مع الجنرال أَلَّنبي. فبعد أن عبّر له عن إحباطه لقبول بريطانيا بمطالب فرنسا في سوريا ولبنان، طلب الإذن في المغادرة والعودة إلى بريطانيا فورًا، وهو ما وافق عليه أَلَّنبي.

خلال توقّفه في القاهرة، أخبر لورنس ضابطًا من زملائه المشاركين في الثورة العربية، أنه قرر العودة إلى لندن لأنه يشعر بالإرهاق: "لقد حصلنا على

---

(41) قدري، ص 75؛ يوسف الحكيم، **سوريا والعهد الفيصلي**، ط 2 (بيروت: دار النهار للنشر، 1980)، ص 23؛

Stefan Weber, *Damascus: Ottoman Modernity and Urban Transformation (1808-1918),* vol. II (Damascus: Danish Institute, 2009), pp. 52, 383-385; Allawi, p. 147.

دمشق كما كنا نأمل، ولذلك كان عليّ أن أودّع العرب كان من الحكمة أن أغادر لأنه لم يعد من المناسب أن أبقى. أشعر كأنني إنسان انزاح عنه فجأة حمل ثقيل – لأنّ الإنسان يشعر بالحمل على ظهره حين يحاول السير بشكل مستقيم". "لقد كنّا مجموعة صغيرة غريبة، وأتوقع أننا قد غيّرنا التاريخ في الشرق الأدنى. أفكر الآن كيف ستسمح القوى العظمى للعرب أن يتقدموا بنجاح"[42].

وعلى كلّ حال يبدو أن وصول لورنس إلى لندن يوحي بأنه كان في مهمة لعرقلة ما حدث. فقد عقد اجتماعات متعددة مع المسؤولين البريطانيين ليناقش عرقلة الحكم الفرنسي للدولة العربية[43]. ففي تقرير سري مقدم إلى الحكومة البريطانية، أثنى لورنس على فيصل ووالده لولائهما وشجاعتهما كحليفَي حرب. وقد حذّر في رسالته من أن العرب أقوياء بما فيه الكفاية كي يقاوموا الاحتلال الأوروبي: "لقد طلب فيصل أن يكون حاكمًا على بلاده. إن تلك البلاد ليست صغيرة. فهو يسيطر على أراضي الحبوب وأربع مدن صناعية. وهناك لديه 80 في المئة من المسلمين (يضمّون كل الرجال المحاربين) في صفّه، وكذلك العلويون واليهود". كما تنبّأ بأن العرب سيشكّون في صلاحية اتفاقية سايكس بيكو، في مؤتمر الصلح في باريس. لم يكن لورنس يثق بأي جهد لحكومة لويد جورج لتعديل اتفاقية سايكس بيكو، إلا أنه شدّد على أن العرب سيكونون آمنين وراضين بدولة عربية مستقلة تمامًا كما وُعد بها والد فيصل، الشريف حسين، وكما وعد الرئيس الأميركي ولسون في خطاباته عن الدبلوماسية الشفافة وعن حق الشعوب في تقرير المصير. وفي خاتمة الرسالة كتب لورنس يقول: "لهذا السبب سأقترح ألا تكون هناك ولادة أخرى لمعاهدة سايكس بيكو"[44].

في 5 تشرين الأول/ أكتوبر قام فيصل بحركة أخرى لخلق حقائق جديدة

---

(42) Bodleian Library, Lawrence to Major Scott, October 14, 1918, MS.Eng.d.3328: Letters from T. E. Lawrence, fol. 148.

(43) Wilson, p. 568;

ينظر أيضًا:

Anderson, pp. 483-484.

(44) Bodleian Library, Lawrence, "Reconstruction of Arabia," 6-7, MS.Eng.d.3348, fol. 56-63.

على الأرض، بإصدار بيان حول الاستقلال السوري. فقد أصدر بيانًا أعاد فيه نشر خطابه أمام أعيان دمشق ووزّعه في أرجاء سوريا، حيث ورد في مقدمته: "إني أشكر جميع السوريين على ما أبدوه من العطف والمحبة وحسن القبول لجيوشنا"، ثم أعلن أن الدولة الجديدة ستكون "حكومة دستورية سورية، مستقلة استقلالًا مطلقًا لا شائبة فيه، باسم مولانا السلطان حسين، شاملةً جميع الأراضي السورية". وقد تضمن البيان أيضًا تعيين الفريق الركابي حاكمًا عسكريًا مؤقتًا إلى أن يتمّ تشكيل الحكومة الجديدة[45].

كان هذا البيان ينتهك أوامر أَلَّنبي بأن يبقى الأمير فيصل ضابطًا عسكريًا فقط، إذ إن الأمير بيّن بوضوح أنه يمثل سلطة تشمل كل الأمور المدنية[46]. كما أنه توجّه بخطابه إلى كلّ السوريين في كلّ مكان، أي حتى خارج المنطقة الداخلية حول دمشق التي كان يسيطر عليها. في مفهوم ذلك الوقت كانت "سوريا" (Syria) تشمل أراضي الولايات الست التي تمثل الآن سوريا ولبنان والأردن وفلسطين/ إسرائيل. وفي تلك المساحة كان هناك، في عام 1914، 3.5 ملايين نسمة من أصل عشرين مليون نسمة يشكلون سكان الدولة العثمانية[47]. كان فيصل وغيره من القوميين العرب يعتبرون "سوريا الكبرى" الوحدة القومية الأمثل. كانت تحدّها الصحراء في الشرق والجنوب والبحر المتوسط في الغرب وجبال طوروس في الشمال. كان سكانها يتحدثون اللهجة ذاتها للغة العربية وتتداخل صلاتهم العائلية في المدن الرئيسية على خطوط التجارة التي تربط مراكز إنتاج الحبوب مع موانئ المتوسط والبحر الأحمر. ولذلك فإنّ تقسيم هذه المنطقة بحسب المعاهدات السرية الأوروبية كان يعني تقطيع أوصال هذه الأراضي والإضرار بالسكان وتشتيت العائلات.

---

(45) أبو خلدون ساطع الحصري، **يوم ميسلون** (بيروت: دار الاتحاد، 1965)، ص 101-102؛ قاسمية، ص 55-56.

(46) قاسمية، ص 55.

(47) Zeine N. Zeine, *The Emergence of Arab Nationalism*, 3rd ed. (New York: Caravan, 1973), p. 143. الشيخ أحمد طبارة يذكر عددًا أقل ولا يشير إلى منطقة دير الزور في خطابه في المؤتمر العربي في عام 1913. ينظر: **اللجنة العليا لحزب اللامركزية، المؤتمر العربي الأول** (القاهرة: مطبعة البوسفور، 1913)، ص 86.

وبهذه الروح من التحدي، أرسل الأمير فيصل نوري السعيد أحد قادة الجيش العربي إلى الشمال، كي يأخذ حلب من الأتراك قبل أن تسبقه بريطانيا إلى ذلك. كما أنه أرسل أحد أعضاء جمعية العربية الفتاة ليكون حاكمًا على بيروت، حيث كانت الصحف نشرت بيان الأمير فيصل بتأسيس دولة سورية مستقلة. وقد أثارت هذه الأخبار المبعوث الفرنسي في بيروت الذي بعث برسالة سريعة إلى باريس يطالب فيها بإرسال قوات فرنسية إلى بيروت، ويحذّر في نهايتها من أن "الشريفيين (التسمية التي كانت تطلقها فرنسا على جيش فيصل) يحاولون تأسيس أمر واقع ضدّنا"[48].

في غضون ذلك كان الأمير فيصل والحاكم العسكري الركابي يعيّنان بعض الأعضاء الموالين من جمعية العربية الفتاة في المراكز الحسّاسة بدمشق: رئيس أركان الجيش، ومدير الشرطة، وحاكم دمشق المدني، ورئيس محكمة التمييز، وحاكم حلب. وعلى العكس من الصورة البريطانية عن الأمير فيصل باعتباره مقاتلًا بدويًا بسيطًا، فقد كان هو يعمل بالاستناد إلى البرنامج الذي وضعه هو وجمعية العربية الفتاة منذ عام 1915. وكان حول الأمير آنذاك مستشارون من أعضاء الجمعية بشهادات عليا وخبرات سياسية[49].

أما معارضو الأمير فيصل، وخاصة المسيحيين الموارنة في جبل لبنان المؤيدين لفرنسا، فقد اعتبروه يمثل "حكمًا غريبًا" يقوده بدوي من الجزيرة العربية البعيدة (وهي الصورة التي تكررت لاحقًا في فيلم "لورنس العرب"). وفي الواقع كان الأمير فيصل يحكم بواسطة نخبة عسكرية ومدنية من سوريا الكبرى (التي تشمل الآن سوريا ولبنان والأردن وفلسطين/ إسرائيل). وهذه النخبة ستؤدي

---

(48) أعيد نشر رسالتين من كولوندري إلى بيشون، 5 تشرين الأول/ أكتوبر 1918، في:
Antoine Hokayem (éd.), *Documents diplomatiques français relatifs à l'histoire du Liban et de la Syrie à l'époque du mandat: 1914-1945*, vol. 1 (Paris: l'Harmattan, 2003), pp. 371-373.

الاقتباس من ص 373.

[Hokayem vol. I covers 1914-1919; vol. II covers 1920.]

ينظر أيضًا:
Tauber, *The Arab Movements*, p. 240; Meir Zamir, "Faisal and the Lebanese Question, 1918-1920," *Middle Eastern Studies*, vol. 27, no. 3 (1991), pp. 404-405.

(49) Eliezer Tauber, *The Formation of Modern Syria and Iraq* (London: Frank Cass, 1995), pp. 12-13.

الدور الرئيس في السنتين اللاحقتين، وكانت تشمل علي رضا الركابي وأحمد قدري والشيخ كامل القصّاب والسياسي المسيحي فارس الخوري وكلهم من دمشق، والمحامي الشاب رضا الصلح من لبنان وعزة دروزة الموظف السابق في الإدارة العثمانية في نابلس بفلسطين[50]. أما الشريف حسين، والد الأمير فيصل، فلم يكن له تأثير سياسي داخل سوريا.

جاء الصدام الثاني مع الجنرال ألَّنبي خلال الأسبوع الأول. فقد سُرّ الحاكم الذي عيّنه الأمير فيصل ورستم حيدر في بيروت لأنّ رئيس بلدية بيروت كان قد رفع العلم العربي، كما أنّ العلم العربي قد رُفع أيضًا في بعبدا القريبة، عاصمة جبل لبنان[51]. ولكن بعد أن وصل الحاكم المعيّن سارعت القوات الفرنسية إلى النزول من البحر إلى بيروت وطلبت منه إخلاء السرايا. إلا أنه رفض ذلك مؤكدًا أنه يمثل رغبة الشعب بالاستناد إلى وعد الرئيس وودرو ولسون بحق الشعوب في تقرير مصيرها، وأنه لن يغادر السرايا إلا بأمر الأمير فيصل[52]. ولحلّ هذه المشكلة طلبت فرنسا من بريطانيا أن تستخدم قوتها العسكرية الضاربة/ الموجودة ونفوذها. وهكذا أرسل الجنرال ألَّنبي في 9 تشرين الأول/ أكتوبر ضابط الارتباط إلى السرايا كي يُخرج الحاكم ويُنزل العلم[53].

وفي لحظة غضب، قدّم الأمير استقالته من منصبه كفريق، محتجًّا على أن العلم العربي يمثل حق تقرير المصير للشعب العربي. وكما جاء في كتاب استقالته "إنّ العدالة السماوية ونبل الإنسانية لن تقبلا بعمل كهذا. إني أطالب بأن تُرفع

---

(50) Ibid., pp. 12-16; Tauber, *The Arab Movements*, pp. 2-3, 57-79.

(51) Tauber, *The Arab Movements*, p. 242.

عن هذا الاختلاف:

Mousa, p. 205,

هناك اختلاف حيث يورد موسى أن الأيوبي وصل في 6 تشرين الأول/أكتوبر، بينما تذكر قاسمية (ص57) وصوله قبل ذلك.

(52) Tauber, *The Arab Movements*, p. 242.

(53) من العقيد دو بيبباب إلى لوزير الحرب، 10 تشرين الأول/أكتوبر 1918؛ من كولوندري إلى بيشون، 18 و20 تشرين الأول/أكتوبر 1918، في:

Hokayem (éd.), *Documents diplomatiques*, pp. 386-387, 391-392.

تلك الوصمة التي لحقت بالعلم، وأن يكون لسكان بيروت الحق في تحقيق رغبتهم"[54].

كان الجنرال ألَّنبي في مقر قيادته بالقدس، فسافر شخصيًّا إلى دمشق ليؤكد للأمير فيصل أنّ الحكم العسكري الفرنسي مؤقت، ومع أنه ليس من صلاحيته إلا أنه أرسل إلى لندن ليوضّح ذلك: "لقد قدّمت للأمير فيصل تأكيدًا رسميًا بأنه مهما اتُّخذ من إجراءات خلال الإدارة العسكرية، فهي مجرد إجراءات مؤقتة، وأنها لن تؤثر على الحل النهائي الذي سيُعتمد في مؤتمر الصلح، حيث سيكون للعرب من دون شك ممثل لهم هناك... إني ذكرت للأمير أنّ الحلفاء ملتزمون أخلاقيًّا بالسعي للتوصل إلى حلّ بالانسجام مع رغبات الشعوب المعنية"[55].

إلا أنّ شكوك العرب زادت مرة أخرى خلال الأيام اللاحقة، حين كشف الجنرال ألَّنبي عن خريطة تقسيم سوريا إلى ثلاث مناطق عسكرية. وبحسب الخريطة، فقد تمّ فصل لبنان الساحل عن إدارة فيصل في الداخل، تاركة سوريا من دون منفذ إلى البحر. كما أنها ضمّت وادي البقاع، الذي كان تاريخيًّا جزءًا من ولاية دمشق، إلى الإدارة الفرنسية. وبذلك قلّلت الخريطة من مصداقية الأمير فيصل كحاكم لدولة عربية مستقلة سواء أمام شعبه أو أمام مؤتمر الصلح، حيث يُفترض أن تُرسم هناك الحدود النهائية. وحسب ما قاله الأمير فيصل للجنرال ألَّنبي، فإنّ "وضعه سيكون مستحيلًا"[56] إذا أقرّت بريطانيا هذه الحدود.

---

(54) تمت إعادة طبع التلغرام إلى ألّنبي في:
Alan de L. Rush (ed.), *Records of the Hashemite Dynasties,* vol. 10 (London: Archive Editions, 1995), pp. 131-132.

أيضًا في المجلد نفسه، مذكرات كلايتون إلى ألّنبي (102-107) بتاريخ 12 تشرين الأول/أكتوبر 1918. يُنظر:

Russell, pp. 16-17.

(55) "تأكيدات السير إدموند اللنبي للأمير فيصل"، تم الإبلاغ عن هذا التلغرام إلى لندن، في 19 تشرين الأول/أكتوبر 1918، وأعيد طبعها كملحق "H" في:
"Report of a Committee to Consider the Correspondence between Sir Henry McMahon and the Sharif of Mecca in 1915 and 1916" (London: His Majesty's Stationery Office, 1939).

(56) Russell, p. 18; Allawi, pp. 155-158.

يعتمد على ما ورد في:

Mousa, pp. 220-221;

قاسمية، ص 51-54.

وخوفًا من اندلاع انتفاضة مسلّحة، استسلم الجنرال ألّنبي، فقد طلب من الحاكم العسكري الفرنسي في بيروت ألا تعبر القوات الفرنسية جبل لبنان وتدخل سهل البقاع، الذي سيبقى تابعًا لسلطة دمشق. كما أنه طلب من فرنسا ألا ترفع الأعلام الفرنسية في بيروت، في لفتة ترمز إلى أن مسألة السيادة العربية على الساحل ستُحسم في مؤتمر الصلح. وذهب الجنرال إلى ما هو أبعد من ذلك حيث ضمن له السلطة المدنية والعسكرية الكاملة في ما يخص الشؤون العربية في المنطقة التابعة له، التي يسكنها 1.5 مليون نسمة. ووفق ذلك أصبحت الآن "أراضي العدو المحتلة-الشرق" (OET-East (Occupied Enemy Territory, Eastern Zone)) تمتد من حلب في الشمال إلى العقبة والبحر الأحمر في الجنوب وإلى دير الزور في الشرق. أما فرنسا فستحكم من بيروت "أراضي العدو المحتلة-الغرب" (OET-West) التي تشمل الشريط الساحلي الممتد من الحدود الشمالية لفلسطين/ إسرائيل حاليًا إلى تركيا. أما بريطانيا فستحكم من القدس "أراضي العدو المحتلة-الجنوب" (OET-South) التي تمثل الآن فلسطين/ إسرائيل. ولم يبق هنا أمام الجنرال ألّنبي للحدّ من قلق فرنسا والعرب سوى التأكيد أن هذا الوضع مؤقت وأن الحلّ سيكون لاحقًا في مؤتمر الصلح.

لم تكن الهدنة قد وُقّعت. وخلال تفاوض الجنرال ألّنبي مع الأمير فيصل، استمرّ نوري السعيد في التقدّم شمالًا على رأس الجيش العربي، بشكل متوازٍ مع تقدم فرقة الصحراء المحمولة البريطانية، لطرد الأتراك كليًا من سوريا. وكان العرب قد فتحوا حمص في 14 تشرين الأول/ أكتوبر وحماة في 19 تشرين الأول/ أكتوبر. ونظرًا إلى أن القوات العثمانية كانت تنسحب باتجاه الأناضول، فقد أخذ الضباط والجنود العرب ينشقّون عنها خلال الطريق. وهكذا فقد انضمّ العديد من الضباط ومئات الجنود إلى الجيش العربي. ومع هذا التعزيز الذي حظيت به قواته، انطلق نوري السعيد نحو حلب[57].

تمكّن الجيش العربي من السيطرة على قلعة حلب قبل منتصف ليلة 24 تشرين الأول/ أكتوبر. أقام نوري السعيد مقرّ قيادته في فندق بارون، الذي كان

---

(57) Mousa, p. 206; Tauber, *The Formation*, pp. 242-243.

معروفًا للأوروبيين الذين يسافرون على متن قطار الشرق السريع. وبعد يومين وصلت القوات البريطانية إلى حلب لتحظى باستقبال حماسي من السكان[58]. أما الجيش العثماني، الذي كان يقوده رئيس تركيا اللاحق مصطفى كمال، فقد انسحب باتجاه جبال طوروس. ومع عدم ارتياح بريطانيا لذلك، فقد أعلن العرب بأن حلب، أحد أكبر تقاطعات الطرق التجارية في الدولة العثمانية، تمثل المدينة الشمالية في مملكتهم السورية الناشئة.

وبعد أيام أعلنت حكومة السلطان العثماني عن توقيع الهدنة في 31 تشرين الأول/ أكتوبر 1918. وبذلك انتهت الحرب على الجبهة العثمانية.

(58) Christopher Bromhead Birdwood (Lord Birdwood), *Nuri al-Said: A Study in Arab Leadership* (London: Cassell, 1959), pp. 90-93; Young, p. 263.

# الفصل الثاني

## حلب: حكومة وعدالة للجميع

نشرت جريدة بيروتية في 2 تشرين الأول/ أكتوبر مقالًا افتتاحيًّا ورد فيه: "إنّ الأمة العربية عانت من الظلم خلال الحكم التركي ما لا يعلمه إلا الله. لم يكن أمامها سوى التزام الصبر وانتظار الخلاص إلى أن تصل صرخاتها إلى عرش الله للخلاص من الألم ومن البؤس ومن المجاعة، وأخيرًا استجاب الله لصراخها ودعائها"[1].

رحّب آخرون كُثر بالأمير فيصل والحكومة العربية كأبطال "أنقذوا الأمة من أبواب الجحيم". كان سكان سوريا الكبرى في حالة صدمة طيلة أربع سنوات من الحرب، التي ألغت الخط الفاصل بين جبهات القتال وحدود البيوت، بين الحكم المدني والحكم العسكري، وذلك أكثر من أي بلد أوروبي آخر[2]. كانت الدولة العثمانية تجنّد بالفعل كل شخص قادر، وتصادر كل حصان سليم وكل حيوان في المزارع، وتقوم بقطع أشجار الغابات، وتستولي على مخازن الغذاء في أرجاء الدولة. وفي هذه الحالة لم تسلم أسرة من الجوع أو من الموت. وخلال صيف 1918 نقص الغذاء في دمشق بعد أن قام مسلحون عرب بالاستيلاء على مخازن حبوب للدروز قرب درعا. أما في أيلول/ سبتمبر فقد اختفى الغذاء تمامًا

---

(1) "An Introduction," *Lissan al-Arab,* October 2, 1918. Translation from American University of Beirut, Special Collections Library, Howard Bliss Collection, Box 19 File 4, AA:2.3.2.19.4.

(2) Yücel Yanıkdağ, "Ottoman Empire/Middle East," *1914-1918-Online: International Encyclopedia of the First World War*, Ute Daniel, Peter Gatrell, Oliver Janz, Heather Jones, Jennifer Keene, Alan Kramer and Bill Nasson (eds.) (Freie Universität Berlin, 2014-12-19), accessed on 5/6/2019, at: https://bit.ly/3sG5cNI

في دمشق بعد أن قام الجنود الألمان قبل انسحابهم من المدينة بإحراق مخازن الغذاء[3]. ولذلك توفي في سوريا الكبرى خلال سنوات الحرب الأربع حوالى نصف مليون أو سدس السكان من المجاعة والأوبئة الأخرى. وقد وصلت الحالة إلى حدّ أن الآباء كانوا يتركون أولادهم يموتون عند باب الجامع الأموي في دمشق، وأصبحت الجثث مشهدًا شائعًا في شوارع المدينة.

وكما كتب بطريرك دمشق للروم الأرثوذكس في 11 تشرين الأول/ أكتوبر 1918 "لقد تمكّن المرض من سرقة أرواح الناس. فقد نشر ملك الموت عباءته وانشغل في مهمته، ما ملأ غرف الموتى وأثقل على الفِرق التي تقوم بدفنهم". وفي رسالته هذه عدّد ما كان يقوم به الأتراك من مظالم خلال سنوات الحرب: زادوا الضرائب على الناس من دون أن يكون لهم موارد إضافية، وجنّدوا كل كبار السن والمرضى وأرسلوهم إلى كل أرجاء الدولة من دون أن يعطوهم كسرة خبز، واستفادوا من السوق السوداء عوضًا عن أن يضبطوا أسعار الغذاء". وختم ذلك بالقول: "كان يمكن أن يحدث ما هو أسوأ، ولكن رحمة الله حدّت من المعاناة... ولا يوجد شك في أن ظلم الحكومة للشعب سيرتدّ عقابًا إلهيًّا على المعتدين (الأتراك)"[4].

كان الريف السوري يبدو بائسًا. وحين تابع الجيش العربي سيره نحو الشمال، عبَرَ أراضيَ محروقة آلت إلى الخراب بعد أن كانت غنية بالمزروعات. لم يعد لدى الفلاحين أدوات للفلاحة أو حيوانات، إذ إنها صودرت كلها خلال سنوات الحرب. أما من جُنّد منهم وسيق إلى جبهات الحرب فلم يعد قط.

أدرك القادة العرب أن عليهم أن يؤمّنوا الإعاشة بسرعة وإلا سيواجهون غضب الشعب. فقد كان معارضوهم - من أنصار آل الجزائري ومن الكاثوليك الموارنة الموالين لفرنسا - يوجّهون اللوم لهم بسبب تأخر وصول الغذاء من

(3) L. Schatkowski-Schilcher, "The Famine of 1915-1918 in Greater Syria," in: John P. Spagnolo (ed.), *The Problems of the Modern Middle East in Historical Perspective* (Reading, UK: Ithaca Press, 1992), pp. 229-230, 238-250; Leila Tarazi Fawaz, *A Land of Aching Hearts: The Middle East in the Great War* (Cambridge: Harvard University Press, 2014); Yiğit Akın, *When the War Came Home: The Ottomans' Great War and the Devastation of an Empire* (Stanford: Stanford University Press, 2018).

(4) مخطوط الرسالة إلى أساقفة حمص وحماة، 11 تشرين الأول/ أكتوبر 1918. أشكر بينان غرامز (Benan Grams) من جامعة جورج تاون لمشاركتي المخطوط. اسم البطريرك هو غريغوريوس الرابع حداد.

جراء تخريب العرب سكة الحديد والجسور. كما توجهوا باللوم أيضًا إلى الحلفاء لأنهم نقلوا الأوبئة بواسطة الجنود كالملاريا والتيفوس والحمى الإسبانية.

كانت الحكومة الجديدة تحت ضغوط الأوروبيين أيضًا الذين كانوا يُحَوْكمون قابلية العرب للاستقلال بناء على أداء الحكومة. فقد نصح ضابط الارتباط السياسي للجنرال أَلَّنبي العرب بـ "إدارة سليمة وموثوقة في دمشق" كي "يكون في أيديهم شيء ملموس يعرضونه في مؤتمر الصلح"[5]. كما كان على الحكومة العربية أن تثبت أنها تمثل كل الشعب السوري كي تبرّر مطلبها بحق تقرير المصير.

ولذلك فقد تفرّغ فيصل خلال الشهر الأول في دمشق لإنشاء إدارة للمساعدة الاجتماعية، وإقناع القادة السياسيين بأن حكومته ستوفر العدالة على عكس المظالم التي جلبها نظام الأتراك الجدد خلال سنوات الحرب. فقد كان جمال باشا الحاكم العسكري في سوريا الممثل للأتراك الجدد قد شنق شخصيات بارزة ونفى عائلات بكاملها من النخبة السياسية كي يقمع المعارضة. وفي الجيش كان العرب يعاملون كما أنهم مواطنون من الدرجة الثانية، بينما أُجبر غير المسلمين على الالتحاق للعمل الشاق والمهين في الفرق التي كانت تبني سكك الحديد وتقطع أشجار الغابات كي توفر الوقود للنقل العسكري، وتنظف الشوارع من القمامة والجثث. وقد اشتكى السوريون من جمال باشا بسبب نقص الغذاء، وسط الإشاعات عن الحفلات المترفة وسهرات الفجور المتأخرة لنخبة ضباطه. كان العديد، وخاصة العرب المسيحيين، يخشون من الإبادة كما حصل للأرمن في شمال سوريا. وقد أدى اليأس ببعض النساء إلى ممارسة الدعارة أو إلى الانتحار. وفي نهاية الحرب حتى الجنود، كانوا يتضوّرون جوعًا[6].

---

(5) Malcolm B. Russell, *The First Modern Arab State: Syria under Faisal 1918-1920* (Minneapolis: Bibliotheca Islamica, 1985), p. 20.

(6) يوميات إحسان ترجمان، من 3 نيسان/ أبريل إلى 9 أيار/ مايو 1915 ترجمها:
Salim Tamari, *Year of the Locust: A Soldier's Diary and the Erasure of Palestine's Ottoman Past* (Berkeley: University of California Press, 2011), pp. 96-113; Melanie S. Tanielian, *The Charity of War: Famine, Humanitarian Aid and World War I in the Middle East* (Stanford: Stanford University Press, 2018), pp. 51-77, 103-106, 235-244; Fawaz, pp. 81-120; Ohannès Pacha Kouyoumdjian, *Le Liban à la veille et au début de la guerre: Mémoires d'un gouverneur, 1913-1915* (Paris: Centre d'Histoire Arménienne Contemporaine, 2003).

لم يكن في الإمكان أن تتلاشى بسرعة ذكريات الصدمة الجماعية، ولذلك وعد نظام فيصل أن يعيد للمواطنين كرامتهم وحكم القانون. سعى فيصل إلى نيل الدعم من الليبراليين الذين عارضوا دكتاتورية الأتراك الجدد التي انقلبت على الثورة الدستورية العثمانية لعام 1908. وكان العرب قد احتشدوا في إسطنبول وحلب وبيروت ويافا ودمشق والقدس للاحتفال بالثورة، وشاركوا في الانتخابات البرلمانية التي جرت في خريف 1908. وحين افتتح البرلمان العثماني الجديد كان بين أعضائه 67 نائبًا عربيًا[7].

وقد اتّحد النواب العرب والأرمن والأكراد واليونان والأتراك في عام 1909 لتبنّي تعديلات دستورية تعزّز الرقابة الدستورية على السلطان العثماني، والحقوق المتساوية للمواطنين، وحرية الصحافة وتأسيس الجمعيات. وفي هذا السياق صدرت عشرات الجرائد والمجلات، وأصبح للعمال نقابات، بينما تأسّست جمعيات نسائية تطالب بالتعليم للنساء وقوانين زواج عادلة أكثر لهنّ.

ولكن نشوة عام 1908 تلاشت بعد أن تجمعّت غيوم الحرب. فقد غزت إيطاليا ولاية طرابلس العثمانية (ليبيا) في عام 1911، بينما قام تحالف الدول البلقانية بالهجوم على الدولة العثمانية في العام اللاحق. وفي هذا الجو تمكّن المتشدّدون المرتبطون بالجيش العثماني من إبعاد الليبراليين عن الحكم. وعندما أخذ النواب العرب في استقطاب التأييد لحكم ذاتي أوسع في ولاياتهم، عارضهم في ذلك نظام الأتراك الجدد. فقد أصبحت الأولوية في السياسة الجديدة للطبقة التركية الحاكمة مَرْكزة الإدارة في إسطنبول. وخلال الحرب العظمى عانى العرب من العقاب الذي لحق بهم. ومن هنا فقد مثل النصر في عام 1918 الأمل في إحياء الحكومة الدستورية التي فُقدت. وعلى عكس القوميين الأتراك الذين جمعوا أنفسهم في شمال الأناضول، فقد كان الأمير فيصل وجمعية العربية الفتاة

---

(7) Bedross Der Matossian, *Shattered Dreams of Revolution* (Stanford: Stanford University Press, 2014), pp. 23-31, 113, 119-121; Hasan Kayali, *Arabs and Young Turks* (Berkeley: University of California Press, 1997), pp. 60-72; Keith David Watenpaugh, *Being Modern in the Middle East: Revolution, Nationalism, Colonialism and the Arab Middle Class* (Princeton: Princeton University Press, 2006), pp. 61-75.

وغالبية السياسيين العرب يفضّلون العودة إلى مُثل التعددية والتسامح والديمقراطية الليبرالية في سوريا الكبرى.

## الخلاص للمجتمع المأزوم

كانت آمال السلام تبدو صعبة في تشرين الأول/ أكتوبر 1918. ففي سوريا وأوروبا استمرت المعاناة ونقص الغذاء فترة طويلة بعد التوقيع على الهدنة في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 1918. كانت الحرب العالمية الأولى حربًا شاملة جاء النصر فيها بعد إنهاك شامل للعدو، وحرمانه من المواد اللازمة للحرب والطعام لشعبه. وهكذا فقد انهارت معًا ثلاث إمبراطوريات: العثمانية والنمساوية-المجرية والروسية. وفي الفراغ الذي خلّفته هذه الإمبراطوريات أدى الحرمان والمرض والفوضى إلى موجات من العنف، ما أضاف أربعة ملايين أوروبي إلى ضحايا الحرب نتيجة للانتفاضات والحروب الأهلية والثورات[8].

لم يكن بعد الحرب العالمية الأولى مثل "مشروع مارشال" لمساعدة الشعوب على الخلاص من معاناة الحرب وإحياء الاقتصاد في الدول المهزومة في الحرب العالمية الثانية. فقد احتاج السوريون إلى عقد من الزمن لإحياء اقتصادهم حتى يصل الإنتاج إلى ما كان عليه في عام 1914. كان العالم القديم قد انهار، ولكن فيصل كان يعمل على إنشاء دولة جديدة في الوقت الذي لم يكن فيه واضحًا النظام العالمي الجديد.

في نهاية تشرين الأول/ أكتوبر بدأت الحياة تنتظم من جديد في دمشق. فقد أخذت وحدات الشرطة الجديدة تحرس الشوارع التي عادت إليها الإنارة في الليل، وانطلقت من جديد عربات الترامواي في شوارعها، كما أصبحت شحنات الغذاء تزوّد أسواق المدينة بانتظام. ولمكافحة التضخم وفساد السوق السوداء شكّلت الحكومة "مجلس الموارد المحلية" لتنظيم التموين والأسعار[9].

(8) Robert Gerwarth, *The Vanquished: Why the First World War Failed to End* (New York: Farrar, Straus and Giroux, 2016), pp. 7-8.

(9) Major Sir Hubert Young, *The Independent Arab* (London: John Murray, 1933), p. 262; Russell, p. 20.

ولكن مع قدوم الشتاء انشغلت الحكومة العربية بتأمين الإعاشة لمليون ونصف مليون نسمة من سكان "أراضي العدو المحتلة-الشرق" (OET-East). فقد أخذ العثمانيون معهم حصيلة الضرائب لتلك السنة. وكانت فرنسا تسيطر على الساحل والموانئ فيه، إلا أنها رفضت مشاركة الحكومة العربية في عائدات الضرائب التي كانت تُجبى على البضائع الواردة [للمنطقة الداخلية]. ولذلك اضطر فيصل إلى طلب المساعدة المالية من بريطانيا، إلا أن الدفعة الشهرية الأولى من المساعدة تأخرت حتى نيسان/ أبريل 1919[10]. وهكذا فقد أدّت السيطرة البريطانية على محفظة نقود الحكومة العربية وامتناع فرنسا عن دفع حصة الحكومة العربية من عائدات الجمارك، إلى تهديد سياسي جدي للحكومة.

في غضون ذلك، كان أداء الأمير فيصل حتى صيف 1919 قد أثمر عن إحياء المفاصل الأساسية للحكومة بعد أن تمّ تعيين 13 ألف موظف[11]. كانت غالبية هؤلاء في الجيش، بينما كانت البقية في أربع دوائر مدنية: الداخلية والتعليم والعدلية والمالية. ولمراقبة مجمل الإدارة، فقد شكّل الأمير فيصل مجلس شورى الدولة. ولتمويل ذلك قام المجلس بجمع الضرائب ووضع اليد على الأراضي الأميرية التي كانت تابعة للدولة العثمانية، كما مارس فيصل الرقابة على ميزانية البلاط التي يُصرف معظمها للدعاية من خلال أعمال الخير والصحف والنوادي الثقافية العربية[12].

كانت كلّ إدارة تكافح لتلبية متطلبات السكان المنكوبين بالميزانية المحدودة المرصودة لها. وهكذا، على سبيل المثال، وجدت إدارة الصحة نفسها مباشرة في مواجهة الحمّى الإسبانية التي انتشرت في العالم بين عامي 1918 و1919. فقد

---

(10) Philip S. Khoury, *Urban Notables and Arab Nationalism: The Politics of Damascus 1860-1920* (New York: Cambridge University Press, 1983), pp. 81-82.

(11) Russell, p. 57;

خيرية قاسمية، **الحكومة العربية في دمشق بين 1918-1920**، ط 2 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982)، ص 61-62.

(12) Eliezer Tauber, *The Formation of Modern Syria and Iraq* (London: Frank Cass, 1995), p. 14; Russell, p. 20.

كانت ميزانية قصر فيصل 400 ألف جنيه مصري. كانت المساهمة البريطانية في كانون الأول/ ديسمبر 1918، 80 ألف جنيه وارتفعت إلى 150 ألف جنيه في نيسان/ أبريل 1919.

تفشى هذا الوباء في المنطقة خلال تشرين الثاني/ نوفمبر، وهو الشهر الذي يتّسم بأمطار باردة[13]. عانى السوريون عامة من نقص العناية الطبية لأن المستشفيات المحدودة كانت تعاني بدورها من نقص العاملين. كما أن نقص الغذاء أضعف بدوره مقاومة هذا الوباء. وهكذا في منطقة السلط وحدها، مات سبعة آلاف من المجاعة والأمراض الناشئة عنها خلال فصل الشتاء الذي أعقب التوقيع على الهدنة[14].

ومع أن فيصل كان يعتبر التعليم على رأس الأولويات، إلا أن كافة صفوف المدارس العامة لم تعاود عملها إلا في خريف 1919. وبجهود كبيرة تمكّنت إدارة التعليم من افتتاح المعهد الطبي ومعهد الحقوق اللذين كانا قد أُغلقا في بداية الحرب[15]. ومن بين المؤسّسين للمعهد الطبي كان الدكتور أحمد قدري، أحد قادة جمعية العربية الفتاة والطبيب الشخصي لفيصل. ومع هذين المعهدين تأسست نواة جامعة دمشق لاحقًا.

كان جهاز إدارة المالية يتألف من 140 موظفًا مّمن كانت لهم خبراتهم في العهد العثماني. ومع مساعدة مدقّقي الحسابات الإنكليز تمكّنت الإدارة من وضع ميزانيات منظمة، ومراجعة المصروفات الشخصية لفيصل، كما أدارت البنك الزراعي وسجلات الأراضي، وهو ما كان مهمًا للإنتاج الزراعي. إلا أن جهودها في تقدير الضرائب فشلت لأن العثمانيين كانوا قد أخذوا معهم إلى إسطنبول كلّ سجلات الأراضي[16].

---

(13) مع الدعم الجيد الذي كانت تتلقّاه الكلية البروتستانتية السورية فقد أصبحت الأسرّة في مستشفاها غير قادرة على استقبال المزيد في مطلع كانون الأول/ ديسمبر:
AUB Library, Letters to Reverend D. Stuart Dodge, November 5 and 27, and December 4, 1918. AA:2.3.2.10.2 File Letters from Howard Bliss to David Stuart Lodge and others, Howard Bliss Collection.

(14) Russell, pp. 49, 56.

(15) Russell, p. 51; Sami Moubayed, *Steel and Silk: Men and Women Who Shaped Syria 1900-2000* (Seattle: Cune Press, 2006), p. 388;

عبد الكريم رافق، **تاريخ الجامعة السورية: البداية والنمو 1901-1946** (دمشق: مكتبة نوبل، 2004)، ص 39-45.

(16) Abdul-Karim Rafeq, "Arabism, Society, and Economy in Syria 1918-1920," in: Youssef M. Choueiri (ed.), *State and Society in Syria and Lebanon* (Exeter, UK: University of Exeter Press, 1993), pp. 20-25; Russell, pp. 48-49.

أما إدارة العدلية، فقد عانت أكثر من نقص العاملين فيها، بعد أن كان القضاة يشكلون 80 في المئة من الموظفين الذين اختاروا الذهاب مع الجيش العثماني المنسحب. ونتيجة لذلك كان القضاة الذين بقوا يفتقدون إلى الخبرة ومثقلين بالأعباء مع وجود 36 محكمة وخمس محاكم تمييز ومحكمة نقض عليا. وعلى الرغم من النقد الموجه لهذه الإدارة، إلا أن الاستجابة كانت بطيئة، لأن معهد الحقوق احتاج إلى سنوات حتى يلبي الحاجة من خريجيه. وعلى الرغم من هذه المعوقات، فقد تمكن النظام القانوني من السيطرة على الجرائم وقطع الطرق التي صاحبت انسحاب العثمانيين وأعاد حكم النظام والقانون[17].

وعلى الرغم من الاحتياجات الاجتماعية الهائلة، كانت معظم الميزانية تذهب إلى الجيش بسبب الواقع السياسي للبلاد. ويبدو أن الخطر من انتفاضة مسلحة هو الذي أقنع الجنرال ألّنبي بالموافقة على إنشاء جيش نظامي يمكن أن يضمن الاستقلال الكامل للعرب.

كانت الحكومة العربية في حاجة إلى الجيش كي تحظى بدعم شعبي. كان العديد من قدامى الضباط العثمانيين في سوريا يشعرون بولاء ثابت للسلطان، الشيء الذي كان يمثل تهديدًا للاستقلال العربي. ولكن ردة فعل فيصل كانت تقوم على إقناعهم بدلًا من إخضاعهم. فقد ضمن لهم العفو وسافر الأمير إلى حلب وحمص وطرابلس وبيروت لدعوتهم إلى الانضمام إلى جيش الدولة العربية. ففي طرابلس، على سبيل المثال، اتخذ الأمير فيصل من بيت المفتي مقرًا له ثم دعا إليه الملازم فوزي القاوقجي الذي بقي يقاتل مع الجيش العثماني حتى انسحابه النهائي. وفي هذا اللقاء قال فيصل: "إنني لا أريد أن أنتقد أو أدين أي جندي بقي يحارب مع الجيش التركي... إنّ مصير هذه البلاد، التي أنتم جزء منها، قد أصبح في أيدينا، ولذلك أدعوك لخدمتها". وقد استجاب القاوقجي لذلك وانضم إلى الجيش السوري بـ"انشراح ورضا" وساعد في وضع أول كتيّبات تدريب الجيش[18].

---

(17) Rafeq, "Arabism, Society," pp. 11-12.

(18) Laila Parsons, *The Commander: Fawzi al-Qawuqji and the Fight for Arab Independence, 1914-1948* (New York: Hill and Wang, 2016), p. 44.

عيّن فيصل أيضًا ضابطًا آخرَ من قدامى الضباط العثمانيين قائدًا للجيش، هو الجنرال ياسين الهاشمي من العراق الذي قام بحملة لتجنيد السوريين في الجيش وتدريبهم في الكلية الحربية الجديدة. وعلى الرغم من الرواتب المتدنية ومعارضة فرنسا، فقد وصل عدد أفراد الجيش إلى سبعة آلاف حتى أيلول/ سبتمبر 1919[19].

إلا أن ما وفّرته الحكومة من وظائف لم يكن كافيًا. فقد كان الشعب في أرجاء سوريا لا يزال يحتاج إلى عمل وغذاء، كما لاحظت ذلك إحدى موظفات الصليب الأحمر الأميركي في صيف 1919: "خلال فصل الشتاء القادم سيكون هناك عدد هائل من العائلات في معاناة كبيرة. فهم من دون سقف فوق رؤوسهم ومن دون فراش للنوم ومن دون قدرة على تغيير ملابسهم، ومن دون وعاء يطبخون فيه، ومن دون أي مورد يوفر أهم الضروريات. أما دفء فصل الصيف فيوفر لهم راحة مؤقتة من البرد". وكما جاء في نهاية تقريرها عن حالة الشعب: "إنهم لن يستطيعوا الصمود طويلًا. الموت يلوح أمامهم، ولكنهم يجابهونه بشجاعة دونما تذمّر"[20].

كان المعارضون يلقون باللوم على عدم خبرة فيصل لما تتعرّض له سوريا باستمرار المعاناة. ولكن أداء الحكومة السورية لم يكن أسوأ من غيرها من الحكومات التي جاءت بعد الحرب. ففي أوروبا الشرقية بقيت المجتمعات مدمّرة مدة سنة كاملة بعد الحرب. فقد بقيت الدول هناك منشغلة بترسيم الحدود الجديدة وإصدار نقد جديد وإصلاح الطرق وسكك القطارات لتجنّب النزاع الداخلي[21].

أما في ما بقي من الدولة العثمانية، فقد كانت المخاطر السياسية أكبر. فقد اعترف الحلفاء، على الأقل، بسيادة ألمانيا وبولونيا والتشيك في خريف 1918.

---

(19) Russell, pp. 53-54.

(20) Margaret McGilvary, *The Dawn of a New Era in Syria* (New York: Fleming H. Revell, 1920), pp. 289, 291.

(21) Antony Polonsky, *Politics in Independent Poland 1921-1939* (Oxford: Clarendon Press, 1972), pp. 1-10, 23; Malbone W. Graham, *New Governments of Eastern Europe* (New York: Henry Holt, 1927), pp. 409-439; Josef Gruber (ed.), *Czechoslovakia: A Survey of Economic and Social Conditions* (New York: Macmillan, 1924; reprint ed., New York: Arno, 1971), pp. v, 193.

وعلى العكس من ذلك، كان الحلفاء يهدّدون الدول المنبثقة من الإمبراطورية العثمانية بالاحتلال بحجة عدم قدرتها على حكم ذاتها بذاتها. ففي إسطنبول، كما هو الأمر في سوريا، حدث نقص كبير في الغذاء خلال شتاء (1918-1919). وبقي العديد من العائلات من دون رجال. أما الرجال المحظوظون الذين عادوا من الجبهة ووجدوا عملًا لدى الحكومة، فكانوا يبقون شهورًا دونما رواتب. والأكثر من هذا أن رئيس وزراء فرنسا طالب الحكومة العثمانية أن تعوّض نفقات جيش الاحتلال الفرنسي. أما البنوك اليونانية فقد كانت تقدم القروض لليونانيين العثمانيين كي يشتروا أملاك الأتراك المسلمين الذين تعرضوا للإفلاس. وأما بريطانيا فقد أجبرت السلطان، الذي كان في الواقع سجينًا سياسيًا، على التوقيع على شروط الهدنة القاسية. وفي غضون ذلك دعمت القوات البريطانية والفرنسية علنًا اليونانيين والأرمن الذين كانوا يطالبون بإنهاء الحكم التركي[22].

## خطة تأسيس الديمقراطية

كان الأمير فيصل ورستم حيدر، وكذلك الساسة الأتراك في إسطنبول، يعلمون بأن الحلفاء يسعون إلى تقسيم الدولة العثمانية إلى كيانات قومية طائفية، لحماية اليونانيين والأرمن في الأناضول، وإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وجيب مسيحي في لبنان. فقبل عام من ذلك نشرت الصحف تصريح بلفور الذي وعد الصهيونيين بوطن قومي لهم في فلسطين، واتفاقية سايكس بيكو التي قسّمت سوريا والعراق بين فرنسا وبريطانيا.

وفي المقابل، كانت خطة فيصل ومستشاريه تقوم على استعادة الثقة والوحدة بين الطوائف الدينية، وتوحيد سوريا حول هوية قومية عربية ضد خطط التقسيم الأوروبية. ولذلك فقد ضمّن فيصل في بيان 5 تشرين الأول/ أكتوبر حول تأسيس حكومة عربية دستورية، تعهّده لزعماء المسيحيين واليهود بأن تكون حقوقهم

---

(22) Nur Bilge Criss, *Istanbul under Allied Occupation 1918-1923* (Leiden: Brill, 1999), pp. 20-29, 34-35, 41-45.

وتقدمهم الاجتماعي مرتبطة بالاستقلال العربي: "ليعلم جميع الناس أن حكومتنا قد تأسّست على قاعدة العدالة والمساواة، فهي تنظر إلى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم وأديانهم نظرةً واحدةً، لا تفرّق في الحقوق بين المسلم والمسيحي واليهودي، فهي تسعى بكل ما لديها من الوسائل لتثبيت دعائم هذه الدولة التي قامت باسم العرب، وتستهدف إعلاء شأنهم، وتأسيس مركز لهم بين الأمم الراقية"[23].

ومن هنا فقد حرص فيصل على زيارة الزعماء المسيحيين في دمشق وتقديم ما يحتاجون إليه من مساعدات. كان بطريرك الروم الأرثوذكس محبطًا بسبب الحاجة الكبيرة لإغاثة اللاجئين. وقد عبّر عن امتنانه للأمير فيصل في قُدّاس، كما أرسل رسائل إلى كل مطارنة الروم الأرثوذكس في سوريا طالبًا منهم تأييد الحكومة العربية الجديدة. وكما جاء في رسالته، فإن الأمير فيصل مبعوث العناية الإلهية كي ينقذ سوريا من مظالم الحكم العثماني[24].

إلا أن بعض المسيحيين رأوا في فيصل، باعتباره من سلالة الرسول، أنه يسعى إلى استعادة السيطرة الإسلامية عليهم. وفي هذا السياق جاءت دعوة الكنيسة المارونية (التي تتبع الكنيسة الكاثوليكية في روما) إلى المسيحيين لاحتضان فرنسا باعتبارها حاميتهم. وكان بطريرك الروم الكاثوليك في دمشق في البداية مؤيدًا لفرنسا بسبب خشيته من فشل فيصل في تحقيق الاستقلال لأن ذلك سيؤدي إلى لوم المسيحيين وحدوث مجازر جماعية. ولكن خلال العام الأول أصبح كل البطاركة المسيحيين في دمشق مؤيدين للأمير العربي[25].

حظي فيصل أيضًا بتأييد الروم الأرثوذكس في الساحل وبعض الشخصيات المارونية البارزة، ومن بينهم حبيب السعد رئيس مجلس الإدارة لجبل لبنان[26].

---

(23) أُعيد نشرها في:
Abu Khaldun Sati al-Husri, *The Day of Maysalun* (Washington, DC: Middle East Institute, 1966), p. 102.

(24) البطريرك اليوناني إلى أسقف حمص وحماة، 11 تشرين الأول/ أكتوبر 1918، من بينان غرامز.

(25) Russell, p. 83; 'Abd al-Karim Rafeq, "al-Awraq al-Mashiya fi Dimashq min khilal watha'iq al-mahakim al-shara'iya al-'uthmaniya," *Chronos: Revue d'Histoire de l'Université de Balamand,* 37 (2018), p. 76.

(26) Ali A. Allawi, *Faisal I of Iraq* (New Haven: Yale University Press, 2014), pp. 155-156.

وهكذا فقد أشادت جريدة أرثوذكسية في بيروت، **لسان العرب**، بوصول الحكومة العربية في 2 تشرين الأول/ أكتوبر مستشهدة بما ورد في خطاب الأمير فيصل "إنّ الأمة العربية اليوم تتمتع بما كانت تتوق إليه: رغبتها الطويلة في استعادة أمجادها القديمة" و"إنّ الأمة العربية ليست أمة إسلامية، بل أمة واحدة تضمّ المسلمين والمسيحيين واليهود"[27].

ومن الشخصيات الدينية المارونية البارزة كان هناك حبيب اسطفان الذي رحّب بممثلي الأمير فيصل في بيروت. كان اسطفان هو من تلقى شخصيًا اعتراف [المسيحيين] الذين حكم عليهم جمال باشا بالموت [في عام 1916]. أما الآن بعد أن انتهت الحرب، فقد وقف على شرفة السرايا أمام حشد كبير وألقى قصيدة تشيد بالعهد الجديد من الحرية العربية. وقد حذّر اسطفان المسيحيين من الترحيب بفرنسا، التي ستجلب لهم استبدادًا جديدًا عليهم[28].

لم يكن تبنّي الديمقراطية مجرد استراتيجيا مبتدَعة لمواجهة السياسة البريطانية-الفرنسية، بل كانت لها جذورها في نفوس الأمير فيصل وأعضاء جمعية العربية الفتاة قبل الحرب[29]. فقد كان رستم حيدر وأحمد قدري طالبَيْن في إسطنبول خلال اندلاع الثورة الدستورية في عام 1908، التي ألهمتهما بتأسيس جمعية العربية الفتاة. في ذلك الحين كانت رؤيتهما تحوم حول نهضة العرب سياسيًّا وثقافيًّا ضمن الدولة العثمانية. ولكن في بداية الحرب أصبح هدفهما إقامة ديمقراطية عربية مستقلة عن الحكم الدكتاتوري للأتراك الجدد.

---

(27) "Arab Independence," *Lissan al-Hal*, 2/10/1918.

(28) فريد إسطفان، **حبيب إسطفان، رائد من لبنان** (بيروت: دار لحد خاطر، 1983)، ص 57-59. لقاء شخصي في بيروت بتاريخ: 13/1/ 2018 مع فريد الخازن سليل أحد المحكومين. وأشكر هنا يوسف معوض لتوجيهي نحو قضية حبيب إسطفان.

(29) Patrick Seale, *The Struggle for Arab Independence: Riad el-Solh and the Makers of the Modern Middle East* (New York: Cambridge University Press, 2010), p. 120;

أحمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** (دمشق: ابن زيدون، 1956)، ص 82؛ ادعى توبر أن فيصل كان عضوًا في العربية الفتاة، في:

Tauber, *The Formation*, pp. 39-40.

ومن أعضاء جمعية العربية الفتاة النشطين في سوريا كان أيضًا رضا الصلح، الذي لم يكن لديه شك في أن العرب مستعدّون للديمقراطية. فقد كان في الرابعة عشرة عندما حضر افتتاح البرلمان العثماني الجديد في 17 كانون الأول/ ديسمبر 1908 بعد أن كان والده قد انتُخب نائبًا عن بيروت. وفي هذه المناسبة توجّه السلطان عبد الحميد الثاني إلى النواب مذكّرًا إياهم بأن المدارس العثمانية هي التي أعدّتهم للديمقراطية: "لقد ارتقى مستوى قدرة الطبقات المختلفة من شعبنا بفضل انتشار التعليم"، و"لذلك أعلن من جديد دونما تردد العمل بالدستور"[30]. وبعد شهور عدة من ذلك التحق الصلح بكلية الحقوق في إسطنبول إلى جانب آخرين من أعضاء جمعية العربية الفتاة، واجتمع مع فيصل في عام 1915 خلال لقاء سري له مع أعضاء الجمعية في دمشق[31].

كان فيصل نفسه نائبًا في البرلمان العثماني عشية الحرب (1912-1914). وكان مثل الصلح قد نشأ في إسطنبول وأصبح يتحدث التركية بطلاقة. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1908 عيّن النظام الثوري الجديد والده الشريف حسين أميرًا على مكة، وانضم إلى والده كي ينظم ويُخضع العشائر المتمردة في ولاية الحجاز التي تشمل المدن المقدسة مكة والمدينة. ولكن بعد أربع سنوات، في عام 1912، عاد إلى إسطنبول ممثلًا لوالده في البرلمان العثماني[32]. ومع تزايد استبداد الأتراك الجدد تحمّس للمؤتمر العربي الذي عقدته جمعية العربية الفتاة في باريس عام 1913. وقد طالب المؤتمر حينئذ الحكومة العثمانية بضمان حقوق متساوية للعرب وحكم ذاتي أكبر للولايات السورية[33]. إلا أن اندلاع الحرب في السنة اللاحقة بدّد آمال العرب في الإصلاح.

---

(30) Seale, pp. 58-59; Charles Kurzman, *Democracy Denied 1905-1915* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2008), p. 41.

(31) Seale, pp. 58-61, 67-70, 84-90, 95-96, 116.

(32) في الواقع لم يكن الأمير فيصل ممثلًا لوالده، وإنما كان نائب جدة في البرلمان العثماني، كما هو الأمر مع أخيه الأمير عبد الله الذي كان نائب المدينة المنورة في البرلمان العثماني. (المترجم)

(33) Allawi, pp. 13-17, 24-30, 36-39; Higher Council, *First Arab Congress*, pp. 113-120, 132-134; Zeine N. Zeine, *The Emergence of Arab Nationalism,* 3rd ed. (New York: Caravan, 1973), pp. 144-145.

وهكذا ساهمت هذه الخبرة في تشكّل خطة فيصل لسوريا ما بعد الحرب، بالاستناد إلى ما كان يدور من أحاديث عن اجتماعات ليلية خلال الثورة العربية. أما الآن فقد بقي أن يعلن خطّته للشعب السوري.

في 4 تشرين الثاني/ نوفمبر 1918 غادر الأمير فيصل دمشق في جولة بالسيارة في شمال سوريا استغرقت أسبوعين. كانت المحطة الأولى له في زحلة، المدينة المسيحية في سهل البقاع التي تبعد 40 ميلًا عن شمال غرب دمشق، ثمّ زار مدينة رستم حيدر بعلبك القريبة التي كانت تضمّ غالبية مسلمة وتشتهر بآثارها الرومانية وبكونها مركز تقاطع مهمًا لسكك الحديد. وبعد ذلك تابع الموكب الأميري سيره باتجاه حمص وحماة. كان الشعب في الطرقات في انتظار الأمير فيصل لتحيته، كما يذكر أحمد قدري في مذكراته[34]. أما في حماة فقد تعهد السكان للأمير فيصل بتقديم أربعة آلاف ليرة ذهبية لدعم المدارس في المدينة.

أما حلب التي كانت أكبر مدينة في المنطقة، فقد كانت تعتبر من أمّهات المدن العثمانية. كانت تقع على الطريق التجاري القديم الذي يربط آسيا بالأناضول، ولذلك كان مطبخها يتميّز باستخدام التوابل أكثر من المطبخ الدمشقي. كان عدد سكانها قبل الحرب وصل إلى مئة ألف نسمة، من بينهم 25 في المئة من غير المسلمين وغير العرب. وعندما اندلعت الثورة الدستورية في عام 1908 أيدت بقوة الطبقة الوسطى من التجار والموظفين المُثل الليبرالية للثورة. وكما كتب القنصل الأميركي عن جو التسامح في ذلك الوقت: "كان المسلمون والمسيحيون واليهود يختلطون معًا بمشاعر أخوية، وبكى كبار الشخصيات من كل الطوائف من الفرح". وقد وصف كيف أنه آنذاك كان ضباط الجيش يقودون الجنود لـ "القسم على القرآن للدفاع عن الدستور"[35].

وكانت حلب خلال القرن التاسع عشر قد أنجبت الفيلسوف العربي البارز عبد الرحمن الكواكبي، الذي أثرت أفكاره عن الديمقراطية الإسلامية في جيل

---

(34) قدري، ص 85؛

Russell, p. 28.

(35) Watenpaugh, pp. 43, 66-69.

كامل من المصلحين العرب. وكان الكواكبي قد أصدر جريدة دعت إلى أن يتمتع الأرمن والمسيحيون واليهود بالحقوق المتساوية، إلا أن حكومة السلطان عبد الحميد الثاني كانت تمارس عليها الرقابة باستمرار. وعندما قام أخيرًا الوالي العدائي باعتقال الكواكبي خرج حشد من المؤيدين له يطالب بإطلاق سراحه. وبعد إطلاق سراحه هرب الكواكبي إلى مصر في عام 1900 خشية من أن يتم اعتقاله ثانية. وهناك نشر في القاهرة كتابه **طبائع الاستبداد** الذي جعله مشهورًا. وفي هذا الكتاب يثبت الكواكبي أن الاستبداد يتعارض مع التعاليم الإسلامية، وأن المستبدين مسؤولون عن ضعف الشعوب الإسلامية في مواجهة أوروبا. فقد ذهب الكواكبي إلى القول إن الديمقراطية هي التعبير الأصدق عن السياسة الإسلامية طالما أنها كانت قائمة على الأخوة ووحدة العرب بغض النظر عن الدين[36].

ولكن مع اقتراب فيصل من حلب في مطلع تشرين الثاني/ نوفمبر 1918، كان قلقًا حول كيفية تقبّل مشروعه عن تأسيس ديمقراطية عربية. كانت حلب مدينة غريبة عن الأمير فيصل ومعظم أعضاء جمعية العربية الفتاة. ونظرًا إلى نظام الرقابة على الصحف خلال الحرب، فقد كانت قلّة من الحلبيين تعرف عن الثورة العربية. ومع أنه كان يتوقع بعض التأييد لملكية دستورية، إلا أنه كان يعرف أيضًا أن النخبة المسلمة في المدينة كانت لا تزال ترتبط هويتها بالأتراك والخليفة العثماني. وبالمقارنة مع المدن المعرّبة إلى الجنوب منها فإنّ حلب كانت في منطقة وسط بين سوريا الناطقة بالعربية والمرتفعات الجبلية الكردية إلى الشمال والشرق منها والمناطق التركية والأرمنية إلى الشمال والغرب منها.

في حلب أيضًا كانت نسبة السكان غير العرب أكبر. كان هناك آلاف من الأتراك المرتبطين بالدولة العثمانية المهزومة لا يزالون يعيشون في المدينة.

---

(36) عبدالرحمن الكواكبي، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد** (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 2011). لم يترجم هذا الكتاب إلى الإنكليزية ولكن وايزمان Itzchak Weismann يعطي له عنوانًا مغايرًا: *The Nature of Tyranny and the Struggle against Enslavement.*

ينظر:
*Abd al-Rahman al-Kawakibi: Islamic Reform and Arab Revival* (London: Oneworld, 2015), pp. 1-2, 22-25, 38-40, 61-63, 101-118; Salam Kawakibi, "Postface," dans: 'Abd al-Rahman al-Kawakibi, *Du despotism et autres textes*, Hala Kodmani (trans.) (Arles: Actes Sud, 2016), pp. 209-231.

كما أنّ عدد الأرمن فيها زاد كثيرًا مع قدوم آلاف اللاجئين خلال الحرب. فمع بداية عام 1915 عمد الأتراك الجدد إلى ترحيل الأرمن من مواطنهم لمحو وجودهم في الأناضول. وقد استُخدم لاحقًا تعبير "إبادة" لوصف الترحيل الجماعي الذي انتهى بحسب التقديرات بموت مليون أرمني. ومن هؤلاء المهجرين الذين بقوا على قيد الحياة استقرّ في حلب وجوارها عشرات الآلاف، حيث توزعوا على مخيمات بائسة ونشروا الأوبئة وعانوا هناك من نقص كبير في الأغذية[37].

كان فيصل يتعاطف مع ما حدث للأرمن وما يحتاجونه. فقد شهد بنفسه عملية ترحيل الأرمن من مواطنهم في أيار/ مايو 1915 حين كان يسافر بالقطار من إسطنبول إلى دمشق. وقد نشر سكرتيره الشخصي فائز الغصين كتابًا عن الفظائع التي ارتُكبت بحق الأرمن في مدينة ديار بكر التي لا تبعد كثيرًا عن حلب[38]. وهكذا منذ عام 1917، أي منذ أن بدأ الجيش العربي تحركه نحو شمال سوريا، كان فيصل يقدّم المساعدات للأرمن لأنهم، كما قال والده، كانوا "أهل ذمة المسلمين". فقد قدّم لهم الجمال والغذاء والحماية المسلحة لإنقاذ المجموعات التي وصلت حيّة في طريقها من الأناضول إلى سوريا[39]. وفي دمشق وحدها، وجد فيصل أكثر من ستة آلاف من الأرمن، ممّن بقوا على قيد الحياة، في حالة عوز. وكان هناك آلاف أخرى ينتقلون من القرى إلى المدن السورية الأخرى. وقد ضمن الأمير فيصل للأرمن حرية السفر بالقطارات ومأوى أفضل في المدينة. ولم يتخلّف العديد من السوريين المسلمين عن مشاركة الأمير فيصل في موقفه النبيل، كما يبدو من المناشدات المتعاطفة التي كانت تنشرها الصحف آنذاك. إلا أن

(37) Watenpaugh, p. 125.

(38) Fa’iz El-Ghussein, *Martyred Armenia* (New York: George H. Doran, 1918); Scott Anderson, *Lawrence in Arabia: War, Deceit, Imperial Folly and the Making of the Modern Middle East* (New York: Anchor, 2014), p. 122.

(39) Levon Parian & Ishkhan Jinbashian (eds.), *Crows in the Desert: Memoirs of Levon Yotnakhparian* (Tujunga, CA: Parian Photographic Design, 2012), pp. 34, 47, 53, 61-100, quote on 34;
فايز الغصين، **مذكراتي عن الثورة العربية** (دمشق: 1939)، ج 2، يومية 10 تموز 1918. مأخوذ بتاريخ 30/ 8/ 2018 من موقع: https://bit.ly/3GweXnp

الحكومة العربية الجديدة لم يكن لديها ما يكفي من الموارد لتوفير الغذاء لهم. ففي تشرين الثاني/ نوفمبر، على سبيل المثال، كانت التقارير عن المجاعة بين الجماعة الأرمنية الكبيرة في حماة تثير القلق. وخلال الشهور الأولى للحكومة العربية، قبل أن تصل المساعدات من الخارج، فقد العديد من رجال الأرمن ونسائهم عملهم مع الجيش العثماني الذي كانوا يتقاضون عنه أجرًا بسيطًا أبقى أولادهم على قيد الحياة[40].

ولكن في حلب شكّل الأرمن مشكلة سياسية للأمير فيصل. فقد كانت حلب تضمّ أكبر تمركز للاجئين الأرمن في سوريا. ومع أن غالبيتهم كانت تريد العودة إلى مواطنهم في الأناضول، إلا أن حضورهم المتواصل في المدينة أدى إلى توتر طائفي. فقد استاء المسلمون مما اعتبروه تنافسًا جائرًا على حقهم في الحصول على الغذاء وفرص العمل. وفي الوقت نفسه، كانت فرنسا قد أخذت على عاتقها القضية الأرمنية كجزء من تحركها لاستقطاب الولاء المسيحي لها في المنطقة. ومن ناحية أخرى فقد صورت الدعاية الأجنبية كل المسلمين باعتبارهم مسؤولين عن قتل الأرمن، وشمل هذا الاتهام العرب بشكل جائر.

إلا أن فيصل شعر بالارتياح حين خرج الرجال والنساء والأطفال للترحيب به في حلب في 6 تشرين الثاني/ نوفمبر 1918. وكما وصف أحمد قدري المشهد في مذكراته فقد "تعالت أصوات الفرح والزغاريد إلى السماء كما أن الورود الحمراء والأزهار البيضاء التي أُلقيت على الأمير غطّت الشوارع". شرع فيصل بالعمل فور وصوله. فقد اجتمع مع نوري السعيد وعيّن قوميًا مخلصًا حاكمًا عسكريًا على المدينة كخطوة أولى لتنظيم الحكم وبناء أواصر الصلة والثقة.

في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر ألقى فيصل خطابًا تاريخيًّا في النادي العربي الجديد الذي افتتحه النظام الجديد لنشر الثقافة العربية في المدينة. كانت مناسبة

---

(40) Vahe Tachjian, *Daily Life in the Abyss: Genocide Diaries, 1915-1918* (New York: Bergahn Books, 2017); Seda Altug, "1915 Armenian Genocide in Syrian-Arabic Sources," unpublished paper presented at Clark University, Worcester, MA, April 10-11, 2010; British Library, India Office Library and Records, London, Mark Sykes to G.H.Q., November 22, 1918, War Office Records, WO95/4372, 279.

ناجحة لأنّ أعيان المدينة أرادوا من ذلك التعبير عن ولائهم، كما أنّ خطاب الأمير لاقى استحسانًا كما ذكر أحمد قدري في مذكراته[41].

وقد جاء في خطاب الأمير: "لا شكّ أيها السادة أنكم ترون هذه أعمالًا مهمة. إنّ حلب هي من أقاصي بلاد العرب، لم يتّصل بأهلها ما وقع بيننا وبين الأتراك". وبعد أن أنكر الأمير فيصل الشائعات التركية عن أن والده باع أراضي المسلمين للغرب، وهي خيانة لا يمكن أن تُنسب إلى أسرة تنتسب إلى الرسول محمد أضاف: "نحن لم نقم إلا لنصرة الحق وإغاثة المظلوم... لمّا أعلن الأتراك النفير العام وأتوا بأعمال تتبرأ منها الإنسانية، رأى والدي أن دولة الترك لا تعمل لأجل دين أو عمل عام ينفع البلاد، ولكنها أعلنت جهادها مع ألمانيا لمجرد الانتقام من العناصر الخاضعة لها مثل العرب". كان هذا السبب، كما أوضح الأمير فيصل، الذي دفع والده للاتفاق مع الحلفاء: "اتّفق معهم لعلمه أنهم ينصرون الضعيف ويساعدون على إعادة حقوق الأمم المحكومة، وتعاهد معهم على إزاحة حكومة الأتراك واستخلاص ما اغتصبوه منا نحن العرب"[42].

وأكّد فيصل في خطابه أنه ليس بغريب عنهم، وأنه لا يريد أن يمسّ بامتيازات النخبة الحلبية. وقال في إشارة إلى آية قرآنية "أنا عربي وليس لي فضل على عربي ولو بمثقال ذرة"[43]. وعلى العكس من القوميين العلمانيين فقد كان الأمير فيصل يتحدث بلغة غنية بالمرجعية الدينية.

ومن ناحية أخرى سعى الأمير في خطابه إلى تبديد القلق من وجود

---

(41) قدري، ص 85؛
Christopher Bromhead Birdwood (Lord Birdwood), *Nuri al-Said: A Study in Arab Leadership* (London: Cassell, 1959), pp. 94, 101.

(42) أبو خلدون ساطع الحصري، يوم ميسلون (بيروت: دار الاتحاد، 1965)، ص 211-212. الترجمة للمؤلفة. هناك ترجمة أخرى للخطاب وُجدت لدى:
al-Husri, pp. 102-105.

(43) ربما تقصد المؤلفة الآية القرآنية ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يرَه ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يرَه﴾ (الزلزلة: 7-8)، ولكن الأمير فيصل هنا استخدم المفردة القرآنية "مثقال ذرة" في سياق آخر. (المترجم).

القوات الأوروبية في المدينة: "باسم كافة العرب أخبر إخواني أهل الشهباء أن الحكومات الغربية، خصوصًا إنكلترا وفرنسا، لها اليد البيضاء في مساعدتنا وشدّ أزرنا"، وأنه بفضل مساعدتهم سيتمكّن العرب من طرد الأتراك ومعاقبتهم على المظالم التي قاموا بها: "لا تنسى العرب، ما دامت موجودة على هذه البسيطة، فضل معاونتهم".

وبعد ذلك أبرز الأمير فيصل باعتزاز أمام الجمهور وثيقة تُظهر، كما قال، أن الأوروبيين لا ينوون استعمار العرب: "أريد أن أتلو عليكم برقية وردت لي منذ ثلاثة أيام تبيّن لكم إحساسات الدول الغربية نحونا ليفهم جميع أهل الوطن أننا لم نبع البلاد ولن نبيعها أبدًا". وقام الأمير فيصل بعدها بقراءة نصّ التصريح الإنكليزي-الفرنسي الصادر في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر حول أهداف الحلفاء من الحرب:

> إن الهدف الذي ترمي إليه فرنسا وبريطانيا العظمى بمواصلتهما في الشرق تلك الحرب التي أثارها الطمع الألماني - هو تحرير الشعوب التي طالها ظلم الترك تحريرًا نهائيًا، وتأسيس حكومات ومصالح أهلية تبني سلطتها على اختيار الوطنيين لها اختيارًا لا جبرًا، وقيامهم بذلك من تلقاء أنفسهم[44].

علّق فيصل على هذا التصريح بأنّ له "أهمية تاريخية كبيرة". ويبدو من التصريح أنه كان يؤكد الوعود التي قدّمتها بريطانيا لوالده الشريف حسين في عام 1915. كان مثل هذا الإثبات مهمًّا لتعزيز المكانة السياسية لفيصل. فقد كان العديد من المسلمين، وحتى بين الحاضرين في ذلك اليوم في حلب، يعتبرون الثورة العربية خروجًا عن الدين لشنّ الحرب ضد الخلافة العثمانية.

كان فيصل يعرف أنّ مستقبل حكمه يرتبط بانسحاب القوات الأجنبية من الأراضي السورية، وإلا سيكون من حقّ السوريين أن يتهموا أسرته ببيع البلاد.

---

(44) أعيد طبع الترجمة البريطانية في:
*New York Times*, 8/11/1918, accessed on 30/8/2018, at: https://bit.ly/3yOESoo

وبالاستناد إلى وعده بالاستقلال العربي حاول أن يستقطب الحلبيين كي يساعدوه في بناء الدولة العربية. ولذلك قال الأمير في خطابه: "إنّ البلاد لا يمكنها أن تعيش في حالة فوضى". وأضاف: "أحضّ إخواني على اختلاف مذاهبهم التمسّك بأهداب الوحدة والاتفاق ونشر العلوم وتشكيل حكومة نبيّض بها وجوهنا لأننا إذا فعلنا كما فعل الأتراك نخرج من البلاد كما خرجوا لا سمح الله، وإن فعلنا ما يقضي به الواجب يسجّل التاريخ أعمالنا بمداد الفخر".

وختم فيصل خطابه ببيان ثوري قال فيه إن الدولة الجديدة كي تنجح يجب أن تعتمد على الولاء للدولة فوق الأديان كي تشمل كلّ العرب: "إنني أكرّر ما قلته في جميع مواقفي بأنّ العرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد، وأن الديانات تأمر من في الأرض باتّباع الحق والأخوة. وعليه فمَن يسعى إلى إيقاع شقاق بين المسلم والمسيحي واليهودي فما هو بعربي"(45).

كان مضمون الخطاب يمثل قطيعة جذرية مع التقليد السياسي العثماني. فخلال 500 سنة كان السلطان العثماني يحكم بلقب الخليفة، أي وريث خلافة الرسول محمد(46). ومع هذا اللقب كان على كلّ سلطان عثماني أن يحمي المسلمين السنّة وأن يرعى تطبيق الشريعة الإسلامية. وقد بقي هذا الأساس الديني للدولة العثمانية راسخًا ولم يتجرأ على تغييره ثوّار عام 1908. وهكذا بقي المسلمون يمثلون الطبقة الأولى من المواطنين على الرغم من وعود الدستور العثماني بالمساواة بين كل المواطنين. وبهذا المعنى فإنّ الأمير فيصل كان يلبي روح ثورة عام 1908 الآن بإلغاء أفضلية المسلمين على غير المسلمين(47).

---

(45) الحصري، ص 214، وأيضًا: قدري، ص 86-87.

(46) Ottoman sultans began claiming the title caliph, in the sense of khalifat Allah/viceregent of God, during the rule of Sulayman the Lawgiver (1520-66). See: Huseyin Yilmaz, *Caliphate Redefined* (Princeton University Press, 2018); Kaya Shahin, *Empire and Power in the Reign of Suleyman* (Cambridge: Cambridge University Press, 2013).)

(47) قاسمية، ص 63-65.

كان بيان فيصل يمثل تحديًا لوالده أيضًا. فقد كان الشريف حسين أعلن الثورة العربية ضدّ النظام العلماني للأتراك الجدد، الذي كان ينتهك الشريعة الإسلامية بشكل روتيني، كما أعلن "الجهاد" الزائف بالتحالف مع الكفار الألمان. وبحسب رأيه فإن العرب فقط، المسلمين الأصليين، يمكنهم أن يعيدوا إحياء الخلافة الإسلامية. ونظرًا إلى أن أسرة الشريف حسين رعت أكثر المدن الإسلامية قداسة على مرّ القرون، فقد كان بإمكان الشريف إعلان الثورة بالاستناد إلى مكانته الإسلامية(48).

كانت قطيعة فيصل مع والده تعتمد على حسابات سياسية. كان يعرف أن العديد من السوريين يعارضون تطلّع الشريف حسين لحكم بلادهم. فقد كانوا يسمعون كيف يحكم مكة بشكل أوتوقراطي، ويعتمد عقوبات جسدية وحشية كانت مرفوضة حتى من العثمانيين. ولذلك فإنّ الأمير فيصل يستخدم خطابه ليوضح للسوريين في حلب، التي هي الأبعد عن مكة والأقل تأييدًا للثورة العربية، أنه يختلف عن والده. فقد كان هو يريد أن يبني دولة في سوريا تكون منفصلة عن مملكة الحسين في الجزيرة العربية، مع نوع من التحالف معها(49).

إلا أنّ فيصل في دعوته إلى المساواة كان يستفز أعيان حلب، الذين كانت مكانتهم مبنية على أساس الهرمية الاجتماعية العثمانية. وبسبب ولائهم للخليفة العثماني، فقد كان بعضهم متواطئًا مع المسؤولين العثمانيين على الرغم من اضطهادهم غير المسلمين خلال الحرب(50).

ولذلك فقد قدّم فيصل عرضًا جديدًا للحلبيين: المشاركة في مجتمع جديد يقوم على الاحترام المتبادل بين العرب وليس على الولاء للسلالة العثمانية، وبذلك يمكن إحياء المجد العربي بعد 400 سنة من الذلّ العثماني. وقد ذكّر الحلبيين بهذه المناسبة أن العثمانيين كانوا يعاملون العرب كجنود ومواطنين من

(48) Joshua Teitelbaum, *The Rise and Fall of the Hashemite Kingdom of Arabia* (New York: New York University Press, 2001), pp. 37-43, 104-107, 150, 194-195.

(49) Ibid., pp. 126-129; Eliezer Tauber, *The Arab Movements in World War I* (New York: Routledge, 1993), pp. 186-189; Allawi, pp. 162-163.

(50) Watenpaugh, pp. 95-125.

المرتبة الثانية على الرغم من التضحيات التي قدّمها العرب خلال الحرب[51]. كانت الآن اللحظة المناسبة لإلغاء الهرمية الاجتماعية القديمة التي أعاقت طويلًا التطور الاجتماعي، وتبنّي تقدّم حديث. ولذلك طرح الأمير فيصل نفسه في خطابه كممثل للروح القومية العربية: "أطلب من إخواني أن يعتبروني خادمًا للبلاد... إني لا أفتأ عن نصرة الحق وردّ الظلم وكل ما يرفع شأن البلاد". وقد أكّد للأعيان أنهم سيستعيدون مكانتهم في المدينة بالعمل في الخدمة العامة، حيث إن العمل في التعليم والشرطة والإدارة العامة من الأعمال الشريفة: "إنّ الإنسان يتولى كلّ عمل في داخليّته وبيته حتى تجد ربّ البيت يكنس داره بيده ولا يرى بها استخفافًا"[52].

اختتم الأمير فيصل خطابه بمناشدة الحلبيين لتأمين معلمين للمدارس: "إنّ حلب خالية من المدارس فأتمنى لها مستقبلًا علميًا باهرًا كما كانت عليه في التاريخ"، في إشارة إلى الكواكبي، وأضاف قائلًا: "نسأل الله أن يوفّقنا لخدمة البلاد ونفع العباد ويمتّع الأمة بالحياة الرغيدة والسلام"[53].

## التطلّع إلى وودرو ولسون

لم تكن ليبرالية فيصل مجرد حنين سطحي للعالم الذي تلاشى مع اندلاع الحرب. ومع أن الأمير ومستشاريه من جمعية العربية الفتاة كانوا يستلهمون الثورة الدستورية، إلا أنهم كانوا يتطلعون إلى الأمام في إحياء الحضارة العربية ما بعد العثمانية، مستلهمين الآن القيم السياسية العالمية التي تصلح لكلّ الحضارات.

فرستم حيدر، على سبيل المثال، لم يدرس القانون فقط في جامعة السوربون في باريس، بل كان مطّلعًا على الكتاب السياسي الرائج آنذاك **الدولة: العوامل**

(51) Mehmet Beşikçi, *The Ottoman Mobilization of Manpower in the First World War* (Leiden: Brill, 2012), pp. 98-99, 122-124; Tamari, pp. 130-135, 155.

(52) قدري، ص 88.

(53) al-Husri, p. 105.

**التاريخية والعملية للسياسة** للرئيس وودرو ولسون[54]. وبحسب ولسون، فإنّ الديمقراطية الدستورية كانت ذروة التطور السياسي الحديث. وكانت من الأهمية بمكان للعرب السوريين نظرة ولسون بأن الديمقراطية ليست قالبًا واحدًا مكررًا، بل يجب أن تستند إلى الظروف الخاصة بكل بلد. فعلى سبيل المثال إن النظام الرئاسي والفدرالي للحكم في الولايات المتحدة كان يناسب الظروف السياسية الخاصة. وهكذا، فإنّ القوميين العرب اهتموا بالنظام الفدرالي الأميركي كنموذج يمكن أن يلبي مطالبهم المتعارضة في الشكل بين الوحدة العربية والحكم المحلي[55].

وقد تناول العميل الأميركي وليام ييل نظرة الإعجاب التي تكنّها الإدارة العربية إلى ولسون في تقرير أرسله من بيروت في 9 تشرين الثاني/ نوفمبر 1918. وبحسب ما ورد فيه فإنّ أعيان المسلمين في سوريا قد سمعوا عن وعود ولسون حول حق الشعوب في تقرير المصير، واستشهد بما ورد في كتاب أرسله أعيان بيروت إلى البيت الأبيض: "إننا بكل الاحترام نناشدكم بروح خطابكم التاريخي عند ضريح (جورج) واشنطن، والروح الديمقراطية للشعب الأميركي، أن تحولوا دون فرض أي حكم علينا لا يكون من اختيارنا".

ومع أن ييل رحّب ببيان فيصل عن تأسيس حكومة تقوم على مبادئ العدل والمساواة بين كلّ الأديان، إلا أنه حذّر وزارة الخارجية من أن السوريين "عاجزون عن حكم" دمشق من دون مساعدة بريطانيا. كما أنه ذكر أن المسيحيين الموارنة في الساحل "يعارضون بالإجماع الحكم الشريفي" و"يخشون وقوع مجزرة". ولذلك، كما ادّعى ييل، فإنّ المسلمين المتنورين يعارضون الحكم "الشريفي"[56]. ويبدو

---

(54) Woodrow Wilson, *The State: Elements of Historical and Practical Politics* (Boston: D. C. Heath, 1898).

[تجدر الإشارة هنا إلى أن الرئيس ولسون قبل انتخابه رئيسًا في نهاية عام 1912 كان أستاذًا جامعيًّا مرموقًا في جامعات معروفة (جون هوبكنز وبرنستون وغيرهما) ومؤلفًا لكتب مرجعية مثل "حكومة الكونغرس" (1885) و"الانقسام وإعادة الاتحاد" (1893) وكتاب **الدولة: العوامل التاريخية والعملية للسياسة** (1896) الذي ترجم إلى لغات أوروبية كثيرة في مطلع القرن العشرين، وغيرها من المؤلفات. (المترجم)]

(55) Tauber, *The Arab Movements*, p. 254.

(56) Library of Congress, Yale, "The Political Situation in Syria."

بوضوح أنّ ييل لم يكن يعرف عن القطيعة السياسية بين الأمير فيصل ووالده الشريف حسين، كما أنّه لم يكن يعرف أيضًا النظرة الليبرالية لمستشاري الأمير فيصل من جمعية العربية الفتاة.

كانت دعوة الحكومة العربية السورية إلى الليبرالية غير مسبوقة بالفعل في فترة ما بعد الحرب. فأعضاء الحكومة رأوا أن الحرب العظمى ألحقت الضرر بالليبرالية ولكنهم لم يفقدوا الثقة بها. فقد سعت الحكومة إلى إحياء مجتمع تعددي يشبه ذلك الذي قام نظام الأتراك الجدد بتدميره. ولكن تكمن المفارقة هنا في أن العديد من الأمم الأوروبية كالتشيكيين والبولونيين والمجريين واليونانيين سعوا مع صلح ما بعد الحرب إلى تأسيس دول قومية متجانسة. وهم، كجيران سوريا، تبنّوا رؤية إثنية–قومية لحق تقرير المصير. وخلال شتاء (1918–1919)، استعدّ القوميون الأتراك لطرد المزيد من المسيحيين من الأناضول كي يقتصر سكانه على المسلمين فقط. وبينما كانت الكنيسة الكاثوليكية المارونية تنشط مع فرنسا كي تجعل من لبنان دولة مسيحية، كان اليهود الصهيونيون يعملون على تنفيذ وعد وزير الخارجية البريطانية آرثر بلفور بوطن قومي لليهود في فلسطين.

وفي ما يتعلّق بالعرب، ترى الأبحاث الحديثة أنهم فهموا حق الشعوب في تقرير المصير كما فهمه وودرو ولسون، أي إنه ليس مجرد أمر لتأسيس دولة لكل قومية متميزة، بل إنه أكثر من ذلك: سيرورة من التداول تقوم خلالها الشعوب باختيار نظام الحكم الذي تفضّله. فالفهم الشخصي لولسون عن "تقرير المصير" يسمح بنوع من المجتمع الليبرالي التعدّدي الموجود في الولايات المتحدة، والذي سعى العرب في سوريا إلى تأسيس ما يشبهه في نهاية عام 1918[57].

أدرك الأمير فيصل ورستم حيدر حجم التحدي الذي يواجههما في بناء ثورة سياسية في مجتمع مدمّر خارج من الحرب. أدرك كل منهما أن الأمر يحتاج إلى وقت وثقة ودعم. وهكذا كتب الأمير فيصل إلى والده طالبًا المساعدة المالية

---

(57) Trygve Throntveit, *Power without Victory: Woodrow Wilson and the American Internationalist Experiment* (Chicago: University of Chicago Press, 2017), pp. 249-252.

لأجل إعادة إعمار البلاد: "وبدون ذلك لا أستطيع تأسيس حكم مناسب"[58]. فقد كان الأمير فيصل يخطط للبقاء في حلب أسابيع عدة كي يؤسّس إدارة متناغمة هناك. وفي الحقيقة كان يحتاج إلى شهور عدة حتى يؤسس حكومة أمر واقع في سوريا في مواجهة المطامع الفرنسية والبريطانية.

ومن هنا كان الأمير يشعر بالإحباط، لأنه عوضًا عن تلقي المساعدة المطلوبة من والده جاءته منه أوامر بالسفر إلى باريس للمشاركة في مفاوضات السلام. فقد وصلت برقية الشريف حسين في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر، أي في اليوم الذي ألقى فيه خطابه في حلب، فتوسّل إليه أن يُرسل أحد إخوته إلى باريس، ولكن الشريف حسين رفض ذلك. ومع ذلك وجد الأمير نوعًا من المواساة في وعد والده بإرسال أخيه الأصغر زيد الذي يفتقد الخبرة ليقوم مقامه في دمشق بشكل مؤقت[59].

وهكذا غادر فيصل حلب مكرهًا في 14 تشرين الثاني/ نوفمبر 1918 نحو بيروت كي يستقل من هناك سفينة إلى فرنسا. وخلال عبوره في المناطق التي كانت تحت السيطرة الفرنسية خرجت حشود من المؤيدين للترحيب به. ففي طرابلس أقسم زعماء المدينة على الولاء لسوريا - وليس لفرنسا - وللأمير فيصل باعتباره ممثلًا لهم في مفاوضات السلام. وصل الأمير فيصل إلى بيروت بصحبة رستم حيدر وأحمد قدري مع حمولة ثلاث شاحنات من الطحين لتوزيعها على الفقراء. وعلى الرغم من منع الفرنسيين للمسيرات، إلا أن رئيس بلدية بيروت قاد مسيرة

---

(58) رسالة من فيصل إلى الحسين، دمشق 29/ 10/ 1918، ومن الحسين إلى وينغت بتاريخ 5/ 11/ 1918 في: سليمان موسى (محرر)، **المراسلات التاريخية 1919: الثورة العربية الكبرى** (عمان: 1975)، ج 2، ص 227-229. ترجمة مذكرة فيصل في:
Alan de L. Rush (ed.), *Records of the Hashemite Dynasties,* vol. 10 (London: Archive Editions, 1995), pp. 129-130.

(59) رسالة من فيصل إلى الحسين بتاريخ 12/ 11/ 1918 ومن الحسين إلى فيصل بتاريخ 14/ 11/ 1918 في: موسى، ص 242. حثّ ت. إ. لورنس شخصيًا الشريف حسين لإرسال فيصل ممثلًا له لأن شهرة فيصل يمكن أن تؤثر في الأوربيين، من دون أن يتشاور مع فيصل لنفسه: من لورنس إلى الملك حسين بتاريخ 10/ 11/ 1918، في: موسى، ص 232.
برقية إلى وينغيت، القاهرة، 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1918، في:
Rush (ed.), p. 141.

من ألفي مواطن للترحيب بالأمير فيصل. وقد جرّ الشباب في المسيرة عربة الأمير فيصل باتجاه ساحة البرج وهم يهتفون "لا نقبل ملكًا سواك!"[60].

ومع شعوره بالاطمئنان كتب فيصل باعتزاز إلى والده من بيروت يقول إن 80 إلى 90 في المئة من السوريين يؤيّدون الدولة العربية، مع التعبير عن أسفه لأنّ معظم الكاثوليك الموارنة في لبنان بقوا موالين لفرنسا[61]. كما كتب الأمير فيصل إلى الجنرال ألَّنبي مذكرًا إياه بالتصريح الذي أصدره الحلفاء في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر ووعدوا فيه بحكم يختاره الشعب، ولذلك اقترح إجراء استفتاء يُفضَّل أن تقوم عليه دولة محايدة كالولايات المتحدة.

إلا أن فيصل شكا أيضًا من أنه يغادر سوريا "في وقت حرج" ضد رغبته. كان المفوض السامي الفرنسي قد وصل لتوّه إلى بيروت، ولم يكن هذا سوى فرنسوا جورج بيكو أحد المشاركين في وضع اتفاقية سايكس بيكو المكروهة في عام 1916. كان بيكو خصمًا ماكرًا يريد استغلال سوريا طالما هي ضعيفة. فقد كان الأمير فيصل يعتقد أنه يمكن أن يدافع عن سيادة سوريا بشكل أفضل لو بقي فيها ليشيد الأسس المتينة لدولة عربية، بينما يمكن لأحد إخوته أن يشارك في مفاوضات السلام. ولذلك فقد ختم رسالته إلى والده بالقول: "أرجو أن تساعد هذه المملكة الفتية بالرجال والمال"[62].

وعلى الرغم من انزعاجه من السفر إلى باريس، إلا أنّ فيصل رأى بعض الأمل هناك، حيث كان الرئيس ولسون مشاركًا بنفسه في المؤتمر. فقد قرأ الأمير فيصل مثله مثل رستم حيدر خطابات الرئيس الأميركي التي تُرجمت ونُشرت في الصحف المصرية.

---

(60) يؤرّخ علوي وصول فيصل في 19 تشرين الثاني/نوفمبر، ولكن الصحف المحلية وأوراق زين في الجامعة الأميركية ببيروت تؤرخ وصوله إلى بيروت في يوم السبت 16 تشرين الثاني/ نوفمبر. ينظر: سمو الأمير فيصل، جريدة **لسان الحال**، 18/ 11/ 1918، ص 1-2.

(61) Russell, p. 28; Allawi, pp. 171-172.

(62) The National Archives of the United Kingdom, London, Faisal to Commander of Egyptian Expeditionary Force, November 19, 1918, 11, FO 141/438 Papers of the Residency in Cairo.

كان كلاهما مطّلعًا على النقاط الـ14 المشهورة لولسون، المعبّرة عن أهداف الحرب، التي وردت في خطابه الذي ألقاه في الكونغرس الأميركي بتاريخ 8 كانون الثاني/ يناير 1918، والتي وافق عليها الحلفاء. فقد نصّت النقطة الخامسة على "وضع إدارة عادلة للمستعمرات تنفذ ما يحقق مصالح سكانها"، أي إنّ مسائل السيادة ستقرر بمنح مصالح الشعوب المعنية "وزنًا مساويًا" مقابل القوة الاستعمارية المعنية. أما النقطة 12 فتعِد بـ"سيادة آمنة" للأتراك و"إمكانية مؤكدة لتطور ذاتي مستقل" للشعوب الأخرى تحت الحكم العثماني.

كان الأتراك، مثلهم مثل العرب، يعتقدون أنّ ولسون سيتمكّن من وضع حدّ لمطامع الحلفاء. ففي إسطنبول، التي كانت تحت حكم الحلفاء، أسّس الصحافيون "رابطة المبادئ الولسونية" لأجل نيل الدعم الأميركي لهم.

وهكذا استقلّ الأمير فيصل البارجة "غلوستر" (Gloucester) في 22 تشرين الثاني/ نوفمبر وهو يأمل أن يتحقّق الاستقلال العربي على بعد ألفي ميل في باريس. وكان في صحبة الأمير مستشاروه الموثوقون مثل مدير مكتبه رستم حيدر ومعاونه الشخصي نوري السعيد وسكرتيره فائز الغصين وطبيبه الشخصي الدكتور أحمد قدري ومرافقه العسكري تحسين قدري.

ولكن ما لم يكن فيصل يعرفه هو أن وليام ييل في تقريره بتاريخ 9 تشرين الثاني/ نوفمبر قد رسم عنه صورة تصفه بأنه ليبرالي التفكير، ولكنه ضعيف الشخصية و"مُحاط بسياسيين أذكياء وسليطين وعديمي الضمير"، وأن السوريين يؤيدون حكمه بسبب الولاء الأعمى والديني لوالده الرجعي. ومع استخدامه للصور النمطية الاستشراقية حذّر ييل من أن سوريا هي بلد المتعصبين المسلمين... إنّ الحكم الشريفي يعني تقويض كلّ الآمال في تقدم البلاد"[63].

إلا أن ييل لم يذكر في تقريره أن بعض زعماء المسيحيين أيضًا يذكرون ولسون بعبارات تنمّ عن الأمل[64]، بل إنه يحذر بكلمات مشؤومة من نشر خطابات

---

(63) Library of Congress, Yale, "The Political Situation in Syria."

(64) خطاب ولسون، جريدة **لسان الحال**، 15/ 10/ 1918، ص 1؛ "إلى الشعب العراقي والسوري"، جريدة **لسان الحال**، 11/ 11/ 1918، ص 2؛ "غدًا"، جريدة **لسان الحال**، 14/ 11/ 1918، ص 1.

ولسون في سوريا لأنّ فرنسا ستعتبر ذلك دعاية معادية[65]. ويبدو هنا أن تقارير ييل كانت تعكس التوترات الطائفية حول المسألة السورية قبل أن يبدأ مؤتمر باريس أعماله. كما أن تقاريره كانت تتطابق مع رئيسه، وزير الخارجية روبرت لانسينغ (Robert Lansing)، الذي كان متشكّكًا في دعوة ولسون إلى حق الشعوب في تقرير مصيرها.

ذهب فيصل في خيار مصيري للمطالبة بالسيادة السورية في باريس عوضًا عن أن يفعل ذلك في سوريا ذاتها. إلا أنه لم يفعل ذلك تحت ضغط والده المتحكم فقط، بل اندفع إلى ذلك تحت تأثير نشوة الخلاص التي عُرفت باسم "اللحظة التاريخية الولسونية" (Wilsonian Moment)[66].

---

(65) Library of Congress, Yale, "The Political Situation in Syria."

(66) Erez Manela, *The Wilsonian Moment* (New York: Oxford University Press, 2007).

# الفصل الثالث

## القاهرة: شيخ يدعو لرئيس أميركي

مع إبحار سفينة فيصل من بيروت، كان رشيد رضا قد بدأ عمله في مكتبه بدرب الجماميز في القاهرة على بعد 350 ميلًا الى الجنوب الغربي من بيروت. كان يستعدّ لكتابة مقالة يؤيّد فيها مهمة فيصل لعدد كانون الأول/ ديسمبر من مجلته **المنار**. كان الشيخ رضا، مثله مثل فيصل، سليل أسرة تمتد إلى الرسول. ولكنه على عكس الأمير فيصل كان ابن سوريا، من مواليد قرية القلمون المطلّة على الساحل قرب طرابلس (في لبنان الآن). كما أنه لم يكن عسكريًا بل كان عالمًا إسلاميًّا بارزًا، من تلاميذ المصلح الإسلامي المعروف محمد عبده، مفتي مصر السابق. كان رضا شيخًا يمثل العصر الحديث، حيث كان يقود المسلمين عبر مجلته **المنار** وليس من خلال أحد الجوامع. وفي ذلك الحين، أي بعد 21 سنة من صدورها، كان يقرأ المجلة الحداثيون المسلمون من المغرب إلى إندونيسيا الذين يسعون إلى تحرير دينهم من التقليد الجامد[1].

---

(1) Dyala Hamzah, "From *'Ilm* to *Sahafa* or Politics of Public Interest (*Maslaha*): Muhammad Rashid Rida and His Journal *al-Manar* (1898-1935)," in: Dyala Hamzah (ed.), *The Making of the Arab Intellectual* (New York: Routledge, 2013), pp. 90-127; Dyala Hamzah, "Intérêt général (*maslaha âmma*) ou le triomphe de l'opinion: Fondation délibératoire et esquisses délibératives dans les écrits du publiciste syro-égyptien Muhammad Rashîd Rîdâ (1865-1935)," Thèse/Doktorarbeit, EHESS, Paris, and Freie Universität, Berlin (2008), pp. 140-143, 181-193, 304-309.

أشكر الدكتور حمزة لمشاركتي نسخة من الرسالة. عن نفوذ رضا في جنوب آسيا، يُنظر:
Roy Bar Sadeh, "Islamic Modernism between Colonialism and Orientalism: *Al-Manar*'s Intellectual Circles and Aligarh's Mohammedan Anglo-Oriental College, 1898-1914," in: Susannah Heschel & Umar Ryad (eds.), *The Muslim Reception of European Orientalism* (New York: Routledge, 2018), pp. 103-128; Muhammad Qasim Zaman, *Modern Islamic Thought in a Radical Age* (New York: Cambridge University Press, 2012).

كان رضا يتابع باهتمام نشاط فيصل[2]. في الخامسة والخمسين من عمره كان من زعماء الجالية السورية في القاهرة التي كانت تتألف من 35 ألف منفيٍّ ومهاجر. انتقل إلى مصر في عام 1897 هربًا من الرقابة العثمانية ولمتابعة دروس الشيخ محمد عبده. كان رضا بدينًا متوسط الطول، ذا وسامة بوجه مرتب، مع عينين بنيتين حادّتين. كان يفضل ارتداء رداء مقلّم مع جبّة فوقه، ويحمل دائمًا سبحته الصفراء. كان يضع على رأسه العمامة البيضاء على النمط المصري، ولكنه بقي يفضّل المطبخ السوري. ومع أنه كان يزور مكاتب المسؤولين المهمّين، إلا أنه بقي يركب في الدرجة الثانية بالترام. ومع ميله إلى الميكانيكا، كان يدير بنفسه المطبعة ويصلّحها حين تحتاج إلى ذلك. كان متفرغًا تمامًا لعمله، ولذلك تزوج في وقت متأخر. ففي عام 1918 كان هو وزوجته سعاد، التي هي أيضًا من طرابلس، والدين لطفلين صغيرين[3].

في مجلة **المنار** كانت مقالات رضا موجّهة إلى العلماء المسلمين كما كانت للنخبة المثقفة. كانت رسالته - التي تكرّرت في مقالاته الدينية والاجتماعية والسياسية - تدور حول أن الإسلام دين مرن وعلمي ومعتدل. وبعبارة أخرى، إن مبادئه الرئيسية يمكن أن تحرّر المسلمين المعاصرين وترشدهم إلى حياة مزدهرة أكثر. وعلى عكس ادّعاء الأوروبيين الإمبرياليين، كان رضا يقول إن المسلمين لا يحتاجون إلى التخلي عن دينهم ليكونوا جزءًا من العالم المعاصر.

ومن مكانته العالمية، كان يثير غضب رجال الدين التقليديين في جامعة الأزهر الإسلامية المعروفة في القاهرة، حيث كان ينتقد علمهم المحدود وخرافاته، كما لم يتورّع عن نقد السياسيين. فقد كان يقول إن المبادئ والقيم الإسلامية يمكن أن تزدهر فقط في مجتمعات حرة، وأن الاستعمار البريطاني في مصر أفسد المسلمين، كما يفعل الاستبداد بكل أنواعه. رحب رضا بالثورة

(2) Eliezer Tauber, *The Arab Movements in World War I* (New York: Routledge, 1993), p. 165.

(3) Ahmad al-Sharabasi, *Rashid Rida, the Owner of al-Manar* (Cairo: Higher Council of Islamic Affairs, 1970), pp. 135, 181, 207-209.

لقاء شخصي مع فؤاد رضا حفيد رشيد رضا في مينابوليس Minneapolis بتاريخ 6/ 7/ 2017.

الدستورية في الدولة العثمانية عام 1908 بعد أن وعدت بتقييد سلطة السلطان، إلا أنه انتقد لاحقًا الاستبداد العسكري للأتراك الجدد.

حكم عليه الأتراك الجدد غيابيًا بالإعدام في عام 1915 بسبب مشاركته في مؤامرة مزعومة مع بريطانيا، إلا أن رضا في الحقيقة لم يكن مهتمًا بشبك علاقة مع شخصيات بريطانية في مصر. لم يثق قطّ بوعود بريطانيا للشريف حسين بالاستقلال، وحتى إنه قام في موسم حج عام 1916 بتوزيع منشورات تحذّر الحجاج من المطامع الفرنسية في سوريا. وبعد عودته إلى القاهرة حذرته السلطات البريطانية من ممارسة السياسة وإلا سيكون مصيره النفي. ولكن رضا قدم في تموز/ يوليو 1918 رسالة احتجاج إلى القنصل الأميركي في القاهرة مناشدًا الرئيس ولسون أن يقوم بحماية العرب من الأهداف الاستعمارية البريطانية. فبالنسبة إلى رضا كانت السيادة السياسية حجر الأساس للعدالة الاجتماعية[4].

في عدد تشرين الأول/ أكتوبر 1918 لمجلة **المنار** ربط رضا هزيمة الأتراك العثمانيين في الحرب بـ"عصبيتهم القومية"، ولكنه كان متشكّكًا في أن يكون الأمير فيصل ووالده محرّرين حقيقيين للبلاد، لكونهما يعتمدان كثيرًا على بريطانيا، التي خبر رضا ازدواجيتها في مصر. وتساءل في مقالته "هل قرّر الأتراك ترك سوريا لشعبها أم أن يبيعوها للحلفاء.. كغنيمة حربية؟"[5]. وقد أصبحت **المنار** منصة عامة للسوريين الذين يطالبون باستقلال كامل لسورية في مواجهة مناورات الحلفاء في مؤتمر الصلح في باريس.

---

(4) Edouard Brémond (Général), *Le Hedjaz dans la Guerre Mondiale* (Paris: Payot, 1931), p. 53; French Ministry of Foreign Affairs archive at La Courneuve, De France to Pichon, July 3, 1918, Jean Gout Papers, 196PAAP/7.

عن سياسة رضا، يُنظر:
Eyal Zisser, "Rashid Rida: On the Way to Syrian Nationalism in the Shade of Islam and Arabism," in: Adel Beshara (ed.), *The Origins of Syrian Nationhood: Histories, Pioneers and Identity* (New York: Routledge, 2007), pp. 123-140; Mahmoud Haddad, "Arab Religious Nationalism in the Colonial Era: Rereading Rashid Rida's Ideas on the Caliphate," *Journal of the American Oriental Society*, vol. 117, no. 2 (1997), pp. 253-277.

(5) محمد رشيد رضا، "التحوّل في ميادين الحرب وقرب أجل الصلح"، مجلة **المنار**، مج 20، ج 1 (تشرين الأول/أكتوبر 1918)، ص 444-446.

## البرنامج الدستوري لحزب الاتحاد السوري

كان رضا ناشطًا سياسيًا قبل وخلال الحرب كعضو في حزب اللامركزية الذي أسّسه المنفيون الهاربون من الأتراك الجدد. كان أعضاء هذا الحزب متحالفين مع جمعية العربية الفتاة ومنسجمين مع أهداف المؤتمر العربي في باريس عام 1913، ودافعوا عن حق العرب في حكم ذاتي داخل الدولة العثمانية. ومع هزيمة الدولة العثمانية، فقد أعاد المنفيون في مصر تنظيم أنفسهم وأسّسوا حزب الاتحاد السوري (SUP). ومن بين الأعضاء العشرين القياديين للحزب نجد أن نصفهم من سوريا الساحلية، وخاصة من بيروت وجبل لبنان. أما النصف الآخر فقد كان معظمه من دمشق وحلب وحمص واثنان من يافا والقدس في فلسطين. كان هؤلاء من الصحافيين والتجار والباحثين والمحامين والأطباء. كان يهدف هذا الحزب إلى توحيد السوريين بأطيافهم الدينية والإقليمية في دولة مستقلة تضمّ سوريا الكبرى من حلب في الشمال إلى القدس وغزة والعقبة في الجنوب، وإلى دير الزور في الشرق. كان التصوّر الفدرالي للدولة يعني أن تُدار من خلال المجالس المحلية المنتخبة، وأن تكون حقوق الأقليات مضمونة[6].

في مطلع كانون الأول/ ديسمبر، مع وصول فيصل إلى باريس، انتخب حزب الاتحاد السوري رضا نائبًا للرئيس وميشيل لطف الله رئيسًا للحزب. كان لطف الله، الطويل القامة ذا الشارب المفتول، من أسرة أرثوذكسية في بيروت أثرت من زراعة القطن والصيرفة في مصر، وكانت لها شراكة ناجحة مع الشريف حسين في جدة. وقد أيّد لطف الله الثورة العربية، كما راح يقدم المال اللازم لتأسيس حزب الاتحاد السوري وإرسال مندوبين عنه إلى باريس ودمشق.

ومن الأعضاء البارزين في الحزب كان الدكتور عبد الرحمن الشهبندر من دمشق. كان الشهبندر يصغر رضا بخمس عشرة سنة. وتخرّج في كلية الطب الأميركية في بيروت. وحين أخذ جمال باشا بملاحقة القوميين العرب في عام

(6) TNA-London, "Comité Central du Parti de l'Union Syrienne au Caire," and "Programme Constitutionel du Parti de l'Union Syrienne," FO 371/4178, 454-57.

1916 أغلق الشهبندر عيادته في دمشق وهرب إلى القاهرة. ومع عينيه الفاتحتين وملامحه القوية وبدلته الأنيقة التي تشمل صدرية، ولغته الإنكليزية الطلقة، نجح الشهبندر في شبك علاقات مع المسؤولين البريطانيين في المكتب العربي، حيث كان لورنس يعمل هناك. كان المسؤولون البريطانيون يستخبرونه بلهفة عن الأحوال في سوريا. أما رضا فقد كانت مشاعره متحفظة تجاه الشهبندر: كان متشككًا فيه بسبب علمانيته وصلاته مع المسؤولين البريطانيين، ولكنه كان يثق به كعضو في حزب اللامركزية.

كان رضا معروفًا في أوساط السوريين في القاهرة بدفاعه عن الاستقلال الكامل دونما أي تنازل في مواجهة الشهبندر الذي كان يتقبّل التعاون مع بريطانيا. وكان كلاهما قد عمل بقوة في سبيل هذه القضية منذ وقت مبكر في عام 1918، بعد أن أطاح البلاشفة الحكم القيصري وكشفوا عن اتفاقية سايكس بيكو السرية. وفي ضوء ذلك، كان رضا يرى الشهبندر ساذجًا بتصديقه وعود بريطانيا. زار رضا الهند قبل الحرب والتقى هناك بالقوميين الهنديين الذين كانوا يعرفون بريطانيا أفضل من العرب، ولذلك لم تعد له أي ثقة بها[7]. ولهذا السبب كان رضا يلحّ على أنه لا يمكن للسوريين المسلمين والعرب أن يؤسّسوا حكمًا حرًّا وعادلًا إلا بالاستناد إلى السيادة الكاملة.

كان الشيخ كامل القصّاب من أقرب المؤيدين للشيخ رضا، وهو العضو الرابع في حزب الاتحاد السوري. كان القصّاب، ابن حمص التي تقع إلى الشمال من دمشق، من جيل الشيخ رضا. فقد جاء إلى القاهرة في الوقت نفسه مع رضا لمتابعة دروس محمد عبده في الأزهر. وعلى خلاف رضا فقد عاد القصّاب إلى سوريا وأسس في دمشق مدرسة معروفة. وانضم إلى جمعية العربية الفتاة واشتهر بنشاطه الجمّ وخطبه النارية. وفي مطلع الحرب خدم القضية العربية بسفره بين سوريا ومصر بحجة متابعة دراساته الدينية. وخلال الحرب كان القصّاب ورضا يجتمعان

---

(7) يذكر رضا إثباتًا أفضل في شباط/ فبراير 1918 في يومياته التي اقتبسها عمر رياض في:
Umar Ryad, "Like a Mill Donkey: Western Politics in the Aftermath of WWI," Paper given at the Conference "Human Catastrophe Then and Now," American University of Beirut, 1 June 2016.

كثيرًا مع الدكتور الشهبندر، الذي أقنعهما بأن الأمير فيصل ليس بجاهل أو ضعيف الشخصية كما يصوّره أعداؤه. ومع نهاية الحرب انضم القصّاب إلى الثورة العربية.

وعندما جاء الأمير فيصل إلى دمشق في تشرين الأول/ أكتوبر 1918، قرّر حينئذ رضا ولطف الله والقصّاب والشهبندر المشاركة بتردد في الحكومة العربية التي أعلنها، لأنهم كانوا قلقين من علاقة الأمير فيصل مع بريطانيا. وخلال انتظارهم الموافقة على السفر إلى سوريا ناقشوا استراتيجية العمل في ما يتعلق بمؤتمر الصلح القادم، وخاضوا في نقاشات حول طبيعة الدولة السورية، ونظّموا لقاءات مع المجموعات السورية الأخرى في المنفى سواء في القاهرة أو في الأميركتين.

أيّد المنفيّون السوريون دعوة فيصل لحشد الدعم في الشتات لأجل مهمته في باريس. كان السوريون المقيمون في القاهرة يعرفون فيصل من خلال زيارته في مركز قيادة قواته في الصحراء في أواخر الحرب. ومن المحتمل أن تكون دعوة فيصل إلى تأسيس دولة دستورية تحمي الأقليات متأثرة بهذا التواصل معهم. ومن هؤلاء كان فارس نمر، من الروم الأرثوذكس السوريين ورئيس تحرير جريدة **المقطّم** في القاهرة المعروفة بسعة انتشارها، الذي دخل مع فيصل في نقاشات منذ مطلع عام 1918 حول تأسيس دولة مستقلة على أُسس دستورية. وفي إحدى المناسبات أخبر فارس نمر أحد مستشاري فيصل في نيسان/ أبريل 1918 أنه يمكن أن يقبل بالوصاية الأميركية المؤقتة [على الدولة السورية] إذا كان هذا لا بدّ منه. كان نمر يفضّل في البداية الحماية البريطانية على الدولة السورية، ولكن انزعاجه من بريطانيا ازداد في أواخر عام 1918 بسبب الرقابة البريطانية على الصحف وفرض القيود على السفر. ونظرًا إلى إتقانه الإنكليزية، باعتباره من خريجي الكلية البروتستانتية السورية الأميركية في بيروت، فقد كان نمر يتبادل الرأي مع العميل الأميركي وليام ييل[8].

(8) Max Reibman, "The Case of William Yale: Cairo's Syrians and the Arab Origins of American Influence in the Post-Ottoman Middle East, 1917-19," *International Journal of Middle East Studies*, 46 (2014), pp. 693-695.

وفي انتظار انعقاد مؤتمر الصلح، قرّر قادة حزب الاتحاد السوري أن يضعوا دستورًا لسوريا. وكان من شأن دستور كهذا أن يترك أثره لدى قادة مؤتمر الصلح في باريس حول قدرة السوريين على أن يحكموا أنفسهم بأنفسهم، كما كان يمكن أن يوحّد السوريين ويساعدهم على التصالح. كان قادة الحركة - حيدر وفيصل والشهبندر ورضا - قد قرأوا ما فيه الكفاية عن السياسة الأوروبية حتى يعرفوا أن الحلفاء سينظرون في جدارة كل الشعوب المنبثقة عن انهيار الإمبراطوريات الثلاث الروسية والنمساوية - المجرية والعثمانية، ثم سيعترفون بحق تقرير المصير فقط لتلك الشعوب التي تعتبر "متمدّنة" (civilized) و"حديثة" (modern) بما فيه الكفاية. وفي عام 1918 كان تعبير "الحكم الحديث" يعني "الحكم الدستوري".

وهكذا قام رضا وبعض الأعضاء الآخرين من حزب الاتحاد السوري بوضع مسوّدة بنود الدستور في أواسط كانون الأول/ ديسمبر 1918. وقد أكّدوا في هذا الدستور على الاستقلال الكامل لسوريا تحت حماية عصبة الأمم القادمة. إلا أن رضا عارض البنود التي تنصّ على جمهورية علمانية، خشية من إثارة غضب الشريف حسين. ولكنه وافق، لأجل تهدئة قلق غير المسلمين، على أن تكون الشؤون والقوانين الدينية تحت سلطة رجال الدين وليس الدولة. أما الشهبندر فقد نبّه حزب الاتحاد السوري إلى ضرورة أن تأخذ الحكومة السورية شكلًا مقبولًا من عصبة الأمم المقترحة، بما في ذلك ضرورة إبعاد المسلمين المتشددين وإشراك المزيد من المسيحيين فيها. وقد أدى اقتراحه إلى مباحثات مع مجموعات لبنانية مسيحية كان محور النقاش فيها دور الدين في الحكومة المستقبلية، وهو النقاش الذي بقي مستمرًا أكثر من سنة. وللحصول على تأييد أكبر، تواصل حزب الاتحاد السوري مع الأحزاب السورية ذات الغالبية المسيحية(9).

ولأجل نيل دعم الزعماء المحليين والمجموعات الإثنية، فقد تبنى الدستور المقترح اللامركزية، أو الفدرالية، التي ستضمن الحكم الذاتي للمقاطعات أو الولايات. وكما هو الأمر مع جمعية العربية الفتاة، فقد كان أيضًا بعض قادة

---

(9) يوميات رضا في 10 و12 و22 و25 كانون الأول/ ديسمبر التي اقتبسها رياض:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

حزب الاتحاد السوري على معرفة بالدستور الأميركي والنظام الفدرالي. كان نمر وبعض أعضاء حزب الاتحاد السوري مثل الشهبندر من خريجي الكلية البروتستانتية الأميركية (التي سُميت لاحقًا الجامعة الأميركية في بيروت)[10]. وخلال الأسابيع اللاحقة اكتمل دستور "الولايات السورية المتحدة" مع بنود إضافية تنصّ على ملكية دستورية وديمقراطية ومدنية على رأسها الملك فيصل، وعلى مساواة السوريين جميعًا أمام القانون. وكما كان فيصل قد أعلن، فإن دمشق ستكون العاصمة والعربية هي اللغة الرسمية[11].

خارج الاجتماعات السرية لحزب الاتحاد السوري كان على الشيخ رضا أن يكون حريصًا في الحياة العامة. فقد كان، مثله مثل فارس نمر، قد تنامت شكوكه من بريطانيا على الرغم من دعمها المبكر للثورة العربية. كان المسؤولون البريطانيون يخشون من نقد الشيخ رضا للسياسة البريطانية، ولذلك هدّدوه بالنفي إذا لم يبتعد عن السياسة. وفي ذلك الوقت بالضبط رفضت السلطات البريطانية طلب الوطنيين المصريين السفر إلى باريس لحضور مؤتمر الصلح، كما رفضوا منح الموافقة للسوريين من أمثال الشيخ رضا، الذي كان يرغب في نقل المساعدة والرسائل السياسية إلى سوريا المحرّرة. كان رضا قلقًا أيضًا على أقاربه في القلمون، حيث كان السكان بحاجة ماسة إلى الغذاء والكساء[12].

ولذلك كان على رضا أن يتحايل على الرقابة في العدد الجديد من **المنار**. وهكذا فقد غطّى على معاداته الاستعمار بمدح الحلفاء ومؤتمر الصلح، وركّز أكثر على أميركا باعتبارها منارة للعدالة والحرية في العالم.

---

(10) نعوم بك شقير (1863-1922) أحد المساهمين في وضع الدستور، درس في الكلية البروتستانتية السورية قبل الشهبندر بعشرين سنة. كان مؤرخًا ومرتبطًا بالإدارة البريطانية.

(11) هناك نسخة مؤلفة من 47 مادة تقسّم سوريا الكبرى إلى تسع ولايات قُدمت لاحقًا إلى اللجنة الأميركية:
"Basic Law of the United States of Syria," in King-Crane Commission Digital Collection, Oberlin College Archive, accessed on 13/3/2019, at: https://bit.ly/3MDh2Qv

(12) يوميات رضا، من 10 كانون الأول/ ديسمبر 1918، مقتبس في:
Ryad, "Like a Mill Donkey"; TNA-London, Walrond to Cornwallis, January 13, 1919, with addendum "Fundamental Statutes by the Party of Syrian Union," in FO 882/24, 85-90.

## رجل دين مسلم يتطلع إلى أميركا

خلال عبور فيصل البحر المتوسط متوجهًا إلى فرنسا قرّر رشيد رضا أن يخصّص عدد كانون الأول/ ديسمبر من مجلة **المنار** لوودرو ولسون والولايات المتحدة باعتبارهما من وسائل العدالة الإلهية. وبعد أن استهل رضا مقالته بـ"بسم الله الرحمن الرحيم، حمدًا لمن عزّ وقدر..." تابع يقول:

> ومن أكبر العبر إن الله أنقذ أوروبا من ظهور الألمان عليها... على يد أقل الشعوب استعدادًا للحرب والجلاء، وأبعدها عن طلب السعادة على الشعوب والطمع في البلاد، وهو شعب الولايات المتحدة، الذي كان له من الفلج بقوة الحق المعنوية فوق ما كان له من الظفر بترجيح قوة الحلفاء الجندية والمادية، فإنّ دعوة رئيسه (الدكتور ولسون) إلى بناء صلح الأمم على ما وصفه من قواعد الحق والعدل العام.

وهكذا إن الذين أنكروا حقيقة الله وشنوا الحرب الظالمة إنما يعاقبون الآن على أعمالهم. ومع استشهاده بالقرآن يوضّح رضا "هذا هو الحدّ الفاصل بين الحق والباطل المبيّن لحال الأفراد والجماعات"، ويؤكد أن السلام الإلهي لا يمكن أن يبنى بمزيد من العدوان: "أي شعب لا ينشر العدل محكوم عليه بالتدمير. لا سلام على الأرض إلا بالمساواة في العدل وترك سياسة المكر والرياء ومعاهدات السر والخفاء".

وبحسب رضا فإنّ الرئيس ولسون قد فهم العدالة الإلهية حين طالب بحق الشعوب في تقرير المصير وإنشاء عصبة الأمم كي تنظر في النزاعات، وتابع حول ذلك قائلًا: "وإنما الخير كله في الحرية، وهو ما دعا إليه (ولسون) جميع المتحاربين".

وقد دعم الشيخ رضا رسالته المعادية للاستعمار بتهديد. فقد حذّر متنبئًا إنّ أولئك الذين يعرقلون برنامج ولسون إنما هم "مجرمون كبار". وقد حثّ قرّاءه على الاهتمام بدروس القرآن والتاريخ وإلا فسيعانون مرة أخرى من إساءات استخدام القوة. وقد انتهى هنا إلى أن الأخذ ببرنامج الرئيس ولسون

هو واجب أخلاقي لأنه "لا منجاة بدونه ولا مناص، إن لم تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير"[13].

بعد هذا استعرض الشيخ رضا مقاطع طويلة من أربعة خطابات لولسون في عام 1918، ومن ذلك بيانه في 2 كانون الأول/ ديسمبر الذي جاء فيه أنه سيسافر إلى باريس لضمان السلام بالاستناد إلى النقاط الـ 14 التي قبل بها الحلفاء. وعلّق رضا على خطاب ولسون في مدينة نيويورك بتاريخ 27 أيلول/ سبتمبر، حيث استعرض فيه رؤيته عن عصبة الأمم "التي تتألف من كل الدول لمنع اندلاع حرب عالمية أخرى". ففي هذا الخطاب ألحّ ولسون على السلام الذي لم يحارب لأجله "حشود الرجال" في سبيل "شروط رجال السياسة حول تبادل الأراضي وتقاسم القوة، بل "في شروط الرؤية الواسعة للعدل والرحمة والسلام وإرضاء أولئك الرجال والنساء والشعوب المستعبدة التي انتظرت طويلًا مثل هذه اللحظة"[14].

وأشار رضا إلى ما كتبه فارس نمر في جريدة **المقطّم** حيث امتدح خطاب ولسُون لتصريحه بـ"أنّ مصلحة أضعف الخلق مقدسة كمصلحة أقواهم". وقد اعتبر نمر في مقالته أن خطاب ولسون يمثل "نبوءة" تستند إلى مبادئ كل الديانات السماوية، وانتهى إلى أن "الشعوب الصغيرة في جميع أقطار العالم ترفع أيديها مبتهلة إلى الله أن يطيل عمر ولسون ويمنحه القوة اللازمة لتحقيق أمانيه. واسم ولسون سيظل منقوشًا على صفحات قلوب المظلومين من الرجال والنساء والأمم المستعبدة إلى من يسعى لإرواء غليلها".

إلا أن رضا في تعليقه على ما كتبه نمر رأى أنه لم يقل كل الحقيقة لأن ولسون لم يسلّم فقط بحكمة الأديان السماوية، بل إنه نطق بكلمة الله: "صدق **المقطّم** في قوله إن الرئيس ولسون ليس هو واضع هذه القواعد للحق والعدل ولا هو أول من

(13) محمد رشيد رضا، "فاتحة المجلد الحادي والعشرين"، مجلة **المنار**، مج 21، ج 1 (كانون الأول/ ديسمبر 1918)، ص 1-8. يذكر رشيد لاحقًا أن إصدار المجلد تأخر شهرين حتى شباط/ فبراير 1919 بسبب نقص الورق.

(14) "Address of President Wilson, Opening the Campaign for the Fourth Liberty Loan," New York City, September 27, 1918, accessed on 3/9/2018, at: https://bit.ly/3MB4kSB

نادى بها، فإنّ واضعها هو الله تعالى". وبعد ذلك استشهد بآيات قرآنية عن العدالة المطلقة والشاملة تبين أنها منصفة وليس انتقامية. فكما أن فرنسا تطالب باسترداد أراض لها احتلتها ألمانيا، كذلك فإنه من حق الشعوب الأخرى استرداد أراضيهم من بريطانيا وفرنسا. كان ما قاله الشيخ رضا غير مباشر ولكنه واضح الدلالة: دعوة بريطانيا وفرنسا إلى الانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتاها خلال الحرب.

وقد ختم الشيخ رضا مقاله بالتحذير من أن القرآن أظهر كيف أن السياسيين يزخرفون أنفسهم في العلن بالقيم السامية بينما يسعون إلى مصالحهم الأنانية في السر: "وقد أصبح جميع الناس يعرفون هذا، ويسرنا أن جميع أمم الحلفاء تعظّم ولسون وتؤيّده اليوم"[15]. ولتعزيز رأيه هذا قام بنشر الوعود المتناقضة لفرنسا وبريطانيا الواردة في معاهدة سايكس بيكو السرية وفي التصريح العلني لهما في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر، الذي قرأه الأمير فيصل في حلب.

وهكذا في ظروف لا يمكن أن نتخيّلها الآن بعد مرور مئة عام، نجد أن أحد أشهر علماء المسلمين آنذاك يمتدح الرئيس الأميركي البروتستانتي الورع باعتباره تعبيرًا عن رغبة الله. لم يكن الشيخ رضا وحده في هذا الموقف. فاللحظة التاريخية الولسونية (The Wlisonian Moment)، كما دعاها المؤرخون، أثارت الآمال بين السوريين في مصر. فقد توجّه المنفيّون السوريون على اختلاف طيفهم السياسي بمناشدة المبعوثين الأميركيين لأجل حماية [السوريين] من التقسيم والاحتلال. كما أن الوطنيين المصريين أملوا في أن تقوم الولايات المتحدة بإرغام بريطانيا على الانسحاب من بلادهم بعد احتلال دام ستة وثلاثين عامًا. وقد قام هؤلاء الوطنيون، مثلهم مثل السوريين، بإرسال فيض من العرائض إلى السفارة الأميركية، كما ملأوا الصحف بالمقالات التي تمدح ولسون[16].

---

(15) محمد رشيد رضا، "مبادئ الانقلاب الاجتماعي الأكبر وحرية العموم"، مجلة **المنار**، مج 21، ج 1 (كانون الأول/ ديسمبر 1918)، ص 17-33.

(16) Erez Manela, *The Wilsonian Moment* (New York: Oxford University Press, 2007), pp. ix-xi, 64-66; Reibman, pp. 681-702.

## لحظة ثورية: الرئيس ولسون والطموحات العربية

لم يكن العرب وحدهم يرون في مؤتمر الصلح في باريس لحظة تاريخية لتحريرهم، فحين وصل ولسون إلى أوروبا في 13 كانون الأول/ ديسمبر 1918 امتلأت شوارع العواصم الأوروبية بعشرات الآلاف للترحيب به، كما وصلته المباركات والمناشدات بالبريد من أقصى بلدان العالم كالصين والهند.

مع حلول كانون الأول/ ديسمبر 1918 "أصبحت النقاط الـ 14 نصًّا مقدّسًا، كما أن اسم ولسون لم يعد مجرد اسم رئيس جمهورية. أصبح ولسون يمثل "سلطة أخلاقية" حتى إن الكاتب الفرنسي الداعية إلى السلم والفائز بجائزة نوبل للأدب في عام 1915 رومان رولان (Romain Rolland) قال عنه إنه أصبح الشخص الوحيد في العالم الذي يمكن أن يتحدث للأغنياء والفقراء من كل شعوب العالم[17]. كان النظام القديم الذي قاد إلى حرب عالمية وأكثر من عشرة ملايين قتيل قد ولّى. كان يبزغ الآن عالم جديد سواء مع نموذج ولسون الليبرالي أو مع لينين البلشفي. ومع أن الشعوب المختلفة قرأت في كلمات ولسون مستقبلات مختلفة إلا أنها كانت تبدو ممكنة.

كان عام 1919 يعد بأن يكون زمن الثورة العالمية. كان ولسون قد أصبح يتمتع بجاذبية نبي، مثله مثل لينين الذي وعد أيضًا بحق تقرير المصير والعدالة الاجتماعية، وهو ما ألهم الثورة التي اندلعت في روسيا عام 1917. وكان الألمان قد سبقوا في تشرين الثاني/ نوفمبر 1919 بتحويل مملكتهم إلى جمهورية فايمر (Weimer Republic)، بينما كان الماركسيون في ميونيخ يستعدون للإعلان عن دولة اشتراكية. كان حديث الثورة ينتشر في أراضي إمبراطورية هابسبورغ المهزومة ضدّ كلّ الصرح الاجتماعي للإمبراطورية. وفي حين أن القوميين التشيك أعلنوا الديمقراطية فإنّ المجريين أيدوا البلشفية لبناء حركة شيوعية. أما في الشمال في فنلندا فقد برز هناك اشتراكيون أكثر اعتدالًا[18]. وحتى في الولايات المتحدة نجد

---

(17) Thomas J. Knock, *To End All Wars: Woodrow Wilson and the Quest for a New World Order* (Princeton: Princeton University Press, 1992), p. 191.

(18) Robert Gerwarth, *The Vanquished: Why the First World War Failed to End* (New York: Farrar, Straus and Giroux, 2016), pp. 98-152.

أن [عالم الاجتماع الأميركي] وليام إدوارد بورغهارت دو بويس (W. E. B. Du Bois) رأى أملًا في ثورة في العلاقات بين الأعراق (race relations).

لم يكن ولسون نفسه يمثل نموذجًا ثوريًا. كان يتجنب العنف السياسي والتغيير المفاجئ لمصلحة التدرّج. كان ينتمي إلى المدرسة البراغماتية والتقدمية في السياسة، التي كانت تؤمن بأن المواطنين يجب أن يجدوا حلولًا محلية لمشاكلهم المحلية. وعلى هذا النحو أراد من نقاطه الـ 14 أن تكون مانيفستو لعصر جديد من العلاقات الدولية يمكن أن يتحقق من خلال الحوار والنقاش وليس بواسطة القوة.

كانت النقاط الـ 14 تمثل مبادئ جديدة للدبلوماسية العلنية والمشاركة الشعبية ضد السياسة القديمة للمعاهدات السرية. وفي هذا السياق يمكن لعصبة الأمم أن تنظم العلاقات الدولية من خلال تعزيز القانون، وذلك بواسطة المحاكم والدفاع المشترك وليس بواسطة البوارج. وحتى في ما يتعلق بعصبة الأمم لم يرد ولسون أن يضع لها قالبًا جامدًا، إذ كان يرى أنه كي تكون فعالة لا بدّ من أن تنمو من ذاتها عبر التعاون والتجربة. فبعد التدخل الكارثي في الثورة المكسيكية لم يعد يؤمن بأن الديمقراطية يمكن أن تُفرض من الخارج. ومع ذلك نجد لاحقًا أن بعض السياسيين الأميركيين أكدوا بشكل غير صحيح أن ولسون كان يخطط لنشر الديمقراطية بقوة السلاح، أو أن رؤيته للديمقراطية في العالم كانت تخفي أهدافًا إمبريالية. وفي الحقيقة كانت رؤيته مبنية على ارتباط مستمر مع التقدميين والمعادين للحرب، وكانت رؤيته تمثل تحدّيًا للسياسة الخارجية للجمهوريين مثل تيودور روزفلت، الذي كان مدافعًا قويًا عن التدخّل والتوسّع الأميركيين[19].

كانت النقطة الخامسة من النقاط الـ 14 تخصّ أكثر السوريين والمصريين، وهي التي تطالب بـ "تعديل حرّ ومنفتح ونزيه تمامًا لكل المطالب الاستعمارية".

---

(19) Knock, pp. vii-x, 271-276; Trygve Throntveit, *Power without Victory: Woodrow Wilson and the American Internationalist Experiment* (Chicago: University of Chicago Press, 2017), pp. 120-121, 252.

آراء ولسون في عام 1918 تتناقض مع مواقفه السابقة تجاه التدخل الأميركي، كما في حالة احتلال الفيليبين التي عبر عنها في مقالته المعروفة:

"The Ideals of America," *Atlantic Monthly* (December 1902): pp. 721-734.

أشكر زميلي روبرت أدكوك على لفتي بهذه المقالة.

كانت هذه النقطة تنصّ على أن "مصالح الشعوب المعنية يجب أن يكون لها وزن معادل للمطالب العادلة للحكومة [الدولة المنتدبة] التي ستحدد لاحقًا". كان ولسون هو الذي صاغها بهذا الشكل لأنها لم تكن واردة في المسوّدة التي وضعها فريق العمل التابع له. كان يعرف أن النقطة الخامسة تتحدى النظام الإمبريالي القائم، كما أنه كان قلقًا على ردة فعل الحلفاء، إلا أنه رفض اقتراحات لحذفها(20).

كذلك كان ولسون قد صاغ النقطة الـ 12 كي يحول دون تقسيم الدولة العثمانية بين الحلفاء الأوروبيين، كما كان يهدف أيضًا إلى تحرير الشعوب العثمانية من دفع ديون الحرب إلى ألمانيا كي يستأصل النفوذ الألماني في المنطقة. وكان ولسون قد رفض توصية مستشاريه بوضع العرب تحت حماية الدول "المتمدنة"، أي كنوع من أنواع الرقابة الأوروبية، وبقيت النقطة كما يلي: "يجب ضمان سيادة آمنة للقسم التركي من الإمبراطورية العثمانية الحالية، إلا أن القوميات الأخرى التي هي الآن تحت الحكم التركي يجب أن تحظى بضمان مؤكد في الحياة وفرصة للتطور الذاتي"(21).

كان ولسون يريد استخدام الإسهام الأميركي في كسب الحرب لأجل التخلّص من النظام الدولي الذي بنته أوروبا. وهكذا عوضًا عن التنافس على المصالح الذاتية الضيقة، يمكن للدول أن تتخلى قليلًا عن سيادتها لعصبة الأمم كي تدعم المصالح المشتركة والدفاع. وعوضًا عن التمسك بنظام هرمي بالقوة العسكرية، يمكن للدول أن تحترم حقوق كل الشعوب تحت مظلة القانون الدولي. وبذلك يمكن لعصبة الأمم أن تحمي "سلامة كل الدول الكبيرة والصغيرة على حد سواء". وخلال خطاباته طيلة عام 1918 وسّع ولسون من نظرته بالقول إن مصالح الشعوب يجب أن تُحترم مع تأسيس حكومات جديدة بعد الحرب، وأن يكون هذا بموافقة تلك الشعوب(22).

---

(20) Throntveit, *Power without Victory*, p. 254.

(21) "President Wilson's Fourteen Points," Avalon Project, Yale Law School, accessed on 16/3/2019, at: https://bit.ly/3wy9xos; Charles Seymour (ed.), *The Intimate Papers of Colonel House,* vol. 3 (Boston: Houghton Mifflin, 1928), pp. 322-323; Lawrence E. Gelfand, *The Inquiry: American Preparations for Peace, 1917-1919* (New Haven: Yale University Press, 1963), p. 146.

(22) Throntveit, *Power without Victory*, pp. 1-17; Leonard V. Smith, "The Wilsonian Challenge to International Law," *Journal of the History of International Law*, 13 (2011), pp. 179-208; Knock, pp. 3-30, 57-147; Manela, pp. 3-26, 35-47.

كان ولسون يؤمن أساسًا بسياسة المشاركة، ولذلك رفض أن يُفرض على الشعوب معنى "حق تقرير المصير". في الأصل كان يقصد من هذا التعبير حق الشعب في أن يكون له صوته في العملية السياسية، وليس الحق في الانفصال أو إعلان الاستقلال من جانب واحد. إلا أن الكثير من المعجبين بولسون الذين ملأوا شوارع باريس ولندن وروما في نهاية عام 1918 كان لهم فهمهم الخاص: التحرّر من الإمبراطوريات الروسية والنمساوية-المجرية والعثمانية المنهارة. ولكن ولسون لم يقم بتصحيح ذلك الفهم. إن هذا يعني، كما قال أحد المؤرخين المعاصرين، أن حتى التعريف الأساسي للسيادة كان مفتوحًا للتفاوض في عام 1919[23].

شارك العرب السوريون بدورهم في هذا التخيّل للانتقال إلى إمكانيات عالم ما بعد الحرب. كان رضا محقًّا في أن يرى في ولسون مفهومًا للعدل الدولي المستند إلى الدين. فقد كان اقتراح ولسون لمعاهدة بين الشعوب، تجمعهم في عصبة الأمم، قد وُجد بتأثير من الأفكار المسيحية المشيخية (Presbyterian) التي كان يطرحها والده القس. فقد مهّدت المسيحية الأساس للقانون الدولي وذلك بالدعوة إلى مجتمع يقوم على المعايير الأخلاقية والمدنية والأخوّة. وكان يمكن لأي شعب أن ينضم إلى هذا المجتمع إذا وافق على مبادئ الحق المشتركة. إنّ هذه الرؤية هي التي قادت ولسون إلى اختيار وليام براين (William Jennings Bryan) أول وزير خارجية له، وهو مسيحي من دعاة السلام.

إلا أن ولسون، مثله مثل رضا، كان يمارس الدين الحي وينبذ الدوغما. ففي السنوات التي سبقت الحرب العالمية الأولى حوّل ولسون "العهد أو الميثاق" (covenant) [الديني] إلى فكرة سياسية بالاعتماد على المفكرين التقدميين من أمثال وليام جيمس (William James) وجون ديوي (John Dewey). فقد قام هؤلاء ببسط أفكارهم حول جمهورية مجتمعية أخلاقية لتصور دور جديد غير إمبريالي للولايات المتحدة في الشؤون الدولية. وبحسب رأيهم فإنّ الأفراد يمارسون حريتهم الأكمل من خلال التعاون مع الآخرين. وهكذا فإنّ حبّ الشخص لبلاده

(23) Leonard V. Smith, *Sovereignty at the Paris Peace Conference of 1919* (New York: Oxford University Press, 2018), pp. 1-14; Trygve Throntveit, "The Fable of the Fourteen Points: Woodrow Wilson and Self-Determination," *Diplomatic History*, vol. 35, no. 3 (June 2011), pp. 445-481.

يجب ألا يولّد الكراهية للبلدان الأخرى، بل على العكس من ذلك، يجب أن يُلهم روحًا عالمية عامة[24].

لم يدرك كلّ المؤرخين جريان وإمكانيات التغيير الجذري في عام 1919. فقد رفض المؤرخون البارزون في الإنكليزية مناشدات العرب لولسون حول استقلالهم بعد الحرب لكونها مبنية على سوء فهم. فقد كانوا يعتبرون، مثلهم مثل وزير الخارجية روبرت لانسينغ (Robert Lansing)، أن حق تقرير المصير "مصيبة" و"حلم شخص مثالي غير واعٍ لأخطاره". وبحسب رأيهم، فإنّ ولسون لم يعبّر عن اهتمام بسوريا، وقدّم للعرب أحلامًا زائفة عقّدت النهج السلمي الذي كان يتولاه في الواقع السياسة القديمة للقوى الكبرى. وكما ادّعى مؤرخ آخر، فإنّ الشعوب المستعمرة التي تفتقد دولة خاصة بها خارج أوروبا كانت غير مهمة له إلى حد كبير، بل كانت "مجرد جمهور حماسي في بلاغة ولسون خلال الحرب". وقد كانت تلك الشعوب تتخيّل ولسون بطلًا يكافح في سبيل قضيتها، بينما هو في الواقع "لا ينوي تلبية مطالب حق تقرير المصير للشعوب الخاضعة" خارج أوروبا[25].

إلا أن سجلّ ما قام به ولسون حول سوريا يبيّن غير ذلك. فقد أفاد شهود عيان كانوا على متن السفينة المبحرة إلى أوروبا في كانون الأول/ ديسمبر 1918، بأنّ ولسون كان يفكّر في الشرق الأوسط. كان هو ومعاونوه منزعجين من المعاهدات السرية التي كانت تهدف إلى تقسيم الدولة العثمانية بين الحلفاء المنتصرين، حيث "جعلوا من (الشرق الأوسط) مكانًا لإعداد حرب مستقبلية. كان ولسون على ظهر سفينة "جورج واشنطن" يخطّط لكيفية ضمان الحرية للشعوب التي كانت خاضعة للإمبراطوريات المهزومة، في أوروبا والشرق الأوسط، بوضعها تحت وصاية دولة ثالثة ليس لها مطامع استعمارية، وربما تكون دولة اسكندفانية هي الأمثل

(24) Knock, pp. 3-14; Throntveit, *Power without Victory*, pp. 18-47, 50-51, 68-78, 100-105.

(25) Margaret MacMillan, *Paris 1919: Six Months That Changed the World* (New York: Random House, 2001), pp. 9-15, 391-394, 405; David Fromkin, *A Peace to End All Peace: The Fall of the Ottoman Empire and the Creation of the Modern Middle East* (New York: Henry Holt, 2009; [1989]), pp. 253-262; Manela, pp. 4-5.

لذلك[26]. وكان مدير مكتبه خلال الحرب الجنرال تسكر ه. بليس (Tasker H. Bliss) يعارض "تشكيل العالم بشكل تعسّفي". وبعد وصولهم إلى أوروبا استمرّ ولسون ومستشاروه في مناقشة اتفاقية سايكس بيكو لتقسيم سوريا بين بريطانيا وفرنسا، حيث تساءل أحد أعضاء الوفد الأميركي إلى مؤتمر الصلح: "هل يمكن ألا نوافق على أنه يجب رمي المعاهدات السرية للقوى الكبرى في سلة المهملات؟"[27].

## القوى المضادة للثورة ضد ولسون والعرب

كانت الإمكانية الثورية لرؤية ولسون واضحة بالتأكيد لمعارضيه. ففي الولايات المتحدة واجه ولسون الصحافة الشوفينية والزعامة السياسية التي رأت في الحرب خطوة نحو التوسع الإمبريالي الأميركي. كانت هذه الزعامة تأبى التنازل عن جزء من السيادة إلى عصبة الأمم أو أن تضمن حقوق أو حق تقرير المصير للشعوب الصغيرة. على رأس هذه الزعامة كان هناك كبار قادة الحزب الجمهوري مثل الرئيس السابق تيودور روزفلت والسيناتور هنري كابوت لودج (Henry Cabot Lodge). ففي صيف 1918 شنّ روزفلت حملة عامة لرفض النقاط الـ 14. وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 1918 فاز الحزب الجمهوري بالغالبية في الكونغرس، ما أضعف موقف ولسون قبل أن يعبر الأطلسي إلى أوروبا. وما إن رست سفينة ولسون في فرنسا حتى أبرق روزفلت إلى وزير الخارجية البريطانية آرثر بلفور ليؤكد له أن الحزب الجمهوري يؤيد موقفه الذي يفضّل عصبة أمم ضعيفة لا تعرقل الأهداف الاستعمارية[28].

---

(26) Robert E. Hannigan, *The Great War and American Foreign Policy, 1914-24* (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2017), pp. 202-204, quote on 204; Throntveit, *Power without Victory*, p. 14.

(27) Columbia University Rare Book and Manuscript Library, typescript of William Westermann's diary of the peace conference, December 11, 1918, discussion with French ambassador Jusserand; and December 29, 1918, meeting with General Bliss, 4, 14. William Linn Westermann Papers.

(28) John Milton Cooper, Jr., *Breaking the Heart of the World: Woodrow Wilson and the Fight for the League of Nations* (New York: Cambridge University Press, 2001), pp. 10-49.

إشارة إلى برقية روزفلت في 15 كانون الأول/ ديسمبر 1918 إلى بلفور في 39.

ففي أوروبا كانت بريطانيا وفرنسا تقودان إمبراطوريتين استعماريتين بُنيتا رغمًا عن رأي المحكومين. وكما تنبأ بدقة رضا، فإن الدولتين جاملتا النقاط الـ 14 ولكنهما خلف الستار كانتا تخططان لتوسيع إمبراطوريتهما لتشملا الشرق الأوسط.

كان رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج، كما وصفته حفيدته المؤرخة مرغريت مكميلان (Margaret MacMillan)، شخصًا "ليبراليًّا تحول إلى ناهب لمزيد من الأراضي"، وهو "مثل نابليون كان مخمورًا بإمكانيات الشرق الأوسط"[29]. ففي الأيام السوداء للهزيمة في عام 1917 رفع لويد جورج من معنويات البريطانيين باحتلال بغداد والقدس كهدية لعيد الميلاد[30]. وهكذا صرّح في البرلمان قائلًا: "سواء كنا على حق أو على باطل، فإن هذين الحدثين الكبيرين قد رفعا كثيرًا من مكانة بريطانيا في العالم أكثر من أي حدث آخر طيلة الحرب"[31]. وقبل شهر من ذلك أعلن بلفور الدعم البريطاني لتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين. وفي نهاية عام 1918 كان لويد جورج يسعى إلى مكافآت إمبريالية أكثر لبريطانيا مقابل ما أنفقته في الحرب: آبار نفط في شمال العراق، وحكم دائم على مصر وفلسطين، وسيطرة كاملة على الجزيرة العربية والبحر الأحمر.

كان العرب السوريون في مصر شهودًا على إشارات الثورة المضادة البريطانية في تشرين الثاني/ نوفمبر 1918. فبعد أسبوع بالكاد على إصدار بريطانيا وفرنسا تصريحهما المشترك حول رغبتهما في تحرير سوريا والعراق، قام وفد من الوطنيين المصريين بزيارة المعتمد البريطاني السامي في القاهرة. وفي هذا اللقاء رفض المعتمد طلبهم لأجل السفر إلى مؤتمر الصلح، وهو ما أثار شكوى الوطنيين في أن لهم الحق مثل الأمير فيصل في الذهاب إلى باريس بالاستناد إلى مبادئ ولسون. وفي الوقت ذاته الذي كان فيه رضا يعدّ عدد مجلة **المنار** الذي

---

(29) MacMillan, p. 382.

(30) Fromkin, pp. 305, 312-314, 363-379.

(31) "The Prime Minister's Speech," *The Times,* 21/12/1917, p. 8.

يمتدح فيه ولسون، قام المصريون بتشكيل حزب الوفد المشهور ليحشدوا الشعب من أجل المطالبة بالاستقلال[32].

ولكن الضغوط الداخلية في لندن كانت هي التي تهدّد الآن الطموحات الإمبريالية. كان الجنود يتعجّلون العودة إلى بريطانيا، وكان هناك نقص في المال لأجل رعاية الأرامل وعلاج الجرحى، كما أنه كان هناك نقص في الغذاء والحاجات الأساسية. لم يكن لويد جورج متأكدًا من وجود مصادر لتمويل التوسّع في الشرق الأوسط. أما لورنس فقد استغلّ هذا الوضع في لقاءاته بوزارة الخارجية في 28 تشرين الأول/ أكتوبر 1918، حيث أكّد أن العرب استحقوا حق تقرير المصير وأن اتفاقية سايكس بيكو "حماقة" غير عملية. كما أنه وجد آذانًا صاغية له في وزارة الحرب، التي أصدرت مذكرة رسمية تنصح فيها بإهمال اتفاقية سايكس بيكو. وقد ورد في المذكرة أنه على بريطانيا أن تصغي إلى "موجة المشاعر الديمقراطية التي غطت العالم"، وأن تقبل بـ"مبدأ حق تقرير المصير الذي جعله الرئيس ولسون مسموعًا بقوة"[33].

ربما كان للعرب السوريين أسبابهم كي يتوقعوا مزيدًا من العدل من المسؤولين الفرنسيين، لأن فرنسا كانت قد عانت أكثر من إنكلترا بسبب خسائرها في الحرب. كان رئيس الحكومة جورج كليمنصو جمهوريًا محافظًا ثابتًا على رأيه يعلّق صور الثوريين على جدران مكتبه. كان أيضًا خصمًا مزمنًا لإمبراطورية فرنسا الاستعمارية. ومع كونه في الثمانين، كان كليمنصو الملقب بـ"النمر" يحشد معنويات الجنود في الخنادق بشمال فرنسا كي يقاتلوا ليس في سبيل الإمبراطورية بل لأجل الانتقام من الألمان. كان لا يزال يتذكر ذلك اليوم قبل نصف قرن حين قام جيش القيصر الألماني باحتلال الألزاس واللورين بشمال شرق فرنسا في عام 1870. وفي ذلك الحين، الذي كان فيه عمدة منطقة باريس، اشترك كليمنصو

(32) Afaf Lutfi al-Sayyid-Marsot, *Egypt's Liberal Experiment: 1922-1936* (Berkeley: University of California Press, 1977), pp. 48-49; Manela, p. 70.

(33) Jeremy Wilson, *Lawrence of Arabia: The Authorized Biography of T. E. Lawrence* (New York: Atheneum, 1990),pp. 573-575; Ali A. Allawi, *Faisal I of Iraq* (New Haven: Yale University Press, 2014), pp. 169-170.

شخصيًّا في مقاومة الحصار الألماني على باريس. لذلك، كان الهدف الأساسي لكليمنصو في مؤتمر الصلح أن يستعيد المناطق التي خسرتها فرنسا وأن يضمن ألا تقوم ألمانيا بغزو فرنسا مرة أخرى.

إلا أن طموحات لويد جورج في الشرق الأوسط أثارت أعداء كليمنصو في اللوبي المؤيد للاستعمار في فرنسا. وهكذا فقد ذُهل وزير الخارجية ستيفان بيشون (Stephen Pichon) عندما علم في أواخر تشرين الأول/ أكتوبر 1918 أن المسؤولين البريطانيين قد رتبوا من جانب واحد الهدنة مع الجانب العثماني قبل أن تصل قوات حليفتهم الفرنسية إلى إسطنبول. وفي غضون ذلك انتهك الجنرال ألَّنبي اتفاقية سايكس بيكو 1916 حين ضمن للأمير فيصل سلطة مدنية في سوريا. وهكذا فقد كان من المذل لبيشون أن يطلب من الضباط البريطانيين إنزال العلم العربي في بيروت. بدافع من الغضب والشك أكد بيشون أن صياغة تصريح 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1918 جاءت مبهمة بشكل كاف كي تسمح لفرنسا أن تحقق مطالبها حسب اتفاقية سايكس بيكو[34].

كان زعيم اللوبي الاستعماري الفرنسي روبير دو كيه (Robert De Caix) هو الشخص الذي أدى الدور الحاسم بالنسبة إلى مستقبل سوريا. كان دو كيه أصغر قليلًا من كليمنصو ونشأ مثله على الروايات التي شاعت عن الحصار الألماني لباريس في عام 1870. إلا أنه خلافًا لكليمنصو كان من أسرة أرستقراطية، ولم ينظر إلى الخلاص القومي كما تراه المبادئ الجمهورية بتعزيز مستوى المواطنين. فمنذ تسعينيات القرن التاسع عشر، كان صوته كصحافي معروف يدعو إلى إحياء مكانة فرنسا بواسطة توسيع امبراطوريتها الاستعمارية. وبحلول عام 1914 نجح في أن يوسّع اللوبي الاستعماري كي يشمل كبار رجال الأعمال وعددًا كبيرًا من أعضاء البرلمان. كان دو كيه معاديًا شرسًا لبريطانيا، وأخذ آنذاك في إغراق

---

(34) بيشون إلى سفيري فرنسا في روما وواشنطن، 23 تشرين الأول/ أكتوبر، 1918؛ من كامبون إلى بلفور، 27 تشرين الأول/ أكتوبر 1918، في:
Antoine Hokayem (éd.), *Documents diplomatiques français relatifs à l'histoire du Liban et de la Syrie à l'époque du mandat: 1914-1945,* vol. 1 (Paris: l'Harmattan, 2003), pp. 396-397, 399-400; Jukka Nevakivi, *Britain, France, and the Arab Middle East* (London: Athlone Press, 1969), pp. 69-83.

الصحف الباريسية بالقصص عن المطالب التاريخية لفرنسا في سوريا وصولًا إلى عهد الصليبيين. وبهذا لم يعد الرأي العام يتقبّل أن تقوم بريطانيا بإذلال فرنسا في أعقاب انتصارها في الحرب[35].

شعر الأمير فيصل بتأثير اللوبي الاستعماري حين رست سفينته في 26 تشرين الثاني/ نوفمبر 1918 في مرسيليا. فقد أهمل وزير الخارجية البريطاني بلفور إعلام الجانب الفرنسي بوصوله. ولذلك لم يحظَ الأمير فيصل باستقبال مناسب كممثل لوالده، الذي كان ملكًا على الحجاز، بل وجد في استقباله دبلوماسيًّا متقاعدًا وضابطًا متوسط الرتبة سبق وأن خدم في الجزيرة العربية. وبناء على أوامر من باريس، كان على هذين أن يؤخرا سفر الأمير فيصل إلى لندن، حيث كان كليمنصو متوجهًا إلى اجتماع مغلق مع لويد جورج. وهكذا قام الدبلوماسي المتقاعد والضابط بمرافقة الأمير فيصل في جولة على ميادين القتال في فرنسا استمرت عشرة أيام. إلا أن إحباط الأمير فيصل خفّ إلى حدّ ما في ستراسبُرغ، المدينة الرئيسية في مقاطعة الألزاس التي استعادتها فرنسا (مقر البرلمان الأوروبي حاليًّا). ففي احتفال عسكري رسمي، تصادف في يوم بارد وماطر، قام الجنرال هنري غورو بمنح الأمير وسام جوقة الشرف باعتباره قائد الجيش العربي الشمالي والحليف المخلص لدول الوفاق. وسيجتمع الجنرال غورو بعد عام مع الأمير فيصل مرة أخرى عندما تمّ تعيين الجنرال غورو مفوضًا ساميًّا لفرنسا في سوريا.

في النهاية قام رئيس الجمهورية الفرنسي ريمون بوانكاريه بدعوة الأمير فيصل إلى اجتماع معه في قصر الإليزيه بباريس في 7 كانون الأول/ ديسمبر 1918. وبعد يومين سارع الأمير فيصل للسفر إلى لندن عبر القنال بعد أن حضر اجتماع غداء قصيرًا مع وزير الخارجية ستيفان بيشون. وهناك كان الأمير فيصل سعيدًا لرؤية صديقه لورنس بانتظاره في الميناء[36].

---

(35) Gout to Pichon, October 12, 1918, in: Hokayem, pp. 422-423; Gérard D. Khoury, *Une Tutelle coloniale: Le Mandat français en Syrie et au Liban* (Paris: Belin, 2006), pp. 7-8, 16-17; Julie d'Andurain, *Colonialisme ou impérialisme? Le Parti colonial en pensée et en action* (Lechelle: Zeillige, 2016), pp. 151-171; Christopher M. Andrew & A. S. Kanya-Forstner, *The Climax of French Imperial Expansion 1914-1924* (Stanford: Stanford University Press, 1981), pp. 151-172.

(36) Allawi, pp. 174-177.

فات الأمير فيصل أن يحضر الوصول المفعم بالانتصار للرئيس وودرو ولسون، الذي كان استقباله في فرنسا أكبر ترحيب حُظي به حتى ذلك الحين. في 14 كانون الأول/ ديسمبر كان في استقبال ولسون بمحطة القطار كُلّ من الرئيس بوانكاريه ورئيس الحكومة كليمنصو. كان هناك أكثر من مليون شخص يحيّون ولسون حين رفع قبعته في العربة المكشوفة التي عبرت قوس النصر وصولًا إلى جادة الشانزليزيه المزينة بالأعلام الأميركية[37]. ربما فات فيصل وصول ولسون شخصيًّا، إلا أن الأمير سرعان ما أصبح لاعبًا مشاركًا في الكفاح من أجل ولسون، المثل الأعلى للسلام العالمي.

---

(37) أفلام الجيش الأميركي لوصول ولسون إلى باريس.
accessed on 13/3/2019, at: https://bit.ly/3wx7Yr0

# القسم الثاني

# سلام بارد في باريس

# الفصل الرابع

## التودّد إلى ولسون

في أمسية شتاء في كانون الأول/ ديسمبر 1918 نظر رستم حيدر عبر نافذة فندق كارلتون الفخم في لندن. كان يتأمّل كيف أنّ حياته انقلبت رأسًا على عقب بعد اجتماعه الأول مع الأمير فيصل: من مدير مدرسة ومعلّم تاريخ سابقًا إلى عضو في مهمة دبلوماسية تحمل الحياة أو الموت إلى بلاده. لم يكن هو أو الأمير فيصل يتحدثان الإنكليزية، مع أن كلّ أملهما يرتبط بهذا العالم الأنكلوفوني.

كتب حيدر في مذكراته: "ليست لندن كباريس في أعيادها. من شاهد مناظر الفرح والابتهاج والسعادة والحياة في باريس يتعجب من جمود الإنكليز". سار بمفرده في جولة عبر العاصمة البريطانية في يوم عيد الميلاد، وهو الأمر الذي زاد في كآبته. أوضح له لورنس أن أعياد الميلاد كانت أكثر سعادة قبل الحرب.

تغيّر مزاج سكان لندن في اليوم التالي حين وصل الرئيس ولسون. كان الرئيس الأميركي يقوم بجولة أوروبية قبل افتتاح مؤتمر الصلح. اصطف الناس في الشوارع للترحيب بموكبه الذي عبَر فندق كارلتون في طريقه إلى قصر بيكينغهام.

كتب حيدر عن هذا اليوم في مذكراته: "رأيتُ ولسون في عربة ملوكية جالسًا إلى يمين الملك جورج الخامس ملك إنكلترا وإمبراطور الهند"، وأضاف: "إنه كبقية الخلق لا فرق بينه وبين المتجمهرين لاستقباله. وما الذي يجعله يجلس إلى جانب ذلك الملك الأصيل، مع أنه نشأ من عوام الناس، من صلب رجل كان واعظًا بروتستانتيًّا دأبه بثُّ المبادئ المسيحية السامية في نفوس رجال الدنيا وتهذيب أخلاقهم وتحبيبهم بإخوانهم المظلومين؟".

نشأ حيدر على مُثل الثورة الفرنسية خلال دراسته في جامعة السوربون. إلا أنه الآن اتّجه نحو الأميركيين ليدافع عن حقوق الإنسان بعد أن وعد رئيسهم حتى الشعوب الصغيرة بحقوقها. تساءل في مذكراته: "أيجوز لنا بعد ذلك أن نعجب لتهافت الأمم على ممثل آمالها ومشخّص سعادتها؟ إنّ ولسون في نظر الأمم المهضومة حقوقها اليوم لهو المهدي المترقب هبوطه على وجه البسيطة"[1].

ربما كان فيصل يوافق حيدر على كل ذلك، ولكن كان يعتمد على أبّهته الأميرية. فبعد الاستقبال الفاتر له في فرنسا جاء الآن إلى إنكلترا ليضمن الدعم البريطاني قبل افتتاح مؤتمر الصلح. في القصر الملكي منحه الملك جورج تكريمًا عسكريًّا. ومع أنه كان يتحدث إلى الحضور بواسطة مترجم، إلا أن البلاط سُحر بسلوكه الكريم وصوته الموسيقي الغني وذكائه. وحين كان يتجول في الحدائق الملكية، مفضّلًا ارتداء المعطف على العباءة، كان يجيد الاختلاط مع المجتمع الأرستقراطي. ومع طوله البالغ ما يقرب من ستة أقدام كان يبدو شخصية مرموقة وكريمة[2].

خلال الأسبوعين الماضيين كان الأمير فيصل ورستم حيدر حضرا دعوات عدة راقية للعشاء مع المسؤولين البريطانيين. حذّرهم المضيفون بشكل مؤدّب من أن بريطانيا لا يمكن أن تضحي بصداقتها مع فرنسا لأجل سوريا، ونصحوهم بأن الطريق إلى الاستقلال يمرّ بباريس.

وصل قلق الأمير فيصل إلى ذروته خلال لقائه مع اللورد كرزون (Curzon) في 28 كانون الأول/ ديسمبر 1918. كان كرزون نائبًا للملك في الهند، ولكنه الآن يؤدي دورًا مهمًّا في السياسة الخارجية البريطانية. وحين سأله الأمير عن التزام

---

(1) رستم حيدر، **مذكرات رستم حيدر**، تحقيق نجدة فتحي صفوة (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1988)، ص 202-205؛
Ali A. Allawi, *Faisal I of Iraq* (New Haven: Yale University Press, 2014), p. 186; Roger Adelson, *London and the Invention of the Middle East* (New Haven: Yale University Press, 1995), pp. 168-169.

(2) Allawi, pp. 17, 28-29; Columbia University Rare Book and Manuscript Library, Diary of William L. Westermann, January 20, 1919, 23.

بريطانيا بالاستقلال العربي أجابه كرزون بمراوغة: "سنذهب إلى مؤتمر الصلح وسنطالب بأكثر ما يمكننا طلبه"[3].

وتحت تأثير إشارة الإنذار هذه سارع الأمير فيصل ولورنس وحيدر إلى وضع مذكرة رسمية تحدّد الرغبات العربية، التي بدت إيجابية لبعض المسؤولين في وزارة الخارجية، ورأوا أنها منطقية ومعتدلة. إلا أن هذه المذكرة تركت تأثيرًا قليلًا لدى الشخص الذي كان يسيطر على السياسة البريطانية إزاء سوريا: لويد جورج[4].

كتب الأمير فيصل رسالة أيضًا إلى أخيه الأمير زيد في دمشق يطالبه فيها ببناء الدفاعات العربية. وقد نصح الأمير زيد أن يشتري معدات عسكرية وأن يرسل وحدة إلى مصر كي تتدرب على استخدام الدبابات، وأن ينشر وحدات الجيش على الحدود السورية شمال حلب. فقد يصبح استخدام القوة ضروريًا إذا عادت بريطانيا وفرنسا إلى أطماعهما الاستعمارية السابقة قبيل الحرب وتجاهلتا حقوق العرب. وفي هذه الرسالة أسرّ له بأنه سيلجأ إلى القوة التي يبدو أنها لم تُستخدم في اللعبة الإمبريالية القديمة: "بذلنا كل الجهود لاستمالة الأميركيين"[5].

## المناورات العلنية والسرية التي سبقت مؤتمر الصلح

في 9 كانون الثاني/ يناير 1919، وبعد مشاركتهما في دعوات عدة للعشاء أو الشاي، غادر الأمير فيصل ورستم حيدر لندن أخيرًا إلى باريس. كان قطارهما يجتاز الريف البارد والمدمّر بشمال فرنسا، الذي غدا الآن الجبهة الغربية الصامتة. كان حيدر يعبّر عن قلقه في مذكراته: "لو كان باستطاعة ولسون أن يعمل بحرية لضَرَبَ على أيدي الطامعين بقبضة من فولاذ، وأراح الأمم

(3) حيدر، ص 208-209.

(4) Robert H. Lieshout, *Britain and the Arab Middle East: World War I and Its Aftermath* (New York: I. B. Tauris, 2016), pp. 322, 329-330, 333-334.

(5) من الأمير فيصل إلى الأمير زيد، لندن 31 كانون الأول/ديسمبر 1918، في: سليمان موسى (محرر)، **المراسلات التاريخية 1919: الثورة العربية الكبرى** (عمان: 1975)، ج 2، ص 259-260.

الصغيرة مما يحيط بها من الشقاء بسبب أطماع الأمم الكبيرة الغالبة، ولكن دون ذلك صعوبات وأهوالًا"[6].

وصل الأمير فيصل ورستم حيدر إلى باريس في اليوم التالي ونزلا في فندق كونتيننتال الذي يقع على مرمى حجر من اللوفر. قابلا هناك الصديق القديم لحيدر عوني عبد الهادي الذي كان قد أعدّ في غيابهما الذي استمر لشهر جناحًا خاصًّا في الفندق كي يكون مقرًّا للوفد العربي.

تذكّر عبد الهادي المفاجأة التي حدثت له في كانون الأول/ ديسمبر عندما فتح باب شقته في حي لفت بانك (Left Bank) ليجد هناك رستم حيدر والدكتور أحمد قدري[7]. لم يكونوا قد رأوا بعضهم منذ أربع سنين. كان هؤلاء الثلاثة المؤسّسين الرئيسيين لجمعية العربية الفتاة القومية. وفي حين أن حيدر وقدري عادا إلى سوريا، بقي عبد الهادي يتابع دراسته في باريس حتى أكملها في آب/ أغسطس 1914، حين اندلعت الحرب. وبسبب عدم تمكّنه من السفر، فقد قضى سنوات الحرب في باريس يعمل في الصحافة والترجمة. كان عبد الهادي بجبهته العريضة وخُصَل شعره الغامقة يملك تلك النظرة الثاقبة التي جعلته يشبه إدغار آلان بو (Edgar Allan Poe).

كان فندق كونتيننتال بمبناه الضخم يقع على الضفة اليمنى لنهر السين، في القسم الفخم من باريس الذي كان نادرًا ما يتردّد عليه عبد الهادي. شعر عبد الهادي بالرهبة عند لقائه الأمير فيصل، البطل الأسطوري للثورة العربية. ولكن الأمير فيصل سرعان ما تجاوز الجانب الرسمي وسأل فورًا عبد الهادي أن يقدّم له عرضًا ملخصًا عن السياسة الفرنسية. وفي عرضه هذا حذّر عبد الهادي الأمير فيصل من أن الصحافة الفرنسية قد تمكنت من إقناع الرأي العام بأن العرب متخلّفون، ولذلك على فرنسا أن تستعمر سوريا.

---

(6) حيدر، ص 205.

(7) عوني عبد الهادي، **مذكرات عوني عبد الهادي**، تحقيق خيرية قاسمية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002)، ص47-48؛ أحمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** (دمشق: ابن زيدون، 1956)، ص 95-96.

وكما جاء في مذكرات عبد الهادي: "قاطعني سموّه وقال: ولكني أظنّ أن موقف فرنسا هذا من البلاد العربية قد تغيّر بعد أن خاض العربُ الحرب معها في سبيل استقلال بلاده. فقلت لسموّه: ولكن أخشى ألا يكون في مقدور فرنسا نفسها التخلي عن سياستها الاستعمارية. والسبب في ذلك هو أن فرنسا فقيرة بالرجال بينما جارتها ألمانيا غنية بالرجال"[8]. كان عبد الهادي يشير هنا إلى حقيقة أن فرنسا كانت تحتاج إلى أن تعتمد على قوات مستعمراتها كي تهزم الألمان. وقد أصبحت تلك الحقيقة الآن، تستقطب حتى المعادين للاستعمار بمن فيهم جورج كليمنصو.

ولكن ما لم يكن يعرفه أعضاء الوفد السوري هو أن كليمنصو ورئيس الوزراء البريطاني لويد جورج كانا قد دبّرا اللعبة الدبلوماسية ضدهم. فقد كان الزعيمان الفرنسي والبريطاني قد اجتمعا بشكل سري في السفارة الفرنسية بلندن في 1 كانون الأول/ ديسمبر 1918، أي قبل أن يصل الرئيس ولسون. وفي تحدّ واضح للنقطة الأولى من النقاط الـ 14، التي تلغي المعاهدات السرية لصالح الشفافية، اتفقا على تقاسم المنتصرين أوصال الدولة العثمانية المهزومة. (من المحتمل أن لورنس كان يشكّ في صفقة كهذه ولذلك فقد تبع الأمير فيصل إلى باريس).

في هذا اللقاء وعد لويد جورج كليمنصو باحترام اتفاقية سايكس بيكو السرية لعام 1916، ولكن مع بعض التعديلات. وبشكل خاص اقترح أن تُضمّ ولاية الموصل إلى ولايتي بغداد والبصرة العثمانيتين اللتين كانت تحتلهما بريطانيا. كان البريطانيون يتوقعون وجود آبار نفط في أراضي الموصل، وكانوا في حاجة ماسة إلى النفط. كما اقترح لويد جورج أن تستعيد بريطانيا حكم فلسطين على الرغم من أنّ اتفاقية سايكس بيكو تركتها لإدارة دولية. كان على بريطانيا أن تحافظ على وعد بلفور بدعم الصهيونيين لتأسيس وطن قومي لهم في فلسطين.

لم يكن كليمنصو معنيًّا كثيرًا بالأراضي العربية، لأن ألمانيا كانت تشغله أكثر. ولكن الصحف الباريسية كانت مشحونة بالغضب لكون بريطانيا قد تفوز بكل غنائم الحرب في الشرق الأوسط. ولذلك ردّ على اقتراح لويد جورج بمقايضة:

---

(8) عبد الهادي، ص 50.

أن تقوم فرنسا باستعمار لبنان وسوريا مقابل احتلال بريطانيا العراق وفلسطين. كما أنه طالب بحصة من النفط المستخرج من الموصل، لأنّ فرنسا أيضًا عانت بشكل خطير من نقص النفط خلال الحرب. فقد بدأت الحرب العظمى بسلاح الفرسان ولكنها انتهت بالانتصار بفضل محركات الاحتراق الداخلي التي كانت تشغّل الدبابات والسفن والطائرات. كان الاتفاق الذي تمّ التوصل إليه في 1 كانون الأول/ ديسمبر 1918 قد أطلق بدوره سياسة النفط، التي لا تزال تحكم الشؤون الدولية في الشرق الأوسط[9].

إلا أن الاتفاق كان يتعارض مع التصريح الإنكليزي-الفرنسي الصادر في 7 تشرين الثاني/ نوفمبر 1918، الذي وعدت فيه بريطانيا وفرنسا العرب بإقامة "حكومات أهلية" يختارونها بحرية بأنفسهم[10]. وكان الأمير فيصل قد أشاد بهذا التصريح في خطابه بحلب، لأنه بدا له تأكيدًا لوعود بريطانيا في 1915 لوالده بدولة عربية مستقلة، جنبًا إلى جنب مع وعد [بلفور] للصهيونيين في 1917. وعندما التقى الأمير فيصل مستشاريه في فندق، اعتقد أن مؤتمر الصلح سيسير بحسب رؤية ولسون عن المعاهدات العلنية.

كانت الصفقة المزدوجة بين كليمنصو ولويد جورج تحرّكها في الدرجة الأولى حاجتهما المشتركة إلى النفط، وفي الدرجة الثانية إرضاء الرأي العام في فرنسا وبريطانيا. وحتى الحشود التي خرجت لاستقبال الرئيس ولسون كانت تطالب أيضًا بالانتقام والتعويضات عن المعاناة التي مرّت بها خلال الحرب. فقد أرسل الآلاف من الفرنسيين رسائل إلى الرئيس ولسون تطالبه بمعاقبة الألمان[11]. وكان لويد جورج قد أُعيد انتخابه في كانون الأول/ ديسمبر 1918 بفضل وعده في الحملة

(9) David Lloyd George, *Memoirs of the Peace Conference*, vol. II (1939, reprint New York: Howard Fertig, 1972), p. 705; Daniel Yergin, *The Prize: The Epic Quest for Oil, Money, and Power* (New York: Free Press, 2009; [1991]), pp. 168-189.

(10) Allawi, pp. 182-183; "Anglo-French Joint Statement of Aims in Syria and Mesopotamia," accessed on 9/3/2016, at: https://bit.ly/39I5Mnj

(11) Carl Bouchard, *Cher Monsieur le Président* (Ceyzerieu: Champ Vallon, 2015), pp. 104-105, 213-248.

الانتخابية "على ألمانيا أن تدفع"[12]. كما أن المواطنين الفرنسيين والبريطانيين طالبوا بتعويضات ملموسة مقابل الملايين الذين ماتوا خلال الحرب. وهكذا لم يكن بوسع الحكام مع خزائنهم الفارغة سوى أن يعرضوا عليهم أراضيَ مستعمَرة. وقبل عام من ذلك كان لويد جورج قد اعتبر احتلال القدس هدية عيد الميلاد للشعب البريطاني. وكان كليمنصو يعرف أن مواطنيه سيطالبونه بمكاسب مماثلة.

أصبح الأمير فيصل بدوره يقدّر أهمية الرأي العام. ففي مؤتمرات الصلح الأوروبية السابقة - في فيينا عام 1815 وبرلين عام 1878 - كان الأرستقراطيون يجتمعون بشكل سري لرسم خريطة جديدة للعالم. أما الآن فقد أصبحوا يحضرون احتفاليات ومؤتمرات صحفية لأجل مواطنيهم. ولو كانت اللعبة الدبلوماسية تجري الآن وراء أبواب الصالونات الباريسية المغلقة، لما كان العرب ليفوزوا بشيء. ولذلك فقد قامت استراتيجية الأمير فيصل ومستشاريه على التأكيد بشكل علني لدعوة الرئيس ولسون إلى رضى الشعوب بمن يحكمها. وهكذا فقد شجّعوا المجموعات السورية-الأميركية المقيمة في الطرف المقابل للأطلسي أن ترسل عرائض إلى البيت الأبيض تطالب بالاستقلال. فقد كان من الممكن في حالة وجود دليل على تأييد شعبي أن يقتنع الرئيس ولسون بإرسال لجنة تحقيق إلى سوريا، وأن يقوّض بذلك مطالب فرنسا العاطفية بالصلات التاريخية لها [مع سوريا].

كان الأمير فيصل يضع في استراتيجيّته كسب الرأي العام الفرنسي، فأخذ بنصيحة لورنس بتعمّد ارتداء اللباس العربي المزخرف مع الحطّة، وهو ما لفت إليه أكثر الصحافة وحتى إعجاب السيدات الباريسيات، إذا صدّقنا ما يقوله حيدر. ومن هذه السيدات كانت كونتيسة دو كلرمان (Comtesse de Kellermann) تدعوه باستمرار إلى الغداء وتعرّفه إلى الطبقة العليا في المجتمع[13]. كما أن الأمير فيصل ورستم حيدر كانا يظهران على الجمهور في المسرح وفي دار الأوبرا الباريسية الفخمة.

---

(12) "Guilt of the Kaiser. Germany Must Pay," *The Times*, 30/11/1918, p. 9.

(13) حيدر، ص 219؛

Allawi, pp. 173, 206-207.

وبعد أن تكشّفت مسرحية صنع السلام، أخذ الحضور العربي يجاهر في خلافه مع سيناريو القوى العظمى. وكما كان الرئيس ولسون يخشى حين صاغ قبل سنة النقطة الخامسة من النقاط الـ 14، فإنّ "الاستعمار كان المسار الثالث للسياسة العالمية"[14]. ففي حين سارت المفاوضات بسهولة حول شعوب المستعمرات الألمانية السابقة أو مصر تحت الحماية البريطانية، فقد أثار الاقتراح بوضع الحلفاء العرب تحت الحكم الاستعماري، وهم الذين كانوا مواطنين يتمتعون بالسيادة في الدولة العثمانية، نقاشًا ناريًّا يشبه ما أثاره الخلاف حول التعويضات الألمانية. ومع أن الرئيس ولسون كان يحتفظ في العلن بعلاقات ودية مع بريطانيا وفرنسا، إلا أنه كان يعبّر خلف الأبواب المغلقة عن رغبته في هزّ ومواجهة العنصريين الذين ينوون تحقيق مكاسب إمبريالية.

## افتتاح بارد لمؤتمر السلام في باريس

بعد وصوله إلى باريس أخذ الأمير فيصل موعدًا للقاء كليمنصو. كان رئيس الوزراء الفرنسي، المعروف بلقب "أبو النصر"، يتولى أيضًا وزارة الحرب. وقد عقد الأمير فيصل لقاء معه في وزارة الحرب صباح 11 كانون الثاني/ يناير برفقة عوني عبد الهادي[15].

عندما دخلا إلى مكتبه المظلم وغير المرتّب، أدركا بسرعة أن رئيس الوزراء مشغول بالشؤون الداخلية. كان مواطنوه يعانون من البرد الشديد هذا الشتاء بسبب نقص الوقود والغذاء. وكان هناك خمسة ملايين جندي على وشك التسريح من الجيش، وكل هؤلاء يحتاجون إلى عمل[16]. وقبل كُلّ شيء كان على كليمنصو أن يشفيَ روح فرنسا الجريحة. كان الفرنسيون قد خرجوا من "نصر حزين" بعد أن عانوا الكثير خلال أربع سنوات من الاحتلال الألماني وخسروا 1.3 مليون

(14) Trygve Throntveit, *Power without Victory: Woodrow Wilson and the American Internationalist Experiment* (Chicago: University of Chicago Press, 2017), p. 254.

(15) عبد الهادي، ص 61.

(16) Bruno Cabanes, *La victoire endeuillée* (Paris: Éditions du Seuil, 2004), pp. 36-70, 277-358; Leonard V. Smith et al., *France and the Great War 1914-1918* (New York: Cambridge University Press, 2003), pp. 159-165.

قتيل. فقبل ستة شهور فقط من نهاية الحرب كان الجيش الألماني قد اقترب بما فيه الكفاية لقصف باريس بـ"مدفع الإمبراطور فلهلم" الضخم(17). في ذلك الصباح كان كليمنصو يخطّط لانتقام جميل. كان عليه أن يفتتح مؤتمر الصلح في 18 كانون الثاني/ يناير 1919، أي في اليوم نفسه الذي قام فيه الألمان قبل 48 عامًا بتتويج ملكهم فلهلم الأول في قصر فرساي. كما أن تسوية الصلح في عام 1919 ستعكس أيضًا ذلك الإذلال للألمان(18).

ولذلك جعل كليمنصو لقاءه الأول مع الأمير فيصل قصيرًا. رحّب بحرارة بالأمير ولكن أكّد له بغموض أن الحكومة الفرنسية ستساعد على تحرّر العرب كما وعدت في تصريح 7 تشرين الثاني/ نوفمبر 1918. وبتفاؤله المعتاد كتب فيصل إلى أخيه زيد عن لقائه مع "الرجل الفرنسي العظيم". إلا أن حيدر رستم [رستم حيدر] في مذكراته عبّر بتشاؤم أكثر عن شكوكه حول كليمنصو قائلًا: "ما الذي ينويه فعلًا للعرب؟"(19).

استمر هذا المزاج الجيد للأمير فيصل أيامًا أخرى، إلى أن تواصل مع وزارة الخارجية الفرنسية حول حضور مؤتمر الصلح وقابل هناك جان غو (Jean Gout) مساعد مدير الشؤون الآسيوية. كان غو بيروقراطيًّا فظًّا، يضع نظارة بزجاجة واحدة ويتكلم بوقاحة. قال إنه لا مكان للعرب على طاولة مؤتمر الصلح، لأن مملكة الحجاز لم تكن ضمن قائمة الدول التي ستشارك في المؤتمر. ذعر الأمير فيصل وأرسل رجاله ليبحثوا عن لورنس في باريس.

في تلك الليلة لم يتمكن رستم حيدر من النوم وكذلك الأمير فيصل. وصل لورنس في الساعة الثانية بعد منتصف الليل ليجد الأمير يتمشى في ممرات الفندق. وبعد ظهر اليوم التالي، أي بعد أقل من 24 ساعة، عاد لورنس حاملًا

---

(17) "مدفع الإمبراطور فلهلم" أو "مدفع باريس" أُطلق على أحدث وأكبر مدفع ألماني صنع في آذار/ مارس 1918، وكان في إمكانه أن يطلق قنبلة بوزن 106 كلغ على بعد يصل إلى 130كم. (المترجم)

(18) Gregor Dallas, *At the Heart of a Tiger: Clemenceau and His World 1841-1929* (New York: Carroll and Graf, 1993), pp. 79-189, 501-539, 560-563; Sylvie Brodziak, *Clemenceau* (Saint-Denis: Presses Universitaires de Vincennes, 2015), pp. 66-77.

(19) حيدر، ص 214؛
Gérard D. Khoury, *La France et l'Orient arabe: Naissance du Liban moderne, 1914-1920* (Paris: Albin Michel, 2009), p. 173.

أخبارًا سارّة: تمكّن بلفور من ضمان الموافقة الفرنسية على مقعدين في المؤتمر لتمثيل الشريف حسين ملك الحجاز. كان على الأمير فيصل أن يمثل والده لأنّ سوريا لم تكن قد حظيت بالاعتراف بها دولة مستقلة. وهكذا أعلن الأمير فيصل بابتهاج "العرب سيحضرون"[20].

افتتح المؤتمر رسميًّا في اليوم التالي، أي في 18 كانون الثاني/ يناير 1919. قبيل الساعة الثالثة وصل الرئيس ولسون إلى وزارة الخارجية الفرنسية في سيارة كبيرة. رفع قبعته وابتسم للحشد، وسط الترحيب به بفرقة موسيقية من الأبواق والطبول[21]. كان المطر يتساقط ولكن هذا لم يمنع الناس من البقاء لتحية الرئيس. ومع مجيء المزيد من الوفود، توجه الجميع إلى قاعة الساعة، التي سُمّيت كذلك بسبب الساعة المزخرفة الموضوعة فوق موقد النار الضخم المصنوع من الرخام. كانت الستائر الحمراء وثريات الكريستال الضخمة تساعد في تدفئة القاعة. تحت الساعة، جلس كليمنصو وإلى جانبه ولسون ولويد جورج. حيّا الأمير فيصل وزير الخارجية البريطاني بلفور ووزير الخارجية الفرنسي بيشون (Pichon) ثم جلس مع حيدر في مقعديهما المحددين على طاولة المؤتمر على شكل U، بين وفدي غواتيمالا وليبيريا[22].

رحّب الرئيس الفرنسي ريمون بوانكاريه بممثلي "الحكومات والشعوب الحرة" طالبًا منهم أن ينصتوا "إلى العدالة فقط"، أي تعويض الشعوب المنكوبة و"معاقبة المذنب". وبذلك وجّه بوانكاريه أول رسالة فرنسية إلى المؤتمر بأن يحدّد مهمته بدقة، لتحقيق أي تسوية عسكرية في أوروبا.

تصدّى الرئيس ولسون لما ورد في كلمة بوانكاريه بترشيح كليمنصو لرئاسة المؤتمر أولًا، ثم بإعادة تحديد مهمة المؤتمر ثانيًا. بدأ ولسون خطابه بالقول

---

(20) حيدر، ص 216؛
T. E. Lawrence, *Diary of the Peace Conference*, fragment from January 1919, accessed on 1/10/2015, at: https://bit.ly/3G7XWQ3

بخصوص ظهور غوت، يُنظر:
CURBML, William Linn Westermann's diary of the peace conference, 37.

(21) James T. Shotwell, *At the Paris Peace Conference* (New York: Macmillan, 1937), p. 126.

(22) Erez Manela, *The Wilsonian Moment* (New York: Oxford University Press, 2007), p. 58.

إنّ الشعوب اجتمعت في الحقيقة بباريس لأنّ "بعضٌ من أكثر معاناة الحرب التراجيدية" حدثت في فرنسا. ولكن باريس أيضًا، كما تابع ولسون، هي عاصمة عالمية، وأن هذا المؤتمر حدث عالمي غير مسبوق: "إنه المؤتمر الأسمى في تاريخ البشرية، حيث إن الكثير من الشعوب تتمثل هنا أكثر مما تمثلت في أي مؤتمر في الماضي، وأن مصائر كل الشعوب حاضرة". ولذلك فإنّ هذا المؤتمر، بحسب ولسون، يجب أن يتجاوز الشؤون العسكرية كي يقوم بإصلاح عالمي للعلاقات الدولية.

كان خطاب كليمنصو يجمع بين التصالح والغموض. فالمؤتمر، كما وعد في خطابه، لن ينشغل فقط في إصلاح الدمار المادي الذي خلّفته الحرب، بل سيقوم بـ"أنبل وأسمى إصلاح" ألا وهو تحرير الشعوب من العَسْكرة (militarism) والحزن والرعب: "كل شيء يجب أن يوفّر لأجل الحاجة إلى مزيد من الاتحاد بين الشعوب التي شاركت في الحرب العظمى. لدينا الآن عصبة الأمم. إنها بين أيديكم الآن، إنها لكم كي تجعلوها حيّة"[23].

لم يهتم رستم حيدر بتدوين هذه الادّعاءات في مذكراته. اكتفى بوصف ذلك بأنه "جو ظالم" تعبيرًا عن انزعاجه من سيطرة الأوروبيين الغربيين على سير أعمال المؤتمر. فقد تحدثوا عن معاقبة القيصر الألماني فلهلم، ولكنهم لم يذكروا مجرمي الحرب العثمانيين، كما لم يرد هناك ذكر لحقوق الشعوب الصغيرة.

كان العرب يعتقدون أن مطالبهم لا بد أن تُطرح، في الأقل، إلى جانب مطالب تلك الشعوب التي تحررت مع انهيار الإمبراطورية النمساوية-المجرية. وكما هو الأمر مع فيصل، فقد وجد زعماء أوروبا الشرقية طريقهم إلى باريس في ذلك الشتاء لاقتراح إقامة دول قومية جديدة. وكان بعض هؤلاء، مثل الزعيم التشيكي توماس مازاريك (Tomáš Masaryk)، قد حصلوا على اعتراف دولي بدولهم. وكانت بولونيا أعلنت استقلالها في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 1918، أي حين كان المعسكران المتنافسان لا يزالان يتقاتلان للسيطرة عليها. وفي الأسابيع الأخيرة من عام 1918

(23) Arthur S. Link (ed.), *The Papers of Woodrow Wilson*, vol. 54 (Princeton: Princeton University Press, 1986), pp. 126-132.

عقد سلاف الجنوب أو اليوغسلاف مجلسًا لتأسيس مملكة يوغسلافيا[24]. كما أن الرومانيين أعلنوا عن تأسيس رومانيا الكبرى بعد أن ضمّوا إليها منطقة ترانسلفانيا من المجر المهزومة.

ولكن أصبح واضحًا الآن أن المدافع، وليس الحقوق، هي التي تحدد وضعية الأمم. فقد حصل الأوروبيون الشرقيون على مقاعدهم حول طاولة المؤتمر بعد أن خلقوا حقائق جديدة على الأرض بفضل الجيوش الرديفة[25]. أما العرب فقد كان لديهم القليل من الأمل للحصول على قوتهم العسكرية، لأنّ المحتلين البريطانيين والفرنسيين حدّوا من جهودهم لتوسيع الجيش العربي. كانت الشعوب الأخرى للدولة العثمانية المهزومة كالأتراك والأرمن والأكراد غائبة أيضًا عن طاولة المفاوضات، كما كانت غائبة معظم المستعمرات الأفريقية، وحتى تلك التي زوّدت جيوش الحلفاء بآلاف الجنود.

كانت الصحافة الفرنسية تزعم أنّ السوريين لا يستحقون أن تكون لهم دولة كالبولونيين والتشيك. وحول هذا اشتكى الأمير فيصل لوالده في اليوم التالي لافتتاح المؤتمر من أن الصحف الفرنسية "تذكر للشعب بأن العرب متخلفون وغير متمدّنين"[26]. ومع أن الحجاز كان دولة ذات سيادة من الناحية الفنية، إلا أن مواطنيه العرب كانوا يعتبرون من عرق أدنى، ولذلك يستحقون الاستعمار.

أدرك وفد الحجاز بسرعة أنّ مطالب العرب السوريين بالاستقلال تهدّد الحكم الاستعماري في مكان آخر. فكيف يمكن لفرنسا أن تسمح للأمير فيصل بالحديث عن الاستقلال في الوقت الذي حُرم فيه عرب شمال أفريقيا من صوت لهم في المؤتمر، وهم الذين حاربوا في الخنادق الفرنسية؟ كما أن البريطانيين لم يسمحوا لوفد مصري بالسفر إلى باريس، مع أن أكثر من مليون مصري شاركوا

---

(24) في 1/ 12/ 1918 أُعلن عن تأسيس "مملكة الصرب والكروات والسلوفين"، التي تحوّل اسمها إلى "مملكة يوغسلافيا" في عام 1929 لتمثل المكونات القومية الأخرى. (المترجم)

(25) Aviel Roshwald, *Ethnic Nationalism and the Fall of Empires* (New York: Routledge, 2001), pp. 157-172.

(26) Allawi, p. 197.

في الحرب بأعمال السخرة. وقد زعم وزير الخارجية بلفور بشكل يدعو إلى السخرية، أن سعد زغلول، الزعيم الوطني المصري والوزير السابق، إنما هو بلشفي يتلقّى المال من موسكو لتأجيج الجهاد[27].

في هذا الجو كان انحياز وتقارب الأمير فيصل مع الأميركيين عملًا ثوريًّا ومتهورًا. فقد وصف بعض المؤرخين لاحقًا هذا العمل بأنه تصرف غبي. كان الرئيس ولسون يقود العالم إلى "أرض مجهولة" بدعوته إلى صلح دون توسّع دول على حساب دول وإلى حق الشعوب في اختيار حكامها. فقد رأى الدبلوماسيون البريطانيون والفرنسيون في اقتراحات ولسون أكثر من تهديد للإمبراطورية [البريطانية والفرنسية]، باعتبارها ستضيف تعقيدات غير مرحب بها على أجندة صنع السلام المعقدة في الأصل[28]. والأكثر من هذا أن الأميركيين لم يكونوا أقوياء بما يكفي لتغيير قواعد اللعبة الإمبريالية. وكان ولسون قد خسر الأغلبية في الكونغرس الأميركي خلال انتخابات تشرين الثاني/ نوفمبر 1918، ولم يكن يدرك كيف يسيطر على القوة المالية الأميركية لصالحه. ولذلك فإن المؤرخين السابقين لمؤتمر الصلح رأوا أن أفضل فرصة للأمير فيصل كانت في التوصّل إلى حلّ وسط مع كليمنصو حول شكل محدود من النفوذ الفرنسي في سوريا[29].

إلا أن هؤلاء المؤرخين يتجاهلون فيض الأحداث في كانون الثاني/ يناير 1919. فقد رأى هؤلاء المؤتمر بالاستناد إلى معرفة استعادية لنتائجه والاقتصار بشكل أساسي على الوثائق التي خلّفها المسؤولون الأوروبيون. وبعبارة أخرى، لم يقدّر هؤلاء منظور أولئك الذين خبروا اللعبة كما تكشّفت. فقد تصرّف الأمير فيصل كغيره من مئات أعضاء الوفود الذين جاؤوا إلى باريس ذلك الشتاء كي يجعلوا صوتهم مسموعًا ومطالبهم محسوسة. لم يكن المؤتمر مقتصرًا على عدد

---

(27) Manela, pp. 72, 145.

(28) Margaret MacMillan, *Paris 1919: Six Months That Changed the World* (New York: Random House, 2001), pp. 21-22.

(29) Adam Tooze, *The Deluge: The Great War, America and the Remaking of the Global Order, 1916-1931* (New York: Viking, 2014), pp. 14-30; Thomas J. Knock, *To End All Wars: Woodrow Wilson and the Quest for a New World Order* (Princeton: Princeton University Press, 1992), pp. 227-245; Khoury, pp. 176-177, 185-186.

من الرجال في قاعة واحدة. لقد كان ثورة تحدث في عقول الشعب في باريس وفي العالم. كان البولونيون والتشيك قد كسبوا الاعتراف بدولتهم. وهكذا، بتأثير حماسي من الثورة البلشفية التي اندلعت قبل سنة في سان بطرسبرغ، جاء الآن ممثلو الشعوب الصغيرة والمضطهدة ليقلبوا العالم رأسًا على عقب في باريس. وحتى الرئيس الرزين ولسون أعلن في يوم افتتاح المؤتمر في 18 كانون الثاني/ يناير 1919 بأنه "أسمى مؤتمر في تاريخ البشرية".

كان للحماسة الجماهيرية للرئيس الأميركي تأثيرها في جعل تغيير العالم يبدو معقولًا. فقد أشاد الاشتراكيون في أرجاء أوروبا بالرئيس ولسون لوعوده في العدالة الاقتصادية كبديل ليبرالي للبلاشفة. وتواصلت النساء أيضًا مع ولسون لتمكينهن من المشاركة في المؤتمر وفي الانتخابات في بلادهن. كما أن غير الأوروبيين عملوا بفعالية ضد جهود القوى العظمى لتهميشهم. وكذلك بالنسبة إلى كلّ هؤلاء كان يبدو مسألة مبدئية، وليست غبية، تسخير الشعبية الهائلة لولسون خلال شتاء (1918-1919) لأجل مشاريعهم في بناء نظام عالمي جديد يقوم على المساواة والحقوق والقانون[30].

في مثل هذا الجو رأى الأمير فيصل أنه من المنطقي أن يختار ما هو أخطر على أن يقبل بالحل الوسط. فقد كان للأمير ومستشاريه سبب وجيه للثقة بالرئيس الأميركي. كان هؤلاء مثل رستم حيدر معجبين بكتاب الرئيس **الدولة** ووعوده التي أطلقها حول حق كل الشعوب في إقامة حكم ديمقراطي مناسب لحاجاتها[31]. ولذلك فقد تبنى الأمير ومستشاروه استراتيجية التمسك بالنقاط الـ 14 لولسون، وخاصة النقطة الخامسة التي تدعو إلى "تعديل منفتح ونزيه تمامًا لجميع المطالب الاستعمارية"، وإلى النقطة الثانية عشرة التي تضمن "التطور الذاتي" للشعوب غير التركية في الدولة العثمانية[32].

---

(30) Manela, p. 13.

(31) حيدر، ص 120؛
Woodrow Wilson, *The State: Elements of Historical and Practical Politics* (Boston: D. C. Heath, 1898), pp. 463-467, 555-571.

(32) Manela, p. 40.

## التودّد إلى الوفد الأميركي

بعد يومين من احتفالية قاعة الساعة، أي في 20 كانون الثاني/ يناير 1919، شارك الأمير فيصل ولورنس في عشاء غير رسمي مع الوفد الأميركي لمؤتمر الصلح. أثار الأمير إعجاب الأميركيين. كان أحد الحاضرين جيمس شوتوِل (James Shotwell) الأستاذ في جامعة كولومبيا، الذي كتب عنه قائلًا: "كان وجهه من أكثر الوجوه جاذبية من تلك التي رأيتها، جميل التقاطيع، مع عينين واضحتين غامقتين كانتا تلفتان نظرنا بكونهما لإنسان يحتفظ بحسّ الدعابة التي لا تقاوم، مع أنه واجه الأخطار في سنوات عديدة... كان حفيد [الرسول] محمد يلقي النكات طيلة الأمسية خلال طرحه لأهم الأدلة عن القضية العربية"[33].

أما وليام وسترمان (William Westermann) أستاذ التاريخ القديم في جامعة وسكونسن فقد كتب عنه: "إنه رجل مثير للاهتمام فعلًا. لقد جعلني أتغيّر"[34]. وفي اليوم التالي أخبر وسترمان الرئيس ولسون عن اقتراح فيصل بإرسال لجنة تحقيق إلى سوريا. وحتى وزير الخارجية روبرت لانسينغ لم يقصّر في مدح الأمير فيصل: "لا يمكن لأي شخص ينظر إلى الأمير فيصل من دون أن تنتابه المشاعر العفوية في أنه ذلك الرجل الذي اختارته الطبيعة ليكون قائدًا للرجال، الرجل الذي يستحق أن يكون قائدًا للرجال"[35].

إلا أن العقبات التي كانت تحول دون لقائه الرئيس ولسون كانت كبيرة. كانت مكاتب الوفد الأميركي في فندق دو كريون، حول الزاوية من ناحية فندق كونتيننتال، غارقة بالبرقيات والمناشدات من كل أنحاء العالم. كان الحرّاس يعيدون كلّ من يرجو شيئًا من الأبواب. كان ولسون يلتقي زوارًا مختارين خلال أمسيات الأسبوع في مقرّ إقامته الذي يقع على بعد ميل في قصر مُراد، والذي قدّمته له أسرة

---

(33) James T. Shotwell, *At the Paris Peace Conference* (New York: Macmillan, 1937), pp. 130-131.

(34) ورد الاستشهاد في:
Andrew Patrick, *America's Forgotten Middle East Initiative: The King-Crane Commission of 1919* (New York: I. B. Tauris, 2015), p. 33.

(35) Robert Lansing, *The Big Four and Others of the Peace Conference* (Boston: Houghton Mifflin, 1921), p. 163.

أرستقراطية. وفي 12 كانون الثاني/ يناير 1919 تمكن لورنس بشهرته وصلاته مع المسؤولين البريطانيين من التواصل مع الجنرال تاسكر هـ. بليس (Tasker H. Bliss)، المندوب الأميركي إلى مجلس الحرب الأعلى، ودعوته إلى العشاء في فندق ماجستيك، حيث يقيم الوفد البريطاني، إلا أن الجنرال رفض الدعوة[36].

نجح لورنس في أن يؤمن لقاء لفيصل مع ستيفن بونسُل حارس الرئيس ولسون. استمع بونسُل إلى الأمير فيصل ولورنس وهما يعرضان قضيتهما، ولكنه رأى أن بلاغتهما راديكالية كثيرًا بالنسبة إلى الرئيس. أكّد الأمير فيصل أن العرب لا ينوون إعلان الجهاد: "إنّ تحالفنا مع الغرب يُظهر أن هذه الحرب ليست ضد ديننا بل لحمايته، ولذلك فإنّ صرخات الأتراك للجهاد لم تؤدّ إلى شيء". رجا الأمير فيصل بونسُل ألا يصغي إلى "أولئك الذين يقولون إنه يجب أن نميِّز من الآخرين لأننا شعب صعب المراس وهمجي غير قادر على أن يحكم نفسه". تابع فيصل قائلًا: "إنني واثق من أنه حتى الفئات الأقل حظًّا من جنسنا قادرة على القيام بهذه المهمة كما كان الأمر مع اليونان والصرب والبلغار قبل عدة عقود"[37].

ولكن الوصول إلى الرئيس ولسون في قصر مُراد تحقق أخيرًا بفضل الحاخام الأميركي ستيفن وايز (Stephen Wise). كان وايز من الزعماء البارزين لليهود في أميركا ومن المؤيدين للرئيس ولسون، ومن أصدقاء لويس برانديز (Louis Brandeis) عضو المحكمة العليا [في أميركا] والمؤيد للصهيونية. كان وايز تقدميًّا، يرأس الكنيست الحرّ في نيويورك ويدعم النقابات، وشارك في تأسيس الرابطة الوطنية لتمكين الملونين National Association for the Advancement of Colored People (NAACP)). كان من مؤيدي عصبة الأمم وحق الإيرلنديين في دولة لهم، كما وأيد قضية المضطهدين اليهود تحت حكم الإمبراطوريتين النمساوية-المجرية والروسية. ومن هنا كان يعتبر الصهيونية حركة ديمقراطية وتقدمية، وجاء

(36) Library of Congress Manuscript Division, Curtis to Bliss, January 12, 1919, and Lawrence to Bliss, January 22, 1919, in Tasker H. Bliss Papers, Box 232.

(37) Stephen Bonsal, *Suitors and Suppliants: The Little Nations at Versailles* (New York: Prentice-Hall, 1946), pp. 37-38.

إلى أوروبا ليؤكد أن يهود روسيا وأوروبا الشرقية الفقراء سيجدون الأمن في وطنهم الخاص بفلسطين. وكان وايز نفسه من مواليد بودابست[38].

كان الأمير فيصل قد التقى وايز قبل أسابيع في حفل بلندن أقامه على شرفه اللورد روتشيلد. كان حديثهما تلك الليلة واحدًا من النقاشات التي أجراها الأمير فيصل ولورنس مع الصهيونيين ضمن آفاق التعايش بين العرب واليهود في فلسطين. وقبل مغادرته لندن كان الأمير فيصل قد وقّع على مذكرة تفاهم مع الزعيم الصهيوني البريطاني حاييم وايزمان. وقد تضمّنت هذه المذكرة الترحيب بهجرة اليهود إلى فلسطين، باعتبارها جزءًا من سوريا، شرط أن يعيش اليهود ضمن دولة عربية مستقلة[39]. كانت تلك الفترة شهر عسل، حين بدا أن السلام بين اليهود والعرب ممكن في فلسطين. ومقابل توقيع الأمير فيصل على المذكرة عرض الصهيونيون الترويج للاستقلال العربي. ومع توقيعه على المذكرة أضاف الأمير فيصل هامشًا يؤكد فيه أنه يعتبر هذه المذكرة ملغاة إذا لم تتحقّق للعرب دولتهم.

في مثل هذا الجو من الدعم المتبادل، عرض وايز بحماسة أن يساعد الأمير فيصل على أن يوصل التماسه إلى الرئيس ولسون. كان وايز قد رتّب سابقًا لقاء بين صديقه توماس مازاريك رئيس تشيكوسلوفاكيا والرئيس ولسون. بعد هذا اللقاء اعترف الرئيس ولسون باستقلال التشيك، فهل يفعل ذلك مع العرب أيضًا؟ فقد كانت النقطة العاشرة من النقاط الـ 14 تعد شعوب الإمبراطورية النمساوية-

---

(38) Melvin I. Urofsky, *A Voice That Spoke for Justice* (Albany: State University of New York Press, 1982), pp. vii, 157-161; Carl Hermann Voss (ed.), *Stephen S. Wise, Servant of the People: Selected Letters* (Philadelphia: Jewish Publication Society of America, 1969), pp. 76-77, 84-87; Stephen Wise, *Challenging Years* (New York: G. P. Putnam's Sons, 1949), 161-201.

(39) A. James Rudin, *Pillar of Fire: A Biography of Rabbi Stephen S. Wise* (Lubbock: Texas Tech University Press, 2015), pp. 192-198; Bodleian Libraries at Weston Library, Special Collections, Oxford, original of Faisal's addendum, in Lawrence's hand, and text of Faisal-Weizmann agreement in T. E. Lawrence Oddments, MS. Eng. d3348.

أثارت المذكرة في وقت لاحق جدلًا واسعًا، حيث حُذفت نسخ من ملحق فيصل الذي يصر على شرط الحكم العربي. ينظر:

Allawi, pp. 188-189.

المجرية بـ "تطور ذاتي"، وهو الأمر الذي وعد به ولسون شعوب الدولة العثمانية في النقطة الـ 12.

في 15 كانون الثاني/ يناير 1919 كتب وايز إلى ولسون طالبًا من الرئيس تحديد موعد: "تسرّني فكرة أن الأمير فيصل ولورنس سيتاح لهما الامتياز في أن يناقشا معكم طموحات شعب الأمير للحرية، الذي قام بالكثير لأجل تحرير الشرق الأدنى من الحكم العثماني"[40]. بعد عدة أيام تلقى الأمير فيصل دعوة ودية للقاء الرئيس "بناء على مذكرة أرسلت إليه من الحاخام ستيفن ف. وايز". حدّد موعد اللقاء في الساعة 5:45 من يوم الثلاثاء 23 كانون الثاني/ يناير 1919، بين موعدين آخرين لولسون مع الرئيس السويسري ومع جورج د. هرون رئيس الحركة الإنجيلية الاجتماعية الأميركية، الذي عمل جاسوسًا خلال الحرب.

كانت النوافذ الطويلة لقصر مُراد تتوهّج عندما انعطف الأمير فيصل ولورنس نحو شارع مونسو (Monceau). مشى الاثنان نحو صالون فيكتوري الطابع مزيّن بلوحات لأرستقراطيين فرنسيين. حيّاهم الرئيس بنفس مرهق. كان الرئيس قد بلغ الثانية والستين، التي كانت ظاهرة عليه. كان المؤتمر قد بدأ لتوّه ولكنه كان يعمل كثيرًا على الرغم من أوامر الأطباء. كان قد أمضى يومًا مرهقًا من النقاش مع قادة الحلفاء حول تقليص تسليح جيوشهم. كان ولسون قد فقد مرحه السابق بسبب الضغط المتزايد عليه من جهتين: الاستمرار بالحرب حتى نهايتها والحملة الانتخابية العنيفة. كان الجمهوريون قد كسبوا الغالبية في الكونغرس. وهكذا بمرارة وجرأة أراد الرئيس المحاصر أن يسعى إلى الخلاص في أوروبا. كان قد انعزل خلال سفره في المحيط الأطلسي، متأملًا في عمله، ثم تجوّل في فرنسا وإيطاليا وإنكلترا ليشاهد الحشود المتحمسة لرؤيته عن السلام[41].

---

(40) Link (ed.), p. 90.

جاءت رسالة وايز على الأرجح بعد اجتماع مع ولسون في 14 كانون الثاني/ يناير، حيث عبّر الرئيس عن قلقه من ردة الأفعال العربية تجاه الاستيطان اليهودي في فلسطين. ينظر:

Urofsky, pp. 156-157.

(41) John Milton Cooper, Jr., *Breaking the Heart of the World: Woodrow Wilson and the Fight for the League of Nations* (New York: Cambridge University Press, 2001), pp. 24-49.

أدرك الأمير فيصل بمجرد جلوسه على مقعده في قصر مُراد أن الرئيس ولسون لم يكن منشغلًا بالشؤون العربية. كان الرئيس يخشى من أن الضغط الشعبي لتسريح الجيوش سيضعف قدرة المؤتمر على دعم شروطه. ففي صباح ذلك اليوم حاول لويد جورج أن يحوّل النقاش إلى الأمور الاستعمارية، إلا أنّ ولسون رفض ذلك. فقد أصرّ بهذه المناسبة على أن أوروبا هي المفتاح للسلام العالمي[42].

أكّد ولسون بأدب للأمير أنه سيتمسّك بمبادئه عن السلام، ولكنه رفض أن يناقش في أمور محددة ونصح الأمير قائلًا: لا تقلق مما تقرأه في الصحف. وحين توجّه الأمير فيصل ولورنس نحو الباب مغادرين سأل ولسون، بما يوحي بالشؤم، عما إذا كان الأمير فيصل قد تشاور مع السياسيين الفرنسيين حول طموحاته في سوريا. في مساء ذلك اليوم أوجز الأمير فيصل لرستم حيدر وعوني عبد الهادي ما دار من حديث. كان الأمير فيصل، كما كتب حيدر في مذكراته "غير ممنون جدًا لأنه لم يأخذ كلامًا حاسمًا من الرئيس"[43].

لم يدوّن الرئيس ولسون شيئًا عن هذا اللقاء في أوراقه. ولكن الوثائق التي تعود إلى نهاية كانون الثاني/ يناير 1919 توحي بأن الأمير فيصل حظي بمعاملة استثنائية، لأنّ سياسة ولسون كانت تتجنب لقاء رؤساء الدول. كما أنه رفض بشكل روتيني طلبات لتحديد موعد لمقابلة زعماء من الأرمن والشعوب الأخرى. إلا أن ولسون عبّر عن الاهتمام بشعوب الدولة العثمانية من خلال التأكيد على إرسال شحنات الغذاء لهم. ففي 27 كانون الثاني/ يناير 1919 عارض مدير الإغاثة الغذائية في الإدارة الأميركية هربرت هوفر (Herbert Hoover) جهود زعيم الجمهوريين في الكونغرس هنري كابوت لودج لوقف إرسال الغذاء للمسلمين. فقد ردّ ولسون في اليوم التالي ببعث برقية طالبًا فيها إرسال الغذاء إلى كل الشعوب التي تعاني من المجاعة، وأبطل بالتالي التميز بين المسلمين والمسيحيين[44].

---

(42) Link (ed.), p. 224.

(43) حيدر، ص 220. قدّم فيصل ملخصًا عن المحادثة في قصر مراد إلى حيدر، بينما لم يحتفظ ولسون بسجل مدون لها.

(44) Library of Congress Manuscript Division, Woodrow Wilson Papers, Peace Conference Correspondence 1918-1920, Wilson to Nubar, January 23, 1919, doc. 7917, and Nubar to Wilson, January 29, doc. 8659; Polk to Wilson on Senate food bill for Syrians and "other Christians," January 24, =

وإضافةً إلى الحاخام وايز فقد تدخّل أيضًا بعض أصدقاء الرئيس لأجل السوريين. وكان من أهم هؤلاء الدكتور هوارد س. بليس (الذي لا يرتبط بقرابة مع الجنرال تاسكر بليس) رئيس الكلية البروتستانية السورية في بيروت. كان الدكتور بليس المولود في لبنان ابن مؤسس الكلية. تخرّج بليس الابن في كلية أمهرست (Amherst) وبعد أن سيم قسيسًا قام بتعديل مناهج الكلية ضمن الخط الليبرالي التقدمي الذي يشارك فيه ولسون. كان ولسون، باعتباره ابنًا لقسيس مشيخي (Presbyterian)، يؤيد المهمة التعليمية التي يقوم بها الدكتور بليس. كان الدكتور بليس أيضًا متزوجًا من ابنة أحد أقدم أصدقاء ولسون، وأحد أكبر المؤيدين السياسيين له، ألا وهو كليفلاند دودج (Cleveland Dodge) رئيس مجلس أمناء الكلية البروتستانتية السورية في نيويورك. كان لودج أيضًا نائب رئيس تكتل التعدين وسكك الحديد، وساهم في عام 1916 بتمويل الحملة الانتخابية لولسون. وخلال الحرب دعم ولسون جهود لودج لتوزيع مساعدات الإغاثة للاجئين السوريين والأميركيين. وقد طلب دودج من ولسون ألا يعلن الحرب على الدولة العثمانية خشية من أن يؤثر ذلك على توزيع الإغاثة.

في 27 كانون الثاني/ يناير 1919 كان لقاء الدكتور بليس مع الوفد الأميركي في مؤتمر الصلح لأجل دعوة لجنة تحقيق أميركية إلى سوريا. دعم الدكتور بليس بقوة الرئيس ولسون والأمير فيصل في الحاجة للتعرّف إلى آراء السوريين حول نظام الحكم المستقبلي الذي يريدونه. كان الدكتور بليس أقرب إلى ما يريده السوريون من وليام ييل، الذي وصل آنذاك إلى باريس لينضم إلى طاقم الوفد الأميركي. فقد كان الدكتور بليس الذي عاش معظم حياته في المنطقة يرى أن السوريين أذكياء ولكن تنقصهم الخبرة ويحتاجون إلى الإرشاد من قوة محايدة. وعلى العكس من ذلك استمرّ ييل في طرح نظرته المتخلفة عن الحاجة إلى ضبط المسلمين الميالين إلى العنف بطبيعتهم. ولذلك كانت نصيحته مبنية على أن "أقوام الشرق غير مناسبة وغير مستعدة للحكم الذاتي" وأن "الشرقيين لايعرفون

doc. 7992; Wilson to Cleve Dodge declining invitation to Armenian banquet, January 25, doc. 8124; = Wilson's refusal to meet Armenian delegation, January 27, doc. 8303; memo on Hoover foodstuffs appropriations for Europe and Syria, January 25; Hoover to Wilson, January 27, doc. 8348; Wilson to Carter Glass, January 28, doc. 8470. Microfilm Series 5B, reels 391-92.

معنى الحرية والعدالة"[45]. وفي حين أن الرئيس ولسون قابل شخصيًّا الدكتور بليس لا يوجد لدينا ما يشير إلى أنه قابل ييل أو قرأ شيئًا عن تقاريره. وقد انتهى الأمر بييل إلى شبك صداقة مع اللوبي الاستعماري الفرنسي.

في بداية شباط/ فبراير 1919 وصل إلى باريس تشارلز كراين (Charles R. Crane)، أحد ممولي الحملة الانتخابية لولسون، الذي كان له اهتمام بالشرق الأوسط. كان كراين رحالةً وَرِثَ ثروةً من أعمال السباكة في شيكاغو، وله صلات شخصية مع رؤساء الدول في روسيا وأوروبا الشرقية وآسيا. كان كراين من الداعمين للكلية البروتستانتية الأميركية في إسطنبول والكلية البروتستانتية الأميركية في بيروت، ومن المعارضين المتحمسين للمعاهدات السرية ومن الداعمين لرؤية ولسون عن نظام عالمي جديد.

كان كراين والحاخام وايز أعضاء في مجلس خيري توجّه بالتماس إلى الرئيس ولسون في 31 كانون الثاني/ يناير 1919 كي يحمي الشعوب الضعيفة وأن يعارض تقسيم سوريا بحسب اتفاقية سايكس بيكو. كانت اللجنة الأميركية للإغاثة في الشرق الأدنى (American Committee for Relief in the Near East (ACRNE)) قد أصابها الذعر لإمكان تقسيم الشرق الأدنى إلى مناطق نفوذ. وقد أضاف مدير اللجنة جيمس بارتُن (James Barton) قائلًا: "إنّ هذا سيكون تنازلًا كاملًا عن المثل الأميركي الأعلى"، وحتى إنه سيشكّك في كون هذا المبدأ صحيحًا. ولذلك طالبت اللجنة الأميركية للإغاثة في الشرق الأدنى من الرئيس ولسون بأن يضمن اختيار قوة "محايدة" (ليس لها مصالح) لتكون منتدبة على أراضي الدولة العثمانية السابقة، على أن يكون هذا ذا طابع مؤقت[46].

استمرّ هؤلاء الأصدقاء بدعم الرئيس عندما بدأت تخيب بهجة الحشود المستقبلة، وانتقلت المفاوضات إلى خلف الأبواب المغلقة. وكانت الأمور

(45) CURBML, Westermann Diary, January 27 and February 12, 1919; Library of Congress Manuscript Division, William Yale, "Great Britain, France and the Near East," Report 174, December 16, 1918, in U.S. American Commission to Negotiate Peace Records, Box 1.

(46) Library of Congress-Wilson, James Barton to Wilson, January 31, 1919, docs. 8841-8843.

المتعلقة بتشكيل عصبة الأمم ورسم الحدود قد انتقلت الآن إلى "مجلس العشرة"، المعروف أيضًا باسم المجلس الأعلى، الذي يضم عضوين من كل دولة من دول الوفاق: الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا واليابان.

كان ولسون مستعدًا للقتال ضد الإمبريالية، مع أنه يمثل "أقلية الصوت الواحد". وكما وصف ذلك مؤرخ بارز فإنّ "النزاع حول المستعمرات اصطدم بقوة مع عصبة الأمم، ربما أكبر من أي قضية أخرى في مؤتمر الصلح"[47].

(47) Knock, p. 213; John Milton Cooper, Jr., *Woodrow Wilson: A Biography* (New York: Alfred A. Knopf, 2009), p. 454.

# الفصل الخامس

## الميثاق والخط الملوّن الاستعماري

في 24 كانون الثاني/ يناير، أي في اليوم التالي للقائه الرئيس ولسون، تعكّر مزاج الأمير فيصل مرة أخرى مع قدوم عدوّه جان غو إلى فندق كونتيننتال. كان غو مسؤول الخارجية الفرنسية الذي حاول عرقلة حضور الأمير فيصل المؤتمر، إلا أن وزير الخارجية بلفور حال دون ذلك. كان غو عضوًا في اللوبي الاستعماري الفرنسي ومديرًا لطاقم يقدّم التقارير التي تحذّر من طموح فيصل لبناء "إمبراطورية عربية ضخمة"، والتي تصف مؤيّديه باعتبارهم ديماغوجيين ومتعصبين(1).

فوجئ الأمير فيصل باستمرار الزيارة مدة ساعتين. كان رستم حيدر يدوّن ما يدور من الحديث الذي كان يكشف عن الأسلحة البلاغية للوبي الاستعماري: "فرنسا تريد أن تضع يدها على سوريا تحت أي مسمى: الحماية، الانتداب أو الاستشارة". ويستذكر حيدر في يومياته أن "الأمير أظهر ذكاء حادًا أثار توتّر غو"(2).

بدأ غو حديثه بحجة قانونية مدّعيًا أن الأمير فيصل لا يتمتّع بمركز يخوّله

---

(1) Republic of France, Ministry of Foreign Affairs archive at La Courneuve, Papiers Jean Gout, 196 PAAP/7, reports of July 3 and 12; November 14, 18, 22, 24, and 27; December 14; and January 2, 10, and 14. Jukka Nevakivi, *Britain, France, and the Arab Middle East* (London: Athlone Press, 1969), pp. 109-110; William I. Shorrock, *French Imperialism in the Middle East* (Madison: University of Wisconsin Press, 1976), p. 7, 107; Rita Baddoura, "Chékri Ganem: Pionner et vertuose du verbe," *L'Orient Littéraire*, 3 (2013), at: https://bit.ly/3sPmZSG

(2) رستم حيدر، **مذكرات رستم حيدر**، تحقيق نجدة فتحي صفوة (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1988)، ص 225. سجّل حيدر هذا اللقاء في 28 كانون الثاني/يناير بينما جاء تاريخه لدى علوي ولورنس في 24 يناير. إن السجل المذكور للمحادثة مأخوذ من: المرجع نفسه، ص 225-228.

تمثيل سوريا. وبعد ذلك انتقل للعب بالورقة الطائفية. فقد أكد غو أنه بعد المجزرة ضد الأرمن لا يمكن لأي مسيحي أن يثق بحاكم مسلم، وأن من واجب فرنسا حماية مسيحيي سوريا. وقد ردّ عليه الأمير فيصل بذكر مبدأ ولسون عن قبول الشعب بمن يحكمه، ولذلك لا بدّ أن يتمّ استطلاع رغبة السوريين بمن يريدون أن يحكمهم. وبغض النظر عمّا يقرّره الشعب، فإن الأمير فيصل سيرحّب دومًا بالمشورة الفرنسية.

أضاف قائلًا: "إن لفرنسا مصالح معروفة في سوريا ونحن نقرّها، ولكن عليكم أن تضمنوا استقلالنا".

ردّ غو بالقول "إن فرنسا لا تريد أن تملك سوريا، أو أن تحميها، بل تريد أن تنظّم أمورها فقط".

وهنا تساءل الأمير فيصل: "ما الذي تقصدونه بتنظيم الأمور؟ إلى متى سيستمر ذلك؟ لقد قالت إنكلترا الأمر نفسه في مصر (في عام 1882) ولكنها لا تزال هناك؟".

ألحّ غو على ضرورة أن تحمي فرنسا الأقلية المسيحية. وفي ردّه على ذلك أشار الأمير فيصل إلى المعايير المزدوجة الواضحة: "لماذا سمحت القوى [الكبرى] للرومانيين بتأسيس رومانيا؟ ألا توجد هناك أقليات من عرق آخر [المجر]؟ عندنا لا توجد أقليات لأننا كُلّنا عرب". تابع الأمير فيصل قائلًا: "إن الأمة السورية ليست أقل استعدادًا من الأمم الأخرى لتحكم ذاتها. أليس لهم الحق في أن يقرّروا مصيرهم؟".

غيّر غو الموضوع ليقول إنّ سوريا ضعيفة جدًا كي تحكم ذاتها، وطالما أن بريطانيا وفرنسا "فتحتا" سوريا (من دون الإشارة إلى دور الثورة العربية)، فيجب أن تقوما بحكمها. أما الأمير فيصل فقد ردّ على ذلك بالقول إنه لا بد من احترام العرب كحلفاء، مثل الرومانيين والصرب، وبالتالي يجب على فرنسا ألّا تغزو بلدًا حليفًا. أما عن الحماية الفرنسية فيمكن أن تتحقق فقط بناء على طلب سوريا.

في النهاية وعد غو قبل مغادرته بأن فرنسا لا تريد تقسيم سوريا ولا أن تتدخل

في حكمها إذا فعلت بريطانيا الأمر نفسه. وبعد هذا أثنى غو على تعاون الأمير فيصل بالقول: "سيسُر الشعب الفرنسي أن يكون رجل عظيم مثل سموكم، من دعاة الإصلاح والتحديث، على رأس الدولة السورية".

كان الأمير فيصل يشكّ بحق في أن الوعود الفرنسية كانت جوفاء. ففي اليوم نفسه، أي في 24 كانون الثاني/ يناير، أرسل غو تقريرًا يعارض أي تغيير في اتفاقية سايكس بيكو. وقد توقّع فيه أن سوريا المستقلة ستقمع المسيحيين كما فعل الأتراك العثمانيون، وحذّر من أن القومية العربية (التي يمثلها) الأمير فيصل تهدّد حكم فرنسا في شمال أفريقيا. وبدون أي إشارة إلى مبادئ ولسون في حق تقرير المصير، ركّز تقرير غو على أن بريطانيا انتهكت اتفاقية [سايكس بيكو] 1916 لتنتزع حصة الأسد من الأراضي العربية[3].

ربما كان اللوبي الفرنسي [الاستعماري] مخادعًا ولكنه لم يكن متشككًا، لأنه بذلك كان يردّ على التوسّع لطموح بريطانيا في الشرق الأوسط. فقد تابع الجيش البريطاني في طريقه إلى شمال بغداد ليحتلّ الموصل بعد توقيع الهدنة في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر. وفي تلك اللحظة أصدرت الاستخبارات البحرية البريطانية تحذيرًا طلبت فيه إبقاء الفرنسيين والأميركيين بعيدين عن حقول النفط: "إن أمن البلاد والإمبراطورية البريطانية يعتمد على النفط"[4]. وخلال الشهور المقبلة سيبدو النفط العراقي للويد جورج أهم من وعوده التي أطلقها حول سوريا.

في غضون ذلك كان الجناحان المتنافسان في الإدارة البريطانية الاستعمارية، مكتب الهند ومكتب الاعتماد السامي في مصر، يتنافسان على حكم المنطقة الواقعة بينهما من دون رضى السكان. فقد رفض مكتب الهند

(3) MAE-Courneuve, "La Question Syrienne et la Révision Eventuelle des Accords de 1916," Gout Papers, 196 PAAP/7, 107-127.

(4) The National Archives of the United Kingdom, London, "Oilfields of Persia and Mesopotamia," February 26, 1919, and "Secret: Memorandum on the Oil Fields of Persia and Mesopotamia," FO 608/97/15, 191-224.

الاقتباس من ص 197.

أي مفاوضات مع العراقيين حول حقّهم في حكم أنفسهم، كما أن المعتمد السامي استدعى قوات إضافية من فلسطين لمواجهة مظاهرات الوطنيين في القاهرة. وفي حين أن فيصل كان يفاوض في باريس، تعرّض والده إلى هجوم قرب مكة من قبل الجيش العشائري لعبد العزيز بن سعود، الذي كان يدعمه مكتب الهند.

كان ما أثار انزعاج غو بالنسبة إلى سوريا هو قيام المسؤولين البريطانيين بالتغطية على الأراضي التي استولوا عليها في الشرق الأوسط من خلال مطالبة العرب والأميركيين بالتركيز على عدم عدالة المطالب الفرنسية[5]. وقد أثارت هذه الازدواجية البريطانية حتى كليمنصو غير المؤيد للاستعمار. وقد أشار إلى ذلك أحد المؤرخين بالقول: "لقد أحرز لويد جورج ما عجز عنه الاستعماريون، حيث أقنع كليمنصو في أن الشرق الأوسط مهم"[6].

## مذكرة الأمير فيصل إلى المجلس الأعلى

في 29 كانون الثاني/ يناير 1919 قدّم الأمير فيصل مذكرة رسمية إلى مجلس العشرة (المجلس الأعلى) مطالبًا بحكم سوريا، ولكن ليس باعتباره ممثلًا للحجاز: "جئت لأطالب بأن تكون الشعوب الناطقة بالعربية... معترفًا باستقلالها وسيادتها، وإنني لأستند في مطلبي هذا إلى المبادئ التي خرج بها الرئيس ولسون"، في إشارة إلى خطاب الرئيس ولسون في جبل فرنون (Vernon) في 4 تموز/ يوليو 1918 الذي ورد فيه: "إنّ تسوية أي مسألة، سواء تعلقت بالأراضي أو السيادة أو

(5) David Fromkin, *A Peace to End All Peace: The Fall of the Ottoman Empire and the Creation of the Modern Middle East* (New York: Henry Holt, 2009; [1989]), pp. 350-351, 394-397; Nevakivi, pp. 68-124.

ينظر مذكرة اللورد ميلنر Milner بتاريخ 8 آذار 1919 إلى لويد جورج، حيث يقترح فيها أن يعمل كـ"وسيط شريف" بين فيصل وفرنسا ولكن بشرط "أن تنفذ فرنسا وعدها لنا بشأن الموصل وفلسطين": David Lloyd George, *Memoirs of the Peace Conference*, vol. II (1939, reprint New York: Howard Fertig, 1972), pp. 678-680; Margaret MacMillan, *Paris 1919: Six Months That Changed the World* (New York: Random House, 2001), pp. 382-383.

(6) Christopher M. Andrew & A. S. Kanya-Forstner, *The Climax of French Imperial Expansion 1914-1924* (Stanford: Stanford University Press, 1981), p. 163.

الترتيبات الاقتصادية والسياسية، يجب أن تكون على أساس القبول بتلك التسوية من الشعب المعني بها مباشرة"[7].

لم تكن مذكرة الأمير فيصل مجرد مقالة في المثالية المفرطة، بل كانت تعتمد على إدراك واضح بالأوضاع السياسية على الأرض. وهكذا، على سبيل المثال، فقد طالب الأمير فيصل بالاستقلال لسوريا فقط، معترفًا بأن المصالح العالمية ربما تتطلّب أن توضع فلسطين والعراق بشكل مؤقت تحت الانتداب الأجنبي. كما أنه اعترف بأن السوريين الذين هم أكثر تقدمًا من عرب الحجاز، يجب ألا يُحكموا من مكّة.

كما أن الأمير تبنّى في مذكراته لغة مناسبة حول الشعب والعرق في المؤتمر، حيث كانت الأعراق المتجانسة و"البيضاء" فقط تعتبر قادرة على الحكم المستقل والديمقراطية الدستورية[8]. وهكذا بدأ الأمير فيصل مذكرته بوصف وطن العرب الذي تقطنه مجموعة قومية من "العرق السامي" (كانت النظريات العرقية المنتشرة في العربية تعتبر الساميين من البيض). ولكي يعزّز صورة سوريا كأمة متجانسة ادّعى أن 99 في المئة من السكان يتحدثون لغة واحدة، العربية. ونظرًا لأن العرب واليهود من الساميين، كما أكد في مذكرته للمؤتمر، فلن يكون هناك أيّ نزاع بينهما. كانت مذكرة الأمير فيصل تعكس إجماع المثقفين العرب في فترة ما قبل الحرب، الذين استخدموا الكثير من الحبر في مقالاتهم عن العرب باعتبارهم من البيض ومن المتمدّنين[9].

---

(7) David Hunter Miller, *My Diary at the Conference of Paris: Documents*, vol. 4 (New York: Appeal Printing Company, 1924), pp. 297-301.

(8) Woodrow Wilson, *The State: Elements of Historical and Practical Politics* (Boston: D. C. Heath, 1898), pp. 366-367; Lloyd George, pp. 649-650, 659; Lloyd E. Ambrosius, "Woodrow Wilson and the Birth of a Nation: American Democracy and International Relations," *Diplomacy and Statecraft*, 18 (2007), p. 693.

(9) Sarah M. A. Gualtieri, *Between Arab and White: Race and Ethnicity in the Early Syrian American Diaspora* (Berkeley: University of California Press, 2009); Marwa Elshakry, *Reading Darwin in Arabic. 1860-1950* (Chicago: University of Chicago Press, 2013); Stacy Fahrenthold, "Transnational Modes and Media: The Syrian Press in the Mahjar and Emigrant Activism during World War I," *Mashriq and Mahjar*, 1 (2013), pp. 30-54; Khalil A. Bishara, *The Origin of the Modern Syrian* (New York: Al-Hoda Publishing House, 1914), pp. 1, 39-40.

بقي الوفد العربي أربعة أيام ينتظر ردّ المجلس الأعلى على مذكرة الأمير فيصل. في غضون ذلك اجتمع رستم حيدر وعوني عبد الهادي بأعضاء من وفدي رومانيا وصربيا كي يعرفا كيف طرحت الشعوب الصغيرة المتحالفة الأخرى مطالبها. وافق فيصل على إجراء مقابلة مع محرّر جريدة فرنسية كي يروّج للمطالب السورية. أما رستم حيدر فحضر مسرحية عن لوي باستور (Louis Pasteur) الذي امتدحه كإنساني حقيقي.

أخيرًا جاء ردّ المجلس الأعلى على شكل دعوة: يطلب المجلس الأعلى من وفد الحجاز أن يطرح قضيته خلال الأيام المقبلة[10]. وفي جو من الحماسة العنيفة بقي رستم حيدر وبقية العاملين يشتغلون حتى الرابعة فجرًا لإعداد مسوّدة خطاب الأمير فيصل. وفي غضون ذلك وصل مارك سايكس، أحد الاثنين اللذين وضعا اتفاقية 1916 المشهورة، ولورنس كي يقدّما المشورة.

وكما كتب رستم حيدر عن ذلك في مذكراته: "كان الأمير يأتي من وقت إلى آخر ويسمع ما نقرأ فكان يستحسن تارة وتارة يضيف فكرة من عنده ولكنه ذهب في منتصف الليل ونام، ولا أدري إذا كان نام في تلك الليلة لأنه كان شديد القلق"[11]. وفي السابعة والنصف من صباح اليوم التالي طلب الأمير فيصل من حيدر أن يدخل التعديلات: في الوقت الحاضر لا بد من إغفال المطالبة بأن تكون فلسطين جزءًا من سوريا، على الرغم من الوعود الصهيونية في المذكرة التي كان وقّعها في مطلع الشهر. كان الأمير فيصل يخشى من نفور الأميركيين الذين كانوا يطالبون بوطن قومي لليهود. كما أن سايكس نصحهم بأن يحذفوا التفاصيل الواردة عن وضعية لبنان نظرًا إلى أن الكاثوليك اللبنانيين (الموارنة) يخشون من أن يصبحوا أقلية تحت حكم المسلمين[12]. كان على فيصل أن يركز أكثر على سوريا الداخلية التي يحكمها الآن.

---

(10) كان المجلس الأعلى، أو مجلس العشرة، يتألف من مندوبين من الحلفاء الخمسة الرئيسيين: بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وإيطاليا واليابان.

(11) حيدر، ص 233-234.

(12) المرجع نفسه، ص 235.

في الساعة 2:40 بعد ظهر الثلاثاء 6 شباط/فبراير 1919 خرج فيصل وحيدر وعبد الهادي ولورنس من البوابة الجديدة لفندق كونتيننتال. كانت في الخارج عاصفةٌ بدأت لتوها[13]. نزلوا الدرج إلى سياراتهم وعبروا المدافع الألمانية المبعثرة المغطاة بالثلوج في ساحة الكونكورد. وبعد عبورهم الجسر فوق نهر السين وصلوا إلى مبنى الخارجية الفرنسية.

وكما يكتب حيدر في مذكراته: "دخلنا قاعة كبيرة وتقابلنا مع لويد جورج، ثم جاء كليمنصو وبيشون وولسون". بعد ذلك شاهد حيدر الرجل المزعج جان غو يأخذ مقعده إلى جانب كليمنصو. كان ولسون وأعضاء الوفد الأميركي يجلسون على رأس الطاولة، مع المسؤولين الإيطاليين واليابانيين والبريطانيين إلى جانبهم. دخل فيصل لابسًا رداءه العربي الأبيض مع سيف إلى جانبه وهو يحيّي الحضور بيده. أخذ مكانه في وسط القاعة. كان الصمت يسود القاعة إلى أن أعلن كليمنصو: "الكلام الآن للأمير فيصل".

وقف الأمير فيصل وأخذ يتحدث بالعربية تاركًا للورنس أن يقرأ بعده الترجمة الإنكليزية المعدّة مسبقًا. بدأ الأمير فيصل خطابه بالقول: "إني سعيد بوجودي في هذا المجتمع الذي يضمّ أكابر رجال الأمم المعظمة، وإني أعتقد أن هذه المحكمة العليا ستنصف الأمة العربية أثناء دفاعها عن حقوقها الطبيعية".

أخذ صوت فيصل في الارتفاع مصحوبًا بالانفعال وهو يذكر النقاط الرئيسية في مذكرته التي رفعها في 29 كانون الثاني/يناير: (1) إنّ العرب كانوا شعبًا متمدّنًا ضحّوا بدمائهم للمساعدة في هزيمة دول الوسط. (2) إنّ العرب الذين قُتلوا في المعارك يستحقون الاعتراف بدولة مستقلة لهم قاتلوا من أجلها. (3) معظم السوريين أيّدوا حكمه: بعد أيام من دخوله إلى دمشق رفع الوطنيون العلم العربي في مدن عديدة. (4) الفوارق الدينية كانت غير مؤثرة: انضم أبناء كل الطوائف إلى الجيش العربي لتحرير بلادهم، واستمرّ التعاون بين أبناء الطوائف في الخدمة المدنية. وفي حالة وجود أي شكوك لدى أعضاء المجلس الأعلى

(13) James T. Shotwell, *At the Paris Peace Conference* (New York: Macmillan, 1937), pp. 166-167.

حول رضى الشعب [بحكمه] فقد دعاهم فيصل إلى إرسال لجنة لاستطلاع رأي العرب السوريين[14].

كان الحضور مندهشًا كما لاحظ حيدر في مذكراته. كان المستمعون مأخوذين بصوت فيصل في العربية ومهتمين بترجمة لورنس. كان الرئيس ولسون يهز رأسه تأييدًا له من حين إلى آخر، وكذلك رئيس الوزراء الإيطالي فيتوريو أورلاندو (Vittorio Orlando)، بينما كان لويد جورج يبتسم والفرنسيون يعبسون[15]. لم يعلّق كليمنصو بعد انتهاء فيصل من خطابه، بينما طالب لويد جورج بمزيد من التفاصيل حول الإسهام العسكري للعرب. ومع حثّ جان غو سأل بيشون: "هل كان للفرنسيين أيّ دور في الشرق؟". ردّ فيصل بسخرية: "نعم، لقد أرسلت فرنسا أربعة مدافع عيار 60 مم واثنين قديمين عيار 80 مم، ومع ذلك فإنا نشكر فرنسا ما دمنا أحياء".

أشار ولسون إلى أن المجلس يفضّل أن يوضع العرب تحت وصاية خارجية مؤقتة، باسم الانتداب، إلى أن يصبحوا قادرين بأنفسهم على الحكم. ثم سأل ولسون: "ماذا تريد، وصاية واحدة أو متعددة؟" أجاب فيصل: هي تتعلّق برأي الأهالي الذين لهم الحق أن يعيّنوا مستقبلهم. عاد ولسون إلى سؤاله: ولكني أسأل رأيك؟ ونظرًا إلى ثقته التي وضعها في الرئيس الأميركي أجاب فيصل بصراحة: "إني لا أرضى بتجزئة البلاد وأطلب الاستقلال".

شعر الأمير فيصل بالراحة ولذلك ختم كلمته بالقول: "إن أمتي لها تمدّن عظيم، ولما كانت متمدنة كانت الأمم التي تمثلونها في حالة البربرية والهمجية، فأطلب إليكم ألا تبخسوا هذه الأمة التي خدمت التمدّن حقها".

غادر فيصل ورستم القاعة مبتهجين ومرهقين. سمعوا لاحقًا أن ولسون قدّر كلمة فيصل وأيّد فكرة لجنة تحقيق. إلا أن مصادر لورنس كانت تقول إن الأميركيين لا يزالون يضغطون لأجل نوع من الوصاية على سوريا.

---

(14) Arthur S. Link (ed.), *The Papers of Woodrow Wilson*, vol. 54 (Princeton: Princeton University Press, 1986), pp. 505-508; Hunter Miller, vol. 14, pp. 227-230; MacMillan, p. 391.

(15) حيدر، ص 238.

وعلى الرغم من هذا الاطمئنان إلا أن فيصل انزعج عندما عرف أن المجلس الأعلى دعا منافسه شكري غانم للحديث أمام المجلس في الأسبوع التالي، في 13 شباط/ فبراير. كان غانم يحظى بحماية جان غو، ويرأس الجمعية المركزية السورية المؤيدة لفرنسا. طلب فيصل حضور تلك الجلسة ولكن طلبه رُفض.

إلا أن انزعاج فيصل خفّ عندما علم أن الدكتور هوارد بليس (Dr. Howard Bliss) رئيس الكلية البروتستانية السورية في بيروت سيتحدّث أيضًا في ذلك اليوم. كان بليس قد اكتسب سمعة بطولية بين العرب بسبب حرصه على إبقاء الكلية مفتوحة وتقديم المساعدة الغذائية للمحتاجين خلال الحرب. وعلى الرغم من حماسته لمهمته التبشيرية، إلا أن إصلاحاته جعلت الكلية مكانًا مفضلًا للمسلمين أكثر من منافستها كلية القديس يوسف. فقد التحق بالكلية البروتستانتية السورية بعض القوميين السوريين، وحتى إن رشيد رضا صاحب **المنار** امتدح إسهام الكلية في تعليم المسلمين. كان المهم لفيصل أن الدكتور بليس كان صديقًا لولسون. وكان الاثنان قد اجتمعا في باريس وتبادلا الرأي حول الاستقلال السوري[16].

في 13 شباط/ فبراير جاء دور الدكتور بليس للحديث عن العرب السوريين، الذي جمع بين الإعجاب والتعالي. قال عن السوريين "إنهم أذكياء ومؤهلون وكرماء ومحبوبون ولكنهم يُظهرون آثار الخضوع والخنوع وحب الإطراء والمراوغة". وقد سُرّ الأمير فيصل عندما عرف بأن الدكتور بليس دعم فكرة الانتداب مع تأكيده للمجلس الأعلى بأن السوريين "ستكون لهم القدرة على تقرير المصير والاستقلال". كان ما أطرب أذن فيصل تشديد الدكتور بليس على المجلس كي يحترم حق السوريين في اختيار من يحكمهم. ولذلك التمس الدكتور بليس في أن تُرسل لجنة التحقيق التي اقترحها الأمير فيصل "في أسرع وقت ممكن".

---

(16) Library of Congress-Wilson, Bliss to Wilson, February 7 and February 11, 1919, docs. 9753-54, 10182, Wilson Papers Series 5B; Ussama Makdisi, *Faith Misplaced: The Broken Promise of U.S.-Arab Relations: 1820-2001* (New York: Public Affairs, 2010), pp. 89-91, 122-124, 136; Betty S. Anderson, *The American University of Beirut: Arab Nationalism and Liberal Education* (Austin: University of Texas Press, 2011), pp. 50-53.

كان المتحدّث التالي شكري غانم، الفرنسي المغترب الذي أقام في باريس ثلاثين سنة، والذي تحدّث أكثر من ساعتين. ادّعى غانم أن السوريين ليسوا عربًا ويجب ألا تحكمهم عائلة قادمة من الحجاز، وزعم أن فيصل ينوي فرض ثيوقراطية مسلمة على العديد من الأقليات في سوريا[17]. وقد شعر فيصل وحيدر بالرضا عندما علما أن كلمة غانم انتهت بالفشل، إذ إن ولسون غادر القاعة من الملل كما أنّ كليمنصو ربما وبّخ [وزير الخارجية] بيشون لكونه ترك غانم يسترسل في الحديث.

وهكذا تجدّد الأمل.

## ميثاق عصبة الأمم

في اليوم التالي، 14 شباط/ فبراير، عاد حيدر وفيصل إلى قاعة الساعة للاستماع إلى عرض ولسون لمسوّدة ميثاق عصبة الأمم.

بدأ ولسون كلمته قائلًا: "إن توقيع القوى [الكبرى] على هذا الميثاق يعني إقرار دستور عصبة الأمم، لتشجيع التعاون الدولي وضمان السلام العالمي بقبول الالتزامات بعدم اندلاع حرب [أخرى]، وإرساء العدالة والعلاقات المشرّفة بين الأمم، وترسيخ فهم القانون الدولي باعتباره القاعدة للتعامل بين الحكومات".

وكما تتذكّر إديث زوجة الرئيس فقد كانت تلك "لحظة عظيمة في التاريخ. وقف هناك يتكلم بقامته الطويلة وهدوئه وحجته القوية، وتراءى لي الناس من البلدان المحيطة - رجالًا ونساءً وأطفالًا - محتشدين حوله وهم ينتظرون

---

(17) Hunter Miller, vol. 14, pp. 391-416,

اقتباس بليس في الصفحة 394.

Zeine N. Zeine, *The Struggle for Arab Independence: Western Diplomacy and the Rise and Fall of Faisal's Kingdom in Syria* (Beirut: Khayat's, 1960), pp. 255-259,

من أجل نسخة من حديث بليس؛

Betty S. Anderson, *The American University of Beirut: Arab Nationalism and Liberal Education* (Austin: University of Texas Press, 2011), pp. 18-19; Gérard D. Khoury, *La France et l'Orient arabe: Naissance du Liban moderne, 1914-1920* (Paris: Albin Michel, 2009), pp. 181-182.

ما سيقوله. أما الآخرون، الذين لم تكن لهم صلة مع الرئيس، فقد بدا لهم الخطاب مملًا إلى أن أدركوا أنهم يستمعون إلى مانيفستو عالمي"[18].

كان ولسون يقرأ كلّ بنود الميثاق التي تفصّل كيف سيكون للعصبة أمانة دائمة ومجلس عام للأعضاء، ومجلس تنفيذي تسيطر عليه القوى العظمى. وحسب هذه البنود يمكن للعصبة أن تفرض قواعد ملزمة لتقليص مخزونات التسلّح، وفرض العقوبات على الدول التي تلجأ إلى التهديد بالحرب وتأسيس محكمة دولية للنظر في المنازعات الدولية.

ركّز فيصل وحيدر سمعهما للبند 19 "إدارة المستعمرات والأقاليم"، الذي يوفّر الوصاية على الشعوب التي تحرّرت مؤخرًا من الدول المهزومة في الحرب، واستمرا في الاستماع إلى اللغة التي اشتاقا إلى سماعها: "إن بعض الجماعات من بعض الشعوب التي تحرّرت من الإمبراطورية التركية قد وصلت إلى مرحلة من التقدم يمكن معها الاعتراف، بصفة مؤقتة، بوجودها كأمم مستقلة، مع تقديم المشورة والمعونة الإدارية من جانب السلطة القائمة بالانتداب، حتى يحين الوقت التي تصبح فيه قادرة على الوقوف وحدها، ويتعين أن تكون رغبات هذه الشعوب هي الاعتبار الأساسي في اختيار السلطة القائمة بالانتداب"[19].

بعد هذا جاء خطاب عضو الوفد الفرنسي، رجل الدولة والداعية إلى السلام ليون بورجوا (Léon Bourgeois) ليبشّر بالمزيد. فقد أشاد بوعد الميثاق للشعوب الصغيرة: "من وجهة نظر الشعب نفسه لا يوجد دول صغرى ودول كبرى. إنها في الواقع وستكون دومًا متساوية أمام مبادئ العدالة الدولية"[20]. كان بورجوا وولسون يتعاونان في اللجان الفرعية للعصبة لضمان أنّ الدول

---

(18) مذكور في:

John Milton Cooper, Jr., *Breaking the Heart of the World: Woodrow Wilson and the Fight for the League of Nations* (New York: Cambridge University Press, 2001), p. 10; John Milton Cooper, Jr., *Woodrow Wilson: A Biography* (New York: Alfred A. Knopf, 2009), p. 474.

(19) World Peace Foundation, *A League of Nations*, vol. 2, Special Number, February 1919 (Boston), 413.

[التشديد من المؤلف].

(20) Ibid., p. 426.

الصغيرة ستتصرف ككتلة واحدة في المجلس التنفيذي تجاه المطامع الإمبريالية للقوى الكبرى[21].

وفي النقاش الذي أعقب الكلمات الرسمية علّق حيدر على البند 19 وقال بالفرنسية: "في هذا النص كلمة شديدة الغموض هي كلمة 'انتداب'، مع أنه على تفسيرها يتوقف مصير الأمم التي كانت حتى اليوم مضطهدة تحت نير الظالمين". وحثّ على أن يضمن الميثاق بوضوح الحق للعرب في اختيار القوة المنتدبة دون أن يكون ذلك مقيّدًا باتفاقية سايكس بيكو السرية: "هذه الاتفاقية التي عقدت من دون رضى (الشعب) يجب مع كل الحق أن تُعلن باطلة وملغاة"[22].

وكتب حيدر لاحقًا في مذكراته: "كلمتي كانت كالقنبلة... ثاني يوم رأيت لورنس فقال إن خطابي كان حسنًا وأثّر تأثيرًا جيدًا... ولما خرجت جاء نوري وعوني وهزّا يدي بسرور"[23].

إلا أن هذه الحماسة فتُرت. فقد غاب عن الذكر وفد الحجاز شهرًا من الزمن، كما أن ولسون ولويد جورج عادا إلى بلادهما وبقيا هناك شهرًا لمتابعة السياسة المحلية. وقد توفي مارك سايكس فجأة في 17 شباط/ فبراير بسبب إصابته بوباء الحمى. وبعد ذلك بيومين قام فوضوي بإطلاق النار على كليمنصو، إلا أن النمر العجوز نجا من الموت بأعجوبة.

اضطر فيصل إلى البقاء في سريره بسبب السعال والحرارة التي أصابته. كان يخشى من السلّ. في 20 شباط/ فبراير كتب رسالة مطمئنة إلى والده. ولكن في

---

(21) Library of Congress, Minutes of League commission meeting, February 4, 1919, in Wilson Papers Series 5B Reel 392; CURBML,Westermann Diary, January 27, 1919; Thomas J. Knock, *To End All Wars: Woodrow Wilson and the Quest for a New World Order* (Princeton: Princeton University Press, 1992), pp. 217-219; Trygve Throntveit, *Power without Victory: Woodrow Wilson and the American Internationalist Experiment* (Chicago: University of Chicago Press, 2017), p. 275.

(22) أعيد طبع نص الميثاق والنقاش حوله في الولايات المتحدة:
Department of State, *Papers Relating to the Foreign Relations of the United States: The Paris Peace Conference, 1919* [*FRUS 1919*], vol. 3: Minutes of the Plenary Sessions, pp. 208-239.

(23) حيدر، ص 250-251؛ ينظر أيضًا:
World Peace Foundation, p. 432.

اليوم التالي استدعى حيدر إلى غرفته في حالة فزع. تحدثا طويلًا عن مطامع فرنسا في سوريا. كان فيصل يتساءل: "لماذا تتجاهل فرنسا حقيقة أن معظم الشعب لا يريدها؟ لماذا يؤيد الفرنسيون بعناد الكنيسة المارونية؟ هل لأننا مسلمون، أم ماذا؟"[24].

في ذلك الوقت أخذ فيصل يرتدي الجاكيت والبنطال عوضًا عن لباسه العربي. حين كان يخرج كان يضيف إلى ذلك معطفًا طويلًا[25]. لم يعد التأكيد على الثقافة العربية مضمون النتائج. صحيح أنه جذب إليه الاهتمام العام، إلا أنه بذلك كان يدعو الأوروبيين إلى النظر إليه كأنه شخصية غريبة أو شرقية من القرون الوسطى قادمة من حكايات **ألف ليلة وليلة**. وهكذا قارنت جريدة **الفيغارو** (*Le Figaro*) لباس رأسه خلال حفل الاستقبال الذي أقيم له في بلدية باريس بـ"أبو الهول المصري"[26].

في النظرة الأوروبية كان لباس فيصل ربما يمثل تخلفًا عن الحداثة، ما يجعله عضوًا غير مناسب في عصبة الأمم. كانت المسألة جزئيًا تتعلق بالثقافة: كانت معظم الشعوب تعتبر الحداثة مرادفة للثقافة الأوروبية. كانت المشكلة أيضًا سياسية: كان الأمير فيصل باعتباره من أحفاد الرسول محمد يجعله مرتبطًا بدين الأتراك وجرائم الحرب التي ارتكبوها ضد المسيحيين وإبادة الأرمن. لقد أدرك ذلك في 28 شباط/ فبراير 1919 حين أدّت فتنة في حلب إلى قتل خمسين أرمنيًا. فَهِمَ فيصل أن المدينة تعاني من ضغط اجتماعي عميق نتيجة لنقص الغذاء وانتشار المرض، وكلاهما تفاقم مع وجود اللاجئين الأرمن. إلا أن الصحافة الفرنسية تناولت المجزرة بكونها مدبّرة من عملاء عرب للأتراك، وأن فرنسا فقط يمكن لها

---

(24) حيدر، ص 257؛
TNA-London, Telegram to King Hussein and Sherif Zaid FO 608/92/7, 231.

(25) Stephen Bonsal, *Suitors and Suppliants: The Little Nations at Versailles* (New York: Prentice-Hall, 1946), p. 45; Shotwell, pp. 196-197.

(26) "Réception de l'Émir Feisal," *Le Figaro*, 17/1/1919, p. 1;

خطاب فيصل في 5 أيار/ مايو 1919 لدى عودته إلى دمشق في:
Abu Khaldun Sati al-Husri, *The Day of Maysalun* (Washington, DC: Middle East Institute, 1966), p. 107.

أن تحمي المسيحيين من العنف الجاري. وهكذا فإن ربط العرب بالأتراك قوّض جهود فيصل في إدراج سوريا ضمن أسرة الشعوب المتمدنة. وكردّة فعل على فتنة حلب طلب وزير الخارجية بيشون من كليمنصو أن يجتمع مع فيصل[27].

كان يمكن فقط لفيصل وحيدر أن يخمّنا ماذا يمكن أن يلحق بمصيرهما نتيجة للأحكام المسبقة والتفاهمات السرية والملاحظات الآنية. وكما كشف غو عن ذلك فقد كانت وزارة الخارجية الفرنسية تبرّر دائمًا مطالبها بحكم سوريا بالحاجة إلى حماية الأقلية المسيحية من المتعصبين المسلمين. وحتى الأميركيون من أمثال هوارد بليس كانوا يعتمدون على التصورات المسبقة الاستشراقية. فقد دوّن وزير الخارجية لانسينغ في مذكراته: "من بين العديد من الممثلين البارزين في باريس... كان أكثرهم دقة الأمير القادم من المدينة المقدسة، حيث تم الحفاظ على ألغاز الإسلام من العالم المسيحي بفضل صحراء الجزيرة العربية وتعصّب أتباع الرسول"[28].

لم تكن نزعة دمج كل المسلمين في جنس واحد غريب ومن منزلة أدنى، بجديدة، ولكن كانت خطرة عشية الإبادة الأرمنية. وقد نبّه إلى هذا الخطر في عام 1918 فايز الغصين سكرتير الأمير فيصل في الترجمة الإنكليزية لكتابه **أرمينيا الشهيدة**: "لقد نشرتُ هذا الكتيب لدحض المزاعم والافتراءات المسبقة ضد الإسلام والمسلمين بشكل عام". وأكد هنا أنّ الأتراك الجدد قتلوا الأرمن بدافع "العصبية القومية" وليس بدافع الجهاد الإسلامي. وحتى لو أن بعض الأرمن قد ثاروا، فإن هذا "لا يبرر إبادة الشعب بكامله، رجاله ونساءه وكباره وأطفاله، بشكل أثار كل الإنسانية وخاصة الإسلام وكل عالم المسلمين"[29].

شعر الأمير فيصل وحيدر بالراحة مع بعض الباريسيين الذين احترموا ثقافتهم. ومن بين هؤلاء كان الروائي أناتولي فرانس (Anatole France)، الذي زار

(27) Jules Chancel, "Les massacres du 28 février 1919 en Syrie," *L'Illustration: Journal Universel* (5 April 1919), p. 377; Nevakivi, p. 128.

(28) Robert Lansing, *The Big Four and Others of the Peace Conference* (Boston: Houghton Mifflin, 1921), p. 163; Lloyd George, pp. 673-674.

(29) Fa'iz El-Ghussein, *Martyred Armenia* (New York: George H. Doran, 1918), pp. 48-49.

الزعماء السوريين عدة مرات. في إحدى الزيارات أخبرهم عن قصيدة فرنسية تتحسّر على قلّة تأثير الثقافة العربية في أوروبا، حيث تصف كيف أن شارل مارتل نشر البربرية في أوروبا عندما هزم العرب في بواتييه (بلاط الشهداء) عام 711م. ومن هؤلاء الأصدقاء كانت دوقة كليرمون-تونير (Duchess of Clermont-Tonnere)، الكاتبة اليسارية المثلية التي كانت لها صلة وثيقة مع مارسيل بروست، فقد دعتهما إلى غداء شرقي مع اللحم المشوي والتمر، وحدثتهما بشغف عن رحلتها إلى سوريا[30].

وافق فيصل أيضًا على تلبية دعوة الدوقة للنزول في قصرها الريفي. وبحسب عوني عبد الهادي فقد مكّنت الإقامة هناك الأمير العربي من إقامة شبكة علاقات مع الأرستقراطية الفرنسية. كان عبد الهادي يجلس هناك كل صباح مع فيصل كي يعلّمه الفرنسية، وأصبح يقرأ الكتب في الفرنسية عن الإصلاحات السياسية الكبرى. وبحسب ما دوّنه عبد الهادي في مذكراته: "كان فيصل ذكيًا، مع أنه بقي يأخذ بنصيحة والده السيئة". وفي الحقيقة كان الشريف حسين يواصل إرسال الرسائل من مكة البعيدة، من دون أن يعرف ما يدور في باريس من مكائد سياسية. وعلى الرغم من جهده لفصل [مسألة] سوريا عن جزيرة العرب أمام المجلس الأعلى للحلفاء، إلا أن فيصل شعر أن من واجبه الدائم كابن أن يصغي إلى تعليمات أبيه[31].

كان عبد الهادي وحيدر يديران عمل الوفد من غرفتهما في فندق كونتيننتال. كان عبد الهادي يردّ على العراقيل بروح المجابهة ويطرح استراتيجيات سياسية جديدة. أما حيدر الرومانسي فكان يغرق في خيبة الأمل. كان يشعر بالإهانة الكبيرة من التمييز العنصري الذي واجهه في باريس. كان مضى عليه أربع سنوات في باريس طالبًا في الجامعة، حيث أتقن الفرنسية وتأثر بالمُثل الجمهورية

---

(30) حيدر، ص 261-262، 265-268. كانت الدوقة، واسمها الأصلي Élisabeth de Gramont إلى إيث دو غرامون، تعرف باسم ليلي Lily. دخول مؤرخ في 7/ 9/ 2018 على موقع: https://bit.ly/3Nsxwel

(31) عوني عبد الهادي، **مذكرات عوني عبد الهادي**، تحقيق خيرية قاسمية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002)، ص 58-61.

(republicanism) التي كان يمثلها كليمنصو. ولكن ما ورد في يومياته في أواخر شباط/فبراير يعكس تخلّصه من الوهم. فخلال انتظاره لصدور قرار المجلس الأعلى للحلفاء، أخذ حيدر يكتب عن الثورة الروسية. كان الجميع في باريس يتحدثون عن تأثيرها في ألمانيا وأوروبا الشرقية. وهكذا كتب في يومياته: "لقد أصبحت أميل إلى البلشفية" لأنها تعلي من مبدأ المساواة[32].

## العرب ومشكلة العنصرية (خط اللون)

تكشف محاضر اجتماعات المجلس الأعلى للحلفاء خلال كانون الثاني/يناير وشباط/فبراير عن توتر بين مُثل الحلفاء في المشاركة والحرية والمساواة والأحكام المسبقة لهم التي تعكس العصر الإمبريالي. فقد كان لويد جورج وكليمنصو وولسون وأورلاندو، الذين عُرفوا بـ"الأربعة الكبار"، قد بنوا مكانتهم بدمقرطة السياسة الداخلية مع مطلع القرن العشرين. فقد وصلوا إلى ما وصلوا إليه بمعارضة الامتيازات والاستبداد. إلا أنهم كانوا من كبار السن (ما بين الخمسين والستين وأصغرهم لويد جورج) ومن البيض الذين كانت غرائزهم ترتبط جذورها بمعايير ومؤسسات القرن التاسع عشر. ولذلك كانوا يذكرون بحرية في نقاشاتهم التفوق العرقي الأبيض على الأقاليم غير الأوروبية، ويستخدمون تعبير "n-Word"[33].

وكانت المفاجأة أن وودرو ولسون، الذي كان يُنتقد على عنصريته في بلاده لسماحه بالفصل العنصري في إدارات الحكومة الفدرالية في العاصمة واشنطن، هو المعارض الأبرز للاستعمار الذي يبرّر نفسه بالتفوق العنصري. فقد روّج ولسون لنظام الانتداب الذي لا يمكن للقوى الاستعمارية أن تجعله لمصلحتها. وقد دعمه في ذلك تاسكر هـ. بليس، الجنرال العجوز ذو الشارب الكبير، الذي كان عضو مجلس الحرب الأعلى. ومع أن الجنرال بليس رفض دعوة لورنس إلى

---

(32) حيدر، ص 257.

(33) Andrew & Kanya-Forstner, pp. 182-185; Richard S. Fogarty, *Race and War in France: Colonial Subjects in the French Army, 1914-1918* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2008), pp. 274-286.

العشاء، إلا أنه كان قد أعدّ ملفًا عن الدول العربية، يتضمن خارطة أصلية لاتفاقية سايكس بيكو، ومذكرة فيصل عن رغبات العرب في سوريا. وباعتباره عضوًا في الوفد الأميركي، فقد راجع مسوّدة ميثاق عصبة الأمم. كما أنه كان مؤيدًا قويًا لخطة ولسون للسلام ضد الأوساط الإمبريالية والمتشددة في الوفدين البريطاني والفرنسي إلى مؤتمر الصلح.

كان بليس وولسون يعتقدان، أنه للحيلولة دون الإشراف الإمبريالي على مبادئ عصبة الأمم، لا بد أن تتولى الدول الصغيرة أو المحايدة الانتداب على البلدان الساعية إلى الاستقلال السياسي. فالدول الصغيرة لن تكون معنية بالاستغلال الاستعماري كما قد تفعل القوى العظمى. ولأجل ذلك اقترح ولسون في اجتماع المجلس الأعلى يوم 27 كانون الثاني/ يناير أن تؤسّس عصبة الأمم صندوقًا لتمويل إدارة الانتداب، وهو ما يمكن أن يجعل الدول الصغيرة تقبل بدور الدول المنتدبة من دون أن تتكبد أي نفقات. إلا أن لويد جورج قاطع ولسون بغضب قبل أن يكمل كلامه طالبًا التشاور مع أعضاء وفده قبل استكمال مناقشة هذه النقطة. كان هذا يعني في الواقع موت اقتراح ولسون[34].

اجتمع الزعيمان منفردين في 30 كانون الثاني/ يناير 1919. كان لويد جورج قد تمكّن من توحيد أعضاء الوفد البريطاني حول اقتراح يحدد ثلاثة أنواع من الانتداب بالاستناد إلى مستوى التطور عند كل شعب. كانت سوريا في النوع الأول من الانتداب ("A" mandate) الذي يتطلب مشورة إدارية أقل لفترة زمنية أقصر، بينما جاءت أفريقيا الجنوبية الغربية والمستعمرات الألمانية في جزر المحيط الهادي في النوع الثالث ("C" mandate) التي ستبقى لفترة أطول تحت الوصاية الأوروبية. أما النوع الثاني("B" mandate) فيشمل مناطق مثل فلسطين، حيث النزاعات المحتملة هناك تستلزم إدارة انتدابية قوية. رفض ولسون ذلك، وألحّ على أن هذه الأمور يجب أن تناقش في عصبة الأمم بعد أن تأسّست. انفجر

---

(34) CURBML, Westermann Diary, January 27, 1919, 28; Knock, pp. 206-207; "Library of Congress Manuscript Division, File 804: Arab State, December 1918-October 1919," Tasker H. Bliss Papers, Box 354; David F. Trask, "General Tasker Howard Bliss and the 'Sessions of the World,' 1919," *Transactions of the American Philosophical Society*, vol. 56, no. 8 (1966), pp. 1-11, 17-20, 47, 67.

لويد جورج وشكا من أنه "معبأ باليأس"، بينما انقضّ كليمنصو بدوره ساخرًا من ولسون لكونه يريد أن يضع "دستورًا لكل العالم".

ردّ الرئيس ولسون بشكل لاذع [على هذا الاقتراح] إلى حدّ أنه طلب فيما بعد أن تُشطب كلماته الفظة من المحضر. فقد أدان النزعة الاستعمارية الصارخة للمجلس، وحذر من أن "العالم لن يسمح للقوى الكبرى بتقاسم البلدان المحتاجة للمساعدة التي كانت ألمانيا قد احتلتها". كما عبّر عن غضبه من مقالة نُشرت في جريدة **الدايلي ميل** (*Daily Mail*) بالاستناد إلى تسريبات مما قاله رئيس الوزراء الاسترالي بيلي هيوز (Billy Hughes)، الذي ادّعى أن المصالح الاستعمارية المتينة لبريطانيا تمّت التضحية بها بسبب المُثل الملتبسة لولسون. وكان هيوز وأمثاله في جنوب أفريقيا قد طالبوا صراحة بضمّ المستعمرات الألمانية[35]. وفي هذه النقطة اضطر رئيس الوزراء في جنوب أفريقيا لتهدئة الموقف بالقول إنه يشارك ولسون في مُثله العليا، وأن الاجتماع يجب ألا "يتوقف عند الأمور الصغيرة" وتحت تأثير فورته، قبِل ولسون هذه اللفتة التصالحية.

في نهاية اليوم وافق ولسون بشكل مؤقت على نظام تقسيم الانتدابات إلى (أ – ب – ج) (A - B - C mandate) شرط أن يكون لعصبة الأمم السلطة العليا في تحديد الدول المنتدبة. ومن هنا فقد قرّر المجلس فصل بعض الأقاليم غير التركية عن الدولة العثمانية واعتبارها "وديعة مقدسة للمدنيّة" لدى عصبة الأمم. وقد جاء في حيثيات القرار أن بعض الأقاليم العثمانية مثل سوريا قد تطورت بما فيه الكفاية للسماح بوجودها كدول مستقلة "والاعتراف بها مؤقتًا" تحت المشورة الإدارية للدولة المنتدبة. وفي هذه الحالة سيكون للرأي العام السوري "اعتباره الرئيسي" في اختيار الدولة المنتدبة، كما أن المجلس سيترك لعصبة الأمم أن تحل المسألة القانونية المهمة حول من يملك السيادة خلال الانتداب: الشعب أو الدولة المنتدبة[36].

---

(35) *FRUS 1919*, p. 766.

(36) Knock, pp. 212-213; Library of Congress, Woodrow Wilson Papers, Peace Conference Correspondence, "Resolutions in Reference to Mandatories," January 30, 1919, Series 5B Reel 391. The debates of January 28 and 30 are found in *FRUS 1919*, pp. 759-771, 785-817.

كان ولسون مستعدًا للتنازل أكثر مقابل أن يكسب الكأس المقدسة: إقرار [ميثاق] عصبة الأمم. فقد كانت العصبة هي المفتاح لتنوير النظام العالمي وربما إلغاء الاستعمار. فقد فكّر ولسون أنه حالما تأسّست العصبة يمكن التراجع عن التنازلات [التي قدّمها] بواسطة المداولات المناسبة بين أعضاء العصبة.

كان الرئيس ولسون يخوض المعركة لأجل العصبة بناء على معرفته بأن المبدأ الأساسي لها حول الحقوق العالمية أصبح يحظى بدعم واسع في دول التحالف، إذ لم يكن أيضًا بين رؤساء الحكومات فيها. فقد كانت الإصلاحات التقدمية ودعاة السلام في أوروبا والولايات المتحدة قد روّجوا للعصبة خلال السنوات السابقة. فقد كان أولئك يأملون أنه بواسطة ضمان الحقوق الأساسية للشعوب، وتوفير آليات لتحكيم النزاعات وفرض الأمن الجماعي، يمكن تجنّب حرب كبرى كما حدث في عام 1914[37].

كان ولسون يرى عصبة الأمم أكثر من كونها رجل شرطي دولي، بل كان يراها كبرلمان عالمي. فقد صرّح عن ذلك بالقول: "إن هيئة عالمية من الأفراد السياسيين المناسبين ستصبح هي صاحبة القول الفصل في أهم مسائل القانون الدولي-الحرب والسلام"[38]. فمع دخول الولايات المتحدة في الحرب، أعلنت إدارة الرئيس ولسون بشكل صريح أن المعركة التي تخوضها الآن ليست لأجل الأميركيين ولا لأجل الأوروبيين بل لأجل "تحرير كل الشعوب الأخرى أيضًا". ولذلك أُرسلت نسخ من خطابات ولسون إلى ما هو أبعد من أوروبا، إلى آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية"[39].

وقد صرح ولسون في قصر بكينغهام في كانون الأول/ ديسمبر 1918: "إن

(37) Knock, pp. 31-47; Cooper, *Breaking the Heart of the World*, pp. 16-17; Jean-Michel Guieu, "Pour la paix par la Société des Nations," *Guerres Mondiales et Conflits Contemporains*, no. 222 (April 2006), pp. 89-102.

(38) Leonard V. Smith, "The Wilsonian Challenge to International Law," *Journal of the History of International Law*, 13 (2011),

الاقتباس في الصفحة 183.

(39) Erez Manela, *The Wilsonian Moment* (New York: Oxford University Press, 2007), pp. 4, 44, 48-52.

البشر لم يدركوا سابقًا كم كان الفرق صغيرًا بين الحق والعدل، بين خط عرض وآخر، تحت هذه السيادة أو تلك"[40].

كانت رؤية ولسون عالمية، ولكنها، في أثناء عملية التفاوض ضاقت باستمرار وأصبحت أكثر واقعية. وهكذا فقد قبِلَ في الواقع في 30 كانون الثاني/ يناير المنطقَ العنصري في تقسيم نظام الانتداب إلى ثلاثة أنواع. وفي الحقيقة كان قد ألحّ على ألا يطبق نظام الانتداب على الأوروبيين، (أي على البيض). وعلى الرغم من نقد رستم حيدر للتحديد الملتبس للانتداب في ما دوّنه في 14 شباط/ فبراير، إلا أن المسوّدة النهائية لعصبة الأمم عرّفت الانتداب ببساطة كشكل من "الوصاية" و"ائتمان المدنية"، حيث تقوم "الشعوب المتقدمة" برعاية "الشعوب التي ليست قادرة بعد على الاعتماد على نفسها في ظل الظروف الشاقة/ الصعبة للعالم المعاصر"[41].

وفي مناورة أخيرة لتجنّب التقاسم الاستعماري لأراضي الدولة العثمانية، اقترح ولسون إرسال قوات أميركية للمساعدة في حماية تلك المنطقة. ولكن وزير الدفاع الأميركي ردّ على ذلك بالقول إن الرأي العام [الأميركي] يريد إرسال قوات إلى البلدان المسيحية مثل أرمينيا وليس إلى تركيا أو بلاد الرافدين. وقد غضب الأمير فيصل عندما علم بعد عدة أيام، في 9 شباط/ فبراير، أن مجلس الحرب الأعلى قرّر إرسال قوات فرنسية إلى سوريا. وبعد يومين دعا ولسون هوارد بليس إلى تقديم شهادة أمام مجلس العشرة. وفي اليوم نفسه سمح ولسون بتخصيص خمسة آلاف دولار من ميزانية الدفاع لتمويل نفقات لجنة التحقيق إلى سوريا[42].

فَشِلَ ولسون في معركته ضد التوسّع الإمبريالي، لأن قلّة من المفاوضين في باريس قبلوا بمحاولته الراديكالية لنقل أساس القانون الدولي من حقوق الدول إلى

(40) Smith, p. 192.

(41) Final text of the covenant accessed on 6/9/2018, at: https://bit.ly/3yMRmwV

(42) Library of Congress Manuscript Division, Woodrow Wilson Papers, Supreme War Council Report on the Occupation of Turkish Territories, February 6, 1919, doc. 9551-56; Wilson to Secretary of War, February 8, 1919, doc. 9908-9; Supreme War Council memo, February 9, 1919, doc. 9993; Secretary of War to Wilson, February 11, 1919, doc. 10175-76; Wilson to Bliss, February 11, 1919, doc. 10183; Wilson to Secretary of Treasury, February 11, 1919, doc. 10198, Series 5B.

حقوق الأفراد والشعوب. فقد كان معظم أعضاء المجلس الأعلى وأعضاء الوفد الأميركي، بمن فيهم وزير الخارجية روبرت لانسينغ، يلحّون على بقاء النموذج القديم للسيادة الوطنية. ولذلك فقد ألحّ هؤلاء على أن تبقى السيادة بيد الدولة المنتدبة التي تختارها العصبة. وهكذا، بدون الالتزام باقتراح ولسون الثوري بنقل السيادة إلى الأفراد، ستصبح الانتدابات ورقة تين لتغطية النظام الاستعماري القديم[43].

لم يدرك ولسون في البداية هزيمته. فلم يشكّل الالتباس في رؤيته أو تنازلاته مصدر قلق له على عكس منتقديه. كان ولسون، مثل الفيلسوف السياسي أدموند بورك (Edmund Burke) المفضّل لديه، يؤمن بالعملية التبادلية (deliberative process). فالمفاوضات الصبورة التي تترك أثرًا وخطأً، ستؤدي إلى تغيير عضوي مستمر أكثر من الإطاحة السريعة بالأنظمة[44]. وهكذا كان ولسون لا يعتبر التحديد الغامض للانتداب خيانة للمبدأ بل مجرد خطوة عملية إلى الأمام، وكان يرى أن "العملية الدائمة" للعصبة ستعمل في النهاية خارج مكامن الخلل[45]. ولكنه بعد مغادرة باريس أدرك أنه ترك الذئاب تنطلق نحو حظيرة الدواجن.

كان الخلل الثاني الذي ظهر في المساومات حول نظام الانتداب يتعلق بغطرسة الهرمية العنصرية. كان ولسون أيضًا، كغيره من معارضيه في المجلس الأعلى، متغافلًا عن الظلم العنصري. فقد كانت ليبراليته، مثل العديد من التقدميين في الولايات المتحدة، تستند إلى الاعتقاد أن المواطنين المؤهلين والحاملين الأفكار نفسها والبيض - يمكنهم وحدهم أن يؤسسوا مجتمعًا سياسيًا حديثًا، وبذلك كان يبرّر استبعاد غير العقلانيين وغير المتعلمين[46]. فقد اعترف ولسون في وقت متأخر بمعاناة المرأة، وإمكان أن يكون الثوار المكسيكيون ديمقراطيين.

---

(43) Knock, pp. 210-219.

(44) Cooper, *Woodrow Wilson*, pp. 28, 73, 108, 468.

(45) Ibid., p. 471.

(46) Ambrosius, pp. 698-701, 708-709; Michael Dennis, "Race and the Southern Imagination: Woodrow Wilson Reconsidered," *Canadian Review of American Studies*, vol. 29, no. 3 (1999), pp. 109-131; Nell Irvin Painter, *Standing at Armageddon* (New York: W.W. Norton, 2008; [1987]), pp. 344-358.

ولكنه بقي على اعتقاده أن غير البيض هم في مستوى أدنى وخطرون على انسجام المجتمع السياسي. وقد جعله هذا قابلًا للتأثر بأدلّة الاستعماريين حول الحاجة إلى إخضاع غير الأوروبيين في النظام العالمي الجديد.

كان هذا التصرف العنصري على المستوى الدولي له جذوره في السياسة المحلية الأميركية. فقد كان سكان هاواي "والعناصر الإسبانية ذات الوضعية الدونية" في نيومكسيكو يُعتبرون غير قادرين على أن يحكموا أنفسهم. ولم يستخدم ولسون نفسه مفهوم حق تقرير المصير لتحرير السود، بل كي يحمي حقوق الولايات من تدخل الإدارة الفدرالية لفرض المساواة العنصرية[47]، وبانعكاس ذلك على نظام الانتداب. فقد أثر (التقدميون الأميركيون) من أمثال ولسون على برنامج بوكر ت. واشنطن (Booker T. Washington) للفصل العنصري كخطوة نحو ترقية السود. وبعبارة أخرى فقد رفض أولئك (التقدميون الأميركيون) آراء و. إي. ب. دو بوا، الذي كان يرفض الفصل العنصري. فحسب رأي دو بوا لا يمكن للمجتمع الأميركي أن يصل إلى التوازن العنصري إلا من خلال الاندماج.

وكان دو بوا قد عبّر منذ 1903 في كتابه **أرواح الشعب الأسود** عن رأيه الذي بات مشهورًا بأن مشكلة القرن العشرين هي "مشكلة الخطّ الملوّن"[48]. وكما يؤكد دو بوا، فقد كان في الماضي طيف من الهويات العنصرية، ولكن الآن مع قوانين جيم كرو (Jim Crow) أصبحت السياسة العنصرية أكثر ضيقًا بوضعها خطَّ فصلٍ صارمًا يفصل الأوروبيين عن كل الآخرين. وقد رأى دو بوا شيئًا مشابهًا خلال

(47) Stephen Skowronek, "The Reassociation of Ideas and Purposes: Racism, Liberalism, and the American Political Tradition," *American Political Science Review*, vol. 100, no. 3 (August 2006), pp. 391-394.

يحاجج سكورونك (Skowronek) في أنه خلال عام 1919 كان ولسون يخشى من إمكانية أن تنزلق الولايات المتحدة ثانية نحو حرب عرقية أو طبقية. ولكن إيثاره للتسوية والتدرّجية سمح لمعايير جيم كرو J. Grow أن تنتشر نحو الشمال. ينظر أيضًا:
Robert Vitalis, *White World Order, Black Power Politics* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2015), pp. 39-40.

(48) W. E. B. Du Bois, *The Souls of Black Folk* (Chicago: A. C. McClurg, 1903), "The Forethought."

انعقاد مؤتمر الصلح في باريس عام 1919. كان يخشى من انتشار "الخط الملوّن" ليشمل كلّ العالم تحت ستار عصبة الأمم، ولذلك جاء بنفسه إلى باريس.

وكانت إدارة ولسون قد رفضت منح الإذن لـ دو بوا للمشاركة في مؤتمر الصلح، ولذلك سافر إلى باريس بتأشيرة صحافي. وما إن وطأت قدماه باريس حتى لاحظ أنه تحت مراقبة العملاء السريين الأميركيين. وحين حاول أن ينظّم بديلًا للمؤتمر باسم المؤتمر الأفريقي العام، قام الأميركيون بكل ما يمكن للحيلولة دون عقده[49].

وكمثال على الانعطافات المثيرة في التاريخ، نجد أن كليمنصو كان يتعاطف مع قضية دو بوا. ففي عام 1865، حين كان ولسون صبيًا يلعب البيسبول في الجنوب الأميركي، وصل كليمنصو إلى نيويورك منفيًّا سياسيًّا من قبل الحكم الملكي للويس بونابرت. كان يحمل معه نسخة من كتاب ألكسيس دو توكفيل **الديمقراطية في أميركا** (*Democracy in America*). وقد اهتم كليمنصو آنذاك كثيرًا بموضوع إعادة هيكلة (Reconstruction) [الولايات المتحدة][50]، وخاصة في ما يتعلق بالمساواة بين الأعراق. وقد رأى في هذه المسألة أهمية تاريخية إلى حدّ مقارنتها بالثورة الأميركية. وهكذا، كمراسل الآن لجريدة **لو تان** (*Le Temps*)، أعلى كليمنصو كثيرًا من شأن المؤتمر الجمهوري للولايات المتحدة باعتباره يمثل العدالة الاجتماعية ضد جهود الرئيس جونسون[51] والمحكمة العليا لإعاقة إقرار الحقوق المتساوية للأميركيين الأفريقيين. وقد حذّر كليمنصو قرّاءه بالقول: "نحن

---

(49) Library of Congress Manuscript Division, Woodrow Wilson Papers, General Bliss to Secretary of State, January 29, 1919, doc. 8567, Series 5B; Clarence G. Contee, "Du Bois, the NAACP, and the Pan-African Congress of 1919," *Journal of Negro History*, vol. 57, no. 1 (January 1972), pp. 13-28; Aldon D. Morris, *The Scholar Denied: W. E. B. Du Bois and the Birth of Modern Sociology* (Oakland: University of California Press, 2015), p. 134.

(50) يُقصد بـ "إعادة الهيكلة" التغييرات التي طرأت على الدستور ونظام الحكم الأميركي في السنوات التي تلت الحرب الأهلية (1865-1877) بعد انتصار الشمال على الجنوب، حيث أُقرّ التعديل (13) حول إلغاء العبودية، والتعديل (14) حول تمديد الحماية الفدرالية القانونية للمواطنين بغض النظر عن العرق، والتعديل (15) حول إلغاء القيود العنصرية على التصويت. (المترجم)

(51) المقصود أندرو جونسون الرئيس السابع عشر للولايات المتحدة الذي تولى المنصب خلال (1865-1867) بعد أن كان نائبًا للرئيس أبراهام لنكولن قبل اغتياله. (المترجم)

نشعر بالتهديد حين نرى إلغاء كل الإجراءات التي اتخذها الكونغرس لمنح العدالة للسود في الولايات الكونفدرالية السابقة". وفي إشارة مقنّعة إلى الأرستقراطية الفرنسية الرجعية انتقد كليمنصو نخبة المزارع (plantation elite) في ولاية ولسون (فرجينيا) بسبب معارضتها مشروع إعادة الهيكلة (Reconstruction) لمنح حقوق متساوية وإنسانية مشتركة لكلّ الأعراق[52].

بعد عودته إلى باريس في عام 1870 مع زوجة أميركية، استمرّ اهتمام كليمنصو كثيرًا بالسياسة الأميركية. فمنذ ذلك الحين تطور ليصبح رجل دولة كبيرًا، وأصبح يرى الأفريقيين في المستعمرات كعتاد للمدافع في الجيش الفرنسي. ولكن مُثله الجمهورية بقيت في نفسه إلى حدّ أنه وافق على طلب لنائب فرنسي من السنغال بعقد مؤتمر عموم أفريقيا في شباط/ فبراير 1919 على الرغم من الممانعة الأميركية. وقد ساعد لاحقًا هذا النائب، بليز دياني في تجنيد الجنود [الأفارقة] خلال الحرب. وبذلك قام رئيس الوزراء الفرنسي بإفشال أول ديمقراطي جنوبي يُنتخب رئيسًا للولايات المتحدة [ولسون] وألغى "الخط الملوّن" في باريس[53].

عقد دو بوا ودياني مؤتمر عموم أفريقيا في فندق غراند أوتيل على ضفة السين خلال 19-21 شباط/ فبراير، حيث شارك فيه 57 مندوبًا كان من بينهم بعض المندوبين الذين جاؤوا من المناطق التي تحتلها الولايات المتحدة كهاييتي وسانت دومينغو. وقد طالب هؤلاء بحق تقرير المصير وحماية عصبة الأمم لحقوقهم. إلا أن المؤتمر لم يحظَ باهتمام كبير، ولذلك شكا دو بوا من ظهور "الدين الجديد" للبيض في النظام العالمي الجديد[54].

(52) Gregor Dallas, *At the Heart of a Tiger: Clemenceau and His World 1841-1929* (New York: Carroll and Graf, 1993), pp. 69-72; Sylvie Brodziak, *Clemenceau* (Saint-Denis: Presses Universitaires de Vincennes, 2015), pp. 62-65; Duroselle, *Clemenceau*, pp. 83-86.

(53) Marilyn Lake & Henry Reynolds, *Drawing the Global Colour Line: White Men's Countries and the International Challenge of Racial Equality* (New York: Cambridge University Press, 2008), pp. 306-307.

(54) Lake & Reynolds, p. 307; David Levering Lewis, *W. E. B. Du Bois: A Biography* (New York: Henry Holt, 2009), pp. 367-380; Paul Gordon Lauren, "Human Rights in History: Diplomacy and Racial Equality at the Paris Peace Conference," *Diplomatic History*, vol. 2, no. 3 (1978), pp. 257-278; Emily S. Rosenberg, "World War I, Wilsonianism, and Challenges to U.S. Empire," *Diplomatic History*, vol. 38, no. 4 (2014), p. 852.

وفي الواقع إنّ توزيع الانتدابات إلى (C - B - A) كان يؤكد رأي دوبوا عن "الخط الملون". فقبل افتتاح المؤتمر طرح رئيس الوزراء الإيطالي أورلاندو، وفي ذهنه المزيد من تعديل الحدود لمصلحة إيطاليا، إمكانية تطبيق نظام الانتداب في أراضي النمسا. وأيده في ذلك جان سماتس (Jan Smuts) وزير خارجية جنوب أفريقيا. وأرسل لويد جورج سماتس إلى أوروبا الشرقية والوسطى لتفحّص الوضع هناك. واقترح سماتس إرسال جيش من العصبة، ربما ضمن نظام الانتداب، للإشراف على العلاقات بين الدول الجديدة التي تأسّست هناك. وفي هذه الحالة فإن العصبة ستعمل كبديل عن النظام الإمبريالي القديم، وبذلك تحكم في النزاعات بين الدول القومية الصغيرة. إلا أن ولسون رفض الفكرة وصرّح بأنه لن تكون هناك انتدابات في أوروبا[55].

وهكذا فإنّ الحقوق المتساوية للشعوب الصغيرة أصبحت ضحية لهذا المنطق المستمر للهرمية العنصرية. فالشعوب البيضاء في أوروبا اعتُبرت بداهةً أنها تستحق تقرير المصير. لم يجرِ أي تحقّق من قدرتهم على حكم أنفسهم، على الرغم من الفوضى التي ظهرت في بولونيا وتشيكيا وأوكرانيا وهنغاريا وبلاد البلقان. وفي المقابل اعتُبرت شعوب أفريقيا وآسيا والمحيط الهادئ بداهةً أنها غير قادرة على حكم أنفسها، ووزّعت بشكل أوتوماتيكي على نوع (ب) أو (ج) من الانتدابات.

كان العرب يحتلون مكانًا ملتبسًا بين الحدود القانونية للعرق. فهم مثل الإيطاليين واليونانيين كانوا يُعتبرون أحيانًا من البيض وأحيانًا لا يُعتبرون من البيض من قبل حكومات مختلفة. ففي قضية تاريخية عُرفت بـ(*Dow v. United States*) [جورج ضو ضد الولايات المتحدة] أصدرت المحكمة العليا [الأميركية]

---

(55) MacMillan, pp. 44, 99,

اقتباس ملاحظات هيدلام مورلي.

Jan Christiaan Smuts, "The Mission to Austria-Hungary, Paris, April 9, 1919," in: Arthur S. Link (ed.), *The Papers of Woodrow Wilson,* vol. 57 (Princeton: Princeton University Press, 1988), pp. 167-175.

في صفحة 173 يوصي سمتس Smuts بـ"انتداب للقوى الكبرى على النمسا والمجر" للإشراف على العلاقات بين الدول الجديدة النمسا والمجر ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا.

قرارًا نهائيًا في 1915 يقرّ بأن السوريين من البيض. كانت القضية تتعلق بمهاجر سوري رفضت محكمة محلية الموافقة على طلبه للتجنّس لكونه ينتمي إلى الأجناس "الصفراء" الممنوعة من التجنّس بحسب قانون الجنسية. وقد جاء في قرار المحكمة العليا أن السوريين هم بيض لأنهم من الساميين، وهم من المجموعة التي تعتبرها النظرياتُ الخاصةُ بالأجناس بيضاء. وسرعان ما نُشر كتاب في العربية أوضح أن السوريين يمكنهم الحصول على الجنسية الأميركية لأنهم من البيض[56]. وقد أشار الأمير فيصل مباشرة إلى هذه القضية حين أكّد أمام المجلس الأعلى للحلفاء أن العرب هم ساميون.

وبعد سنتين على هذه القضية، دافع سياسيون أميركيون عن إعلان الحرب على الدولة العثمانية لأجل إنقاذ "الأجناس الخاضعة"، بمن فيهم السوريون والأرمن، من الأتراك "البرابرة". وحتى إن شخصيات قيادية مثل الرئيس الأميركي السابق تيودور روزفلت طالب بطرد الأتراك من أوروبا، أي من العالم المتمدن. وفي هذا النقاش وضع روزفلت ووزير الخارجية روبرت لانسينغ وغيرهما السوريين ضمنيًا في مرتبة إنسانية أقلّ تمدّنًا وأقلّ قدرة من البيض على حكم أنفسهم. وقد فتح هذا الطريق إلى اعتبار السوريين وغيرهم من العرب العثمانيين في المجموعة نفسها مع شعوب المستعمرات الألمانية والمحيط الهادئ، أي التي تحتاج إلى انتداب. إلا أن ولسون رفض في نهاية الأمر إعلان الحرب على الدولة العثمانية عملًا بنصيحة أصدقائه من أمثال تشارلز كراين، الذي كان يسعى إلى حماية عمليات الإغاثة الأميركية والكليات الأميركية في إسطنبول وبيروت[57].

ولذلك فقد أيّد ولسون حقّ تقرير المصير للسوريين في عام 1919 في ظروف متناقضة، أي من اعتقاده بأن السوريين هم في الوقت نفسه بيض ومن جنس ضعيف يحتاج إلى وصاية من البيض. إلا أن بعض أعضاء الوفد الأميركي

---

(56) Gualtieri, pp. 69-74,

مناقشة قرار الدائرة الرابعة لمحكمة الاستئناف في:

*Dow v. United States*, September 15, 1915.

(57) Andrew Patrick, "Woodrow Wilson, the Ottomans, and World War I," *Diplomatic History*, vol. 42, no. 5 (November 2018), pp. 886-910.

(إلى مؤتمر الصلح) مثل وزير الخارجية روبرت لانسينغ ووليام ييل لم يوافقوا على اعتبار السوريين من البيض. وكذلك كان الأمر مع مؤيدي ولسون في السابق بالولايات المتحدة. ففي شباط/ فبراير 1919 نشر عضو في فريق الدعاية الحربية لولسون رسمًا كارتونيًّا عنصريًّا في جريدة **نيويورك هيرالد** (*New York Herald*) مع تعليق يقول "زوجات المنتدب سام". ويظهر هذا الرسم الكارتوني العم سام وهو يغادر "مكتب الزواج العالمي" مع عدة زوجات على ذراعيه، من بينهن امرأة أفريقية مضخمة بالكاريكاتير وامرأة عربية تضع وشاحًا على وجهها. كان هذا الرسم الكارتوني ينقل إلى الرأي العام الأميركي الخوف من الاختلاط العنصري في عهد قوانين جيم كرو للفصل العنصري. وقد أدخل هذا الرسم الكارتوني في عقول قرّاء الجريدة أن العرب والأفريقيين ينتمون إلى فئة واحدة(58).

ومع مطالبة السوريين بالسيادة كعرب [في مؤتمر الصلح] زادت أكثر ضبابية مرتبتهم بين الأجناس. فمن ناحية كان الجيش الفرنسي يفصل عرب شمال أفريقيا عن الجنود الفرنسيين للحفاظ على التفوّق الأبيض. ومن ناحية أخرى كان العرب قادرين على الاختلاط مع الأوروبيين في الحياة المدنية، كما هو الأمر مع رستم حيدر وعوني عبد الهادي في جامعة السوربون. مثل هذا الوضع سمح للناس بتخيّل المساواة الاجتماعية(59). وربما كان القلق حول المكانة العرقية يوضّح لماذا كان الأمير فيصل يقارن دائمًا بين العرب والبلغار والتشيك. وربما يفسر هذا لماذا رفضوا الدعوات للمشاركة في مؤتمر عموم أفريقيا. كان هناك سرّ خفي في باريس مفاده أن الحقوق هي للبيض.

إلا أن هذا السرّ في أن الحقوق المتساوية تخصّ الدول البيضاء فقط، ظهر

---

(58) Library of Congress Prints and Photographs Division, W. A. Rogers, "His mandatory wives- oh, Sam!" *New York Herald,* 23/2/1919, p. 2. accessed on 6/6/2019, at: https://bit.ly/3yRn8sI

كان روجرز رسامًا كاريكاتوريًا مشهورًا على الصعيد الوطني عينته لجنة المعلومات العامة التابعة لإدارة ولسون أثناء الحرب العالمية الأولى.

(59) Richard S. Fogarty, *Race and War in France: Colonial Subjects in the French Army, 1914-1918* (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2008), pp. 77-83, 119-129, 282-283; Chris Rominger, "Nursing Transgressions, Exploring Difference: North Africans in French Medical Spaces during World War I," *International Journal of Middle East Studies*, vol. 50, no. 4 (October 2018), forthcoming.

للرأي العام في نيسان/ أبريل 1919. ففي شباط/ فبراير السابق اقترحت اليابان بهدوء على المجلس الأعلى إضافة بند إلى ميثاق عصبة الأمم يؤكد المساواة بين الأجناس. كانت اليابان هي العضو الوحيد "غير الأبيض" ضمن القوى العظمى في تحالف دول الوفاق المنتصرة. كان الرأي العام الياباني يضغط على الوفد الياباني في باريس كي يلحّ على المساواة بين الأعراق. كان اليابانيون يتمتعون بحكم دستوري وجيش حديث، إلا أنهم بقوا بحسب القوانين في أوستراليا والولايات المتحدة وغيرها ممنوعين من الدخول إلى هذه الدول باعتبارهم من الأجناس "الصفراء".

رحّب ولسون في البداية بهذا البند [المقترح] عن المساواة لكونه يعبّر عن روح عصبة الأمم، ولكن أعضاء الوفد نصحوه برفضه. وكان وزير الخارجية لانسينغ قد رفض طلبًا صينيًا للمساواة مع الأوروبيين، بينما توقع العقيد هاوس (House) مصاعب مع الحلفاء البيض. وقد رفض أعضاء الدومنيون البريطاني هذا البند [المقترح] بشكل قاطع لأنهم خشوا من تدفّق المهاجرين الآسيويين إلى بلدانهم. كما أن اللورد بلفور نبذ المساواة باعتبارها من مُثل القرن الثامن عشر التي فقدت مصداقيتها. كان بلفور لا يؤمن ببساطة أن "رجلًا في أفريقيا الوسطى يُخلق مساويًا لأوروبي"[60].

وهكذا لم تكن في مسودة ميثاق عصبة الأمم في 14 شباط/ فبراير، التي سمعها الأمير فيصل وحيدر، صياغة قوية حول المساواة بين الأعراق، وقد حذف ولسون أخيرًا الاقتراح الياباني لرغبته في تجنب تعقيدات اللحظات الأخيرة.

وفي نهاية آذار/ مارس وبداية نيسان/ أبريل جدّد اليابانيون حملتهم مع صياغة أخرى للبند المقترح تدعو إلى المساواة بين الشعوب عوضًا عن المساواة بين الأعراق. وقد أيّد المندوبون التشيك واليونانيون والصينيون والإيطاليون والفرنسيون هذه الصيغة باعتبارها "مبدأ غير قابل للنقاش بالنسبة للعدالة".

---

(60) Hunter Miller, vol. 1, p. 116; MacMillan, pp. 316-318; Naoko Shimazu, *Japan, Race and Equality: The Racial Equality Proposal of 1919* (New York: Routledge, 1998), pp. 18-19; Library of Congress Manuscripts Division, Woodrow Wilson Papers, Lansing memo dated January 24, 1919, doc. 8044, Series 5B.

أما المندوبون من بريطانيا ودول الدومنيون فقد عارضوا هذا البند [المقترح] لخوفهم من أن يُشعل الثورات في المستعمرات، في إيرلندا وأفريقيا وآسيا. وقد خشي ولسون من أن هذا قد يدفعهم للوقوف ضد عصبة الأمم كليًا. كما أن مستشاريه حذروه من أن هذا البند [المقترح] يمكن أن يهدد الهرمية العنصرية داخل الولايات المتحدة(61).

كان عند ولسون أسباب شخصية أيضًا لسحب تأييده للبند المتعلق بالمساواة بين الأجناس. فقد كان يخشى من أن يخسر حزبه أصوات البيض في الانتخابات الرئاسية خلال عام 1920. كان ولسون قد فاز في انتخابات 1916 بهامش ضيق ضد معارضه الجمهوري المدعوم من [الرئيس السابق] تيودور روزفلت الذي كان يتمتع بشعبية كبيرة. وفي الواقع كان ولسون يدين بهذا الهامش في الفوز بالانتخابات إلى فبركة الانتخابات العنصرية في الولايات الجنوبية وإلى المشاعر المعادية للآسيويين في كاليفورنيا، حيث كان العديد من الناخبين البيض يعارضون الهجرة اليابانية المتواصلة. ولذلك في ما يتعلق بمسألة الانتداب قرّر ولسون أن يتجنّب الجدل، وسحب تأييده للتصويت على البند المقترح. وقد أثار هذا الغضب والشعور بالإذلال عند اليابانيين(62).

لقد أدى هذا التكريس للتمييز العنصري في النظام الجديد بعد الحرب إلى إحباط الشعوب في أرجاء العالم(63). ويبدو من المرجّح أن القادة الأوروبيين الذين اجتمعوا في مبنى الخارجية الفرنسية في عام 1919 لم يتوقعوا كلّ النتائج عن تكريسهم للإقصاء العنصري. كان هؤلاء يتصرفون وهم يفترضون أنه في الإمكان تجديد زعامات ما قبل الحرب. إلا أن سوء التقدير هذا ستبدو نتائجه واضحة بعد عدة سنوات فقط.

---

(61) Lauren, p. 271; Throntveit, pp. 281-282.

(62) Shimazu, pp. 30-31; Michael L. Rosin, "The Five-Fifths Rule and the Unconstitutional Presidential Election of 1916," *Historical Methods*, vol. 46, no. 2 (April-June 2013), pp. 57-65; Kristofer Allerfeldt, "Wilsonian Pragmatism? Woodrow Wilson, Japanese Immigration, and the Paris Peace Conference," *Diplomacy and Statecraft*, vol. 15, no. 3 (2004), pp. 545-572.

(63) Siba N'Zatioula Grovogui, *Sovereigns, Quasi Sovereigns, and Africans: Race and Self-Determination in International Law* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1996), pp. 111-142.

خلال نيسان/ أبريل 1919 كان وفد الأمير فيصل لا يزال يحدوه الأمل في أن السوريين يمكن أن يأخذوا مكانهم "الصحيح" في الخطّ الملوّن في باريس. ففي 14 شباط/ فبراير السابق كان ولسون قد أرسل إلى فيصل مذكرة شخصية يؤكد فيها "إنني مهتم بعمق بكل المسألة العربية وقد أوليتها الاهتمام الشديد والتفكير العميق". أما الصحافة العربية فقد استمرت في مدح ولسون أملًا بالمساواة تحت [حكم] القانون الدولي(64).

إلا أنه في الصحافة الفرنسية استمرت بالظهور تيارات مظلمة بقيت تنتقد عصبة الأمم، وبشكل متزايد ولسون. وفي هذا السياق كتب عوني عبد الهادي رسالة غاضبة إلى مجلة **جورنال دي ديبا** (*Journal des Débats*) يشكو فيها من المعايير المزدوجة: لماذا تؤيد المجلة الطلب الإيطالي باستطلاع رأي السكان في فيومه(65) ولا تقبل طلب العرب باستفتاء في سوريا؟ وقد جاء في رسالته: "لقد أخذوا موقفين مختلفين لحل القضايا في فيومه وفي سوريا حول اختيار الحكم القادم. من الصعب أن نفهم بأي منطق إنساني وصلوا إلى هذا الرأي بمنح طرف حق الاستفتاء ومنع ذلك عن الآخر"(66).

كانت تلك التيارات المظلمة تثير الجدال مع مختلف المستويات في الوفد الأميركي. فمع غياب ولسون عن باريس لمدة شهر، تمكّن بلفور وكليمنصو من

---

(64) Library of Congress Manuscripts Division, Woodrow Wilson Papers, Wilson to "Prince Faissal," February 14, 1919, doc. 10668, Series 5B.

بالإضافة إلى تغطية **المنار** نشرت **الهلال** أيضًا مقالات عن ولسون وعصبة الأمم كُلّ شهر ما بين تشرين الثاني/ نوفمبر 1918 ونيسان/ أبريل 1919.

(65) فيومه (Fiume) أو ريجيكا (Rijeka)، كما هي معروفة الآن، كانت أهم ميناء لإمبراطورية النمسا- المجر حتى عام 1918، ثم تنازعت عليها إيطاليا ومملكة يوغسلافيا الجديدة في مؤتمر الصلح بباريس وضمّتها إيطاليا الفاشية في عام 1922، وتجدد النزاع حولها بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وحُسم مصيرها بدخول قوات "البارتيزان" اليوغسلافية في 3/ 5/ 1945 وأصبحت بذلك جزءًا من جمهورية كرواتيا المكوّنة للاتحاد اليوغسلافي. وتُعدُّ الآن الميناء الرئيس والمدينة الثالثة في جمهورية كرواتيا المستقلة. (المترجم)

(66) عبد الهادي، ص 68؛

Joseph C. Grew, *Turbulent Era: A Diplomatic Record of Forty Years, 1904-1945,* vol. 1 (Freeport, NY: 1952), pp. 372-375, 381-382.

إقناع العقيد هاوس بفرض تسويات عقابية على ألمانيا كان يرفضها ولسون. وبذلك فقد تخلّى العقيد هاوس بالفعل عن النفوذ الذي كان لولسون في وجه الطموحات البريطانية والفرنسية في الشرق الأوسط. وكان ولسون يخطّط للجوء إلى حق الفيتو في التصويت على الاقتراحات بفرض عقوبات قاسية على ألمانيا[67].

وعلى الرغم من جهود ولسون في مطلع آذار/ مارس للترويج لنظام عالمي يقوم أكثر على التعاون، صوّتت غالبية من 37 صوتًا من مجلس الشيوخ الأميركي ضد ميثاق عصبة الأمم لكونه يمسّ السيادة الأميركية. وقد اتّهم زعيم الغالبية الجمهورية السيناتور هنري كابوت لودج الرئيس ولسون بأنه يتبع سياسة الزعيم البلشفي ليون تروتسكي. وقد عارض لودج بشكل خاص وعد العصبة بنظام الأمن الجماعي، الذي زعم أنه سيُلزم الجيش الأميركي، لأجل كلّ شعب صغير على وجه الأرض. وكان مجرد احتمال نجاح الجمهوريين في رفض ميثاق العصبة في مجلس الشيوخ قد شجّع المتشددين البريطانيين والفرنسيين. كانوا يفضلون السياسة القديمة، ولا يرغبون بالتأكيد على أن تقوم الولايات المتحدة بالدفاع عن الشعوب الصغيرة[68].

في هذه الحال سارع تشارلز كراين مليونير شيكاغو إلى الدفاع عن برنامج ولسون أمام وزير الخارجية المتشكّك لانسينغ، الذي بقي في باريس. وكما قال كراين في رسالته إلى لانسينغ في 10 آذار/ مارس: "ربما يعتقد الجمهوريون أن ولسون كان مثاليًا للغاية، ولكن الحاجة إلى عصبة الأمم واضحة، حين تصبح الحقائق معروفة، ويبدو من المستحيل أن تُهزم"[69].

إلا أن لانسينغ بقي معارضًا للتشابكات الخارجية لعصبة الأمم، كما أنه اعتبر الأفكار الثورية لولسون حول السيادة الشعبية في القضايا الدولية عاطفيةً ومدعاةً للغرور. وكما كتب لاحقًا: "لم يكن يبدو من الجوهري للولايات المتحدة أن

---

(67) Charles E. Neu, *Colonel House: A Biography of Woodrow Wilson's Silent Partner* (New York: Oxford University Press, 2015), pp. 397-403.

(68) Knock, pp. 239-244; Cooper, *Breaking the Heart of the World*, pp. 55-71.

(69) Crane to Lansing, March 10, 1919, in Crane Papers, Box 4 Incoming Correspondence, Columbia University Library Rare Books and Manuscripts Division.

تكون حارسًا على أي شعب من شعوب الشرق الأدنى". ومع اتباعه أعراف القانون الدولي كان لانسينغ يلحّ على أن السيادة على الأقاليم انتقلت إلى الدول المحتلة، وأن عصبة الأمم ضعيفة جدًا كي تؤكد سيادتها عليهم"[70]. وهذه بالضبط كانت آراء البريطانيين والفرنسيين المعارضين لولسون.

وفي يوم 10 آذار/ مارس أيضًا كتب هوارد بليس إلى ولسون: "إنني منزعج من الطريقة التي يفرض فيها نفسه مجددًا العالم القديم، سواء بشكل واعٍ أو غير واعٍ. إن حقوق سوريا وغيرها من البلدان المشابهة في خطر". وكان بليس قابل كلًّا من لانسينغ وهاوس، ولكن لم يأخذ أيّ منهما قلقه على محمل الجدّ. ولذلك حثّ الرئيس على العودة من واشنطن بسرعة [إلى باريس] كي لا تتحول وعوده حول حكومات تعتمد على رضى المحكومين إلى مجرد "قصاصة ورق"، في إشارة إلى معاهدة الحياد البلجيكية التي تجاهلها الجيش الألماني في عام 1914. وكانت بريطانيا آنذاك قد دخلت الحرب للدفاع عن سلطة المعاهدات. ولذلك فقد حذّر بليس ولسون من أن بلجيكا الصغيرة قد أطلقت العنان للحرب باسم الدفاع عن القانون الدولي، كما أن سوريا الصغيرة كانت المفتاح لإنتاج نظام جديد بعد الحرب يقوم على القانون الدولي. كانت النقطة المؤثرة بالنسبة إلى ولسون هي أن عصبة باريس قادته إلى الدعوة لحكم القانون بدلًا من حكم القوة[71].

في رسالته تلك حذّر بليس قائلًا: "لا يمكن لرجل يحترم ذاته أن يواجه شعب سوريا بدون خجل، إذا فُرض عليهم حكم من دون التشاور معهم. إن سوريا بلد صغير، ولكنّ هناك مبدأً كبيرًا دخل الآن في تسوية مستقبلها السياسي".

---

(70) Robert Lansing, *The Peace Negotiations: A Personal Narrative* (Boston: Houghton Mifflin, 1921), pp. 149-161.

(71) Isabel V. Hull, *A Scrap of Paper: Breaking and Making International Law during the Great War* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 2014), pp. 1-3, 16-41; Note from Paris Bar, February 1, 1919, doc. 9048-50, Wilson Papers Series 5b, Library of Congress.

# الفصل السادس

## رشفة من الشمبانيا بمذاق حامض

عاد الرئيس ولسون إلى باريس مصمّمًا على أن يدافع عن عصبة الأمم وأن يدعم حقّ السوريين في تقرير مستقبلهم. كان عليه أن يحول دون الانزلاق إلى تواطؤ مع الإمبريالية الأوروبية. كان الأمر يتعلق بقضية شرف أمام الرأي العام الأميركي، الذي كان يدعم ولسون ضد معارضيه الجمهوريين في مجلس الشيوخ: كان العديد من مؤيديه قلقين من التنازلات التي أصبحت واضحة في عصبة الأمم. كان ولسون قد قرّر أن يسعى إلى التخفيف من قواعد عصبة الأمم حول الأمن الجماعي، ولكن مع تمسّكه بمبدأ السيادة الشعبية. فبعد وصوله إلى باريس في 14 آذار/ مارس وجد البريطانيين والفرنسيين متلهّفين لتحويل الحديث عن عصبة الأمم إلى التسوية مع ألمانيا. ولكن بعد أن اقترحت فرنسا الضم الدائم لأراضٍ ألمانية اعترض ولسون على ذلك. كان ولسون يلحّ على أن الألمان، كغيرهم من الشعوب، لا يزال لهم الحق في موافقة الشعب على ذلك[1].

حدث اختراق حول سوريا في 20 آذار/ مارس مع انبثاق أولى أزهار الربيع على طول الأرصفة الموحلة في باريس[2]. عقد لويد جورج اجتماعًا خاصًا في

(1) John Milton Cooper, Jr., *Breaking the Heart of the World: Woodrow Wilson and the Fight for the League of Nations* (New York: Cambridge University Press, 2001), pp. 70-71; Thomas J. Knock, *To End All Wars: Woodrow Wilson and the Quest for a New World Order* (Princeton: Princeton University Press, 1992), pp. 246-247; Andrew Patrick, *America's Forgotten Middle East Initiative: The King-Crane Commission of 1919* (New York: I. B. Tauris, 2015), p. 29.

(2) James T. Shotwell, *At the Paris Peace Conference* (New York: Macmillan, 1937), p. 214.

شقته بشارع نيتو (Rue Nitot)، إلى الجنوب مباشرة من قوس النصر. أصبحت محادثات السلام تجري بين الأربعة الكبار: ولسون ولويد جورج وكليمنصو وأورلاندو. وبذلك نقلوا المحادثات من الفنادق ومبنى وزارة الخارجية في مركز باريس إلى الفيلات الخاصة في أقصى غرب المدينة. انتقل ولسون إلى مقر إقامة جديد في قصر الأمم المتحدة، على مقربة من شقة لويد جورج. كان كليمنصو يقيم على بعد ميل في شارع فرانكلين قرب نهر السين. أما وفد الحجاز فانتقل إلى فيلا تبعد 20 دقيقة مشيًا على الأقدام في جادة بوا دو بولوني (Avenue du Bois de Bologne) (حاليًّا جادة فوش (Foch)).

اجتمعت القوى العظمى في هذا المحيط ذي الخصوصية في هذه الضاحية لصياغة شروط الصلح مع ألمانيا. إلا أن مسألة سوريا سرعان ما فرضت نفسها لتهدّد التنازلات التي وافقت الأطراف عليها في المسائل الأخرى. كان كليمنصو يدفع في اتجاه احتلال فرنسي لكل سوريا، إلا أن لويد جورج كان يعارض ذلك ويلحّ على الاستقلال الذاتي العربي في سوريا الداخلية. ولكي يجد حلًا أفضل لمسألة سوريا استدعى لويد جورج وزير الخارجية الفرنسي ستيفان بيشون والقائد العسكري في سوريا الجنرال ألّنبي إلى شارع نيتو(3).

في اجتماع 20 آذار/ مارس سرعان ما انفجرت الأدلّة. بدأ بيشون أولًا بتلخيص اتفاقية سايكس بيكو لعام 1916، التي تمّت الموافقة على تعديلها بين كليمنصو ولويد جورج في 1 كانون الأول/ ديسمبر 1918: مقابل الاحتلال البريطاني للعراق، بما في ذلك الموصل، ستقوم فرنسا باحتلال كل سوريا. بعد ذلك ذكّر بيشون بالعلاقات التاريخية لفرنسا بسوريا. فقد قامت فرنسا ببناء مدارس لـ 50 ألف طفل وبنت مستشفيات وسكك حديد، ولذلك لن تتخلى عن حكم سوريا.

تدخّل لويد جورج ليذكّر بيشون أن اتفاقية عام 1916 ضمنت لفرنسا الحكم المباشر في الساحل فقط، في حين أن سوريا الداخلية ستبقى مستقلة ذاتيًا ضمن

(3) Paul C. Helmreich, *From Paris to Sèvres: The Partition of the Ottoman Empire at the Peace Conference of 1919-1920* (Columbus: Ohio State University Press, 1974), pp. 64-67.

منطقة النفوذ الفرنسي. وهنا ألحّ بيشون على أن الانتداب يعني بالضبط الحكم غير المباشر الذي دعت إليه الاتفاقية [سايكس بيكو]. إلا أن لويد جورج عارض ذلك وقال إن الانتداب يجب أن ألا يُبطل وعد بريطانيا لوالد فيصل الشريف حسين بدولة عربية مستقلة. ولكن بيشون رفض مثل هذا الوعد لأنه لم يكن ملزمًا لفرنسا. وكان الفرنسيون، مثلهم مثل الأمير فيصل، قد حصلوا على نسخ من المراسلات التي توثق ذلك الوعد قبل أسابيع فقط من البريطانيين.

وهنا قطع الرئيس ولسون الحديث بغضب. قال إن اتفاقية عام 1916 لم تعد صالحة، لأن روسيا أحد الموقعين عليها قد انسحبت منها. وذهب ولسون إلى أبعد من ذلك بالقول إن الولايات المتحدة "غير معنية" بالادّعاءات الأوروبية المتنافسة حول سوريا لأنها تشدد على مبدأ رضى المحكومين بمن يحكمهم. وتابع حديثه متوجهًا نحو لويد جورج بالقول إن القضية الأساسية في هذه المسألة هي موقف السوريين في ما لو تولّت فرنسا الانتداب عليهم. وهنا تدخّل الجنرال ألَّنبي ليقول إنه يتوقع اندلاع "حرب كبيرة" من قبل "المعارضة بأقصى قوتها لكل المسلمين وخاصة العرب". وأضاف ألَّنبي أنه حتى المسيحيين احتجوا لديه ضد الحكم الفرنسي.

اقترح الرئيس ولسون أن ترسل إلى سوريا لجنة محايدة لتتأكّد من الرأي العام بحسب "الأصول العلمية". وافق كليمنصو من حيث المبدأ، طالما أن اللجنة ستتحقّق من رغبات السكان في فلسطين والعراق تحت الاحتلال البريطاني والمناطق العثمانية الأخرى. وافق لويد جورج مؤقتًا، ولكن وزير الخارجية بلفور عارض اللجنة المقترحة بحجة أنها ستؤخر كثيرًا التسوية السلمية. وفي النهاية وافق الأربعة الكبار على أن يتركوا لولسون أن يضع الشروط للجنة تمثل الحلفاء. غادر الرئيس الاجتماع وهو "يلعن كُلَّ واحد وكُلَّ شيء... مشمئزًا من كُلّ هذا العمل"[4].

---

(4) Ali A. Allawi, *Faisal I of Iraq* (New Haven: Yale University Press, 2014), pp. 211-212; Patrick, pp. 43-46; Jukka Nevakivi, *Britain, France, and the Arab Middle East* (London: Athlone Press, 1969), pp. 129-130; David Lloyd George, *Memoirs of the Peace Conference*, vol. II (1939, reprint New York: Howard Fertig, 1972), pp. 684-695.

في الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم، أوصل لورنس الأخبار السارة إلى الفيلا في جادة بوا دو بولوني. وخلال الاحتفال بذلك قيل إن الأمير فيصل شرب الشمبانيا لأول مرة في حياته(5). وكتب الأمير فيصل إلى ولسون رسالة في 24 آذار/ مارس جاء فيها: "لا أستطيع أن أجد الكلمات التي تعبّر عن امتناننا لكم. سيشرفني كثيرًا إذا وجدتم وقتًا، بين مشاغلكم الكثيرة، لتعطوني الفرصة كي أشكركم شخصيًا"(6).

وفي الواقع كان ولسون قد استثمر الكثير من رأسماله السياسي للحفاظ على حق تقرير المصير في سوريا لأنه كان قلب وروح عصبة الأمم. ولكن، من ناحية أخرى، لم يذهب بعيدًا في ذلك ليطالب بالاستقلال السوري، لأن ذلك يمكن أن ينسف مشروعه لإقناع فرنسا وبريطانيا الإمبرياليتين بإقرار عصبة الأمم. كانت دوافع ولسون البراغماتية مؤكدة، حيث وافق من ناحية أخرى على استمرار الحماية البريطانية على مصر. وقد أوضح ذلك لويد جورج بأنه كان ثمنًا للتعاون [البريطاني] مع لجنة التحقيق السورية(7). وللمفارقة، فقد كان تجنّب احتلال سوريا من طرف واحد بالنسبة إلى ولسون يخدم المبادئ الأساسية للنظام العالمي الجديد، بينما لم يكن يخدم أهدافه تحدّي الأمر الواقع بوجود الاحتلال البريطاني [لمصر] خلال 37 سنة.

## تدخل روبير دو كيه

خطّط الأمير فيصل ليغادر بسرعة إلى دمشق كي يستعدّ هناك لزيارة لجنة الحلفاء، ولكن هذا الاحتفاء بالسرور سرعان ما تبدّد. مرة أخرى جاء جان غو للزيارة.

---

(5) رستم حيدر، **مذكرات رستم حيدر**، تحقيق نجدة فتحي صفوة (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1988)، ص 291؛ عوني عبد الهادي، **مذكرات عوني عبد الهادي**، تحقيق خيرية قاسمية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002)، ص 68؛
George Antonius, *The Arab Awakening* (London: H. Hamilton, 1939), p. 288; Allawi, pp. 211-212.

(6) Arthur S. Link (ed.), *Papers of Woodrow Wilson*, vol. 56 (Princeton: Princeton University Press, 1987),

من فيصل إلى ولسون، 22 آذار/ مارس 1919، الصفحة 243-244.

(7) Nevakivi, pp. 145-151.

نصح جو الأميرَ فيصل أن يبقى قليلًا في باريس حتى يخرج بنتيجة، فوافق فيصل على مضض.

مرّت أيام من دون تحديد أي لقاء. كانت ردّة الفعل الوحيدة الفرنسية هي الهجوم على لجنة الحلفاء للتحقيق عبر الصحافة الفرنسية. كانت تلك المقالات من نتاج اللوبي الاستعماري الذي كان مذعورًا من نتيجة استفتاء السوريين. أما كليمنصو فلم يكن على ما يبدو مدركًا أن استفتاءً كهذا سيكشف عن عداء عام للحكم الفرنسي[8].

في هذه الحالة أخذ رستم حيدر يراجع الرهانات الكبيرة حول المسألة السورية. فقد كتب يوم 29 آذار/ مارس في مذكراته: "إن الأمم في الوقت الحاضر يجب أن تحتفظ بالمبدأ الذي اجتمعت حوله... لتأييد حقوق الإنسانية". كان السؤال المطروح: هل سيخنق مؤتمر باريس الثورة كما فعل مؤتمر فيينا قبل قرن من الزمن؟ أما الجواب عند حيدر: "هل العالم صرف أمواله وأهرق دماءه كي تُحكم الأمم من دون إرادتها الصريحة؟"[9].

في غضون ذلك كان الأربعة الكبار قد أقرّوا بهدوء لجنة التحقيق بشرطين اثنين. أما الشرط الأول فهو أن يشمل الاستفتاء العرب في الأراضي التي تحتلها بريطانيا أيضًا. وأما الشرط الثاني فهو ألا يُطرح الاستقلال كخيار في الاستفتاء. وفي ما يتعلق بمرجعية اللجنة فستكون قرار 30 كانون الثاني/ يناير 1919 عن الانتدابات. وحسب القرار فإن العرب سيكونون ضمن النوع (أ) من الانتداب، الذي يقدم "مشورة إدارية ومساعدة" لأن العرب "ليسوا مستعدين بعد لينهضوا بالاعتماد على أنفسهم في الظروف الصعبة للعالم المعاصر". ولذلك فإن اللجنة ستستفتي رأي السكان المحليين في أمرين فقط: حدود الانتدابات المستقبلية واختيار الدولة المنتدبة[10].

---

(8) Patrick, pp. 47-48.

(9) حيدر، ص 305.

(10) Link (ed.), pp. 272-275, 337; Patrick, pp. 46-47; Yale University Library Digital Collections, MSS 466, Edward Mandell House Papers, Series 2, Diaries, vol. 7, pp. 109-123, accessed on 15/2/2016, at: https://bit.ly/3wC3k9U

اختار ولسون صديقه الموثوق تشارلز كراين ليرأس القسم الأميركي من لجنة الحلفاء المقترحة. وكان كراين قد عمل مبعوثًا خاصًا لولسون إلى روسيا خلال الحرب، وكان عين وأذن الرئيس في باريس. أما الرئيس المشارك للقسم الأميركي من اللجنة فكان هنري تشرشل كينغ (Henry Churchill King)، رئيس كلية أوبرلاين (Oberline)، وهو من الليبراليين الذين يحظون بالاحترام. كان في ذلك الحين يقوم بأعمال المساعدة الإنسانية في ألمانيا لصالح "رابطة الشباب المسيحيين" (YMCA). كما وتمّ بسرعة اختيار مستشارين من الوفد الأميركي [إلى مؤتمر باريس]: ألبرت ليبير (Albert Lybyer)، وهو مؤرخ متخصّص في الدولة العثمانية اشتغل فترة بسيطة في التدريس بكلية روبرت في إسطنبول؛ وجورج مونتغمري (George Montgomery)، وهو صحافي وقس يتحدث التركية بطلاقة نظرًا لكونه نشأ مع المبشرين في شرق الأناضول؛ وكذلك وليام ييل وليس غيره، الشاب عريض المنكبين وعميل الاستخبارات الذي كان يرسل التقارير عن سوريا منذ عام 1917.

ولكن مع انقضاء آذار/ مارس وقدوم نيسان/ أبريل عادت العلاقات إلى التوتر بين الأربعة الكبار، ما أدى إلى تأخّر تسمية الأعضاء البريطانيين والفرنسيين في لجنة التحقيق. وبعد أن اختلفوا حول التعويضات الألمانية وحول مطلب إيطاليا بحكم فيومه (Fiume) تلاشت في ما بينهم روح التنازل. وقد وصل النزاع بينهم إلى ذروته في 6 نيسان/ أبريل حين أصدر ولسون إنذارًا: إذا لم يتراجع الأربعة الكبار عن ضمّ الأراضي، الذي ينسف النقاط الـ 14، فسيقوم بافتتاح المفاوضات في جلسة عامة بحضور كل الدول، أو أنه سيُبحر عائدًا إلى بلاده (وهو ما سيفعله أورلاندو بهدوء في نهاية الشهر). كان للإنذار مفعول السحر. استمرت المفاوضات بين الأربعة الكبار مع أن الرئيس الأميركي شعر بالتعب وبقي أسبوعًا طريح الفراش[11].

---

(11) Link (ed.), vol. 56, p. 584; Arthur S. Link (ed.), *The Papers of Woodrow Wilson,* vol. 57 (Princeton: Princeton University Press, 1988), pp. 62-71.

سجّل طبيب ولسون د. غرايسون Grayson في يومياته وجود حرارة والتهاب حلق وشخّص الحالة "نوبة تشنجية": =

بقي الأمير فيصل ينتظر الجواب من ولسون. في النهاية تلقى دعوة إلى حفل استقبال في 9 نيسان/ أبريل بمقرّ إقامته. كان يومًا ماطرًا بعد الظهر، وكان الرئيس لا يزال يتعافى، ولذلك لم يحضر حفل الاستقبال. تحدث الأمير فيصل مع لويد جورج، الذي نصحه بأن "الرجل العجوز" كليمنصو لا يعرف شيئًا عن سوريا، ولذلك سيكون من المفيد أن يلتقي به قبل مغادرته باريس. ولكن ما لم يقله لويد جورج لفيصل هو أنه أصبح له رأي آخر في إرسال لجنة التحقيق بسبب خشيته من أن تهدّد الحكم البريطاني في بلاد الرافدين. كانت هذه الخشية وراء نصيحته لفيصل بالتوصل إلى اتفاق مع كليمنصو الآن، أي حل المسألة السورية بدون الحاجة إلى تلك اللجنة[12].

اجتمع الأمير فيصل مع كليمنصو يوم الأحد 13 نيسان/ أبريل، أي لأول مرة منذ كانون الثاني/ يناير 1919، في مكتبه غير المرتّب بوزارة الحرب. كان اللقاء مخطّطًا له أن يكون وجهًا لوجه من دون تدخل وزارة الخارجية، وهو ما أصاب اللوبي الاستعماري بالهلع عندما علم بأمر اللقاء. لم يترك كليمنصو محضرًا لذلك اللقاء، ولكن عوني عبد الهادي، الذي قام بدور المترجم، دوّن بعض الملاحظات. إلا أن هذه الملاحظات التي نشرت بعد سنين عديدة ألهمت القوميين العرب ليتفقوا مع كلمات الشاعر ت. س. إليوت "نيسان هو الشهر الأقسى"[13].

رحّب كليمنصو بالأمير فيصل وهو يؤكد له أن فرنسا تسعى فقط إلى مساعدة سوريا للحصول على حريتها واستقلالها، وليس إلى استعمارها: "أريدكم أن تعرفوا، يا صاحب السعادة، أنني عدو للاستعمار، وقد كافحت ضد الاستعمار خمسين سنة".

---

Edward Mandell House, *The Intimate Papers of Colonel House*, Charles Seymour (ed.), vol. 4 (Boston: = Houghton Mifflin, 1928), pp. 401-404.

(12) حيدر، ص 329؛
Link (ed.), vol. 56, p. 323; Link (ed.), vol. 57: p. 146; Nevakivi, pp. 136-140.

(13) T. S. Eliot, *The Waste Land: A Facsimile and Transcript of the Original Drafts*, Valerie Eliot (ed.) (New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1974), pp. xvii-xxii, 6.

بدأ إليوت كتابة قصيدته "الأرض اليباب" (The Waste Land) في وقت متأخر من 1919، حين كان يعمل في مصرفٍ يدير الدَيْن الألماني. كان يشكو من سأم القراءة في شروط معاهدة الصلح المتعلقة بالأمور المالية، وانتهى من كتابة القصيدة في عام 1921 بعد انهيار عصبي.

أكّد الأمير فيصل لرئيس الوزراء الفرنسي أنه يثق بنواياه الإيثارية ولكن، كما أوضح، كان كليمنصو قد بلغ الثمانين وهو محاط بالذئاب الاستعمارية: "إنني أخشى من أن يأتي رئيس وزراء آخر لا يكون مثلكم عدوًا للاستعمار".

بدّد كليمنصو خوف الأمير فيصل: الحكومة الفرنسية لا تسعى إلى مستعمرة أخرى، كما أن الشعب لن يسمح لدولة أخرى أن تقطع أواصر الصداقة مع سوريا. يجب أن تكون فرنسا القوة التي تقدّم المشورة للسوريين. و"لذلك اطلبوا استبدال القوات البريطانية في سوريا بقوات فرنسية".

ولكن الأمير فيصل ألحّ بالقول: "لا، لا، سيادة الرئيس، إن سوريا لا تحتاج إلى قوات أجنبية كي تحميها". وفي ما لو احتاجت سوريا إلى حليف للدفاع عن نفسها لن تتردّد في طلب المساعدة من فرنسا.

أصرّ كليمنصو على أن فرنسا لن تسحب قواتها الآن، وأوضح قائلًا: "إن ذلك سيبدو كما لو أن قواتها تراجعت من جبهة قتال، إن كلّ فرنسا تحتاج إلى أن يكون هناك عدد قليل من القوات".

اقترح الأمير فيصل تأجيل النقاش الجاري إلى أن تقوم لجنة الحلفاء بالتحقّق من رغبات السوريين. ومع هذه الملاحظة استأذن الأمير فيصل رئيس الوزراء بالمغادرة[14].

لم يكن الأمير فيصل يعلم، ولكن النقاش الذي دار في 13 نيسان/ أبريل كان أفضل عرض قُدّم للسوريين[15]. فقد طرح مفهومًا للانتداب في حدّه الأدنى، حسب الشروط التي كان يطالب بها ولسون، أي كإدارة تقوم على المشورة لسوريا المستقلة مؤقتًا. كان الهم الأساسي عند كليمنصو في نيسان/ أبريل 1919 أن يكسب الدعم الأميركي لفرض شروط تسوية سلمية قاسية على ألمانيا[16].

---

(14) عبد الهادي، ص 69؛
Nevakivi, pp. 141-142; Allawi, pp. 219-220; Gérard D. Khoury, *La France et l'Orient arabe: Naissance du Liban moderne, 1914-1920* (Paris: Albin Michel, 2009); pp. 214-216.

(15) Khoury, p. 213.

(16) Gregor Dallas, *At the Heart of a Tiger: Clemenceau and His World 1841-1929* (New York: Carroll and Graf, 1993), pp. 565-570; Peter Jackson, *Beyond the Balance of Power: France and the* =

لم يكن في وسع كليمنصو، على كل حال، أن يتجاهل اللوبي الاستعماري. كان الصوت الوحيد ضد توسّع الإمبراطورية، ولذلك كان يتوقع ردّة فعل عنيفة ضده في البرلمان. فمن جهة اليمين كان الاستعماريون يشنّون حملة صحفية قوية ضده. ومن جهة اليسار كان كليمنصو قد خسر دعم المدافعين عن عصبة الأمم من أمثال ليون بورجوا عضو الوفد الفرنسي بعد أن اتّهمهم بكونهم "دعاة سلام" خلال الحرب. كان "أبو النصر" يرغب في أن يبقى في منصبه إلى أن ينجز معاهدة السلام. ولذلك لم يتجرأ على ضمان الاستقلال الكامل لسوريا[17].

أما الأمير فيصل فقد تجاهل واقع السياسة الفرنسية لأنه كان يتوقع الدعم له من لجنة الحلفاء للتحقيق[18]. وكان المستشار الأول لولسون العقيد هاوس قد شجّع فيصل على الاعتقاد أن اللجنة ستسافر بسرعة [إلى سوريا]. وكان هاوس قد ألمح إلى أن الأميركيين يمكن أن يحصلوا على الانتداب [على سوريا] إذا اتّحد السوريون حول ذلك. وهكذا رأى الأمير فيصل أن الوقت حان ليعود إلى سوريا بنصر دبلوماسي.

ولكن الأمير فيصل لم يحسب أي حساب للصعود القوي لروبير دو كيه الذي شقّ طريقه ليصبح المستشار الجديد لكليمنصو حول سوريا. كان دو كيه، الصارم القصير القامة الذي يضع نظارة أنفية وله لحية مدبّبة، من الزعماء الأقوياء للوبي الاستعماري. ولذلك كان يعتبر الولسونية (Wilsonism) "وباء" ويرى الانتداب المحدود "لعنة". وكما التقى الأمير فيصل مع كليمنصو، فقد كان دو كيه يتملّق الوفد الأميركي، وأصبحت له ولجورج بيكو علاقة وطيدة بشكل خاص مع

---

*Politics of National Security in the Era of the First World War* (New York: Cambridge University Press, = 2013), pp. 231-275.

(17) حيدر، ص333-335؛
Khoury, p. 217; Christopher M. Andrew & A. S. Kanya-Forstner, *The Climax of French Imperial Expansion 1914-1924* (Stanford: Stanford University Press, 1981), pp. 170-173, 189-196.

(18) ينظر على سبيل المثال مذكرته إلى كليمنصو، حيث لخّص محادثتهما في 13 نيسان/ أبريل باعتبارها تؤكد أن "سوريا لها الحق في الاستقلال": سليمان موسى (محرر)، **المراسلات التاريخية 1919: الثورة العربية الكبرى** (عمان: 1975)، ج 2، ص 64-65.

وليام ييل. وقد حذّر دو كيه الأميركيين من أن القوات الفرنسية تحتاج إلى أن تبقى في سوريا كي توقف فيصل "عندما يبدأ بشنق معارضيه"[19].

تمكّن دو كيه من أن يحول دون أي التزام مكتوب لكليمنصو بالاستناد إلى الحديث الذي دار بينه وبين فيصل في 13 نيسان/ أبريل. وباعتباره ممثلًا لرئيس الوزراء، فقد صاغ مسودة رسالة [إلى فيصل] لا تعترف بالاستقلال بل فقط بحقّ سوريا في الاستقلال. وقد رأى حيدر وعبد الهادي فورًا في الرسالة حيلة لإقناعهم بقبول الانتداب. وعندما قدّموا له مذكرة يرفضون المسودة، رفض دو كيه بدوره لغتهم التي تمثل "نموذجًا للغطرسة". كانت هذه لغة الإقصاء الاستعماري. فالعرب، حسب تفكير دو كيه، لا يحق لهم أن يتحدثوا بندّية مع الفرنسيين[20].

في هذه الحالة كان فيصل مرغمًا على مغادرة باريس من دون ضمانات مكتوبة. كان عليه أن يراهن فقط على لجنة الحلفاء للتحقيق. وفي 21 نيسان/ أبريل قام بزيارة وداع لكليمنصو. كرّر له كليمنصو التأكيد أنهما اتفقا من حيث المبدأ، حتى إنه اعتذر عن تفويض الأمر إلى دو كيه لأنه كان مشغولًا في المسائل المتعلقة بألمانيا[21].

في مساء ذلك اليوم رافق حيدر وعبد الهادي الأمير فيصل إلى محطة ليون للقطار. طلب فيصل منهما البقاء في باريس والتفاوض حول اتفاق بالاستناد إلى شروط كليمنصو: الاعتراف بالاستقلال مقابل وعد سوريا بالاعتماد فقط على فرنسا في المشورة والمساعدة. وكان قد جاء أيضًا لوداع الأمير فيصل غو وبيكو ودو كيه ولورنس. وحينما انطلق القطار بفيصل أخذ لورنس الفرنسيين جانبًا للحديث معهم، وهو ما جعل حيدر يدوّن في مذكراته: "إنني أصبحتُ أشك في صدق سياسة هذا الشاب الإنكليزي"[22].

---

(19) CURBML, Westermann Diary, April 12, 13, 17, and 23, 1919, 56-67; Patrick, pp. 60-61.

(20) 20. Khoury, pp. 203-209.

(21) حيدر، ص 344-359؛ موسى، ص 66-67؛ Allawi, pp. 219-224; Khoury, pp. 223-227.

(22) حيدر، ص 359-361.

توقّف الأمير فيصل في روما حيث قابل ملك إيطاليا كما استقبله البابا، ثم تابع طريقه ليصل إلى بيروت في 30 نيسان/ أبريل 1919. وبذلك قام بجولة كبيرة منذ تشرين الثاني/ نوفمبر 1918. عاد مرهقًا بسبب الجهود الدبلوماسية التي بذلها، ولكنه عاد الآن ليطالب بالسيادة. ولذلك خطّط الأمير لعقد مؤتمر عربي للترحيب بلجنة التحقيق ووضع دستور. وكان ولسون بإلحاحه على إرسال لجنة التحقيق أطلق عن غير قصد تجربة رائعة للديمقراطية في دمشق.

# القسم الثالث

# إعلان استقلال سوريا

# الفصل السابع

## المؤتمر السوري ولجنة التحقيق الأميركية

رست سفينة الأمير فيصل في بيروت في 30 نيسان/ أبريل 1919 وسط هتافات الحشد الذي جاء للترحيب به. وفي خطاب له في الجامع الكبير حيّا المسيحيين والمسلمين معًا باعتبارهم "أخوة في حبهم لوطنهم"، وطالبهم بـ"الاتحاد كي تعرف أوروبا أن السوريين يريدون العيش مستقلين".

في اليوم الثاني زار الأمير فيصل بلدية بيروت والكلية البروتستانية السورية الأميركية، حيث أصدر نداءً رسميًا للسوريين كي يحشدوا أنفسهم. وكان قد صرح في باريس مخاطبًا السوريين: "إن استقلال بلادكم أُقرّ مبدئيًا". وما بقي الآن هو أن يحوّل السوريون المبدأ إلى واقع. وكما وعدهم الآن فإنّ القوى العظمى الأربع سترسل لجنة للتحقّق من رغبات السوريين، والاجتماع مع "المؤتمر السوري العام المؤقت الذي ينعقد عما قريب". وأضاف هنا: "أريد منكم أن تُثبتوا بأنكم تستحقّون الاستقلال وأنكم قادرون على إدارة شؤونكم بأنفسكم... إنكم أمة تفدي كل عزيز في سبيل أشرف غاية، وهي الاستقلال"[1].

في طريقه إلى دمشق بالقطار كانت الحشود تحيي الأمير فيصل في كل محطة. كانت اللافتات في انتظاره تقول "عاش الاستقلال العربي" و"عاش الأمير فيصل". وكما جاء في صحيفة بيروتية فقد كانت حماسة الأهالي للسلام عليه كبيرة، إلى

(1) Abu Khaldun Sati al-Husri, *The Day of Maysalun* (Washington, DC: Middle East Institute, 1966), pp. 105-106.

حدّ أن القطار كان يتأخّر في كل محطة حوالى ثلاثين دقيقة. وممن رافقوا الأمير في سفره كان رئيس بلدية بيروت وحبيب اسطفان، وهو رجل دين ماروني كان قد استقبل مبعوث الأمير فيصل في بيروت بخطاب بليغ في تشرين الأول/ أكتوبر الماضي[2].

وقبل وصوله بساعات إلى دمشق في 3 أيار/ مايو، كان الرجال والنساء والأطفال قد اصطفوا في شوارع العاصمة وتجمّعوا على أسطح بيوتها. وكما وصف ذلك مراسل للجريدة الرسمية **العاصمة**: "رأيتُ قلب الأمة ينبض وكأنّها شرارة كهربائية سرت في جثمانها فارتعش كل عضو من أعضائه... لا بدع إذا احتفلت الأمة العربية اليوم احتفالًا لم يعرف تاريخ هذه البلاد مثله"[3].

بعد وصوله بيومين، التقى الأمير فيصل في مبنى السرايا بمركز دمشق ممثلين من أرجاء سوريا ليؤكد لهم ما حقّقه من إنجازات وطلب الدعم منهم قبل أن تصل لجنة الحلفاء للتحقيق. بدأ حديثه بالقول إن "هذه الكلمات ستكون تاريخية بالنسبة إلى حياة الأمة العربية"، ثم ذكر للحاضرين أنه والسوريين متحدون في حركة سياسية مشروعة في مواجهة الجهل الأوروبي الذي يرى العرب عبارة عن عرب البادية وأنه نفسه غريبًا عن البلاد. وأضاف في حديثه عن الحركة العربية أن "السوريين مسؤولون عنها معنا لأنهم شوّقوا الحجازيين لهذه الحركة"، ولذلك "نرى والحمد لله أن الفخر هو فخر للجميع". تابع الأمير فيصل حديثه: "ولذلك ذهبتُ إلى المؤتمر الذي انعقد في باريس" و"دافعتُ عن سورية بحدودها الطبيعية، وقلت إن السوريين يطلبون استقلال بلادهم الطبيعية، ولا يريدون أن يشاركهم فيه شريك". أما المناطق العربية الأخرى كالعراق والحجاز، فكل واحدة يطلب أهلها الاستقلال.

وبعد ذلك شدد الأمير فيصل على ضرورة أن يقدم السوريون مطالبهم أمام لجنة الحلفاء للتحقيق: "يُتطلب منكم أن تعربوا لها عن ضمائركم بأي صورة

---

(2) "'كلمة للمواطنين' و'الاحتفال بسمو الأمير فيصل'"، جريدة **لسان الحال**، 1/ 5/ 1919، ص 1-2.

(3) Malcolm B. Russell, *The First Modern Arab State: Syria under Faisal 1918-1920* (Minneapolis: Bibliotheca Islamica, 1985), p. 40;

"الأمير فيصل في العاصمة"، جريدة **العاصمة**، مج 1، العدد 23، 7/ 5/ 1919، ص 3.

كانت، لأن الأمم لا تريد اليوم أن تحكم أمةٌ أمةً أخرى إلا برضاها"، ولذلك لا بد من انتخاب الممثلين للشعب. وبعد أن قال: "إن الثوار قاموا ولم يستشيروا الأمة لعدم مساعدة الوقت"، سأل الأعيان الحاضرين في ما إذا كانوا يوافقون على اختياره زعيمًا كي يؤسّس سلطة بموجب القانون الدولي؟

أجاب الحشد المجتمع مع التصفيق: نعم!

"هل تريدون أن نداوم على عملنا أم لا؟"

أجاب الحشد ثانية: "نداوم، نداوم".

حقّق هذا الخطاب نجاحًا كبيرًا. فقد وقف ممثلو منطقة حوران حول درعا، من طائفة الدروز، ومن فلسطين كي يبايعوا الأمير فيصل بالولاء. ثم جاء بعدهم دور بطاركة الطوائف المسيحية، الروم الكاثوليك والأرثوذكس والنساطرة واليهود وأعيان مدن بعلبك وحمص وحماة وحلب وصيدا وعمان واللاذقية والسلط وجبل لبنان. وقام بطريرك اللاجئين الأرمن متحدثًا بالتركية ليشكر العرب على دعمهم خلال الحرب: "إن تاريخنا سيكتب اسم العرب بمداد من الذهب، فأنا أبارك لكم وأشكركم".

طالب الأمير فيصل بعد ذلك باحترام "مطالب الأقلية من الشعب" وأن يُعامل جميع المواطنين بالمساواة، وطالب السوريين بأن يبنوا مجتمعًا قائمًا على الثقة والصالح المشترك لهم، وأن يثبتوا للقوى الكبرى أنهم أمة متحدة: "لنحافظ على كبيرنا وصغيرنا وجارنا ومستجيرنا". وفي ختام كلمته حذّر الأمير فيصل: "لا استقلال لكم إلا إذا لزمتم السكون وعملتم بما يقوله من أنتم معتمدوه"[4].

كان لمناشدات الأمير فيصل تأثيرها في حركة أو سيرورة تحشيد شعبي جماهيري لم يكن معهودًا من قبل في سوريا. وقد عمدت الجريدة الرسمية **العاصمة**

---

(4) al-Husri, pp. 106-112; Russell, p. 41; Ali A. Allawi, *Faisal I of Iraq* (New Haven: Yale University Press, 2014), pp. 232-235;

أحمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** (دمشق: ابن زيدون، 1956)، ص 115؛ ماري ألماظ شهرستان، **المؤتمر السوري العام 1919-1920** (بيروت: دار أمواج، 2000)، ص27-28.

على تعزيز مناشدته بنشر مقالات كتبها أعضاء جمعية "الفتاة". أشادوا فيها بوصول "الديمقراطية العربية" ومستقبل "الولايات العربية المتحدة"، وشرحوا فيها المعنى السياسي للتعابير مثل "الأحزاب" و"الاشتراكية" و"المساواة" و"إضراب العمال". وفي ضوء قراءاته لكتاب **الدولة** لوودرو ولسون فقد أشاد رستم حيدر بتحليل جريدة "**العاصمة**" للنظام الذي اقترحه الأمير فيصل: "إن الفرق بين نظام الحكم الأميركي ونظام الحكم العربي يكمن في هذا: الأول هو جمهوري دستوري والثاني سيكون ملكيًا دستوريًا"[5].

كان نجاح الأمير فيصل كبيرًا إلى حد أنه فقد السيطرة على الحركة التي أطلقها. ففي الشهور التالية، مع تصاعد الكفاح في سبيل الاستقلال، قام أيضًا سوريون بتنظيم حركات محلية للمطالبة بحقوق ديمقراطية ضد امتيازاته الملكية.

## انعقاد المؤتمر السوري العام

في انتظار وصول لجنة الحلفاء للتحقيق، قام الحاكم علي رضا الركابي بالدعوة إلى انتخابات في سوريا الكبرى لاختيار ممثلين للمؤتمر الجديد. وقد اعتمد في دعوته هذه على قانون الانتخاب العثماني، إلا أنه قرّر تجاوز المرحلة الأولى من عملية الانتخاب المعتادة على مرحلتين لكسب الوقت. وهكذا كان على الناخبين الذين فازوا في آخر انتخابات عثمانية (1913) أن يجتمعوا في دوائرهم وأن ينتخبوا ممثليهم إلى المؤتمر. وفي مطلع حزيران/ يونيو اجتمع الناخبون بشكل علني في المنطقة الشرقية كي يقترعوا بأصواتهم. ولكن فرنسا وبريطانيا منعتا الانتخابات في المنطقة الغربية (لبنان) وفي المنطقة الجنوبية (فلسطين)، وستزعمان لاحقًا بالاستناد إلى ذلك أن المؤتمر السوري لم يُنتخب بشكل قانوني. وعلى كل حال، رتّب الناخبون في المنطقتين الفرنسية والبريطانية اجتماعات سرّية لاختيار

---

(5) مذكور في:
Philippe David, *Un Gouvernement arabe à Damas: Le Congrès syrien* (Paris: Marcel Giard, 1923), 48.
ينظر أيضًا جريدة **العاصمة**، مج 1، العدد 19 (21/ 4/ 1919) والعدد 24 (9/ 5/ 1919) والعدد 25 (12/ 5/ 1919) والعدد 26 (17/ 5/ 1919) والعدد 32 (5/ 6/ 1919) والعدد 35 (16/ 6/ 1919).

ممثليهم إلى المؤتمر. وبشكل عام فقد اختاروا النواب الذين انتخبوهم للبرلمان العثماني الأخير[6].

سيطرت الحماسة على الحملة الانتخابية في دمشق. في نهاية أيار/ مايو سيطرت الحماسة السياسية على شوارع دمشق. في الطرف الأول كان هناك أعيان المدينة الأكثر غنىً مثل فوزي باشا العظم وعبد الرحمن يوسف من المحافظين المؤيديين للعثمانيين الذين عارضوا والد فيصل، الشريف حسين، والثورة العربية. كانوا يرون في حكومة فيصل سياسيين شبابًا، من غير الدمشقيين، الذين يريدون التخلص من النفوذ التقليدي للمحافظين. ولذلك شنّوا حملات عدائية ضد القوميين. وفي المقابل نظّم القوميون المتشددون الاحتجاجات ووزّعوا المنشورات التي تحمل شعار "الاستقلال أو الموت"، كما أنهم نشروا الشائعات عن مؤامرات المسيحيين واليهود ضد سوريا. أما المرشحون من جمعية "الفتاة" فقد أدوا دورًا معتدلًا أكثر، وردّوا على المحافظين والقوميين المتشددين بوعود ليبرالية[7].

ولكن عندما أغلقت احتجاجات القوميين مكاتب الحكومة المحلية، أطلق الجنرال ألَّنبي، الذي بقي القائد العسكري الأعلى في سوريا، جرس الإنذار. إلا أن الأمير فيصل دافع عن العملية الانتخابية. أوضح للجنرال ألَّنبي أن السوريين "قرّروا في ما بينهم أن يطالبوا بحقوقهم القومية وأن يدافعوا عن وجودهم القومي بكل ما يملكون من قوة بالوسائل الشرعية". وقد حذّره أخيرًا بالقول إن السوريين إذا وُضعوا تحت الانتداب ستكون هناك إراقة دماء[8].

---

(6) شهرستان، ص 35-41؛
David, pp. 51-63.

(7) Andrew Patrick, *America's Forgotten Middle East Initiative: The King-Crane Commission of 1919* (New York: I. B. Tauris, 2015), pp. 130-133.

(8) من فيصل إلى القائد العام 28 أيار/ مايو 1918 في:
Alan de L. Rush (ed.), *Records of the Hashemite Dynasties*, vol. 10 (London: Archive Editions, 1995), pp. 210-211;
برقية من فيصل إلى الجنرال ألنبي بتاريخ 29/ 5/ 1919 في: سليمان موسى (محرر)، **المراسلات التاريخية 1919: الثورة العربية الكبرى** (عمان: 1975)، ج 2، ص 75-76؛
Patrick, p. 74.

في النهاية فاز المحافظون وحصلوا على 14 مقعدًا من مجمل المقاعد الـ 16 المخصّصة لدمشق. أما القوميون فلم ينجح منهم سوى اثنين: فايز الشهابي وفوزي البكري، وهو مستشار للأمير فيصل وأحد مؤسّسي جمعية العربية الفتاة مع رستم حيدر وأحمد قدري وعوني عبد الهادي.

في الأسبوع الأول من شهر حزيران/ يونيو، توجّه الممثلون الفائزون إلى دمشق. كانت هناك في انتظارهم لجنة العضوية للتأكد من هويتهم وحقّهم في تمثيل دوائرهم. من مجموع الممثلين الفائزين كان 40 في المئة منهم يمثلون المدن الأربع الرئيسية في سوريا الداخلية: دمشق وحمص وحماة وحلب. وفي ما يتعلق بدمشق فقد كان معظمهم من العائلات المحافظة لملّاك الأراضي[9].

ولكن من أصل 120 ممثلًا لم يصل إلى دمشق سوى 87 ممثلًا. كان العديد من المقاعد الفارغة يعود إلى الدوائر المعارضة مثل جبل لبنان، حيث كانت الكنيسة المارونية تطالب بدولة مسيحية في لبنان منفصلة عن سوريا. أما الدوائر التي تعود إلى الأقلية العلوية في سوريا الساحلية وإلى الأقلية الدرزية جنوب دمشق فقد كان يحكمها زعماء عشائريون يطالبون باستقلالهم الذاتي عن دمشق.

هذه الاختلالات في العملية الانتخابية والتمثيل ستكون لاحقًا المأخذ الذي سيشكّك نقّاد أوروبيون وسوريون بشرعية المؤتمر. وعلى كل حال فقد بيّن مؤرخون أن هذه الفوارق تعود جزئيًا، وربما أقل، إلى جهود قوميين لإقصاء الأقليات. كما أن بعض الممثلين لم يصلوا إلى دمشق لأن السلطات الفرنسية والبريطانية عرقلت سفرهم. وإضافة إلى ذلك فقد طاف عملاء فرنسيون في المناطق العلوية والدرزية المعارضة ووزّعوا هناك الأموال والعطايا لثني الممثلين عن حضور المؤتمر. وكما فعل الموارنة فقد قاطع الزعماء الصهيونيون الانتخابات لأنهم كانوا يرغبون بدولة مستقلة عن دمشق[10].

---

(9) محمد عزة دروزة، **مذكرات محمد عزة دروزة 1887-1984** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، ج 1، ص 350-353، 383-385؛

Philip S. Khoury, *Urban Notables and Arab Nationalism: The Politics of Damascus 1860-1920* (New York: Cambridge University Press, 1983), pp. 86-88.

(10) Russell, p. 88.

عقد المؤتمر السوري العام أول جلساته يوم 7 حزيران/ يونيو في مقرّ النادي العربي بالقرب من محطة سكة حديد الحجاز. كان الركابي هو من أسّس هذا النادي لأجل الدعوة إلى النهضة الثقافية، وتحوّل إلى مركز سياسي معروف. رحّب فيصل رسميًا بالمؤتمر واستعرض في خطابه أصول لجنة الحلفاء للتحقيق في النقاط الـ 14 لولسون. بعد ذلك عهد فيصل للمؤتمر بثلاث مهمات: (1) تمثيل الأمة أمام اللجنة، (2) وضع دستور يحمي حقوق الأقليات، (3) أن يثبت للعالم أن الأمة العربية تستحق أن تكون حرة. وهكذا كان تصوّر فيصل عن المؤتمر السوري العام يقوم على كونه هيئة استشارية وجمعية تأسيسية. ونظرًا إلى أن فيصل بقي شكليًا القائد العسكري للمنطقة المحلية، فلم يكن المؤتمر برلمانًا رسميًا.

إلا أن المؤتمر سرعان ما أظهر أنه ليس مجرد جروٍ صغيرٍ في حضن فيصل أو جمعية العربية الفتاة. فقد كان معظم النواب من الأعيان المحافظين وكبار ملاك الأراضي الأغنياء وزعماء العشائر ورؤساء الطوائف الدينية الذين كانوا مقربين من النظام العثماني. أما جمعية العربية الفتاة فقد تمثلت بـ 14 نائبًا فقط. وقد انتخب النواب فوزي باشا العظم أوّلَ رئيس للمؤتمر، وهو مالك أراضٍ أرستقراطي عجوز ومن الموالين للعثمانيين. أما عبد الرحمن اليوسف، وهو من أغنى رجالات سوريا، فقد انتُخب نائبًا للرئيس. لم يكن اليوسف عربيًا، بل كرديًا. وخلال العام الأول سيقود اليوسف جناحًا لتأكيد سيطرة الدمشقيين على الحكومة ضد فيصل والعرب القادمين من سوريا الكبرى، وبشكل خاص ضد أجندتهم الديمقراطية[11].

ومع أن غالبية النواب كانت من المحافظين من الناحية الاجتماعية، إلا أنهم كانوا يفضّلون استقلالًا سياسيًا لسوريا. ولإرضاء أكبر لفيصل، فقد ضمّ المؤتمر عددًا من المسيحيين أكثر من نسبتهم المئوية، الذين انتُخب معظمهم في سوريا

---

(11) لا أشاركُ شهرستان شكوكها في انتخاب العظم رئيسا للمؤتمر. فقد انتخب رئيسًا حين كان بعض أعضاء الفتاة قد وصلوا لتوهم إلى دمشق. وكانت الماكينة الانتخابية العثمانية ستفضّل انتخاب المحافظين على القوميين الشباب. ينظر نقاش: شهرستان، ص 51-58؛ وحول اليوسف ينظر: دروزة، 97 سنة، ص 381-383. كان المسؤولون الفرنسيون يعرفون أن المحافظين الذين سيطروا على المؤتمر سيقاومون الخطط الديمقراطية لفيصل والقوميين. ينظر:

David, pp. 78-79.

الداخلية، إضافةً إلى نائب يهودي من دمشق. ولإرضاء فيصل أيضًا تمّ انتخاب عزة دروزة، النائب عن نابلس في فلسطين، سكرتيرًا للمؤتمر. وكان دروزة قد انضم إلى جمعية العربية الفتاة خلال الحرب عندما كان يعمل مديرًا لمكتب في البريد لبيروت. كان ذكيًا جدًا من أصل متواضع علّم نفسه بنفسه. كان قوي البنية مع شارب أسود كثيف، سياسي بالفطرة مع حيوية وافرة وموهبة تنظيمية كبيرة. ومع أنه كان قد وصل لتوّه إلى دمشق، إلا أنه أصبح له أصدقاء كثر.

اجتمع دروزة مع الأمير فيصل لأول مرة في اجتماع متوتّر لجمعية العربية الفتاة لوضع استراتيجية حول زيارة لجنة الحلفاء للتحقيق. وكان فيصل، الذي كان أقل ثقة بدعم الحلفاء مما يُظهر في العلن، اقترح أن تشير الجمعية إلى اللجنة بأنها تؤيد انتدابًا بريطانيًا. كانت لدى فيصل شكوكه في فرنسا، ولذلك رأى في أن بريطانيا ستخدم السيادة السورية. وقد دُعي دروزة حينئذ إلى الرد على ذلك باعتباره قائدًا للمعارضة. كان في البداية، كما يكتب في مذكراته، متهيّبًا ولكنه وقف وقفة قوية ليقول إن جمعية العربية الفتاة تطالب بالاستقلال الكامل، أي ضد القواعد التي وضعها المجلس الأعلى للحلفاء. وأكد دروزة هنا أن بريطانيا خانت العرب عندما وقّعت اتفاقية سايكس بيكو التي تقضي بإعطاء سوريا لفرنسا، ولذلك لا يمكن الوثوق بها ثانية.

ارتبك الأمير فيصل بهذا الرد القوي من موظف بسيط، ومال إلى مرافقه تحسين قدري، شقيق الدكتور أحمد قدري، سائلًا بتكتّم في التركية: "من أين جاء هذا الشاب؟"[12]. وسرعان ما اكتشف أن دروزة يتمتع بتأييد من السياسيين القادة في دمشق، وهو من ساعد على تنظيم المظاهرات ضد الانتداب البريطاني، ما جعل فيصل يتراجع في موقفه[13]. كان هذا أول درس لفيصل في تعلّم الديمقراطية.

كان مؤيّدو دروزة في معارضته هذه هم قادةُ حزب الاتحاد السوري، الذي تأسّس في القاهرة قبل ستة شهور. قام الحزب منذ الشتاء بتوزيع منشورات في

(12) دروزة، **مذكرات محمد عزة**، ص 363، 366، 377؛ محمد عزة دروزة، **مذكرات وتسجيلات** (دمشق: الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار، 1986)، ج 2، ص 77-78.

(13) Rush (ed.), *Records of the Hashemite*, interview with Michel Lutfallah; Russell, pp. 86-88.

دمشق وغيرها، تروّج لبرنامج الحزب وتطالب بالوحدة الكاملة والاستقلال التام لسوريا الكبرى، ونظام حكم على "المبادئ الديمقراطية للامركزية"، التي ستضمن للأقاليم الحكم الذاتي بواسطة مجالسها المنتخبة والقائمة على القانون المدني. أما أمور الأسرة والأحوال الشخصية فقط ستكون تابعة للقانون الديني. كان حزب الاتحاد السوري هو القوة السياسية التي تدعو إلى "دستور مدني جديد"[14].

لم يسمح البريطانيون للشيخ رشيد رضا بالسفر، ولكنهم سمحوا لثلاثة من قادة الحزب بالسفر إلى دمشق هم: كامل القصّاب الداعية المسلم الشعبوي، وميشيل لطف الله المصرفي الأرثوذكسي، والدكتور عبد الرحمن الشهبندر. حمل هؤلاء معهم معارضة قوية للبريطانيين، بالاستناد إلى ما رأوه في الثورة المصرية خلال الربيع. وكان البريطانيون قد اعتقلوا ونفوا الزعيم الوطني الشعبي سعد زغلول بسبب إصراره على حضور مؤتمر الصلح في باريس. وعلى الرغم من حظر التجول، خرج المسلمون والمسيحيون، الرجال والنساء، تحت لافتات تحمل الهلال والصليب معبّرين عن الوحدة الوطنية ومطالبين بالاستقلال. ردّت عليهم القوات البريطانية بإطلاق النار. وفي نيسان/ أبريل استُدعي الجنرال ألّنبي، الذي عوّل عليه السوريون لتأييد حريتهم، إلى القاهرة لسحق الثورة.

مع حلول حزيران/ يونيو 1919 كان الشيخ رضا قد فقد ثقته أيضًا بالبريطانيين بعد أن أنكروا حقّ المصريين وأظهروا لامبالاة شديدة قاسية تجاه مصير سوريا. وكان الشيخ رضا قد حاول بعد توقيع الهدنة العسكرية أن يرسل مساعدات غذائية وملابس لأسرته وقريته. فقد كانت القلمون قد عانت كثيرًا من المجاعة والأمراض خلال الحرب، إلا أن البريطانيين على الحدود جمّدوا إرسال الشحنة. وحتى حزيران/ يونيو لم تكن شحنة الغذاء واللباس قد وصلت إلى القلمون[15].

---

(14) Republic of France, Ministry of Foreign Affairs archive at Nantes, Fonds Beyrouth, "The Central Syrian Union Party in Egypt," in Carton 2368. Program enclosed in a February 12, 1919, memo from Colonel Cousse on the distribution of SUP pamphlets in Damascus.

(15) محمد رشيد رضا، "الرحلة السورية الثانية (2)"، مجلة **المنار**، مج 21 (آب/ أغسطس 1920)، ص 428-433، والاستشهاد المذكور في ص 428.

كان الشيخ رضا يتابع بقلق الأوضاع في سوريا. ففي عدد حزيران/ يونيو حذّر السوريين في مجلة **المنار** من خلافاتهم حول القضايا الثانوية في الوقت الذي تقوم فيه فرنسا وبريطانيا بتقطيع بلادهم إلى مستعمرات: "من فقَهَ ما تقدّم لم يعجب ما يراه من كثرة اختلاف السوريين في أمر بلادهم"، و"أنّ كثيرًا منهم يطالبون أن يكون وطنهم تحت حماية أو وصاية أجنبية، هذه خطة خسف وضعة لا يرضى نفسه بمثلها من نعلم أنهم أدنى من السوريين وأقل شعورًا بمعنى الحرية"[16].

أصبح رضا يائسًا من إمكانية تقديم المشورة إلى فيصل وحضور المؤتمر السوري. كان البريطانيون متردّدين في السماح للناشطين السياسيين بالعودة إلى دمشق. تمكن لطف الله من العودة إلى لبنان بحجة متابعة الأعمال الخيرية. وحصل كامل القصّاب والشهبندر على الإذن بالعودة إلى دمشق بشرط عدم ممارسة السياسة. ولكنهما بمجرد وصولهما حنثا بالوعد وقاما بفتح فرع لحزب الاتحاد السوري. وسرعان ما أصبح هذا الحزب العمود الفقري لمعارضة ميل الأمير فيصل للتنازل عن الاستقلال الكامل. ومن هنا فقد أيّد القصّاب دروزة في اجتماع جمعية العربية الفتاة حين عارض الأمير فيصل. وفي احتفال أقامه حزب الاتحاد السوري اضطر فيصل علانية إلى إعلان تأييده للاستقلال الكامل.

وفي نهاية حزيران/ يونيو اجتمع المؤتمر السوري أخيرًا ليناقش كيفية عرض آراء السوريين أمام لجنة كينغ-كراين، وهي قسم من لجنة الحلفاء للتحقيق التي دُعيت إلى الانعقاد. وبعد جلسة ماراثونية توافق الأعضاء على ما عرف لاحقًا "برنامج دمشق"[17]. كان مطلعه كما يأتي:

> إننا نحن الموقّعين أدناه بامضاءاتنا وأسمائنا أعضاء المؤتمر السوري العام، المنعقد في دمشق الشام والمؤلف من مندوبي جميع المناطق الثلاث

---

(16) محمد رشيد رضا، "المسألة السورية والأحزاب"، مجلة **المنار**، مج 21 (حزيران/ يونيو 1919)، ص 197-206.

(17) يذكر ليبير أنّ 69 نائبًا اجتمعوا في 2 تموز/ يوليو. ينظر: المذكرة بدون عنوان في مجموعة كينغ-كراين:
KCDC, Digital Collection, Oberlin College, accessed on 28/2/2017, at: https://bit.ly/38MdDAd

الجنوبية والشرقية والغربية، الحائزين على اعتمادات سكان مقاطعاتنا وتفويضاتهم من مسلمين ومسيحيين ويهود، قد قرّرنا في جلستنا المنعقدة في نهار الأربعاء المصادف لتاريخ 2 تموز/يوليو 1919 وضع هذه اللائحة المبيّنة لرغبات سكان البلاد الذين انتدبونا، ورفعها إلى الوفد الأميركي المحترم من اللجنة الدولية[18].

أقرّ المؤتمر السوري بالإجماع أربعة قرارات حسب ما هو وارد في برنامج حزب الاتحاد السوري، وهي أيضًا تلخّص رأي فيصل في أنّ السوريين متطورون كالأوروبيين، ولذلك لا يحتاجون إلى انتداب:

1. الاستقلال السوري التام "لسوريا الكبرى من الأناضول إلى البحر الأحمر، ومن نهر الفرات إلى البحر المتوسط".

2. "حكومة هذه البلاد السورية ملكية، مدنية، نيابية، تدار مقاطعاتها على طريقة اللامركزية الواسعة وتحُفظ فيها حقوق الأقليات على أن يكون ملك هذه البلاد الأمير فيصل".

3. "حيث إن الشعب العربي الساكن في البلاد السورية شعب لا يقلّ رقيًّا من حيث الفطرة عن سائر الشعوب الراقية، وليس في حالة أحطّ من حالات شعوب البلغار والصرب واليونان في مبدأ استقلالها، فإننا نحتجّ على المادة الواردة في عهد عصبة الأمم، والقاضية بإدخال بلادنا في عداد الأمم المتوسطة التي تحتاج إلى دولة منتدبة".

4. "حيث إننا لا نريد أن تقع بلادنا في أخطار الاستعمار، وحيث إننا نعتقد أن الشعب الأميركي هو أبعد الشعوب عن فكرة الاستعمار، وأن ليس له مطامع سياسية في بلادنا، فإننا نطلب هذه المساعدة الفنية والاقتصادية من الولايات المتحدة الأميركية وعلى ألا يزيد أمد هذه المساعدة عن عشرين عامًا".

---

(18) KCDC, "Statement of Syrian Conference, Damascus, July 3, 1919," accessed on 26/2/2017, at: https://bit.ly/3wxVBee

لقد أدخلتُ تصويبات وتعديلات على هذه الترجمة في استشهادي هنا. وينظر مناقشة شهرستان للبيان في العربية: شهرستان، ص 61-68.

أما القرار الخامس فقد تم تبنّيه مع وجود أصوات معارضة له، وهو يقبل انتداب بريطانيا كخيار ثان ولكن ضمن الحدود الصارمة الواردة في القرار الرابع: "إذا لم تتمكن الولايات المتحدة من قبول طلبنا هذه المساعدة منها فإننا نطلب أن تكون هذه المساعدة من دولة بريطانيا العظمى".

أما في البنود الأخرى من 6-10 من "برنامج دمشق" فقد تضمّنت رفض المؤتمر بالإجماع تقسيم سوريا الكبرى إلى دول منفصلة كفلسطين ولبنان وسوريا، والدعوة إلى إلغاء الاتفاقيات الأوروبية التي فُرضت من طرف واحد من دون موافقة الشعب: تصريح بلفور باسم بريطانيا لتأسيس وطن يهودي في فلسطين، واتفاقية سايكس بيكو التي قسّمت سوريا الكبرى والعراق بين بريطانيا وفرنسا.

وهكذا، في الجوهر، فإن المؤتمر الذي كانت تسيطر عليه غالبية محافظة تبنّى الثورة الديمقراطية لولسون لأجل نظام عالمي. فقد كان برنامج دمشق صدىً لمطالب الشعوب خارج أوروبا في عام 1919.

## تشارلز كراين واللجنة الأميركية

وصف المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي (Arnold Toynbee) تشارلز ر. كراين بأنه "كان يبدو كببغاء" مستذكرًا "هيئته الغريبة" وحُبّ الفضول لديه الذي لا يشبع[19]. كان كراين غريب الأطوار قليلًا. ويبدو في شكل الرحالة الأرستقراطي للقرن التاسع عشر حين نظّم رحلات إلى القطب الشمالي وتمتّع بشرب الشاي مع القيصر الروسي. إلا أنه كان مؤمنًا متحمسًا بالمُثل العليا لولسون، ويحب ثقافة الشرق الأوسط. خلال رحلاته في أرجاء الدولة العثمانية تعلّم النُّكت التركية والقصص التي تصوّر نصر الدين خوجه، الشخصية المحبّبة من القرن الثالث عشر. قبل أن يغادر باريس إلى سوريا حكى واحدة من القصص كي يدخل السرور إلى قلب الرئيس ولسون في لحظة توتر من المفاوضات:

(19) Arnold J. Toynbee, *Acquaintances* (New York: Oxford University Press, 1967), p. 208.

في إحدى الليالي ذهب نصر الدين إلى البئر ليجلب بعض الماء وعندما تطلع إلى السماء ورأى القمر [على وجه الماء] قال: يا الله، لقد سقط القمر في البئر ويجب عليّ أن أخرجه. حاول أن يسحب القمر بعصا طويلة. ومع تكرار محاولته انزلق ووقع على ظهره. وحين نظر إلى السماء رأى القمر وقال: لقد أنجزت عملًا جيدًا.

ضحك ولسون عند سماعه ذلك وقال: "هذا هو ما نحاول عمله في مؤتمر الصلح"[20].

يقرّ كراين بالفضل لـ "الرائع والملهم" هوارد بليس في إقناع الرئيس ولسون بالإصرار على إرسال لجنة التحقيق. وكان وزير الخارجية روبرت لانسينغ قدّم له ملخصًا عن الاتفاق الذي تم في المجلس الأعلى للحلفاء في 25 آذار/ مارس. كانت مهمة اللجنة أن تُرشد السوريين إلى "وضعهم تحت الانتداب" كخطوة نحو الاستقلال، الذي شجعت عليه بريطانيا وفرنسا في تصريحها الصادر في تشرين الثاني/ نوفمبر 1918[21]. وقد أطلقت الخبرة التي اكتسبها كراين في هذه اللجنة عقدين من النشاط لصالح السوريين.

وفي حين كان كراين يمثل الدبلوماسي الاجتماعي في اللجنة، كان الرئيس المشارك لها هنري كينغ يقوم بدور الباحث والمدير. كان كينغ كعالم في اللاهوت يتبنى رؤية ولسون لنظام عالمي جديد بالاستناد إلى القيم المسيحية[22]. وخلال نيسان/ أبريل، حين كان الأميركيون ينتظرون من البريطانيين والفرنسيين أن يعيّنوا ممثليهم في لجنة التحقيق، كان كينغ يعمل في مكتب الوفد الأميركي في فندق دو كريون وهو يجري المقابلات ويشتري الكتب ويراجع خرائط الشرق الأوسط[23].

(20) Columbia University Rare Book and Manuscript Library, Charles R. Crane, "Memoirs of Charles R. Crane," Crane Family Papers, 367, and "Personal Diary of William Linn Westermann," April 18, 1919, 64.

(21) CURBML, Lansing to Crane, April 30, 1919. Crane Family Papers, Folder 3, Box 4, Incoming Correspondence (1919-1922); CURBML, Crane Memoirs, 368-369.

(22) Henry Churchill King, *A New America in a New World* (Paris: Young Men's Christian Association, 1919), p. 16.

(23) Patrick, pp. 52-62.

في غضون ذلك كان وليام ييل يصاحب الفرنسيين. لم يكن ييل مؤيدًا لمبادئ ولسون في استشارة الشعب [بمن يحكمه]، ولذلك كان يركّز على الحاجة إلى التنازلات الدبلوماسية. كان المفوض السامي الفرنسي جورج بيكو يحذّر ييل: "نحن في الساعة الثانية عشرة". كان بيكو يستخدم ذات اللغة الطائفية والمروعة التي يستخدمها غو ودو كيه. كان بيكو يتوقع أن "الحركة الإسلامية" ستسيطر على سوريا إذا لم يطبّق الانتداب الفرنسي بسرعة. وحسب رأيه فإنّ اللجنة يمكن أن تثبت تأجيلًا قاتلًا، مذكّرًا ييل بأن الأرمن قد تعرضوا للقتل في حلب خلال أعمال الشغب في شباط/ فبراير 1919[24]. وكان دو كيه وبيكو أخّرا انطلاق اللجنة بوضع شروط مسبقة على مهمتها، بالمطالبة أن توضع أولًا خطوط التقسيم [بين بريطانيا وفرنسا]، ثم بعد ذلك أن يتم الاتفاق في باريس على الدول المنتدبة قبل أن يؤخذ رأي السوريين بذلك.

كاد ولسون أن يلغي اللجنة، ولكن ليس بسبب المناورات الفرنسية. كان القادة الصهيونيون الأميركيون يعارضون اللجنة أيضًا بسبب خشيتهم من أن استفتاء العرب سوف "يخدع اليهود في فلسطين". إلا أن الجنرال أَلّنبي في مصر والعقيد هاوس حذّراه من أن العنف سينفجر في سوريا إذا ألغى اللجنة. وكان المفوّض الأميركي في إسطنبول الأدميرال مارك بريستول (Mark L. Bristol) أيّد إرسال اللجنة. كما أن ولسون قد تأثر بالمذكرة التي أرسلها له الأمير فيصل قبل مغادرته باريس في 20 نيسان/ أبريل وأكّد فيها أن اللجنة ستجد في سوريا "بلدًا موحدًا حول حبّه وامتنانه لأميركا"[25]. وما إن أعطى ولسون الأمر للجنة بالانطلاق، حتى قام البريطانيون بتعيين هنري مكماهون، صاحب الوعود التي قُدّمت للشريف حسين في عام 1915، رئيسًا للجنة والمؤرخ توينبي سكرتيرًا له.

في 1 أيار/ مايو قدّم كينغ وكراين مذكرة إلى ولسون ذكرا فيها أن تقسيم الدولة العثمانية يمثل اختبارًا نهائيًا لأهداف الحرب للحلفاء. وقد اقترحا أن تأخذ

---

(24) CURBML, Westermann Diary, April 18, 1919, 66.

(25) Harry N. Howard, *The King-Crane Commission* (Beirut: Khayats, 1963), pp. 51, 73; Patrick, pp. 48-49, 66-67.

الولايات المتحدة المحايدة [غير المعنية بالتقسيم] دورًا قياديًا بأن تقبل الانتداب على إسطنبول وأرمينيا (ولكن ليس على سوريا كما اقترح فيصل). وقد حذّرا من أن التقسيم الأناني للغنائم، وفرض الانتداب بالقوة، يمكن أن يفجّرا العنف ويلوّثا سمعة أميركا ويهدّدا كل نظام ما بعد الحرب. وقد انتهت المذكرة إلى القول بأن ذلك "يمكن أن يقنع الرجال من ذوي الرأي المستقل في كل أرجاء العالم... بأن أهداف الحلفاء أصبحت أنانية وعديمة الرحمة مثل تلك التي كانت للألمان"[26].

تحقّقت بسرعة أسوأ المخاوف. فقد دفع خوفهم من رفض ولسون للمعاهدات السرية إلى قيام الإيطاليين بأخذ حصتهم فورًا. وهكذا فقد نزلت القوات الإيطالية في جنوب الأناضول باعتبارها حصتهم من الأراضي التي وُعدوا بها خلال الحرب. وقد ردّت اليونان على ذلك بإرسال قواتها للمطالبة بحصتها أيضًا. وبعد أن نزلت هذه القوات في ميناء إزمير في 15 أيار/ مايو 1919 قتلت أكثر من 300 من الأتراك المذهولين بما حدث. ودون أن يدركوا أن ولسون انضم إلى لويد جورج في تأييده للغزو اليوناني شعر أعضاء لجنة التحقيق بخيبة الأمل[27].

ومع ذلك فقد اندلع أعنف نزاع حول مصير سوريا في المجلس الأعلى للحلفاء في 21-22 أيار/ مايو. كان هذا أسوأ من أي نزاع حول ألمانيا، وحتى إنه كان يهدد بانشقاق بين الحلفاء. وصل لويد جورج إلى الاجتماع وهو قلق من أنّ كُلّ العالم الإسلامي، وخاصة الكثير من المسلمين في الهند، أصبح مضطربًا بسبب الأحداث الجارية في الدولة العثمانية. ولذلك فقد اقترح لتهدئة الأتراك مراجعة خطة الانتداب وتخصيص مساحة أكبر للدولة التركية ووضع إسطنبول وأرمينيا تحت الانتداب الأميركي. أما الأراضي التي ستُضاف إلى الدولة التركية فستؤخذ من المناطق التي خُصصت لفرنسا في السابق.

---

(26) Ibid., pp. 59-62.

(27) Margaret MacMillan, *Paris 1919: Six Months That Changed the World* (New York: Random House, 2001), pp. 299-301, 427-433; Paul C. Helmreich, *From Paris to Sèvres: The Partition of the Ottoman Empire at the Peace Conference of 1919-1920* (Columbus: Ohio State University Press, 1974), pp. 94-101.

انفجر كليمنصو غاضبًا واتهم لويد جورج بالتراجع عن وعوده مرة أخرى. فقد أقصى أولًا فرنسا خلال عقد الهدنة في تشرين الثاني/ نوفمبر 1918، ثم وعد في كانون الأول/ ديسمبر 1918 بالانسحاب من سوريا مقابل الحصول على الموصل. إلا أن القوات البريطانية لا تزال هناك، والآن يتجرأ على إعادة رسم خريطة الأناضول ويأخذ منها الأراضي الموعودة لفرنسا. وفي النهاية، وبعد أن عدّد قائمة طويلة من الإهانات والغدر، صرح كليمنصو:

> إنني أقل استعمارية من كل الفرنسيين، ولذلك لا يمكن أن أُتّهم في هذا المجال بأني مفرط الطموح. ولكن إذا أُتُّخذ مثل هذا القرار، فإنني لن أفعل ما فعله زملائي الإيطاليون، إنني لن أنسحب من المؤتمر بل سأنسحب من الحكم.

كان يبدو كأنّ كُلّ المرارة التي تجمّعت خلال الحرب انسكبت الآن مرة واحدة. ردّ لويد جورج بأن بريطانيا فقدت من الجنود في سوريا أكثر مما فقدت فرنسا، ولذلك لا يحق لفرنسا المطالبة بالمنطقة العربية الداخلية. لقد فعل كلّ ما في وسعه لأجل فرنسا، وطالب الآن باعتذار.

رفض كليمنصو تقديم اعتذار. قال إنه إذا سحبت بريطانيا قواتها إلى أوروبا عوضًا عن أن تطالب بالمزيد من الأراضي لإمبراطوريتها فإن الحرب ستنتهي فورًا، وأضاف: "لن استمر في الاشتراك معكم بأي شكل من الأشكال في هذا الجزء من العالم طالما أن الاتفاقيات المشتركة لا تُحترم".

رفض لويد جورج بدوره أن يتراجع، بل إنه هدّد بإلغاء حصة فرنسا من نفط الموصل في 1 كانون الأول/ ديسمبر: "إذا لم ترسل فرنسا ممثليها إلى [لجنة التحقيق في] سوريا فلن أفعل أنا أيضًا. سأقبل قرار أعضاء اللجنة الأميركيين"[28].

---

(28) Jukka Nevakivi, *Britain, France, and the Arab Middle East* (London: Athlone Press, 1969), pp. 154-162; Patrick, pp. 60-72; Ganem to Clemenceau, May 8, 1919; "Conversation between Wilson, Lloyd George and Clemenceau on Asia Minor and Syria," May 21, 1919, in: Antoine Hokayem (éd.), *Documents diplomatiques français relatifs à l'histoire du Liban et de la Syrie à l'époque du mandat: 1914-1945,* vol. 1 (Paris: l'Harmattan, 2003), pp. 564-566, 571-577.

الاقتباسات في ص 575، 579.

تدخّل ولسون مرة أخرى في آذار/ مارس ليقول إنه "لم يتمكن أبدًا أن يرى بأيّ حقّ تقوم فرنسا وبريطانيا بوهب بلد ما لأي أحد". في ذلك اليوم (22 أيار/ مايو 1919) تلقى الرئيس برقية من الأمير فيصل يقول فيها "ننتظر بقلق وصول اللجنة". وكان رستم حيدر قد جاء قبل عدة أيام إلى فندق دو غريون ليذكّر العقيد هاوس مستشار الرئيس ولسون بأن ولسون أعطى كلمة شرف لفيصل بأن اللجنة ستذهب إلى سوريا. دعا ولسون كينغ وكراين للغداء وأمرهما بأن يسافرا وحدهما، على أن يقدّما تقريرهما شخصيًا له. وعد ولسون بأنه لن تتم أي تسوية دائمة في ما يخص الانتدابات قبل وصول تقريرهما. وهكذا تحولت لجنة الحلفاء (Inter-Allied Commission) إلى لجنة أميركية، أو إلى لجنة كينغ-كراين[29].

أحسّ فيصل بهاجس المشاكل حين ظهر جورج بيكو في بيروت. كان الأمير يعتبر المفوض السامي مجرم حرب مفترضًا. فخلال الحرب ترك بيكو في السفارة/ القنصلية الفرنسية وثائق تظهر صلات مع فرنسا تجرّم القوميين العرب. وقام آنذاك الحاكم العسكري العثماني باعتقال وإعدام بعض من ورد اسمهم في الوثائق. والآن، قبل وصول اللجنة الأميركية بأسابيع، قام بيكو بعدة زيارات للأمير فيصل كي يقنعه بتأييد الانتداب الفرنسي[30]. في البداية ناقش فيصل أسهل الشروط التي اقترحها كليمنصو في شهر نيسان/ أبريل، إلا أن بيكو طالب بما هو أكثر بكثير: نشر القوات الفرنسية والمستشارين في سوريا الداخلية. ولما رفض الأمير فيصل ذلك وبّخه بيكو على التنصّل العلني من اتفاقية سايكس بيكو، وقال له إن السوريين لا يمكن أن يُبطلوا معاهدة دولية. ردّ الأمير فيصل بأنه يحترم مبدأ ولسون بإلغاء كل المعاهدات السرية. وقد ردّ بيكو من خلال مبعوثه بأن اللجنة الدولية وصمة عار[31].

ولكي تزيد الأمور سوءًا بالنسبة لفيصل جاءت الأخبار بأن أخاه الأمير

---

(29) Patrick, pp. 69-73; CURBML, Westermann Diary, May 19, 1919, 78; Howard, pp. 77-79.

(30) قدري، ص 118.

(31) Patrick, p. 74; Russell, p. 86; Hokayem (éd.), pp. 582-583, 590, 606-608, 614-618.

زيد هُزم في معركة من قبل عبد العزيز بن سعود، الزعيم الكاريزمي لإحدى العشائر من الرياض الذي كان يحظى بتأييد مكتب الهند البريطاني. كان عبد العزيز قد احتل حتى ذلك الحين القسم الشرقي من شبه الجزيرة العربية وأصبح الآن يهدد موطن والد فيصل الشريف حسين في الحجاز بالنصف الغربي. أخذت عشائر عربية في التخلي عن والد فيصل الشريف حسين والانضمام إلى آل سعود، وهو ما يعني تراجعًا في عدد القوات للدفاع عن سوريا ضد القوات الفرنسية وإضعاف موقف فيصل على مائدة التفاوض في باريس(32). ولذلك فقد ازداد اعتماد فيصل على الأميركيين.

في 25 أيار/ مايو سافر كراين إلى سوريا عبر بلغاريا، حيث قابل أصدقاء له مثل الملك فلاديمير تسانوف (Vladimir Tsanoff)، ثم وصل إلى إسطنبول حيث تحدث في حفل تخريج لمدرسة البنات كان قد أسّسها هناك(33). كانت العاصمة العثمانية مضطربة بسبب الغزو اليوناني. كان سكان المدينة الناطقون باليونانية يرفعون بسرور الأعلام اليونانية. أما الأتراك المسلمون فقد ردّوا على ذلك بمظاهرات كبيرة عند الجامع الأزرق [السلطان أحمد] مع لافتات تقول: "النقطة 12 لولسون" وعدت بالاستقلال التركي.

بعد المظاهرة التقى كراين بواحدة من أبرز الخطباء: خالدة أديب خريجة المدرسة الأميركية للبنات. كانت خالدة أديب قد خدمت في سوريا خلال الحرب، في ملجأ للأيتام قرب بيروت. وقد تمنّت لكراين ولجنته التوفيق قائلة: "إني آمل أن تؤدي زيارتكم إلى سوريا إلى مساعدة قضيتها الضعيفة"(34).

أما بقية أعضاء اللجنة الأميركية فقد وصلوا إلى إسطنبول في 4 حزيران/ يونيو. بعد ثلاثة أيام أبحرت المجموعة كلها ووصلت إلى يافا، في سوريا الجنوبية أو فلسطين، في 10 حزيران/ يونيو. شارك وليام ييل بدور قيادي

(32) Allawi, p. 239.

(33) CURBML, Crane Memoirs, pp. 371-372.

(34) CURBML, Edib to Crane, June 7, 1919, Crane Family Papers. Folder 5, Box 4, Incoming Correspondence (1919-1922).

في وضع خط الرحلة ولكنه سرعان ما أُحبط بسبب ميول كراين للخروج عن البرنامج بمقابلة أصدقاء قدامى أو حضور حفلات موسيقية. ساءت العلاقات بينهما بعد أن ظهرت أكثر الفوارق السياسية بينهما، وخاصة في ما يتعلق بالصهيونية وفرنسا. وعلى الرغم من هذه التوترات فقد زار أعضاء اللجنة عشرات القرى حيث استمعوا إلى آراء المسلمين والمسيحيين واليهود حول المستقبل السياسي للمنطقة. كانوا مسرورين أن يروا هناك الحماس والتعلّق بالولايات المتحدة[35].

## زيارة لجنة كينغ-كراين

سارع كراين بالوصول إلى دمشق في 25 حزيران/يونيو حتى يشهد هناك ليلة القدر. كان قد سمع عن أن احتفالات المدينة بهذه المناسبة مذهلة. كانت هذه المناسبة تأتي في نهاية شهر رمضان، وتؤشّر إلى أول نزول للوحي على الرسول محمد. ويقال إن أبواب السماء تكون مفتوحة في تلك الليلة، حيث يجتمع المسلمون في الجوامع طيلة تلك الليلة وهم يدعون لطلب المغفرة، بينما تكون أصوات المؤذنين الموسيقية تصدح من على المآذن.

كان السوريون يأملون بأن تفتح الأبواب السياسية مع وصول اللجنة. إلا أن فيصل كتب في حالة يأس إلى الرئيس ولسون في 22 حزيران/يونيو كي يؤكد أن تقرير اللجنة سيؤخذ بجدية: "إنني وجميع أفراد شعبي نعتقد أنك الشخص البارز في العالم، وإنك لن تسمح للشعب السوري أن يعلن آراءه ثم يعاقب عليها أخذًا بالثأر"[36].

---

(35) Howard, pp. 88-100; Janice Terry, *William Yale* (Limassol, Cyprus: Rimal Books, 2015), pp. 116-117.

(36) رسالة من فيصل إلى الرئيس ولسون، دمشق 22 حزيران/يونيو 1919، في: موسى، ص 83، هذه الترجمة العربية مأخوذة من الأصل:
E. L. Woodward & R. Butler (eds.), *Documents on British Foreign Policy 1919-1939*, Series 1, vol. 4 (London: Her Majesty's Stationery Office, 1952), no. 192.

يلاحظ المحرر عدم وجود أي سجل لرد من ولسون.

شرعت اللجنة بعملها في 26 حزيران/ يونيو. شارك كراين في اجتماع بفندق بالاس وهو يلبس بدلة بيضاء واسعة الحواف تتناسب مع لحيته الصغيرة. كان عبد الرحمن الشهبندر من حزب الاتحاد السوري هو المضيف والمترجم بلغة إنكليزية طليقة، والذي أصبح صديقًا له في نهاية الزيارة.

بدأت اللجنة عملها بلقاء الأمير فيصل ورؤساء الطوائف المسيحية الذين طالبوا بـ"حكم ديمقراطي مدني" وليس بنظام حكمٍ إسلامي، وأكّدوا أن سوريا مستعدّة لحكم مستقلّ. وفي ما لو كانت هناك ضرورة يمكن أن يقبلوا بانتداب، وفي هذه الحالة انتداب أميركي لـ"أنّ أميركا تحبّ الإنسانية، ودخلت الحرب باسم الشعوب الخاضعة ولن تكون مستعمرة، وهي غنية جدًا"[37].

وخلال الأيام الثلاثة اللاحقة اجتمعت اللجنة ببطريرك الأرثوذكس وبطريرك الكاثوليك وحاخام اليهود، وزعماء الدروز، وأعضاء من أسرة الأمير الجزائري الذين خسروا محاولتهم للوصول إلى الحكم في تشرين الأول/ أكتوبر 1918، والمسؤولين الحكوميين. وقد تأثر أعضاء اللجنة كثيرًا باجتماعهم مع مدير الشرطة في دمشق غبرييل حدّاد. كان حدّاد قد تخرّج في الكلية البروتستانتية السورية في بيروت ويتحدث الإنكليزية بأسلوب موظف معاصر، وكان يرى أن السماح ببعض الإشراف الأجنبي يمكن أن يساعد في اقتلاع بقايا الفساد العثماني. أما اللقاء مع قادة حزب الاستقلال التابع لجمعية العربية الفتاة فكان أقل تأثيرًا على أعضاء اللجنة، نظرًا لأن قادة الحزب رفضوا أي حديث عن الانتداب، وهو ما جعل أعضاء اللجنة يصفونهم في ملاحظاتهم بـ"المتطرفين".

كان الأمير فيصل سخيًا في الإنفاق على ضيوفه سواء على الولائم أو أمسيات الأغاني القومية. ففي احتفال بمناسبة ختام شهر رمضان اجتمع الرجال في فناء حديقة مرتدين الملابس البدوية حول طبق كبير من اللحم المشوي والخضروات والرز، على أنغام الموسيقى العربية. أما العشاء الذي أقيم لهم في 2 تموز/ يوليو، فقد كان على الطريقة الفرنسية شاملًا الحساء الشهي والسمك والدجاج مع

---

(37) KCDC, "Interview of Commissioners, Advisers Present, with the Kadi, Mufti, and Six Others of the Ulema of Damascus," accessed on 21/2/2017, at: https://bit.ly/3wDmHAs

الفاصوليا والبامياء المطبوخة مع اللحم واللحم المشوي مع البطاطا والحلويات والبوظة والفواكه والقهوة[38].

كان حديث الأمير فيصل "رائعًا"، كما وصفه أعضاء اللجنة في ملاحظاتهم. فقد تحدث باسم 300 ألف سوري وقّعوا على تفويض بأن يمثلهم، وعبّروا عن "خوفهم من الاستعمار وتقسيم البلاد"، وعن "رغبتهم في الحرية والاستقلال". وقد أكّد الأمير فيصل على الأميركيين أن يرفضوا المعايير المزدوجة في باريس: فقد ضُمن الاستقلال لشعوب البلقان بدون أي لجنة تحقيق، مع أنهم ليسوا متطورين أكثر من السوريين. وفي ختام حديثه حذّر فيصل من أن احتلال فرنسا للساحل ولّد الكراهية وخنق الثقافة والصناعة معًا[39].

وبعد ظهر الثلاثاء 3 تموز/ يوليو 1919 قدّم 21 عضوًا من المؤتمر السوري "برنامج دمشق" للجنة. كان على رأس هذا الوفد رئيس المؤتمر السوري فوزي باشا العظم ورئيس اللجنة الدستورية هاشم الأتاسي من حمص. في هذا اللقاء عرض الأتاسي وعزة دروزة "القانون الأساسي للولايات السورية المتحدة"، الذي استند إلى مسودة الدستور الذي وضعه حزب الاتحاد السوري. وبهذا سيكون فيصل ملكًا يحكم من خلال مجلس نيابي ومجلس للشيوخ، أي نظام "ملكي دستوري" بطابع فدرالي. وستقوم الحكومة المركزية بالحكم من خلال تسع ولايات، يكون لكل واحدة فيها مجلس منتخب. ويضمن هذا الدستور حرية الكلام والاجتماع والحق في التعليم العام والمساواة أمام القانون[40].

---

(38) KCDC, "Menu for Dinner," accessed on 9/9/2018, at: https://bit.ly/3G9iOGM; Terry, p. 122; Howard, pp. 109-110.

(39) وصفه رسل بـ"البديع" في كتابه: Russell, p. 90؛

كُتب تاريخ 1 تموز/ يوليو بقلم الرصاص على نسخة من الخطاب مرقونة على الآلة الكاتبة في:
KCDC: "Statement of the Emir Faisal to the Commission (copied verbatim)."

إلا أن موقع الأرشيف يضع تاريخ 6 تموز/ يوليو، ويبدو أنه تصحيف يضع المذكرة بشكل لا يصدق بعد يومين من مغادرة اللجنة لدمشق: دخول الموقع في 27/ 2/ 2017: https://bit.ly/3lyTu3x ينظر:
Rush, p. 223; Howard, pp. 120-122.

(40) KCDC,

"القانون الأساسي للولايات السورية المتحدة"، دخول بتاريخ: 27/ 2/ 2017. على موقع:
https://bit.ly/3a8827V

عُثر عليها بين أرزاق الملك هنري.

أثار وفدُ المؤتمر إعجابَ بعض أعضاء اللجنة. فقد قارن ليبيير (Lybyer) المتخصص في التاريخ العثماني، بين الدستور الذي عُرض وبين الدستور الأميركي من حيث دعوتهما إلى "فصل الدين عن الدولة". وقد اعتُبر فيصل "شخصية بارزة قادرة على تقديم أعظم خدمة للسلام العالمي". كما وأرسل ليبيير برقية إلى باريس يقول فيها إن فيصل "قلب العالم الإسلامي حيث يتمتع بمكانة وشعبية كبيرة، وهو ميّال بالتأكيد إلى الجنس الأنغلوساكسوني ومحبّ كبير للمسيحية"[41]. وقد أقرّ كينغ في ختام برقيته أن فيصل مناسب لحكم سوريا باعتباره "رجلًا واسع الأفق ومنفتح الذهن"[42].

وفي نهاية الزيارة إلى سوريا أرسل كراين برقية مباشرة إلى ولسون ليخبره أن السوريين مستعدون لبناء دولتهم: "إنهم أذكياء ومجدّون ومتزنون" مع ثقافة قوية تستند إلى "اللغة العربية الجميلة والغنية" سواء للمسيحيين أو للمسلمين منهم[43].

لقد حذّر هؤلاء الأعضاء الثلاثة في اللجنة [كينغ وكراين وليبيير] الرئيس ولسون من أن فرض الانتداب الفرنسي على سوريا "سوف يشعل الحرب"[44]. كان هؤلاء مقتنعين بأن الغالبية المسلمة في سوريا تفضّل الاستقلال. أما الأقليات المسيحية فهي تتبنى نظرات مشتركة مع تلك الموجودة في جبل لبنان لمصلحة الانتداب الفرنسي.

كان أكثر ما لفت نظر كراين هو العرائض المقدمة من النساء. ففي دمشق قادت نازك العابد، ابنة المسؤول العثماني السابق، مجموعة من النساء كي يجتمعن مع اللجنة. وللتأكيد على عصريّتِهِنّ وثقتهن في الأميركيين رفعت النساء الحجاب

---

(41) Patrick, pp. 52-62; Howard, p. 116.

(42) KCDC, Letter to W. F. Bond, July 23, 1919, accessed on 21/2/2017, at: https://bit.ly/39GinYm
عن يوميات لبيير، يُنظر:
Russell, p. 90.

(43) CURBML, Crane Family Papers, Box 8 Outgoing Correspondence, Folder 12, January-November, 1919.

(44) Howard, p. 134.

وهن يطالبن بالاستقلال لبلادهن. كان كراين متأثرًا بنقاش العابد وحديثها بطلاقة في الإنكليزية (كانت التحقت بمدرسة أميركية في إزمير خلال نفي الأسرة هناك). أما في بيروت فقد تقدّمت مجموعة أخرى من النساء إلى اللجنة بطلب انتداب أميركي. وقد اشتكين من أن الغرب يرى النساء العربيات مجرد أدوات للعب أو جاريات في الحريم، بينما هن متعلمات وأصبحن منذ الحرب يشاركن في الشؤون العامة.

وكما ورد في عريضتهن "لقد ألهمنا مشهد موت الآلاف من المشردين للسعي إلى أمور أفضل لشعبنا... ومع إدراكنا أننا كلنا عانينا نتيجة للخضوع، أصبحنا تواقين ليس فقط إلى استقلال الوجود بل إلى الحق والفرصة في التطور الذي يؤمّن لنا مكانًا بين الشعوب العقلانية في العالم". وقد طالبن في عريضتهن باستقلال مع حكم دستوري بقيادة الأمير فيصل، مع إرشاد من الأمة "التي تستحق أن تُتبع والأكثر انسجامًا معنا"، أي الولايات المتحدة[45].

أما وليام ييل، رجل النفط الشاب، فقد رفض هذه الاستخلاصات في تقرير منفصل رفعه إلى الوفد الأميركي [في باريس]. وكما كتب في تقريره فإنّ هذه الزيارة أكّدت نظراته التي تشكّلت في باريس. وقد رأى أخيرًا، في مراعاة لقوة المطالبات الفرنسية والصهيونية، أن المسار الوحيد الواقعي يكمن في تقسيم سوريا الكبرى إلى ثلاث دول طائفية: لبنان المسيحي وسوريا المسلمة والوطن اليهودي في فلسطين. فبريطانيا ستكون قادرة بالقوة على سحق أي معارضة مسلمة أو مسيحية للصهيونية في فلسطين. وقد رفض ييل كلّ العرائض التي كانت تطالب بسوريا الموحدة القومية والعلمانية باعتبارها من دعاية فيصل وليست تعبيرًا عن مشاعر الشعب[46].

---

(45) جرجي باز، **نازك عابد** (بيروت: مطبعة السلام، 1927)؛
Howard, pp. 111, 126-127; 'Izzat Aqbiq, "Nazik al-Abid: The Damascus Story of a Woman Activist," *E-Syria al-Mufakkira al-Thiqafiya* (1 November 2011), accessed on 9/9/2018, at: https://bit.ly/3LE5yLr; KCDC, "Petition from Ibtihaje Kaddourah," July 5, 1919, and "Petition from Muslim Women of Beirut," July 1919, accessed on 9/9/2018, at: https://bit.ly/3PBD6wT, and https://bit.ly/3wBS5iW

(46) KCDC, Yale to Westermann, July 8, 1919, accessed on 17/3/2019, at: https://bit.ly/38Cc2gA

ولأجل إثبات ذلك أشار ييل وغيره من النقّاد إلى التشابه في الكلمات في الكثير من العرائض التي تطالب بحكم سوري موحد. وعلى العكس من ذلك اعتبر كينغ وكراين وليبيير أن العرائض تمثل مقدّميها على الرغم من محاولات الفرنسيين والبريطانيين والموظفين العرب التأثير عليهم. وكان هناك مؤرخون رأوا أن هذا التشابه يشيع في العرائض في أي حركة سياسية حديثة، سواء في سوريا أو في أوروبا. وبعبارة أخرى إن هؤلاء المؤرخين يقرّون مع كينغ وكراين في أن هذه العرائض تعبّر عن الرأي الشعبي. فهم يرون أن حملة العرائض المنظمة دليل على أن السياسيين السوريين أخذوا بتقنية الدعاية والبروباغندا التي كانت تُستخدم ضدهم من قبل فرنسا[47].

## كقمر على بركة ماء: مصير تقرير اللجنة

ختم أعضاء اللجنة عملهم بزيارة إلى طرابلس، حيث فرّقت الشرطة الفرنسية حشدًا كان يسير وراءهم في الشوارع، ومنها إلى حلب حيث زاروا مخيمًا للاجئين الأرمن. في نهاية تموز/ يوليو بدأوا في وضع مسودة تقريرهم في إسطنبول. كانوا قد جمعوا 1863 عريضة، منها 80 في المئة تطالب بوحدة سوريا وفلسطين ولبنان، وأكثر من 70 في المئة تطالب بالاستقلال التام من دون أي انتداب، و72 في المئة تعارض البرنامج الصهيوني. ومع كل هذه كانت حوالى 60 في المئة، بما فيها العرائض من المسيحيين، تؤيد "برنامج دمشق" لأجل "مملكة دستورية غير مركزية ديمقراطية". ونظرًا إلى أن الأربعة الكبار قد استثنوا الاستقلال التام كخيار، فقد أوصت اللجنة بانتداب أميركي محدود لتنظيم الإدارة، واستئصال الفساد، وتقديم الدعم الاقتصادي[48].

---

(47) Yuval Ben-Basset & Fruma Zachs, "From Şikayat to Political Discourse and 'Public Opinion': Petitioning Practices to the King-Crane Commission," *New Middle Eastern Studies*, 4 (2014), pp. 1-23; James L. Gelvin, *Divided Loyalties: Nationalism and Mass Politics in Syria at the Close of Empire* (Berkeley: University of California Press, 1998), pp. 150-152; Howard, pp. 120, 123, 142-143.

(48) Howard, pp. 142-145.

هذا القسم مستخرج مباشرة من التقرير كما هو منشور في:
*Papers Relating to the Foreign Relations of the United States: The Paris Peace Conference 1919*, vol. XII, pp. 751-863, accessed on 19/3/2019, at: https://bit.ly/3yT0EHQ

وجاءت الاستنتاجات في التقرير لتؤيد بشكل واسع "برنامج دمشق" على حساب اتفاقية سايكس بيكو وتصريح بلفور. فقد أوصت بانتداب مكثف ومحدود يمكن أن يؤكد حكم القانون وحقوق الأقليات إلى أن يستقر حكم البلاد. لم تجد اللجنة أي دليل على جامعة إسلامية أو نيّة لحكم ثيوقراطي. ومما جاء في استنتاجات اللجنة: "توفر سوريا إمكانية ممتازة لتأسيس دولة حيث يمكن لأعضاء الديانات الثلاث التوحيدية أن يعيشوا معًا في انسجام... ونظرًا إلى أن الغالبية أعلنت الآن عن انتمائها إلى قومية واستقلالية للدين، فمن الضروري أن ندعمهم في هذه النظرة بواسطة رقابة انتدابية إلى أن يؤسّسوا المنهج ويمارسوه".

ومن ناحية ثانية أوصى التقرير بالحفاظ على وحدة سوريا الكبرى مع حكم ذاتي واسع للمسيحيين في جبل لبنان. وأشار التقرير إلى أن المؤتمر السوري خصّص نصف مقاعده للعرب المسلمين والنصف الآخر لكلّ الأقليات، وأنّ الشعب المتنوع في سوريا تعايش تحت حكم العثمانيين وسوف ينجح معًا تحت حكم دولة حديثة. أما التوصية الثالثة فكانت تتعلّق بضرورة أن يكون فيصل على رأس الدولة لأن المؤتمر السوري رشّحه لذلك، ولأنه قائد صالح، ولأنه لا يوجد بديل واضح آخر. وجاءت التوصية الرابعة في ضوء الرأي العام السلبي لتقول إنه "مع التعاطف العميق مع القضية اليهودية" لا بد من تحديد الاستيطان الصهيوني وحجم الوطن اليهودي، وبالتالي لا بد لفلسطين أن تكون ضمن سوريا الكبرى وألا تنفصل عنها لتكون دولة يهودية منفصلة. أما في ما يتعلق بالأماكن المقدسة، فقد أوصى التقرير بأن تُوضع تحت إدارة لجنة دولية ومتعدّدة الديانات، تشمل اليهود وتكون تحت ضمانة عصبة الأمم. وبالنسبة إلى اختيار الدولة المنتدبة، فقد رفضت غالبية هذه العرائض فرنسا وفضلت الولايات المتحدة. وقد خلص أعضاء اللجنة إلى القول إنه على الأميركيين أن يقبلوا هذه المهمة المقدسة[49].

أضاف وليام ييل إلى التقرير رأيًا مخالفًا يقول بتقسيم سوريا حسب خطط سايكس بيكو وبلفور. كما أنه رفض الشهادات الشخصية للسوريين مدّعيًا بأنّ بلاغتها الديمقراطية مجرد قناع للطموح الثيوقراطي. وكما هو الأمر مع روبير

(49) Howard, pp. 221-227; *FRUS 1919,* XII: 859, 861, 863.

دو كيه، الذي أصبح صديقًا له في باريس، كان ييل يرى الأمير فيصل ضعيفًا جدًا كي "يخفّف قوة الدين" عند المسلمين المتعصبين، ولذلك يصل إلى أنه لا بد من "حماية المسيحيين من اضطهاد المسلمين" بواسطة قوة أجنبية. وقد وافق مونتغمري على رأي ييل هذا[50]. وتشير مراجعة حديثة لمحاضر اللجنة إلى أنها تخلص إلى أن غالبية أعضاء اللجنة - كراين وكينغ وليبيير - كانوا يمثلون رأي غالبية السوريين بشكل عادل ودقيق[51].

إلا أن الحقيقة غير المناسبة التي قالتها غالبية الأعضاء وصلت متأخرة. فبعد وصول كينغ وكراين إلى دمشق اتفق الأربعة الكبار على توقيع معاهدة فرساي، التي تضمّنت ميثاق عصبة الأمم، في 28 حزيران/ يونيو 1919، أي في اليوم ذاته قبل خمس سنوات حين اغتال قومي صربي الأرشيدوق النمسوي ودفع بعربة الحرب إلى الحركة. وكان رئيس الوزراء قد خطّط لإذلال الألمان بالتوقيع على المعاهدة في قاعة المرايا في قصر فرساي، حيث توُّج فلهلم الأول إمبراطورًا في عام 1871. وحين أبحرت لجنة كينغ-كراين إلى فلسطين، كانت باريس تغلي بالشائعات والاتهامات ضد شروط المعاهدة. فقد اشتملت البنود الـ 433 على شروط قاسية للصلح مع الألمان تضمّنت خسارة لأراضيهم ونزع السلاح عن جيشهم ودفع تعويضات مالية عقابية، إضافةً إلى بند يعتبرهم مذنبين للبدء بالحرب. كان قادة جمهورية فيمار الجديدة غاضبين. كانوا قد خلعوا القيصر في نهاية عام 1918 على أمل أن يحظوا بشروط صلح معتدلة أكثر بالاستناد إلى النقاط الـ 14 لولسون.

ولذلك فإن تاريخ 28 حزيران/ يونيو كان إشكاليًا بالنسبة إلى العرب. وقد احتجّ عوني عبد الهادي، مستشار فيصل خلال مؤتمر الصلح الذي بقي في باريس مع وفد الحجاز، على أن المعاهدة تنتهك شروط الصلح التي وعدت بها النقاط الـ 14. وكان قد نشط بقوة ضد تضمين ميثاق عصبة الأمم كما هو في معاهدة

(50) KCDC, Yale report #65 "Political Situation in the Arab Provinces of the Ottoman Empire," September 16, 1918, 17; Notes to William Yale's lecture, "Arabian and Syrian Situation," by Donald M. Brodie, May 5-6, 1919, at Hôtel de Crillon, 15, accessed on 21/2/2017, at: https://bit.ly/3ySlmHO

(51) Patrick, pp. 58, 75, 84, 88-94, 180, 201, 208, 217, 233, 261.

الصلح، وبالتحديد من دون مراجعة البند 22 الذي يصنّف السوريين وغيرهم من الشعوب العثمانية بكونهم في حاجة إلى انتداب. إلا أن أعضاء الوفد الأميركي أشاروا إلى أن الميثاق لم يسمّ الدولة المنتدبة على سوريا، وأن القرار النهائي حول الانتدابات سيكون بيد عصبة الأمم. وقد أكدوا له أنه بمجرد تأسيس العصبة يمكن مراجعة البنود المسيئة[52].

وهكذا في 28 حزيران/ يونيو 1918 انضمّ عبد الهادي على مضض إلى ولسون وكليمنصو ولويد جورج وحشد من المسؤولين في فرساي للتوقيع على خمس معاهدات أنهت الحرب العالمية الأولى.

في اليوم التالي أبحر الرئيس ولسون مع عضو الوفد الأميركي مستشاره للشرق الأوسط وليام وسترمان (William Westermann) عائدين إلى بلادهم على متن السفينة **جورج واشنطن** (SS George Washington). لم يكن وسترمان واثقًا من مراجعة الانتداب على سوريا. كان متأكدًا من أنهم تخلّوا عن سوريا إلى فرنسا. في تلك الليلة سجّل وسترمان ملاحظة في يومياته كأنه يقرأ فيها الغيب:

> إذا حصلت فرنسا على سوريا ستندلع حرب، حرب مملّة وباهظة التكاليف. بعد حوالى سنتين ستنتصر فرنسا بقوة عتادها الحديث المتفوق. النتيجة الصافية لذلك ستكون كمية أخرى من السم تفسد الشرق الأدنى إلى أن يأتي اليوم البعيد حين يقوم العرب وكل الشرق برفض نهائي للافتراض غير المبرر للغربيين المتجسد في صيغة "عبء الرجل الأبيض"[53].

وعلى الرغم من هذا القلق العميق، إلا أن الرئيس نسي كل شيء عن سوريا بمجرد أن وصل إلى بلاده. فقد انشغل خلال الصيف بمعركة ضد قياديين في مجلس الشيوخ لأجل المصادقة على معاهدة فرساي.

---

(52) Ibid., pp. 72-76.

(53) CURBML, Westermann Diary, June 29, 1919, 95.

أصبح وسترمان Westermann أستاذًا لتاريخ الشرق الأدنى والأوسط في جامعة كولومبيا طيلة 25 سنة، من سنة 1923 إلى سنة 1948.

في 30 آب/ أغسطس أبرق كراين إلى صديقه ولسون ليحثه على نشر تقرير اللجنة فورًا، لأن تجاهل التقرير يمكن أن يشعل حربًا، متنبئًا بالقول: "إن الاستهانة بمبدأ عدم الضم سيرعب ملايين الناس الذين يثقون فقط في أميركا وفيكم". خلال وجوده في باريس كان كراين يرى المقالات الغاضبة لـ دو كيه في الصحف، التي تهاجم الموقف البريطاني من سوريا، بينما كانت هناك مقالات أخرى تتضمن تلميحات حول انحياز لجنة كينغ-كراين. وكانت هناك شائعات منتشرة في باريس بأن المسؤولين الفرنسيين والبريطانيين استأنفوا المفاوضات السرية للسماح لفرنسا باحتلال سوريا. كما كانت هناك ضغوط على لويد جورج لسحب القوات البريطانية من سوريا لسحق الثورات في إيرلندا ومصر والعراق والهند[54]. وهكذا كان الصرح الإمبريالي الذي كلّف كثيرًا الدفاع عنه خلال الحرب العظمى، يبدو في خطر.

كان الجنرال تاسكر هـ. بليس يشاطر كراين مخاوفه، وقد وضع نسخة من تقرير لجنة كينغ-كراين في ملفات مفاوضات الصلح مع تركيا. كان بليس قد بقي في باريس لمتابعة مفاوضات الصلح، حيث عرف أن لويد جورج اقترح انتدابات أميركية فقط كي يخدم ذلك بريطانيا في الاستيلاء على مزيد من الأراضي. فقد كتب في 5 آب/ أغسطس رسالة إلى زوجته ورد فيها:

> لقد استولى البريطانيون على بلاد الرافدين حيث وجدوا مايبدو أنه أكبر مخزون للنفط في العالم. وهذا هو السبب في تخلّيهم عن القوقاز وتركهم الأرمن يُقتلون في المجازر. إن الفرنسيين يطالبون بسوريا لأن البريطانيين أخذوا بلاد الرافدين، بينما يطالب الآن الإيطاليون واليونانيون بحصتهم.

نصح بليس وزير الحرب في إدارة ولسون نيوتن بيكر (Newton Baker) بأن يرفض التوقيع على المعاهدة التي تتعلق بالأراضي العثمانية لأنها تُلزم الولايات المتحدة بتأييد مثل هذه الأهداف الإمبريالية[55].

---

(54) Howard, p. 218; Nevakivi, pp. 172-185.

(55) David F. Trask, "General Tasker Howard Bliss and the 'Sessions of the World,' 1919," *Transactions of the American Philosophical Society*, vol. 56, no. 8 (1966), p. 67,

نقلًا عن رسالة 5 آب/ أغسطس إلى السيدة بليس و7 آب/ أغسطس رسالة إلى بيكر.

لم ينصت ولسون لهذه التحذيرات، ولذلك كان عليه أن يواجه الخطر السياسي عليه. كانت المفاوضات مع مجلس الشيوخ قد سارت بشكل سيئ خلال شهر تموز/ يوليو، لأن الجمهوريين كانوا يرفضون بعض البنود في ميثاق عصبة الأمم حول الدفاع المشترك باعتبارها تمسّ السيادة الأميركية، ولذلك قام ولسون في 3 أيلول/ سبتمبر بعرض الميثاق مباشرة على الشعب كي يقنعه بالحاجة إلى التخلي عن بعض السيادة لأجل السلام العالمي. ولأجل ذلك انطلق بالقطار من واشنطن العاصمة في جولة في الولايات المتحدة قطع فيها ثمانية آلاف ميل.

كانت خطابات ولسون أمام الحشود المتحمسة في أرجاء القارة توحي بأنه بعد كلّ الذي جرى لم ينس مبادئه المعادية للاستعمار. ففي سان دييغو (San Diego) صرح: "إن قلب وجوهر هذه المعاهدة يكمن في كونها تحرر كل الشعوب في أوروبا وآسيا التي كانت حتى الآن مستعبدة من القوى التي لم تكن عادلة في حكمها لها"[56]. أما في مدينة بويلو (Pueblo) بولاية كولورادو فقد أدان في 25 أيلول/ سبتمبر القوى الاستعمارية باعتبارها عدوّة السلام: "إن الرجال الذين يجلسون حول الطاولة في باريس يعلمون أن الوقت قد جاء كي يقرّر الشعب من يحكمه"[57].

بعد يومين وصلت أخيرًا نسخة من تقرير كينغ-كراين إلى البيت الأبيض[58]. في ذلك الوقت انهار ولسون من الإرهاق. فبعد خمسة أيام تعرّض لجلطة دماغية قوية. وهكذا بدون موافقة الرئيس بقي التقرير مغلقًا في الدرج.

استعاد كراين بندم الفرصة الضائعة في سوريا خلال صيف 1919 وكتب قائلًا: "لقد فتح ذلك الجزء من العالم عقله وقلبه كما لم يفعل من قبل ولن يفعل ذلك ثانية"[59].

---

(56) Woodrow Wilson, "Speech at the Stadium in Balboa Park in San Diego, California," American Presidency Project, accessed on 21/3/2017, at: https://bit.ly/3LDHCYo

(57) Woodrow Wilson, Address at the City Hall Auditorium, Pueblo, Colorado, September 25, 1919, accessed on 6/6/2019, at: https://bit.ly/3PuHqOB

(58) Howard, pp. 256-263, 266, 318.

(59) CURBML, Crane Memoirs, 273.

# الفصل الثامن

# انتفاضة ديمقراطية في دمشق

في الوقت الذي أرسل فيه كراين برقيته إلى ولسون في 30 آب/ أغسطس 1919 اندلعت أعمال شغب في دمشق. فقد انتشرت شائعات عن أن بريطانيا قبلت رسميًّا الانتداب على فلسطين، لتفصلها بذلك عن سوريا. كما وانتشرت شائعات أخرى تقول إن القوات البريطانية ستنسحب من سوريا الداخلية كي تتركها لفرنسا. ولذلك عقدت اجتماعات غاضبة ليلًا في النادي العربي.

وقد عبّرت عن هذا الجو جريدة قومية بالشكوى: "لم تكسب سوريا شيئًا من اللجنة الأميركية سوى الانقسام واضطراب الأذهان"[1]. فبعد مغادرة لجنة كينغ-كراين في تموز/ يوليو حاول الأمير فيصل أن يعود إلى باريس للاستفادة من تقريرها. ولكن البريطانيين رفضوا أن يوفّروا له سفينة، كما أن أَلَّنبي ولورنس نصحاه بالبقاء. وفي مطلع أيلول/ سبتمبر تلقى فيصل أخيرًا برقية تدعوه إلى لندن للتفاوض.

حين وصل فيصل إلى 10 داوننغ ستريت في 19 أيلول/ سبتمبر قام لويد جورج بعرض الأمر الواقع عليه. كان لويد جورج قد سافر إلى باريس في 15 أيلول/ سبتمبر لتوقيع اتفاق مع كليمنصو تفوح منه شروط اتفاقية سايكس بيكو:

---

(1) Malcolm B. Russell, *The First Modern Arab State: Syria under Faisal 1918-1920* (Minneapolis: Bibliotheca Islamica, 1985),

نقلًا عن سوريا اليوم، ص 91-92.

خلال شهرين ستنسحب القوات البريطانية من سوريا الداخلية تاركة الجيش العربي هناك تحت سيطرة غير مباشرة من قبل فرنسا، كما أن فرنسا ستحتفظ بقواتها في الساحل[2]. وكان لورنس قد نشر تحذيرًا في جريدة **التايمز** اللندنية بأنه لن يكون هناك سلام في الشرق الأوسط بدون احترام الرأي العام العربي والوعود التي قُطعت للعرب، إلا أنه لم يفِد بشيء. كان لويد جورج يفتقد الرجال والمال. كان بحاجة إلى القوات البريطانية في سوريا كي يرسلها إلى الهند ومصر وإيرلندا، حيث احتدمت هناك الاحتجاجات القومية. كان يخطّط أيضًا للتوقف عن رفع المعونة الشهرية للدولة السورية. ولذلك كان على الأمير فيصل أن يسعى إلى مساعدة مالية من فرنسا.

عبّر فيصل عن صدمته إزاء مثل "هذا التحول نحو سياسة الإمبريالية الطموحة"[3]. وحتى وليام ييل المؤيد للفرنسيين أدان هذا الحلف "الخبيث"[4]. وعندما وصلت أخبار هذا الاتفاق إلى ولسون استغله في خطاباته خلال جولته للهجوم علانية ضد الاستعمار. وفي مطلع تشرين الأول/ أكتوبر، أي بعد الجلطة التي أصابت ولسون، لاحظ زائر بريطاني بحزن أن أطفال المدارس لا يزالون ينشدون أناشيد قومية يمدحون فيها الرئيس الأميركي لطرحه "مبادئ الحرية"[5].

بقي فيصل شهرًا في إنكلترا إلى أن اتّضح له أن لويد جورج قد غسل يديه من سوريا. قابل رستم حيدر وليام ييل الذي جاء إلى لندن في أيلول بمهمة شخصية غير رسمية. كان حيدر غاضبًا إلى حد الاعتراف بأنه "في بعض الأحيان كانت تتملّكه رغبة عنيفة بإلقاء قنابل على لويد جورج وغيره من الإمبرياليين البريطانيين". وقد أنذر الأمير فيصل بدوره الأميركيين بأنهم إذا لم يقوموا بعمل ما فإنه سيقود

(2) Jukka Nevakivi, *Britain, France, and the Arab Middle East* (London: Athlone Press, 1969), pp. 170, 175-178, 185, 188.

نشر ت. إ. لورنس رسالته في صحيفة **التايمز** في 8 أيلول/ سبتمبر، في:
Alan de L. Rush (ed.), *Records of the Hashemite Dynasties,* vol. 10 (London: Archive Editions, 1995), pp. 249-251.

(3) "Reply by His Highness the Emir Feisal," in: Rush (ed.), pp. 267-271; Nevakivi, p. 199.

(4) Harry N. Howard, *The King-Crane Commission* (Beirut: Khayats, 1963), p. 266.

(5) James L. Gelvin, *Divided Loyalties: Nationalism and Mass Politics in Syria at the Close of Empire* (Berkeley: University of California Press, 1998), p. 234.

مقاومة مسلحة ضد فرنسا. إلا أن جهود ييل للوساطة جوبهت بحائط من رفض البريطانيين الذين ألحّوا على أنهم يجب أن يحترموا وعودهم لفرنسا وليس للعرب. كان لورنس وألّنبي فقط قد عبّرا عن اهتمام لأجل حلّ وسط. وقد ردّ ييل [على البريطانيين] منذرًا إياهم بأنه إذا أرادوا احتكار مصادر النفط في بلاد الرافدين فإن ذلك سيؤدي إلى نزاع مع الولايات المتحدة[6].

وقد أخبر محرّر **التايمز** ييل أنه قد حال دون نشر رسالة من لورنس تشيد بدوره في الثورة العربية. إلا أن المحرّر وافق على نشر اقتراح ييل حول حلّ "المشكلة العربية" من دون أن يذكر اسمه. وكان هذا الاقتراح يدعو إلى احترام المصالح البريطانية في بلاد الرافدين والمصالح الفرنسية في سوريا من خلال انتداب محدود. وكما أنه على بريطانيا أن تسمح بحكومة عربية في بغداد، فإنه يجب عليها أيضًا أن تؤيد "دولة مستقلة عمليًا" للعرب في سوريا تحكمها حكومة منتخبة شعبيًا. وكما عبّر ييل عن رأيه المخالف لتقرير كينغ-كراين فإن فرنسا ستحتفظ بحكم مباشر على لبنان، حسبما جاء في اتفاقية سايكس بيكو، كما أن بريطانيا ستسيطر على فلسطين وتقيم هناك وطنًا قوميًا[7]. إلا أنّ فيصل نصح ييل بشكل شخصي بأنه من الصعب تمرير اقتراحه على المؤتمر السوري، الذي سيعارض تقسيم سوريا الكبرى بين قوى متعددة.

وبالعودة إلى باريس، نجد أن الجنرال بليس والوفد الأميركي لدى مؤتمر الصلح وافقوا بصمت على تقرير ييل غير الرسمي. كان العقيد هاوس يريد "طي الخيمة" وإرسال الوفد إلى بلاده. فقد أدّت الجلطة التي أصابت الرئيس والمعارضة الصاخبة لأعضاء مجلس الشيوخ الجمهوريين ضد معاهدة فرساي إلى إضعاف موقفهم التفاوضي بشكل جذري.

في منتصف تشرين الأول/ أكتوبر تخلّى الأمير فيصل عن جهوده لتغيير رأي لويد جورج وتبع على مضض ييل عبر المانش ليسعى إلى لقاء مع كليمنصو. في

(6) Library of Congress Manuscript Division, William Yale, "Report in Detail of Interview in London (Sept. 27th 1919 to Oct. 14th 1919)," in Tasker H. Bliss Papers, Box 354, Arab State File. Quote on 3.

(7) "The Arab Problem: Suggestions for a Settlement," *The Times*, 8/10/1919, p. 8.

الوقت نفسه أمر [نائبه] الأمير زيد أن يبقى الجيش السوري في أعلى جاهزية لمواجهة أي حركة من القوات الفرنسية في الساحل.

لم يكن في نية كليمنصو إرسال قوات فرنسية قبل الانتخابات الفرنسية في الشهر التالي. ولكنه بقي يضغط على لويد جورج. ففي 10 تشرين الأول/ أكتوبر أرسل مذكرة إلى رئيس الوزراء البريطاني يطلب فيها أيضًا تكافؤ الشروط في سوريا وبلاد الرافدين، ولكن في لغة مختلفة عن لغة ييل: كما أن فرنسا لم تتدخل في السياسة البريطانية في بلاد الرافدين، كذلك على بريطانيا ألا تتدخل في علاقات فرنسا مع العرب في سوريا[8]. في غضون ذلك كان وزير الخارجية بيشون مشغولاً وراء الأبواب المغلقة في مقرّ الوزارة بوضع خطط للتطبيق الكامل لاتفاقية عام 1916. وخطوته الأولى ستكون استبدال بيكو العاجز بجنرال عسكري ليشغل منصب المفوض السامي[9].

ومع ذلك كان بيكو يرسل التقارير من بيروت عن تشكيل ميليشيات في كل مدينة في سوريا[10]. فالشعب السوري كان يريد الدفاع عن نفسه بنفسه.

كانت خيانة بريطانيا وعودها للعرب نقطة تحوّل في السياسة السورية. فقد أضعفت الأمير فيصل وأطلقت حركة شعبية واسعة تجاوزت قوة المؤتمر السوري الذي أسّسه. وفي حين أن التأييد الأميركي لحق تقرير المصير العربي تحوّل إلى لفتة فارغة، إلا أن اللجنة الأميركية وضعت في الواقع الأساس للديمقراطية.

---

(8) Robert H. Lieshout, *Britain and the Arab Middle East: World War I and Its Aftermath* (New York: I. B. Tauris, 2016), pp. 376-378.

(9) بيشون إلى كامبون، 11 تشرين الأول/أكتوبر 1919، في:
Antoine Hokayem (éd.), *Documents diplomatiques français relatifs à l'histoire du Liban et de la Syrie à l'époque du mandat: 1914-1945,* vol. 1 (Paris: l'Harmattan, 2003), pp. 705-706.
يتم التعامل مع مفاوضات باريس بالتفصيل في القسم الخامس الخاص بي.

(10) Ali A. Allawi, *Faisal I of Iraq* (New Haven: Yale University Press, 2014), p. 254;
من بيكو إلى بيشون، 9 تشرين الأول/أكتوبر 1919، ومن كامبون إلى وزارة الخارجية، 14 تشرين الأول/أكتوبر 1919، في:
Hokayem (éd.), pp. 702-703, 707-708.

## قدوم رشيد رضا إلى سوريا

كان رشيد رضا مقدّرًا له أن يؤدي دورًا رئيسيًّا في الثورة الديمقراطية لسوريا. ولكن لم تكن لديه بعد معرفة بتطور الأحداث المستجدة يوم 12 أيلول/ سبتمبر 1919، حين وصل إلى محطة القطار في القاهرة ليأخذ من هناك القطار إلى دمشق. فقد وافق البريطانيون أخيرًا على منحه تأشيرة سفر، وكان هو يرغب بلقاء الأمير فيصل. أثار الأمير إعجابه بتأييده لـ"برنامج دمشق" وتأكيده السيطرة على الحكومة المدنية ضد الأوامر البريطانية. وهكذا فقد أخبر قراءه في عدد حزيران/ يونيو من **المنار** أن الأمير "بأسلوبه اللطيف والكريم وحّد الأحزاب السورية لتأييده ملكًا على سوريا المستقلة"[11].

وقبل أن ينطلق القطار من المحطة جاءه صديق بخبر أن فيصل قد غادر لتوه إلى أوروبا. وحول هذا كتب رضا في يومياته: "أغضبني هذا كثيرًا لأن الاجتماع مع الأمير في ذلك الوقت كان السبب الرئيسي لسفري إلى دمشق وليس إلى بيروت أو طرابلس". ولكن مع تذكرة السفر بيده وحقيبته أمامه قرّر السفر على كل حال[12]. وصل القطار الذي يحمل رضا إلى محطة سكة الحجاز بعد منتصف ليل 15 أيلول/ سبتمبر بقليل، أي في اليوم ذاته الذي وقّع فيه لويد جورج وكليمنصو الاتفاقية حول سحب القوات [البريطانية من سوريا].

وصل رضا مرهقًا من السفر بعد أن بلغ الرابعة والخمسين من عمره. نزل في أقرب فندق إلى محطة الحجاز، ألا وهو فندق فيكتوريا حيث التقى الجنرال ألّنبي لأول مرة الأميرَ فيصل قبل سنة. أخذ رضا آخر غرفة فارغة في الفندق، وكانت غرفة صغيرة في الطابق الأول. لم يكن فيها أنابيب للمياه ولذلك توضأ في طشت وصلّى وغطّ في النوم. جاء لاحقًا زميله في حزب الاتحاد السوري الدكتور الشهبندر ليقدّم لرضا نصيحة طبية لقدميه اللتين تؤلمانه.

سرعان ما انتشر الخبر بسرعة عن وصول رضا. في الصباح كان الزوار

---

(11) محمد رشيد رضا، "المسألة السورية والأحزاب"، مجلة **المنار**، مج 21 (حزيران/ يونيو 1919).
(12) محمد رشيد رضا، "الرحلة السورية الثانية (2)"، مجلة **المنار**، مج 21 (آب/ أغسطس 1920).

يصطفّون على بابه. من بين أوائل القادمين كان الحاكم العسكري رضا باشا الركابي. كان الركابي، كما أخبره، قد أرسل له دعوة شخصية لزيارة دمشق، إلا أن رضا قال إنها لم تصله قط. ربما كان البريطانيون قد حالوا أيضًا دون وصولها. تحدث الرجلان بسلاسة وسرعان ما أصبحا صديقين موثوقين.

جاء النائب عن مدينة حلب إبراهيم هنانو ليقدّم لرضا غرفته في فندق خوّام المجاور. كانت غرفة أكبر مع تمديدات صحية. ولكي يكون راضيًا أكثر كان فندق خوّام يقدم الماء المثلج مع الغداء[13].

في اليوم التالي جاء لزيارته الجنرال ياسين الهاشمي رئيس أركان الجيش في سيارته، وهو ما كان امتيازًا في مدينة قليلة السيارات. قاد الهاشمي السيارة مع رضا خارج المدينة إلى مقرّ الأمير زيد، الأخ الأصغر لفيصل ووكيله الحاكم خلال غيابه. في تلك الليلة تناول الهاشمي ورضا العشاء منفردين ليتحدثا حول الحالة السياسية.

أعجب رضا بالهاشمي لأنه واقعي أيضًا. كان الهاشمي ضابطًا عثمانيًا سابقًا رفيع الانضباط، وقد تفرّغ لتحويل الجيش العربي الشمالي بقيادة فيصل إلى قوة مقاتلة حديثة. وما إن علم بخطة بريطانيا للانسحاب من سوريا حتى بدأ بتنظيم قوة متطوعة للدفاع ضد الخطر الفرنسي. كما أن زعماء المدينة نظموا ميليشيات في أحيائهم، وطلبوا من خياطيهم أن يفصّلوا لهم زيًا موحدًا أصبح يعبّر عن المكانة الاجتماعية في دمشق خلال ذلك الخريف[14].

في مساء السبت 20 أيلول/ سبتمبر التقى الهاشمي ورضا مرة أخرى، ولكن هذه المرة في اجتماع سري للتخطيط للمقاومة. كان أحد المتحدثين في الاجتماع الشيخ كامل القصّاب، الصديق القديم لرضا وزميله في حزب الاتحاد السوري.

---

(13) آل فندق الأورينت إلى آل خوّام. كان من أوائل الفنادق في دمشق، يعود إلى منتصف القرن التاسع عشر ويمثل البيت الدمشقي التقليدي بفنائين:
Stefan Weber, *Damascus: Ottoman Modernity and Urban Transformation (1808-1918),* vol. II (Damascus: Danish Institute, 2009), p. 188.

(14) Gelvin, pp. 89-90.

كان الرجلان قد ارتبطا بعلاقة جيدة خلال الحرب. فعندما اعتقل القصّاب حين كان في مهمة سرية في مصر لمصلحة جمعية العربية الفتاة، أخرجه رضا من السجن بكفالة. قضى القصّاب بعد ذلك سنتين في مكة، ولكنه أصبح محبطًا هناك بسبب النظرة الضيقة للشريف حسين. وقبل نهاية الحرب بعدة شهور عاد إلى القاهرة لينضم إلى حزب الاتحاد السوري[15]. أما الآن فقد قام القصّاب بتنظيم حيّه. كان القصّاب زعيمًا كاريزميًا قادرًا على توحيد طبقة النخبة السياسية مع الشعب لإشعال الثورة.

في تلك الليلة قام القصّاب ورضا والهاشمي بوضع قائمة من 21 دمشقيًا يمكن أن يتعاونوا معهم في المقاومة. وقد اتفقوا أخيرًا على اللقاء في الليلة التالية في بيت القصّاب لأجل وضع استراتيجيا. إلا أن الهاشمي استُدعي في اليوم التالي إلى مقر قيادة القوات البريطانية في فلسطين. كان البريطانيون قد أحسّوا بخطط الهاشمي العسكرية، ونظرًا إلى أنه من بغداد، فقد خشَوا من أنه قد يمدّ الثورة السورية إلى العراق. وفي 21 أيلول/ سبتمبر خرج رضا والأمير زيد لوداع الهاشمي في محطة سكة الحجاز.

في اليوم التالي استُدعي رضا إلى مقر القيادة البريطانية. قام هناك أحد المسؤولين بتكذيب الشائعات التي تقول إن بريطانيا باعت سوريا لفرنسا، وعرض عليه برقية تقول إن القوات العربية ستبقى مسيطرة على المنطقة الداخلية. إلا أن البرقية تقول أيضًا إن الحكومة العربية يجب الآن أن تعتمد على فرنسا في كلّ ما تحتاجه، بما في ذلك المساعدة المالية. وقد ردّ رضا على ذلك بالقول: "إن هذا تطبيق واضح لاتفاقية عام 1916"[16].

ومع تزايد الغضب في المدينة، سعى كبار المسؤولين إلى لقاء رضا لأجل المشورة والدعم. بعد يومين من لقائه مع المسؤولين البريطانيين كان رضا على

---

(15) Ibid., pp. 91-96.

(16) يوميات رشيد رضا، 21-23 أيلول/ سبتمبر 1919، مذكور في:
Umar Ryad, "Like a Mill Donkey: Western Politics in the Aftermath of WWI," Paper given at the Conference "Human Catastrophe Then and Now," American University of Beirut, 1 June 2016.

العشاء مع الركابي. وكما يستذكر رضا "عبّر الحاكم العسكري عن احترام كبير لي حتى أنه رغب بتقبيل يدي". خلال العشاء عرض الركابي على رضا منصب وزير الشؤون الدينية في الحكومة السورية. وفي زيارة الأمير زيد لرضا في فندقه كرّر عليه العرض باسم الأمير فيصل.

سجّل رضا في يومياته: "أخبرني الأمير زيد أن الحكومة في حاجة كبيرة إلى مساعدتي". ولكنه ردّ على الأمير زيد بأنه ترك عائلته في القاهرة، وأنه لا يستطيع قبول منصب في حكومة مع هذه الفوضى. أصرّ الأمير زيد معترفًا بأن "الأخلاق في الشام (سوريا) ضعيفة وهذا ما يخيف الناس بسهولة. ولكن إذا كان الرجال مثلي (رضا) لا ينهضون للعمل أو للإصلاح، فمن ينهض؟"[17].

ولتجنّب الضغط السياسي قرّر رضا أن الوقت قد حان لزيارة أسرته في القلمون. في صباح 29 أيلول/ سبتمبر دفع فاتورة الفندق التي بلغت تسعة جنيهات مصرية (لم تكن سوريا قد أصدرت بعد عملتها الخاصة بها) وأخذ القطار إلى بيروت. من خلال النافذة رأى وطنه لأول مرة بعد مرور سنوات كثيرة: "كان القطار يمرّ في واد جميل يجري فيه نهر". وعندما عبروا الجبال تحول الهواء إلى بارد كما في الشتاء، ثم انحدروا نحو الساحل ووصلوا بيروت في المساء. صلّى رضا في محطة القطار ثم وجد فندقًا لطيفًا يطل على البحر مع طعام جيد.

امتدح رضا بيروت لما رآه من تقدّم اجتماعي: تعاون المسلمين والمسيحيين وكون التعليم موضع تقدير. سرّه أن يرى أن المرأة المسلمة قد تبنّت طريقًا وسطًا سليمًا بين التقليد والتقدم. وتابعت العديد من النساء تعليمهن، وحتى إن ناديًا نسائيًا دعاه إلى إلقاء محاضرة عن مكانة المرأة في مصر. حرص رضا في يومياته على وصف الوجبات اللذيذة التي تناولها مع أصدقائه القدامى. شعر هناك بمتعة وجوده في وطنه[18].

---

(17) محمد رشيد رضا، "الرحلة السورية الثانية (2)"، مجلة **المنار**، العدد 23 (آذار/ مارس 1922)، ص 235-240؛ يوميات رضا 26-28 أيلول/ سبتمبر 1919 الواردة لدى:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

(18) محمد رشيد رضا، "الرحلة السورية الثانية (5)"، مجلة **المنار**، مج 22 (نيسان/ بريل 1921)، =

ومع ذلك انشدّ رضا نحو السياسة. كان قد ألقى خطبًا في الجوامع حول حاجة المسلمين إلى الوحدة لنهضة الأمة، وخاصة إلى بناء المدارس. كان يستمع إلى أصدقاء مسلمين يشكون من الضرائب العالية التي فرضتها فرنسا وتفضيلها للمسيحيين في المناصب الحكومية، وعبّروا عن أمل أكثر في حكومة فيصل، أكثر مما كان رضا يأمل منها. في 7 تشرين الأول/ أكتوبر، قابل رضا المفوض السامي جورج بيكو ليشكو له من أن الفرنسيين لا يعاملون المسلمين بالعدل: "قلتُ له إنه حتى أولئك الذين لا يزالون يتحدثون عن المظالم التركية - التي قتلوا فيها الرجال وأساؤوا إلى النساء - يتمنون الآن عودة الأتراك بسبب إساءة (الفرنسيين) لهم وتذمّرهم من معاملتهم لهم".

اعترف جورج بيكو بالأخطاء ووعد رضا بتصويب الخلل. وفي الحقيقة كان المسؤولون الفرنسيون قد تلقوا العديد من الشكاوى حول التصرفات الفظة للموظفين الاستعماريين الذين جاؤوا من شمال أفريقيا. فقد كان هؤلاء يعاملون المسلمين في سوريا كرعايا خاضعين للاستعمار وليس كشعب مستحق لاستقلال مؤقت. وقد كرّر بيكو تأكيده لرضا أن فرنسا تنوي أن تشجع على الفرص المساوية للجميع من كل الأديان، وأنه سيكون أكثر مراعاةً لمشاعر المسلمين. كما وعد بأن تبقى العربية لغة رسمية، وأنه لن يكون هناك جنود [فرنسيون] في سوريا الداخلية بل مستشارون مدنيون فقط. ولكن بيكو لم يضمن بأن تبقى سوريا متحدة تحت حكم فيصل[19].

بعد سروره في بيروت جاءت الصدمة في موطنه. فاجأ رضا أخاه إبراهيم أدهم عندما وصل إلى القلمون في ليلة 12 تشرين الأول/ أكتوبر. في صباح اليوم التالي استيقظ ليرى آثار كارثة ما بعد الحرب المحبطة. كانت الأوضاع أسوأ بكثير

---

= ص 390-396، و"الرحلة السورية الثانية (6)، مجلة **المنار**، مج 22 (أيلول/ سبتمبر 1921)، ص 617-623؛ ويوميات رضا 29 أيلول/ سبتمبر - 3 تشرين الأول/ أكتوبر 1919 لدى:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

نشر رضا خطابًا للناشطة النسائية عنبرة سلام في عدد نيسان/ أبريل 1921 من "المنار".

(19) محمد رشيد رضا، "الرحلة السورية الثانية (7)"، مجلة **المنار**، مج 22 (تشرين الأول/ أكتوبر 1921) ص 768-785. يوميات رضا 7 تشرين الأول/ أكتوبر 1919 المذكورة في:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

مما كان يُنقل إلى رضا في مصر. قام مع أخيه بجولة مع شروق الشمس في طريق يُفضي إلى البساتين والحقول التي لا تزال تمتلكها الأسرة. كان محصول أشجار الليمون والبرتقال أقلّ بالنصف مما كان عليه في العام الماضي. كانت نفوس الناس محطّمة. وروى أقاربه حكايات مروعة كما كتب في يومياته: "بقي في القلمون ربع سكانها. معظمهم مات من الجوع. كانت الحالة من السوء إلى حد أن بعض النساء أكلن جثث الموتى"[20].

قضى رضا الأسبوعين اللاحقين وهو يحاول أن يسترد وقفًا على جامع الأسرة كان قد صادره الأتراك، إلا أن جهوده قادته إلى السجن. ففي 28 تشرين الأول/ أكتوبر احتاج محبطًا إلى أن يذهب إلى بيروت كي يقدّم عريضة هناك، ولكن عندما فاتته آخر سيارة أجرة ذهب إلى الميناء ليستقل السفينة إلى بيروت، إلا أن الشرطة اعتقلته للاشتباه بنشاطه السياسي التخريبي. وكما كتب عن ذلك في يومياته: "فتش الشرطي كل أوراقي بما في ذلك الجزء السابع من التفسير (تفسير القرآن لرضا). وحينما أخبرته أنه مجرد فهرس للكتاب قال إنه يمكن أن يكشف عن محتوى سياسي".

قرّر ضابط الشرطة أن ينقل القضية إلى بيروت، فأُودع رضا في زنزانة ذات نافذة محطمة. أُصيب بالبرد بسبب ملابسه المبللة بالعرق. في منتصف الليل نُقل إلى بيروت. رأى عبر نافذة السيارة صديقه القديم رضا الصلح، الذي التقاه في إسطنبول قبل عشر سنوات. قام الصلح بدفع كفالة للإفراج عن رضا. في صباح اليوم التالي استيقظ رضا على حرارة في جسمه، وعندما جاء الطبيب كشف عن إصابته بالملاريا. وقدّم شكوى إلى مساعد بيكو طالبًا فيها: "يجب أن تقيلوا مدير شرطة لبنان والمفتش حنا الذي أساء معاملتي".

لم يكتف المسؤولون الفرنسيون بإقالة ضباط الشرطة المسيئين بل عرضوا

---

(20) يوميات رضا 12-13 تشرين الأول/ أكتوبر 1919 المذكورة في:
Ryad, "Like a Mill Donkey";
محمد رشيد رضا، "الرحلة السورية الثانية (3)"، مجلة **المنار**، مج 21 (آب/ أغسطس 1920)، ص 498-499.

على رضا منصبًا تعليميًا يمكنه من أن يشرف على شؤون المسلمين. إلا أن رضا رد عليهم: "إن خدمة بلادي أولوية ومهمة، وأنا أشكركم على اهتمامكم". لم يكن في ذهنه خدمة الفرنسيين، وقدّم لهم العذر ذاته الذي قدّمه في دمشق، أي أن عائلته تنتظره في القاهرة.

ومع ذلك كتب رضا إلى مساعد بيكو يحذره: "أنتم تعلمون أن الإسلام أول دين أكّد على مبادئ العدل والمساواة، حتى إن الخليفة نفسه كان على قدم المساواة مع أي أحد من العامة في ما يتعلق بالحقوق. كما أن القرآن نصح الرسول ألا يكون مستبدًا"[21].

في 21 تشرين الثاني/ نوفمبر وصل إلى بيروت الجنرال هنري غورو خلفًا للمفوض السامي بيكو. كان هذا التحوّل نحو مفوض سامٍ عسكري يقوّض تأكيدات بيكو بأن فرنسا ستبقى خارج سوريا الداخلية. رفض رضا الدعوة لحضور حفل استقبال رسمي للجنرال غورو. في طريق عودته إلى طرابلس شاهد الآلاف من قوات الفرسان البريطانية، معظمهم من الهنود، في الطريق. كان الانسحاب البريطاني قد بدأ[22].

## الديمقراطية تنفجر في دمشق

بقيت الحرارة السياسية مرتفعة في دمشق. فمنذ أيلول/ سبتمبر 1919 بادر النشطاء المحليون إلى بناء قواعد لحركة المقاومة. وحتى وصول غورو في تشرين الثاني/ نوفمبر كان هؤلاء قد جمعوا قوة كافية للضغط على المؤتمر السوري ليطالب بالاستقلال التام، متحدّين بذلك الزعماء الذين كانوا يسعون إلى تنازلات فيصل وزيد والحاكم الركابي.

---

(21) رضا، "الرحلة السورية الثانية (7)"؛ يوميات رضا 28 تشرين الأول/ أكتوبر - 12 تشرين الثاني/ نوفمبر 1919 المذكورة لدى:

Ryad, "Like a Mill Donkey."

(22) يوميات رضا 21 و25 تشرين الثاني/ نوفمبر 1919 في:

Ryad, "Like a Mill Donkey."

في قلب هذه الحركة كان صديق رضا القديم الشيخ كامل القصّاب. كان القصّاب ابن تاجر من مدينة حمص السورية. درس في القاهرة عند شيخ رضا محمد عبده، ثم عاد إلى دمشق قبل الحرب ليؤسّس مدرسة هناك. أما الآن، في سن السادسة والأربعين، فقد كان من قادة التنظيم السياسي لجمعية العربية الفتاة وحزب الاتحاد السوري الجديد. كان قد استخدم صلاته مع التجار والمدرسين ورجال الدين لحشد الدعم للاستقلال. كانت موهبته في الخطب النارية هي المفتاح لبروزه كقائد للمقاومة الشعبية.

كان القصّاب يعيش في مدينة دمشق القديمة، حيث كانت دكاكين التجار تصطف على طول الشوارع القديمة والضيقة التي تحيط بالجامع الأموي العظيم الذي يعود تاريخ بنائه إلى القرن السابع. كانت الأسرة الأموية تحكم خلافة واسعة تمتد من إيران إلى إسبانيا. خلف الجدران المتقشّفة الكئيبة لبيوتهم كان الدمشقيون لا يزالون يعيشون في بيوت على النمط المتوسطي تحيط بها فناءات من الحدائق الغنية. كان سكان المدينة الذين يبلغ عددهم 240 ألفًا يعيشون في 48 حيًا متميزًا، في مجموعات متماسكة حيث يعرف كل واحد الآخر، وحيث عائلات الأعيان القدماء تدير شبكات الرعاية. كان المسيحيون واليهود يعيشون في المدينة، ولكن معظمهم يتمركز في الأحياء الشرقية. أما القسم الجنوبي من المدينة، الميدان، فكان يمتد على طول الطريق إلى سهول حوران الخصيبة. وقد بنى تجار الحبوب شبكة هنا، كما هو الأمر مع نخبة كبار ملاك الأراضي والتجار في المدينة القديمة. بقيت المدينة القديمة والميدان أحياء شعبية، متميزة من مركز الحكومة في ساحة المرجة وعن الأحياء الجديدة الشمالية مثل الصالحية والمهاجرين، حيث كان هناك قصر فيصل.

في مطلع تشرين الثاني/نوفمبر 1919 انتخب كل حيّ من الأحياء الـ 48 ممثلين لمجلس تنسيقي للمقاومة دُعي "اللجنة الوطنية العليا". اجتمعت هذه اللجنة لأول مرة في بيت رئيس البلدية، أحد أقرباء الحاكم الركابي، لتضع النظام الأساسي والأهداف، وعلى رأسها الدفاع عن وحدة البلاد وسيادتها وإحياء الروح القومية العربية. وقد وردت في النظام الأساسي بوضوح الأسس

لانتخاب الأعضاء الـ 27 للمجلس التنسيقي الذي يتم التداول على رئاسته في كل اجتماع[23]. وعلى عكس المؤتمر السوري، الذي كان يسيطر عليه الأعيان، كانت اللجنة الوطنية منظمة أكثر شعبية ومساواة. كان ثلث أعضائها من الطبقة الوسطى التي تضمّ باعة التوابل وتجار الحبوب وخطباء الجوامع. كانت تجتمع بانتظام في فروع الأحياء لجمع الأموال وتنظيم المظاهرات والإشراف على التدريبات العسكرية للشباب.

كواحد من قادة اللجنة الوطنية، كانت خطب القصّاب النارية تجذب المواطنين العاديين من كل الأصناف الذين أتعبتهم حالة عدم الاستقرار والفقر بعد الحرب. لم تكن اللجنة الوطنية ميليشيا ولا حركة إسلامية. كان القادة المسيحيون والمسلمون سواء يثنون على اللجنة ويشاركون في اجتماعاتها. ولحشد الناس العاديين فيها كان أعضاء اللجنة يستخدمون لغة شعبية أكثر بالمقارنة مع النخبة القومية. وقد جاء في أحد منشوراتها: "تذكروا كلام الله: الكفاح والجهاد المأجور. يكفيكم تسامحًا وتخاملًا. إنهم يكذبون عليكم ويخدعونكم ويخونونكم"[24].

لم تقتصر اللجنة الوطنية على دمشق، بل ظهرت فروعها أيضًا في المدن السورية الأخرى. كانت الفروع أقل ديمقراطية في تركيبها من اللجنة الوطنية العليا، وركّزت العديد من الفروع على الدفاع العسكري بشكل أساسي. كانت أقوى ميليشيا تلك التي نظّمها إبراهيم هنانو قرب حلب، عضو المؤتمر السوري الذي كان قد أعطى الشيخ رضا غرفته في الفندق. كانت هذه القوة من العصابات قد كبرت حتى أصبحت تضم 400 رجل. كان السوريون يستلهمون احتلال القوميين الإيطاليين مدينة فيومه في تحدّ لسياسة باريس، ويستلهمون كذلك الحركة القومية التركية التي برزت قرب الحدود السورية في الأناضول. وكان الأتراك قد رتّبوا في أواخر الصيف مؤتمرهم القومي بقيادة مصطفى كمال، وتمردوا علنًا ضد مؤتمر الصلح في باريس الذي أرسل قوات أجنبية لاحتلال بلادهم.

---

(23) **نظام اللجنة الوطنية العليا في العاصمة السورية** (دمشق: مطبعة الترقي، 1919).

(24) Gelvin, pp. 184-186.

إلا أن اللجنة الوطنية العليا في دمشق كانت تختلف عن تلك المجموعات. فقد احتج السوريون في الماضي بواسطة قوتهم المحلية أو الفصائل الخاصة بالأعيان، ولكنهم لم يؤسّسوا سابقًا منظمة سياسية رسمية. ففي الماضي كانت النخب فقط تؤسس الأحزاب السياسية. ومع نهاية الحكم العثماني أطلقت اللجنة الوطنية العليا مرحلة جديدة من السياسة الجماهيرية.

لقد ظهرت اللجنة الوطنية العليا جنبًا إلى جنب مع المجموعات السياسية للنخبة وليس ضدها. وقد دعت ممثلين من كل الأحزاب القومية الأخرى لحضور اجتماعاتها. وكان ممن يشاركون عادة في هذه الاجتماعات أعضاء من المؤتمر السوري وجمعية العربية الفتاة وحزب الاتحاد السوري.

وكان زملاء القصّاب في جمعية العربية الفتاة، على سبيل المثال، قد أصدروا في أواخر أيلول/ سبتمبر منشورًا يدعو إلى انتفاضة ديمقراطية تحت عنوان "الدعوة الأولى إلى الخونة الدبلوماسيين في العالم المتمدّن"[25]. ولدينا هنا إدانة للقوى الغربية التي خانت سوريا وكلّ الشعوب الأخرى التي حُرِمت من الحقوق في باريس. ومن الممكن أن يكون هذا المنشور، الذي يحمل توقيع "الدم والحديد"، قد كُتب في الاجتماع السري الذي حضره رضا والهاشمي والركابي.

> أيها السياسيون! تنبّهوا! لقد أجّجتم بركانًا بلقانيًا في سوريا والبلاد العربية... إنّكم ذئاب ضارية تعلنون تحرير الشعوب كي تقسّموهم وتحكموهم... أيتها الأمة العربية! انظري كيف يُظهرون أنياب الذئب الشرهة ويزيّفون مبادئ ولسون... لذلك، تعالوا يا أحفاد الأسلاف النبلاء. طالبوا الإنسانية لتساعدنا في حماية حقوقنا... إننا سنحرر الإنسانية من هذه الضربات الضارية.

وفي ذلك الوقت تقريبًا أرسل حزب الاتحاد السوري عريضة إلى لويد جورج باسم رابطة التجمعات المهنية والسياسية. كانت العريضة تحتجّ على توصية لجنة كينغ-كراين بانتداب على سوريا وتدعو إلى الاستقلال التام: "إننا نطالب

(25) MAE-Nantes, "Le Premier Cri/First Cry to Diplomatic Traitors in the Civilized World,"
يعود تاريخ ترجمة المنشور إلى 20/ 9/ 1919، صندوق رقم 2372. تُرجم المنشور نفسه من اللغة العربية.

(الحلفاء) بالحفاظ على وعودهم وليتركونا نقرر مستقبل بلادنا". كان الشهبندر ممن وقّعوا هذه العريضة عن حزب الاتحاد السوري. ويدلّ عدد التنظيمات التي وقّعت على اتّساع حركة المقاومة: حزب الاستقلال العربي، وجمعية النهضة الفكرية، والتحالف السوري، والتحالف لأجل العراق، والجمعية العراقية، والمؤتمر السوري، وجمعية النهضة الفلسطينية، وجمعية البقاع، وجمعية الشبان السوريين، والجمعية الخيرية، وجمعية خريجي المدارس العليا، إضافةً إلى جمعيات الصحافيين والمحررين والأطباء والمحامين والمعلمين والطلاب[26].

ومع قوة هذا الحشد الشعبي، عاد المؤتمر السوري إلى الانعقاد من دون تفويض من فيصل. وباعتباره ممثلًا للأمة السورية، فقد تحدّى المؤتمر سلطة فيصل بانتزاعه الحق في التدخل في السياسة الخارجية. وهكذا فقد بادر المؤتمر في 27 تشرين الأول/ أكتوبر إلى تعيين لجنة من أعضائه للاجتماع مع الدبلوماسيين المقيمين في دمشق. كانوا يريدون بذلك زيارة السفارات لتوضيح أن اتفاق سحب القوات [البريطانية] في 15 أيلول/ سبتمبر ينتهك رأي الشعب الذي عبّر عنه للجنة كينغ-كراين[27]. وقد ناقش النواب أيضًا تشكيل جيش وطني. وكما قال أحد النواب فإنه يجب على السوريين حماية بلادهم كما فعل الإيطاليون والأتراك والمصريون[28].

في تشرين الثاني/ نوفمبر صوّت المؤتمر رسميًا برفض اتفاق 15 أيلول/ سبتمبر. وقد أصدر الرئيس المحافظ للمؤتمر فوزي باشا العظم احتجاجًا رسميًا، شارك في التوقيع عليه سكرتير المؤتمر عزة دروزة، ضد هذا الاتفاق منتقدًا إياه باعتباره ينتهك الرغبة الشعبية والسيادة السورية. أما حزب الاستقلال

---

(26) The National Archives of the United Kingdom, London, Michel Lutfallah to Lloyd George, September 16, 1919, FO 371/4183, 346-51.

(27) يوسف الحكيم، **سوريا والعهد الفيصلي**، ط 2 (بيروت: دار النهار للنشر، 1980)، ص 115؛ ماري ألماظ شهرستان، **المؤتمر السوري العام 1919-1920** (بيروت: دار أمواج، 2000)، ص 78، 80.

(28) Eliezer Tauber, *The Formation of Modern Syria and Iraq* (London: Frank Cass, 1995), p. 21. المتحدث والمؤلف كان محمد الشريقي.

العربي الجديد فوجّه عريضة مباشرة إلى وزير الخارجية بيشون ورد فيها أنّ اتفاق 15 أيلول/ سبتمبر ينتهك المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم[29]. كما وأيّد قادة المؤتمر، بمن فيهم دروزة وأحمد قدري، علانية دعوة اللجنة الوطنية العليا لقطع كلّ المفاوضات مع فرنسا. فالمفاوضات، بحسب ما اعتبروه، إنما تمثل تنازلًا عن الاستقلال السوري الذي كانت قد اعترفت به مؤقتًا المادة 22 من ميثاق العصبة[30].

تأجّجت الاحتجاجات ثانية حين بدأت بريطانيا بسحب قواتها. كانت أكبر مظاهرة تلك التي خرجت في 9 تشرين الثاني/ نوفمبر وملأت شوارع دمشق بتنسيق من اللجنة الوطنية العليا. قدّر عدد الذين شاركوا فيها 15 ألف شخص، ساروا بشكل سلمي ونادوا بالوحدة السورية والاستقلال. وخلال مسيرهم شارك رجال الدين والنساء وحتى الأطفال في إنشاد الأغاني الوطنية. وكما وصف صحافي ذلك "لم يرَ أحد في تاريخ سوريا شيئًا كهذا". وللتعبير عن التضامن سار المسلمون جنبًا إلى جنب مع المسيحيين والفقراء مع الأغنياء. في مقر الحكومة حيا الحاكم الركابي والأمير زيد المحتجين للتأكيد لهم على مستقبل البلاد ونفي الشائعات عن غزو فرنسي. وبعد ذلك سار بعض الشباب في تشكيلات عسكرية نحو مقر الأمير فيصل وهم يرددون "إلى الحرب، إلى الحرب"[31].

أبرق زيد إلى فيصل في 16 تشرين الثاني/ نوفمبر: "الثورة على الأبواب!". في اليوم التالي أثار القصّاب المزيد من الاحتجاج في خطاب أدان فيه أي محاولة للحدّ من السيادة السورية[32]. أبرق زيد إلى فيصل ثانية: "أنا لا أستطيع وقف

---

(29) من حزب الاستقلال العربي إلى بيشون، 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 1919، في:
Hokayem (éd.), pp. 742-744.

(30) Republic of France, Ministry of Foreign Affairs archive at La Courneuve, Petition signed by Azm and Darwazeh, October 28, 1919, in Serie Levant 1918-1940, Syria-Lebanon;

أحمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** (دمشق: ابن زيدون، 1956)، ص 150؛
Allawi, p. 260; Gelvin, pp. 97-98.

(31) "مظاهرات السوريين"، **الكوكب** (25 تشرين الثاني/ نوفمبر 1919).

(32) Allawi, p. 260; Russell, p. 114.

الثورة... حدث هجوم فرنسي... على لبنان وأدى إلى إحراق قرية. جاء اللاجئون إلى دمشق".

في ذلك اليوم، 17 تشرين الثاني/ نوفمبر، قدّم أعضاء حكومة الركابي استقالاتهم احتجاجًا على مذكرة بريطانية سرية ترسّم الحدود السورية - اللبنانية بالاستناد إلى بنود اتفاقية سايكس بيكو 1916 التي فقدت مصداقيتها. وقد حذرت رسالة للحكومة من "أن سياسة كهذه يمكن أن تقود إلى... شغب وفوضى... ونظرًا إلى أن الحكومة لا تمثل الشعب فلا يمكن إذن أن تكون مسؤولة عن تطبيق هذا القرار"[33]. كان الوزراء غاضبين من فيصل لأنه لم يخبرهم عن الحدود الجديدة. وفي الحقيقة لم يكن فيصل يعرف عن ذلك، ولم يقبل زيد استقالة الوزراء[34].

ازداد غضب الشعب أكثر مع وصول الجنرال غورو، الوجه العسكري الجديد للاحتلال الفرنسي، في 21 تشرين الثاني/ نوفمبر[35]. في خطابه الأول في بيروت استذكر غورو احتلال فرنسا الأخير للأرض المقدسة خلال الحملات الصليبية، وحتى إنه أكد للسوريين أن فرنسا الكاثوليكية هي أيضًا جمهورية فرنسا، وأنه كابن للثورة [الفرنسية] سيجلب الحرية والتقدم لسوريا[36].

في الأيام اللاحقة خاض المؤتمر السوري في نقاش حول إعلان الحرب على فرنسا. وفي كلمة له في المؤتمر ثمّن الأمير زيد علانية مزايا مثل هذا الإعلان، ولكنه في النهاية رفضه بعد أن عرف من الركابي مدى ضعف الجيش السوري[37]. رحّب البعض بدعوة الركابي إلى الهدوء في 22 تشرين الثاني/ نوفمبر بعد أن

---

(33) سليمان موسى (محرر)، **المراسلات التاريخية 1919: الثورة العربية الكبرى** (عمان: 1975)، ج 2، ص 236-237.

(34) المرجع نفسه، ص 234-237.

(35) قدري، ص 141. نفى كليمنصو أن يكون لتعيين غورو أي أهمية سياسية ووعد بأن تبقى سوريا موحدة. ولكن في اليوم نفسه كتب كليمنصو إلى المونسنيور حويّك مؤكدًا له أن لبنان سيكون مستقلًا: Hokayem (éd.), pp. 738-739.

(36) Julie d'Andurain, *Henri Gouraud: Photographies d'Afrique et d'Orient* (Paris: Éditions Pierre de Taillac, 2016), pp. 158-161.

(37) Russell, p. 110.

بدّد المخاوف السياسية للمؤتمر. وقد صرح حينئذ للنواب أن مصير سوريا يتقرر بالوسائل الدبلوماسية وليس بالوسائل العسكرية[38].

تحولت الأزمة إلى ما هو أسوأ كما توقّع الركابي. فبحجة دعوته إلى شرب شاي قام الضباط البريطانيون بخطف قائد أركان الجيش السوري ياسين الهاشمي وإرساله إلى فلسطين في عربة مصفحة. كانت فرنسا قد طالبت باعتقاله منذ أيلول/ سبتمبر حين جدّد الدعوات إلى مشروع عسكري في سوريا[39]. وافق البريطانيون على أن يبقى الجيش السوري صغيرًا كي لا يتحدى اتفاق 15 أيلول/ سبتمبر. وخوفًا من أن يُشعل الهاشمي الحرب في سهل البقاع تصرفوا بهذا الشكل في الأيام الأخيرة من وجودهم في الأرض السورية.

أغلقت أسواق دمشق احتجاجًا على خطف الهاشمي. نظّمت الميليشيات والنوادي مظاهرات جماهيرية ضد "العمل الظالم" الذي ينتهك "حقوقهم المقدسة". تحرك القصّاب واللجنة الوطنية العليا نحو مقر الأمير زيد لتسليمه عريضة تندّد باعتقال الهاشمي. بعد ذلك عقد القصّاب اجتماعًا مع النخبة السياسية. في هذا الاجتماع أقسم القصّاب على رفض أي انتهاك للسيادة الوطنية، ولم يُسمح لأحد بالمغادرة إلا بعد التوقيع على ذلك العهد[40].

جاءت الأخبار من واشنطن لتزيد في ذعر السوريين. فقبل عدة أيام صوّت مجلس الشيوخ على رفض معاهدة فرساي وعضوية الولايات المتحدة في عصبة الأمم، وقد تمّ هذا التصويت من دون أي إشارة إلى تقرير كينغ-كراين، الذي لم يُكشف عنه[41].

---

(38) Allawi, p. 261;

الحكيم، ص 118-119؛ شهرستان، ص 80-81.

(39) Russell, p. 109;

المقر العام في القاهرة إلى وزارة الدفاع، 22 أيلول/ سبتمبر 1919، في:
Rush (ed.), p. 280.

(40) قدري، ص 150؛ "العرب إنسان واحد ينطق بفمٍ واحد"، جريدة **المفيد**، 23/ 11/ 1919.

(41) Howard, p. 262; Andrew Patrick, *America's Forgotten Middle East Initiative: The King-Crane Commission of 1919* (New York: I. B. Tauris, 2015), pp. 178-179; KCDC, King to Crane, November 18, 1919, accessed on 11/9/2018, at: https://bit.ly/3G9FF4V =

وللسخرية، فإن بعض أعضاء مجلس الشيوخ صوّتوا ضد العضوية في عصبة الأمم لأنهم كانوا يخشون من أن يساعد هذا على التوسّع الاستعماري. وهكذا جاء في تصريح عضو المجلس وليام بورا (William Borah): "عندما تشكلت هذه العصبة، هذه التشكيلة، ستحكم القوى العظمى نصف سكان العالم كشعوب خاضعة... يجب عليكم إما أن تعطوهم الاستقلال، معترفين بحقهم كشعوب في الحياة وفق نمطهم وأن يشكلوا حكومتهم الخاصة، أو أن تنفوا عنهم هذه الحقوق بالقوة"[42].

وصل الإحساس فورًا إلى سوريا بهذا التحول البارد لواشنطن. فقد سارع القناصل الأميركيون مسبقًا قبل احتجاجات تشرين الثاني/نوفمبر إلى سحب زوجاتهم وأولادهم من سوريا الداخلية إلى بيروت الواقعة تحت السيطرة الفرنسية. أرسلوا برقيات تعبّر عن عدم التعاطف مع المقاومة السورية، محذّرين من عنف عربي. وقد جاء في برقية بتاريخ 7 تشرين الثاني/نوفمبر أن "الفرنسيين يستخدمون بالتدريج القوة أكثر لمعاقبة المعارضة". وبحسب القنصل الأميركي في حلب "إن كل السكان يستعدون بدرجة عالية وقد تزايد كثيرًا خوف السكان المسيحيين". وأرسل مصدر أميركي في بيروت تقريرًا في 19 تشرين الثاني/نوفمبر جاء فيه: "على ما يبدو أن الفرنسيين يأملون في أن يرهبوا السكان بمكانة الجنرال غورو". وحين قام البريطانيون باعتقال رئيس أركان الجيش الهاشمي قام القنصل الأميركي بعرقلة ممثل الدولة العربية في بيروت من إرسال برقية احتجاج إلى فيصل[43].

كان الشعور بالخذلان والعزلة الدبلوماسية وراء دفع المؤتمر السوري لاتخاذ قرار من طرف واحد. ففي 24 تشرين الثاني/نوفمبر صوّت المؤتمر

---

= وعد كينغ وكراين ولسون ألا يتحدثا علانية عن التقرير إلى أن يُنشر رسميًا. وقد أخفق وزير الخارجية لانسينغ، الذي لم يعد يحظى بالرضا من ولسون في باريس، في تقديم قضية كينغ كراين أمام الكونغرس.

(42) William E. Borah, "The League of Nations," November 19, 1919, in: *The Senate: Classic Speeches 1830-1993,* vol. 3 (Washington, DC: Government Printing Office, 1994), p. 574.

(43) Library of Congress Manuscript Division, Telegrams dated October 28 and November 7, 16, and 26, 1919, Mark L. Bristol Papers, Box 76 "Syria, General, 1919" file.

لصالح التطبيق الفوري لـ"برنامج دمشق" الذي كان قد قُدّم للجنة الأميركية. كان القرار الذي تمّ التصويت عليه يدعو إلى حكومة دستورية تكون مسؤولة بالفعل أمام الشعب، وتكون قادرة على إصدار إعلان باستقلال سوريا الكبرى التي تشمل المناطق الثلاث[44].

حاول الأمير زيد أن يعرقل ذلك. ففي 1 كانون الأول/ ديسمبر أكّد للمؤتمر أن الأمير فيصل يؤيد حكومة دستورية نيابية في المستقبل القريب، ولكن لا بد من الحفاظ على النظام الآن كي يتمكن فيصل من اللعب بأقوى ورقة في مؤتمر الصلح[45].

إلا أن أحزاب الحرب عند الطرفين كانت تريد تقويض الدبلوماسية. فقد أمر الجنرال غورو القوات الفرنسية باحتلال سهل البقاع وبعلبك، بلدة رستم حيدر. وكانت أسرة حيدر قد نظّمت ميليشيا من أعضاء جمعية العربية الفتاة للدفاع [عن البلدة]. وحين أساء الفرنسيون إلى جامع في البقاع اندلعت الاحتجاجات ثانية في دمشق[46].

وخشية من اندلاع ثورةٍ، أمر زيد بفض اجتماع المؤتمر السوري في 4 كانون الأول/ ديسمبر[47]. إلا أن الركابي رفض إرسال الجيش إلى سهل البقاع معتبرًا ذلك حركة غير مجدية يمكن أن ترتدّ وتثير غزوًا فرنسيًا. ولذلك أحاط حشد غاضب ببيت الركابي وهو يهتف: "لا توجد ثقة فيك" و"نأمرك بالاستقالة!" و"لن

---

(44) شهرستان، ص 80–82، 144؛ الحكيم، ص 119؛ جريدة **العاصمة**، 4/ 11/ 1919؛
Allawi, p. 261.

(45) شهرستان، ص 145؛ جريدة **العاصمة**، 4/ 12/ 1919، ص 2.

(46) Tauber, p. 22; Russell, pp. 111-112.
رفض غورو مناشدة كل من كليمنصو وألنبي لتأجيل احتلال البقاع. ينظر مذكرات غورو إلى بتشون في 25 تشرين الثاني/ نوفمبر 1919؛ من غورو إلى كليمنصو، 29 تشرين الثاني/ نوفمبر 1919، من كليمنصو إلى غورو في 30 تشرين الثاني/ نوفمبر 1919؛ ومن غورو إلى كليمنصو في 5 كانون الأول/ ديسمبر 1919، في:
Hokayem (éd.), pp. 750-751, 759-766.

(47) الحكيم، ص 122؛
Russell, p. 114.

نقبل أبدًا بحكم أجنبي!".

استدعى زيد الركابي إلى المقرّ الأميري. جرى نقاش حاد بينهما انتهى باستقالة الركابي. ولإرضاء القوميين عيّن زيد عضو جمعية العربية الفتاة العقيد مصطفى نعمة عوضًا عنه. كما عيّن زيد يوسف العظمة، ممثل الحكومة العربية في بيروت، وزيرًا للحربية عوضًا عن الهاشمي. قامت الحكومة الجديدة فورًا بإصدار قانون إلزامي للخدمة العسكرية لكل الرجال ما بين العشرين والأربعين[48].

نصح الجنرال غورو رئيس الوزراء كليمنصو بتعليق المفاوضات مع فيصل. وبالاستناد إلى خبرته الطويلة مع المسلمين في أفريقيا فقد أكّد غورو أن القوة هي الوسيلة الوحيدة لحلّ المشكلة السورية[49]. وافق روبير دو كيه مساعد غورو على ذلك. كان دو كيه غاضبًا من التقارير التي تقول إن كليمنصو قد عاد للمفاوضات مع فيصل بعد أن غادر هو وغورو باريس. كان دو كيه يخشى من أن يقوم رئيس الوزراء بقلب الخطط التي أقرّها وزير الخارجية بيشون لتطبيق بنود اتفاقية سايكس بيكو التي تأجّلت كثيرًا. كان دو كيه متفقًا مع بيشون على تعزيز التحالف مع المسيحيين في سوريا للحد من تأثير القوميين العرب هناك. وبهذا الشكل يمكن لهما ضمان استمرار سيطرة فرنسا على سواحل المسلمين في عالم المتوسط[50].

## خاتمة

في باريس قام الوفد الأميركي بجمع ملفاته ومغادرة فندق دو غريون، وانتهت

---

(48) الحكيم، ص 123؛ قدري، ص 151-152؛

Tauber, p. 23.

(49) من دو كيه إلى كليمنصو في 13 كانون الأول/ ديسمبر 1919؛ من غورو إلى كليمنصو، 17 و29 كانون الأول/ ديسمبر 1919، في:

Hokayem (éd.), pp. 770-771, 781-782.

عن غورو في غرب أفريقيا، يُنظر:

d’Andurain, pp. 21-131.

(50) Gérard D. Khoury, *Une Tutelle coloniale: Le Mandat français en Syrie et au Liban* (Paris: Belin, 2006), pp. 6-8, 41-52.

مهمته إلى مؤتمر الصلح في 9 كانون الأول/ ديسمبر 1919. وبينما كان الجنرال تاسكر بليس يهمّ بالصعود إلى القطار، الذي يوصل إلى ميناء برست، قبّل وجنة فوش (Foch) مارشال فرنسا في لحظة وداع مُؤثّرة[51].

في غضون ذلك كان كليمنصو في الواقع بدأ المفاوضات مع فيصل. كان يتصرّف بحسب تقاليد الدبلوماسية الفرنسية التي كانت مختلفة عن التكتيكات الغليظة التي كان يفضلها دو كيه. فمنذ القرون الأولى للحكم العثماني أقامت فرنسا صلات مع الغالبية المسلمة، أي إنها لم تحرّض الأقليات ضده. وعلى هذا النحو كان كليمنصو ينوي تأكيد المصالح الفرنسية من خلال سوريا موحدة تحكمها نخب حضرية مسلمة سُنّية. لذلك مضى في هذا الاتجاه لتجنّب حرب وأمر غورو بالعودة من البقاع. ففي يوم رحيل الوفد الأميركي كتب كليمنصو إلى غورو: "نحن لدينا مصالح واضحة في تضخيمه (فيصل) وفي استخدامه"[52].

قام كليمنصو، ضمن الخطوط التي وردت في نقاشهما خلال نيسان/ أبريل 1919، بتقديم عرض إلى فيصل بحدّ أدنى من الانتداب يكاد يتطابق مع روح ولسون عن وصاية الدولة المحايدة: بقاء القوات الفرنسية خارج سوريا الداخلية مقابل سيادة عربية في دولة دستورية. وسيكون للمفوض السامي مكتب في حلب، ولكنه يمكن أن يدخل سوريا بدعوة من حكومة دمشق. وفي المقابل يَعِدُ السوريين بأن يعتمدوا على المستشارين الفرنسيين والمساعدة الفرنسية فقط، وأن يقبلوا لبنان دولةً ذات استقلال ذاتي. وبناء على ذلك وقعا [كليمنصو وفيصل] اتفاقًا سريًا بالأحرف الأولى في 6 كانون الثاني/ يناير 1920[53].

---

(51) Joseph C. Grew, *Turbulent Era: A Diplomatic Record of Forty Years, 1904-1945,* vol. 1 (Freeport, NY: 1952), pp. 401-403.

(52) من كليمنصو إلى غورو، 9 كانون الأول/ديسمبر 1919، في: جورج أديب كرم (إعداد)، **مراسلات فيصل-غورو** (بيروت: دائرة منشورات الجامعة اللبنانية، 2009)، ص 50-51؛
Khoury, *Tutelle coloniale*, pp. 29-32; Gérard D. Khoury, *La France et l'Orient arabe: Naissance du Liban moderne, 1914-1920* (Paris: Albin Michel, 2009), pp. ix, 59-60, 286-288, 294.

حول المفاوضات ينظر:

Hokayem (éd.), November 27-28, pp. 752-759.

(53) لدينا وصف مفصّل للمفاوضات في القسم الخامس من الكتاب. ينظر نص الاتفاق في: كرم، ص 53-61.

إلا أنّ القوميين في دمشق الذين اتّحدوا الآن في حكومة واحدة، كانوا في مزاج لا يتقبل تنازلًا كهذا. وما إن وصل الخبر إلى الصحف حتى اتّهموا فيصل بالخيانة. ومع أن فيصل كان قد دعا إلى تأسيس المؤتمر السوري، إلا أنه لم يعد بوضوح أداة لرغبته السياسية[54].

كان ردّ فيصل يتمثل في نضج سياسي جديد. ففي حزيران/ يونيو الماضي كان فيصل يردّ على المعارضة بإغلاق الصحف وتوبيخ أعضاء المؤتمر. أما الآن فقد نصح كليمنصو بحكمة في أنه سيكمل الاتفاق بعد أن يزور دمشق ويحشد التأييد له.

كان فيصل يريد أيضًا أن يضع والده في صورة الوقائع السياسية الجديدة. كتب إلى والده الشريف حسين: "كانت إحساساتي في ما يختص بالسياسة العمومية بعد مبارحة اللجنة الأميركية السورية قلقة جدًا". كان فيصل كوالده يدافع عن البريطانيين طيلة الصيف، ولكن "علمتُ من مسير تلك الأحوال إننا ارتكبنا خطأ، ولو كنت أعلم يقينًا بأن الأمة معذورة للتصويت (في المؤتمر) بهذه الصورة، بالنسبة إلى ما حدث من مأموري الحكومة البريطانية في فلسطين والعراق خاصة وبالنسبة إلى الحالة الجارية في مصر".

عَلِمَ فيصل أن والده يدعم الآن حزب الحرب في دمشق. كان يشارك والده في مشاعره. اعترف له: "قد حصل الشرّ ودخل في قلبي الريب"، "وكنت تارة ألوم وطورًا أغضب على الفرنسيين وأقول إنهم الأعداء"، وبعد ذلك جاء دور "الحكومة الأميركية التي خدعتنا وضلّلتنا... وإن لا فائدة منها".

إلا أنه ألح على الشريف حسين بأن الحرب سياسة خاطئة، وأكّد له أن الدبلوماسية هي خيار أفضل من الحرب مع فرنسا: "هل لا سمح الله لو غُلبنا فماذا تكون حالتنا؟ دخول الجيوش الفرنسية ظافرة إلى المدن الأربع بعد ضياع ما هو موجود من الشبّان وصرفنا كل ما بقي من روح الناشئة"[55].

---

(54) مع استمرار الاحتجاجات بدأ زيد يخشى على سلامته الشخصية، ولذلك طلب من زعماء الدروز في جنوب دمشق أن يرسلوا له فرسانًا لحمايته:

Tauber, p. 23.

(55) رسالة من فيصل إلى الحسين، تشرين الثاني/ نوفمبر 1919، في: موسى، رسالة رقم 138، ص 255-264.

مع عودته إلى دمشق في منتصف كانون الثاني/يناير 1920 واجه فيصل زلزالًا سياسيًا حول اتفاقه المثير للجدل مع كليمنصو. ولكن في قلب الشتاء القارس انتهت مفاوضاته مع حزب رضا، الاتحاد السوري، وحزب القصّاب، اللجنة الوطنية العليا، وزعماء المؤتمر السوري، إلى إعلان رسمي باستقلال مملكة دستورية مستقلة، تأسّست الآن لتتحدى الحلفاء الذين يُفترض أنهم خاضوا الحرب لأجل الديمقراطية.

# الفصل التاسع

## ثورة في الكي دورسيه

كتب روبير دو كيه إلى زوجته في 12 كانون الثاني/ يناير 1920: "أنا الآن في ميناء الجزائر، إنها مدينة عظيمة. وحتى لو حصلنا على كُلّ ما نريد في سوريا لا يمكن لكِ أو لي أن نرى أبدًا بيروت في مثل هذه الحالة"[1].

سارع دو كيه للسفر إلى باريس بناء على أوامر من الجنرال هنري غورو، المفوض السامي لسوريا وكيليكيا. سمع الرجلان شائعات عن أن مرشد دو كيه في وزارة الخارجية فيليب برتلو (Philippe Berthelot) يقوّض مطالب فرنسا إزاء سوريا في المفاوضات مع الأمير فيصل. لذلك قفز دو كيه إلى أول سفينة وجدها، بوينس آيرس، التي كانت تبحر إلى فرنسا من طريق الجزائر في شمال أفريقيا، ذلك الميناء الذي كانت احتلته فرنسا قبل تسعين سنة تقريبًا. وصل دو كيه إلى مكاتب الوزارة في الكي دورسيه صباح الأربعاء 14 كانون الثاني/ يناير. كان الوقت قد فات لأنّ فيصل كان قد غادر باريس.

اعترف دو كيه بالقول: "كدت أن أبكي من الغضب بعد أن رأيت أن الاتفاقية قد وُقّعت"[2]. حتى تلك اللحظة كان دو كيه وغورو متأكدين من أن فرنسا ستأخذ سوريا. فقد أجبرت الحملة الصحفية التي شنّها دو كيه بريطانيا على سحب

(1) Gérard D. Khoury, *Une Tutelle coloniale: Le Mandat français en Syrie et au Liban* (Paris: Belin, 2006), p. 181.

(2) Ibid., p. 182.

قواتها [من سوريا]، كما وهَدَأ "وباءُ الولسونية" بعد الجلطة الدماغية التي أصابت الرئيس الأميركي[3]. وكان كليمنصو قد عيّن الجنرال غورو مفوضًا ساميًا لإرضاء الكاثوليك المحافظين الذين فازوا في الانتخابات البرلمانية. ولذلك بدأ دو كيه وغورو في وضع الخطط لنسف الحكومة العربية. وكان غورو قبل مغادرته إلى بيروت في تشرين الثاني/ نوفمبر قد ألقى محاضرة على الأمير فيصل خلال غداء معه حول كيفية استعادة النظام العسكري في سوريا[4].

ولكن خلال أسبوعين، بعد أن انتهت احتفالات الترحيب بغورو، بدأت تصل إلى بيروت برقيات مقلقة. فقد حملت هذه البرقيات أخبارًا عن مفاوضات برتلو مع الأمير وعن أنّ كليمنصو قام بزيارة ودية إلى فيصل في دارته[5]. والآن، بعد أن قرأ دو كيه نصّ الاتفاقية [مع فيصل] في 14 كانون الثاني/ يناير، خلُص إلى أن "النمر" قد انجذب تمامًا أمام "إغراء فيصل". فقد كانت الاتفاقية تلغي كل الخطط التي وضعها هو وغورو بوعدها باستقلال مفترض لسوريا الموحدة تحت حكم نظام دستوري[6].

---

(3) غراهام إلى غورزون، 27 تموز/ يوليو 1919، في:
E. L. Woodward & R. Butler (eds.), *Documents on British Foreign Policy 1919-1939*, Series 1, vol. 4 (London: Her Majesty's Stationery Office, 1952), no. 192, p. 320; Gérard D. Khoury, *La France et l'Orient arabe: Naissance du Liban moderne, 1914-1920* (Paris: Albin Michel, 2009), p. 266.

(4) Christopher M. Andrew & A. S. Kanya-Forstner, *The Climax of French Imperial Expansion 1914-1924* (Stanford: Stanford University Press, 1981), pp. 90, 100, 159, 166-171, 197, 201-202; de Caix to Gouraud, October 6, 1919, in PAAP 399, Carton 130, MAE-Courneuve;
رستم حيدر، **مذكرات رستم حيدر**، تحقيق نجدة فتحي صفوة (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1988)، ص 486-489؛
Graham to Campbell, November 9, 1919, FO 800/153/240-41.

(5) من دو كيه إلى والده، 2 كانون الأول/ ديسمبر 1919، في:
Khoury, *Tutelle coloniale*, pp. 179-180; Jukka Nevakivi, *Britain, France, and the Arab Middle East* (London: Athlone Press, 1969), p. 229; Andrew & Kanya-Forstner, p. 206.

(6) MAE-Courneuve, Robert de Caix, undated handwritten memoir, "Mission au Levant," PAAP 353 de Caix/Vol. 4/Microfilm P 11204, 16;
بشأن المفاوضات، ينظر:
Nevakivi, pp. 204-229; Khoury, *La France et l'Orient arabe*, pp. 253-293; Ali A. Allawi, *Faisal I of Iraq* (New Haven: Yale University Press, 2014), pp. 254-257.
عرف البريطانيون بالاتفاق في 7 كانون الثاني/ يناير من جريدة **لو تان** واستلموا النصّ الرسمي في 26 كانون الثاني/ يناير. ينظر:
Woodward & Butler (eds.), no. 4, pp. 411, 412, 416, 421, 611-616, 624-627.

تملك الغضب دو كيه، فأخذ يتآمر للانتقام. فقد أخبر زوجته "كنت مضطرًا في اجتماعاتي مع كبار الشخصيات في الحكومة إلى نشر الفكرة بأن الوقائع السورية تتطلب أن نُبقي على صلاتنا مع فيصل في الحد الأدنى، وإننا تراجعنا إلى الوراء مع ما كنا قد بدأناه"(7).

ومع حشده الشبكات الاستعمارية التي كان رعاها طيلة عشرين سنة، سار دو كيه بمفرده بعكس الدبلوماسية الفرنسية في الشرق الأوسط. فقد كان معيار السياسة الفرنسية خلال أربعة قرون يقوم على دعم الغالبية المسلمة في الدولة العثمانية، وهو ما احترمه كليمنصو أيضًا. أما سياسة دو كيه في سوريا فقد كانت تقوم على نسف النفوذ السنّي بواسطة ضمان الحكم الذاتي والامتيازات للأقليات. كما أنه كان يهدف إلى القضاء على الرغبة الشعبية السورية التي عبّرت عن نفسها في تقرير كينغ-كراين، وتجاهل وعود بريطانيا للعرب، وقرصنة البند 22 من ميثاق عصبة الأمم كي يصبح في صالح أهداف فرنسا الاستعمارية(8). وفي هذه الحالة لن يكون الانتداب الفرنسي بناءً على شروط ولسون، أي وصاية محدودة، بل فرض الحكم الفرنسي المباشر بالقوة.

## ثورة في باريس

جاء الحظ لصالح دو كيه بعد ثلاثة أيام من وصوله إلى باريس. ففي 17 كانون الثاني/يناير انعقد تجمع برلماني لاستطلاع الرأي فيمن يخلف رئيس الجمهورية ريمون بوانكاريه، الذي انتهت ولايته. أعلن جورج كليمنصو عن ترشّحه، ولكنه بدافع من كرامته رفض أن يقوم بحملة علنية. ولذلك لم يحضر من أنصاره سوى القليل في التجمع الانتخابي الذي عُقد في قصر لوكسمبورغ، مقر مجلس الشيوخ الفرنسي. كان منافس كليمنصو شخصًا لا يتمتع بوزن كبير

---

(7) Khoury, *Tutelle coloniale*, p. 183.

(8) Ibid., pp. 55, 61-62, 70.

أنا مدينة للبحث الرائد حول روبرت دو كيه للمرحوم جيرار خوري، الذي يكشف كتاباه اللذان استشهدت بهما هنا عن اتّساع تأثير هذا الشخص لوحده في السياسة الفرنسية.

اسمه بول دوشانيل (Paul Deschanel)، الرئيس السابق لغرفة النواب، الغرفة الأدنى للبرلمان الفرنسي[9].

لم يعرف كليمنصو أن أعداءه يقومون بحملة ضدّه. على رأس هؤلاء كان الرئيس بوانكاريه والمارشال فوش قائد قوات التحالف. كان هذان مستاءين من قرار كليمنصو لوقف الحرب في 11 تشرين الثاني/ نوفمبر 1918 عوضًا عن الاستمرار في الحرب لاحتلال ألمانيا، وادّعيا أنّ "أبو النصر" قد خسر السلام. كانت حملتهما ضده على أسس دينية أيضًا. كان دوشانيل كاثوليكيًا ومحبّبًا إلى العديد من أعضاء الجمعية الوطنية الذين انتخبوه حديثًا، في حين أن كليمنصو كان ملحدًا معروفًا.

في 17 كانون الثاني/ يناير 1920 خسر النمر الثمانيني آخر معركة له. فقد حصل دوشانيل في التصويت على 408 أصوات بينما حصل كليمنصو على 389 صوتًا، ليسود الصمت بعدها في قاعة قصر لوكسمبورغ[10]. في اليوم التالي اجتمعت الجمعية الوطنية رسميًا لانتخاب دوشانيل رئيسًا جديدًا لفرنسا.

مع شعوره بالصدمة والإذلال، غادر الثمانيني كليمنصو باريس بالسيارة إلى قرية جيفرني (Giverny) التي تقع في شمال غرب العاصمة بالنورماندي. وكان كليمنصو بعد أن أُجري التصويت رسميًا ذهب إلى الغداء في المطعم الأصفر المعروف لصديقه العزيز كلود مونيه (Claude Monet). وهنا نصح الرسام الكبير السياسي الكبير قائلًا: "إنها مسألة كرامة لك، كمنقذ البلاد لم يكن في وسعك ويجب عليك أن لا تستسلم"[11].

تحدث الاثنان عن آخر إنجاز فني لمونيه، وهو سلسلة من الجداريات الانطباعية عن زنابق الماء في البركة، وكان مونيه قد عرض أن يتبرّع بها للدولة

(9) Gregor Dallas, *At the Heart of a Tiger: Clemenceau and His World 1841-1929* (New York: Carroll and Graf, 1993), p. 584.

(10) Duroselle, *Clemenceau*, pp. 843-856; Hampden Jackson, *Clemenceau and the Third Republic* (London: Hodder and Stoughton, 1948), pp. 221-222; Dallas, pp. 465, 584.

(11) Duroselle, *Clemenceau*, p. 857.

الفرنسية على شرف انتصارها في الحرب، وقبلها كليمنصو بامتنان. ومع أنه معروف عامة بلقب "النمر" إلا أن كليمنصو كان لديه شغف بالفنون. وبعد سنوات من جمع الأعمال الفنية رأى الآن مغزىً كونيًّا في عمل مونيه. ففي غضب الرسام وفي الانسجام الممزوج لضربات الفرشاة، رأى كليمنصو جوهر الصراع الأبدي للحياة: "الحركة في ساحة المعركة هي الحياة ذاتها، منقولة بشكل يشعّ ضياء"[12]. وقد خصّص العقد اللاحق لوضع لوحات مونيه المعروفة عن زنابق الماء في المتحف المخصص له في حديقة التويلري بالقرب من اللوفر.

جاء سقوط كليمنصو بعد يوم من انعقاد مجلس عصبة الأمم لأول مرة. كانت العصبة أصبحت موجودة رسميًا في 10 كانون الثاني/ يناير. ولكن اجتماع مجلس العصبة في 16 كانون الثاني/ يناير بقاعة الساعة في الكي دورسيه، كان الوجه الآخر للمناورات والمؤامرات البرلمانية التي شغلت العاصمة الفرنسية.

في غضون ذلك، لم يفوّت دو كيه لقاء كُلّ من دوشانيل وبوانكاريه. كان كلاهما يشاركه في انزعاجه حول مكاسب بريطانيا في الشرق الأوسط على حساب فرنسا. وهكذا في 22 كانون الثاني/ يناير تباهى دو كيه أمام غورو بأنه أثار "ثورة قصر في الكي دورسيه"[13].

بالمقارنة مع كليمنصو الجمهوري البرجوازي كان دو كيه دو سانت آيمور (Saint Aymour) رجعيًا أرستقراطيًا. كان يمثل شخصية مزخرفة ورشيقة أمام جسم "النمر" البدين والثقيل. ومع أنه كان يبدو كمصرفي مع القبّة العالية والنظارة المثبّتة على الأنف واللحية الصغيرة، إلا أنه سطّر مجد فرنسا بافتخار وشغف. كان يجمع الاثنين أمر واحد: الاتجاهات السياسية لكل واحد تشكّلت كردّة فعل على حصار الألمان لباريس في عام 1871. ففي حين رأى كليمنصو الخلاص في تقوية المجتمع الفرنسي، كان دو كيه يسعى إلى توسيع إمبراطورية فرنسا وراء البحار.

---

(12) Georges Clemenceau, *Claude Monet: Les Nymphéas,* 2nd ed. (Paris: Bartillat, 2010), p. 133.

(13) MAE-Courneuve, de Caix to Gouraud, January 22, 1920, in 399 PAAP, Gouraud Papers, Carton 142: Correspondance avec Robert de Caix.

ونظرًا إلى كونه محرّر الجريدة المؤثرة المؤيدة للاستعمار **جورنال دي ديبا** (Journal des Débats) فقد كان دو كيه يعمل في قلب اللوبي الاستعماري، الذي أصبح في عام 1914 يضم 200 عضو في مجلس النواب. كان التركيب الواسع والسلس للجمهورية الفرنسية الثالثة يسمح لأي لوبي بالوصول إلى المسؤولين الكبار وإلى ناشري الصحف، الذين أكّدوا للرأي العام الفرنسي أن مهمة التمدين الاستعماري هي مشروع إيثاري ومشرّف. وحتى قبل أن يتم التوقيع على الهدنة [التي أنهت الحرب العظمى] كان هذا اللوبي قد رسم خريطة إمبراطورية فرنسا بعد الحرب ضمّت الممتلكات الألمانية والعثمانية في أفريقيا وآسيا[14].

كتب دو كيه أول مقالة له عن سوريا في عام 1916 دلّل فيها على أن فرنسا يجب أن تنتزع سوريا من بريطانيا: "إذا لم نفعل ذلك فستصبح مصرية-إنكليزية". ومذكرًا بما فعلت بريطانيا بفرنسا كي تحتل مصر أضاف: "لا ننصح بتجربة عام 1882". ولكن بعد سنوات، اعترف دو كيه بأنه لم يكن يعرف شيئًا عن سوريا عندما كتب مقالته الأولى عنها[15].

لقد أصبح الآن في مركز مناسب لحشد رئيس الوزراء الجديد، ألكسندر ميلران، للانقلاب على اتفاق كليمنصو [مع فيصل]. كان ميلران عضوًا في اللوبي الاستعماري، وعمل جنبًا إلى جنب مع الجنرال غورو ليؤسس السيطرة الفرنسية على الألزاس واللورين بعد استعادتهما.

وتحت تأثير دو كيه، قام ميلران باستبدال برتلو بشخص لا يعرف الكثير عن سوريا: موريس باليولوغ (Maurice Paléologue). اعترف دو كيه بالقول:

---

(14) L. Abrams & D. J. Miller, "Who Were the French Colonialists? A Reassessment of the *Parti Colonial,* 1890-1914," *Historical Journal*, vol. 19, no. 3 (1976), pp. 685-725; Martin Thomas, *The French Empire between the Wars* (Manchester: Manchester University Press, 2005), pp. 30-35, 38;

المعلومات البيوغرافية مستقاة من:

Khoury, *Tutelle coloniale*, pp. 6-9.

(15) MAE-Courneuve, "Mission au Levant," memoir dictated by Robert de Caix, likely in the 1960s, in PAAP 353, de Caix papers, microfilm P 11204, 288; Khoury, *Tutelle coloniale*, p. 16; Andrew & Kanya-Forstner, p. 207.

"لقد تأثرت بذلك" لأن برتلو كان معلّمه في الكي دورسيه. ولكنه لم يتردد في استغلال الاستياء الواسع من برتلو باعتباره "القوة التي تقف خلف العرش" في السياسة الخارجية. وقد شهّر دو كيه علانية ببرتلو في الصحافة باعتباره خائنًا تحت تأثير "إغواء" فيصل، وطرح نفسه باعتباره منقذًا للشرف الفرنسي[16].

قبل عودته إلى بيروت في مطلع شباط/ فبراير وزّع دو كيه مذكرة في الكي دورسيه سرعان ما تحولت إلى مانيفستو ثوري حول سياسة سوريا. فقد دلّل على أن فيصل لا يمثل السوريين وإنما هو "شريفي"، أي حفيد الرسول المنضوي في العصبية الدينية لوالده في مكة. وأنه، كما يدعي دو كيه، يسعى إلى تأسيس خلافة جديدة ليحكم العرب في سوريا والعراق. والأسوأ أنهم ثيوقراطيون مسلمون يهدّدون عملاء فرنسا المسيحيين، و"يضايقون بشكل منظم المؤيدين لبلادنا". وقد انحاز دو كيه في ادعائه إلى حدّ اتهام فيصل بأنه متحالف مع القوميين الأتراك، ورثة الأتراك الجدد المتعصبين. وباختصار فقد دلّل دو كيه على أن الأمير فيصل لا يمكن الوثوق به كي يتنازل ويقبل بانتداب فرنسي. وفي الختام يصل دو كيه إلى أن فرنسا يجب أن تعقد اتفاقًا مع البريطانيين تتخلى لهم بموجبه عن الموصل وفلسطين مقابل السيطرة على كل سوريا لقطع الطريق على تأسيس دولة عربية قوية. وفي إشارة خاصة إلى أفريقيا الشمالية الفرنسية حذّر دو كيه بالقول: "إن وجود سوريا موحدة تحت حكم الشريفيين، بحد ذاته، يشكل لنا عقبة وخطرًا... إنها ستعزّز ذلك النوع من الحركات القومية التي ألهمتها تصريحات ولسون في كل أرجاء العالم".

نصح دو كيه زملاءه الدبلوماسيين، لخدمة أفضل للمصالح الفرنسية، أن يقسّموا سوريا إلى كانتونات وأن يضمنوا الحكم الذاتي لغير المسلمين والأعيان السوريين الذين يرفضون أن يحكمهم بدو من الحجاز. كذلك على فرنسا أن تلغي من اتفاقية 6 كانون الثاني/ يناير البند المتعلق ببرلمان سوري، لأن دو كيه يعتبره

---

(16) MAE-Courneuve, "Philippe Berthelot et l'émir," clip from unknown paper that mentions the February 17, 1920, article in *Bonsoir*, in PAAP 399 Carton 135.

من دون معنى في مجتمع "تنقصه التربية السياسية أو المدنية"، كما أن المستشارين الفرنسيين يجب ألا يكونوا تحت السيطرة السورية[17].

حين وصل خبر "ثورة دو كيه" إلى مكتب الوفد العربي في جادة دو بوا دي بولوني تحقّقت أسوأ توقّعات رستم حيدر. كان حيدر قد تقبّل على مضض اتفاقية [فيصل-كليمنصو] 6 كانون الثاني/ يناير، وكتب في مذكراته: "لا شك في أن كليمنصو يودّ إنهاء المسألة على مبادئ جديدة. ولو كان الأمر بينه وبين الأمير لتمّ منذ زمن، ولكن في أيدي المستعمرين من أمثال برتلو وغو وأعمال المستعمرين الصليبيين أمثال غورو ودو كيه عثرة كبيرة في سير السياسة"[18].

رأى حيدر بوضوح أن قواعد اللعبة بعد الحرب تغيّرت. وهكذا فقد دوّن في مذكراته: "إن أميركا غسلت يدها من الشرق وإنكلترا رفضت كل مداخلة في سورية بصورة صريحة، والمؤتمر أصبح بيد إنكلترا وفرنسا".

في غضون ذلك حضر حيدر جلسة مجلس عصبة الأمم في 16 كانون الثاني/ يناير. كان قد فقَدَ كُلّ إيمانه في النظام العالمي الليبرالي لولسون: "قال الرئيس (ليون) بورجوا [عن عصبة الأمم] إن أساسها العدل والشرف. وما هي حدود الشرف؟ أساسها الدسائس والكذب والقوة والقوة". وكما فهم حيدر، لم تعد الانتدابات "أمانة حضارية مقدسة". بدلًا من ذلك، أصبحت أداة لطموحات أوروبا الاستعمارية اللامتناهية في الشرق.

تعاطف حيدر مع الممثلين المسلمين من الجزائر وتونس والهند وتركيا. كان هؤلاء يرون الدبلوماسيين الأوروبيين مثل الصليبيين الذين لا يحترمون حقوق المسلمين. وهكذا كتب يقول: "إننا نتوقع حربًا ثانية، الألمان والروس سينقذون البشرية الآسيوية". وفي يوم استقالة كليمنصو توقع حيدر أن سنة 1920 ستكون: "سنة بُنيت على أنين الأمم وصراخها"[19].

---

(17) Robert de Caix, "Note sur la politique de l'accord avec Faysal," in: Khoury, *Tutelle coloniale*, pp. 187-206.

(18) حيدر، ص 518-519، 528، 537.

(19) حيدر، ص 534، 541، 551-553، 561؛
Leonard V. Smith, *Sovereignty at the Paris Peace Conference of 1919* (New York: Oxford University Press, 2018), pp. 222-224.

عاد دو كيه إلى بيروت في مطلع شباط/ فبراير. في اليوم ذاته أرسل ميلران برقية إلى الجنرال غورو تؤشّر إلى تغيّر وشيك في السياسة. أمر المفوض السامي أن يتشدّد بحزم في بنود اتفاقية 6 كانون الثاني/ يناير. فإذا فشل السوريون في الحفاظ على وعودهم بإقرار النظام واحترام حدود المنطقة الفرنسية يمكن للاتفاقية أن تُلغى، كما كان كليمنصو قد حذّر. وقد حذّر ميلران بدوره: "على فيصل أن يلزم السوريين باحترام بنود الاتفاقية... وإذا لم يستطع فنحن مفوّضون باتخاذ الإجراءات الضرورية للحفاظ على النظام وحماية السكان وتأمين قواتنا"[20].

وكان الجنرال غورو، باعتباره المفوض السامي لسوريا وكيليكيا، قد طرح نفسه منذ البداية كحامٍ للمسيحيين في كلا الإقليمين. لم يخفِ غورو إيمانه الكاثوليكي في حفل الاستقبال الذي أقيم له في 21 تشرين الثاني/ نوفمبر وقاطعه المسلمون، حين أشاد بالقوات الفرنسية كأحفاد الصليبيين[21]. كان مستشاروه الأقرب إليه الأب كلاوديوس شانتور (Claudius Chanteur) من الجزويتيين البارزين في كلية القديس يوسف الفرنسية في بيروت، وبول هوفلن (Paul Huvelin) من اللوبي الاستعماري في ليون، والمونسنيور الياس الحويّك بطريرك الكنيسة المارونية.

اعتبر الجنرال غورو ودائرته الضيقة النزاعَ حول سهل البقاع أكثر من نزاع بسيط بين الحكومتين الفرنسية والسورية، بل حرب طائفية. فقد صوّرت التقارير الصدامات باعتبارها تمثل عنف المسلمين ضد المسيحيين المتواصل منذ قرن، وحتى تنبأت بمجزرة إذا لم تقم فرنسا باحتلال المنطقة الداخلية[22]. وعلى هذا

(20) من ميلران إلى بيروت، إسطنبول، لندن وروما، 10 شباط/ فبراير 1920، في:
Antoine Hokayem (éd.), *Documents diplomatiques français relatifs à l'histoire du Liban et de la Syrie à l'époque du mandat: 1914-1945*, vol. 1 (Paris: l'Harmattan, 2003), pp. 73-75.

الاقتباس في الصفحة 74.

(21) MAE-Courneuve, "Discourse prononcé par le Général Gouraud . . . le 21 Novembre 1919," in PAAP 399 Carton 151; Nevakivi, p. 213.

(22) MAE-Courneuve, Père Chanteur, "Note sur la Syro-Palestine et la Turquie," August 1919, enclosed with a note from Père Jalabert on October 16, 1919, and notes from a conversation with M. = Huvelin, dated December 1919, in PAAP 399 Carton 130.

النحو لوّح دو كيه بشبح المجازر التركية ضد المسيحيين في سوريا، وادّعى أن الأمير فيصل استلهم حكمه من ثورة الأتراك الجدد: "اعتنق مثلهم القومية كقناع للجامعة الإسلامية"(23).

حدّدت الأزمة بسرعة خطة الحكومة الجديدة لاستغلال التوترات الطائفية وتبرير ضرورة الحكم الفرنسي لحماية المسيحيين. ولكن ما حدث أن العنف الجماهيري اندلع في كيليكيا وليس في سوريا. كانت كيليكيا الواقعة في الأناضول، في جوار الحدود السورية بالضبط، موطن الأرمن الذي تشاركوه طويلًا مع المسلمين الأتراك. وبعد شهور من توقيع الهدنة عاد أكثر من 200 ألف أرمني ممن بقوا على قيد الحياة إلى قراهم وبلداتهم، ومنهم من جاء من حلب. وحين جاء الجنرال غورو في جولة إلى كيليكيا في كانون الأول/ ديسمبر 1919 خرج الأرمن للترحيب به بالهتافات. كانت فرنسا قد مدّت سيطرتها على المنطقة بعد انسحاب بريطانيا منها. كان عدد القوات الفرنسية قليلًا، ولذلك أخذت في تجنيد الأرمن في كتائب دفاعية. ولكن في كانون الثاني/ يناير 1920 أخذ الأرمن يطالبون بمزيد من الحماية العسكرية. غضب القوميون الأتراك لتسليح الأرمن وبدأوا في شن الهجمات على البلدات المختلطة [بالسكان الأرمن والأتراك]، وهو ما دفع غورو إلى طلب تعزيزات من باريس. وقد حذّر ميلران من "أن الأرمن يتحوّلون ضدنا"، ومن أن المنشورات القومية التركية تَعِدُ بنشر الجهاد إلى "كل سوريا المسلمة"(24).

في 21 كانون الثاني/ يناير 1920، أي بعد أيام من بدء أعمال عصبة الأمم، قام السكان الأتراك في مرعش بتمرد ضد جيرانهم الأرمن والثكنة الفرنسية. كانت مرعش، التي تبعد 300 ميل إلى الشمال من بيروت، جزءًا من ولاية حلب

---

= ينظر أيضًا:

MAE-Nantes, Paul Huvelin, "La Syrie au Lendemain de la Guerre," pp. 27-29, Carton 2357.

(23) MAE-Courneuve, "Note de R. de Caix sur la politique de l’accord avec Feysal," January 26, 1920, 51, in Série Levant 1914-1918 Syrie-Liban, vol. 22, microfilm P1311.

(24) من غورو إلى ميلران، 25 كانون الثاني/يناير 1920، ومن غورو إلى وزارة الخارجية، 2 و6 شباط/ فبراير 1920، في:

Hokayem (éd.), vol. II, pp. 34-37, 62-64, 66-67.

العثمانية. وقد عاد إليها [بعد الهدنة] أكثر من عشرين ألفًا من الأرمن[25]. ومع مساعدة من القوات القومية لمصطفى كمال، قام المتمردون بإحراق الكنائس. وقد صرّح رئيس الشرطة التركية أنه "بفضل الله وروح الرسول لن تستسلم بلادنا". وبحسب شهود عيان فقد تحدثت التقارير عن قتل أكثر من ثلاثة آلاف مسيحي في الأيام القليلة اللاحقة"[26].

استمرّ القتال في مرعش حتى 10 شباط/ فبراير، حين غادرت القوات الفرنسية فجأة وتركت الأرمن لمصيرهم. أفاد شهود عيان عن رؤيتهم للجثث ملقاة في الشوارع ومغطاة بالثلوج. وقد مات المئات الذين هربوا من البلدة نتيجة للعاصفة الثلجية التي غطّت دمشق في ذلك الأسبوع[27]. لامَ الأرمنُ الجنرال غورو، ولكن التقارير اللاحقة أظهرت أن ضابطًا محليًا أمر الفرنسيين بالانسحاب. فقد كان المخفر الأمامي في مرعش يفتقد إلى جهاز إرسال، بسبب تخفيضات الميزانية، كي يتواصل مع الجنرال غورو[28].

تشير التقديرات إلى موت سبعة آلاف من الأرمن، مع أن الشائعات التي انتشرت في البداية تحدثت عن عشرين ألفًا. أعادت الأخبار إلى الأذهان شبح الإبادة بالنسبة إلى المسيحيين في الشرق الأوسط. أما بالنسبة إلى حكومة ميلران فقد كانت "قضية مرعش" دَرْبَكَة عسكرية وكارثة دبلوماسية. كان الفرنسيون قد ألحوا على انسحاب القوات البريطانية من كيليكيا لأن هذا الإقليم كان من حصة فرنسا بحسب اتفاقية سايكس بيكو. ولكن مثل هذه المجازر لم تحدث خلال وجود القوات البريطانية. عانى الفرنسيون جزئيًا لأن حكمهم تزامن مع نهوض الحركة القومية التركية، ولكن سياستهم أيضًا أثارت غضب الأتراك. فقد عوّضوا

---

(25) Vahram Shemmassian, "The Repatriation of Armenian Refugees from the Arab Middle East, 1918-1920," in: Richard G. Hovannisian & Simon Payaslian (eds.), *Armenian Cilicia* (Costa Mesa, CA: Mazda Publishers, 2008), pp. 419-456; Susan P. Pattie, *The Armenian Legionnaires* (New York: I. B. Tauris, 2018), p. 231.

(26) Stanley E. Kerr, *The Lions of Marash* (Albany: State University of New York Press, 1973), pp. 95-99; Richard G. Hovannisian, "The Postwar Contest for Cilicia and the 'Marash Affair'," in: Hovannisian & Payaslian (eds.), pp. 495-518.

(27) Kerr, pp. 172, 181, 193-196; Hovannisian, p. 511.

(28) Pattie, pp. 198-199.

نقص القوات لديهم بتجنيد الأرمن في ميليشيا محلية. كما أن المسلمين الأتراك، الذين كانوا يخشون انتقام الأرمن لما لحق بهم من إبادة، تأثروا بالدعاية الدينية التي كانت تدعو إلى الجهاد للدفاع عن الإسلام.

وبحسب ما جاء في بيان لمصطفى كمال: "إن العلم الفرنسي يخفق في كل مكان من الأناضول. أليس هذا من العار عليكم؟ أيها الأخوة، حان الآن الوقت للوطنية والحركة. إن الحكومة العربية ذاتها تعتمد علينا. إن دعواتهم وجهودهم تجعلني أشعر بالفخر... يجب أن تكونوا مستعدين في أي وقت للجهاد". وقد جاء في منشور آخر أن "الفرنسيين هم جراثيم الإنسانية" الذين "يعذبون ويدمرون مسلمينا الصغار الأعزاء"[29].

ولكن رستم حيدر في باريس كان منزعجًا من أن القوميين الأتراك يهدّدون التسامح، الذي وعد به فيصل في سوريا. وقد التحق منشقون سوريون، وخاصة من حلب المؤيدة للعثمانيين، بحركة مصطفى كمال باعتبارها قضية مشتركة معادية للاستعمار. إلا أن هذا الحشد للدفاع عن الإسلام سيجعل المسيحيين السوريين يبتعدون عن "برنامج دمشق"[30]. وبذلك أصبحت الطائفية تهدّد الديمقراطية السورية كما كان الأمر مع الكنيسة المارونية.

## إعادة بعث الأحلام بدولة مسيحية في لبنان

كان البطريرك الماروني الياس الحويّك مؤيدًا قويًا لانتداب فرنسي على لبنان مستقل. عاش خلال مجاعة الحرب التي قتلت أكثر من 200 ألف لبناني، معظمهم من المسيحيين. كان الحويّك كالفرنسيين يلوم سياسة الحكومة العثمانية ضد المسيحيين، التي توثقت في آلاف اللاجئين الأرمن في لبنان.

(29) من غورو إلى ميلران، 25 شباط/ فبراير 1920؛ من مصطفى كمال إلى سكان عنتاب، في أواخر كانون الثاني/ يناير وأوائل شباط/ فبراير 1920، في:
Hokayem (éd.), vol. II, pp. 34-37, 60-61.

(30) Nadine Méouchy, "Le Mouvement des '*Isabat* en Syrie du nord à travers le témoignage du Chaykh Youssef Saadoun (1919-1921)," in: Nadine Méouchy & Peter Sluglett (eds.), *The British and French Mandates in Comparative Perspectives* (Leiden: Brill, 2004), pp. 651-671.

حُرم الفلاحون من الطعام بسبب الشتاء القارس وغزو الجراد واحتكار الجيش العثماني الغذاء لحاجاته. كما أن حصار الحلفاء لموانئ المتوسط منع وصول مساعدات الإغاثة.

ومع أن الفرنسيين شاركوا في الحصار، إلا أنهم وصلوا في نهاية عام 1918 لينقذوا المسيحيين. احتضن الحويّك الفرنسيين أداةً لتعزيز سيطرة الكنيسة المارونية على جبل لبنان. وكانت الكنيسة شجبت الحكومة العربية في دمشق، كما أنها قبل ذلك رفضت المشاركة في البرلمان العثماني خلال الثورة الدستورية (1908-1912). اكتسبت الكنيسة نفوذًا في لبنان خلال الحرب، وسعت الآن إلى تهميش المسيحيين العلمانيين الذين حكموا جبل لبنان قبل الحرب من خلال المجلس الإداري المختلط لجبل لبنان. كان المسيحييون العاديون الذين عانوا صدمة لا توصف خلال الحرب قد أصبحوا الآن يسعون إلى الأمان في الكنيسة المارونية وفي كيان منفصل عن المسلمين. وحين جالت لجنة كينغ-كراين في جبل لبنان والساحل صوّت الموارنة بالإجمال لصالح انتداب فرنسي. أيدت غالبية المسيحيين الآخرين الموارنة في ذلك، مع أن معظم الأرثوذكس في المنطقة الغربية أيّدوا حكومة دمشق[31].

ولكن الحويّك بدأ الآن يشكّ في التزام فرنسا بحماية المسيحيين في لبنان مستقل. ففي خريف 1919 زار باريس وحصل من كليمنصو شخصيًا على وعد منه بلبنان مستقل. ولكن كليمنصو تغيّر الآن وطلب من غورو الانسحاب من سهل البقاع الذي يعتبره الموارنة أساسيًا للدولة المسيحية المستقبلية بسبب غناه بالأراضي الزراعية. وقد اتّهم الحويّك الأمير فيصل بإثارة الحرب الطائفية من خلال تأييده هجمات العصابات على القرى المسيحية المؤيدة لفرنسا في سهل البقاع. علم الحويّك لاحقًا بأن كليمنصو وقّع اتفاقية في 6 كانون الثاني/ يناير. ومع ما ورد في الاتفاقية من تأكيد أن فيصل سيعترف باستقلال لبنان، إلا أن الحويّك بقي قلقًا. فقد وصلته شائعات بأن فيصل رفض في أحاديثه الخاصة استقلال لبنان بعد عودته إلى دمشق في منتصف كانون الثاني/ يناير. علم الحويّك

(31) Meir Zamir, *The Formation of Modern Lebanon* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1985), pp. 37-74.

أيضًا بأن اتفاقية 6 كانون الثاني/ يناير لم ترسم حدود لبنان، ولم تحدّد بالضبط أي علاقة ستكون للبنان مع سوريا[32].

وفي نهاية كانون الثاني/ يناير، بعد وصول الأخبار عن قتال الأتراك المسلمين في كيليكيا، قرّر الحويّك إرسال وفد آخر إلى باريس. وكان مما أزعج رستم حيدر، وهو شيعي من لبنان، إدّعاء الوفد أنه يمثل آراء كل اللبنانيين. كان فيصل قد أيد حرب العصابات في سهل البقاع وشمال حلب كوسيلة للضغط على فرنسا. إلا أن بعض النقاد ادّعوا أن هذه الاستراتيجية ارتدّت عليه لأنها أذكت العداء المسيحي المسلم وأثارت أكثر اتجاهًا فرنسيًّا مندفعًا للحرب.

## مجلس الحلفاء الأعلى يفتح النقاش حول المعاهدة مع تركيا

في غضون ذلك افتتح مجلس الحلفاء الأعلى نقاشًا حول معاهدة الصلح مع تركيا في لندن بتاريخ 12 شباط/ فبراير. كانت الجلسات تدور بشكل أساسي حول الدولة التركية المستقبلية التي وعد بها ولسون في النقطة 12. وقبل ذلك بسنة كان المجلس قد أقرّ فصل الأراضي العربية عن الدولة العثمانية. ولكن نظرًا إلى أن رجال الدولة الأوروبيين عادة يشيرون إلى الإمبراطورية العثمانية بـ "الإمبراطورية التركية" فقد تجاوز النقاش حدود الأناضول ليشمل الأمور المتعلقة بسوريا.

ناقش المجلس أولًا المسائل المتعلقة بالأراضي التركية، حيث سمح للأتراك بأن يبقوا في إسطنبول وقرّر الرقابة على مضيق البوسفور، ثم انتقل لتحديد مناطق النفوذ الاقتصادي عبر الأناضول وصولًا إلى سوريا وبلاد الرافدين، وذلك بحسب قالب اتفاقية سايكس بيكو. وهكذا فقد اتفقت فرنسا وبريطانيا أخيرًا على الحدود بين سوريا وفلسطين. عبّر الأعضاء عن حماس أقل لتأسيس انتداب على أرمينيا، وهو ما كان يعود بشكل رئيس إلى نقص الوسائل العسكرية لدعمه. كان التقدّم

(32) من كليمنصو إلى حويك، 10 تشرين الثاني/ نوفمبر 1919، في:
Hokayem (éd.), vol. I, pp. 738-739.

وأيضًا في:

Zamir, pp. 79-80.

حول المسائل الأخرى بطيئًا، لأن رئيس الوزراء ميلران استُدعي على عجل إلى باريس بسبب الأزمة في كيليكيا وحدوث إضراب كبير في سكة الحديد بفرنسا[33].

أرغمت الأحداث في كيليكيا مؤتمر لندن على التركيز على أرمينيا بالرغم من استياء فرنسا. وعندما وصل أول التقارير حول المجزرة رد برتلّو بأن فرنسا تخطّط قريبًا لاحتلال كيليكيا بشكل دائم. ولكن في صباح 28 شباط/ فبراير قطع وزير الخارجية البريطاني كرزون المفاوضات ليقرأ بصوت عالٍ برقية عن آخر أرقام الضحايا في مرعش. لامَ لويد جورج الفرنسيين مطالبًا بأن يعرف "ما هي الخطوات التي تقترح الحكومة الفرنسية أن تقوم بها لاستعادة الوضع وحماية الأرمن الذين بقوا هناك، والحفاظ بشكل عام على مكانة الحلفاء"[34].

كانت هذه المرّة الثانية التي يتعرّض فيها ميلران إلى نقد لاذع علني من قبل البريطانيين منذ افتتاح المؤتمر. كانت المرة الأولى حين قال كرزون علنًا في البرلمان البريطاني إنه يأسف لأن كليمنصو لن يكون على طاولة المفاوضات في المؤتمر[35]. كان ميلران يخشى من أن يكون رئيس الوزراء البريطاني قد ابتكر استراتيجية مراوغة أخرى كي يحرز أفضلية دبلوماسية. طلب من الكي دورسيه أن يحصل على تقرير دقيق عن الأحداث في كيليكيا. في الأيام الأولى من آذار، وصلت موجة من البرقيات التحذيرية إلى مكتب غورو.

لم تكن الكي دورسيه في مزاج كي ترحّب بالثورة التي وصلت إلى ذروتها في دمشق المغطاة بالثلوج في شباط/ فبراير.

---

(33) Paul C. Helmreich, *From Paris to Sèvres: The Partition of the Ottoman Empire at the Peace Conference of 1919-1920* (Columbus: Ohio State University Press, 1974), pp. 242-273.

(34) David Lloyd George, *Memoirs of the Peace Conference*, vol. II (1939, reprint New York: Howard Fertig, 1972), p. 832.

يبدو أن البرقية نشرت في ذلك اليوم:

"The Marash Massacres," *The Times*, 6/3/1920, p. 13.

ولم يكن هذا الخبر الأول عما حدث بل نشر تقرير قبل ذلك:

"Slaughter of Armenians," *The Times*, 17/2/1920.

(35) TNA-London, "Les regrets de Lord Curzon," *Le Matin,* February 13, 1920,

مرفق في مذكرة من التاريخ نفسه من غراهام إلى كرزون، لتنبيه وزير الخارجية إلى أن كبار المسؤولين في باريس كانوا مستائين من افتقاره إلى اللباقة.

FO 800/153, 248-50.

# الفصل العاشر

## الأمير والشيخ و"اليوم المشهود"

في اليوم الذي سار فيه رشيد رضا وأخوه إلى طرابلس، أغرقت عاصفة من المطر القلمون صباح يوم الأحد 11 كانون الثاني/ يناير1920. وبسبب الوحول التي غمرت الطرقات توقفا عند بيت صديق لرضا هو مفتي المدينة الذي فصله الفرنسيون من منصبه بسبب آرائه القومية. فجأة وصل مراسل فرنسي يحمل دعوة من الجنرال غورو إلى رضا كي يحضر حفل الاستقبال الرسمي يوم الأربعاء بمناسبة وصول الأمير إلى بيروت.

وبعد أن تابع أمر العقدة القانونية المستمرة حول أوقاف الجامع، واصل طريقه إلى بيروت مساء اليوم التالي. وصل بيروت بعد ست ساعات بسبب هطول المطر الكثيف وإصلاح إطار السيارة، أي حوالى منتصف الليل. في 14 كانون الثاني/ يناير نزل فيصل من السفينة في بيروت ليلقى حشدًا حماسيًّا في استقباله. أقام الجنرال غورو حفل استقبال ومأدبة غداء على شرف الأمير حضرها كبار ضباطه والقناصل الأجانب الموجودين في بيروت. أكّد فيصل لغورو أن الاتفاقية مع كليمنصو ستفتح عصرًا جديدًا من علاقات السلم في سوريا. أما غورو فقد حذّره من أن فرنسا ستتخلى عن الاتفاقية إذا استمر عنف حرب العصابات في البقاع. ولذلك أرسل الجنرال تقريرًا إلى باريس يتّسم بالأمل الحذر[1].

---

(1) Antoine Hokayem (éd.), *Documents diplomatiques français relatifs à l'histoire du Liban et de la Syrie à l'époque du mandat: 1914-1945,* vol. 2 (Paris: l'Harmattan, 2003), pp. 21-26.

في صباح اليوم التالي، 15 كانون الثاني/ يناير، وصل رضا إلى مقر وفد الحكومة العربية في بيروت كي يلتقي شخصيًا مع الأمير. كان في انتظار هذه اللحظة منذ أيلول/ سبتمبر الماضي. وصل فيصل قبل الظهر بالضبط. وكما يورد رضا في مذكراته "رحّب بي بكثير من المديح".

سرعان ما شعر الأمير الذي كان في الخامسة والثلاثين والشيخ الذي كان في الرابعة والخمسين بانجذاب سريع واحدهم تجاه الآخر. تحدثا أكثر من ساعة بصراحة[2]. أطلع فيصل رضا بسرعة على بنود الاتفاقية مع كليمنصو. وكما أوضح فيصل له لم يعد هناك من خيار سوى التوصل إلى اتفاق مع فرنسا بعد أن تخلّت أميركا وبريطانيا عن سوريا.

حذّر رضا فيصل من أن الفرنسيين يحضّرون لخدعة. ولذلك نصحه بأن لا يكون لمستشاريهم أي سلطة إدارية في الحكومة، وأن يكون للسوريين الحقّ في مخالفة المشورة الفرنسية، وألا يُسمح للفرنسيين بالسيطرة على الشرطة والجيش. وكما أشار رضا "إنّ سيطرتهم على الأمن، على سبيل المثال، ستسمح لهم بحرمان البلاد من حريتها. إنني لا أستطيع التعبير عن آرائي لأنهم يمكن أن يبعدوني لأسباب أمنية".

أجابه فيصل: "هذا صحيح، ولكن إذا كنا متحدين في خدمة بلادنا، يمكن أن نحمي ذاتنا من الأخطار الكامنة في سلطتهم". أما الخيار الآخر، بحسب فيصل، فسيكون خوض الحرب، ولكنه لن يتحمل المسؤولية عن ذلك الخيار، بل سيترك الأمر للشعب كي يختار بين الاتفاقية والحرب.

اقترح رضا على فيصل خيارًا ثالثًا: "إذا سمحوا لك أن تقول في عصبة الأمم إن المادة 22 من الميثاق تعترف بالاستقلال الكامل لسوريا "فيمكن لسوريا أن

(2) هذه المحادثة ملخصة من: محمد رشيد رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (6)"، مجلة **المنار**، مج 34 (أيار/ مايو 1934)، ص 68-72. وقد أضفتُ إليها تفاصيل من يوميات رضا، 14-20 كانون الثاني/ يناير 1920، كما وردت في:
Umar Ryad, "Like a Mill Donkey: Western Politics in the Aftermath of WWI," Paper given at the Conference "Human Catastrophe Then and Now," American University of Beirut, 1 June 2016.

تتصرف كدولة قوية، أي يمكن أن تُختار من المستشارين لا أن تفرضهم فرنسا عليها. وبذلك "يمكن لسوريا أن تشكّل حكومة وتنتخب نوابها إلى المجلس التشريعي وأن تعزز القوانين".

كان برأي رضا أن الاعتراف الدولي باستقلال سوريا سيُبعد خطر الاحتلال: "إنّ مجلس النواب الفرنسي لن يصادق على تمويل حرب استعمارية، وخصوصًا ضد بلد اعترف له مؤتمر الصلح بالاستقلال". أبدى رضا هنا معرفته بما يدور من مناقشات في مجلس النواب الفرنسي. فمنذ توقيع الهدنة في عام 1918 قاد النائب الفرنسي الاشتراكي مارسيل كاشان (Marcel Cachin) تيّارًا يطالب باحترام حق السوريين في تقرير المصير[3].

ردّ فيصل بأن اللوبي الاستعماري يمكن أن ينتصر على دعاة السلم في مجلس النواب، وأن "(فرنسا) تشعر بنشوة النصر" و"أنها ستعتبر أي أمر لسحب جيشها الذي يحتل سوريا مسًّا بشرفها العسكري".

كانت مشورة رضا توحي بأنه مدرك بشكل دقيق الالتباسات في المعنى القانوني لميثاق عصبة الأمم، والتي يمكن أن تؤكد حرية سوريا أو تصدّق على إخضاعها. فالبند 22 يشير إلى أن "بعض الجماعات التي كانت تابعة للإمبراطورية التركية قد وصلت إلى مرحلة من التقدم يمكن معها **الاعتراف، بصفة مؤقتة، بوجودها كأمم مستقلة،** مع تقديم المشورة والمعونة الإدارية من جانب السلطة القائمة بالانتداب" (التمييز من المؤلفة)[4]. وهكذا إن البند 22 يترك النقاش مفتوحًا حول مرجعية السيادة: هل هي للأمة، أو للسلطة المنتدبة أو لعصبة الأمم؟ فبعض المنظّرين وصنّاع السياسة يفسرون "الأمم" (nations) بمعنى "الدول" (states)، أي أن الدولة السورية أساسًا كانت ذات سيادة. ولكن آخرين كانوا

---

(3) محضر اجتماع مجلس النواب ليوم 27 كانون الأول/ ديسمبر 1918 و23 كانون الأول/ ديسمبر 1919 المنشور في:
*Journal officiel de la République française. Débats parlementaires. Chambre des deputés* [hereafter *Journal officiel-Chambre*]. accessed on 12/9/2018, at: https://bit.ly/3G94Tk9, and https://bit.ly/3sR5DEO

(4) "The Covenant of the League of Nations," Avalon Project, Yale Law School, accessed on 9/4/2019, at: https://bit.ly/3PDburd

يصرّون على أن البند المذكور لم يضمن السيادة السياسية للأمة كأمة. فالسوريون، مثل اليهود الصهيونيين في فلسطين، يمكن أن يطالبوا بوطن وليس بدولة مستقلة. فهم سيبقون تحت سيادة عصبة الأمم (أو السلطة المنتدبة التي اختارتها بنفسها عصبة الأمم) إلى أن يثبتوا قدرتهم على حكم أنفسهم أو "الوقوف على أقدامهم لوحدهم" في الشؤون الدولية. وبشكل أكثر تشددًا سيلحّ بلفور في عام 1922 على أن الانتدابات تخص القوة الفاتحة (conquering power) التي قبلت من ذاتها بتحديد سلطتها. ومع هذا الاختلاف كان محكومًا على عصبة الأمم بأن تكون "مختبر السيادة"، كما أشار أحد الباحثين. ولذلك سيحتاج الأمر إلى سنوات حتى يتم تحديد مفهوم الدولة (statehood) في النظام العالمي الجديد بعد الحرب[5].

كان على سوريا، حسب رأي رضا، أن تستغلّ هذا الالتباس القانوني. فمصيرها كان يعتمد على الحصول على تصريح رسمي يعزّز تفسير "الدولة" في البند 22. وهذا ما يفسّر السبب وراء دعوة حزب الاتحاد السوري إلى وضع دستور لتقديمه إلى مؤتمر الصلح في باريس، كي يثبت أن السوريين يستحقون دولة[6].

وفي ما بعد ادّعى رضا أنه كان أوّل من اقترح أن تقوم سوريا بمواجهة الحلفاء بإعلان الاستقلال كأمر واقع. ولقد كان في الواقع أول من عرض الفكرة على الأمير. كان المؤتمر السوري قد تبنّى قرارًا كهذا في 24 تشرين الثاني/ نوفمبر 1919، وهو ما كرّره النواب لفيصل في اجتماع النادي العربي في 22 كانون الثاني/ يناير 1920[7].

كان رضا وبعض القوميين السوريين يرون أنفسهم كلاعبين في سعي عالمي لتأسيس نظام جديد للقانون الدولي يحكم العلاقات بين الدول. على المحك

(5) Quincy Wright, *Mandates under the League of Nations* (Chicago: University of Chicago Press, 1930), pp. 458-461; Leonard V. Smith, *Sovereignty at the Paris Peace Conference of 1919* (New York: Oxford University Press, 2018), pp. 47-48, 167-168, 225-226, 250-252.

(6) TNA-London, "Report on a Conversation in Cairo with Michel Bey Lotfullah on His Return from Syria August 5th 1919," FO 371/4182, 330-33.

(7) ماري ألماظ شهرستان، **المؤتمر السوري العام 1919-1920** (بيروت: دار أمواج، 2000)، ص 92.

حول الحالة السورية، كانت هناك مبادئ عامة يمكن أن تشكّل مستقبل الأمم الأخرى أيضًا. فمنذ القرن التاسع عشر أُقصي رجال الدولة والباحثون القانونيون غير المسيحيين وغير الأوروبيين عن العضوية الكاملة في أسرة الأمم المستقلة. كان العثمانيون يُعتبرون حتى عام 1914 ضيوفًا هامشيين. إلا أن ولسون فتح الباب أمام نظام عالمي لحقوق الدول، فحاول السوريون الحفاظ على هذا الباب مفتوحًا والعبور من خلاله.

ودّع فيصل ورضا كلٌّ منهما الآخر بعد غداء رسمي مع ضابطين فرنسيين، العقيد أنطوان تولا (Antoine Toulat) والعقيد إدوار كوس (Edouard Cousse). لم يكن هذا اللقاء بين الأربعة هو الأخير لهم. فنظرًا لتعيينهما ضابطي ارتباط بين فيصل والجنرال غورو كان من المقدّر لتولا وكوس أن يؤديا دورًا مؤثرًا في الصراع القادم على الاستقلال. ومن دون أن يعلم فيصل ورشيد رضا بذلك، فقد كان اجتماع 15 كانون الثاني/ يناير بداية لعلاقة كثيفة خلال الشهور الستة التالية[8].

في اليوم التالي ما إن غادر فيصل متوجهًا إلى دمشق، حتى ثارت عاصفة مطر تنذر بالشؤم. كان الأمير قلقًا من ردة فعل القوميين السوريين على الاتفاقية [مع كليمنصو]. كان يعرف أنهم سيرفضون شروط منح الفرنسيين الإشراف المؤقت على الشؤون الخارجية والأمن الداخلي، ومنح الاستقلال للبنان. كانت خطته تقوم على إقناع الحكومة بأن هذه الشروط مؤقتة وليست استسلامًا.

## عودة فيصل إلى دمشق

كان في انتظار فيصل بدمشق أكبر مظاهرة للترحيب بقدومه في 17 كانون الثاني/ يناير. كانت اللجنة الوطنية العليا، برئاسة الشيخ كامل القصّاب، تُعد لها منذ أسابيع. ولقد أدى الدكتور عبد الرحمن الشهبندر من حزب الاتحاد السوري دورًا بارزًا في اجتماع عام للجنة شارك فيه ممثلون من كل أرجاء سوريا.

---

(8) محمد رشيد رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (3)"، مجلة **المنار**، مج 34 (كانون الأول/ ديسمبر 1933)؛ رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (6)".

ادّعى القصّاب أن أكثر من مئة ألف شخص شاركوا في المظاهرة التي كان على رأسها زوجات وبنات شهداء الحرب يتبعهنّ رجال الدين من كل الطوائف، ولجان الدفاع الوطني، والأحزاب السياسية، والوجهاء، وأعضاء المجلس البلدي، والموظفون العسكريون والمدنيون، والفلاحون والأطباء والصيادلة، وأعضاء النادي العربي، وطلاب معهد الطب ومعهد الحقوق، والمعلمون والتجار والحرفيون وأعضاء النقابات وزعماء الأحياء والقرى المجاورة. وصل هؤلاء إلى ساحة المرجة يحملون لافتات كُتب عليها "الوطن العربي لا يتجزأ" و"الدين لله والوطن للجميع"، بينما كانت هناك مطالب تريد الاستقلال التام والجيش الوطني. حيّا فيصل المتظاهرين المتجمهرين أمام مبنى البلدية واعدًا بأن يحقّق رغبة الشعب. تعالت أصوات التأييد له حين صرّح أنه بشكل جوهري مع الأمة "على اتفاق حول سوريا مستقلة وغير مجزّأة"[9].

ولكن فيصل لم يكن مستعدًا بعد ليتخلّى عن سلطته سواء للشعب أو للمؤتمر السوري. ففي اجتماع كبير في النادي العربي تدخّل فيصل في نقاش بين رجل الدين الماروني حبيب اسطفان والدكتور الشهبندر. كان اسطفان يعبّر عن ولائه لفيصل، بينما كان الشهبندر يطالب المجتمعين بالاعتراف بالحكومة التي شُكّلت خلال غياب فيصل، وأن يتبعوا نموذج الثورة الوطنية المصرية ضد بريطانيا. وقد ردّ فيصل بحدة طالبًا منه أن يلتزم عمله في الطب، وألحّ على أن الحكومة الحالية ليست هيئة منتخبة تمثل الأمة، بل مجرد إدارة عسكرية مؤقتة. ونظرًا إلى أن سوريا لم يتم الاعتراف بها بعد كدولة مستقلة، فهو الوحيد الذي يمكن أن يمثل البلاد باعتباره ممثلًا لوالده [الملك] المستقل الشريف حسين: "إنني روح الحركة والأمة باعتمادها عليّ والحكومة تعتمد عليّ إلى أن تسنح لنا الفرص ويتّسع لنا المجال فنؤلف المجلس الذي تعتمد عليه الأمة، لأنني أنا

---

(9) "بريد سوريا"، **الكوكب** (7 كانون الثاني/ يناير 1920)، ص 1. كامل القصاب، "مظاهرة في دمشق" و"بريد سوريا"، **الكوكب** (27 كانون الثاني/ يناير 1920)، ص 5–6، 11. هذا المنشور
"Tract répandu dans Damas le jour de l'arrivée de l'Émir Fayçal"

وغيره مما جمعته الاستخبارات الفرنسية وسمحلي بكرمه المؤلف جيمس غلفنت بالاطلاع عليه:
James L. Gelvin, *Divided Loyalties: Nationalism and Mass Politics in Syria at the Close of Empire* (Berkeley: University of California Press, 1998), pp. 141-142, 279, 281.

مسؤول حتى انعقاد مجلس الأمة، وعندئذ أتخلى عن المسؤولية وأضعها على الأمة"[10].

عمل فيصل على حلّ الحكومة القومية وإعادة علي رضا الركابي رئيسًا للحكومة، كما أنه دعم تأسيس حزب محافظ جديد في مواجهة اللجنة الوطنية العليا. كان الحزب الوطني السوري بقيادة الوجهاء المعادين لجمعية العربية الفتاة مثل نائب رئيس المؤتمر السوري عبد الرحمن اليوسف والضابطين من أيام الحرب مع فيصل نسيب البكري والشريف ناصر. كان هؤلاء يفضّلون تقديم تنازل لفرنسا على ما كانوا يرونه هزيمة مؤكدة للدولة التي أعلنت استقلالها[11].

ولكن الأمير لم يكن بوسعه أن يعيد عقارب الساعة إلى الوراء. فقد أدانت الصحف وأعضاء النادي العربي علانية الاتفاق مع كليمنصو، وحتى إن طبيبه الشخصي الدكتور أحمد قدري انتقده في مؤتمر صحفي[12].

لجأ فيصل أخيرًا إلى عقد اجتماع لقادة جمعية العربية الفتاة، إلا أنهم أيضًا رفضوا الاتفاق. فقد أكّدوا، مثل رضا، أن الاتفاق ورقة تين لتغطية حماية فرنسية أخرى مثلما هو الأمر في المغرب أو تونس. فقدَ فيصل هدوءه وطلب منهم إجراء تصويت كي يسجّلوا خطأهم للتاريخ. دعا فيصل بعدها إلى انتخاب لجنة مركزية جديدة، ولكن القيادة الجديدة للجمعية صوّتت أيضًا ضد الأمير[13].

---

(10) TNA-London, "Emir Faisal's Speech at the Arab Club at Damascus," translation from *al-Ahram,* February 1, 1920, in FO 371/5187, 13-15;

سهيلة ريماوي، **الحكم الحزبي في سوريا: أيام العهد الفيصلي 1918-1920** (عمان: دار مجدلاوي، 1997)، ص 50-54.

(11) Ali A. Allawi, *Faisal I of Iraq* (New Haven: Yale University Press, 2014), pp. 265-266, 268-269; Malcolm B. Russell, *The First Modern Arab State: Syria under Faisal 1918-1920* (Minneapolis: Bibliotheca Islamica, 1985), pp. 123-124; Philip S. Khoury, *Urban Notables and Arab Nationalism: The Politics of Damascus 1860-1920* (New York: Cambridge University Press, 1983), pp. 89-90.

(12) أحمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** (دمشق: ابن زيدون، 1956)، ص161-169، والاستشهاد من صفحة 167 مأخوذ من: Gelvin, pp. 209-210.

(13) Russell, p. 127.

ضمّت اللجنة الأولى أحمد قدري وعزة دروزة وشكري القوتلي ورفيق التميمي وأحمد مريود وسعيد حيدر وتوفيق الناطور، بينما ضمّت اللجنة الثانية نسيب البكري والركابي وخالد الحكيم وأسعد الحكيم وسعيد حيدر وجميل مردم ومحمد الشريقي.

## الشيخ ينضمّ إلى الأمير

في مطلع شباط/فبراير قام فيصل بزيارة قصيرة إلى بيروت سعيًا لمشورة من رشيد رضا. على العشاء سأل الأميرُ الشيخَ أن يعود معه إلى دمشق ليكون وسيطًا بينه وبين جمعية العربية الفتاة وبقية الزعماء الوطنيين. أشار فيصل إلى كون رضا يعرف القصّاب والشهبندر شخصيًا وله تأثيره داخل حزب الاستقلال السوري الجديد. ولكن بالمقارنة مع هؤلاء كان رضا رجلًا ناضجًا وعاقلًا[14].

تردّد الشيخ. كان قد ترك أسرته منذ خمسة شهور ونيّف ورفض عرضًا للعمل مع الحكومة العربية في دمشق. كما أنه كان خائفًا من سذاجة فيصل. كان فيصل قد عبّر عن غباء في ثقته بالبريطانيين، وها هو الآن يكرّر الخطأ نفسه مع الفرنسيين. إلا أن رضا وجد في فيصل طالبًا ذكيًّا ومتحمسًا. كما وجد فيه الفرصة لإنجاز الوحدة العربية التي كان يسعى إليها طويلًا: إذا أحرز السوريون الاستقلال يمكن بذلك أن يطلقوا شرارة الإحياء عبر العالم الإسلامي. ولذلك وافق رضا على عرض فيصل بشرط ألا يكون الشخص الذي يقبل كل شيء (السيد نعم).

أنجز رضا أموره في بيروت واستقلّ القطار إلى دمشق في 8 شباط/فبراير 1920. في تلك الليلة اجتمع مع صديقه القديم كامل القصّاب كي يطّلع على الأخبار المحلية.

في اليوم التالي مباشرة، ضربت عاصفة ثلجية العاصمة ما أدى إلى إغلاقها ثلاثة أسابيع[15]. ساعد امتدادُ هذه الحالة [العزلة] على أن تكون فترة خصبة للمساومات السياسية. كان رضا يلتقي فيصل كل يوم تقريبًا، وينقل بشكل أبوي حكمة السن إلى الرجل الأصغر منه. وكان يحرّر خطابات الأمير ويراجع مراسلاته

---

(14) محمد رشيد رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (8)"، مجلة **المنار**، مج 34، ج 4 (آب/أغسطس 1934)؛ رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (6)".

(15) نشر رضا مقتطفات من يومياته في هذه الفترة في: محمد رشيد رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (4)"، مجلة **المنار**، مج 33 (شباط/فبراير 1934) ص 711-714. ويؤكد رسل Russell تأثير العاصفة الثلجية بقطع سير القطارات والاتصالات اللاسلكية مع دمشق مدة ثلاثة أسابيع:
Russell, p. 131.

مع لويد جورج ومع الشريف حسين. كان الاثنان يناقشان كيف انقاد فيصل مغمض العينين لوالده في الثقة بالبريطانيين بحيث لم يحقّق أي نتيجة جيدة.

استخدم رضا أيضًا اجتماعاته في المقر الأميري كي يروّج لأفكاره حول بناء القوة العربية بواسطة جامعة دول [عربية] يكون مقرّها في مكة. وكان يرى أن المفتاح لإنجاز الوحدة السياسية، عالميًا وفي سوريا، يكمن في بناء التعاون من القاعدة إلى القمة، وليس مع فرض الوحدة من فوق بواسطة إخضاع الأحزاب المختلفة. لم تكن حكمة رضا عن السياسة الديمقراطية مأخوذة من قراءة الكتب الأوروبية والأميركية، بل كانت نابعة من خبرته في السياسة العثمانية. كان الأتراك الجدد قد خانوا الثورة الدستورية في عام 1908 بقمع الأحزاب المعارضة. كان رضا يشرح لفيصل أن الاختلاف طبيعي، وأن الأحزاب في الحكم العادل تكون حرة في النقاش، وبذلك تضيق الهوة في الاختلافات عبر إيجاد نقاط إجماع.

ولكي يستعرض أفكاره دعا رضا الأمير إلى اجتماع في 9 شباط/ فبراير. ونظرًا للرياح التي كانت تحمل حبيبات الثلوج، فقد تجمّعت النخبة في خيم مُدفأة بالسجّاد. ألقى الشيخ كامل القصّاب "خطابًا طويلًا وبليغًا" حول كيف أن الأمة لن تقبل بأقل من الاستقلال التام. وفي ردّه ألقى فيصل خطابًا شعر فيه أنه كان مضطرًا للموافقة على ذلك.

نصح رضا فيصل بأن يبني تضامنًا عبر الإسلام: "لا يمكن تأسيس الوحدة العربية وإحياء مجد وحضارة العرب من دون الإسلام". كما أنه اقترح وسائل لتجاوز الخلافات بين الفرق الإسلامية المختلفة. تحمّس الأمير إلى حد أنه اقترح على رضا أن ينقل أسرته ومجلته [**المنار**] إلى دمشق. وأكد رضا لفيصل أنه سيبقى لبناء حكم عادل يستند إلى أفكار الإصلاحيين الإسلاميين[16].

كان رضا يؤمن قطعًا بأن الإسلام والديمقراطية ليسا متوافقين فحسب،

---

(16) رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (4)"، ص 714. ويؤكد هذا ما ورد في يوميات رضا في 12 شباط/ فبراير كما وردت عند رياض:

Ryad, "Like a Mill Donkey."

وحول اجتماع 9 شباط/ فبراير ينظر أيضًا: ريماوي، ص 185-186.

بل هما أيضًا اندماج ضروري لأجل الحكم الأخلاقي. لم تكن آراؤه مقبولة في العموم، كما اكتشف ذلك حين دعاه عميد معهد الحقوق الذي افتتح مجددًا إلى إلقاء محاضرة. وقد حذّر آنذاك الدكتور أحمد قدري، الطبيب الخاص لفيصل رضا، من معارضة متوقَّعة. ومع أن أحد أساتذة القانون العلمانيين عارض استضافة محاضرة دينية في معهد حكومي، إلا أن عميد المعهد رفض تحفّظه. وفي حضور فيصل، ألقى رضا محاضرته بعنوان: "الحضارة العربية-الإسلامية والحضارة المادية الأوروبية". أعجب الأمير بالمحاضرة وأشاد برضا على آرائه الناضجة، كما أسرّ بذلك أحمد قدري لاحقًا[17].

في تلك الأسابيع من المشاورات التي جرت تحت الثلوج أصبح رضا لاعبًا محوريًا في توحيد فيصل والمؤتمر السوري حول خطة لإعلان الاستقلال. إلا أن رضا لم يكن هو من أقنع فيصل بالتخلي عن المفاوضات مع الفرنسيين، بل إن فيصل أدرك أن اللعبة انتهت حين قام والده الشريف حسين بنشر هجوم شخصي عليه وعلى اتفاقية 6 كانون الثاني/ يناير [مع كليمنصو] في إحدى الجرائد بالقاهرة. وأعادت جريدة "معارضة" في دمشق نشر مطالبة الشريف حسين بالاستقلال الكامل من دون أي قيود. أثارت هذه المقالة جولة جديدة من الاحتجاج العام. وجاءت الوفود إلى المقرّ الأميري لفيصل تطالبه بأن يطيع والده، بينما بقي الأمير متمسكًا بالدفاع عن الحاجة إلى الاتفاقية. ولكن في 15 شباط/ فبراير ألقى القصّاب خطابًا عنيفًا هاجم فيه سياسة فيصل، وصوتت اللجنة الوطنية العليا رسميًّا ضد الاتفاقية وضد كل تنازل[18].

حثّ رضا فيصل على المصالحة مع القصّاب والشهبندر، وحذّره من أن مستقبل الأمة يعتمد على ذلك. وافق فيصل ودعا القصّاب والشهبندر إلى عشاء في المقرّ الأميري في مساء اليوم التالي، 16 شباط/ فبراير. دار نقاش حاد بين الثلاثة.

---

(17) يوميات رضا، 20 شباط/فبراير 1920، مذكور في:

Ryad, "Like a Mill Donkey."

(18) Russell, p. 126; Allawi, p. 268;

كوست إلى غورو، 9 شباط/فبراير 1920، في:

Hokayem (éd.), pp. 71-72.

ألحّ القصّاب على أن الأمة مستعدة للنهوض بالجماهير للمطالبة بالاستقلال. كان الوقت مناسبًا لذلك نظرًا لأن القوات الفرنسية انسحبت من سوريا لمواجهة القوميين الأتراك في كيليكيا. ردّ فيصل بأن الأمة تحتاج إلى قيادة حازمة وإلا فقد يسيل الدم في الشوارع. لم يتمكن الثلاثة من الاتفاق على أرضية مشتركة. ولكن العشاء انتهى مع وعد بأن تبقى خلافاتهم سرية.

في لحظة يأس، أبرق فيصل إلى غورو في بيروت راجيًا منه إشارة إلى دعم فرنسي لبنود الاستقلال العربي الموعود في اتفاقية 6 كانون الثاني/ يناير: "إن الشعب ينتظر الأعمال من الحكومة الفرنسية لدعم جهودي في ذلك". وأوضح أن المخاوف أصبحت كبيرة "منذ أن نُشرت الرسالة التي ينصحني فيها جلالة الملك الوالد بالمطالبة باستقلال كل البلاد العربية".

إلا أن جهد فيصل لاستخدام تأثير التحذير العلني لوالده مع الفرنسيين لم يُجدِ نفعًا. فقد كان الكلام عن الصدع بين فيصل ووالده قد تسرّب. وهكذا كتب ضابط الارتباط الفرنسي في دمشق كوس أن ذلك الصدع أظهر ضعف فيصل. أما غورو فقد اكتفى في تقريره إلى باريس بأن فيصل غير قادر على الوفاء بوعده الوارد في [اتفاقية] 6 كانون الثاني/ يناير بالحفاظ على النظام في سوريا. توافق المسؤولون في باريس مع غورو على عدم تقديم أي تنازلات لـ"المتطرفين". كما تم التوافق على نصح فيصل بألا يعود إلى باريس لإتمام الاتفاقية إلا بعد أن يتمكن من إظهار تأييد سياسي لها[19].

لم يتلقَّ فيصل أي جواب من غورو حتى 2 آذار/ مارس. أكّد الجنرال للأمير أن فرنسا لا تنوي حكم المنطقة الشرقية بشكل مباشر، ولكنها ستدافع عن مركزها في لبنان[20]. عقد فيصل وزيد اجتماعًا أخيرًا في بيت الركابي على أمل إقناع بعض

---

(19) من غورو إلى ميلران، 7 شباط/ فبراير 1920؛ من كوس إلى غورو في 18 شباط/ فبراير 1920؛ من غورو إلى وزارة الخارجية، باريس، 18 شباط/ فبراير 1920؛ ومن كامبون إلى ميلران، 25 شباط/ فبراير 1920، في:

Hokayem (éd.), pp. 69, 81-85, 94-95.

(20) من غورو إلى فيصل، 2 آذار/ مارس 1920، في:

Hokayem (éd.), pp. 99-100.

قادة جمعية العربية الفتاة. إلا أن بندول الساعة السياسي في دمشق كان يميل إلى تحالف لأجل الاستقلال[21].

## قضية إعلان الاستقلال

مع أن رضا استمر في الاجتماعات مع فيصل، لكنه حضر في نهاية شباط/ فبراير اجتماعات حزب الاستقلال لأجل دعوة المؤتمر السوري إلى الانعقاد وصياغة إعلان الاستقلال. (كان الحزب الواجهة العامة لـ[حركة] الفتاة السرية). وخلال عدة اجتماعات عقدت في بيت علي رضا الركابي، اتفقت غالبية الأعضاء مع رضا على أن يكون المؤتمر السوري ممثلًا للأمة ضد مطالب أسرة فيصل الحاكمة، وعلى أن يقوم المؤتمر وليس فيصل بإعلان الاستقلال باسم الشعب. ومع بداية ذوبان الثلوج في الأسبوع الأخير من شباط/ فبراير استدعى حزب الاستقلال أعضاءه من لبنان وفلسطين[22].

كانت هناك أقلية تطالب بعقد انتخابات جديدة للمؤتمر، إلا أن قدري والشهبندر جادلا في أن سوريا يجب أن تعلن الاستقلال فورًا نظرًا لأن المؤتمر يمكن أن يتابع أعماله بشكل شرعي بالاستناد إلى انتخابات حزيران/ يونيو 1919. كان لا بد أن يتم استغلال نافذة الفرصة السانحة التي فُتحت بنقل قوات فرنسية من سوريا إلى كيليكيا لقتال القوميين الأتراك هناك. عارض بعض أعضاء الحزب وضع سوريا في مؤتمر الصلح ضمن المعاهدة حول الإمبراطورية العثمانية. كان المؤتمر قد بدأ النقاشات في هذه المسألة بعد إنجاز المعاهدات مع دول الوسط في الصيف. ولكن قدري والشهبندر أصرّا على أن حق سوريا في الاستقلال المؤقت ورد في المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم الذي صادقت عليه بريطانيا وفرنسا كجزء من معاهدة فرساي، التي دخلت حيّز التنفيذ في 20 كانون الثاني/ يناير[23].

---

(21) ريماوي، ص 188-191.

(22) . محمد رشيد رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (5)"، مجلة **المنار**، مج 33 (نيسان/ أبريل 1934)، ص 792-798.

(23) قدري، ص 176-178؛ ريماوي، ص 190-193.

في غضون ذلك كان دروزه وغيره قد صاغوا إعلان الاستقلال. وفي اجتماع لاحق للحزب اقترح رضا إدخال تعديلات على المسودة التي "لم تأخذ بأهم مقترحاتي التي هي أساس الاستقلال بالاستناد إلى الحق الطبيعي للشعب في الحرية والاستقلال... وبالاستناد إلى حقيقة أن العرب السوريين وغيرهم ثاروا بنجاح ضد الحكم التركي". إن هذه النقاط، كما قال رضا، يجب أن تُضمّ إلى حقوق سوريا الواردة في المادة 22.

كان المقرّ الأميري مطّلعًا، على ما يبدو، على هذه الاجتماعات، لأن رضا كان يطلب نسخًا من الوثائق القانونية الداعمة من عوني عبد الهادي، سكرتير فيصل والعضو القيادي في جمعية العربية الفتاة. كان عبد الهادي قد عاد إلى دمشق مع فيصل في كانون الثاني/ يناير وأخذ يهتم شخصيًا بالخطط لأجل الاستقلال. كان يشعر بالانزعاج بشكل خاص لأن بريطانيا طالبت بانتداب على فلسطين، لتفصل بذلك مسقط رأسه نابلس عن سوريا. وفي حين أن عبد الهادي كان يتناقص وزنه بسبب انزعاجه، كان رضا يخفّف قلقه بتمتُّعه بالوجبات اللذيذة في موطنه. ففي يومياته سجل بأن وزنه زاد أربعة كيلوغرامات خلال شهر شباط/ فبراير[24].

في 29 شباط/ فبراير و1 آذار/ مارس بدأ حزب الاستقلال نقاشًا حول دور الإسلام في الحكم. حتى ذلك الحين كان الأعضاء يتحدثون بغموض عن مملكة دستورية يكون فيصل ملكها والإسلام دينها. وعلى سؤال هل يجب أن يكون في الدولة السورية شخصية مرجعية إسلامية مثل شيخ الإسلام في الدولة العثمانية؟ ردّ البعض على ذلك بالنفي، حيث لا حاجة إلى وزير للشؤون الإسلامية في الحكومة، بينما قال البعض الآخر إنه لا بد أن يكون هناك وزير يتولى المحاكم الإسلامية والأوقاف. وتوجه هؤلاء بالسؤال إلى رضا لمعرفة رأيه.

كان رأي رضا أن الدولة السورية ستحظى بمكانة وتأييد إذا كان فيها مكوّن

---

(24) عوني عبد الهادي، **مذكرات عوني عبد الهادي**، تحقيق خيرية قاسمية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002)، ص 84-87؛ بداية يوميات رضا في نهاية شباط/ فبراير 1920 كما وردت عند رياض:

Ryad, "Like a Mill Donkey."

إسلامي. فقد ساعدت الخلافة النظام العثماني على البقاء رغم ضعفه العسكري، لأن ملايين المسلمين كانوا يؤيدونها. ومن ناحية أخرى، فإن الإسلام يمكن أن يعزز الكونفدرالية مع العراق والحجاز. فالرباط الوحيد الذي يوحد العرب في أقاليمهم هو دينهم المشترك. وبحسب ما أشار رضا "لا يمكن لسوريا أن تبقى مملكة مستقلة إذا لم تتحد مع البلاد العربية المجاورة". ومن ناحية ثالثة، كما قال رضا، فإن معظم عوام المسلمين سيعتبرون الدولة العلمانية غريبة وغير شرعية و"سيحولونها في أول فرصة إلى دولة دينية". وكما أضاف رضا "لذلك فإن شريعتنا يجب أن تكون المصدر الرئيسي للتشريع المطلوب، حتى ولو لم يكن نظام الحكم إسلاميًا". وقد اقترح أن تضمّ الحكومة وزيرًا للشؤون الدينية وعلماء مسلمين في جهازها الوظيفي. وكما أكد لمعارضيه، فإن دولة كهذه لن تكون ثيوقراطية ولا يوجد في الشرع الإسلامي ما يعارض دولة مدنية، بل إن من يعتقد بوجود تعارض هم فقط فقهاء المذاهب المتشدّدة. إلا أن الاجتماع انتهى من دون حل هذه المسألة[25].

اقتنع فيصل آنذاك بأنه لا بد من دعوة المؤتمر إلى الانعقاد. وفي حين أن منتقديه ادّعوا لاحقًا أن فيصل اضطر تحت ضغط "المتطرفين" أن يقبل إعلان الاستقلال، إلا أن سجلات نقاشاته المتواصلة مع رضا وأعضاء حزبه توحي بغير ذلك[26]. أدرك فيصل أن المعارضة الشعبية للاتفاق مع فرنسا كانت شاملة، كما أدرك شرعية الاستقلال السوري بالاستناد إلى القانون الدولي. فهمَ أيضًا الحاجة إلى تأسيس دولة مستقلة بفرض سياسة الأمر الواقع، مع الأخذ في الاعتبار أن الأميركيين لم يعودوا يدافعون عن العرب ضد العدوان الاستعماري في باريس. في النهاية كان فيصل يبدو سعيدًا لإحالة هذه المسؤولية عن قرار مصيري إلى المؤتمر[27].

---

(25) يوميات رضا في 29 شباط/فبراير 1920 كما وردت لدى رياض:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

(26) Allawi, pp. 273-275,

هنا يبدو وصف مثالي لإذعان فيصل أمام "رعاع" القصاب. ينظر أيضًا:
Allenby memo of March 7, 1920, No. EA 3004, and "Rapport Hebdomadaire du 2ème Bureau de l'Armée française du Levant, Semaine du 2 au 8 mars 1920," in: Hokayem (éd.), pp. 119-120.

(27) محمد عزة دروزة، **مذكرات محمد عزة دروزة 1887-1984** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، ج 2، ص 451.

ولكن الأمير كان قلقًا من ردّة فعل والده. وحين اقتُرح العَلَم الجديد، ألحّ فيصل على الحفاظ على المستطيلات والمثلث الأحمر الموجودة في العلم الذي كان يخفق خلال الثورة العربية. وافق أعضاء المؤتمر على ذلك، وأصبح العلم السوري الجديد يختلف فقط بنجمة بيضاء ضمن المثلث[28].

## كتابة إعلان الاستقلال

جاء آذار/ مارس يحمل نسيم الربيع. ما إن ذاب الثلج في الممرات الجبلية حتى دعا المؤتمر أعضاءه من أرجاء سوريا الكبرى. إلا أن النواب اللبنانيين كانوا قلقين من أن الفرنسيين سيعرقلون سفرهم. تطوّع رضا كي يقوم باصطحابهم من دون أن يعي أن مهمته هذه ستشغله خمسة أيام حاسمة بعيدًا [عن دمشق]. خلال وجوده في بيروت سعى إلى موعد مع الجنرال غورو ولكنه التقى روبير دو كيه عوضًا عنه، الذي قال إنه سعيد بلقاء عالم معروف. فهم رضا أن الفرنسيين غير سعداء بمهمته لاصطحاب النواب اللبنانيين إلى دمشق. وقد عرف لاحقًا أن دو كيه كان العقل المدبر لخطة فرنسا في احتلال سوريا وتقسيمها. وبعد اجتماعه مع دو كيه وجد أن النواب خائفون جدًا من خطر السفر إلى دمشق، وقد احتاج إلى عدة أيام لتشجيعهم[29].

خلال وجود رضا في الخارج، وصل إلى دمشق من النواب ما يكفي لنصاب المؤتمر الذي انعقد في 6 آذار/ مارس. ففي الساعة الثالثة بعد الظهر، اجتمع المؤتمر السوري العام في النادي العربي لانتخاب قيادة جديدة. كان رئيس المؤتمر السابق فوزي باشا العظم قد توفي في تشرين الثاني/ نوفمبر. انتخب النواب هاشم الأتاسي من حمص رئيسًا جديدًا، الذي كان متصرفًا عثمانيًا في السابق. أما دروزة فقد كان راضيًا بإعادة انتخابه سكرتيرًا للمؤتمر[30].

---

(28) رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (6)"؛ دروزة، ج 1، ص 488؛ Allawi, p. 271.

(29) يوميات رضا كما وردت في: "العبرة في سيرة الملك فيصل (6)"، ص 68، ومحمد رشيد رضا، "الرحلة السورية الثانية (8)" مجلة **المنار**، مج 22 (شباط/ فبراير 1922)، ص 141-146.

(30) شهرستان، ص 91-95.

وصل فيصل في الساعة الرابعة. وبحسب التقليد العثماني الذي كان يقضي بألا يتحدث العاهل مباشرة إلى البرلمان، قام سكرتيره عوني عبد الهادي بقراءة خطاب الترحيب بالمؤتمر:

> أيها السادة: في الوقت الذي اقترب فيه حلّ المسألة التركية حلًا نهائيًا في مؤتمر الصلح، قرّرتُ أن أدعوكم مرة أخرى لتقرير مصير البلاد بحسب رغبات الأهالي الذين رأوا فيكم الكفاءة في مثل هذا الوقت العصيب. فالرئيس ولسون ذكر في خطابه في ماونت فرنون (Mount Vernon) يوم 24 تموز/يوليو سنة 1918 المادة الآتية: كلّ مسألة سياسية كانت أم اقتصادية أم دولية يجب أن تحسم على الأساسات المستندة إلى حرية قبول الشعب ذي العلاقة رأسًا بتلك المسألة، لا على القواعد النفعية المادية أو المصالح يطلبها شعب أو أمة أخرى لأجل تأمين نفوذها الخارجي أو سياستها[31].

حين ورد ذكر وودرو ولسون أكّد خطاب فيصل أن السيادة تقع على عاتق الشعب، والمؤتمر باعتباره ممثل الشعب، فإن له الحق في إعلان الاستقلال السوري بالاستناد إلى مشاركة العرب في الحرب وإلى تصريحات الحلفاء وإلى تحقيق كينغ-كراين. شدَّد فيصل على أن الإعلان ليس تمردًا ضد مؤتمر الصلح في باريس، بل إنه مجرد تقرير لما كان موجودًا في الواقع: "إننا لا نطلب من أوروبا أن تمنحنا ما ليس لنا به حقّ، بل نطلب منها أن تصدّق على حقّنا الصريح الذي اعترفت لنا به كأمة حيّة"[32].

في النهاية اختتم عوني عبد الهادي خطاب فيصل بالقول: "إنّ وظيفتكم اليوم خطرة ومهمتكم كبيرة. فأوروبا تنظر إلينا عن كثب وستحكم لنا أو علينا بالنسبة

---

(31) التاريخ الحقيقي لخطاب ولسون كان 4 تموز/يوليو. أعاد فيصل صياغة النص الأصلي كما هو هنا: "إنّ حلّ أي مسألة، سواء تتعلق بالأراضي أو بالسيادة أو بالترتيب الاقتصادي أو العلاقة السياسية، يتمّ على أساس الرضى الحرّ لذلك من قبل الشعب المعني بها مباشرة، وليس بالاستناد إلى المصلحة المادية أو أفضلية أي دولة أو أمة قد ترغب بحل مختلف لأجل نفوذها الخارجي أو سيطرتها".
*Address of President Wilson Delivered at Mount Vernon July 4, 1918* (Washington DC: Government Printing Office, 1918), pp. 4-5.

(32) لم تؤد هذه المناشدات لمبادئ ولسون سوى إلى أصداء جوفاء. وحتى مع انعقاد الكونغرس كان مجلس النواب يناقش إمكانية التوقيع على معاهدة فرساي، وصوّت ضدها في 19 آذار/ مارس.

للخطّة السياسية التي سنسير عليها والأعمال التي سنقوم بها في المستقبل. فدولتنا الجديدة التي قام أساسها على وطنية أبنائها هي في حاجة اليوم إلى تقرير شكلها أولًا ووضع دستور لها"[33].

تولى الشيخ كامل القصّاب، المعارض الشعبوي لفيصل، بتقديم ردّ الشعب على العرش. لم يكن متحفظًا أمام الأسرة الملكية. فقد دعا السوريين إلى إعلان الاستقلال مع حكم ديمقراطي وتمثيلي ومدني، ورشح فيصل كأول ملك لسوريا بشرط أن يُحِدّ الدستور من سلطاته. ووزع القصّاب خطابه على الجمهور في كتيب بعنوان: **الأمة تملي إرادتها على المؤتمر السوري**[34].

وصل القطار الذي استقله رشيد رضا إلى محطة الحجاز في الساعة 4:35 بعد الظهر في 7 آذار/ مارس. وبعد أن أدى الصلاة هناك سارع إلى النادي العربي حيث كان المؤتمر يعقد جلسته. عندما دخل كان النواب لا يزالون يناقشون الرد على خطاب فيصل. طلب رضا أن يُقرأ الخطاب مرة أخرى بصوت عالٍ. وهنا، في الساعة الحادية عشرة ليلًا، ناقش النواب ذكر الدين الإسلامي في إعلان الاستقلال. اقترح النواب غير المسلمين أن يتضمن الإعلان حكمًا مدنيًا. قبل بعض المسلمين ذلك بينما قال آخرون إن الإسلام يجب أن يُعلن دينًا رسميًا لحكم عربي إسلامي. أما رضا فبعد أن استعرض حجته القوية اقترح عدم ذكر هذه المسألة على الإطلاق، الأَولى السكوت عن ذلك.

"إن إعلان كونها لادينية يفهم منه جميع المسلمين أنها حكومة كفر وتعطيل، لا تتقيد بحلال ولا حرام، ومن لوازم ذلك أنها غير شرعية، فلا تجب طاعتها، ولا إقرارها، بل يجب إسقاطها عن الإمكان، فالأَوْلَى السكوت عن ذلك، فوافقت الأكثرية على هذا الرأي والاكتفاء باشتراط أن يكون دين مَلِكِها الرسمي هو الإسلام فتقرر ذلك"[35].

---

(33) أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى** (دمشق: دار رسلان، 2015)، ج 2، ص131-134؛ Russell, pp. 133-134.

(34) Russell, pp. 133-134; Gelvin, p. 193.

(35) رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (6)"، ص69. محمد موفاكو الأرناؤوط، **دراسات حول الحكومة: الدولة العربية في دمشق** 1918-1920 (عمان: دار الشروق، 2000)، ص 47.

بعد ذلك انضمّ رضا إلى مجموعة نواب تضمّ دروزة ورئيس المؤتمر الأتاسي لصوغ الرد على فيصل بالاستناد إلى تعليقات النواب، الذي سيكون أساس نصّ الإعلان للاستقلال. عُرض هذا الرد على المؤتمر وفاز بغالبية الأصوات المؤيدة له. أما القلّة المعارضة المؤيدة للفرنسيين، وأبرزهم نائب الرئيس عبد الرحمن اليوسف، فقد بقيت صامتة[36].

إثر ذلك ترأس الأتاسي ودروزة ورضا وفدًا إلى المقر الأميري في حي المهاجرين الشمالي [بشمال دمشق]. كان الحرس في الخارج في أكشاك لُوّنت بألوان العلم: الأسود والأحمر والأبيض والأخضر. فتح فيصل باب الفيلا المتواضعة من طابقين ودعا الرجال إلى الجلوس في الصالون. كانت الجدران بيضاء بينما كانت الستائر تجمع بين اللونين الفستقي والتوتي. جلس فيصل على مكتبه المرصّع بالصدف وفتح الرسالة المكونة من ثلاث صفحات[37].

كانت الرسالة تشكر فيصل على قيادة العرب نحو النصر ومدحته لإيمانه بـ"المبادئ النبيلة للرئيس ولسون". وبعد ذلك أوصت الرسالة بأن سوريا نفذت "برنامج دمشق" الذي وُضع في الصيف الماضي، ولكن بشروط أعلى وأكثر خصوصية مما اقترحه فيصل:

> إنّ الاحتلال المؤقت (لسوريا)، الذي فرضته ظروف الحرب، يجب أن ينتهي. إنّ الوقت قد حان لتلبية مطالب الأمة (ولذلك فإنّ المؤتمر) قرّر بإجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية، ومنها فلسطين، على الأساس المدني وحفظ حقوق الأقلية ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطنًا قوميًا لليهود أو محلّ هجرة لهم.
>
> وقد اخترناكم بإجماع الرأي ملكًا دستوريًا على البلاد السورية نظرًا إلى

(36) ضمّت اللجنة أيضًا يوسف الحكيم، الوزير في الحكومة والمسؤول العثماني السابق، وعثمان سلطان من طرابلس، وسعد الله الجابري من حلب، ومصطفى الأتاسي من حمص. لم يذكر دروزة رشيد رضا، ولكن رضا يذكر في يومياته أنه انضم إليها. ينظر: دروزة، 97 سنة، ص 449، شهرستان، ص 96-99.

(37) "Conversation avec S.M. Fayçal, roi de Syrie," *Le Petit Parisien*, 29/3/1920.

حكمتكم المعروفة وحسن تقديركم ومزاياكم النبيلة وانجازاتكم الخالدة في الحرب والسياسة لمصلحة الأمة.

لم يعلّق فيصل بشيء سوى أنه شكر النواب وسأل الله أن يبارك استقلال الأمة وسلامتها. ومع تمنّيه للوفد بليلة سعيدة كان يبدو أن ذهنه في حالة قلق. فالمطالبة باستقلال ما هو خارج الأراضي التي يسيطر عليها العرب الآن، أي المناطق الغربية والجنوبية لسوريا، يمكن أن يثير أزمة دبلوماسية. كما أنه كان من المثير للقلق أن المؤتمر ينوي بعد إعلان الاستقلال أن يبقى منعقدًا كجمعية تأسيسية. وفي حين أن فيصل استشهد بمبادئ ولسون ليبرر الدعوة إلى سيادة الأمة (national sovereignty). إلا أن المؤتمر استند إلى هذه المبادئ نفسها لتأسيس سيادة الشعب (popular sovereignty).

## "اليوم المشهود"

كان يوم الإثنين 8 آذار/ مارس 1920 هو اليوم الذي كان ينتظره السوريون منذ انسحاب العثمانيين قبل 17 شهرًا. كان "اليوم المشهود"، كما وصفه رضا، هو اليوم الذي نهض فيه العرب حقيقة كأمة بعد قرون من الاستعباد التركي. كان هو اليوم الذي أضحت فيه أراضي سوريا حرة. كان اليوم الذي أقسم فيه فيصل بن الحسين اليمين كملك.

خلال الليل كان مكتب رئيس البلدية قد ألصق على جدران دمشق برنامج المناسبة. فتحَت صورة للعلم السوري الجديد دعت الملصقات المواطنين من كل الطبقات والأحياء إلى التجمع في ساحة المرجة في الساعة الثانية بعد الظهر لتبدأ أولًا المسيرات عبر شوارع المدينة وتنتهي باحتفالات ليلية في الأسواق. أما مقهى ومسرح الزهرة[38]، الذي يقع مقابل مبنى البلدية، فقد حُجز لحضور

(38) المقصود مقهى زهرة دمشق الذي بُني في مطلع القرن العشرين وأصبح كغيره من المقاهي يقدم بعض المسرحيات منذ عام 1909، وأضيفت إليه صالة للسينما في عام 1918، وعُرضت فيه عام 1919 مسرحية "جمال باشا السفاح" لمعروف الأرناؤوط في حضور الأمير فيصل، وتعرّض إلى حريق في عام 1928 ليهدم بعدها وتُبنى في مكانه عمارة القباني الحالية. (المترجم)

النساء. كانت بين هؤلاء نازك العابد، الناشطة النسائية التي أثارت إعجاب لجنة كينغ-كراين[39].

في ذلك الصباح اجتمع المؤتمر السوري في النادي العربي ليختار الحاشية المرافقة لفيصل، التي ضمّت هاشم الأتاسي ورشيد رضا وأحمد قدري. بعد وصولهم إلى المقر الأميري وجدوا هناك عزة دروزة. انتهز رضا الفرصة كي يدخل بعض التعديلات النحوية النهائية على إعلان الاستقلال، الذي كتبه عبد الهادي بخط يده[40]. لبس فيصل زيه العسكري وأخذ مكانه في العربة التي تجرّها الخيول، حيث سيسير وراء أعضاء المؤتمر. وبالعودة إلى تشرين الأول/ أكتوبر 1918 فقد دخل فيصل على رأس قواته راكبًا على حصان. أما الآن فإن الحكومة المدنية طالبت بنظام سياسي جديد. كان الجنود يهتفون "يعيش الملك"، بينما كانت النساء ينثرن الورود على العربة خلال سيرها إلى ساحة المرجة[41].

في الساعة الثالثة بعد الظهر أخذ دروزة مكانه كسكرتير للمؤتمر في شرفة مبنى البلدية. إلى جانبه وقف زعماء سياسيون ودينيون ورؤساء عشائر وقناصل إسبانيا وإيران وإيطاليا. أما القنصل الأميركي جورج يونغ فقد جلس بجوار ضابطي الارتباط مع فيصل العقيد تولا والعقيد كوس، بينما تغيّب عن الحضور ضابط الارتباط البريطاني. تحت الشرفة كان يقف مئات الناس الذين رفعوا وجوههم نحو الأعلى في حالة ترقب. وبصوت عالٍ قرأ دروزة القرار الذي أقرّه في اليوم السابق المؤتمر السوري العام باسم الشعب العربي السوري في المناطق الداخلية والساحلية والجنوبية، الذي بدأ كما يلي:

---

(39) "The Official Program for Celebrations of March 8, 1920, Crowning Faisal I as King of Syria," *Syrian History.com.* accessed on 14/6/2017, at: https://bit.ly/3NqJUeS

(40) عبد الهادي، ص 88.

(41) Gelvin, pp. 246-248; "Feisal's Assumption of Kingship: Scene at Damascus," *The Times*, 17/3/1920, p. 15.

ضمّت القائمة الكاملة للنواب رشيد رضا ورياض الصلح وأمين بيهم. وتوفيق البيطار من الساحل اللبناني، ود. أحمد قدري رسميًا باعتباره من فلسطين، وعبد القادر الخطيب وعبد الرحمن اليوسف وتيودور أنطاكي وعبد القادر الكيلاني وأحمد العياشي وسعد الدين العياشي ومحمد الفاعور وفتح المرعشلي من سوريا الداخلية.

> إنّ الأمة العربية صاحبة المجد القديم والمدنية الزاهرة لم تقم جمعياتها وأحزابها السياسية في زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسي ولم تُرِق دم شهدائها الأحرار وتَثُر على حكومة الأتراك إلا طلبًا للاستقلال التام والحياة الحرة بصفتها أمة[42].

ومع هتاف الحشد، امتدح دروزة "الرجال الشرفاء الذين قاتلوا مع الحلفاء لفتح تركيا"، والكثير من السوريين الذين ضحّوا بأولادهم في المعركة العسكرية. كما أقرّ أيضًا بأن السوريين العاديين عانوا أيضًا من الاضطهاد والتعذيب والموت في مقاومتهم الأتراك.

كان إعلان الاستقلال دعوة إلى حكم القانون وليس دعوة إلى التمرد كما كان الأمر مع إعلان الاستقلال الأميركي لعام 1776. كانت الوثيقة تؤكد حق السوريين بدولة مستقلة تحت مظلة القانون الدولي، وتعدّد البيانات السبعة التي صدرت عن المسؤولين البريطانيين والفرنسيين والأميركيين خلال الحرب والتي تعترف بحق السوريين في الاستقلال. كما أشارت الوثيقة إلى ما ورد بعد الحرب، في البند 22 من معاهدة السلام التي أعادت التأكيد لـ "الوعد بإعطاء الشعب حق تقرير المصير". وادعى السوريون أيضًا أن "برنامج دمشق" عُرض على اللجنة الأميركية في تموز/ يوليو 1919.

أكد إعلان الاستقلال الضرورة السياسية لتطبيق ذلك القانون. فقد ذكر الاحتلال العسكري الذي استمر 18 شهرًا وسبّب ضررًا اقتصاديًا وسياسيًا كبيرًا لسوريا، وأثار انزعاجًا كبيرًا عند السكان أدى إلى التمرد. ولذلك إن مثل هذا العبء يجب أن يزول وأن يعاد توحيد المناطق الثلاث لسوريا. وكما تابع دروزة:

> أعلنّا بإجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين استقلالًا تامًّا لا شائبة فيه على الأساس المدني وحفظ حقوق الأقلية، ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطنًا قوميًّا لليهود.

---

(42) "إعلان الدستور والقرار التاريخي للمؤتمر حوله"، مجلة **المنار**، مج 21 (تموز/يوليو 1920)، ص 441-444. الترجمة هنا للمؤلفة، وهناك ترجمة أخرى وجدت لدى:
Abu Khaldun Sati al-Husri, *The Day of Maysalun* (Washington, DC: Middle East Institute, 1966), pp. 138-140.

وقد اخترنا سموّ الأمير فيصل ابن جلالة الملك حسين، الذي واصل جهاده في سبيل الأمة التي ترى فيه رجلها العظيم، ملكًا دستوريًّا بلقب صاحب الجلالة الملك فيصل الأول.

أكّد إعلان الاستقلال بعد ذلك دور المؤتمر كحارس للاستقلال السوري. كما أكّد إعلان الاستقلال على السلطة اللامركزية للحكومات في المقاطعات، وعلى الحكم الذاتي للبنان واستقلال العراق كدولة منفصلة. وفي إشارة إلى حضور الدبلوماسيين الأجانب قال دروزة: "إنّ لنا الثقة التامّة بأن يتلقف الحلفاء الكرام وسائر الدول المدنية عملَنا هذا المستنِد إلى الحق الشرعي والطبيعي في الحياة". وفي هذه الحالة، كما أكّد دروزة، يمكن للأمة العربية السورية أن تحقق هدفها الأسمى وأن تصبح عضوًا فعالًا في العالم المتمدن.

ردّ الحشد بتصفيق حماسي وفرح عارم.

ألقى فيصل خطابًا قصيرًا عبّر فيه عن إخلاصه للأمة في الوقت الذي كانت فيه المدفعية تطلق في السماء مئة طلقة وطلقة تكريمًا له. انطلقت هتافات الحشد ثانية عندما رُفع العلم السوري الجديد. شاهد كبار الشخصيات حينئذ عرضًا عسكريًا مرّ تحت الشرفة ثم دخل مبنى البلدية لحضور أداء قسم الولاء.

جلس فيصل على منصة تحت رايات تظلّله، حيث لم يكن هناك عرش أو تاج. كان قد ارتدى فوق زيه العسكري غترة بيضاء أنيقة وعباءة سوداء. كان ابنه الصغير غازي يجلس إلى يمينه وإلى يساره الأمير زيد، بينما التفّ حوله ضباط الجيش والوزراء ورجال الدين والنواب من كل المناطق السورية الثلاث.

وبحسب التقليد الجديد الذي بدأ مع السلطان العثماني في الثورة الدستورية في عام 1908 ردّ فيصل على أداء النواب قسَم الولاء بأدائه قسم خدمة الشعب الذي يضمّ كل السوريين في كل المناطق الثلاث. تعهد فيصل بإطاعة الله واحترام كل الأديان وضمان المساواة لكل المواطنين أمام القانون. كما أنه وعد بالحفاظ

على النظام واختيار الضباط على أساس الكفاءة وأن يطلب المشورة من الشعب، وأن يعمل على تعميم المعارف[43].

بعد ذلك قام زعماء الطوائف الدينية الرئيسية بمبايعة فيصل ملكًا على سوريا. وحتى معارضو فيصل اعتزوا بهذه اللحظة. وكما يتذكّر الدكتور الشهبندر: "كان لي الحظ أن أدخل عليه وأهنئه في جملة المهنئين"، و"لن أنساه أبدًا وهو واقف على المنصة يصافح الذين يبايعونه واحدًا واحدًا"[44].

عاود الملك فيصل الظهور في الشرفة كي يتقبّل مبايعة الوزراء وأعضاء المؤتمر والزعماء الدينيين. في تلك الليلة أقامت الحكومة الجديدة حفلة في النادي العربي[45]. بقيت الأسواق مفتوحة ثلاث ليال والمصابيح تضيء الشوارع لأجل الاحتفالات.

اجتذبت هذه الاحتفالات الآلاف الذين بقوا هادئين بالمقارنة مع الحشود الغاضبة في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر 1919، كما ورد في تقرير العقيد كوس. في تلك الليلة أعاد فيصل التأكيد لكوس أنه سيسعى إلى تخفيف أي شكل من أشكال التمرد على مؤتمر الصلح في باريس. وكان فيصل، كما نُصح، قد تجنب استخدام أي لغة مناهضة للفرنسيين في الاحتفال، وكان عليه الآن أن يرسل مذكرات دبلوماسية ليؤكد فيها للحلفاء استمرار ولائه. كان كوس يعتقد أن الاستقلال يمكن أن ينجح إذا عرف فيصل كيف يستخدم الدبلوماسية جيدًا[46].

---

(43) "مبايعة الرؤساء الروحيين"، جريدة **العاصمة**، العدد 108 (11 آذار/ مارس 1920). وقّع على هذه المبايعة زعماء اليهود والأرمن الكاثوليك والأرمن الأرثوذكس السريان، والموارنة والروم الكاثوليك والروم الأرثوذكس. ينظر أيضًا: دروزة، ج 1، ص 450؛ شهرستان، ص 103-105.

(44) عبد الرحمن الشهبندر، "فيصل ابن الحسين"، و"تتويج الأمير فيصل ملكًا" في: حسن الحكيم (محرر)، **عبد الرحمن الشهبندر، حياته وجهاده** (بيروت: دار المتحدة للنشر، 1985)، ص 41-45، 123-129.

(45) Gelvin, pp. 246-252; "The Crowning of Faisal I as King of Syria on March 8, 1920," *Syrian History.com.* accessed on 11/6/2019, at: https://bit.ly/38blabJ

(46) Cousse to High Commissioner, Report no. 204, March 9, 1920.

نشر المؤتمر السوري بعد شهرين كتابًا تذكاريًا إهداءً إلى الملك فيصل ومستقبل سوريا[47]. كان الكتاب المعنون **ذكرى استقلال سوريا** يوثق اليوم التاريخي 8 آذار/ مارس 1920 مع إعادة نشر خطاب فيصل في المؤتمر ونص إعلان الاستقلال، ومجموعة من الصور في خمسين صفحة تكريمًا لكبار موظفي الحكومة والزعماء الدينيين. أشادت المقدمة بإحياء المجد العربي الذي تلاشى في الألفية بعد الخلافة الأموية والعباسية والأندلسية. ربما آلت الحرب العظمى بالعرب إلى الدرك الأسفل تحت سيف جمال باشا السفاح، ولكن الشباب السوريين "قاموا ضد الأتراك، ومع الوعود التي حصلوا عليها بالاستقلال الكامل انضموا إلى الحلفاء لتحرير الأراضي العربية".

تضمّن الكتاب إحياء ذكرى المؤتمر السوري نفسه. ففيه تظهر صورة النادي العربي، حيث تقرّر الاستقلال، وصورة مبنى البلدية حيث أُعلن الاستقلال. أما الصورة الأخيرة فتظهر أعضاء المؤتمر الـ 85 وأعضاء الحكومة والملك في وسطهم. كل صورة من هذه الصور أُخذت في يوم إعلان الاستقلال[48].

كان الكتاب في الواقع تأكيدًا للسيادة في مواجهة الخلاف المتواصل. ففي سوريا الداخلية كانت ردة الفعل إزاء إعلان المؤتمر [للاستقلال] إيجابية بغالبية كبيرة. فقد نظمت عدة مدن احتفالات متزامنة في 8 آذار/ مارس. وفي حلب وزّع الحاكم منشورات عن إعلان الاستقلال والأخوّة بين المسلمين والمسيحيين واليهود. وفي النادي العربي أشاد الخطباء بيوم الاستقلال باعتباره يوم الخلاص الجماعي للسوريين الذين عانوا خلال الحرب. وفي حماة المجاورة تجمع مئات الرجال والنساء وحتى الأطفال في مبنى البلدية للاحتفال بالاستقلال. وفي القدس

(47) سعيد طليع (محرر)، **ذكرى الاستقلال السوري** (دمشق: سيوفي إخوان، 1919). كان طليع عضو جمعية العربية الفتاة ونائب طرابلس وصديق دروزة. أعيد نشر هذا الإصدار في القاهرة 1920 ثم أعيد نشره على شرف فيصل بعد وفاته في عام 1933.

(48) شهرستان، ص 135.

تجمع حشد عند بوابة دمشق للاحتفال بالاستقلال السوري ورفض المطالب الصهيونية في فلسطين[49].

إلا أن ردات الفعل في المنطقة الساحلية كانت متفاوتة. ففي طرابلس اختارت النخبة المسلمة الحاكمة أن تنضم إلى المملكة العربية السورية الجديدة. وعلى جدران بيروت العامة ظهرت شعارات تحيي "فجر العصر الجديد". إلا أن الاحتجاجات اندلعت في جبل لبنان، حيث رفض بطريرك الموارنة إعلان الاستقلال وأي انضمام إلى المملكة العربية السورية.

أما ردّة الفعل في الجزيرة العربية فقد كانت متناقضة. كان رئيس المؤتمر هاشم الأتاسي قد أعلم الشريف حسين رسميًّا بإعلان الاستقلال في 9 آذار/ مارس، إلا أن ملك بلاد العرب رفضه كما قيل. وربما هذا ما يفسر تأخر فيصل في إعلام والده شخصيًا حتى 20 آذار/ مارس، حين قرر أن يمسك القلم للكتابة. كان فيصل يعرف أن الشريف حسين لن يرحب بالأخبار عن أن سوريا انسلخت عن سلطانه. كان آنذاك يقاتل عبد العزيز بن سعود من الرياض، الذي كان يهدّد مملكة الحجاز في مكة التي كان على رأسها. اختار فيصل أن يخفف وقع الضربة بدبلوماسية وكذبة بيضاء. ذكّر والده بالمجد الذي أحرزه منذ إطلاق الثورة العربية الكبرى، وقال إن إعلان الاستقلال هو خطوة في اتجاه تحرير العرب الكامل والنهائي والوحدة. وكما ذكر فيصل في رسالته، فقد أعلن العراقيون الاستقلال في اليوم ذاته و"بعون الله بدأنا العمل لإعلان سوريا والعراق مستقلة تحت ملكية جلالتكم".

عارض الشريف حسين كما قيل إعلان الاستقلال، ولكنه لم يقم بإدانة علنية لابنه كما فعل في شباط/ فبراير. وفي غضون ذلك نظّم سكان جدة احتفالًا في نهاية آذار/ مارس[50].

---

(49) U.S. National Archives and Records Administration, Jackson (consul at Aleppo) to Secretary of State, March 13, 1920, RG59 890d.00/9, microfilm 722, roll 8; Postcard "Tatwij al-Amir Faisal Malikan 'ala Suriya, Hama Da'ira al-Baladiya" [Coronation of Prince Faisal as King of Syria, Hama City Hall], accessed on 14/6/2017, at: www.alamy.com. DRHR25; Gelvin, p. 173; Library of Congress Prints and Photographs Division, "Arab Demonstration" and "Anti-Zionist Demonstration at Damascus Gate, March 8th, 1920," LC-M31-13945, Matson Photograph Collection, accessed on 13/9/2018, at: https://bit.ly/3MItdeS

(50) Allawi, pp. 275-277;

شهرستان، ص 106؛ =

في ذلك الوقت، حلّ فيصل الحكومة العسكرية وعيّن حكومة مدنية جديدة برئاسة الركابي أيضًا. كان الركابي معروفًا بموهبته الدبلوماسية، ولذلك كتب إلى حلفاء سوريا السابقين في المجلس الأعلى ليدافع عن شرعية إعلان الاستقلال. أعاد التأكيد للبريطانيين والفرنسيين أن سوريا المستقلة لن تهدد علاقتهم الودية، وأن الاستقلال ضرورة سياسية: كان السوريون قد نفد صبرهم للحصول على حقوقهم وأصبحوا على حافة التمرد. وكما كتب في رسالته: "لقد شعر القسم المستنير من المواطنين أنه من واجبهم إصلاح الوضع قبل أن يسوء أكثر".

أكّد الركابي أيضًا حق السوريين في المطالبة بالسيادة، وأن سوريا جاهزة لتأخذ مكانها في أسرة الأمم المتمدنة. إن سوريا المستقلة ستتعاون لتعزيز السلام في الشرق الأوسط وستحكم بالاستناد إلى مبادئ مؤتمر السلام بالعدل الذي يساوي بين الجميع بغض النظر عن الدين أو العرق.

كان فيصل في البداية لديه ما يبرر اعتقاده بأن فرنسا ربما تقبل بذلك. كان ضابطا الارتباط الفرنسيَّين كوس وتولا قد حضرا احتفال إعلان الاستقلال. وفي 10 آذار/ مارس فاجأ الجنرال غورو فيصل بإرسال برقية تهنئة له "كجنرال كان له الشرف في منحه وسام جوقة الشرف في ستراسبورغ". إلا أنه كمفوضٍ سامٍ تحفظ عن إبداء رأي آخر.

وهكذا بدون علم السوريين أرسل غورو رسالة في اليوم ذاته إلى رئيس الحكومة ميلران يحذّره من أن منشور سوريا أعلن الحكم الذاتي للبنان ضمن سوريا المتحدة بشرط إلغاء كل الامتيازات الأجنبية: "من ناحية أعلن الأمير أن العلاقات بين بلدينا ستبقى ودية. ومن ناحية أخرى يتجرأ على أن يفرض علينا... تأسيس مملكة تَعِدُ بإلغاء نفوذنا في لبنان والزوال السريع للمنطقة الغربية"[51].

---

= Edouard Brémond (Général), *Le Hedjaz dans la Guerre Mondiale* (Paris: Payot, 1931), p. 340.

قام المسؤولون العراقيون بإعلان مواز لاستقلالهم في الاحتفال السوري. وتزعم شهرستان أن الحسين علم بهذا الإعلان في 9 آذار/ مارس وأنه رفضه هو وابنه عبد الله.

(51) تم إرفاق تهنئة غورو في المذكرة رقم 43710 من كوس إلى فيصل، 10 آذار/ مارس 1920؛ من غورو إلى ميلران، 10 آذار/ مارس 1920، في:

Hokayem (éd.), pp. 125-126.

في 15 آذار/ مارس وصل ردّ من باريس ولندن عبر غورو: "إن الحكومة الفرنسية، باتفاق تام مع الحكومة البريطانية، لا يمكن أن تقبل بحقّ المؤتمر في دمشق كي يقرّر مستقبل سوريا وفلسطين وبلاد الرافدين والبصرة. إن هذه المناطق فتحت من قبل جيوش الحلفاء، وهي تحت مراقبة مؤتمر الصلح في هذه اللحظة، ويمكن أن يتحقق مصيرها فقط من خلال تصرف القوى الحليفة معًا... ولذلك فإنّ الجمهورية [الفرنسية] مضطرة إلى الإعلان أنها تعتبر أعمال المؤتمر غير ذات قيمة وفارغة"[52].

بعد أربعة أيام، في 19 آذار/ مارس، صوّت مجلس الشيوخ في الولايات المتحدة للمرة الثانية على رفض معاهدة فرساي والانضمام إلى عصبة الأمم. وهكذا فإنّ "القوة العظمى" التي أشاد بها رضا في عام 1918 باعتبارها أداة الله للسلم العالمي والتي ألهمت تأسيس المؤتمر السوري في عام 1919، تركت الزعماء السوريين الآن ليقاتلوا وحدهم.

---

(52) من غورو إلى فيصل 15 آذار/ مارس 1920، في:
Hokayem (éd.), pp. 148-149.
ينظر أيضًا: شهرستان، ص 109-110.

# الفصل الحادي عشر

# هزيمة الولسونية في سان ريمو على يد الاستعماريين

تناولت الصحف العالمية الإعلان السوري للاستقلال في إطار مشاكل التوترات الطائفية والأطماع الإمبريالية. وهكذا زالت الفرحة الخالصة بالتحرير التي ألهمت الكتابة عنها قبل عام، حين كان الصحافيون لا يزالون يعتقدون أن مؤتمر الصلح في باريس يمكن أن تنبثق منه الديمقراطية والسلام. الآن ظهرت صور قليلة لفيصل وملاحظة بسيطة عن المؤتمر السوري أو عن الدستور الذي وُضع. وعلى الرغم من خيبات الأمل هذه، فقد بقي القادة السوريون يؤمنون بقوّة الصحافة. كان مؤتمر الصلح قد أعلن عن عصر الدبلوماسية العامة والمواثيق العلنية. ولذلك كان الدبلوماسيون لا يزالون مجبرين على الاهتمام بالرأي العالمي. ولكن وراء الأبواب المغلقة، كما اكتشف رستم حيدر بمرارة، استمرت فرنسا وبريطانيا في عقد صفقاتهما الإمبريالية على النمط القديم.

## نقاش علني حول سوريا والمعاهدة التركية

في 16 آذار/ مارس 1920 نشرت صحيفة **التايمز** اللندنية مقالًا عن تتويج فيصل الذي أبرز وجود رجال دين مسيحيين في الاحتفالية. صوّرت الجريدة الاحتفال كعمل تحرّري، وسجّلت تعهّد فيصل بأن العرب "لن يقبلوا أن يكونوا مستعبدين"[1]. ومع ذلك كان يمكن لقراء **التايمز** أن يلاحظوا أيضًا تقارير عن

---

(1) "Feisal's Assumption of Kingship," *The Times*, 17/3/1920, p. 15.

احتجاجات ضد احتلال إسطنبول التي أدت إلى نزاع بين مؤتمر الصلح والشعوب العثمانية على أسس طائفية. وقد استشهدت المقالة بمسلمين هنود اعتبروا الاحتلال عملًا من أعمال الحرب المسيحية ضد الإسلام. وقد طالب هؤلاء باحترام وحدة المسلمين تحت الزعامة الروحية للخليفة العثماني. طالبت الرسائل التي وصلت إلى **التايمز** بشمول المسلمين في النظام العالمي الجديد مكافأة على خدمتهم في الحرب وتنفيذًا للنقطة 12 لولسون، التي وعدت بـ "سيادة آمنة" لتركيا[2].

إلا أن المؤرخ البريطاني البارز أرنولد ج. توينبي خالف آراء المسلمين في رسالته إلى **التايمز**. فقد كتب يقول: "إن تعزيز تركيا لن يغير التوازن الحقيقي في القوى بين المسيحية والإسلام، ولذلك لن يهدّئ من الاستياء الجوهري للمسلمين"[3].

أما جريدة **نيويورك تايمز** فقد أيّدت تتويج فيصل بنشرها لمانشيت في الصفحة الأولى: "سوريا تعلن الحرية والملك"، بينما كانت العناوين الأخرى "المسيحيون في سوريا يؤيدون الاستقلال" و"فيصل يقول: سأبقى صديقًا"[4]، بينما عَنْون فريدريك جون بليس (Frederick Jones Bliss) مقالة أخرى في الصفحة الأولى: "موقف فيصل يستند إلى أسس صلبة مشروعة". كان بليس عالم آثار متقاعدًا متخصّصًا في الأرض المقدسة، وُلد في لبنان، وهو شقيق هوارد بليس رئيس الكلية البروتستانتية السورية الذي قدّم شهادة تأييد لحق تقرير المصير السوري في شباط/ فبراير 1919. وفي مقالته تلك رأى بليس أن فيصل يمكن الوثوق به لبناء دولة متسامحة وحديثة. ومع ملاحظة أن المسيحيين كانوا من بين مستشاريه المقربين وصف بليس فيصل كـ"وطني وقوي وليبرالي التفكير وديمقراطي ليس له طموح شخصي"[5].

---

(2) "Emir Feisal as King of Syria,"; "Indian Moslems' Protest,"; "Coercion of the Turk," *The Times*, 21/3/1920, p. 16; "Arabs' Claim of Independence," 16/3/1920, p. 16; "Prime Minister on Caliphate: Indian Delegation's Case," *The Times*, 22/3/1920, p. 10.

(3) "Constantinople: The Balance between East and West," *The Times*, 25/2/1920.

(4) "Syria Proclaims Freedom and King," *The Times*, 12/3/1920, p. 1; "Christians in Syria Back Independence," March 14, 1920, p. 15; "Still a Friend, Feisal Says," March 18, 1920, p. 2.

=(5) Frederick Jones Bliss, "Basis of the Syrian Claims," *New York Times*, 28/3/1920, p. 1;

أما في الصحافة الفرنسية فقد تفرّدت الجريدة الاشتراكية **لومانيتيه** (*L'Humanité*) بمثل هذا التأييد للاستقلال السوري. ففي مقالة منشورة في 14 آذار/ مارس طالبت الجريدة فرنسا بأن تلبي مطالب المؤتمر السوري وحذّرت من القيام بعدوان عسكري: "الأوقات مضطربة جدًا كي نفكر في إثارة العرب ضدنا في سوريا؛ فالأوضاع في كيليكيا جدية بما فيه الكفاية والصدامات في مرعش، حيث مُنينا بخسائر كبيرة، يجب أن تكون درسًا لنا"(6).

إلا أن معظم الصحف الفرنسية اتّبعت آراء اللوبي الاستعماري ودو كيه. فقد رفضت سلطة المؤتمر السوري سواء لإعلان الاستقلال أو لتتويج فيصل. ولكن لم تؤيد كل الصحف اقتراح دو كيه لمعاقبة سوريا، كما هو الأمر مع تركيا، باحتلالها عسكريًا. فقد صرحت مجلة **لو جورنال دي ديبا** أن "ما يسمى المؤتمر السوري ليس له ولاية"، ووبّخت المسؤولين على ترك الأحداث تتطور لتصل إلى أزمة. أما جريدة **لوم ليبر** (*L'Homme Libre*) فقد وجّهت في مقالها "عش الدبابير السوري" النصيحة الآتية: "لنكن يقظين في حراسة محمياتنا في سوريا، ولكن لنكن يقظين أكثر كي لا نضرب حركة عربية يمكن أن تقودنا إلى حملات يجب أن نتجنّبها". وقد حذّرت أيضًا جريدة **لو تان** بقولها: "إن أي موقف عدائي من جانب القوى [الكبرى] لن يجعل [المؤتمر السوري] إلا أن يصبح أكثر شعبية بين الجماهير المسلمة"(7).

في البرلمان الفرنسي تبنى الاشتراكيون القضية السورية كمعركة في حربهم الطويلة ضد اللوبي الاستعماري. كان زعيمهم مارسيل كاشان (Marcel Cachin) وهو ابن فلاحَيْن من بريتاني (Brittany)، قد نشر قبل الحرب تقارير عن سوء معاملة

---

= من بليس إلى ولسون، 24 آذار/ مارس 1920، ينظر:
*The Papers of Woodrow Wilson Digital Edition,* accessed on 4/6/2018, at: https://bit.ly/38JCPYc. (original ed.: vol. 65).

(6) "En Asie-Mineure," *L'Humanité*, 14/3/1920, p. 3.
المقالة تحمل توقيع "م. ك."، وهما الحرفان الأولان من مارسيل كاشان.

(7) "L'Imbroglio Syrien," *Journal des Débats*, 14/3/1920; "Le Guêpier Syrien," *L'Homme libre* (14 March 1920), p. 1; "L'émir Faiçal proclamé roi," *Le Temps*, 14/3/1920, p. 1.

فرنسا للعرب في الجزائر[8]. وفي كانون الأول/ ديسمبر 1918 كان كاشان قد أدان خطاب وزير الخارجية ستيفان بيشون الذي أكد فيه مطالب فرنسا في سوريا. ووافق على أن فرنسا يجب أن تعارض المطالب الاستعمارية البريطانية، على ألا يكون هذا بواسطة الاحتلال. وذهب كاشان إلى أكثر من ذلك عندما قال إن على فرنسا أن تعيد توطيد صداقتها مع العرب بالاستناد إلى قيم الجمهورية المشتركة في الحرية والأخوة، مضيفًا أن "سوريا تطالب أن تكون حرة: إنه العقد الجوهري لفرنسا".

أما الآن، وبعد سنة من ذلك، فينتقد كاشان مهمة غورو باعتبارها خطرًا على حق السوريين في تقرير المصير. فحسب رأيه كان كليمنصو قد رفض أي خطة لاحتلال دائم[9] (كان رئيس الوزراء السابق في رحلة إلى مصر وعلم بالاستقلال من خلال الرسائل التي وصلته إلى فندقه في الأقصر. لم يعلّق كليمنصو بشكل علني ولكنه أشار إلى ذلك بـ"ثورة فيصل" في رسالة إلى ابنه في 19 آذار/ مارس)[10].

في 26 آذار/ مارس وقف كاشان في مجلس النواب ليدافع عن المؤتمر السوري. اعترف بأن حقوق التصويت بحرية لم تصل بعد إلى الريف السوري، ولكنه أكد أنها "ستصل" وقال متسائلًا: "كيف يمكن لهذا المجلس الجمهوري أن يحتج ضد الممارسة العامة للتصويت؟". ومع ارتفاع أصوات المعارضة ضده تابع كاشان: "حسنًا، لقد أسيء فهمي. حاليًا في سوريا (التصويت العام) يجري

---

(8) Marcelle Hertzog-Cachin, *Regards sur la vie de Marcel Cachin* (Paris: Éditions Sociales, 1980), pp. 7-8, 46-49, 67-79.

حتى 1969 كان الحزب الاشتراكي يسمى رسميًا "الفرع الفرنسي للأممية العمالية" SFIO وفي عام 1920 قاد كاشان Cashin حركة منشقة أنشأت الحزب الشيوعي الفرنسي.

(9) *Journal officiel-Chambre,*

27 و29 كانون الأول/ ديسمبر 1918؛ 23 كانون الأول/ ديسمبر 1919؛ 5 شباط/ فبراير 1920، تم الوصول إليه رقميًا من خلال موقع المكتبة الوطنية الفرنسية غالاسيا في 10 نيسان/ أبريل 2019، في:
https://bit.ly/3wOl3uM; https://bit.ly/3MJXfPo; and https://bit.ly/3sSIlP5

(10) Sylvie Brodziak & Jean-Noel Jeanneney (eds.), *Georges Clemenceau: Correspondance 1858-1929* (Paris: Robert Laffont, Bibliothèque National de France, 2008), p. 542.

في المدن الكبرى بسوريا. هذه المدن، كما تعرفون، متقدمة جدًا وذكية جدًا. ففي دمشق يُلفت النظر أكثر من عشرٍ من الصحف اليومية، التي تعكس مستوىً أخلاقيًا وثقافيًا متقدمًا".

تابع كاشان كلامه: "قبل عدة أيام كان هناك اجتماع للأعيان، الذين انتُخبوا بأفضل شكل مناسب في تلك البلاد. لقد اتخذوا قرارات يجب عليكم اعتبارها مقدسة جدًا. لقد أعلنوا أنهم يريدون الاستقلال في سوريا وانتخبوا حكومة نظامية، وحتى أنهم اختاروا ملكًا". وهنا عادت أصوات الاحتجاج من اليمين في المجلس.

استمر كاشان في كلامه: "سيكون خطيرًا جدًا التصرف ضد رغبة هؤلاء الرجال الذين يحترمون تمامًا... حرية كل شعب في أن يحكم نفسه". جاء الآن التصفيق من الجانب اليساري من المجلس. تابع كاشان "حين انعقد الاجتماع [للمؤتمر السوري] قام مفوضنا السامي في سوريا الجنرال غورو بإرسال أحد ضباطه ليهنئ الأمير فيصل، وقد مُدح ذلك الضابط".

ولكي يعيد النواب الفرنسيين إلى واجبهم المقدس في دعم الديمقراطية قام كاشان بعدها بقراءة النص الكامل لإعلان الاستقلال السوري. ختم كاشان قراءته مشيرًا إلى الدعاية التي انصبت على الحرب العظمى باعتبارها معركة في سبيل الديمقراطية: "لا تصدّقوا الدعاية الكبيرة التي نشرتها الديمقراطيات الغربية خلال خمس سنوات. إنها لم تثمر شيئًا". إن الشعوب التي سمعت ذلك مندهشة اليوم من رؤيتها عكس ما سمعت. فعندما يعلنون الحرية والاستقلال الكامل نردّ على ذلك بإرسال المدافع والحراب. إن عصر الإمبريالية قد انتهى"[11].

تبدّدت كآبة رستم حيدر. أرسل برقية مبتهجة بالنصر إلى فيصل يصف فيها كيف قام كاشان بقراءة إعلان [الاستقلال السوري] في المجلس. طلب

---

(11) *Journal officiel-Chambre*, March 26, 1920, pp. 739-740, accessed on 10/4/2019, at: https://bit.ly/38bV7RA

كان كاشان يشير إلى العقيد كوس، الذي أرسل الجنرال غورو من خلاله تهنئته الشخصية في 10 آذار/ مارس.

الصحافيون المتعاطفون إجراء مقابلات معه. إلا أن حماسة حيدر بهتت بسبب ردة فعل الموارنة اللبنانيين الذين لقّبوا فيصل بـ"الشيطان". كان تأثيرهم واضحًا حين قام دبلوماسي فرنسي بإلقاء محاضرة عامة عن سوريا ركّز فيها فقط على الحاجة إلى حماية المسيحيين.

شكا حيدر في يومياته من المعايير المزدوجة للديمقراطية في سوريا مقابل ألمانيا: "حكومة إيبرت (Ebert) تمثل المجلس المنتخب من قبل الشعب. وهنا يظهر أن مؤتمر الصلح لا يريد أن يعترف بالمؤتمر السوري كممثل حقيقي للسوريين". اشتكى من أن السوريين يحتاجون إلى مزيد من المال والرجال والوقت ليقنعوا الأوروبيين بأنهم قادرون على الاستقلال. وحين زار حيدر الكي دورسيه للدفاع عن القضية السورية في 30 آذار/ مارس وجد أن الفرنسيين يرفضون الاعتراف بفيصل ملكًا[12].

في هذا الوقت كان دو كيه قد استنفر شبكة علاقاته لإسكات مؤيدي الاستقلال السوري. ففي مجلس النواب عمد اللوبي الاستعماري إلى تشويه سمعة ليبرالية الاشتراكيين بربطها بالتهديد البلشفي. ومن بيروت ضخّم دو كيه إنذار اللوبي [الاستعماري] بتصوير فيصل نفسه كعميل بلشفي. ففي رسالة له إلى مندوب فرنسي إلى مؤتمر الصلح في 23 آذار/ مارس كتب يقول إن فيصل "يلعب على الولسونية ليجعل م. كاشان يبكي برقّة... إنه سيرفع شبح البلشفية، الموجود في آسيا، إن لم تسلّم له الأمة العربية".

إن رسالة دو كيه تعلن بوضوح ما كان يلمّح إليه في السابق: يجب تدمير المملكة العربية السورية. فقد جاء في رسالته: "لا يمكن أن نتسامح طويلًا مع هكذا نظام... إنه [فيصل] لن يقبل أبدًا أن يكون ملكًا على دمشق وحلب تحت الوصاية الفرنسية"[13]. رفض دو كيه الحكومة السورية باعتبارها "خدعة في

---

(12) رستم حيدر، **مذكرات رستم حيدر**، تحقيق نجدة فتحي صفوة (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1988)، ص 588-600.

(13) MAE-Courneuve, de Caix to Kammerer, March 23, 1920, PAAP 353 vol. 3/microfilm 11203, = 211-14.

المقام الأول" والمؤتمر باعتباره "ولسونية مموّهة" يُستخدم ليغطي على الهجوم المتطرف على فرنسا. كما أنه اتهم النواب السوريين ببناء شعبية لهم ليس بواسطة الانتخابات وإنما من خلال الهجوم على المسيحيين "لكي يُظهروا أننا عاجزون عن حماية المتعاملين معنا"[14].

لم يكن روبير دو كيه وحده من يرى في أزمة الإعلان السوري [للدستور] فرصة سانحة للعمل.

## كرزون يخرج من الخزانة

في شباط/ فبراير دافع الرئيس وودرو ولسون عن مبادئه بأقوى الكلمات في مذكراته إلى مؤتمر لندن حول تركيا. ولكن بعد رفض مجلس الشيوخ في 19 آذار/ مارس معاهدة فرساي والعضوية في عصبة الأمم، لم يعد ولسون في وسعه أن يدّعي أن للولايات المتحدة دورًا في صياغة معاهدة سلام مع تركيا.

ومع انسحاب الولايات المتحدة من المفاوضات ظهرت الأيدي الإمبريالية على حقيقتها. وحتى حين كانت بريطانيا وفرنسا تتملقان المجلس الأعلى باعتباره العرّاب النزيه لعصبة الأمم، إلا أنهما كانتا تستغلانه لمصلحة دولتيهما. وكان اللورد كرزون قد وصف عصبة الأمم بشكل واضح باعتبارها فدرالية للدول

---

= ملاحظة: نشر خوري هذه الرسالة وأخطأ في اعتبارها موجهة إلى برتلو في كتابه:
Gérard D. Khoury, *Une Tutelle coloniale: Le Mandat français en Syrie et au Liban* (Paris: Belin, 2006), pp. 220-225;

لقد وجدتُ هذه الرسالة في باريس في ملف بعنوان "رسائل إلى كامِرِر Kammerer. في 31 آذار/ مارس كتب دو كيه مرة أخرى إلى كامِرِر يقول فيها إنه لا يريد أن يكتب له رسالة طويلة لأنه لن يقرأها:
(Khoury, *Une Tutelle coloniale*, p. 226).

كما أن حكيم Hokayem يصنف هذه الرسالة باعتبارها موجهة إلى كامِرِر:
Antoine Hokayem (éd.), *Documents diplomatiques français relatifs à l'histoire du Liban et de la Syrie à l'époque du mandat: 1914-1945*, vol. 2 (Paris: l'Harmattan, 2003), p. 164.

(14) Gérard D. Khoury, *La France et l'Orient arabe: Naissance du Liban moderne, 1914-1920* (Paris: Albin Michel, 2009), p. 330.

في 28 آذار/ مارس أثار زعيم اللوبي الاستعماري عاصفة من التصفيق في مجلس النواب عندما قال في خطابه إن فيصل "يهدّد برمينا إلى البحر!".

المستقلة، وليست هيئة عليا لها سلطة على الدول، وذلك في خطابه بمناسبة افتتاح جلسات المجلس [الأعلى] في كانون الثاني/ يناير. كانت لملاحظاته علاقة خطيرة بسوريا. وكان وزير الخارجية روبرت لانسينغ قد حذّر ولسون قبل سنة من أن العيب الجوهري لنظام الانتداب يكمن في عدم تحديده مرجعية السيادة، وهو ما فتح الحظيرة للذئاب[15]. بقيت مسألة السيادة مفتوحة للتساؤل سنة أخرى إلى أن أسّست عصبة الأمم "لجنة الانتدابات الدائمة" لمراجعتها في ذلك.

وهكذا في نيسان/ أبريل 1920 أصبح لدى بريطانيا وفرنسا الحرية في استغلال الالتباس في نظام الانتداب لصالحهما. ومع تحررهما من كبح الرئيس ولسون اندفعتا في تصميم الشرق الأوسط بالاستناد إلى اجتماعهما السري في 1 كانون الأول/ ديسمبر 1918. ماحدث بعدها هو نوع من الفوضى في عقد الصفقات التي أطلق عليها المؤرخ ليونارد سميث (Leonard Smith) "العقود الإمبريالية"[16].

كانت العواقب وخيمة ليس على سوريا فحسب، ولكن أيضًا على مستقبل عصبة الأمم والقانون الدولي في جميع أنحاء الشرق الأوسط. فقد حوّلت بريطانيا وفرنسا الأدوات التي أرادها ولسون لتكون لحماية حقوق الشعوب الصغيرة، إلى وسائل شرعية للسيطرة الإمبريالية. فقد استخدمتا الانتداب كي تفرّغا حقوق المحكومين لمصلحة القوى الإمبريالية، وكل ذلك باسم عصبة الأمم.

في هذه المرة ترك رؤساء الحكومات التفاصيل بيد مرؤوسيهم مثل كرزون

---

(15) روبرت لانسينغ، مقتبسًا من 3 شباط/ فبراير 1919، مذكرة في:
Robert Lansing, *The Peace Negotiations: A Personal Narrative* (Boston: Houghton Mifflin, 1921), pp. 151-153.

كان لانسينغ (Lansing) مثل كرزون يعزف عن الاعتراف بالسلطة السيادية لعصبة الأمم. وبالنسبة إلى ولسون ينظر:
*The Papers of Woodrow Wilson Digital Edition,* November 12, 1919, accessed on 17/5/2018, at: https://bit.ly/3sTWmMs. [vol. 64, print version].

(16) Leonard V. Smith, *Sovereignty at the Paris Peace Conference of 1919* (New York: Oxford University Press, 2018), pp. 47-52, 74-81, 222-226, 250-256.

الاقتباس في الصفحة 4.

ودو كيه. كان كرزون يعتقد أن الإمبراطورية البريطانية وسيلة للإرادة الإلهية على الأرض. لم يكن مساعده سوى هوبرت يونغ، ذلك الذي رافق الجيش العربي إلى دمشق في تشرين الأول/ أكتوبر 1918. وفي حين أن لويد جورج عمليًا كان قد غسل يديه من سوريا بعد سحب القوات البريطانية، كان كرزون لا يزال ينظر إليها بعين الطمع. كان يقوم بذلك، متهكمًا، باسم التمسك بمبادئ ولسون. فقد كتب قائلًا: "لأجل سلامة إمبراطوريتنا الشرقية سأتوصل بسرعة إلى اتفاق مرضٍ مع العرب قبل أن أتمكن من ذلك مع فرنسا. ألا يجب أن نمارس سياسة حق تقرير المصير إلى أقصى الحدود الممكنة؟"[17].

تواطأ دو كيه على خطف الأداة الولسونية: أقنع رجال الدولة الفرنسيين بالتخلّص من تفسيرات كليمنصو الضيّقة للانتداب لأجل فرض سيادة فرنسا الكاملة والحصرية. وحين حصل على ذلك قال دو كيه إن الانتداب سينهي التدخل البريطاني في سوريا وسيمكّن من تدمير دولة فيصل. كان دو كيه يعتمد على تأييد بول كامبون (Paul Cambon) سفير فرنسا العجوز في لندن والحاكم السابق في تونس. تمكّن الاثنان في النهاية من خداع كرزون، نائب الملك السابق في الهند. كان كرزون يتمتع بخبرة في الإدارة أكثر من السياسة، ولذلك سار مباشرة نحو الشرك الذي أعدّه دو كيه[18].

جاءت لحظة الحقيقة لكرزون في اليوم الذي علم فيه بإعلان استقلال سوريا. كان أمام خيارين [كلاهما مرّ]: أن يترك سوريا للفرنسيين أو أن يعترف بالاستقلال السوري. ولكن كل خيار أمام كرزون المتعطش للإمبراطورية كان يعني ولدواعي حسرته استبعاد بريطانيا. في شباط/ فبراير كانت النقاشات في مؤتمر لندن قد منحت فرنسا فعليًا الانتداب على سوريا. اضطر كرزون إلى أن يختار بينهما ردًا على الإعلان السوري في 8 آذار/ مارس: فقد أذاع هذا في

(17) John Fisher, *Curzon and British Imperialism in the Middle East 1916-1919* (New York: Routledge, 1999), pp. xi-xvi, 237; Harold Nicolson, *Curzon: Last Phase 1919-1925* (London: Constable, 1934), pp. 6-8, 194-195, 201-202.

(18) عن مشيئة الله، يُنظر:

Nicolson, p. 16.

العالم أن غالبية السوريين يفضّلون الاستقلال الوطني، وهي الحقيقة التي حاول البريطانيون إخفاءها بواسطة تغييب تقرير كينغ-كراين.

كان هوبرت يونغ، مساعد كرزون، يفضّل حلًا وسطًا: يمكن لبريطانيا أن تصرّ على سيادة المجلس الأعلى على [تقرير] مستقبل سوريا، وفي الوقت نفسه تشير إلى احترام رغبة المحكومين بوعد فيصل بالحكم تحت الانتداب. كان يونغ جنديًا في الخامسة والثلاثين حين شهد دخول فيصل إلى دمشق في تشرين الأول/ أكتوبر 1918، وبقي واحدًا من أقوى مؤيديه في وزارة الخارجية[19].

في ما بعد نشر يونغ سردًا للأزمة التي واجهها كرزون في مفاوضاته مع الفرنسيين:

> حين وصلت الأخبار إلى لندن، طلب السفير الفرنسي فورًا مقابلة اللورد كرزون. كان هناك اجتماع لمجلس السفراء في غرفة كرزون بعد ظهر ذلك اليوم، وقال إنه سيقابِل السفير الفرنسي مباشرة بعد الاجتماع. كنتُ حاضرًا في الاجتماع، وحين أُحضر الشاي بعد النقاش ذكّرت اللورد كرزون بوعده.
>
> رد علي: "ولكن لا أعرف ماذا أقول له. تعال معي للخارج ولنناقش ذلك بهدوء". قادني إلى غرفة المعاطف المجاورة لغرفته، وبدأنا نقاشًا مفعمًا بالحيوية ومن حولنا قبعات ومعاطف الدبلوماسيين المجتمعين. أردتُ أن يكون رفض إجراءات دمشق مشفوعًا بنوع من الرسالة المشجعة، ولكن اللورد كرزون لم يوافق وبقينا نتناقش إلى أن أطلّ سكرتير برأسه محاولًا أن يقول شيئًا...
>
> بعد عدة دقائق أطلّ السكرتير برأسه مرة أخرى ما جعله (كرزون) ينفجر في نوبة غضب صارخًا: "ألا يمكن أن أُترك بدون إزعاج لدقيقة؟ إنني أناقش مسألة مهمة جدًا". اعتذر السكرتير: "آسف سيدي، ولكن السفير الفرنسي لا يزال ينتظر في غرفتك ويريد أن يعرف ما إذا كان سيبقى أو يذهب". توجّه إليّ اللورد كرزون باستياء قائلًا: "إنك الرجل الذي يمنعني من رؤية السفير.

(19) Timothy J. Paris, *Britain, the Hashemites and Arab Rule 1920-1925* (London: Frank Cass, 2003), pp. 70-71.

لماذا لا تتركني أقول له ما أريد قوله؟ أجبته: "لأنني أرى أنك على خطأ يا سيدي". رد عليّ: "وأنا أرى أنك على خطأ. حسنًا، يجب أن أذهب لأقابله وأقول له شيئًا". قال ذلك وابتعد عني[20].

اتفق كرزون وكامبون بعد ذلك على إرسال رسالة مشتركة إلى فيصل يرفضان فيها الاعتراف بوضعيته كملك وبشرعية المؤتمر السوري. كانت مذكرة 15 آذار/ مارس، التي أوصلها غورو (ينظر الفصل العاشر) تدعو فيصل إلى السفر إلى أوروبا لحلّ الوضعية المستقبلية لسوريا، وهو الأمر الذي سيرغمه على الاعتراف بسيادة المجلس الأعلى على سوريا. وفي الواقع كان الرجلان قد توافقا على الحفاظ على صرح إمبراطورية القرن التاسع عشر مع تجاهل التأييد الولسوني للمؤتمر باعتباره هيئة تمثيلية منتخبة للشعب السوري، عبّرت عن صوتها في إدانة المسائل الاستعمارية. ولم يختم كامبون وكرزون ذلك بالتشكيك الواضح بمبادئ ولسون فقط، بل برفض المؤتمر كـ"جسم انعقد ذاتيًا من دون طابع تمثيلي أو سلطة". إلا أن هذا المخطط أثار حتى لويد جورج، الذي أرسل مذكرة خاصة إلى كرزون في اليوم ذاته يقول فيها إنه كان "مضطربًا جدًا من قرار وزارة الخارجية... لرفض الاعتراف بقرار دمشق"[21].

في النهاية حظي كرزون بتأييد سياسته بسبب ضمّ السوريين فلسطين في إعلانهم [للاستقلال] بالتزامن مع إعلان عراقيين في دمشق استقلال بلاد الرافدين. كما أن الصهيونيين رأوا خطرًا في التنازل عن السلطة إلى دمشق، بينما عارض المتشددون في مكتب الهند أي شكل للحكم الذاتي للعرب. كان الجميع يخشون هذا المنحدر الزلق: إذا تمّ الاعتراف باستقلال شعب فستقوم

---

(20) Major Sir Hubert Young, *The Independent Arab* (London: John Murray, 1933), pp. 304-306.

قال كرزون إنه سمع لأول مرة بالتتويج في 8 آذار/ مارس.

من كرزون إلى ألّنبي، في:

R. Butler (ed.), *Documents on British Foreign Policy,* First Series, vol. 13 (London: Her Majesty's Stationery Office, 1963), p. 232.

(21) Paris, p. 70;

من كرزون إلى ألّنبي، 19 آذار/ مارس 1920، في:

Butler, (ed.), p. 231.

الشعوب الأخرى لتطالب بالأمر نفسه. وكما كشف يونغ لاحقًا للبرلمان البريطاني فقد أُرغمت وزارة الخارجية على القبول بتواز دقيق: إذا كانت بريطانيا تريد حرية التصرف في بلاد الرافدين فيجب أن تسمح بذلك لفرنسا في سوريا[22].

ربما كان في وسع السوريين أن يكسبوا التأييد البريطاني والفرنسي لو اختاروا أن يعلنوا استقلالًا جزئيًا فقط يشمل المنطقة الشرقية في سوريا الداخلية. كان الإمبرياليون البريطانيون غاضبين لأن إعلان 8 آذار/ مارس لم يشمل سوريا الجنوبية - فلسطين البريطانية المحتلة - فحسب، وإنما رافقه أيضًا إعلان عراقي منفصل للاستقلال. كما أن الليبراليين الفرنسيين كان لا يمكنهم أبدًا أن يفوزوا على اللوبي الاستعماري في حال تنازلوا عن لبنان. إلا أن إعلان [الاستقلال] الجزئي لم يكن خيارًا سياسيًا على كل حال. فقد كان نصف النواب الذين اجتمعوا في 8 آذار/ مارس من المنطقة الشرقية، بينما كان النصف الآخر من لبنان وفلسطين[23]. ونظرًا إلى أنّ الإعلان السوري كان تأكيدًا للحق والمبدأ، فقد كان من الصعب استبعاد بعض السوريين لمصلحة آخرين.

في 1 نيسان/ أبريل كتب فيصل رسالة عاجلة إلى الرئيس وودرو ولسون راجيًا إياه العمل على مساعدة سوريا: "استخدم قوتك ونفوذك للدفاع عن قضيتنا بالاستناد إلى مبادئك العادلة". إلا أن مناشدته هذه لم تحظ بردّ[24]. جاء توقيت الرسالة بعد عام تقريبًا عندما احتسى فيصل كأسًا نادرًا من الشمبانيا مع لورنس للاحتفال بتصويت المجلس الأعلى لإرسال لجنة تحقيق إلى سوريا. جاءت هذه

---

(22) Paris, p. 72.

(23) لا يوجد بيان لأولئك الحاضرين في التصويت الحاسم في 7 آذار/ مارس. إن هذا التقرير يعتمد على صور النواب المجتمعين في لحظة إعلان الاستقلال والتي نشرت في الكتاب التذكاري الرسمي للاستقلال: سعيد طليع (محرر)، **ذكرى استقلال سوريا** (القاهرة: مطبعة إبراهيم ويوسف برلادي، 1920).

(24) MAE-Courneuve, French translation of Faisal's letter to Wilson, April 1, 1920, and telegram received April 13 from Jusserand, Washington, in P1312 Levant 1918-1929, Syrie Liban, vol. 26: 89-91, 144-45.

الرسالة بعد ستة شهور من وضع تقرير لجنة كينغ-كراين في الدرج إثر تعرّض ولسون لجلطة دماغية، وبعد أسبوعين من تصويت مجلس الشيوخ باستبعاد أي دور أميركي في عصبة الأمم.

حاول رستم حيدر خلال الأسبوعين الأولين من نيسان/ أبريل الحصول على مقابلة مع اللورد كرزون. كان طاقم ميلران في الكي دورسيه يلحّ على أنهم لن يعترفوا بفيصل إذا لم يفعل البريطانيون ذلك. ولذلك سافر حيدر إلى لندن مع المبعوث الثاني لفيصل نوري السعيد. وجدوا فيليب برتلو في فندق هايد بارك. كان حيدر يعرف برتلو جيدًا من الفترة الكثيفة للمفاوضات التي أدت إلى اتفاقية 6 كانون الثاني/ يناير مع كليمنصو. كان برتلو قد خسر منصبه المتقدّم في وزارة الخارجية الفرنسية بعد استقالة كليمنصو، ولكنه بعد ذلك عُيّن ممثلًا في مؤتمر لندن حول تركيا. اعتذر برتلو عن عدم قدرته على المساعدة، ولكنه حذّر السوريين من أن ميلران لا يشارك كليمنصو في آرائه المتعاطفة مع فيصل. قال لهما قبل الافتراق: "إنني شخصيًا أبارك لسموه ملكًا على سوريا وأرجوكم أن تبلغوه تحياتي له ولزوجته"[25].

قرّر المبعوثان السوريان أن يسعيا إلى كسب تأثير كرزون ضد ميلران والمطالبة بتجديد الدعم المالي البريطاني لممثلي الحجاز [في مؤتمر الصلح]، بعد أن توقف دفع رواتبهم منذ فترة. في النهاية، في 15 نيسان/ أبريل وافق كرزون على مقابلتهم على أن يأتوا إلى مقر إقامته بسبب مرضه.

وصل رستم حيدر ونوري السعيد إلى بيت كرزون في الساعة السادسة والربع ولم يغادروه إلا حوالى الساعة الثامنة. كانت كل دقيقة تمثل معاناة كاملة. ادعى كرزون أنه لا يستطيع أن يعترف بالحكومة السورية لأنها في أراضي العدو المحتلة التي هي تحت نظام عسكري مؤقت. رفض حيدر والسعيد منطقه: لقد وافق مؤتمر الصلح على استقلال أرمينيا، فلماذا لا يعترف باستقلال سوريا؟ كان كلاهما جزءًا من الإمبراطورية العثمانية وكلاهما ثار ضدها. قام كرزون بحرف

(25) حيدر، ص 606.

حجتهما مدعيًا - على عكس آرائه التي عبر عنها سابقًا - أن مؤتمر الصلح هو فقط من له السلطة في تقرير مصير سوريا، وأن المؤتمر قرر أن يعاود انعقاده في سان ريمو (إيطاليا) في غضون يومين.

تظاهر كرزون بالتعبير عن أسفه لأن فيصل لم يقبل دعوته لحضور المؤتمر. قال حيدر لكرزون إن الحلفاء إذا اعترفوا بفيصل ملكًا فسيحضر المؤتمر. حاول هوبرت يونغ مساعد كرزون التوصل إلى حل وسط وذلك بصياغة برقية جديدة إلى فيصل:

> ليس لدينا مانع من استقلال سوريا ولكن هذا لا يمكن الاعتراف به إلا من قبل مؤتمر السلم. يمكنكم أن تؤكدوا للشعب أنه لأجل أن نتمكّن من الاعتراف رسميًا به فحضوركم ضروري. نحن على يقين من أن الأحوال قد تبدّلت وأنك لم تعد مجرد أحد قواد الحلفاء فحسب، إلا أن مؤتمر السلم هو وحده القادر على أن يعترف بكم على غير هذه الصفة[26].

في الواقع كان كرزون لا يزال يعتزم التواطؤ مع دو كيه لإلغاء اتفاقية 6 كانون الثاني/ يناير التي اعترفت بالاستقلال المؤقت لسوريا.

كانت اللحظة الولسونية التاريخية (Wilsonian Moment) قد ولّت بسرعة وأصبحت تاريخًا. كان الليبراليون المعادون للإمبرياليين في أوروبا يمارسون معارضة خافتة في الصحف. أما الأصوات الأميركية فقد صمتت.

ولسوء حظ السوريين، فقد أصيب هوارد بليس رئيس الكلية البروتستانتية السورية بالسلّ وتوفي بسرعة. شعر السوريون ببالغ الحزن والأسى. أرسل أعضاء القصر الملكي والمؤتمر [السوري] والحكومة، بمن فيهم وزير الدفاع يوسف العظمة، تعازيهم الحارة إلى أسرته. فقد جاء في برقية إحسان الجابري كبير أمناء فيصل "إلى السيدة بليس، إن مصيبتكم هي مصيبة كل البلاد"، وكتب رشيد رضا: "إن المؤتمر السوري يعبّر عن تعاطفه" لفقدان "الرئيس المحبوب". أما النادي العربي، الذي كان يوصف بالمتطرف من قبل الفرنسيين والبريطانيين، فقد نظّم

---

(26) المرجع نفسه، 615-617.

عزاء عامًا في دمشق لـ "التعبير عن التقدير العالي للشعب الأميركي ومبادئه النبيلة في قلوب السوريين"[27].

أصبح مصير سوريا الآن بيد قدماء المشاركين في اللعبة الإمبريالية الكبرى، رجال الدولة الذين يجتمعون في الفنادق الفيكتورية (Victorian) المسدلة الستائر وفي المكاتب. لم يهتم كرزون ولا كامبون بكون السوريين يظهرون مقدرة على ممارسة الحكم الحديث. كما أن تقارير الاستخبارات الفرنسية حول المناقشات المؤثرة والمثمرة في المؤتمر السوري تمّ تجاهلها[28].

كان من اللافت في هذه الأسابيع العصيبة غياب الرجل الذي كان أول من أثار القضية السورية: لورنس. فقد اعترف لورنس في شباط/ فبراير في رسالة إلى زميله الضابط السابق ستيوارت نيوكمب (Stewart Newcombe) "لقد فشلت بشدة في محاولة عمل شيء. وكان علي إما أن أبذل جهدًا أكثر كي ينجح العمل، أو أن لا أفعل شيئًا"[29].

كشفت رسالته عن مشاعر رجل مكتئب. فمنذ أيلول/ سبتمبر، حين اقترح على كرزون ضرورة الاعتراف باستقلال سوريا كما جرى مع بولونيا وسلوفاكيا، عانى لورنس من عزلة سياسية. وقد أدان هوبرت يونغ شخصيًا لورنس على نشره أسرارًا دبلوماسية في **التايمز**. ولكن حتى نشر هذه الأسرار لم يساعد القضية السورية في النهاية. فقد غسلت بريطانيا يديها عن فيصل مرغمة إياه على الذهاب إلى باريس.

كان لورنس في الواقع يعاني من تأثيرات التغطية المنتظمة للصحف، التي جعلت منه شخصًا مشهورًا لمآثره في الجزيرة العربية في الوقت الذي كان يواجه هزيمة كاملة في لندن. كان أكثر ما يثير غضبه أن لويد جورج استمر في مدحه

(27) American University of Beirut, Jafet Library, Special Collections, "Condolence Letters Received on the Death of Dr. Howard Bliss," file in Howard Bliss Collection 1902-1920, AA: 2.3.2.1.1.19.

(28) MAE-Courneuve, "Weekly Report on Political Affairs," Beirut, April 20, 1920, Série E-Levant 1918-1929, vol. 28; Direction des Affaires Politiques et Commerciales, 15-27 mai 1920; Carton 313 Dossier 1/Syrie-Liban-Cilicie/Dossier générale.

(29) David Garnett (ed.), *The Letters of T. E. Lawrence* (New York: Doubleday, 1939), pp. 298-299.

للصحافيين باعتباره بطلًا[30]. وفي ردّه على ذلك قرّر أن يغيّر اسمه، بل رغب في أنه لو كان باستطاعته أن يغيّر وجهه أيضًا ليصبح "محبوبًا أكثر". سعى إلى الاختفاء، ولم يعط عنوانه الجديد إلا لعدد قليل من الأشخاص. وكما أسرّ إلى نيوكمب "تركت أكسفورد وأتجول في بلدة بيمليكو (Pimlico) (لندن). إنها أفضل من النظر إلى اللورد كرزون".

في غرفته في بيمليكو كان لورنس يكافح لإكمال مخطوطته التي ستُنشر لاحقًا بعنوان: **أعمدة الحكمة السبعة**. أدان لورنس "الصفقة المخزية" التي عقدتها بريطانيا مع فرنسا لكسب بلاد الرافدين، وتكفيرًا عن فشله، فقد عبّر لورنس عن اشمئزازه الأخلاقي في كتابه هذا. ففي مقدمة الطبعة الأولى ندّد بالعنصرية الجامحة للنظام الدولي:

> إذا كنت قد أعدتُ إلى الشرق بعض احترام الذات وهدفًا ومُثلًا عليا، وإذا جعلت معيار قيام الأبيض بحكم الأحمر أمرًا أكثر إلحاحًا، أكون قد وُفّقتُ إلى حد ما في تحقيق التناغم بين هذه الشعوب وبين الاتحاد الجديد للدول، حيث تنسى الأجناس المسيطرة فيه انجازاتها الوحشية، ويمكن للأبيض والأحمر والأصفر والبني والأسود أن يقفوا معًا، من دون النظر إلى بعضهم البعض، لخدمة العالم كلّه[31].

## ولسون يتأهب للمباراة الإمبريالية في سان ريمو

تسارعت الأحداث إلى الأمام. في الوقت الذي قابل حيدر كرزون، كان الأخير قد تبادل تقارير سرية حول المؤتمر السوري مع كامبون. كان الرجلان قد أرسيا في

(30) Bodleian Libraries at Weston Library, Special Collections, Oxford, Lawrence to Curzon, September 27, 1919, in MS.Eng.d.3327 Letters from T. E. Lawrence, 94-100, and Fareedah el Akle to Lawrence, March 30, 1920, in MS Eng.d.334, copies of the Letters of T. E. Lawrence, 467-471; Jeremy Wilson, *Lawrence of Arabia: The Authorized Biography of T. E. Lawrence* (New York: Atheneum, 1990), pp. 621-626, 631; Philip Knightley & Colin Simpson, *The Secret Lives of Lawrence of Arabia* (New York: McGraw-Hill, 1969), pp. 153-157.

(31) الاقتباس من مقدمة طبعة عام 1922 لكتاب **الأركان السبعة** (*Seven Pillars*)، رسالة إلى س. ف. نيوكومب، 16 شباط/ فبراير 1920، ورسالة إلى ف. ن. دبلداي، 20 آذار/ مارس 1920، في: Garnett (ed.), pp. 263, 298-299, 300-302; Wilson, p. 630.

الاجتماعات السرية تفاهمًا مشتركًا حول الانتدابات. وعلى النقيض من البرقية التي صاغها يونغ [إلى فيصل] اقترح كرزون أن يعترف به مؤتمر الصلح ملكًا في حال فوزه بذلك في انتخابات صالحة. إلا أن كامبون رفض ذلك، وأصرّ على أن مؤتمر الصلح لا يمكن أن يعترف بقرارات لمؤتمر غير شرعي. أما الانتخابات فيمكن أن تُعقد فقط بعد أن تحصل فرنسا على الانتداب. اتفق الرجلان أخيرًا على حذف التفاصيل حول الحكم في الانتدابات التي سيقرّها المجلس الأعلى في سان ريمو[32].

كان دو كيه يخشى من أن برتلو يمكن "أن يترك سوريا تذهب إلى الشيطان". كان برتلو يتجاهل البرقيات المثيرة للقلق التي كان يرسلها دو كيه من بيروت. وفي حالة من اليأس أطلق دو كيه العنان لخوفه ووجّهه إلى المبعوث الشاب في المؤتمر ألبير كامرر (Albert Kammerer). فقد حذّره من أن الحمقى تابعي ولسون "تجاهلوا هدف المؤتمر السوري في طرد فرنسا من لبنان ومن سوريا أيضًا". وكتب إليه: "حين يدعم رجال من أمثال م. كاشان الشريفية (Sharifianism) كتعبير عن الإرادة القومية الواعية، فهم عادة يفعلون ذلك بدافع من الهوس لمعارضة كل السياسات التوسعية لبلادنا أكثر من أن يكون ذلك بدافع من الرغبة لضمان السلام والتقدم في الشرق". نصح دو كيه كامرر أيضًا بأن يكون حذرًا من آراء ضابطي الارتباط في دمشق تولا وكوس اللذين يعبدان "القديس فيصل"، موصيًا بأن يتم نقلهما خارج سوريا[33].

في غضون ذلك، حذّر غورو ميلران أن على فرنسا أن تستعد لردة فعل سورية عنيفة على الانتداب. فقد كتب إليه: "إن المعارضة في دمشق جاهزة للنهوض ضدنا بأبسط حجة. إنني في انتظار تاريخ وصول ست كتائب"[34].

---

(32) من كامبون إلى كورنبيف، 23 آذار/ مارس 1920، في:

من كامبون إلى ميلران، 30 آذار/ مارس 1920؛ من ميلران إلى كامبون، 31 آذار/ مارس 1920؛ من كامبون إلى ميلران، 1 أبريل/ نيسان 1920، في:

Hokayem (éd.), pp. 177-178, 182-183; "Record by Earl Curzon of a Conversation with the French Ambassador on the Syrian Question," in: Butler (ed.), pp. 237-239.

(33) من دو كيه إلى كرامر، 31، آذار/ مارس 1920، في:

Khoury, *Une Tutelle coloniale*, pp. 230-233.

(34) من غوروإلى ميلران، 19 نيسان/ أبريل 1920، في:

Hokayem (éd.), pp. 228-230.

في 17 نيسان/ أبريل عبَر كرزون القنال [المانش]، وتوقف قليلًا في باريس قبل أن يسافر جنوبًا إلى سان ريمو برفقة أعضاء الوفد الفرنسي. أما لويد جورج فقد سافر لوحده بحرًا حتى مرسيليا. قام الإيطاليون بدور الضيافة حيث اجتمع أعضاء الوفود في فيلا ديفاشان (Villa Devachan) وهو فندق مزخرف على التلال الخصبة المطلّة على الريفييرا الإيطالية. اختير هذا المكان لعقد جلسة صغيرة نسبيًا لمؤتمر الصلح بمشاركة ممثلين فقط عن كل واحد من الأربعة الكبار لقوات الحلفاء. كان ولسون، القلق من العدوان الفرنسي على الراين (Rhineland)، قد اكتفى بتفويض السفير الأميركي في إيطاليا بحضور الاجتماع كمراقب[35]. كانت حفلات الاستقبال في هذا المنتجع البحري تجري في جو وكأنه يوم إجازة.

لم يحضر فيصل. كان الشريف حسين قرّر قطع كل الصلات مع مؤتمر الصلح احتجاجًا على رفض الحلفاء الاعتراف بابنه ملكًا على سوريا[36]. أصبح رستم حيدر ونوري السعيد في مأزق. لم يعد لهما أهلية للحضور في سان ريمو باعتبارهما ممثلين للشريف. كيف يمكن للعرب أن يغيبوا عن هذا القرار الخطير المتعلق بمصيرهم؟ تمكّنا في غياب وجود تمويل رسمي أن يتدبرا شراء تذكرتين بالقطار.

في المؤتمر كانت مسألة سوريا مؤجلة تقريبًا. تركز النقاش على التهديد التركي وعلى محنة أرمينيا. أصبح المزاج صافيًا بعد أن أدركت القوى أن أي واحدة منها لا تملك الرغبة أو الوسائل لإنقاذ أرمينيا. اعترف لويد جورج لاحقًا بأن الالتزامات الأوروبية قد حدّت من قدرتهم على التحكّم بالأزمة الأرمنية. فقد جاء في مذكراته: "تحمّل (الحلفاء) أعباء ثقيلة باستخدام قوات ضخمة لبعض

---

(35) من ولسون إلى كولبي، 17 نيسان/ أبريل 1920، يُنظر:
Arthur S. Link (ed.), *The Papers of Woodrow Wilson*, vol. 65 (Princeton: Princeton University Press, 1986), accessed on 17/5/2018 at: https://bit.ly/3Nz90Iw

(36) من مينرتزهاغن إلى كرزون، 4 نيسان/ أبريل 1920؛ من ألّنبي إلى كرزون، 7 نيسان/ أبريل 1920، يُنظر:
"Memorandum by the French Ambassador," April 8, 1920, in: Butler, (ed.), pp. 246-248.

الوقت - في الراين وسوريا وفلسطين وبلاد الرافدين وكذلك في إسطنبول والمضائق". وهكذا اتخذ لويد جورج وميلران قرارًا مصيريًا بتأجيل الطلب من الولايات المتحدة كي تحظى بالانتداب على أرمينيا[37]. كان هذا القرار يعني افتراضيًا بأنه لن تكون هناك أبدًا دولة أرمنية في الأناضول.

كان النفط هو الموضوع الثاني الساخن في سان ريمو. فمع استمرار التوترات الشديدة في الراين الألمانية. كانت فرنسا وبريطانيا قلقتين حول الحاجة إلى النفط في الحروب المقبلة. ولذلك في صباح 24 نيسان/ أبريل أكملا الاتفاق الذي جرى الحديث عنه سابقًا في كانون الأول/ ديسمبر 1918: ستأخذ فرنسا 25 في المئة من نفط الموصل وستوجّه بريطانيا أنابيب النفط بما يرضي رغبة فرنسا. هنّأ ميلران ولويد جورج بعضهما بعضًا على قرب التوصل إلى اتفاقية شاملة حول معاهدة الصلح مع تركيا[38]. وعلى النقيض من ذلك كان الأميركيون "مذهولين" عندما عرفوا أنهم حُرموا من أي حصة في النفط العراقي، ولذلك أدانوا اتفاق 24 نيسان/ أبريل باعتباره ينتهك مبدأ الانتداب في الأسواق المفتوحة[39].

بعد ظهر ذلك اليوم تناول المجلس مسألة الانتدابات، بداية من فلسطين. فاجأ برتلو البريطانيين في اللحظة الأخيرة باعتراض على تضمين تصريح بلفور في ميثاق الانتداب. لم يكن هدفه من ذلك حماية العرب في فلسطين بقدر ما كان إجبار بريطانيا على احترام طلب فرنسا بالسيطرة الكاملة على سوريا. دافع كرزون بقوة عن وعد بلفور بوطن لليهود، واعدًا برتلو باحترام الحقوق السياسية للشعوب غير

(37) David Lloyd George, *Memoirs of the Peace Conference*, vol. II (1939, reprint New York: Howard Fertig, 1972), pp. 841, 848, 854-856; Department of State, *Papers Relating to the Foreign Relations of the United States*, 1920, vol. 3 (Washington, DC: Government Printing Office, 1936), pp. 779-783.

(38) Jukka Nevakivi, *Britain, France, and the Arab Middle East* (London: Athlone Press, 1969), pp. 245-246; Christopher M. Andrew & A. S. Kanya-Forstner, *The Climax of French Imperial Expansion 1914-1924* (Stanford: Stanford University Press, 1981), pp. 216-217.

النص حول اتفاقية النفط شوهد بتاريخ: 14/ 6/ 2018 في موقع: https://bit.ly/3yVevNz

(39) Daniel Yergin, *The Prize: The Epic Quest for Oil, Money, and Power* (New York: Free Press, 2009; [1991]), p. 179.

اليهودية. ضغط الفرنسيون والإيطاليون أيضًا على البريطانيين لحماية مؤسساتهم الدينية في الأرض المقدسة، ما كان يرضي اللوبي الكاثوليكي[40].

وصل نوري السعيد ورستم حيدر في 24 نيسان/ أبريل. في ذلك الوقت كانت كل فنادق سان ريمو تعجّ بممثلي اللوبيات والصحافيين: "وجدنا سيارة فركبناها إلى فندق "فندق غراند دي أنغليه" (Grand Hôtel des Anglais) ولم نجد محلًا إلا بصعوبة لأن المدينة مملوءة بالناس. وكان الوفد الإيطالي في النزل وفهمنا أن الإنكليز في فندق رويال والفرنسيين في سافوي (Savoy)".

لم يستطع كرزون احتواء غضبه عند وصولهما. كتب إلى زوجته: "حجز السوريون والصهيونيون والأرمن غرفهم في الفندق نفسه الذي نحن فيه، وهم يتتبعون خطواتنا حيث نذهب". كان نوري السعيد يشتكي أيضًا. فقد دُعي الأرمن فقط للحديث أمام المجلس الأعلى في سان ريمو، بينما استبعدت كل الشعوب التي ستواجه في المستقبل الحكم تحت الانتداب[41].

أخيرًا في الساعة 11 من صباح 25 نيسان/ أبريل دُعي أعضاء الوفود للاجتماع في فيلا ديفاشان لنقاش الانتدابات على سوريا وفلسطين وبلاد الرافدين. اقترح برتلو أن تتضمن المعاهدة مع تركيا بوضوح الانتدابات ورسم الحدود السياسية. اعترض كرزون على ذلك، لأنه بقي يريد استخدام الولسونية (Wilsonism) كأداة للحفاظ على الامتيازات البريطانية. وقال: "إذا كنا نريد أن نحافظ على السلام في هذا الجزء من العالم فمن الضروري أن نسعى إلى أن نعيش في انسجام مع الأمير فيصل". ألحّ كرزون على أن يكون فيصل حاضرًا في أي نقاشات تتعلق بسلطته وعلاقات سوريا مع فلسطين: "إذا وصل الأمير بعد أن يكون المؤتمر قد قرّر الانتداب على فلسطين، ووضع حدوده وحل المسألة الصهيونية، فستكون هناك احتجاجات خطيرة في الدولة الجديدة، التي يمكن أن يستغلها لمصلحته. من الأفضل ألا نوفر له هذه الفرصة".

---

(40) Nevakivi, pp. 246-248; Andrew & Kanya-Forstner, pp. 217-218.

(41) Nevakivi, pp. 241-243.

طالب برتلو أن يتم تحديد الانتداب فورًا: "يجب أن نتوصل إلى اتفاق كي لا تقوم فرنسا أو إنكلترا بإعادة فتح النقاشات بالاعتماد على الأمير فيصل أو أي حدث يمكن أن يحصل في الإقليم". أوضح برتلو أن فرنسا تريد أن تحكم السيطرة الكاملة على سوريا ما إن يتم تعيين الانتداب.

في هذه المرة دعم لويد جورج برتلو في مواجهة كرزون: "لقد اختفت المصاعب التي كانت موجودة حول المسألة السورية". وافق على الرغم من معارضة كرزون أن يتم تضمين المعاهدة [مع تركيا] النصّ الذي اقترحه ميلران: "إن الانتدابات التي اختارتها القوى الحليفة الرئيسية هي فرنسا على سوريا، وبريطانيا العظمى على بلاد الرافدين وفلسطين". أما مواثيق الانتدابات التي ستتضمن شروط الحكم الانتدابي فستوضع لاحقًا وتقدم إلى عصبة الأمم[42].

حين وصل النقاش إلى الحديث عن الحجاز في الجزيرة العربية تحدث لويد جورج لمصلحة تجاوزه: "أنا أرى ضرورة أن يكون الأمير فيصل حاضرًا في هذا النقاش". أضاف برتلو أن مبعوث فيصل نوري السعيد قد وصل لتوه وطلب أن يُدعى للاستماع إليه: "ولكن كان عليّ أن أخبره أن المؤتمر سيختم أعماله بعد اجتماعنا بعد ظهر اليوم". بعد ذلك افتتح كرزون النقاش حيث وافق المجلس أن يمنح الحجازَ الاستقلالَ من الحكم التركي. ولكن العرب السوريين لم يُسمع صوتهم قط في سان ريمو.

علم حيدر بوضع الانتدابات لاحقًا في مساء 25 نيسان/ أبريل. كان قد تلقى دعوة من البريطانيين لحضور عشاء في فندق رويال كي يجد هناك الضيوف يحتفلون بتقسيم سوريا. وصفت يومياته الحديث المبتهج على العشاء مع الصهيونيين، الذين تحدثوا عن مستقبل التعاون الاقتصادي. جاء لويد جورج إلى طاولتهم وسأل عن رأيهم في الأمير فيصل. صحّح ضيف عربي رئيس الوزراء بالقول "الملك فيصل". ألقى لويد جورج نكتة وضحك لها. قال المفوض

---

(42) "Minutes of the Meeting Held at San Remo 25 April 1920: Distribution of 'A' Mandates," in: Hokayem (éd.), pp. 239-243.

الترجمة من الفرنسية إلى الإنكليزية من المؤلف.

السامي البريطاني اللاحق هربرت صموئيل لحيدر إنه شخصيًا يقبل فيصل ملكًا على سوريا، ولكنه تساءل عما إذا كانت فرنسا تقبل به ملكًا. لم ينعم رستم حيدر ولا نوري السعيد بالنوم تلك الليلة[43].

في اليوم التالي، 26 نيسان/ أبريل، أعلن ميلران في محطة القطار انتصار فرنسا، وسارع بالذهاب إلى باريس ليقدم تقريرًا لمجلس النواب. غادر كرزون سان ريمو دون أن يدري أنه وقع في شرك روبير دو كيه. وعلى النقيض من ذلك فقد أدرك لورنس فورًا أن فرنسا قد فازت. وتوقعًا منه لتمرد مسلح، انضم إلى مجموعة بارزة من النقاد في إرسال عريضة إلى لويد جورج تطلب منه أن يأخذ الشرق الأوسط من أيدي وزارة الخارجية التي على رأسها كرزون[44].

احتفل الصهيونيون بقرار سان ريمو باعتباره إنجازًا نهائيًا لحلمهم بوطن قومي في فلسطين. شكر الحاخام صموئيل وايز (Samuel Wise)، الذي قدّم فيصل إلى ولسون في كانون الثاني/ يناير 1919، الرئيس الأميركي شخصيًا ومدحه في احتفال صهيوني بالانتداب [البريطاني] في مدينة نيويورك[45].

وعلى النقيض من ذلك كانت ردّة فعل العرب تتمثل في استياء ممزوج بالمرارة من الوعد بنظام عالمي جديد. فقد كان الوعد بالشفافية مجرد واجهة تخفي الدبلوماسية الإمبريالية على الطراز القديم. كان ما فعله المجلس الأعلى ببساطة هو إخراج اتفاق 1 كانون الأول/ ديسمبر 1918 بين فرنسا وبريطانيا بلباس مخادع باسم الانتداب. تغيّبت إيطاليا فقط عن حضور التمثيلية المخادعة، ليس لأمر مبدئي وإنما أكثر بسبب تظلّمها [من عدم تحقّق مطالبها].

كان ميشيل لطف الله وراء أول احتجاج سوري. فقد كتب في 26 نيسان/ أبريل برقية باسم حزب الاتحاد السوري: "إن قرار مؤتمر سان ريمو المتعلق بتقطيع أوصال سوريا يدمّر تكاملها الاثني والجغرافي والسياسي. إن هذا

---

(43) حيدر، ص 623-627.

(44) Wilson, pp. 631-634.

(45) من وايز إلى الرئيس ولسون، 5 أيار/ مايو 1920، يُنظر:
Link (ed.), accessed on 17/5/2018, at: https://bit.ly/3wHsbud

القرار التعسفي يتناقض مع كل تصريحات الحلفاء ويحطم قلوب الأمة العربية السورية".

لم يدرك حيدر والسعيد بعد أن فرنسا كانت تعتبر الانتداب وثيقة لخلع حكم فيصل. ولكن بعد عودته إلى باريس في 28 نيسان/ أبريل علم حيدر بالحقيقة من خلال تقارير الصحف عن خطاب ميلران في البرلمان الفرنسي.

بعد يومين فقط صاغ حيدر احتجاجًا قويًا ضد قرارات سان ريمو، أرسله للنشر في جريدة دمشقية. ركّز حيدر على انتهاك المادة 22 من ميثاق عصبة الأمم، التي تطالب بأن يكون رأي الشعب هو الاعتبار الرئيس في تعيين الانتداب:

> إن مندوبي الحجاز يستغربون في بيان للمجلس الأعلى ما عرفوه من ألسنة العموم عن القرار الذي وضعه مؤتمر سان ريمو بشأن البلاد العربية المنفصلة عن تركيا. ومع علمنا بالمشاغل العظمى التي ساقت رؤساء الدول المتحالفة إلى هذا القرار لا نجد مندوحة عن الإشارة إلى وجود تناقض بين المبادئ التي اقترحتها وما أُعلن جهارًا من وعود الحرية وحق تعيين المصير.

لم يتجاهل المجلس [الأعلى] التشاور مع الشعب فحسب، وإنما أيضًا رفض بشكل متعمّد رغبة السكان التي عبّروا عنها علانية للجنة كينغ-كراين وفي إعلان الاستقلال. وباختصار، لقد خانت دول الوفاق حلفاءهم المخلصين، العرب، الذين قاتلوا إلى جانبهم وأملوا في أن يأخذوا مكانهم الصحيح في أسرة الأمم المتمدّنة. وبذلك، كما خلص حيدر، فإن "قرار سان ريمو دمّر كل أمل"[46].

(46) من وفد الحجاز إلى المجلس الأعلى، 20 نيسان/ أبريل 1920، يُنظر:
Hokayem (éd.), pp. 261-262.

# القسم الرابع

## الدستور: سلاح مدني ضد الاستعمار

# الفصل الثاني عشر

## الشيخ في مواجهة الملك: ثورة برلمانية

استمرّ المؤتمر السوري في الانعقاد خلال الأسابيع السبعة الفاصلة بين إعلان الاستقلال في 8 آذار/ مارس واتفاق سان ريمو في 25 نيسان/ أبريل. ومع أن فيصل وافق على ترك كل مسائل الاستقلال السوري تحت إشراف المؤتمر إلا أنه لم يكن يطلع النواب بانتظام على المراسلات الدبلوماسية.

ومع جهل المؤتمر بالتطورات التي جرت في لندن وباريس وسان ريمو تابع وضع بنود الدستور. كان النواب الموالون لجمعية العربية الفتاة وحزب الاتحاد السوري، مثلهم مثل فيصل، يعتبرون أن تأسيس نظام دستوري حديث هو بمثابة "سلاح مدني للأمة" ضد الاستعمار[1]. كانوا يعتبرون أيضًا أن الدستور يمثل تأكيدهم القانوني لسلطتهم ضد امتيازات فيصل. كان قادة المؤتمر يطمحون في الذهاب إلى ما هو أبعد من مجرد الدستورية ليؤسسوا نظامًا ديمقراطيًا حقيقيًا.

### تأكيد سيادة برلمانية

في 27 آذار/ مارس 1920 استدعى المؤتمر السوري رئيس الحكومة رضا الركابي إلى مقرّه، الذي أصبح الآن في بناية العابد المطلة على ساحة المرجة. كانت المقاعد موضوعة في قاعة كبيرة بالطابق الثاني مقابل منبر للمتحدثين، بينما كانت مكاتب

---

(1) ماري ألماظ شهرستان، **المؤتمر السوري العام 1919-1920** (بيروت: دار أمواج، 2000)، ص 229.

رئيس المؤتمر والعاملين قد جُهزت بالقرب منها. كان عزة درزوة باعتباره سكرتير المؤتمر يتابع هذا الانتقال من النادي العربي منذ ثلاثة أيام[2].

أعّد هذا التغيير للمقرّ الأرضية لثورة سياسية جرت داخل المؤتمر ذلك اليوم. فقد رحّب رئيس المجلس هاشم الأتاسي بصديقه القديم رضا الركابي ودعاه إلى أخذ مكانه عند المنبر المخصّص للمتحدثين. كان كل واحد منهما يعرف الآخر من العهد العثماني. كان الركابي، وهو رجل أشقر الشعر وله لحية ضاربة إلى الحمرة من عائلة دمشقية لها مكانتها، أعلى رتبة من الأتاسي كجنرال عسكري بلقب "باشا" وخدم حاكمًا للبصرة والمدينة ونائبًا لحاكم القدس وقائدًا عسكريًا في بغداد. أما الأتاسي، وعلى الرغم من وجهه النحيل ولحيته الصغيرة التي خالطها الشيب، فقد كان أصغر من الركابي باثني عشر عامًا. كان من أسرة كبيرة في بلدة ريفية (حمص) وخدم في مناصب متوسطة في الإدارة العثمانية قبل الحرب في كل منطقة في سوريا الكبرى تقريبًا، بما في ذلك حمص وحماة وبانياس وبعلبك وصور والسلط ويافا[3].

في الأيام الغابرة كان رئيس الوزراء يتفوّق في المرتبة على رئيس البرلمان. كانت هذه بالتأكيد حالة الإمبراطورية العثمانية، حيث كان الصدر الأعظم يمتلك كل السلطة ولا يُعتبر مسؤولًا سوى أمام السلطان. أما في صيف 1919، حين انعقد المؤتمر السوري لأول مرة، فقد كان الركابي يتمتع بسلطة هائلة كحاكم سوريا العسكري المتمدن. إلا أن هذه السلطة انكمشت في تشرين الثاني/ نوفمبر عندما أجبرت الانتفاضة الشعبية والمؤتمر الأمير زيد على عزله من منصبه. ولكن بعد عودته في كانون الثاني/ يناير أعاد فيصل تعيينه مفضّلًا رجل دولة معتدلًا وبراغماتيًّا يدرك الحاجة إلى الدبلوماسية في التعامل مع الأوروبيين.

في ذلك الصباح من آذار/ مارس تغيّرت المواقع. كان الأتاسي قد دعا الركابي لتقديم البرنامج السياسي لحكومته كي ينال ثقة المؤتمر. في البداية رفض

---

(2) محمد عزة دروزة، **مذكرات وتسجيلات** (دمشق: الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار، 1986)، ج 2، ص 457-458.

(3) Radwan Atassi, *Sagesse syrienne: Histoire de la Syrie à travers la biographie de Hachem Atassi (1873-1960)* (Paris: L'Harmattan, 2013), pp. 21-27.

الحضور ليثير بذلك أول أزمة في المملكة العربية السورية في معركة السلطة التشريعية ضد السلطة التنفيذية.

كان نواب المؤتمر قد صوّتوا بعد أيام من يوم الاستقلال على قرار يطالب بأن يكون وزراء الحكومة مسؤولين أمامهم باعتبارهم ممثلي الشعب، وليس أمام الملك. ومع أن الأتاسي لم يكن ثوريًا في سلوكه إلا أنه مارس تأثيره كوسيط نزيه بين النواب من مختلف المناطق في سوريا، حيث خدم سابقًا. ومنذ 8 آذار/ مارس عمل بهدوء وراء الكواليس – كرئيس للمؤتمر واللجنة الدستورية – ليضع الأسس الديمقراطية للاستقلال.

استنكر فيصل والركابي فورًا التصويت [على القرار المذكور] وتجاهلا ادّعاءات [المؤتمر]. ولكن قادة جمعية العربية الفتاة في المؤتمر تمسكوا بموقفهم. كانوا يكافحون ضد الاستبداد الملكي منذ ثورة عام 1908. ولتأمين الديمقراطية كانوا يعتقدون أن السيادة يجب أن تكون مع الشعب السوري والسلطة التشريعية وليس مع السلطة التنفيذية.

## الشيخ للملك: الإسلام يتطلب الديمقراطية

استمرّ هذا المأزق المتوتّر ثلاثة أيام. في النهاية تدخّل رشيد رضا للتوسّط. فخلال إحدى زياراته الصباحية للمقر الملكي سأله الملك عن رأيه في الأزمة. أجاب رضا بأنه فوجئ بتصويت المؤتمر، الذي جاء بالإجماع تقريبًا. كان شخصيًا قد امتنع عن التصويت لأنه كان يعتقد أن هذه المسألة المعقدة تحتاج إلى مزيد من النقاش. تشجع فيصل مع إمكانية وجود حليف له فطلب من رشيد أن يوضح رأيه أكثر.

تأخّر رضا في الرد على الملك. كان قد حذّر الملك عندما التقيا في بيروت بأنه لن يكون "السيد نعم". لذلك قرّر الآن أن يتحدث بصراحة. تحول نقاشهما في ذلك اليوم إلى لحظة أسطورية في التاريخ السوري[4].

(4) الحوار الوارد مترجم ومجمّع من مذكرات لرضا: محمد رشيد رضا، "الرحلة السورية الثانية (10ب)"، مجلة **المنار**، مج 22 (أيار/ مايو 1922)، ص 390-396؛ محمد رشيد رضا، "العبرة في =

قال رضا ناصحًا: "رأيي أنه لا يمكن الرجوع عنه بعد وقوعه، فلا بدّ من تنفيذه".

أُحبط فيصل وألحّ قائلًا: "لا أقبل أن أعطي السلطة لهذا المؤتمر، إنه ليس بمجلس نيابي".

ردّ عليه رضا: "بل هو أكبر من مجلس نيابي، إنّ هذا المؤتمر جمعية تأسيسية".

قال فيصل: "إنه لا شأن له وأنا الذي أوجدته".

ردّ رضا بحسم: "بل هو الذي أوجدك، أنت كنت قبله قائد جيش الشرق التابع للورد ألّنبي فجعلك هذا المؤتمر ملكًا لسوريا. إنه يمثل السلطة العليا لأنه يمثل الأمة. إن هذا يستند إلى دينك الإسلام وكل القوانين الحديثة".

صمت الملك. لم يتوقع من رضا أن يبرّر سلطة المؤتمر بالاستناد إلى الشرع. اعتقد فيصل، نظرًا إلى أنه كان القائد المنتصر للثورة العربية، أن الشرع سيكون في صفه. فقد كان السلاطين العثمانيون يبررون حكمهم بواسطة الإسلام لقرون.

إلا أنّ رضا كان ينتمي إلى جيل جديد من المجدّدين المسلمين. كان هؤلاء يعتقدون أن الإسلام لا يؤيد الملكية المطلقة بل كثيرًا ما يطلب من القادة أن يتشاوروا مع الشعب. كان محمد عبده أستاذ رضا قد أيّد الثورة الدستورية في مصر عام 1881. ومع مطلع القرن [العشرين] نشر رضا كتاب عبد الرحمن الكواكبي **طبائع الاستبداد** في مجلته **المنار**. كما كان رضا قد أيّد مع العديد من رجال الدين العثمانيين البارزين ثورة عام 1908 ضد السلطان المستبد عبد الحميد. وفي عام 1915 كان رضا قد وضع "القانون الأساسي" للدولة العربية المستقلة التي تصوّرها "نوعًا من الجمهورية" التي تفصل الدين عن الدولة، وتكرّس السيادة للشعب، وتقدّم السلطة البرلمانية على السلطة التنفيذية. وقد أصبح هذا "القانون

---

= سيرة الملك فيصل (7)"، مجلة **المنار** (يونيو 1934)، ص 152–157. ينظر أيضًا: شهرستان، ص 104، 107–108. جرى هذا الحوار في حضور إحسان الجابري كبير أمناء الملك فيصل الذي أكد في لقاء شخصي 1966 ما أورده رضا: سهيلة ريماوي، **الحكم الحزبي في سوريا: أيام العهد الفيصلي** 1918–1920 (عمان: دار مجدلاوي، 1997)، ص 201–202.

الأساسي" الأساس للدستور المقترح من قبل حزب الاتحاد السوري الذي قُدِّم للجنة كينغ-كراين في عام 1919[5].

بالنسبة إلى المجدّدين الإسلاميين كرضا كانت السيادة الشعبية ضرورة ليس لموازنة الميول الاستبدادية للملوك فحسب، ولكن لتأمين استقلال المسلمين ضد الإمبريالية الأوروبية أيضًا. مع السيادة الكاملة فحسب يمكن لمجتمعات المسلمين أن تتدرّب على الحكم العادل للقانون. كان رضا يعتقد أن ممارسة المجالس التشريعية للسيادة الشعبية يمكن أن تعيق الملوك القابلين للفساد من بيع بلادهم للأوروبيين، كما فعل شاه إيران وخديوي مصر في نهاية القرن التاسع عشر. كان رضا يعتقد أيضًا أن الدستورية الليبرالية هي تعبير أصيل عن القيم الإسلامية وليست فسادًا غربيًا. وكما شرح لقرائه في **المنار**، فإن الجيل الأول من حكام المسلمين قالوا إن الحكم يجب أن يتولاه ممثلون علماء يختارهم الشعب. كان رضا يؤمن بقوة بالديمقراطية الجوهرية للإسلام، وهو ما أدى إلى صدور مذكرة توقيف بحقّه خلال ثورة عام 1908 لمطالبته ببرلمان منتخب يحكم البلاد بواسطة قادة جديرين ضد المحسوبية الفاسدة للسلطان العثماني[6].

كان فيصل قد تأثر أيضًا بمبدأ الملكية الدستورية. ففي كانون الثاني/يناير [1920] أكدت جريدة الحكومة الرسمية **العاصمة** على التزامه بالديمقراطية في

---

(5) The National Archives of the United Kingdom, London, "General Organic Law of the Arab Empire," translation enclosed in Storrs to Clayton, "Note on Proposals Drawn Up by Sheikh Rashid Rida, for the Formation of an Arab Kingdom," December 9, 1915, in FO 882/15, 63-67; Eliezer Tauber, "Three Approaches, One Idea: Religion and State in the Thought of 'Abd al-Rahman al-Kawakibi, Najib 'Azuri and Rashid Rida," *British Journal of Middle Eastern Studies*, vol. 21, no. 2 (1994), pp. 190-198; Michelle Campos, *Ottoman Brothers* (Stanford: Stanford University Press, 2010), pp. 46-51.

(6) محمد رشيد رضا، "الدستور والحرية والدين الإسلامي"، مجلة **المنار**، مج 12، ج 8 (أيلول/سبتمبر 1909)، ص 606-608؛ Elizabeth F. Thompson, *Justice Interrupted: The Struggle for Constitutional Government in the Middle East* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2013), pp. 1-116; Muhammad Qasim Zaman, *Modern Islamic Thought in a Radical Age* (New York: Cambridge University Press, 2012), pp. 47-55; Mahmoud Haddad, "Arab Religious Nationalism in the Colonial Era: Rereading Rashid Rida's Ideas on the Caliphate," *Journal of the American Oriental Society*, vol. 117, no. 2 (1997); Charles Kurzman, "Introduction," in: Charles Kurzman (ed.), *Liberal Islam* (New York: Oxford University Press, 1998); Charles Kurzman (ed.), *Modernist Islam 1840-1940* (New York: Oxford University Press, 2002).

مقالة افتتاحية. وبحسب الجريدة فإن المبدأين الرئيسيين للديمقراطية هما أن تكون القوانين قائمة على المساواة والعدالة و"وجود السلطة العامة بيد الشعب والتصرّف فيها بواسطة نواب ينتخبهم لينوبوا عنه في وضع القوانين"[7].

إلا أن الملك شعر بأنه تنازل بما يكفي عن السلطة. ففي النقاشات التي سبقت يوم الاستقلال طالب بالحق في أن يحلّ المؤتمر بعد إعلان [الاستقلال] إلا أن رضا وقادة جمعية العربية الفتاة أصروا على أن يبقى المؤتمر منعقدًا كجمعية تأسيسية ومجلس تشريعي مؤقت، وبعد أن يُقر الدستور يمكن إجراء انتخابات لبرلمان حقيقي. بعد ذلك توصّل الطرفان إلى حل وسط: سيبقى المؤتمر منعقدًا بشرط أن تنحصر سلطته على الحكومة في الأمور التي تتعلق بالاستقلال السوري.

كان ذلك الحل الوسط مشكلة الآن بالنسبة إلى فيصل. شعر بأنه لا يمكن أن يثق بنواب قليلي الخبرة في وقت الأزمة. كانت بريطانيا قد احتلت إسطنبول واعتقلت 150 من القوميين الأتراك، ومن المحتمل أن تستغل فرنسا هذه السابقة كي تبرر استخدام القوة ضد العرب كما أصبح فيصل يخشى.

لكن رضا لم يتراجع. كان يشكّ في أن فيصل قَبِلَ أن يصبح ملكًا كي يكسب حرية التفاوض من طرف واحد مع فرنسا. وكما أوضح رضا "إن المؤتمر وضع شرطًا في تشكيل حكومتكم، وهو أن تعود إليه في كُلّ الأمور التي تتعلّق بالاستقلال. إن البرنامج السياسي لهذه الحكومة يرتبط مباشرة بالحفاظ على الاستقلال".

إلا أن فيصل لم يتزحزح أيضًا. حذّر رضا فيصل من أنه إذا لم يصلح الصدع مع المؤتمر فستكون هناك عواقب وخيمة: "سنبدو في وضع سيئ جدًا ونقدّم الحجة للأجانب ليدعوا أننا لسنا مناسبين للاستقلال، وهو ما لا تقبلون به جلالتكم".

حمل كل من الملك والشيخ حججه إلى اجتماع بعد الظهر مع رئيس الحكومة رضا الركابي والأمير زيد. ومع أنه لا يوجد لدينا وثيقة تسجّل ما قالوه، إلا أن فيصل خضع ووافق على الاستجابة للقرارات [من المؤتمر].

---

(7) محب الدين الخطيب، "تعليم الاستقلال والمبادئ الديمقراطية"، جريدة **العاصمة**، 26/ 1/ 1920، ص 1.

إن هذا يوضّح كيف ظهر الركابي أمام المجلس في 27 آذار/ مارس 1920، ألا وهو اليوم الذي يمثل إنجاز ثورة جمعية العربية الفتاة التي كافحت لأجلها منذ عام 1908. لم يكن رئيس الحكومة الركابي اليوم المساعد الشخصي للملك بل كان خادم المجلس التشريعي. ولذلك عرض الركابي خطته لتطوير الاقتصاد ونشر التعليم وتأسيس الإدارة المناسبة والدفاع عن البلاد. ناقش النواب مزايا هذه الاقتراحات ثم منحوا الثقة للركابي[8].

كانت الثورة في دمشق ديمقراطية بامتياز بالمقارنة مع الحركة القومية التركية التي برزت في وقت متزامن إلى الشمال من سوريا، في الأناضول. كما السوريون، نظم الأتراك مؤتمرًا في أواخر عام 1919، لتحدي إملاءات مؤتمر باريس للسلام. ففي 19 آذار/ مارس دعا قائد الحركة مصطفى كمال إلى انتخابات لبرلمان مستقل في أنقرة، أو الجمعية الملّية الكبرى. عارضت حكومة أنقرة نظام السلطان العثماني في إسطنبول التي استسلمت للاحتلال الأوروبي. قام الأتراك، مثلهم مثل السوريين، بإعلان الاستقلال مستندين في ذلك إلى مبادئ ولسون. وعلى نمط المؤتمر السوري، بدأت الجمعية الملّية الكبرى في صياغة دستور في عام 1920. إلا أن الحركة التركية كانت تختلف في أمور مفصلية. أولًا، كان مصطفى كمال يقود قوة عسكرية ضخمة تشكلت من بقايا الجيش العثماني الذي كان يرابط على الحدود مع روسيا. وفي حين أن كمال كان يدعم المطالب القومية بالقوة [العسكرية] كان لدى فيصل فقط "السلاح المدني" للقانون. ونتيجة لذلك كانت الحركة التركية مبنية على القوة العسكرية لمصطفى كمال، بينما بقيت الجمعية العليا الملّية الكبرى ضعيفة. ثانيًا، على النقيض من إحياء السوريين مبادئ الليبرالية وعدم الإقصائية، كانت الحركة التركية تدافع صراحة عن مطالب الأتراك

(8) شهرستان، ص 109-110. كان أعضاء الحكومة يمثلون كل المناطق الثلاث مع تبادل الأسماء منذ عام 1919. كان وزير الداخلية رضا الصلح من الساحل اللبناني، ووزير الخارجية سعيد الحسيني من المنطقة الجنوبية، فلسطين. أما الآخرون فكانوا من المنطقة الداخلية: وزير المالية فارس الخوري (المسيحي الوحيد) ووزير المعارف ساطع الحصري ووزير الحربية يوسف العظمة ووزير التجارة والزراعة والأشغال العامة يوسف الحكيم ووزير العدل جلال الدين زهدي ورئيس مجلس الأمناء علاء الدين الدروبي.

والمسلمين في الأناضول ضد مطالب اليونانيين والأرمن المسيحيين. ولذلك لم يتضمن الدستور التركي الحقوق المدنية ولم يضمن المساواة بين المواطنين كما فعل السوريون في دستورهم(9).

ومن الملاحظات التي أبداها رضا لفيصل، يمكن أن نخمن سببًا آخر كان يدفع المؤتمر السوري أكثر من مثيله التركي لتأسيس ديمقراطية: كانت هناك حاجة إلى إثبات نفسه للقوى الكبرى في باريس حيث كانت القدرة على الحكم الذاتي هي المعيار الظاهري في المفهوم الليبرالي. لم يكن الأتراك مهدّدين بانتداب، بل كانوا في ثورة كاملة ضد المجلس الأعلى [للحلفاء]. أما السوريون فتعرضوا للخداع في مؤتمر الصلح في باريس. لقد فهموا، كما فهم الوطنيون في الثورة المصرية في عام 1919، أن احتواء غير المسلمين هو أمر جوهري لتحقيق الاستقلال. كانت فرنسا وبريطانيا تزعمان حماية الأقليات غير المسلمة من الاستبداد الإسلامي لتبرير حكمهما: على لبنان أن يكون ملاذًا للمسيحيين وفلسطين وطنًا لليهود. كذلك رفعا هذه الذريعة لنشر مثل هذه الحماية على وطن أرمني. ولذلك عمل السوريون على عرقلة المشروع الأوروبي الطائفي برفض الطائفية وترويج ديمقراطية يمكن أن تشمل المواطنين من كل الأديان.

على النقيض من ذلك ردّت الحركة التركية على التهديد الأوروبي ببناء دولة مسلمة تركية خالصة. لقد بُنيت هذه الدولة على أساس مهووس بجرائم حرب هدفت إلى تطهير الأناضول من المسيحيين اليونانيين والأرمن. أما الليبراليون الأتراك الذين كانوا يعارضون هذه القومية الإقصائية فقد ضعف تأثيرهم بسبب صلاتهم مع المحتلين الأوروبيين، وخاصة بعد إعلان المجلس الأعلى أن كلّ الشعب التركي مسؤول عن القتل الجماعي للأرمن(10).

(9) Erik J. Zürcher, *The Young Turk Legacy and Nation Building* (New York: I. B. Tauris, 2010), pp. 221-228; Paul C. Helmreich, *From Paris to Sèvres: The Partition of the Ottoman Empire at the Peace Conference of 1919-1920* (Columbus: Ohio State University Press, 1974), p. 308.

الترجمة الإنكليزية للدستور الذي أقرته الجمعية الوطنية الكبرى في 20 كانون الثاني/يناير 1921 شوهدت بتاريخ 2/ 4/ 2019 في موقع: https://bit.ly/3MMFrTO

(10) Zürcher, pp. 110-150, 195-204, 221-228; Taner Akçam, *From Empire to Republic: Turkish Nationalism and the Armenian Genocide* (New York: Zed Books, 2004), pp. 180-207.

إلا أن تفضيل الزعماء السوريين للديمقراطية لم يكن مجرد تكتيك انتهازي، بل كانوا يعملون بقناعة سياسية راسخة. فقد انضمّ بعضهم إلى حزب اللامركزية قبل الحرب للنضال من أجل المساواة بين العرب والمسيحيين وغيرهم من الأقليات في البرلمان العثماني. وبالنظر إلى ظروف الأعوام (1919-1920) كان تصميمهم لسوريا كأمة عربية يجب أن يُفهم بكونه تعبيرًا عن روح احتوائية تقوم على تضييق الفروق لتوحيد الناطقين بالعربية. في ذلك الوقت كان من المتوقّع أن يعود الناطقون بالأرمنية إلى وطنهم في الأناضول. وكان السكان الأكراد في شمال شرق سوريا الحالية في منطقة حدودية بعيدة عن وعي فيصل ولم تصل إليها لجنة كينغ-كراين. أما الموظفون العثمانيون الناطقون بالتركية فقد كانوا المجموعة الوحيدة المقصية عن الأمة السورية.

وكما صرّح الشيخ كامل القصّاب في خطابه بحضور فيصل الذي نُشر في جريدة دمشقية في 12 نيسان/ أبريل "إن العرب كانوا دائمًا أكثر الشعوب ديمقراطية وأول من علَّم العالم المساواة". وقد مدح آنذاك الملكَ [فيصل] لسماحه للمؤتمر بتحقيق الاستقلال الذي كان يناضل من أجله، وكذلك لأجل جهوده لتوضيح الحقيقة حول سوريا للقوى الكبرى. وقد أضاف القصّاب، كما ورد في ترجمة إنكليزية تقريبية قُدّمت إلى وزارة الخارجية قبل أسبوعين من [مؤتمر] سان ريمو، "إننا نرغب أن ترى كُلُّ أمة في العالم المتمدّن أننا شعب موجود بالاعتماد على نفسه"[11].

كانت هذه لحظة فارقة شخصيًا للأتاسي رئيس المؤتمر لتحقيق حلم ديمقراطي استمر نصف قرن تقريبًا، منذ أن انضم والده إلى البرلمان العثماني الأول في عام 1876. فقد استهلّ ذلك البرلمان عمله باتفاق على تخصيص عدد كبير من المقاعد لغير المسلمين كاستراتيجية للحفاظ على الإمبراطورية. ولكن السلطان عبد الحميد علّق عمل البرلمان خلال الحرب مع روسيا وروّج لأيديولوجيا إسلامية عوضًا عن ذلك. كان والد الأتاسي رئيس البلدية في بلدتهم

(11) TNA-London, "The Sentiments and Aspirations of the Nation," *Al-Difaa,* April 12, 1920, in FO 371/5188.

حمص في ذلك الوقت، وقد سمح آنذاك للمسيحيين بقرع أجراس كنائسهم. ولكن عندما اشتكى مسلمون محافظون من إسطنبول، عُزل من منصبه. كان الأتاسي يرى أن الانقسام الطائفي أدى أكثر من أي سبب آخر إلى سقوط الإمبراطورية. ولذلك أصبح الآن راغبًا في تأكيد المساواة لكل السوريين أمام القانون[12].

بادر المؤتمر السوري فورًا إلى وضع هذه الأفكار موضع التطبيق تحت الإدارة الفعالة لعزة دروزة. كانت إدارة دروزة قد عزّزت أحكام الإجراءات لحمايتها من المحسوبية، فأصدرت بطاقات تعريف جديدة وخصّصت جدول رواتب لكل النواب، ونظمت التصويت في البرلمان لإقرار مجموعة من الإجراءات الديمقراطية. وهكذا أصبح في وسع المتحدثين المشاركة في النقاش بعد تسجيل أسمائهم في قائمة مخصّصة لذلك، ولم يعد في الإمكان اتخاذ أي قرار من دون وجود غالبية للنواب في القاعة. كانت الصحف تنشر تقارير أسبوعية عن نشاطات المؤتمر وعن بياناته التي تتعلق بالمسائل العامة. كما أن المؤتمر شكّل لجانًا دائمة لتطوير سياسة الضرائب وصياغة الدستور وأخرى للشؤون الخارجية. وبحلول نيسان/ أبريل أصبح المؤتمر بالفعل فرعًا مستقلًا في الحكومة.

ولكن حتى عندما اختلف النواب حول المسائل الدستورية، استمروا في القلق بشأن الضعف العسكري لسوريا. كان القوميون الأتراك قد أحكموا سيطرتهم على جيش عثماني متمركز بعيدًا إلى الشرق من إسطنبول. أما الحكومة السورية فقد كانت تملك قوات قليلة وعتادًا أقل. كان العثمانيون إما قد أخذوا الأسلحة معهم أو دمروها خلال انسحابهم. لم يتمكن السوريون من إنشاء جيشهم الجديد لأنهم كانوا محاطين من جميع الجهات بقوات الحلفاء التي قيّدت استيراد الأسلحة. كما أن قائد جيشهم النشط ياسين الهاشمي قد خُطف ونُقل إلى فلسطين من قبل البريطانيين.

كان رضا قد أيّد إعلان الاستقلال كوسيلة لقطع الطريق على المطالبات السياسية بالأراضي السورية قبل أن تبرز المطالبات العسكرية: "ولكن رأيتُ أنه

(12) Atassi, pp. 11-27.

بدون قوة دفاعية يمكن للبلاد أن تعتمد عليها لا يمكن لهذه الحقائق على الأرض أن يكون لها قيمة". ولذلك ضغط رضا على فيصل والركابي خلال شهر نيسان/أبريل لتشكيل قوة دفاع وطنية تكون مكوّنة من العشائر البدوية، ولكنه أُحبط بشدة بسبب تقاعس الركابي. كان رئيس الحكومة الركابي في قرارة نفسه يفضّل مع فيصل إعطاء الأفضلية للتسوية الدبلوماسية، وبقي غير مقتنع بأن سوريا يمكنها بناء قوة لمقاومة فرنسا[13].

## دستور لضمان سيادة الشعب

إن هذه الخلفية السياسية تفسّرُ لماذا أعطى السياسيون السوريون الأفضلية لصياغة دستور في الوقت الذي كان التهديد بغزو فرنسي يلوح في الأفق. أخذ النواب على محمل الجد توجيهات فيصل لجعل الدستور "سلاحًا مدنيًا" لسدّ الطريق على الحكم الاستعماري و"أساسًا للحياة الديمقراطية"[14].

قارن بعض السوريين أنفسهم حتى بالأميركيين الذين اجتمعوا في فيلادلفيا عام 1787. وكما أوضحت ذلك الجريدة الرسمية **العاصمة** فإن "الفرق بين الحكومة الأميركية والحكومة العربية سيكون هذا: الأولى هي جمهورية دستورية والثانية ستكون مملكة دستورية"[15]. كان السوريون، مثلهم مثل الأميركيين، يعملون تحت الضغط لتوحيد شعبهم - وتحصيل موارد ضريبية منهم - للدفاع المشترك ضد التهديد الأجنبي[16].

---

(13) رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (7)".

(14) شهرستان، ص 190.

(15) مذكور في:

Philippe David, *Un Gouvernement arabe à Damas: Le Congrès syrien* (Paris: Marcel Giard, 1923), p. 48.

الاقتباس مأخوذ من جريدة **العاصمة**. ينظر بشأن الإحالات على النموذج الأميركي في مؤتمر عربي سابق في باريس في عام 1913:

Stacy D. Fahrenthold, *Between the Ottomans and the Entente: The First World War in the Syrian and Lebanese Diaspora, 1908-1925* (New York: Oxford University Press, 2019), pp. 45-47.

(16) Alan Taylor, *American Revolutions* (New York: W.W. Norton, 2016), pp. 253-293.

وعلى عكس الأميركيين، لم تكن الجمعية التأسيسية السورية تعمل في السر. فمن غرفهم المطلّة على ساحة المرجة كان الأعضاء يمكن أن يسمعوا صوت التأييد الشعبي. كانت الصحف تنشر التقارير عن نقاشاتهم، وكانت النساء والأقليات والتقدميون يضغطون ضد المصالح التقليدية لمصلحة نظام حكم أكثر احتوائية. أما المحافظون المتدينون فقد احتشدوا لحماية التقاليد الدينية وسلطة رجال الدين من الإصلاحات النخبوية العلمانية للغاية أو الأوروبية للغاية.

كانت صياغة الدستور، في أفضل تقليد ديمقراطي/ التقاليد الديمقراطية، هي تدريب حماسي لصياغة عقد اجتماعي. فهم زعماء المؤتمر ذلك الالتزام العام - كما حصل مع التعديلات على الدستور الأميركي التي جاءت من الولايات - الذي يعزز استمرار قوة الدستور[17]. وعلى عكس الدساتير المفروضة من أعلى والتي عُطّلت بسرعة - كما في تونس 1861 وفي الإمبراطورية العثمانية في 1876 - كان الدستور السوري يبشّر بأن يكون وثيقة حية تمّت صياغتها على المستوى الشعبي.

إضافةً إلى الأتاسي ودروزة ضمّت اللجنة الدستورية أربعة حقوقيين، اثنان من رجال الدين المسلمين واثنان من المدنيين، أحدهما مسيحي[18]. اجتمعوا بهدوء طيلة شهور في النادي العربي لدراسة الدستور العثماني والدساتير الأوروبية. وكما نصح ولسون في كتابه **الدولة** فقد سعوا إلى تصميم حكم مناسب للظروف الخاصة ببلادهم. كانت نقطة البدء "برنامج دمشق" الذي قُدّم إلى لجنة كينغ-كراين: يجب أن تكون سوريا مستقلة وأن تضمّ كلّ المناطق الثلاث، وأن

---

(17) Nathan J. Brown, "Reason, Interest, Rationality, and Passion in Constitution Drafting," *Perspectives in Politics*, vol. 6, no. 4 (December 2008), pp. 675-689.

(18) كان المحامون قريب الأتاسي وصفي الأتاسي، من حمص أيضًا، وسعد الله الجابري من حلب وسعيد حيدر من بعلبك وعثمان سلطان من طرابلس الذي كان يدرس في معهد الحقوق الجديد بدمشق). كان من رجال الدين الشيخ عبد القادر الكيلاني، رئيس بلدية سابق من المحافظين في حماة، والشيخ عبد العظيم الطرابلسي. وكان في اللجنة أيضًا إبراهيم القاسم عبد الهادي، صديق دروزة من فلسطين، وتيودور أنطاكي، وهو مسيحي من حلب. هناك بعض الفروق في الأسماء. ينظر: محمد موفاكو الأرناؤوط، **دراسات حول الحكومة: الدولة العربية في دمشق** 1918-1920 (عمان: دار الشروق، 2000)، ص 86؛ شهرستان، ص 40، 179-183.

تعامل كلّ سكّانها بمساواة بغضّ النظر عن الدين، ورفض الصهيونية باعتبارها تشكّل تهديدًا لهذه الأهداف.

كانت أول ثلاثة بنود قدّمتها اللجنة إلى المؤتمر: (1) حكومة المملكة العربية السورية حكومة ملكية مدنية نيابية، عاصمتها دمشق ودين ملكها الإسلام؛ (2) المملكة السورية تتألف من مقاطعات ذات وحدة سياسية لا تقبل التجزئة؛ (3) مقاطعات سوريا مستقلة استقلالًا إداريًا ويسُنّ المؤتمر قانونًا خاصًا يبيّن فيه حدود هذه المقاطعات (تم حذف هذا البند لاحقًا)[19].

وفي ما يتعلق بسلطة الملك فقد اقترحت اللجنة أن "يقسم يمين الاحترام للشرائع الإلهية والأمانة للأمة والمراعاة للدستور" (البند 6). سيكون الملك القائد العام، ولكن أي إعلان للحرب أو عقد معاهدة سلام يجب أن يخضع لتصديق المؤتمر، ولا يجوز لأي عضو في الأسرة الملكية أن يكون عضوًا في الحكومة. أثارت البنود الأخرى التي نوقشت خلال نيسان/ أبريل خلافات أقل مثل المواد المتعلقة بإدارة المحاكم ووضع اليد على الأراضي الأميرية العثمانية والقانون التجاري والقانون البحري وقانون الخزينة العامة.

كانت هذه البنود الأولى قد وُضعت بالتفاهم الذي تمّ بين فيصل وحزب الاستقلال. لقد أظهرت تلك المواد بذلك الدستور السوري كأنه الطفل المتمرّد على سلفه العثماني. ففي دستور عام 1909 ينصّ البند 1 على أن الولايات العثمانية تشكل وحدة واحدة لا تتجزأ (كما ورد بشكل مشابه في المادة الثانية للدستور السوري)، بينما نصّ البند 2 على أن إسطنبول هي العاصمة الامبراطورية (كما ورد في المادة الأولى للدستور السوري). ولكن البند 3 للدستور العثماني حدد شروط الحكم التي رفضها السوريون في دستورهم:

---

(19) بتوصية من المرحومة خيرية قاسمية اعتمدتُ على النسخة الأخيرة من الدستور الذي يتضمن 147 مادة (وليس 148) كما نُشر في الكتاب الجامع الموثق المعتمد: حسن الحكيم (محرر)، **الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية 1915-1946** (بيروت: دار صادر، 1974)، ص 194-213. ومع أن شهرستان تعتمد على هذا النص أيضًا إلا أنها استفادت من بعض المواد الأصيلة التي اعتمدت في النقاشات قبل شطب المادة (3) في تموز/ يوليو.

> إنّ السيادة العثمانية العليّة، التي تحمل معها الخلافة العليا للإسلام، تقع على الأمير الأكبر من آل عثمان.... ومع ارتقائه إلى العرش يقوم السلطان بأداء اليمين أمام البرلمان... لاحترام أحكام الشريعة والدستور والولاء للبلاد والأمة[20].

فقد أسقطت البنود السورية الإشارة إلى الخلافة، واستبدلت "الشريعة" بـ"احترام الشرائع الإلهية". كانت اللغة الغامضة تعكس جهود اللجنة للتوصل إلى تسوية بين الفرقاء. وبهذه الروح حُذف بشكل واضح أي شيء مما ورد في البنود من (4) إلى (6) والمتعلقة بقدسية السلطان ودوره كحامٍ للإسلام والحصانة القانونية لأسرته.

كان هذا الفصل الفعلي للإسلام [عن الدولة] عملًا ثوريًا. فباستثناء الطلب أن يكون الملك مسلمًا، كان على فيصل أن يكون ملكًا دستوريًا من دون مكانة مقدسة. ولم يرد في البنود المتعلقة بالحقوق الشخصية وفي إشهار المؤتمر للقانون أو في قانون المحاكم أي إشارة إلى الشريعة.

وجاءت البنود المقترحة لاحقًا في نيسان/ أبريل لتبتعد أكثر عن النموذج العثماني وتضع الأساس لنظام ديمقراطي حقيقي. فالبنود 9 إلى 26 تقترح منح المواطنين طيفًا واسعًا من الحريات المدنية والاجتماعية، مؤكدة على حرية العقيدة والاجتماع والتعبير، وعلى حماية المواطنين من التعذيب والاعتقال التعسفي أو النفي، ومنع عمل السخرة، وحماية الملكية الشخصية والبيوت من المصادرة الحكومية، والتفتيش غير المرخص به، وضمان التعليم العام لكل الأطفال. وسيكون كل السوريين بدون تمييز متساوين أمام القانون.

كما أن بنودًا أخرى ضمنت السلطة للمؤتمر بشكل لم يتمتّع به البرلمان العثماني قط، وأكّدت فصل السلطات على نقيض العادات الفاسدة القديمة. واقترحت اللجنة الدستورية مجلسًا تشريعيًا من غرفتين (النواب والشيوخ) وحدّدت لهما سلطاتهما وإجراءات انتخابهما في المواد 47 إلى 95. كما اقترحت ضمان الاقتراع لكل سوري أتمّ العشرين من عمره ولم يكن ساقطًا من حقوقه المدنية

(20) Herbert F. Wright (ed.), *The Constitutions of the States at War 1919* (Washington, DC: Government Printing Office, 1919), pp. 590-591.

(لم يُحدّد الجنس ولكن كان يفهم منه الذكور). وفي حين أن مجلس النواب سيُنتخب من قِبَل الشعب على درجتين، فإن معظم الشيوخ ستنتخبهم مجالس المقاطعات بينما يعيّن الملك الآخرين. ستكون الحكومة مسؤولة أمام مجلس النواب الذي يمكن أن يحجب عنها الثقة، كما يجب على الوزراء الاستجابة إلى الاستدعاءات سواء من قبل مجلس النواب أو من قبل مجلس الشيوخ. أما الملك فقد كانت له سلطة محدودة في حلّ مجلس النواب، وبالتحديد في حالة وجود خلاف متواصل بين مجلس النواب والحكومة أو في حالة تصويت مجلس الشيوخ ضد مجلس النواب.

وبحلول نهاية نيسان/ أبريل كان المؤتمر السوري قد ناقش ليس أقل من 86 بندًا. كانت الجلسة المعتادة تبدأ بقيام أحد أعضاء اللجنة الدستورية، وعادة ما يكون دروزة، بقراءة النص المقترح للبند بصوت عال. ثم يناقش النواب ذلك ويقرّرون ما إذا كان يحتاج إلى التعديلات. وإذا كان الأمر كذلك يعيد النواب النص إلى اللجنة [الدستورية]. وقد ألغى المؤتمر عدة بنود كليةً.

كانت المناقشات عادة تتسم بجو حيوي وساخن من الخلاف، ما كان يعيد البنود المقترحة إلى اللجنة لإجراء التعديلات عليها. وعلى نمط الجمعية التأسيسية الأميركية في فيلادلفيا، فقد انزلق المؤتمر في دمشق إلى اشتباكات بين الأحزاب حول اتساع سلطة الدولة وحول التوازن في السلطة بين الحكومة المركزية وحكومات المقاطعات. فقد كان الحزب التقدمي، المتحالف مع حزب الاستقلال وجمعية العربية الفتاة، يفضّل حكومة مركزية قوية توحّد كل المناطق الثلاث. وكان زعماء هذا الفريق يضمّون دروزة من فلسطين والأتاسي من سوريا الداخلية ورضا الصلح من لبنان.

في الوسط كان هناك حزب صغير من الديمقراطيين. كان أعضاؤه من الشعبويين الذين قاوموا بقوة التهديد الفرنسي وقبلوا بالإصلاحات الدينية بتأثير من كامل القصّاب. وفي حين أن هؤلاء الديمقراطيين كانت لهم مقاعد قليلة في المؤتمر، إلا أنهم كانوا يسيطرون على سياسة الشارع من خلال اللجنة الوطنية العليا[21].

(21) شهرستان، ص 46-50؛ ريماوي، ص202-204؛
James L. Gelvin, *Divided Loyalties: Nationalism and Mass Politics in Syria at the Close of Empire* (Berkeley: University of California Press, 1998), p. 189, =

عرض القصّاب على رشيد رضا رئاسة الحزب الديمقراطي بتأثير من شراكتهما السابقة في حزب الاتحاد السوري. إلا أن رضا اختار أن يبقى مع الأعضاء الآخرين لحزب الاتحاد السوري في الحزب التقدمي المدعوم من جمعية العربية الفتاة، الذي انتخبه رئيسًا له[22].

تجمّع المحافظون في الحزب الحرّ المعتدل، المرتبط بالحزب الوطني السوري الذي أسّسه فيصل في كانون الثاني/ يناير ولم يعمّر طويلًا. كان على رأس المحافظين عبد الرحمن اليوسف، أحد أكثر السياسيين تأثيرًا في دمشق. اليوسف الذي قارب الخمسين من عمره يقال إنه كان أغنى شخص في المدينة. كان ابن موظف عثماني من أصل كردي، وأصبح أميرًا للحج إلى مكة في عمر مبكر نسبيًا. كان عادة ما يجمع في بيته، المشيّد على طراز الباروك، السياسيين لحل الخلافات في المدينة. وبحلول عام 1914 أصبح عضوًا في مجلس الشيوخ العثماني. وبسبب صلاته الوطيدة مع العثمانيين فقد عارض الثورة العربية خلال الحرب. كان هو وغيره من المحافظين الأغنياء يرون في حكومة فيصل تهديدًا لمكانتهم. كانوا يستخدمون تعبير "الأغراب" إشارة إلى فيصل والنواب الذين جاؤوا من الساحل اللبناني وفلسطين[23].

كان الزعيم الآخر لحزب المحافظين العدو اللدود لرضا: عبد القادر الخطيب. ومع أنه كان من خلفية متواضعة أكثر بالمقارنة مع اليوسف، إلا أن أسرة الخطيب كانت قد أصبحت معروفة منذ زمن بين خطباء الجامع الأموي. كان الخطيب في الأربعين، أي أنه يصغر رضا بخمسة عشر عامًا، إلا أنه كان يتمسّك بمعتقدات أكثر تقليدية. ففي عام 1909، حين كان رضا يلقي درسًا عن التجديد

---

= يقدّر غلفن أن الحزب التقدمي كان له 35 مقعدًا والحر المعتدل 20 مقعدًا والحزب الديمقراطي 20 مقعدًا.

(22) رضا، "الرحلة السورية الثانية (10ب)"، ويقول رضا في ص 395 أنه "لم يكن له خيار آخر".

(23) James L. Gelvin, "Post Hoc Ergo Propter Hoc? Reassessing the Lineages of Nationalism in Bilad al-Sham," in: C. Philipp & T. Schumann (eds.), *From the Syrian Land to the States of Syria and Lebanon* (Beirut, 2004), pp. 127-142;

الأرناؤوط، ص 37-50.

في الجامع الأموي، أثار الخطيب حشدًا من الناس ضده. أطلق البريطانيون على الخطيب "المخادع المتعصب" بسبب نشاطه في الهيئة الوطنية العليا[24].

وفي جلسة في أواخر نيسان/ أبريل استغلّ الخطيب قدوم وزير من الحكومة وهو يوسف الحكيم للهجوم على ما رآه هرطقة المشروع التقدمي لتأسيس دولة علمانية. وقد قام آنذاك وجمع عريضة بتوقيع 33 عضوًا من الحزب الحرّ المعتدل، وصرّح آنذاك "أن وزارة المعارف التي تنشئ شبابنا لا تحترم قداسة الدين". كان يشكو من منهج التعليم القومي والعلماني ومن اختلاط الطلاب والطالبات في المدارس، ومن رؤيته للفتيات من دون غطاء رأس في المؤسسات العامة.

حاول أحمد قدري الطبيب الشخصي لفيصل، الذي كان أيضًا عضوًا في المؤتمر، أن يقاطع الخطيب ولكنه استمر في شكواه. نصح الحكيم، وهو موظف عثماني سابق من طائفة الروم الأرثوذكس في اللاذقية، الخطيب في أن يقدّم مخاوفه إلى وزير المعارف مباشرة، إلا أن الخطيب ادّعى أنه فعل ذلك دونما نتيجة.

أقرّ الحكيم أن "نظام الحكم النيابي هو شبكة من الصلات في سلسلة. وإذا لم تحل المسائل بعد مراجعة المسؤولين فالجمهور له الحق في الاحتجاج". وبعد التصفيق له تابع قائلًا: "أنا أؤكد لكم أن حكومتنا تحترم كل الأديان وكل الآراء. يجب ألا تخلط المسائل الخاصة والعامة، ولكن أقرّ بأنني أشارك السيد في رأيه"[25].

أطلق الخطيب بذلك الطلقة الأولى في النقاش حول الدين والحكومة. وظهر ذلك في اليوم التالي حين اقترح نائب آخر منح المرأة حق التصويت. قام رضا مرة أخرى للتوسط، لرأب الصدع بين العلمانيين والمحافظين المتدينين، ما كان يهدد مستقبل المؤتمر والديمقراطية نفسها.

---

(24) David Dean Commins, *Islamic Reform: Politics and Social Change in Late Ottoman Syria* (New York: Oxford University Press, 1990), pp. 105-107, 129-131; Gelvin, *Divided Loyalties*, pp. 109-110; Philip S. Khoury, *Syria and the French Mandate* (Princeton: Princeton University Press, 1987), p. 259.

(25) شهرستان، ص 149-159؛ وهي تعتمد هنا على: "الوزارة أمام الشعب: الوزارة تجيب على أسئلة المؤتمر"، جريدة **الدفاع**، 25-26/ 4/ 1920.

# الفصل الثالث عشر

## تصويت المرأة وحدود الشريعة

في يوم الأحد 25 نيسان/ أبريل 1920 وقف إبراهيم الخطيب، النائب من جبل لبنان، ليشارك في نقاش المادة 78 حول قانون الانتخاب. بلع الخطيب (الذي لا يمتّ بقرابة إلى رجل الدين المحافظ عبد القادر الخطيب) ريقه واقترح أن يُسمح للمرأة المتعلّمة بالحق في التصويت[1].

أثار هذا اللغط الفوضى في المجلس. قام الشيخ سعيد مراد، النائب عن غزة والأستاذ في معهد الحقوق الجديد في دمشق، وهدّأ القاعة. بعد ذلك تحدّث وأيّد الخطيب. وأضاف أن الشريعة ضمنت للمرأة حقوقًا متساوية مع الرجل، ولذلك طالب بحقها في التصويت.

ضجّت القاعة ثانية. ومع فشله في إعادة النظام أجّل رئيس المؤتمر هاشم الأتاسي النقاش إلى اليوم التالي.

---

(1) هذا العرض للنقاش حول تصويت المرأة يعتمد على تقرير جريدة **الدفاع**، العدد 27/ 4/ 1920، الذي استخدمته: ماري ألماظ شهرستان، **المؤتمر السوري العام** 1919-1920 (بيروت: دار أمواج، 2000)، ص 193-208. أما أنا فقد استفدتُ من المقالة المنشورة في العدد (78) أكثر من العدد (79). كما أن ما أوردته هنا اعتمد أيضًا على المصادر التالية: نسخة محررة من النقاش منشورة في مجلة **الحوادث** العدد 25/ 4/ 1975، ص 47-53؛ حنيفة الخطيب، **تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان** (بيروت: دار الحداثة، 1984)، ص 193-205؛
Akram Khater (trans.), "Women and the Vote in Syria," in: Akram Fouad Khater (ed.), *Sources in the History of the Modern Middle East*, 2nd ed. (Belmont, CA: Wadsworth, 2011), pp. 169-177.

تحدّث الخطيب باسم الحركة النسائية السورية الجديدة. فخلال الحرب قامت نساء من أبرز العائلات السورية بفتح المستشفيات والمدارس ودور الأيتام للأطفال، ونظّمت الإغاثة خلال المجاعة ووفّرت للنساء المحتاجات عملًا يكسبن منه. وبعد الهدنة احتشدت النساء للمطالبة بالاستقلال لأمتهنّ وبالحقوق لأنفسهنّ، وبذلك أثبتن وطنيتهنّ[2]. قرأن في المجلات الأجنبية أن النساء البريطانيات المتعلمات قد كسبنَ لتوهن الحق في التصويت، وأن الولايات المتحدة على وشك أن تصادق على التعديل التاسع عشر [للدستور]، الذي يضمن للنساء حق التصويت. وكانت النساء الألمانيات والبولونيات والروسيات قد كسبنَ أخيرًا الحق في التصويت أيضًا، وبعدهن كسبت النساء المسلمات في ألبانيا وأذربيجان الحق في التصويت. وحتى في بيروت قضت فترة الحرب امرأة تركية بارزة هي خالدة أديب، التي سبقتهم إلى البرلمان في إسطنبول[3].

كانت النساء اللواتي قدن الحملة لأجل تصويت المرأة في نيسان/ أبريل 1920 شخصيات معروفة للنواب في المؤتمر وللملك. فقد دعت عنبرة سلام من بيروت رشيد رضا ليتحدّث في ناديها النسائي في كانون الأول/ ديسمبر السابق. وبعد كلمته التي أيّد فيها النشاط المدني للنساء وتحرّرهن التدريجي أثنت سلام على رضا باعتباره المرشد الأعلى للمسلمين في العالم الحديث. ودعت سلام رضا إلى أن ينوّر المسلمين بحقوق المرأة، حيث يمكن للنساء أن يساهمن أكثر في إعادة بناء دولتهن[4]. وفي كانون الثاني/ يناير قادت سلام وفدًا نسائيًا للاجتماع بالأمير فيصل

---

(2) Anbara Salam Khalidi, *Memoirs of an Early Arab Feminist*, Tarif Khalidi (trans.) (London: Pluto Press, 2013), pp. 44-45, 57-59, 71-75; Elizabeth Thompson, *Colonial Citizens* (New York: Columbia University Press, 2000), pp. 94-95.

(3) بعد نهاية الحرب درست خالدة أديب (1884-1964) الأدب في جامعة إسطنبول وشاركت في تأسيس "جمعية مبادئ ولسون" في 14/ 1/ 1919 ونشطت في التحريض ضد الاحتلال الأوروبي لإسطنبول ثم التحقت بالحركة الوطنية بقيادة مصطفى كمال حيث برزت في وكالة "الأناضول" الجديدة والتحقت بالجيش واشتهرت ككاتبة بعد 1923 إلى أن غادرت تركيا في 1926 بعد خلافها مع مصطفى كمال. (المترجم)

(4) محمد رشيد رضا، "الرحلة السورية الثانية (5)"، مجلة **المنار**، مج 22 (نيسان/ بريل 1921).

بعد عودته من باريس. وقد قدّمها والدها، رئيس بلدية بيروت السابق وعضو البرلمان العثماني، للتعرّف إلى فيصل. أصغى إليها فيصل بتعاطف. ومع أن زوجته كانت تعيش في عزلة في المقر الملكي إلا أنها كانت معجبة بالصناعة وتعليم النساء في أوروبا[5].

بعد عدّة أيام في دمشق نظّمت نازك العابد، رئيسة الوفد النسائي إلى لجنة كينغ-كراين، احتفالًا ترحيبيًا بالأمير فيصل شاركت النساء والأطفال في التلويح بالأعلام وهم "يعبّرون عن الحب من قلوبهم لإحياء أمتهم بالمساواة والعدالة والأخوة"[6]. تعهّد فيصل بتقديم الدعم لمدرسة العابد للبنات اليتامى من بنات شهداء الحرب ولمجلتها **نور الفيحاء**. كانت العابد شخصية بارزة في المدينة إلى حد أنها كانت مصدر إلهام لكاتبة بريطانية في كتابة رواية[7].

دعت العابد علانية لحقوق المرأة في غلاف العدد الأول لمجلتها في شباط/ فبراير 1920. كانت مثل عنبرة سلام تربط دعوتها بظروف الحاجة الاجتماعية. أصدرت مجلتها لتكون منتدىً للرجل والمرأة حيث "يتفاهمان ويتفقان على حقائق جديرة بالاعتبار فينهضان بهذا الوطن البائس من حضيض التعاسة"[8].

وحين بدأ المؤتمر في مناقشة البند 78 حول قانون الانتخاب، انضمّت سلام إلى مناشدة العابد لأجل تصويت [المرأة]، وذهبت مع وفد نسائي بالقطار إلى دمشق. ولكي لا يثرن معارضة غير ضرورية فقد بقين محجبات وجلسن في قسم النساء[9]. وكانت العابد قد خرجت إلى محطة الحجاز للترحيب بقدومهن.

إلا أن النساء لم يكن مسموحًا لهن بالدخول إلى قاعة المؤتمر. ولذلك طلبن من إبراهيم الخطيب أن يعرض قضيّتهن. وقد ساهمت بمقالة لمجلة العابد عن تاريخ حقوق المرأة العربية، زاعمًا أنهن كنّ في الماضي يتمتعن "بحقوق لم تكن

---

(5) تزوج فيصل خزيمة بنت ناصر في 1904. وعلى حين أن ابنهما غازي شارك في التتويج فقد بقيت خزيمة محجوبة عن الرؤية العامة.

(6) "Hurray for the Syrian Prince," *al'Arus*, vol. 6, no. 1 (February 1920), p. 1.

(7) Rosita Forbes, *Quest: The Story of Anne, Three Men, and Some Arabs* (London: Cassell, 1922); جرجي باز، **نازك عابد** (بيروت: مطبعة السلام، 1927)، ص 10.

(8) "بسم الله الرحمن الرحيم"، مجلة **نور الفيحاء**، مج 1، العدد 1، 1/ 2/ 1920، ص 2.

(9) Khalidi, pp. 98-99, 110.

النساء حتى الغربيات والأميركيات يتمتّعن بها"[10]. ووافق الخطيب بلهفة على رفع قضيتهن إلى الكونغرس.

## ردّة فعل دينية متشدّدة

لم يكن لدى النساء أوهام بشأن المعارضة الدينية التي واجهنها في المؤتمر. كانت النساء في الشرق الأوسط وجنوب آسيا يستندن في مطلبهن إلى الحقوق المتساوية على روح الإسلام في المساواة. إلا أن معارضيهن سرعان ما وصفوهن بالمرتدين وأعداء الإسلام وحتى بعملاء الحكم الأوروبي. وقد اتهم هؤلاء المعارضون الرجالَ الذين يؤيدون حقوق المرأة بأنهم ماسونيون وبما هو أسوأ[11].

في سوريا، كان رجال الدين المحافظون قد عبّروا عن تصميمهم على حماية التقليد الإسلامي في الشؤون العامة. فما إن انعقد المؤتمر في حزيران/ يونيو 1919، على سبيل المثال، حتى اقترحوا أن تبدأ كل جلسة بالعبارة القرآنية المتعارف عليها في البرلمان العثماني "بسم الله الرحمن الرحيم". إلا أن المعارضين لذلك، ومعظمهم من المحامين، رأوا أنه في العهد الجديد يجب أن تعكس السياسة قيم كل الأمة وليس قيم دين بعينه. اقترح يوسف الحكيم، نائب اللاذقية من الروم الأرثوذكس، تسوية. فقد قال إن التعددية لا تتناقض مع الاعتقاد بالله، مشيرًا إلى أن حتى البريطانيين يعبّرون عن مشاعر دينية في نظام حكمهم العلماني. وهكذا فقد أقنع النواب أن يفتتحوا الجلسات ببدايتها من كلمة واحدة "باسم الله"[12].

---

(10) إبراهيم حسن الخطيب، "حقوق المرأة قبل وبعد الإسلام"، مجلة **نور الفيحاء**، مج 1، العدد 10 (شباط 1920)، ص 7. كان الخطيب يمثل ناحية Sheheem بإقليم الخروب في منطقته الشوف جنوب بيروت.

(11) Leila Ahmed, *Women and Gender in Islam* (New Haven: Yale University Press, 1992), pp. 144-188; Beth Baron, *The Women's Awakening in Egypt* (New Haven: Yale University Press, 1994), pp. 103-121; Elizabeth Thompson, *Colonial Citizens* (New York: Columbia University Press, 2000), pp. 94-100, 117-126.

(12) يوسف الحكيم، **سوريا والعهد الفيصلي**، ط 2 (بيروت: دار النهار للنشر، 1980)، ص 95-96؛ محمد موفاكو الأرناؤوط، **دراسات حول الحكومة: الدولة العربية في دمشق 1918-1920** (عمان: دار الشروق، 2000)، ص 37-46، 68.

في الشهور العشرة اللاحقة كان أولئك المحافظون أنفسهم يرون في كلّ اقتراح للمزيد من حقوق المرأة تهديدًا وجوديًا. كانت حقوق المرأة قد حُدّدت في الشريعة في ما يتعلق بالزواج والطلاق والإرث التي كان يبتّ بها القضاة في محاكم دينية مستقلة. إلا أن نظام الأتراك الجدد خلال الحرب نقلوا السلطة القانونية في أمور الأحوال الشخصية إلى الدولة المركزية بقانون الأسرة الصادر في عام 1917. وبعد سنة رحّب رجال الدين المسلمون بالهزيمة العثمانية كفرصة لاسترداد سلطتهم التي خسروها. ولكن ظهر الآن أن الحكم السوري الجديد ينوي أن يحجّم سلطتهم أكثر. ففي 29 آذار/ مارس أعلن رئيس الوزراء الركابي عن تأسيس إدارة جديدة للشؤون الدينية أُعطيت لها صلاحية النظر وتعيين المفتين والدعاة والمدرسين في نظام التعليم الجديد للمدارس الدينية التي تموّل جزئيًا من الأوقاف[13].

وهكذا في نهاية نيسان/ أبريل كان المحافظون في المؤتمر مستعدّين لشنّ معركة ضد العلمانيين وحتى ضد المجدّدين الدينيين الليبراليين من أمثال رضا. كان المجدّدون يهدفون إلى تجاوز التقاليد القديمة بالانتقال من الأحكام التي تجاوزها الزمن إلى المبادئ الأساسية في النصوص المقدسة. كان هذا يشمل مبادئ التحديث والتوازن في الدين، وكذلك المساواة بين جميع المؤمنين أمام الله، بمن فيهم النساء.

استحضر النقاش حول تصويت [المرأة] هذه النزاعات السياسية الحادة لتتحول إلى عاصفة كاملة، وهو ما دفع رضا أخيرًا إلى مواجهة أعدائه الألدّاء بين النواب المحافظين. كانت الظروف التي ساعد فيها المؤتمر لحلّ المسألة تمثل سابقة تاريخية للتصالح بين القانون السماوي والحكم الديمقراطي.

## استئناف النقاش حول تصويت المرأة

في صباح الإثنين 26 نيسان/ أبريل أعاد سكرتير المؤتمر عزة دروزة فتح النقاش مع اقتراح للموافقة على تصويت المرأة. وقد أشار هنا بقوله إن "الأستاذ سعيد مراد

(13) الأرناؤوط، ص 50-51.

كفانا مؤونة البحث بأنه أتانا بحجج دامغة وبراهين قاطعة بأن الشريعة الإسلامية سجّلت للمرأة حقًا لا يقل عن حق الرجل". فالشريعة التي تسمح لهم بأن يكنّ قاضيات وعالمات لا يمكن أن تحرمهنّ من المشاركة في الشؤون العامة.

حصر دروزة النقاش حول الإجراءات وليس الأهداف. فسأل: ما هي الوسيلة الأكثر فاعلية لطرح تصويت المرأة في المجتمع المحافظ في سوريا؟ فإذا كانت الدولة تريد تغييرات مفاجئة للعادات القديمة فإن ذلك يمكن أن يؤدي إلى ردّة فعل عنيفة. ولذلك اقترح دروزة أن التغيير التدريجي يمكن أن يكون مثمرًا أكثر: "هل اقتراح السيد ابراهيم الخطيب نزعٌ للعادة فجأة أو تدريجيًا؟".

ردّ الخطيب: "أنا أرى أن يكون تدريجيًا".

قام زميل دروزة في اللجنة الدستورية سعد الله الجابري من حلب وأيّد المطالبة بحق التصويت للمرأة المتعلّمة. أثار هذا ردًا فوريًا من رجل الدين العضو في اللجنة الدستورية ونائب حماة الشيخ عبد القادر الكيلاني. خطا إلى المنصة بجبّته وعمامته، بالمقارنة مع البدلات بالياقات المشدودة والشوارب الأنيقة للجابري والخطيب.

عارض الكيلاني بغضب الاقتراح. اعترف بأنّ الشيخ مراد قد يكون على حق في قوله إن الشريعة ضمنت المساواة للنساء ولكن لـ"نترك البحث فيه منتقلين إلى الوجهة الأخلاقية والإدارية". سأل أخيرًا: "أروني دولة من دول أوروبا أعطت الإناث هذا الحق".

جاءت الأصوات من المقاعد عالية: "إنكلترا، السويد، تركيا!".

عاد الكيلاني إلى الحديث: "أيها السادة، نساؤنا غير المتعلمات بنسبة 99 في المئة، فإذا أردتم رقيّ النساء كما تدّعون فافتحوا لهنّ المدارس وعلّموهن ليكن مدرسةً لأبنائهن. ثم انظروا في الفروع، 'فكلّ بناء لا يُبنى على أساس متين يخرب'".

أثار الكيلاني بعد ذلك مسألة أخرى، ألا وهي الاختلاط بين الرجال والنساء، سائلًا: "إذا أعطينا حقّ الانتخاب للمرأة يجب أن تكون مبعوثة، فهل تريدون أن تكون بينكم؟".

أشار الجابري إلى أن هذا يحدث بدرجة معينة: "نراها تذهب إلى السوق وتشتري".

لم يكن الكيلاني مرتاحًا لذلك، وردّ قائلًا: "ذلك بحث آخر، وأنا أرى أن وجود المرأة ناخبة أو مبعوثة مع هذا الجهل وفساد الأخلاق مضر لا نافع، ومتى نمت الأخلاق الفاضلة يُنظر في الأمر".

أما دعاس جرجس، العضو المسيحي في حزب الكيلاني، الحزب الحر المعتدل، فقد تحدث لمصلحة تصويت المرأة وأقرّ بأن الغالبية غير المتعلمة من النساء يجب أن لا تصوّت، ولكنه أصرّ على اتباع المبدأ الذي يطالب بمنح التصويت للنساء المتعلمات.

وقال جرجس: "إن الحكومة التركية في مقدمة الحكومات الإسلامية التي تتقيّد بأحكام الشرع الشريف، ومع ذلك أعطت حق الانتخاب للمرأة. إنّ لكم بما شاهدتموه إبان الحرب من خدمة النساء المسلمات في الجيش دليلًا على أن مساعدة الجنس اللطيف ذات أهمية كبرى".

تدخل نائب دمشق أحمد قضماني قائلًا: "جعلها الله بنصف عقل ونصف ميراث".

رفض جرجس مثل هذا التعصّب ليستحضر الحاجة السياسية: "لوضع هذا الأساس في قانوننا أهمية عظيمة سيما في موقفنا السياسي الآن، فعليه أطالب قبول الاقتراح وإحالته إلى اللجنة".

انطلق التصفيق من الجهة اليمنى للقاعة.

وقف عادل زعيتر للحديث، وهو وجيه محافظ من نابلس بلدة دروزة: "أرى أن ذلك مضرّ لأنه لا يمتزج مع روح الأمة. تعلمون أيها السادة أن بعض الأمم الأوروبية ما أقدمت على هذا الأمر إلا بعد أن دخلت في تطورات امتدت 600 سنة، أما نحن ففي بدء حياتنا الاجتماعية نريد أن نعطي هذه الحقوق لهن كي نصبح أضحوكة عند علماء الاجتماع".

"أنّ لكل أمة تقاليد وعادات مستحكمة، فإذا لم تكن القوانين مستندة إليها تسبّب الثورات والمشاغبات في البلاد". جاء التصفيق من وسط القاعة. تابع زعيتر قائلًا: "إننا جئنا إلى هذا المكان لنعبّر عن رأي الأمة، فإذا أعطينا رأيًا أو سننّا قانونًا لا تقبله فهل نكون قد وفّينا الأمانة حقها؟".

جاءت الأصوات قائلة: "لا!".

وقف صبحي الطويل من اللاذقية ليفنّد زعيتر: "المرأة المتعلمة خير من ألف رجل جاهل... فلماذا نعطيهم حقّ الانتخاب ونحرم منه النساء المتعلمات؟".

سأله قضماني من مقعده: "كم واحدًا يوجد مثلك في اللاذقية؟".

ردّ عليه الطويل: "إذا كان لديك ما يقال فشرّف إلى المنبر ولا تتكلم من تحت. إذا أخذنا هذه الأصول النيابية عن أوروبا فلا ضرر من متابعتنا إياها في هذا السبيل تدريجيًا".

القضماني: "نحن في الشام لا نريد ذلك، فاجعله في اللاذقية".

الطويل: "أنا بكلّ قوتي أؤيد اقتراح الأخ ابراهيم الخطيب وأطلب أن يصوّت عليه بذكر الأسماء".

في هذه اللحظة وقف الشيخ سعيد مراد من غزة، بطل حقوق المرأة، ليصفق مؤيدًا. ومع رؤيته أن بعض النواب بقوا صامتين تدخّل النائب الشاب رياض الصلح قائلًا: "يجوز أن يكون قسم من الأعضاء على غير رأيه، ولكن إكرام العلم واجب فصفقوا له". دوى التصفيق عاليًا في القاعة.

استشهد مراد بآيات من القرآن واعترف أن الاختلافات في الرأي بين الرجال طبيعية، وقال إن هذا "سُنّة الكون". ولكن، كما تابع، يجب أن يركّز الدليل على المسألة الأساسية. فالنواب يجب أن يتركوا جانبًا النقاش الديني العبثي والقلق على الحجاب وأن يركزوا على ما هو في الحقيقة مهم في تصويت المرأة: استقلال سوريا.

"أول دافع لي على التكلم في هذا الموضوع هو ما قرأته في مدونات الغربيين وصحفهم إذ قالوا 'إنّ الشرق يحتاج إلى وصاية الغرب عليه لأنهه سجّل على نفسه جهل نصفه'، يعني المرأة".

سادت الضجة ثانية في القاعة. ولكن مراد تابع قائلًا: "أتكلم بالعربية الفصحى التي يفهمها كل أحد: يقول الغربيون إنّ الشرق الذي سجّل عليه إلى أجل غير معلوم جهل نصفه يجب أن نكون نحن (الأوروبيون) أوصياء عليه".

سادت الضجة مرة أخرى. غادر القضماني القاعة غاضبًا مع خمسة من النواب: الشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ محمد المجتهد من دمشق. وهو مثل القضماني، وإبراهيم الشيخ حسين من دير الزور والشيخ أحمد العياشي من إدلب وخليل التلهوني من معان.

نادى الرئيس الأتاسي: "لقد فقدنا الأكثرية!".

إلا أن دروزة عدّ الحاضرين في القاعة وأكد: "الأكثرية موجودة".

## تدخل رشيد رضا

لمس [الشيخ] مراد وترًا حساسًا آخر في السياسة السورية. فمنذ ما قبل الحرب كان النقاش السياسي قد بلور موقفين في ما يتعلق بتقليد الغرب. كان المسلمون المحافظون يشعرون بأن تقليد الغرب سيؤدي إلى أن تفقد الأمة روحها. ولهذا السبب رفض كامل القصّاب والحزب الديمقراطي بإصرار أي إصلاح في حقوق المرأة. وقد أخذ أعضاء اللجنة الوطنية العليا بمضايقة النساء في الشوارع معتبرين ذلك عملًا وطنيًا حقًا[14]. كان هؤلاء ينزعجون من الادّعاء الأوروبي بأن حجاب المرأة رمز للتخلف الإسلامي[15]. ولذلك سمع عبد القادر الخطيب وحزبه صدى ذلك الرأي الاستعماري في حجة الشيخ مراد في جلسة 26 نيسان/ أبريل.

---

(14) James L. Gelvin, *Divided Loyalties: Nationalism and Mass Politics in Syria at the Close of Empire* (Berkeley: University of California Press, 1998), pp. 148-149, 214-215.

(15) James L. Gelvin, "'Modernity,' 'Tradition,' and the Battleground of Gender in Early 20th-Century Damascus," *Die Welt des Islams*, 52 (2012), pp. 1-22; Ahmed, pp. 144-168.

أصاب هذا النقاش مهمة المؤتمر بشكل مباشر. كان السوريون قد عقدوا هذا المؤتمر كي يثبتوا لأوروبا أنهم قادرون على حكم سوريا كدولة حديثة، من دون مساعدة الانتداب الأجنبي. ولكن هل الإجراء الديمقراطي وحده يكفي؟ هل يجب على المؤتمر تبنّي قوانين على النمط الأوروبي؟ كانت هذه الأسئلة حاسمة لاستمرار المؤتمر. كان الإجماع الهش في آذار/ مارس في خطر الآن. هل يمكن للمؤتمر أن يستمر إذا لم يعد النواب الستة الذين غادروه؟

كان هذا النوع من المنطق المزدوج - اعتبار قبول الإصلاحات على النمط الأوروبي خيانة للحضارة العربية - قد أصاب أيضًا الإصلاح الإسلامي. فقد رفض العلماء من أمثال رضا الاتهامات بأنهم يفصّلون الإسلام كي يناسب الحضارة الغربية. وقد قالوا إن الإسلام يشارك كل الحضارات في القيم الأساسية، وأن إصلاحاتهم تقوم على الجذور العميقة للمبادئ الإسلامية. وبغض النظر عما كتبه المستشرقون الأوروبيون عن تخلّف الإسلام، فإنّ المسلمين يمكنهم أن يصوغوا الحداثة بما يناسب واقعهم[16].

بهذه الروح حاول النائب الفلسطيني رفيق التميمي أن ينقذ هذه اللحظة. وأكد أن ضمان تصويت المرأة لا يتطلب الارتداد عن الإسلام: "بإمكاننا أيها السادة أن نؤالف المذهبين القديم والجديد". اقترح أن يجري تصويت الرجال والنساء في أماكن مختلفة لتجنّب الاختلاط بين الجنسين، أو أن يمكن أن يصوّتن بتوكيل أوليائهن الذكور. كما أشار التميمي إلى أن بعض النساء قد يخترن عدم التصويت بالمرة.

تابع التميمي في إشارة مباشرة إلى مضايقات اللجنة الوطنية العليا للنساء: "أبارك له (المؤتمر) لأنه قام متشبّثًا بإعلاء شأن المرأة في الوقت الذي قام الرعاع والسفهاء في العاصمة بالتعدي على الجنس اللطيف. وإذا كان المؤتمر، وهو

---

(16) Itzchak Weismann, *Abd al-Rahman al-Kawakibi: Islamic Reform and Arab Revival* (London: Oneworld, 2015); David Commins, "Religious Reformers and Arabists in Damascus, 1885-1914," *International Journal of Middle East Studies*, 18 (1986), pp. 405-425; Joseph H. Escovitz, "He Was the Muhammad 'Abduh of Syria": A Study of Tahir al-Jaza'iri and His Influence," *International Journal of Middle East Studies*, 18 (1986), pp. 293-310.

المتكلم بلسان الأمة، لا يضع حدًّا لتعدّي السفهاء على النساء المحترمات في الشوارع فعلى الحرية السلام!".

نهض إبراهيم الخطيب من مقعده قائلًا: "لو عرفتُ أن الأفكار مستعدة لقبول اقتراحي لهذه الدرجة لكنت اقترحتُ أن نعطي المرأة أكثر من هذا الحق".

انفجرت ضجة في القاعة عكس صداها ضجة الرعاع في الخارج، في ساحة المرجة. هدّد الخطيب غاضبًا بالاستقالة من الحزب الحر المعتدل وأعضائه "الجهلاء". إلا أنه تراجع وطالب بإجراء تصويت فوري: "لقد ناقشنا بما فيه الكفاية!".

كان رشيد رضا يفكر بطريقة أخرى. فبعد أن بقي صامتًا طيلة اليوم نهض رئيس الحزب التقدمي وسط تصفيق طويل. كان يشعر بتوعك بعد أن تعرض إلى نوبة ملاريا خلال الأسبوع السابق.

بدأ رضا بالاعتذار لعدم تمكّنه من مراجعة الشريعة في ما يتعلق بحقوق المرأة، ولكنه أكد للمجلس أن هذه ليست مشكلة. أوضح رضا أنه بعد متابعته للنقاش حول حقوق المرأة في مصر توصّل إلى أن هذه مسألة سياسية وليست مسألة دينية.

توجّه رضا بالنصح قائلًا: "يجب أن نحافظ على مركزنا عند الأمة سيما وأنها أرسلتنا لشيء خاص لا لشيء عام، ولكن قضت المصلحة العامة بذلك... غير أن مسألة الانتخاب لا تترتّب عليها مصلحة". ثم حذّر قائلًا: "وقد توجب سوء التأثير، أظن أنكم تعرفون أن العوامّ والتيار العمومي لا يقبلان تحقيقًا، فصرخة واحدة كافية لإثارتهما".

في الظاهر كان رضا يناقش في أن مسألة حقوق المرأة ليست مهمة إلى حد أن تثير مثل هذا النزاع. لقد انعقد المؤتمر لتأكيد استقلال سوريا، ولذلك إن تصويت المرأة مسألة جانبية. أما على المستوى العميق فقد كان رضا منذ سنوات يفكر ويكتب حول دور الشريعة في العالم الحديث. كان الشرط الأساسي في حديثه المصلحة العامة. إن هدف الحكم خدمة الجمهور في طيف واسع من المسائل التي تتجاوز باتّساعها مجال الشريعة. وبحسب رأيه إن الشريعة يجب أن تحكم

في مجال محدد من المسائل العامة، يشمل تحديدًا أوضحَ لشؤون الدين، وتنظيم الشعائر، والحياة العائلية. أما خارج هذا المجال فعلى السياسيين وضع قوانين جديدة تلبّي الحاجات الحاضرة[17].

إلا أن إيمان رضا بوجود حدود لمجال تطبيق الشريعة لا يعني أن رضا كان لا يؤمن بالحكم الإسلامي. كان يؤمن بالحاجة الروحية والأخلاقية لخليفة مسلم، كما كان يعتقد أن الحكم الإسلامي يجب أن يستند إلى المبادئ الإسلامية في العدل والانسجام والشورى والحل الوسط. وباختصار، إنّ الإسلام يجب أن يرشد السياسيين في كيف عليهم أن يحكموا ولكنه ليس بالضرورة أن يحدّد القوانين التي عليهم أن يقرّوها.

ومع صلته الوثيقة بموضوع النقاش، وثوريته بالنسبة إلى الطرفين، كان رضا لا يؤمن بأن تصويت المرأة غير وارد في الشريعة على الإطلاق. فلا يهم هنا - كما قال الشيخ مراد - أن الإسلام طالب بالمساواة، كما لا يهم هنا - كما رأى الكيلاني وقضماني - أن الإسلام أبقى النساء تحت ولاية الرجال في الأسرة وكفل لهنّ فقط نصف ما يأخذه الرجال من الإرث. ما كان يهم في 26 نيسان/ أبريل 1920 أن المؤتمر يجب أن يقود الأمة في وقت أزمة وجودية. كان رضا يخشى من أن المؤتمر إذا فرض القوانين ضد رغبة الشعب فسوف يهدّد بذلك مصيره. ولذلك عاد رضا إلى البراغماتية التي كانت تنعش الإصلاح الإسلامي.

---

(17) بدأ فهمي للدور المحوري لرضا مع قراءة رسالة الدكتوراة لديالا حمزة، التي أشكرها للسماح لي بالاحتفاظ بنسخة منها. وقد نشرت حمزة في الإنكليزية إحاطة بمجلتها مثل:

"From 'Ilm to Sihafa or the Politics of the Public Interest (Maslaha): Muhammad Rashid Rida and His Journal *al-manar* (1898-1935)," in: Dyala Hamzah (ed.), *The Making of the Arab Intellectual* (New York: Routledge, 2013), pp. 90-127.

استنادًا إلى سجل رضا في 1919-1920.

إني أقدّم هنا عرضًا مختلفا لرأي حمزة. فعلى خلاف كثير مع علماء المسلمين، وحتى لممارسته اللاحقة، استخدم رضا مفهوم "المصلحة العامة" للحدّ من مجال الدين وليس لتوسيعه. ينظر:

Felicitas Opwis, *Maslaha and the Purpose of the Law* (Leiden: Brill, 2010).

وحول الاختلاف مع آرائه اللاحقة التي وسّعت مجال الشرع الإسلامي ينظر:

Ahmad Dallal, "Appropriating the Past: Twentieth-Century Reconstruction of Pre-Modern Islamic Thought," *Islamic Law and Society*, vol. 7, no. 1 (2000), p. 326.

قال رضا متابعًا: "إذا أردتم وضع قانون عملي يجب مراعاة مشاعر الأمة. إنّ المسائل الدينية تُحلّ بالاستناد إلى النصوص الشرعية. ولكن المسائل المدنية ترتبط بالمصالح العامة، التي تختلف باختلاف الزمان والمكان". وإذا قرر القادة أن تصويت المرأة يفيد مصالح الأمة "فالشرع يخرّجه".

ولكن رضا أوضح أن هذا التصويت لا توجد فيه مصلحة عامة الآن: "أطلب رفض مسألة حقّ الانتخاب للمرأة وعدم وضعها في القانون". إلا أنه بيّن أن رأيه السلبي لا يمثل استسلامًا للتقليد الجامد حول عزل المرأة. فقد دعا رضا إلى أن يرِد في الدستور ما يخصّ تعليم البنات: "لقد قلتُ بوجوب محاربة الجامدين الذين يريدون أن تبقى المرأة جاهلة".

سارع نائب من اللاذقية إلى تنبيه رضا بتناقضه مع نفسه: "إني قرأتُ في التفسير الذي ينشره السيد رشيد رضا في **المنار** الآية الآتية: ﴿ولهنّ مثل الذي عليهنّ﴾ أي إنه قابلَ حقّ الرجل بحقّ المرأة".

استبعد رضا فكرة أن الشريعة طالبت بشكل واضح أن تمنح المرأة حق التصويت: "قلنا إن المسألة لا مصلحة فيها".

كان رضا واضح الانفعال عندما استذكر ردّة الفعل الرجعية العنيفة التي عانى منها لاقتراحه الإصلاح في درس بالجامع الأموي: "أيها الأخوة، قبل عشر سنوات حين بدأت ألقي درسًا عن مسائل دينية ثار كلّ العالم ضدي. والآن أنتم تضغطون علي للقول إن هذه المسألة ستثير الكثير من الاضطراب والخطب في الجوامع ضد المؤتمر. لا توجد فائدة عملية في ذلك".

في عام 1909 تمكن رضا من زيارة سوريا من منفاه في مصر بفضل عودة الحريات المدنية بعد الثورة الدستورية. دعاه المجدّدون الإسلاميون لإلقاء درس في الجامع الأموي. إلا أن عبد القادر الخطيب، المعارض للإصلاح والثورة [الدستورية]، نظم هجومًا على رضا. فخلال درسه عن الحاجة إلى دراسة العلم ومنع التوسل بأولياء الصوفية، قام واحد من الحضور ليقاطعه ويتهمه بكونه وهابيًا (مثل السعوديين). قام [عبد القادر] الخطيب ليؤكد الاتهام. وفي تلك الليلة شارك

الآلاف في الشغب الذي حدث في دمشق، ما أدى إلى أن يغادر رضا المدينة. علم رضا لاحقًا أن الخطيب والمحرض قد خطّطا كي يستغلّ درسه لحشد الدعم لحزبهم المعارض للثورة في الانتخابات البرلمانية المقبلة[18]. والآن بدا أن التوترات القديمة تهدّد بتخريب العهد الجديد للاستقلال.

قام الدكتور سعيد طليع، نائب طرابلس الذي نشر الكتاب التذكاري عن الاستقلال، للدفاع عن رضا. وقال إن الوقت غير مناسب لإصلاح دراماتيكي: "مسكينة هي المرأة التي تبحثون عن حقها في المجلس وهي تهان في الشوارع". ذكّر طليع المجلس بأن اليابانيين وضعوا دستورهم بشكل براغماتي، أعطوا الأفضلية لما هو مناسب لبلادهم وتركوا جانبًا الأدلة النظرية للاختصاصيين القانونيين.

أضاف طليع: "لو كنتُ في أوروبا لكنتُ من الذين يدافعون عن إعطاء هذا الحق للمرأة. ولكن بما أني سوري وفي سوريا لا يمكنني ذلك... فكل قانون لا ينطبق على روح الأمة لا يجدي نفعًا، فسوريا لا تتحمل هذا القانون".

إلا أن رياض الصلح، نائب صيدا، أكّد المبدأ وليس السياسة. رفض مغادرة النواب الستة باعتبارها نموذجًا للأشخاص العنيدين الذين لا يقدرون على مواجهة دليل مقنع: "عندما أقف على هذا المنبر لا أسأل عن المقاهي والبيوت أهي ضدي أم لا. أنا مبدئيًا أقبل بإعطاء الحق الذي يعود للمرأة. فإذا كانت مقاهي الشام لا تقبل هذا الأساس فالمقاطعات الباقية تقبله بكل سرور".

إلا أن الصلح بعد عرض رأيه رفعَ غصنَ زيتون لأجل تسوية: "أرى ما اقترحه الإخوان خير ترضية للمفكرين، وهو اقتراح يقول بعدم البتّ في هذا الموضوع. أرى من الواجب تنبيه الحكومة إلى أن المؤتمر لا يرضى بتاتًا بالحوادث التي وقعت في المدينة ضد النساء. من العار أن نقبل بذلك".

---

(18) تقرير شاهد عيان مقدّم من أسعد الكواكبي في: السيد يوسف، **رشيد رضا والعودة إلى طريق السلفية** (القاهرة: ميريت، 2000)؛ محمد رشيد رضا، "الرحلة السورية"، مجلة **المنار**، مج 11 (كانون الثاني/يناير 1909)؛ الأرناؤوط، ص 39-44؛
Commins, "Religious Reformers,"; Gelvin, *Divided Loyalties*, p. 110.

قام جورج حرفوش نائب بيروت بآخر خطوة لتأييد الشيخ مراد: "أثبت المؤتمر بعمله هذا أنه يمشي مع المدنيّة الحرّة. غدًا تقرأ أوروبا في جرائدها أن أعضاء المؤتمر السوري اقترحوا إعطاء حق الانتخاب للمرأة، فتأكدوا إنا نحدث بذلك تأثيرًا يغنينا عن عشرين وفدًا. وعليه أوافق على رأي القائلين بوجوب إعطاء المرأة حقها".

آنذاك سأل الرئيس الأتاسي: "هل ترون المذاكرة كافية؟".

ردّت الأصوات عليه: كافية!

قام عثمان سلطان، النائب الآخر عن طرابلس وعضو اللجنة الدستورية، وقدّم اقتراحًا بتأجيل التصويت على حق المرأة في الانتخاب: "سنحتفظ بنسخة من الاقتراح ولكن نترك البند كما هو". أيّد هذا الاقتراح خمسة عشر نائبًا.

وبعد ذلك سأل الأتاسي: "من يؤيد ذلك ليرفع يده رجاء".

رفعت الغالبية أيديها.

بعد ذلك طلب الأتاسي التصويت على الاقتراح لإدانة الرجال الذين يهاجمون النساء في الشوارع. رفعت الغالبية أيديها بالموافقة، وبذلك انتهت الجلسة.

## نكسة للمُثُل الليبرالية

لم يكن الإسلامُ بل على الأكثر الضغطُ العام لمتظاهري اللجنة الوطنية العليا الذي نسف تصويت المرأة، كما يعتقد دروزة[19]. كان كل النواب تقريبًا أقرّوا أن القرآن كفل للمرأة المساواة السياسية، إذ إن الغالبية في الواقع سجّلت موافقتها في محاضر المؤتمر. وعندما اجتمع دروزة واللجنة الدستورية قرّروا أن يتركوا قانون الانتخاب مفتوحًا للتفسيرات في المستقبل. فلكي لا يفهم أن التصويت للرجال

(19) محمد عزة دروزة، **مذكرات محمد عزة دروزة 1887-1984** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، ج 1، ص 462.

فقط استخدموا التعبير العام "كل سوري"، الذي يمكن أن يُفهم باعتباره يشمل الذكور والنساء[20].

إلا أن رضا اكتفى في يومياته بذكر النقاش حول تصويت المرأة بشكل مختصر في ليلة 26 نيسان/ أبريل. كان يشغله اجتماع آخر في تلك الليلة عُقد لمواجهة آخر تهديد لاستقلال سوريا جاءها من سان ريمو[21].

في ظروف أخرى كان يمكن لرضا أن ينضم إلى التقدميين لدعم تصويت المرأة. إلا أن الأخبار الخطيرة حول منح المجلس الأعلى لفرنسا الانتداب على سوريا أثار غيومًا سوداء غطّت على النقاش. كانت الأولوية للأمة في ذلك اليوم استقلال سوريا، الذي يمكن الدفاع عنه فقط بالوحدة السياسية. لم يكن في وسع المؤتمر تحمل التصدع[22].

أقرّت نازك العابد هذه الأولوية العليا. توجهت لقرائها في عدد أيار/ مايو 1920 من مجلتها بالقول: "اخرجي من مخبئك... وطنك بحاجة إليك. أيقظي الهمم بنشاطك وارفعي صوتك اللطيف وذكّري [الفتاة] الوطنية بواجبها"[23].

---

(20) الأرناؤوط، ص 47-48، 87.

(21) يوميات رشيد رضا، 26 نيسان/أبريل 1920، كما نُشرت في: محمد رشيد رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (7)"، مجلة **المنار** (يونيو 1934).

(22) Gelvin, *Divided Loyalties*, p. 192.

حول قلق رضا من أن الأوروبيين يمكن أن يستغلوا التصدع في المؤتمر ينظر ما كتبه رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (7)".

(23) نازك العابد، "ابنة الأمة، أين أنت؟"، مجلة **نور الفيحاء**، 31/ 5/ 1920، ص 116. وأشكر هنا سيغلي غريب C. Gribb للسماح لي بالاطلاع على بحثها عن **نور الفيحاء**.

# الفصل الرابع عشر

## دستور ديمقراطي للمسيحيين والمسلمين

قبل يومين من النقاش حول تصويت المرأة الذي سبّب الانقسام في المؤتمر، واجه النواب تهديدًا دبلوماسيًا أكبر كانت الحكومة تخفيه. في 24 نيسان/ أبريل استجوب المؤتمر يوسف الحكيم وزير التجارة والزراعة والأشغال العامة حول حوادث الاضطرابات في المنطقة الساحلية تحت السيطرة الفرنسية. اطّلع النواب على تقارير مفزعة عن أن فرنسا وزّعت مذكرة ضدّ المؤتمر، وأنها أنزلت العلم السوري من على مكتب الممثل العربي في بيروت، واعتقلت خطيب جامعٍ بسبب ذكره اسم الملك فيصل في خطبة الجمعة.

كشف هذا الاستجواب عن الترابط بين أحداث لبنان ومؤتمر سان ريمو. كانت كلّ هذه الأحداث تشحن الجو الطائفي لتهدّد الديمقراطية التعدّدية التي تأسّست في دمشق. ردّ المؤتمر على ذلك بفرض تغيير في الحكومة، كما مضى المؤتمر - الذي كان بقيادة رجلي دين مسلمين - في صياغة ضمانات قانونية في الدستور لحقوق الأقليات ومساواتها. وخلال أيار/ مايو وحزيران/ يونيو، مع تزايد التهديدات وقيام الحكومة بوضع مشروع عسكري للدفاع عن سوريا، أنهى المؤتمر صياغة الدستور الذي يؤسّس لملكية نيابية ديمقراطية. وأُعلن النص الكامل لهذا الدستور للعموم في 5 تموز/ يوليو 1920.



**الصورة (14-1)**

**إعدامات 1916**

أعدم حاكم سوريا العسكري 21 من القادة العرب المعروفين بتهمة الخيانة في بيروت ودمشق في 6 أيار/مايو 1916. أشعلت هذه الإعدامات الثورة العربية، التي انطلقت بعد شهر.



**الصورة (14-2)**

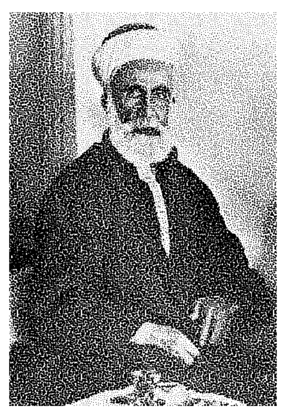
**مجاعة الحرب**

مجاعة سنوات الحرب بسبب حصار الحلفاء وحاجات الجيش العثماني، وأدّت إلى وفاة حوالى 500 ألف شخص في سوريا الكبرى، وأدت إلى تحوّل السكان ضد الحكم التركي.



**الصورة (14-3): جورج بيكو**

فرانسوا جورج بيكو، المفاوض الفرنسي في اتفاقية سايكس بيكو 1916 والمفوض السامي الفرنسي في سوريا وكيليكيا.



**الصورة (14-4)**

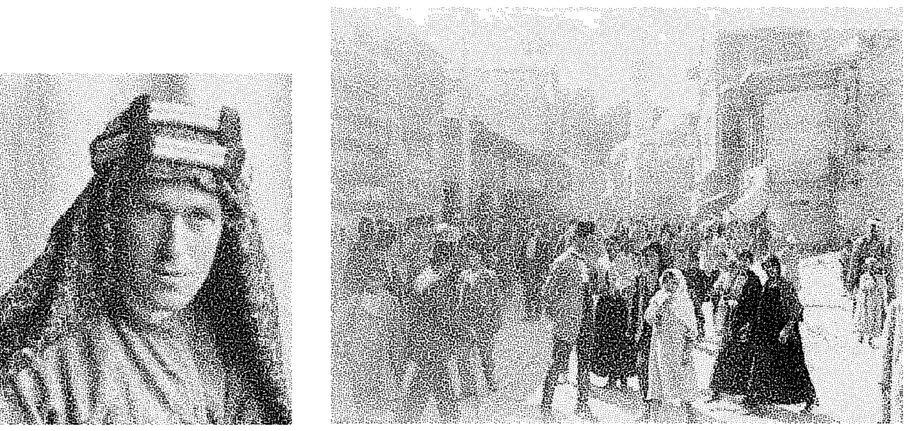
**الشريف حسين**

حسين شريف مكة، والد الأمير فيصل، الذي أطلق الثورة العربية بوعود بريطانية باستقلال عربي.

**الصورة (14-5)**

**الجيش العربي**

قوات من الجيش العربي الشمالي تدخل دمشق في 1/ 10/ 1918 وهي تمرّ بجنود بريطانيين في سيارة.



**الصورة (14-6): من شوارع دمشق**

دمشقيون قرب جامع الدرويشية في 2/ 10/ 1918، في اليوم الثاني لدخول قوات التحالف والقوات العربية إلى المدينة.



**الصورة (14-7): ت. إ. لورنس**

العقيد ت. إ. لورنس، ضابط الارتباط البريطاني مع الأمير فيصل خلال الثورة العربية.



**الصورة (14-9): الأمير فيصل**

فيصل بن الحسين، قائد الثورة العربية ولاحقًا ملك المملكة العربية السورية.



**الصورة (14-8): محطة القطارات في درعا**

محطة القطارات في درعا، جنوب دمشق، من حيث انطلق الأمير فيصل لفتح العاصمة السورية. أدت احتجاجات درعا إلى انطلاقة الانتفاضة الديمقراطية في عام 2011.



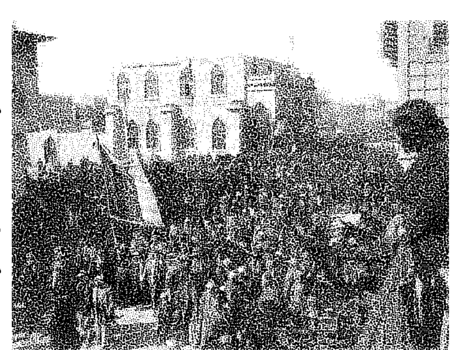
**الصورة (14-10): ألَّنبي**

الجنرال إدموند ألَّنبي، قائد قوات الحملة المصرية البريطانية.



**الصورة (14-11): فيصل يغادر فندق فيكتوريا**

الأمير فيصل يغادر فندق فيكتوريا في 3/ 10/ 1918، حيث عرف للتو من الجنرال ألَّنبي أن على العرب أن ينتظروا مؤتمر الصلح في باريس لضمان استقلالهم.



**الصورة (14-12): فيصل في حلب**

دخول الجيش العربي إلى حلب في نهاية تشرين الأول/أكتوبر 1918، ويظهر على اللافتة "الأمير المعظم فيصل يجدّد الاستقلال العربي". وصل فيصل إلى حلب بعد عدة أيام ليعلن عن تأسيس نظام دستوري يضمن المساواة لجميع العرب من مسلمين وغير مسلمين، أغنياء وفقراء.



**الصورة (14-13): الركابي**

الجنرال رضا باشا الركابي أول حاكم عسكري لسوريا ورئيس وزراء لاحقًا.



**الصورة (14-14): المسجد الأموي**

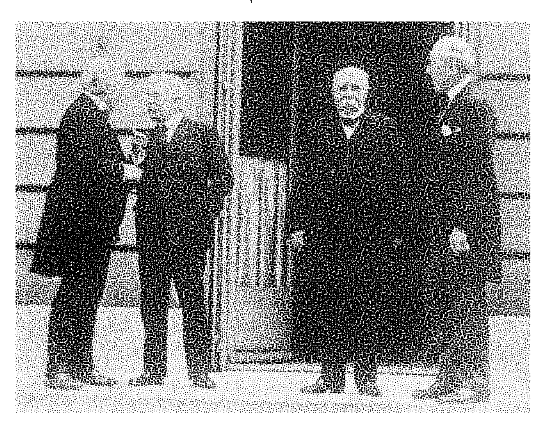
الجامع الأموي في دمشق، بُني في القرن السابع في موقع معبد روماني وكنيسة، ويضمُ ضريح صلاح الدين الذي هزم الصليبيين الأوروبيين في القرن الثاني عشر. عُقدت فيه اجتماعات جماهيرية لتأييد الاستقلال العربي. ولا يزال السوريون يرددون الأسطورة التي تقول إن الجنرال غوابيه الذي فتح المدينة في تموز/يوليو 1920 زار ضريح صلاح الدين وقال "ها قد عدنا".



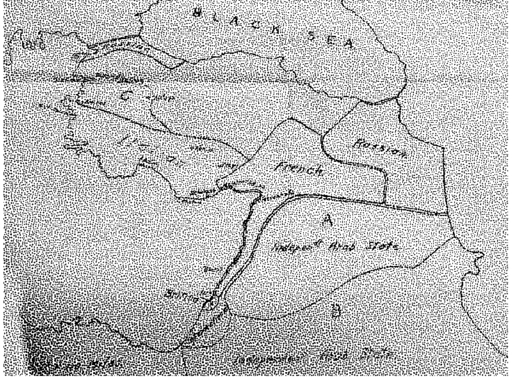
**الصورة (14–15): رستم حيدر**
رستم حيدر، مستشار فيصل ورئيس وفد الحجاز في باريس، الذي أبعده الحلفاء عن مؤتمر سان ريمو الحاسم.



**الصورة (14–16): عبد الهادي**
عوني عبد الهادي، مستشار الأمير فيصل في مؤتمر الصلح في باريس وسكرتيره في دمشق.



**الصورة (14–17): الأربعة الكبار**
"الأربعة الكبار" في 27 أيار/ مايو 1919. كانت مفاوضات مؤتمر الصلح في باريس تحت سيطرة ممثلي "الأربعة الكبار" لدول الوفاق، الذين يظهرون هنا (من اليسار إلى اليمين): لويد جورد رئيس بريطانيا العظمى وفيتوريو أورلاندو رئيس وزراء إيطاليا وجورج كليمنصو رئيس وزراء فرنسا وودرو ولسون رئيس الولايات المتحدة.



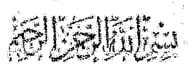

**الصورة (14–18): خريطة أميركية**
تُظهر هذه الخريطة المرسومة باليد، من أرشيف الوفد الأميركي إلى مؤتمر الصلح في باريس 1919، فهم الوفد نوايا دول الوفاق في تقسيم الأراضي العثمانية. كان الأميركيون يفترضون أن سوريا، التي كانت تشمل مناطق (أ) و(ب)، ستكون "دولة عربية مستقلة".

**الصورة (14-19): الرئيس ولسون**

الرئيس وودرو ولسون يلقي كلمة في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الصلح في باريس 18 كانون الثاني/يناير 1919. قال ولسون في كلمته "هذا أسمى مؤتمر للجنس البشري"، وحثّ الأعضاء على تبني برنامج عالمي حقيقي للسلام.



المنار



بسم الله الرحمن الرحيم

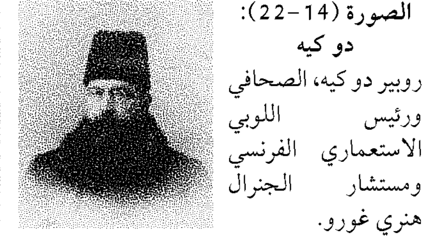
**الصورة (14-20): المنار**

غلاف عدد كانون الأول/ديسمبر 1918 لمجلة **المنار**، حيث مدح رشيد رضا الرئيس الأميركي ولسون باعتباره أداة الإرادة الإلهية لضمان حقوق العرب والشعوب الصغيرة.



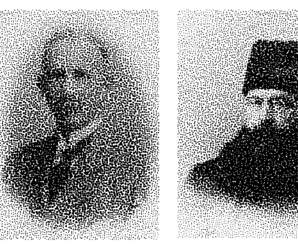
**الصورة (14-21): حيدر وفيصل**

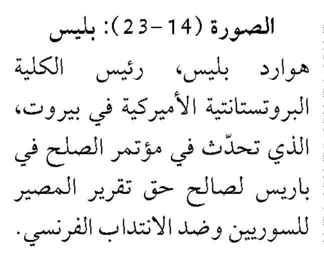
رستم حيدر والأمير فيصل في الجلسة الافتتاحية لمؤتمر الصلح في باريس 18 كانون الثاني/يناير 1919. في البداية رفض الفرنسيون حضورهما ولكن البريطانيين ضغطوا عليهم ليقبلا بحضورهما كممثلين لنظام الحجاز المستقل للشريف حسين، وليس كممثلين لسوريا.



**الصورة (14-22): دو كيه**

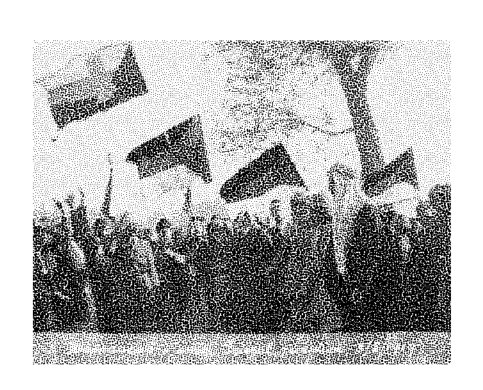
روبير دو كيه، الصحافي ورئيس اللوبي الاستعماري الفرنسي ومستشار الجنرال هنري غورو.



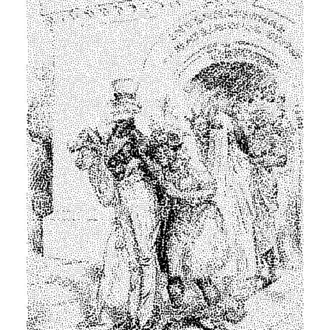


**الصورة (14-23): بليس**

هوارد بليس، رئيس الكلية البروتستانتية الأميركية في بيروت، الذي تحدّث في مؤتمر الصلح في باريس لصالح حق تقرير المصير للسوريين وضد الانتداب الفرنسي.



**الصورة (14-24): استقبال فيصل**
حشد يرحب بالأمير فيصل بعد عودته من مؤتمر الصلح في باريس، في 3 أيار/ مايو 1919.



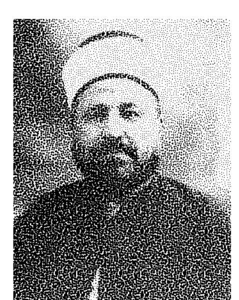
**الصورة (14-25): زوجات الانتداب**
"زوجات الانتداب- أوه، سام!" نُشرت في جريدة **نيويورك هيرالد** (*New York Herald*) في 23 شباط/ فبراير 1919 بعدما كشف الرئيس ولسون عن ميثاق عصبة الأمم. في اللوحة يظهر العم سام وهو يغادر "مكتب الزواج العالمي في عصبة الأمم" بصحبة عدة زوجات من بينهن واحدة عربية محجّبة تعبّر عن المجتمعات غير البيضاء.



**الصورة (14-26): كراين**
تشارلز كراين، رئيس لجنة التحقيق الأميركية كينغ-كراين.



**الصورة (14-27): لجنة كينغ-كراين**
الأمير فيصل مع لجنة التحقيق الأميركية كينغ-كراين في دمشق 1919. الجالسون في الصف الأول من اليسار إلى اليمين: هنري تشرشل كينغ، الأمير فيصل، الجنرال إدموند ألّنبي، تشارلز ر. كراين وألبرت ليبير أعضاء اللجنة. في الصف الأوسط يقف عضوا اللجنة: الكابتن وليام ييل، الثاني من الأخير، وجورج مونتمغري في الأخير، ويقف وراءهم في الخلف تمامًا حاكم سوريا العسكري الجنرال رضا باشا الركابي.

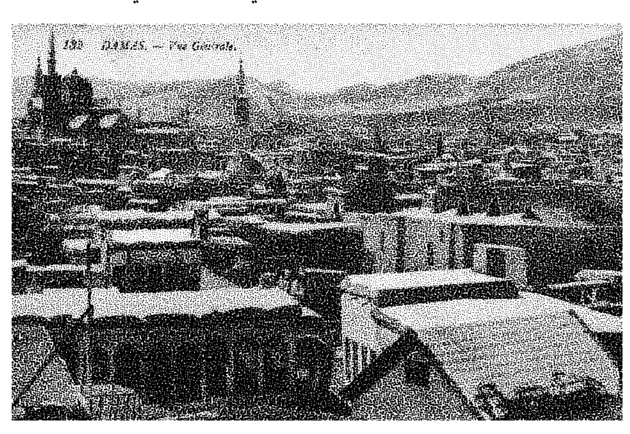


**الصورة (14-28): رشيد رضا**
الشيخ رشيد رضا، ناشر المنار ورئيس المؤتمر العربي السوري.



**الصورة (14-29): تظاهرات وطنية**

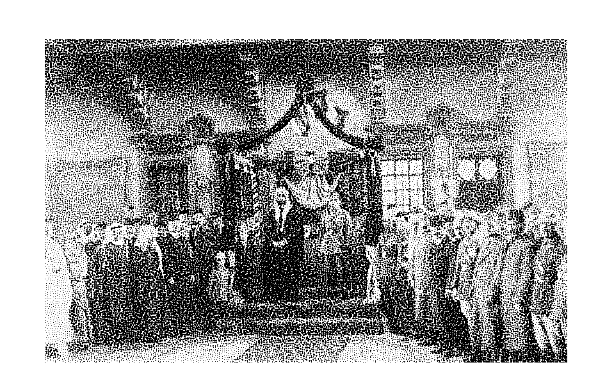
اندلعت تظاهرات وطنية، كما في هذه الصورة، لآلاف من سكان دمشق احتجاجًا على انسحاب القوات البريطانية لصالح الفرنسيين. وقد أجبر الضغط الشعبي للجنة الوطنية العليا المؤتمر السوري على المطالبة بالاستقلال في تشرين الثاني/نوفمبر 1919.



**الصورة (14-30)**
**دمشق مغطاة بالثلوج**
دمشق مغطاة بالثلوج في شباط/فبراير 1920. خلال العاصفة الثلجية كان المؤتمر العربي السوري والأمير فيصل يتفاوضون حول شروط إعلان الاستقلال.



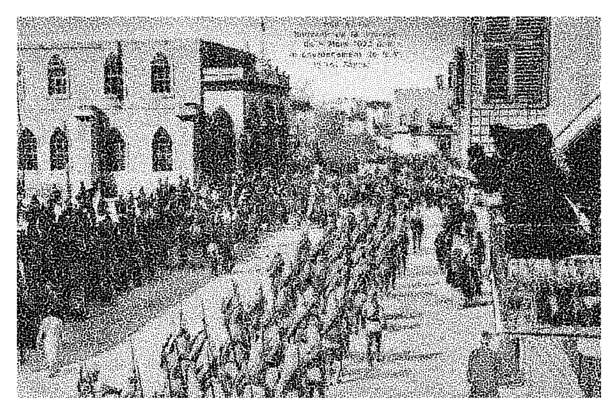
**الصورة (14-31): الأتاسي**
هاشم الأتاسي، رئيس المؤتمر العربي السوري الذي أعلن الاستقلال، وأصبح رئيسًا للوزراء في أيار/مايو 1920.



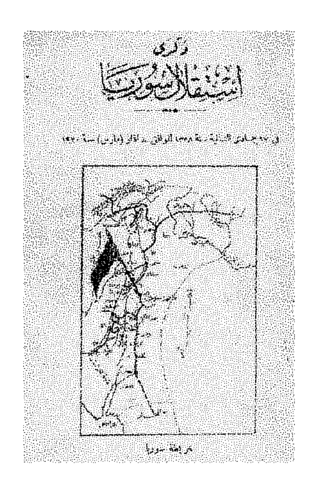
**الصورة (14-32): تتويج فيصل**
تتويج فيصل ملكًا على سوريا في 8 آذار/مارس 1920. اختاره المؤتمر العربي السوري وكان يحيط به رجال الدين المسلمين والمسيحيين واليهود.



**الصورة (14-33): كوس**
العقيد إدوارد كوس، ضابط الارتباط [الفرنسي] مع الملك فيصل، الذي حضر احتفال إعلان الاستقلال وعارض إطاحة النظام.



**الصورة (14-34)**
**بطاقة بريدية تذكارية**
بطاقة بريدية تذكارية تمثل عرضًا عسكريًا في 8 آذار/مارس 1920 احتفالًا بتتويج فيصل.




**الصورة (14-35)**
**خريطة الاستقلال**
نشر إعلان الاستقلال في الكتاب التذكاري الصادر في أيار/مايو 1920. ويُظهر الغلاف هنا ملامح خريطة سوريا التي تمتد من حدود الجزيرة العربية وغزة إلى الشمال على طول ساحل المتوسط حتى جبال طوروس في الأناضول (حاليًا في تركيا) وشرقًا نحو دير الزور.

القانون الأساسي
للولايات السورية المتحدة

بسم الله

الصورة (14-36)

**القانون الأساسي للولايات السورية المتحدة**

نسخة من الدستور السوري الذي قُدم إلى لجنة كينغ-كراين في تموز/يوليو 1919. مع عنوانه "القانون الأساسي للولايات المتحدة السورية" دعا هذا الدستور إلى حكم مستقل يوحّد مناطق سوريا الكبرى كلها تحت ملكية دستورية. وعلى الأرجح صاغ هذا الدستور حزب الاتحاد السوري وقام عبدالرحمن الشهبندر بحمله إلى دمشق.



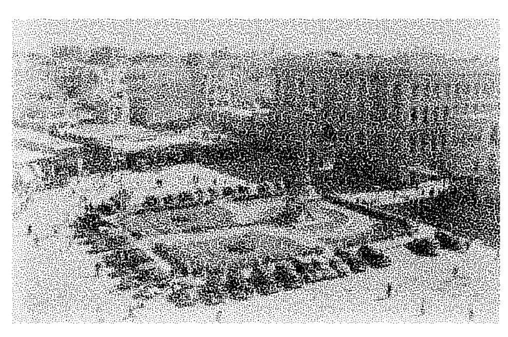
**الصورة (14-37): عبد الرحمن اليوسف**

عبد الرحمن اليوسف، الزعيم المحافظ في المؤتمر العربي السوري.



**الصورة (14-38): نازك العابد**

نازك العابد، الناشطة النسوية في دمشق التي أدّت مناشدتها لحق المرأة في التصويت إلى مناقشة حادة حول مواد الدستور السوري.

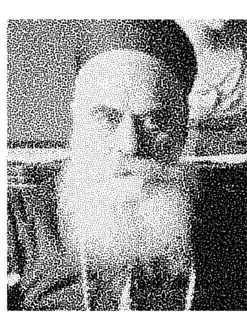


**الصورة (14-39): ساحة المرجة**

ساحة المرجة، مركز الحكومة في دمشق، في عشرينيات القرن العشرين. عُقدت في بناية العابد متعددة الطبقات وراء النصب جلسات المؤتمر العربي السوري بين آذار/ مارس - تموز/ يوليو 1920، حيث جرت مناقشة مواد الدستور واعداد مسودته.

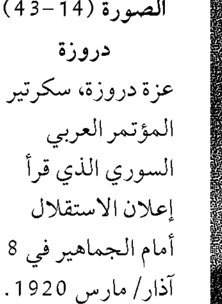


**الصورة (14-40)**
**أرسلان**
شكيب إرسلان
أمير الدروز
اللبنانيين مدافع عن
سوريا المتحدة
والاستقلال العربي.



**الصورة (14-41)**
**الحويك**
المونسنيور الياس
الحويك بطريرك
الكنيسة المارونية
والمدافع عن استقلال
لبنان عن سوريا.

**الصورة (14-42)**
**القصاب**
الشيخ كامل
القصاب، الداعية
الشعبي ورئيس
اللجنة الوطنية
العليا في دمشق.



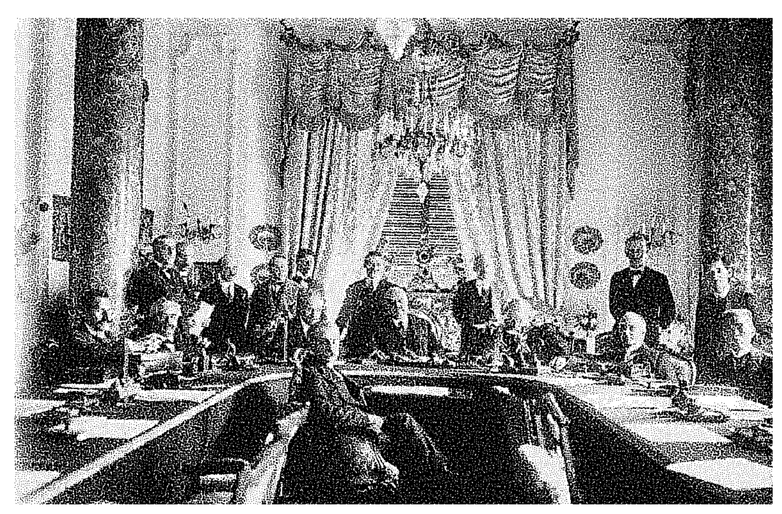
**الصورة (14-43)**
**دروزة**
عزة دروزة، سكرتير
المؤتمر العربي
السوري الذي قرأ
إعلان الاستقلال
أمام الجماهير في 8
آذار/ مارس 1920.





**الصورة (14-44): اجتماع جمعية العربية الفتاة**

الاجتماع المبتهج بالنصر لجمعية الفتاة في دمّر في 20 آذار/ مارس 1920. هذه الصورة أعيد نشرها في مذكرات عزة دروزة الذي يقف على يمين الصف الأخير. والثالث في الصف الأخير من اليسار رياض الصلح الذي أصبح رئيس وزراء لبنان المستقل. والثالث من اليسار في الصف الأوسط شكري القوتلي رئيس سورية المستقلة في ما بعد. وفي وسط الصف الأول يجلس الطبيب الشخصي لفيصل الدكتور أحمد قدري، معانقًا عوني عبد الهادي سكرتير فيصل. أما المستلقي في نهاية الصف الأول بالبدلة البيضاء فهو الدكتور سعيد طليع، الذي نشر الكتاب التذكاري عن الاستقلال.



**الصورة (14-45): مؤتمر سان ريمو**

مؤتمر سان ريمو في نيسان/أبريل 1920 الذي عقد في فندق فخم: في اليسار حول الطاولة فيليب برتلو وألكسندر ميلران من فرنسا، وإلى جوارهما فيكتوريو سيالويا ورئيس وزراء إيطاليا سافريو نيتي. وإلى يسار نيتي يبدو منحنيًا وغير واضح ديفيد لويد جورج، وإلى جانبه اللورد كرزون. إلى أقصى اليمين ماتسوي كيشيرو من اليابان. كان الأميركيون يشاركون كمراقبين فقط بعد أن رفض الكونغرس الانضمام إلى عصبة الأمم. أما الوفد العربي الحجازي إلى مؤتمر الصلح فلم يُدْعَ إلى المؤتمر.



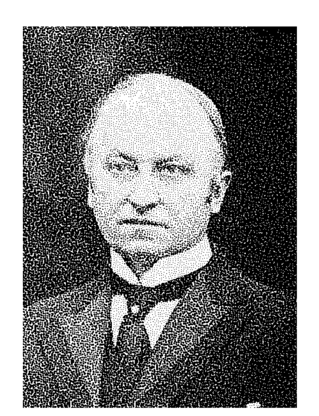
**الصورة (14-46): ميلران**

ألكسندر ميلران، رئيس وزراء فرنسا الذي أمر بغزو سوريا والإطاحة بحكم فيصل في تموز/يوليو 1920.



**الصورة (14-47): كاشان**

مارسيل كاشان، المدافع عن الاستقلال السوري في مجلس النواب الفرنسي.



**الصورة (14-48): كرزون**

جورج ناثانيل كرزون، المعروف باسم اللورد كرزون، الذي قاد الجهود البريطانية لتوسيع الحكم البريطاني على الأراضي العربية مقابل التنازل عن سوريا ولبنان إلى فرنسا.



**الصورة (14-49): العظمة**

الجنرال يوسف العظمة، قائد الجيش السوري الذي خسر المعركة وخسر حياته في ميسلون في 24 تموز/يوليو 1920.



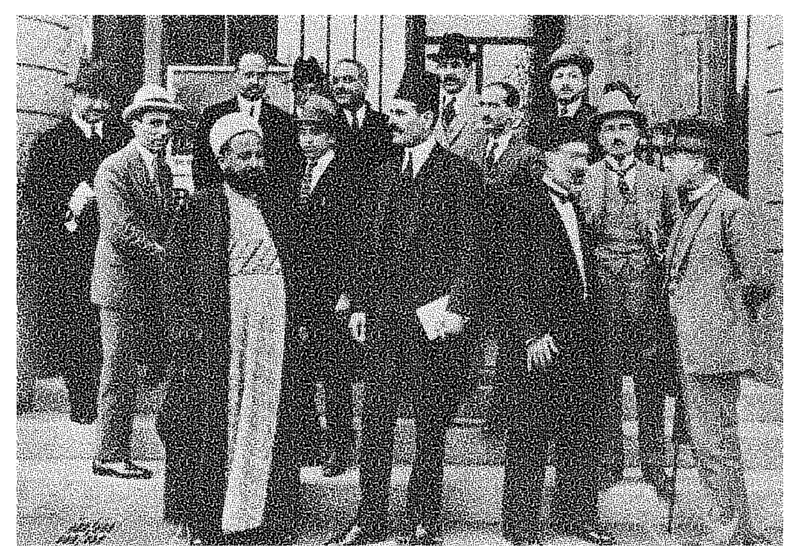
**الصورة (14-50): غورو**

الجنرال هنري غورو، المفوض السامي لسوريا ولبنان، فاتح سوريا.



**الصورة (14-51): الجيش الفرنسي**

قوات فرنسية، مؤلفة في أغلبها من مجندين من غرب وشمال أفريقيا، تدخل دمشق تحت قيادة الجنرال غوابيه في 25 تموز/يوليو 1920. في اليوم السابق هزم الفرنسيون الجيش السوري عند بلدة ميسلون غرب دمشق. لجأ فيصل والحكومة السورية إلى درعا، المدينة التي انطلقوا منه لفتح دمشق قبل حوالى سنتين.



**الصورة (14–52): المؤتمر السوري-الفلسطيني**

المؤتمر الفلسطيني-السوري في جنيف 1921. ناشد المؤتمر عصبة الأمم رفض قرار مؤتمر سان ريمو بتعيين الانتدابات. سافر الشيخ رشيد رضا، الأول من اليسار في الصف الأول، إلى أوروبا بحثًا عن الليبراليين الذين يمكن أن يدعموا مبادئ ولسون. يبدو في حديث مع الأمير ميشيل لطف الله من لبنان، الذي موّل المؤتمر. على يمين الصف الأول شكيب أرسلان، الذي سيبقى السكرتير العام للمؤتمر في جنيف، وقد انضم إليه رياض الصلح الذي يقف في أقصى يمين الصف الأخير.



**الصورة (14–53): رابار**

وليام رابار، المسؤول الإداري للجنة الانتدابات التابعة لعصبة الأمم في جنيف، الذي اجتمع بأعضاء المؤتمر الفلسطيني-السوري.

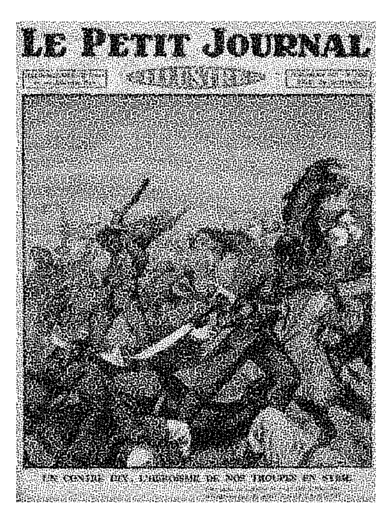
**الصورة (14–54): لوحة تذكارية للرئيس ولسون**

لوحة تذكارية للرئيس وودرو ولسون كمؤسّس لعصبة الأمم، وُضعت في مقرّ عصبة الأمم في جنيف عام 1924. منذ ذلك الحين تخلّت العصبة عن مبدأ ولسون في حق تقرير المصير لمصلحة القوى الاستعمارية التي كانت تسيطر على اللجنة الدائمة للانتدابات.



**الصورة (14-55): دمشق تشتعل**

الحرائق في دمشق بعد قصف المدفعية الفرنسية خلال الثورة السورية في عام 1925، حين انضم الوطنيون في المدينة بقيادة عبد الرحمن الشهبندر إلى عشائر الدروز في انتفاضة عامة ضد حكم الانتداب الفرنسي. حتى ربيع 1926 كانت عدة أحياء من دمشق قد دُمرت ولجأ زعماء الثورة إلى المنفى.



LE PETIT JOURNAL

UN CONTRE DIX. L'HÉROÏSME DE NOS TROUPES EN SYRIE

**الصورة (14-56): الثورة السورية**

"واحد ضد عشرة: بطولة قواتنا في سوريا". هكذا صورت المجلة الفرنسية القمع الوحشي الذي قامت به قوات الاستعمار الفرنسي ضد الثورة السورية في عام 1925. أثارت الثورة الكثير من القلق داخل عصبة الأمم التي تجاهلت النداءات السورية، تحت الضغط الفرنسي.



**الصورة (14-57): الشهبندر**

الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، وزير خارجية المملكة العربية السورية وزعيم الثورة السورية في عام 1925 يتحدث أمام حشد بعد عودته من المنفى في عام 1937. اكتسب شعبية بمعارضته تعاون الكتلة الوطنية مع الفرنسيين واستذكاره إعلان الاستقلال في عام 1920. اغتيل في عيادته في حزيران/يونيو 1940.



**الصورة (14-58)**

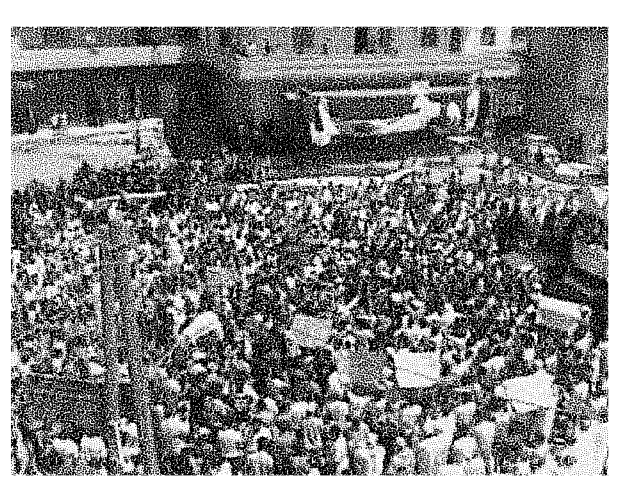
**فيصل الأول ملك العراق**

ملك العراق فيصل الأول يعلن عضوية العراق المستقل في عصبة الأمم في 6 تشرين الأول/أكتوبر 1932. قبل ذلك أيقظ فيصل ملك سوريا أمل العرب في دولة منتدبة أخرى يمكن أن تُنجز الاستقلال في دولة عربية موحدة، ولكنه تراجع بعد خيانة مؤتمر سان ريمو في عام 1920.



**الصورة (14-59): البنا**

في عام 1930 خسر الشيخ رشيد رضا الثقة في الليبرالية الأوروبية، وروّج لأسلوب جديد في السلام الولسوني في كتابه الوحي المحمدي. ألهم المعلّم حسن البنا (في الصورة) ليؤسّس حركة شعبوية إسلامية مضادة للغرب باسم "الإخوان المسلمين"



**الصورة (14-60)**

**احتجاج درعا**

احتجاج في درعا، المدينة التي انطلق منها فيصل لفتح سوريا في عام 1920. هنا في 19 آب/أغسطس 2011 طالبت المظاهرات بالحقوق السياسية والحريات المدنية وإسقاط نظام بشار الأسد. أثار زعماء الانتفاضة السورية ذكرى الماضي الدستوري لسوريا لتبرير مطالبهم.

## سان ريمو والسقوط الثاني للركابي

كان يوسف الحكيم، نائب اللاذقية قبل أن ينضم إلى حكومة الركابي، قد ووجه بالهتافات وهو يسير نحو المنصة ليؤكد للمؤتمر أن الحكومة قد تصرّفت ضد التهديدات في الساحل التي تمسّ سيادة سوريا. كانت الحكومة قد أودعت شكوى ضد المذكرة [الفرنسية] تطالب بإطلاق سراح خطيب [الجامع] وإعادة رفع العلم العربي. صرّح الحكيم وهو يحاول أن يهدئ المخاوف من أن تكون حكومة الركابي قد فشلت في الدبلوماسية: "إن علمنا يخفق في السماء وسيبقى هناك كما ترغب الأمة"[1].

إلا أنّ الدكتور أحمد قدري، الطبيب الخاص لفيصل ونائب الخليل، لم يكن مرتاحًا على الإطلاق. فقد صرّح أن اعتقال الخطيب عملٌ يؤدي إلى حرب: "إنه تدخل في الشؤون الدينية". ومع التصفيق له حثّ قدري على تحرك وقائي ضد الفرنسيين طالما أن قواتهم مشغولة بالشمال في كيليكيا.

طالب بعده نائب من حلب أن يقدّم الحكيم تفاصيل عن اجتماع المجلس الأعلى للحلفاء في سان ريمو. كانت الصحف قد تداولت وجود مبعوثَين لسوريا هناك. من كان هذان المبعوثان؟ ماذا كانت سياسة الحكومة في سان ريمو؟ إلا أن الحكيم أصرّ على أن الحكومة لا يمكن أن تكشف عن تلك التفاصيل.

احتج نائب من طرابلس الساحلية قائلًا: "إن الشعب هو من يقرّر مصيره. يجب أن لا يتقرّر ذلك في باريس أو لندن أو سان ريمو. يجب أن يتقرّر ذلك في المملكة السورية!".

توقّف الحكيم عند اتهام الحكومة بأنها قد تكون خانت البلاد، وأصرّ قائلًا:

---

(1) ماري ألماظ شهرستان، **المؤتمر السوري العام 1919-1920** (بيروت: دار أمواج، 2000)، ص 149-159، بالاستناد إلى "الوزارة أمام الشعب: الوزارة تجيب على أسئلة المؤتمر"، جريدة **الدفاع**، العدد 25-26 نيسان/أبريل 1920؛ يوسف الحكيم، **سوريا والعهد الفيصلي**، ط 2 (بيروت: دار النهار للنشر، 1980)، ص156-157؛
Philip S. Khoury, *Syria and the French Mandate* (Princeton: Princeton University Press, 1987), p. 327.

"لا يحقّ لأحد أن يصوّرها هكذا". كان الحكيم أيضًا من الساحل، وفي طفولته التحق بمدرسة الإرسالية الأميركية في اللاذقية. كان أحد الوزيرَيْن المسيحييْن في الحكومة، وربما شعر بأنه مستهدف بالشك في ولائه.

قام نائب آخر من الساحل، وهو رياض الصلح من صيدا، للدفاع عنه. كرّر مطالبة المؤتمر بالاحتياط للدفاع الوطني، وأثار موجة من التصفيق للحكيم.

إلا أن الضرر كان قد وقع. أصبح من الواضح أن حكومة الركابي أبقت المؤتمر في العتمة في لحظة عصيبة، عندما قام الملك حسين بالانسحاب من مؤتمر الصلح [في سان ريمو] بعد أن رفض المجلس الأعلى الاعتراف بفيصل ملكًا [على سوريا]. وفي هذه الحالة صوّت المجلس الأعلى في اليوم التالي، 25 نيسان/ أبريل، على منح فرنسا الانتداب على سوريا من دون أي توضيح رسمي.

ونظرًا إلى أن الركابي أخلّ بالاتفاق لإطلاع الحكومة على المسائل التي تمسّ الاستقلال السوري، فقد مارس المؤتمر حقّه بعزله.

## سان ريمو وبروز رضا رئيسًا للمؤتمر

في 26 نيسان/ أبريل، بعد النقاش حول تصويت المرأة، قضى رضا ما سمّاه "أمسية مفيدة لا تُنسى" مع الملك فيصل وعزة دروزة وساطع الحصري، وزير التربية، وعدة نواب في بيت إحسان الجابري كبير أمناء الملك فيصل. ناقش الرجال قرار سان ريمو وعدم استعداد الركابي له. كتب رضا تلك الليلة في يومياته: "أصبح من الواضح أن الملك فقد الثقة في حكومة الركابي"[2].

ساد في دمشق جوٌّ عصيبٌ. كانت قد اندلعت قبل ذلك مظاهرات معادية لفرنسا للاحتجاج على اعتقال خطيب الجامع وإنزال العلم العربي. أما الآن فتدفّق المحتجون إلى الشوارع لإدانة قرار سان ريمو.

---

(2) يوميات رشيد رضا، 26 نيسان/أبريل، 1926، نُشرت في: محمد رشيد رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (7)"، مجلة **المنار** (يونيو 1934).

في الليلة التالية واجهت المجموعةُ الركابي. في هذه المرة كان الملك غائبًا ولكن قادة المعارضة من أمثال عبد الرحمن اليوسف كانوا حاضرين. رفض الركابي اتهاماتهم حول التخطيط الضعيف وقاوم الضغط المطالب ببناء جيش سوري. قال الركابي إن الدفاع العسكري بلا جدوى، مؤكدًا أن فيصل والحكومة وافقوا على أنه من الأفضل التوقيع على معاهدة مع فرنسا. تعجّب رضا كيف أن سياسيًا له خبرة مثل الركابي يمكن أن يؤمن أن فرنسا ستحترم الاستقلال السوري تحت الانتداب، كما ورد في اتفاقية كليمنصو [-فيصل] المذمومة(3).

وعلى العكس من مزاعم رئيس وزرائه، كان فيصل مقتنعًا بأن السوريين يجب أن يقوموا بعرض قوة كي يضغطوا على الأوروبيين لاحترام استقلالهم. وافق الملك على أن الركابي يجب أن يرحل(4).

في 2 أيار/مايو مارس المؤتمر سلطاته التشريعية الجديدة للتصويت على حجب الثقة بحكومة الركابي. وهكذا كان على الجندي القديم أن يستقيل للمرة الثانية خلال ستة شهور. دفع عدة نواب بقوة نحو تشكيل "حكومة دفاع" قوية. اقترح رضا قائد الجيش يوسف العظمة ليخلف الركابي. كان العظمة شابًا ومتحمسًا ووطنيًا مناضلًا. إلا أن فيصل فضّل رئيس المؤتمر الدمث والرزين هاشم الأتاسي. كان فيصل يأمل في أن الأتاسي يمكن أن يجدّد الثقة بين القصر والمؤتمر.

في اليوم التالي أعلن فيصل عن حكومة الأتاسي الجديدة التي حافظت على غالبية الوزراء من حكومة الركابي، ولكنها ضمّت الآن يوسف العظمة وزيرًا للحربية وعبد الرحمن الشهبندر وزيرًا للخارجية. كان رضا مسرورًا لأن فيصل قبِلَ اقتراحه حول الشهبندر، زميله في حزب الاتحاد السوري(5).

---

(3) الحكيم، ص 144-145؛ محمد عزة دروزة، **مذكرات محمد عزة دروزة 1887-1984** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، ج 1، ص 456-467؛ محمد رشيد رضا، "الرحلة السورية الثانية (10)"، مجلة **المنار**، مج 23، ج 4 (نيسان/أبريل 1922)، ص 313-316.

(4) رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (7)".

(5) الحكيم، ص 156-159؛ دروزة، ص 467-468؛ رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (7)".

في 5 أيار/ مايو عقد المؤتمر جلسة لانتخاب خلفٍ للأتاسي. رشّح الحزب التقدمي رضا رئيسًا للمؤتمر والشيخ عبد القادر الكيلاني نائبًا للرئيس. أما الحزب الحر المعتدل فقد رشّح رضا الصلح (الصديق القديم لرشيد رضا) رئيسًا والشيخ عبد القادر الخطيب (عدو رضا منذ حادثة الجامع الأموي في عام 1909) نائبًا للرئيس. في الجولة الانتخابية الأخيرة فاز رضا، ولكن الخطيب انتُخب نائبًا له[6]. أما عزة دروزة فقد بقي سكرتيرًا للمؤتمر.

وافق رضا بتردد. كتب في يومياته ذلك النهار: "قلتُ (لرياض الصلح) إنني سأكون أول من يصوّت لأجل والده. وقلتُ للحزب التقدمي أن يصوّتوا (لرضا الصلح) ولكنهم لم يقبلوا به لأنهم كانوا من حزب الغالبية". اعترف رضا أنه مجهّز بشكل أفضل من رضا الصلح لتولي المهمة الأساسية كرئيس [للمؤتمر] لأجل البتّ في صياغة الدستور. كان الصلح الأب يصلح إداريًا جيدًا أكثر من أن يكون سياسيًا[7].

كانت هناك فائدة سياسية من انتخاب رضا والخطيب: رأب الصدع في المؤتمر بعد النقاش العاصف حول تصويت المرأة. كان الخطيب قد ترك قاعة المؤتمر مع بعض رجال الدين المحافظين، ولكن رضا أدى بنجاح دور الوسيط. وفي ضوء الأخبار الآتية من سان ريمو كانت الحاجة إلى الوحدة ماسّة[8]. وبتلك الروح الموحدة قدّم رضا فورًا استقالته من رئاسة الحزب التقدمي لتهدئة الشكوك حول انحيازه، وكتب عن ذلك: "كان علي أن أكون عادلًا بالتساوي بين الطرفين. كان معظم أولئك الذين لم يرتاحوا لي - عندما كنت ألحّ على حفظ النظام لأقطع حديثهم - كانوا من حزبي".

---

(6) يوسف مازن الصباغ، **المؤتمر السوري: برلمان الاستقلال لبلاد الشام** (دمشق: دار الشرق، 2011)، ص 197-198؛ شهرستان، ص 115.

(7) يوميات رشيد رضا، 5-6 أيار/ مايو 1920، وردت في:
Umar Ryad, "Like a Mill Donkey: Western Politics in the Aftermath of WWI," Paper given at the Conference "Human Catastrophe Then and Now," American University of Beirut, 1 June 2016.

(8) محمد موفاكو الأرناؤوط، **دراسات حول الحكومة: الدولة العربية في دمشق 1918-1920** (عمان: دار الشروق، 2000)، ص41-44.

كان أول قرار لرضا كرئيس [للمؤتمر] استدعاء وزير الخارجية عبد الرحمن الشهبندر كي يعرض على المؤتمر برنامج حكومة الأتاسي. في 8 أيار/ مايو عرض الشهبندر ثلاثة أهداف لسياسة [الحكومة]: (1) دعم الاستقلال التام مع الحقوق الكاملة للتمثيل الدبلوماسي الخارجي؛ (2) الإصرار على وحدة سوريا الكبرى ضد مطالب الصهيونيين في الجنوب [فلسطين]؛ (3) رفض كلّ تدخل خارجي ينسف السيادة الوطنية.

منح المؤتمر ثقته وأعلنت حكومة الأتاسي فورًا عن تجنيد عسكري عام وقرض وطني لتغطية النفقات العسكرية. بعد نقاش ساخن أقرّ المؤتمرُ القرضَ بضمانة الأراضي الأميرية. بعد ذلك أرسل الشهبندر رسالة إلى البريطانيين يكرّر فيها مطالبة سوريا بالاعتراف بفيصل ملكًا، حتى يمكن أن يقبل دعوة مؤتمر الصلح إلى أوروبا. إلا أن البريطانيين امتنعوا عن ذلك مرة أخرى[9].

وفي مواجهة النزاع المرتقب وافق المؤتمر على اقتراح رضا باستكمال صياغة الدستور في أسرع وقت[10]. استغرق [المؤتمر] خلال الشهرين التاليين (مع انقطاع قصير في بداية رمضان) في مناقشة ومراجعة وإقرار البنود حول حقوق الأقليات والحكم اللامركزي والنظام القضائي[11].

في البداية احتدم النزاع في ظل القيادة الجديدة لرجال الدين. انزعج نواب قوميون علمانيون شباب، كانوا قد عبّروا عن دعمهم قبل 8 آذار/ مارس لصالح جمهورية علمانية، من جهود رضا لاحتواء الحزب المحافظ الساخط. وكان رضا قد شكا في أحد الأيام إلى نائبه عبد القادر الخطيب: "إن الانقسامات تفسد الصورة الجيدة للمؤتمر. نحن نحتاج إلى مزيد من التعاون".

بعد ذلك مباشرة قام دروزة ومشى. اتّهم الخطيبُ دروزة بتعطيل جلسات

---

(9) سهيلة ريماوي، **الحكم الحزبي في سوريا: أيام العهد الفيصلي 1918-1920** (عمان: دار مجدلاوي، 1997)، ص 210-216؛ صباغ، ص 200؛ الحكيم، ص 160-165.

(10) الحكيم، ص 166.

(11) شهرستان، ص 185-187.

المؤتمر. حين كان الأتاسي رئيسًا، كما قال، كان دروزة يساعد في الحفاظ على النظام في القاعة. ولكن الآن مع [رئاسة] رضا لم يعد دروزة يجلس حتى في جوار الرئيس. اعتذر دروزة لرضا وقال إنه ترك مقعده في المنصة ليتشاور فقط مع بعض النواب حول صياغة قانون.

فوجئ رضا وشعر بالارتياح لأن الخطيب، عدوّه اللدود، وقف إلى جانبه: "كان ما أثار انزعاجه أن الأفندية يجدون صعوبة في كون الرئيس عالم دين يرتدي العمامة"(12).

أخيرًا اعتاد الطربوش على التعاون مع العمامة. كان دروزة، الذي كان يعتبر الأتاسي مرشدًا شخصيًا وصديقًا، يتعامل في البداية مع رضا بهيبة باعتباره عالم دين ويكبره في السن. فعلى عكس الأتاسي الهادئ، كما دوّن دروزة، كان رضا عادة يفقد أعصابه في القاعة. إلا أنه في الجلسات الخاصة لم يكن رضا مرهبًا ولا متباسطًا. وصف [رضا] دروزة بقوله "عماد الحزب". إلا أنه سرعان ما طوّر الرجلان علاقة عمل فعّالة ومحترمة.

كان رضا ملتزمًا بالحفاظ على جبهة متحدة ضد التهديدات الأجنبية، كما أنه حاول أن يرعى روح البراغماتية والتفاوض بين النواب الآخرين. وكما ورد في مذكراته: "تعوّدت أن أنصح بعدم التمرد ضد الحكومة، قائلًا إنه من الأفضل العمل مع الحكومة عوضًا عن نسفها"(13).

إلا أنّ الحفاظ على الوحدة لم يكن يعني تجسير الانقسامات بين العلمانيين والمتدينين فقط. كان ذلك يتطلب أيضًا الحفاظ على ثقة جيّدة عند غير المسلمين السوريين، الذين كان ولاؤهم يتعرّض باستمرار للاختبار من قبل اللغة الطائفية للفرنسيين، والوطنيين المسيحيين اللبنانيين والوطنيين المسلمين. فما إن بدأ

(12) يوميات رشيد رضا، 18 حزيران/يونيو 1920، كماوردت في: محمد رشيد رضا، العبرة في سيرة الملك فيصل (9)"، مجلة **المنار** (تشرين الأول/أكتوبر 1934)، ص 393-394؛ الأرناؤوط، ص 68-69.

(13) دروزة، ص 353، 356-357؛ رضا، "الرحلة السورية الثانية (10ب)".

المؤتمر السوري يستعدّ للتعامل مع المسألة الخلافية حول الحقوق المتساوية لغير المسلمين، حتى بدأت تهتزّ الثقة المتبادلة بسبب النزاع خارج قاعة المؤتمر.

اتخذت حرب العصابات في وادي البقاع صبغة طائفية. فقد كانت قوات العصابات السورية تهاجم مرارًا القرى المسيحية بسبب شكّها في تعاطفها مع الفرنسيين. وكانت الاشتباكات بين القوميين الأتراك والفرنسيين والأرمن قد أدّت إلى موجات جديدة من اللاجئين على الحدود الشمالية لسوريا. وهكذا بدا الآن أن الجهود التي بُذلت منذ يوم الاستقلال لرعاية الأخوّة بين الطوائف أصبحت تواجه التهديد الآن. وكما كتب القنصل الأميركي فقد "أصبحت حلب مقرًا للدعاية العربية والتركية والكردية والشركسية". ونقَلَ الشائعات عن أن الضباط العرب لفيصل في المدينة يجتمعون مع القوميين الأتراك الذين لا يزالون "يسعون إلى إبادة الأرمن"[14].

## الإعلان اللبناني للاستقلال

أعطى فيصل وجمعية العربية الفتاة الأولوية طويلًا للحاجة إلى الوحدة المسيحية المسلمة ضد ادّعاء فرنسا التقسيمي بأن المسيحيين يحتاجون إلى حمايتها. لم يكن بين قادة الجمعية من يقلق أكثر من رستم حيدر حول نزاع محتمل بين المسلمين والمسيحيين. كانت بلدته بعلبك تقع في وادي البقاع، حيث أدّت الاشتباكات بين الفرنسيين والسوريين منذ كانون الأول/ ديسمبر [1919] إلى توتر العلاقات بين المسلمين والمسيحيين. كانت الأحداث منذ عودة فيصل إلى سوريا تعمّق أكثر وأكثر انزعاجه من النزاع.

كان تحالف سوريا مع الأتراك يأتي بنتيجة عكسية كما رأى [حيدر]: كانت أوروبا تراه كأنه تجديد للجهاد، ولذلك يردّ عليه الأوروبيون بلعب الورقة الدينية. ويردّ في مذكراته: "لنؤيد التقرّب مع الترك في السياسة الخارجية، وأما داخلًا فيجب أن نقتل هذه العواطف (للوحدة الإسلامية) أو الجراثيم الأجنبية"، لأنّ "الوطن للمسلم والمسيحي معًا".

---

(14) U.S. National Archives and Records Administration, College Park, MD, Jackson to Admiral Mark L. Bristol, Constantinople, May 1, 1920, RG 890d.00/16, microfilm M727, roll 8.

كان حيدر قلقًا أيضًا من أن الحديث عن تأسيس دولة مسيحية أرمنية سيؤدي إلى فصل لبنان عن سوريا على أساس طائفي. كان يعرف أن المسيحيين في البقاع، وخاصة في عاصمته زحلة، لا يزالون يندبون الآلاف الذين قُتلوا خلال الحرب الأهلية في عام 1860. ولكن خلال الستين سنة التي أعقبت ذلك تحسّنت العلاقات تحت حكم المجلس الإداري المختلط لجبل لبنان[15].

إلا أن فظاعة سنوات الحرب والاحتلال الأجنبي نسفا النظام العثماني القديم[16]. ومنذ تشرين الأول/ أكتوبر 1918 أبرز السياسيون والمثقفون في المنطقة الغربية تحت الاحتلال الفرنسي رؤى متنافسة حول السياسة في العهد الجديد ما بعد العثماني. ففي حين أن بعضهم اقترح الوحدة مع دمشق بالاستناد إلى الهوية السورية المشتركة، أكّد بعضهم الآخر على التاريخ المتميّز لجبل لبنان والساحل كدليل على المطالبة بدولة مستقلة، بينما بقي هناك آخرون يعتنقون كليًا عروبة جمعية العربية الفتاة[17]. وقد شجّع سير الأحداث السياسية حكومة دمشق على فتح ممثلية لها في بيروت والمشاركة في المنافسة لاستقطاب القلوب والعقول.

كان على رأس هذه الأطراف، سواء من حيث الحجم أو التأثير، الحركة التي كان يقودها بطريرك الكنيسة المارونية. كان المونسنيور الياس الحويك قد عايش مجاعة سنوات الحرب التي قضت على 200 ألف شخص في جبل لبنان والساحل، معظمهم من المسيحيين. في بداية المجاعة وصل إلى لبنان آلاف الأرمن ممّن بقوا على قيد الحياة. كانت القرى المحطّمة في جبل لبنان دليلًا

(15) Ussama Makdisi, *The Culture of Sectarianism* (Berkeley: University of California Press, 2000); Engin Akarlı, *The Long Peace: Ottoman Lebanon, 1861-1920* (Berkeley: University of California Press, 1993).

(16) Mustafa Aksakal, *The Ottoman Road to War in 1914* (New York: Cambridge University Press, 2010); Ronald Grigor Suny & Fatma Müge Goçek (eds.), *A Question of Genocide: Armenians and Turks at the End of the Ottoman Empire* (New York: Oxford University Press, 2011).

(17) Carol Hakim, *The Origins of the Lebanese National Idea, 1840-1920* (Berkeley: University of California Press, 2013); Mark Farha, "From Anti-Imperial Dissent to National Consent: The First World War and the Formation of a Trans-Sectarian National Consciousness in Lebanon;" Najwa al-Qattan, "Historicizing Hunger: The Famine in Wartime Lebanon and Syria;" and Andrew Arsan, "The Patriarch, the Amir, and the Patriots: Civilisation and Self-Determination at the Paris Peace Conference," all in: T. G. Fraser (ed.), *The First World War and Its Aftermath* (London: Gingko Library, 2015), pp. 91-146.

للحويك وجماعته على أن الحاكم العسكري العثماني جمال باشا كان يهدف إلى إبادة كل الطوائف المسيحية في الإمبراطورية. في نهاية الحرب تجاهل الحويك حقيقة أن المجاعة لم يتسبّب بها العثمانيون فقط بسوء إدارتهم، وإنما حصارُ الحلفاء واحتكارُ الحبوب من قبل النخبة المارونية، وأبرزهم من أسرة سرسق(18). قبِلَ الحويك بامتنان الحماية الفرنسية وأعاد تأسيس العلاقة التي امتدّت عدة قرون. وقد جدّد رئيس الوزراء كليمنصو رسميًا ذلك الالتزام في تشرين الثاني/ نوفمبر 1919 في لقائه الشخصي مع الحويّك في باريس، بل إنه أصدر مذكرة يؤكد فيها للحويّك [تأسيس] دولة لبنانية مستقلة.

ونظرًا إلى أن الكنيسة المارونية كانت المزوّد الرئيسي بالغذاء للعائلات المتضوّرة جوعًا في جبل لبنان، فقد خرجت من الحرب أكثر قوة من المجلس الإداري لجبل لبنان. كان الحويّك في مناشدته للفرنسيين يربط بين مجازر عام 1860 والمجاعة الحاضرة كي يطالب بدولة مستقلة للبنان الكبير، الذي يمتدّ إلى ما هو أوسع من جبل لبنان، كتعويض عن ظلم الماضي(19). كانت هذه الحملة للكنيسة تلقى الدعم بشكل حصري تقريبًا من المسيحيين، وتواجَه بالمعارضة من معظم المسلمين والدروز، وهي بذلك كانت تمارس تأثيرًا طائفيًا في السياسة ببيروت، حيث تثير "اللبنانيين" المسيحيين ضد "الوحدويين" المسلمين الذين يفضّلون الوحدة مع سوريا. كانت صحف بيروت بشكل دوري تسبك السياسة السورية بتعابير طائفية، مدّعية أن هدف دمشق كان "قتل المسيحيين"، كما دوّن حيدر ذلك بغضب في يومياته.

لاحظ حيدر [في مذكراته]: "اعتاد المسيحيون على احترام إخوتهم المسلمين ولكن منذ وصول الفرنسيين اختلفت نظرتهم". ازدرى حيدر اتهامات زعماء الكنيسة المارونية بأن فيصل لا بد أن يكون زعيمًا طائفيًا خطيرًا

---

(18) Youssef Mouawad, *Maronites dans l'histoire* (Beirut: L'Orient des Livres, 2017), pp. 143-165.

(19) مذكرة من حويك إلى مؤتمر باريس للسلام في 25 تشرين الأول/ أكتوبر 1919، أعيد طبعها في: Meir Zamir, *The Formation of Modern Lebanon* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1985), pp. 269-278; Hakim, *The Origins*, pp. 242-246; Carla Eddé, *Beyrouth: Naissance d'une capitale (1918-1924)* (Paris: Sindbad, 2010), pp. 336-345.

لأنه صرّح بأنه "ابن محمد"، وسأل في إشارة إلى غورو: "ماذا يقولون عن ذلك القائد الذي جاء إلى الشرق وبدأ يعلن أنه ابن الصليبيين"، "وهل يأتي يوم يعترف المسيحيون بإخلاص المسلمين فيمدّون إليهم أيديهم مخلصين كما حدث للأقباط المصريين؟"[20].

بعد وقت قصير من كتابة هذه الكلمات اجتمع حيدر مع أعضاء الوفد الثالث بقيادة مارونية الذي أرسله المونسنيور الحويّك إلى باريس. كان الوفد برئاسة الأسقف عبد الله خوري وعضوية ثلاثة موارنة وأمير درزي[21]. حظي الوفد بترحيب حار من قبل اللوبي الاستعماري الذي رتّب له لقاءات مع أعضاء البرلمان الفرنسي. وهكذا فقد تبنّت لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ قرارًا في 20 شباط/ فبراير يؤيد استقلال لبنان الكبير، الذي سيضمّ موطن رستم حيدر في وادي البقاع المتنازع عليه[22].

وجّه الأسقف خوري مذكرة إلى رئيس الوزراء ميلران رفض فيها "مسرحية" اجتماع المؤتمر [السوري] لإعلان الاستقلال في دمشق. أكّد غورو لرئيس الوزراء أنه سيمنع النواب اللبنانيين من حضور تتويج فيصل، الذي على الأغلب "يشجع القومية المسلمة". ومع خشيته من اندلاع "مظاهرات محرجة" في المنطقة الفرنسية قرّر غورو في منتصف آذار/ مارس القيام بجولة في المنطقة الغربية الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي كي يصرّح علانية أن الاستقلال السوري باطل

---

(20) رستم حيدر، **مذكرات رستم حيدر**، تحقيق نجدة فتحي صفوة (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1988)، ص 562، 569-571.

(21) من كليمنصو إلى حويك، 10 تشرين الثاني/ نوفمبر 1919، في:
Antoine Hokayem (éd.), *Documents diplomatiques français relatifs à l'histoire du Liban et de la Syrie à l'époque du mandat: 1914-1945*, vol. 1 (Paris: l'Harmattan, 2003), pp. 738-739;

من حويك إلى كامبون، 28 كانون الثاني/ يناير 1920، ومن غورو إلى خوري، 13 شباط/ فبراير 1920، في:

Hokayem (éd.), vol. II, pp. 57-58, 76-77.

(22) Gérard D. Khoury, *La France et l'Orient arabe: Naissance du Liban moderne, 1914-1920* (Paris: Albin Michel, 2009), p. 329; Hakim, *The Origins*, pp. 251-253; Zamir, pp. 78-79; Sami Salameh (ed.), *The Mufakkira of Bishop Abdallah Khoury* (Zouk Mikael, Lebanon: Notre Dame University Press, 2001), pp. 11-13, 22-33, 170-172.

وعقيم. وادّعى أن أربعة آلاف مسيحي هربوا من "المناطق الشريفية" طلبًا للحماية الفرنسية في الساحل[23].

وهكذا، مع مباركة المونسنيور الحويّك وغورو، قامت مجموعةٌ من اللبنانيين في 22 آذار/ مارس بإعلان منافس للاستقلال. تجمّع في بعبدا، مقرّ المجلس الإداري لجبل لبنان، مئات الوجهاء وزعماء القرى والمسؤولون في المدن من جميع أنحاء جبل لبنان. ومع رفعهم علمًا جديدًا، مستمدًّا من الألوان الثلاثة للعلم الفرنسي، رفض المشاركون سلطة المؤتمر السوري وأعلنوا دولة لبنان الكبير المستقلة تحت الانتداب الفرنسي. كما وأدانوا النوابَ اللبنانيين الذين لم يذعنوا لمنع غورو لهم من حضور المؤتمر السوري، الذين كان من بينهم اثنان من الموارنة: جورج حرفوش وعارف النعماني من بيروت[24].

ومع أن الكنيسة المارونية كانت تقود التجمع المسيحي اللبناني الأكبر، إلا أنه كانت هناك جماعات سياسية أكثر مرونة في لبنان. فقد دعم بعض المسيحيين، وخاصة الروم الأرثوذكس، الاقتراحَ الوارد في إعلان الاستقلال في 8 آذار/ مارس بضمّ جبل لبنان المستقلّ ذاتيًا إلى سوريا المستقلة. كان لدى السياسيين في دمشق أسبابٌ تدفعهم إلى الاعتقاد بأنهم يمكن أن يحظوا بتأييد أكثر في الساحل. ولذلك أعلن فيصل عن جولته في لبنان خلال آذار/ مارس لاحقًا. اشتكى غورو من أن الأعلام السورية تخفق في كل مكان بوادي البقاع[25].

وتحت ضغط الإعلان اللبناني المنافس للاستقلال والعنف الطائفي في النواحي الحدودية بين المنطقتين الشرقية والغربية، بدأ المؤتمر [السوري] في نقاش حقوق الأقليات في الدستور السوري.

---

(23) من الوفد اللبناني إلى ميلران، 18 آذار/مارس 1920، ومن غورو إلى ميلران، 4 و21 آذار/ مارس 1920، في:

Hokayem (éd.), vol. II, pp. 105-107, 156, 162-163.

(24) Zamir, pp. 86-89;

من غورو إلى ميلران، 4، 10 و25 آذار/ مارس 1920، في:

Hokayem (éd.), vol. II, pp. 105-107, 123, 173-174.

(25) من غورو إلى ميلران، 21 آذار/ مارس 1920، في:

Hokayem (éd.), vol. II, p. 162.

لا يوجد لدينا توثيق رسمي بعدد النواب المسيحيين في المؤتمر، ولكن المعطيات البيوغرافية تقول إنه كان على الأقل عشرة منهم. يزعم دروزة أنهم كانوا ضعف العدد، أي عشرين. كانت التقديرات السكانية التقريبية تقول إن هذا العدد يتناسب مع السكان [المسيحيين] في سوريا الكبرى. ومع غياب إحصاء سكاني دقيق قدّرت لجنة كينغ-كراين في عام 1919 أن 18 في المئة من سكان كلّ سوريا الكبرى مسيحيون. كان النواب المسيحيون أقل من هذه النسبة، إذ إنهم كانوا يمثلون 14 في المئة من عدد النواب الـ 85 الذين يظهرون في الصورة التذكارية للمؤتمر في عام 1920[26].

إلا أن السكان المسيحيين كانوا يختلفون حسب المناطق. ففي المنطقة الشرقية (سوريا الداخلية والأردن) كانوا يمثلون 8.3 في المئة، وفي المنطقة الجنوبية (فلسطين) 10 في المئة، بينما كانوا في المنطقة الغربية (ساحل لبنان) 37 في المئة. وفي حين أن تمثيل المسيحيين فاق نسبتهم بين السكان في المنطقتين الشرقية والجنوبية، إلا أن المسيحيين في المنطقة الغربية اعتبروا أن المؤتمر (السوري) لم يكن يمثلهم. ولكن لا يبدو من الأمانة لوم المؤتمر على تحجيم تمثيل المسيحيين في لبنان. فقد منعت السلطات الفرنسية إجراء انتخابات في عام 1919، كما أن الكنيسة المارونية والمجلس الإداري لجبل لبنان رفضا إرسال أي ممثل لهما.

كان تمثيل اليهود أيضًا محجّمًا في المؤتمر. ففي حين أن لجنة كينغ-كراين قدّرت عدد اليهود في سوريا الكبرى بـ 110 آلاف (أكثر من نصفهم موجودون

---

(26) محمد جمال باروت، "المؤتمر السوري العام (1919-1920): الدستور السوري الأول، السياق والطبيعة والوظائف، المراحل والقضايا"، مجلة **تبيّن**، العدد 3 (كانون الثاني/يناير 2013)، ص 23-48. كان عدد النواب في المؤتمر يتأرجح من وقت إلى آخر. وحسب ما توصلتُ إليه، بالاستناد إلى المذكرات وشهرستان، **المؤتمر السوري**، كان هناك 87-88 نائبًا في ربيع 1920. وحسب تقرير لمكتب الاستخبارات في القاهرة بتاريخ: 18/10/1920 كان هناك 88 نائبًا شاركوا في المؤتمر في ما بين تشرين الثاني/نوفمبر 1919 وآذار/مارس 1920:
TNA-London, FO 371/5040, 213-18.

في فلسطين) إلا أنّ النائب اليهودي الوحيد لهم كان يوسف لينادو من دمشق. أما الصهيونيون في فلسطين فقد امتنعوا عن إرسال أي ممثل. وبسبب اقتناعه أو خشيته لم يعبّر لينادو (Linado) عن احتجاج علني ضد إدانة المؤتمر للصهيونية. كما أنّ بعض الجماعات تمّ تجاهلها أيضًا، وخاصة الأكراد. كان هناك الآلاف الذين يعيشون في الحي الخاص بهم في دمشق، الذين كان يقودهم بشكل بارز عبد الرحمن اليوسف وأسرة الناشطة النسوية نازك العابد. كان هناك آلاف أكثر يعيشون في حلب وفي شمال شرق البادية السورية. كان معظم الأكراد يتحدثون العربية، وكانوا اجتماعيًا متميزين عن سكان البادية والريف، ولكن لم تكن هناك بعد حركة قومية كردية في سوريا[27]. ولا توجد في السجلات عرائض مقدّمة من الأكراد تعترض على إعلان سوريا كمملكة عربية. كما أنه لا يوجد هناك إثبات على مناقشة حقوقهم في المؤتمر.

إلا أن الأحداث في لبنان والضغط من المجلس الأعلى [للحلفاء] أدت في النهاية إلى تركيز نقاش المؤتمر حول حقوق الأقلية للمسيحيين، أكثر من أي جماعة أخرى. كان الوعد بالمساواة القانونية مقبولًا قبل ذلك من الزعماء السوريين، إلا أن مفهوم حقوق الأقلية كان جديدًا. ففي العهد العثماني كان المسؤولون العرب لا يشاركون النخبة التركية الحاكمة في عدائها للمسيحيين. وفي عام 1908 تبنّى علانية رجال دين مسلمون في بيروت ودمشق الوعد بمساواة قانونية للمسيحيين[28].

ونظرًا إلى أن رشيد رضا كان رئيس المؤتمر، فإن آراءه عن العلاقات المسيحية المسلمة ستكون مهمة. فقد نشأ رضا في بيت كانت له صلات ودية

---

(27) Jordi Tejel, *Syria's Kurds: History, Politics, and Society* (New York: Routledge, 2009), pp. 9-11; Stefan Winter, "The Other Nahdah: The Bedirxan, the Millis and the Tribal Roots of Kurdish Nationalism in Syria," *Oriente Moderno*, vol. 25, no. 3 (2006), pp. 461-474.

(28) Michelle Campos, *Ottoman Brothers* (Stanford: Stanford University Press, 2010), p. 93; Bedross Der Matossian, *Shattered Dreams of Revolution* (Stanford: Stanford University Press, 2014), p. 47,

مذكور في المقطم، 22 آب/أغسطس 1908، ص 3؛

Anne-Laure Dupont, "Réforme et Revolution dans la Pensée Arabe après 1908," dans: F. Georgeon (éd.), *L'ivresse de la liberté: La révolution de 1908 dans l'Empire ottoman* (Walpole, MA: Peeters, 2012), pp. 425-427.

مع جيرانه المسيحيين في طرابلس (لبنان). إلا أنه بعد انتقاله إلى القاهرة أصبح نقديًا تجاه الضراوة الإنجيلية للإرساليات المسيحية. فقد شارك في السجالات للدفاع عن الإسلام ضد المستشرقين الأوروبيين، وحثّ زملاءه المسلمين على تعزيز دراستهم وإيمانهم بالعالم الحديث. كان رضا يحتفظ بصداقات وطيدة مع المسيحيين العرب، وخاصة المنفيين السوريين في القاهرة. كما أنه حافظ على الحوار بين الأديان في مجلّته[29].

كان رضا شخصيًا متأثرًا بالجو المتسامح والعادل نسبيًا في دمشق. فقد كتب عن ذلك قائلًا: "ليس المسلمون متميزين في الحكومة عن المسيحيين واليهود"، و"أنّ المسلمين لا يتوقعون معاملة أفضل من الوزراء المسلمين بل إنهم يتوقعون معاملة واحدة من الوزراء المسلمين وغير المسلمين معًا"[30]. في نيسان/ أبريل ألقى رضا محاضرة في المؤتمر عن الإسلام والحُكم الشرعي. وقال إن غير المسلمين عندما يفهمون التعاليم الإسلامية حول هذا الموضوع فسيجدون الحُكم الشرعي مرضيًا. وقد شعر بالرضا عندما قال له عدّة نواب مسيحيين إنهم كانوا مسرورين بمحاضرته[31].

إلا أن رضا حذّر قراء **المنار** من أن المسلمين، بمن فيهم هو، كانوا غالبًا غير مكترثين. فمع نهاية الحرب سارع المسؤولون المسلمون الذين اكتسبوا خبرة في العهد العثماني إلى تولي المناصب التي شغرت من قبل الأتراك من دون أن يحسبوا حسابًا للمسيحيين. وفي نهاية عام 1919، حين ساعد رضا على جمع المال لأجل كلية إسلامية في بيروت، كان نفسه غير قلق للمظهر الطائفي لحملته. وحين تذمّر المسيحيون من هذا التحيّز، ردّ رضا بالدفاع عن المدارس العامة للمسيحيين والمسلمين معًا[32].

---

(29) Umar Ryad, *Islamic Reformism and Christianity* (Leiden: Brill, 2009); Simon A. Wood, *Christian Criticisms, Islamic Proofs: Rashid Rida's Modernist Defense of Islam* (Oxford: Oneworld, 2010); Imad Eldin Shahin, *Through Muslim Eyes: M. Rashid Rida and the West* (Herndon, VA: International Institute of Islamic Thought, 1994).

(30) رضا، "الرحلة السورية الثانية (10)".

(31) يوميات رشيد رضا، الثلاثاء 13 نيسان/ أبريل 1920، كما وردت في:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

(32) رضا، "الرحلة السورية الثانية (6)".

روّج فيصل للمشاركة المسيحية في الحكومة منذ كانون الثاني/ يناير. أصبح في الحكومة ثلاثة وزراء مسيحيين هم: فارس الخوري ويوسف الحكيم واسكندر عمون. عيّن فيصل رجل الدين الماروني حبيب اسطفان في منصب مهم في وزارة الثقافة[33]، وهو منصب كان يشغله للتجول في سوريا لحشد [تأييد] المسيحيين للنظام. ومع استمراره في دعم بطريرك الروم الأرثوذكس بالمال، بدأ فيصل أيضًا بدعم الصالون الأدبي المعروف لماري عجمي، الذي كان يجذب إليه حضورًا مختلطًا من وجهاء المسيحيين والمسلمين. وقد نشرت عجمي أيضًا مجلة نسائية تروّج للعروبة بين المسيحيين والمسلمين[34].

كان المفهوم السياسي للمسيحيين كأقلية قد دخل حصرًا مع نهاية الحرب العظمى خلال انعقاد مؤتمر الصلح في باريس. كان هذا منتجًا ثانويًا لعملية تصميم الدول القائمة على القومية المفترضة لغالبية السكان في المناطق المختلفة للإمبراطوريتين العثمانية والهابسبورغية. كان صنّاع السلام مدركبن أن الجماعات المعتبرة خارج الأغلبية القومية الحاكمة يمكن أن تعاني من التمييز.

وفي ردّ على هذا القلق في باريس، أعلن فيصل أولًا أنه لن تكون هناك أقليات في سوريا: إن المواطنين من كل الأديان هم كلهم عرب [يتمتعون] بحقوق متساوية. كان يسعى بذلك جوهريًا إلى إلغاء النظام العثماني الذي كان يضع غير المسلمين في جماعات منفصلة ودونية باسم "الملة". ولكن بعد عودته إلى دمشق في أيار/ مايو 1919 بدأ فيصل يستخدم بشكل علني تعابير "الأقلية" و"الحقوق" في ما يتعلق بوضعية غير المسلمين. وبعد أن حصل على مباركة وشكر رئيس أساقفة الأرمن اللاجئين، أشار فيصل إلى الأحقاد الطائفية التي زرعتها الحكومة العثمانية خلال سنوات الحرب بالقول: "أرى أن مطالب الأقلية من الشعب تكون

---

(33) لم يكن في العهد الفيصلي "وزارة للثقافة"، بل كانت وزارة المعارف تغطي هذا المجال، في حين أن أول "وزارة للثقافة والإرشاد القومي" استُحدثت في سوريا خلال فترة الوحدة مع مصر (1958-1961)، بينما لم تستقل "وزارة الثقافة" لوحدها في سوريا إلا في عام 2014). (المترجم)

(34) ماري عجمي، "يعيش أمير سوريا"، مجلة **العروس**، مج 6، العدد 1 (شباط/ فبراير 1920) ص 1؛ Elizabeth Thompson, *Colonial Citizens* (New York: Columbia University Press, 2000), pp. 95, 120-121; ميشال جحا، **ماري عجمي** (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2001).

مرجّحة على آراء ورغبات الأكثرية"، و"علينا أن نثبت لهم (للحلفاء) أنّنا أمة تريد أن تستقلّ، ونحافظ على كبيرنا وصغيرنا وجارنا ومستجيرنا". وقد كرّر فيصل هذه الرسالة في حلب، حيث حذّر من أن الأوروبيين الجاهلين قد يستغلون التمييز ضد الأقليات لنسف قضية الاستقلال السوري: "لا بدّ أن الحكومة التي ستشكل ستعمل جميع ما هو واجب لتأييد حقوق الأقلية، وسنقطع على ذلك العهود المكتوبة بالصحائف"[35].

وهكذا، أكّد رضا وحزب الاتحاد السوري مرارًا أن الضمانات الدستورية للحقوق الكاملة مهمة لكسب التأييد الشعبي في سوريا والتأييد الأوروبي في مؤتمر الصلح. فقد أكّد عضو في اجتماع حزبي خلال كانون الثاني/ يناير 1919: "يجب علينا أن نذكر دائمًا حقوق الأقليات لطمأنة المسيحيين. يجب أن نعمل على إزالة الخوف من قلوب المسيحيين". كان رضا والشهبندر عضوين في لجنة الأقليات بحزب الاتحاد السوري. وفي ذلك الربيع تبنّى حزب الاتحاد السوري "النقاط الـ 14". وقد دعت النقطة السابعة منها إلى حماية الأقليات[36].

في البداية، في تشرين الأول/ أكتوبر 1918، انقسمت آراء زعماء المسيحيين في دمشق حول نظام فيصل. ولكن خلال تتويجه في 8 آذار/ مارس 1920 عبّر كلّ بطاركة المسيحيين في المدينة عن تأييدهم العلني لمملكة عربية سورية دستورية. وقد بايعوا حينئذ الملك الجديد بشرط أن يحافظ على وعده بالمساواة. وبعد ذلك

---

(35) Abu Khaldun Sati al-Husri, *The Day of Maysalun* (Washington, DC: Middle East Institute, 1966), pp. 101-114.

في العربية كان فيصل يستخدم مصطلح "الأقلية" مقابل "الأكثرية". ينظر النصوص العربية الأصلية لخطاباته في: أبو خلدون ساطع الحصري، **يوم ميسلون** (بيروت: دار الاتحاد، 1965)، ص 229، 231. وحول "خلق الأقليات" Minoritzation بعد 1920 ينظر:

Benjamin Thomas White, *The Emergence of Minorities in the Middle East* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2011); Laura Robson (ed.), *Minorities and the Modern Arab World* (Syracuse, NY: Syracuse University Press, 2016); Jeffrey Culang, "Liberal Translations: Secular Concepts, Law and Religion in Colonial Egypt," PhD dissertation, City University of New York, 2017.

(36) TNA-London, "Report on a Conversation in Cairo with Michel Bey Lotfallah on His Return from Syria, August 5th, 1919," FO 371/4182, 330-33; SUP to Rida, March 1, 1919, and "Fourteen Principles of the Syrian Union Party," dated Damascus, 1919.

وأشكر عمر رياض لتزويدي بنسخ من هذه الوثائق من أرشيفه الشخصي.

عقدوا اجتماعًا عالي المستوى في مقر بطريرك الروم الكاثوليك ديمتري قاضي. ومثل العديد من الكاثوليك السوريين رفض قاضي في البداية حكمَ فيصل، ولكنه كان خائفًا من التكتيكات التقسيمية وغير الفعالة للمفوض السامي جورج بيكو إلى حدّ أنه انقلب ضد الفرنسيين في أواخر عام 1919. وقدّر مسؤول بريطاني كان في زيارة إلى سوريا في ذلك الوقت والتقى بديمتري قاضي، أنّ ما بين 40-45 في المئة من المسيحيين يعارضون الفرنسيين[37].

اتفق الزعماء الروحيون المسلمون والمسيحيون الذين اجتمعوا في بيت قاضي في 11 آذار/ مارس على تشكيل لجنة دائمة تروّج لـ"الوحدة والاتفاق بين كل الطوائف التي رفضت الآن الانتداب الدولي في أيّ شكل". ثم تعاهدوا على العمل يدًا بيد وكل واحد مع الآخر والحكومة ضد "الاستعباد" (بمعنى التمييز والإخضاع) وأن "يحافظوا على الحرية لهم ولأولادهم"[38].

وخلال النصف الأول من حزيران/ يونيو استمر النقاش أسبوعين حول تمثيل الأقلية في المؤتمر في مجالس المقاطعات. وفي 7 حزيران/ يونيو انفجر خلاف ساخن حول مسألة الكوتا للأقلية. اقترح تجمّع من النواب أن يتمّ تخصيص نصف المقاعد في مجلس النواب لكلّ الأقليات، أي للعرب المسلمين من غير السنّة والطوائف المسيحية المختلفة واليهود والدروز والأكراد. كان هذا التجمّع يقوده تيودور أنطاكي، وهو نائب مسيحي من حلب وعضو في لجنة صياغة الدستور. ولكن في 7 حزيران/ يونيو صوّتت غالبية النواب ضد الاقتراح لصالح تمثيل نسبي عادل. انسحب أنطاكي من المؤتمر مع بعض النواب الذين رُفض اقتراحهم وتوجهوا إلى بطريركية الروم الأرثوذكس لعقد اجتماع استراتيجي استضافه المونسنيور غريغوريوس. كان هذا هو الانشقاق الذي يخشى منه فيصل وحزب الاتحاد السوري.

---

(37) Gertrude Bell, "Syria in October 1919," 15-16, in L/P25/10/802, India Office Library and Records, British Library, London;

الحكيم، ص 141-142.

(38) "تأييد الوفاق والاستقلال بين المسلمين والمسيحيين"، جريدة **العاصمة**، العدد 108 (11 آذار/ مارس 1920)، ص 6.

تمّ التوصل إلى تسوية بعد مزيد من الخلاف في الأسبوع اللاحق. وأخيرًا أقرّ المؤتمر في 14 حزيران/ يونيو تعديل المادة 129 التي كرّست كوتا الأقلية في انتخابات المقاطعات. وقد ضمنت المادة المذكورة للأقليات نسبة أعلى من التمثيل (نائب لكل 15 ألف شخص بالمقارنة مع نائب لكل عشرين ألف مسلم). كما تمّ التوصل إلى تسوية مشابهة حول مجلس النواب، حيث يُنتخب نائب الأقلية عن كل ثلاثين ألف شخص بينما يُنتخب النائب المسلم عن كل أربعين ألف شخص. وقد برّر المؤيدون بأن هذا الترتيب للأقليات يؤمّن ثلث المقاعد في مجلس النواب وفي مجالس المقاطعات[39].

كانت هذه التسوية تمثل تطورًا عن الدستور العثماني لعام 1909، الذي لم يشمل أحكامًا خاصة لتمثيل الأقليات. إلا أن هذا التطور لم يرضِ تمامًا المدافعين عن التمثيل الأكمل للأقلية. فقد قاطع بعض النواب التصويت الذي جرى في 14 حزيران/ يونيو لأسباب غير واضحة مع فقدان محاضر المؤتمر. وربما يعود التوتر إلى أن بعض النواب غير المسلمين لم يثقوا بقيادة رضا والخطيب. كان الانشقاق والخوف يمثلان ردة فعل مفهومة للظرف السياسي، حيث كان غير المسلمين وغير العرب يتعرضون للعنف على طول الحدود مع لبنان والأناضول، ولذلك اقترح زعماؤهم الفصل الطائفي كبديل آمن عن ليبرالية المؤتمر. وفي اليوم ذاته الذي غادر فيه ستة نواب قاعة المؤتمر، في 7 حزيران/ يونيو، أصدر المؤتمر استدعاءً لوزير الخارجية لمناقشة الجولة الجديدة من التهديدات الفرنسية[40].

وبعد التصويت الذي جرى في 14 حزيران/ يونيو وافق المؤتمر على عطلة لمدة عشرة أيام حتى نهاية رمضان. وبعد عودتهم من عطلة العيد قام النواب

---

(39) ينظر التقارير حول جلسات المؤتمر المخصصة للمواد 88، 89، 92، 127-131 في: جريدة **العاصمة**، أعداد 1-14 (حزيران/يونيو 1920)؛ من غورو إلى ميلران، 12 حزيران/يونيو 1920، في: Hokayem (éd.), vol. II, pp. 413-414; Malcolm B. Russell, *The First Modern Arab State: Syria under Faisal 1918-1920* (Minneapolis: Bibliotheca Islamica, 1985), p. 149.

هذه المواد تحمل الأرقام التالية 87-88، 91، 126-130 في المسودة النهائية للدستور، أعدت نشرها في الملحق "ج".

(40) شهرستان، ص 147.

بمراجعة شاملة للدستور في 29 حزيران/ يونيو، وتمّت مراجعة كل مادة من مواد الدستور الـ 148 في جلسات المؤتمر[41].

وعلى الرغم من الخلافات، إلا أن الأحكام المتعلقة بانتخاب الأقليات - التي أكدت ضمانة الدستور للحقوق المتساوية بغض النظر عن الدين والإثنية وعدم تطابقها مع الشريعة الإسلامية - كانت تمثل خطوات بارزة تجاوزت فيها الدستور العثماني السابق نحو نظام سياسي ديمقراطي واحتوائي. كانت هذه الخطوات ثمرة إجراءات ديمقراطية شملت النقاش والتسوية. ومع أن الدستور اعتبر العربية اللغة الرسمية، إلا أنه لم يطالب المواطنين بالتزام التحدّث فيها. ومع أن الدولة هدّدت بطرد المسؤولين الأتراك السابقين، إلا أنها سمحت لأولئك الذين وُلدوا في سوريا أو تزوجوا من سوريات بالحصول على المواطنة. وحتى إن الاسم الرسمي للدولة، المملكة العربية السورية، كان يمثل تسوية بين أولئك الذين سعوا لإنشاء دولة تقوم على المزيج الخاص للسكان في الأراضي السورية وأولئك الذين يسعون إلى فدرالية عربية واسعة. كان رفض التصويت على حقوق المرأة ينتقص من المُثل الديمقراطية، ولكنه كان نقصًا مشتركًا مع فرنسا وغيرها من الدول الديمقراطية في ذلك الوقت[42].

وكما يروي الوزير من طائفة الروم الأرثوذكس يوسف الحكيم في مذكراته: "كانت الأكثرية الإسلامية في المنطقة الشرقية من سوريا تعامل المسيحيين معاملة الأخ لأخيه في الحقوق والواجبات، ولا تفرّق الحكومة في توزيع المناصب بين مسلم ومسيحي". كان الحكيم قد ترشّح لمنصب رئيس المؤتمر في آذار/ مارس وفاز بـ 43 صوتًا ليحلّ بذلك في المركز الثالث. لم تكن تجربته مع "رجال الدين" في المؤتمر بعد 5 أيار/ مايو سلبية بالكامل. ففي مذكراته يصف عبد القادر الخطيب بكونه المعروف باعتدال خطته من دون إفراط أو تفريط وتمثيله فكرة أخوانه في دمشق[43].

---

(41) المرجع نفسه، ص 187.

(42) باروت، ص 36-40، 46؛ شهرستان، ص 331-332.

(43) الحكيم، ص 160، 164؛ شهرستان، ص 93.

بالنسبة إلى رضا، كانت المصادقة على دستور يضمن للمسيحيين مواطنة كاملة وحقوقًا متساوية، إنجازًا لطموح ولد في عام 1908 حين احتفل بالثورة [الدستورية] في الكنيسة الأرمنية بالقاهرة. كان المسلمون في الحشد قد حملوه على أكتافهم إلى المذبح ليعانق الأسقف الأرمني تعبيرًا عن الأخوّة. وقد كتب رضا باعتزاز لقرائه في **المنار** كيف أسّست المملكةُ العربيةُ السوريةُ ديمقراطيةً حقيقيةً:

> إن الحرية تسود في كل جوانبها، بما في ذلك حرية الاجتماع والكلام والنشر، وهي التي أصبحت تثير الحسد في بقية أجزاء سوريا وفي مصر. فقد اختفت مظاهر التشريف والتعظيم المبالغ فيها للمسؤولين والأعيان (التي كانت دمشق تشتهر بها)، وأصبح الناس يشعرون بالاحترام والكرامة.

ورأى رضا أن المملكة تحكم بالعدل أكثر من فرنسا وبريطانيا: "غير المسلمين متساوون مع المسلمين في كل درب. وعلى النقيض من ذلك يعاني المسلمون من التمييز في لبنان وفلسطين"[44].

## عرض الدستور

في 5 تموز/ يوليو 1920 عقد المؤتمر جلسة لقراءة علنية لكلّ مسوّدة الدستور. اجتمع أكثر من ثمانين نائبًا في مبنى العابد في ساحة المرجة. كان هؤلاء يمثلون مناطق سوريا الكبرى التي تقع الآن في خمس دول منفصلة: كان حوالى نصفهم من سوريا وثلثهم من لبنان وفلسطين/ إسرائيل، والبقية من الأردن وتركيا[45].

---

(44) محمد رشيد رضا، "الرحلة السورية الثانية (10)"، جريدة **المقطم** (31 آب/ أغسطس 1908)، كما ورد في:

Matossian, pp. 1-2.

إن حصيلة كتابات رضا والدستورانية constitutionalism في 1920 تتحدى الآراء القديمة بأن القومية العربية-السورية كانت إسلامية أصولية. ينظر على سبيل المثال:

Asher Kaufman, *Reviving Phoenicia* (New York: I. B. Tauris, 2004), p. 7.

وكما سيظهر في الخاتمة فإن تحوّل رضا نحو الإسلام السياسية حدث لاحقًا في العشرينات.

(45) شهرستان، ص 38-41؛ دروزة، ص 350-352؛

Pierre Fournié & Jean-Louis Riccioli, *La France et le Proche-Orient 1916-1946* (Tournai, Belgium: Casterman, 1996), pp. 66-67.

إن التقسيمات المعطاة هنا تستند على المصادر المذكورة أعلاه، التي تختلف تقديراتها الدقيقة حسب تأرجح العضوية في المؤتمر.

تحدّث عثمان سلطان، وهو نائب من دائرة رشيد رضا من طرابلس، باسم اللجنة الدستورية. كان سلطان، الأستاذ الشاب من معهد الحقوق في دمشق، يبدو عليه السرور من الشرف الذي مُنح له. سلّم نسخة من الدستور إلى رئيس المؤتمر رشيد رضا. كانت الوثيقة تضم 148 مادة وتحمل تواقيع 24 نائبًا اشتركوا في اللجنة الدستورية وقيادة المؤتمر[46].

مشى سلطان نحو المنصّة. من تحت طربوش أنيق أظهر وجنتيه البارزتين، نظر في أرجاء القاعة ثم توجّه إلى زملائه النواب قائلًا:

> إنّ أمتنا السورية اليوم تتأهّب لحياة استقلالية جديدة... وقد ارتأى صاحب السمو الأمير فيصل أن يضع المؤتمر السوري العام، الذي يضمّ لفيفًا من ممثلي الأمة والحائزين على ثقتها من عموم أنحاء البلاد، قانونًا أساسيًا للمملكة السورية الجديدة، تتخذه دستورًا في تنظيم أمورها الداخلية، وتعيين شكلها الجديد الذي تتجلى به روح الرعاية والمحافظة بشكل خاص على حقوق الأقليات... ليكون سلاحًا تتقي به الأمة صدمات السياسة الاستعمارية التي يتذرّع دعاتها بوسائل وهمية للاستئثار بالسلطة في بلادنا تحت أسماء مختلفة كالوصاية والحماية والانتداب.

عرض سلطان الدستور باعتباره "برهانًا ساطعًا للشعوب المتمدّنة" بأن السوريين متطورون بما فيه الكفاية لينهضوا بدولة حديثة. وأعلن أن سوريا نضجت في الشهور الثمانية عشر منذ أن صوّت المجلس الأعلى (للحلفاء) لصالح نظام الانتداب، وأن السوريين لديهم الآن نظام حكم يلبّي معايير الاستقلال التام[47].

عرض سلطان الدستور كوثيقة حية، صُمّمت للحاجات الخاصة للمجتمع السوري. لم يكن الدستور، كما قال سلطان، يمثل نموذجًا أجنبيًا للحكم أُخذ من كتب مدرسية وفُرض على السوريين كي يرضي الأوروبيين في مؤتمر الصلح. وكما أفصح سلطان، فقد "سلكت اللجنة في عملها سبيل الباحث المدقق عن

---

(46) **يوميات رشيد رضا**، 5 تموز/يوليو 1920، كما وردت في:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

(47) شهرستان، 179-182، 229.

الأصول والأساسات، التي تتجلّى بها الحياة الديمقراطية، مع ملاحظة حالة البلاد والشعب على اختلاف مذاهبه ومشاربه". وقد أقرّ أعضاء اللجنة أخيرًا النموذج النيابي المدني للحكم لأنه يوازن بين الحرية وحكم القانون. وبذلك، فإن النظام المقترح سيحشد الرأي العام، ولكنه سيحميه أيضًا ضد "الإقصائية والعناصر الدينية في السياسة والحكم".

كان هذا المنطق وراء المادة 1 التي قرأها سلطان بصوت عالٍ: "إن حكومة المملكة العربية السورية حكومة ملكية مدنية نيابية عاصمتها دمشق الشام ودين ملكها الإسلام". فالمادة [الأولى] كما أوضح سلطان، تتجلى فيها حاكميّة الأمة لتكون حاكمة نفسها بنفسها، وألا يُترك لـ"العوامل الدينية" مجال في السياسة والأحكام. إلا أن حرية الدين والإجراءات الوقائية ضد التمييز بين الطوائف كانت مكفولة أيضًا في الدستور.

اعترف سلطان بأن بعض السوريين كانوا يفضّلون خطوة أخرى إلى الأمام لتأسيس حرية أكبر مع نظام جمهوري بعدما "كان [الشعب] يعانيه من الشدائد في عهد السلطة المستبدة القاسية". إلا أن اللجنة رأت أن السوريين ليسوا مستعدين بعد لحكم جمهوري، لأنه بدون مرحلة انتقالية من التربية الاجتماعية يمكن للجمهورية أن تؤدي إلى الفوضى.

اختارت اللجنة، كما أوضح سلطان، [الأمير] فيصل ملكًا لتلبية الحاجات الخاصة لسوريا. فالسجل البطولي لفيصل في ساحة القتال يمكن أن يلهم الشعب ويساعده و"ينسيه ما كان عليه من الانحطاط بسبب الحكم القديم". إلا أن بعض السوريين كانوا يسألون "كيف يمكن لابن الحجاز أن يتولى العرش السوري؟". كانت اللجنة مهتمة حين اختيارها فيصل ملكًا "بكونه منتخبًا من المواطنين السوريين"، وليس باعتبار الأصل الجغرافي أو العائلي. ولن يكون فيصل، كما أوضح سلطان، ولا يمكن أن يكون حاكمًا مطلقًا مثل السلطان العثماني، لأن الحكومة ستكون مسؤولة أمام المؤتمر وليس أمام الملك. فالمادة 9 تتناول هذه المسألة "الملك محترم وغير مسؤول".

ونظرًا لأن السوريين قاوموا الحكم المركزي للأتراك الجدد، كما تابع سلطان، فقد أسّس الدستور الحكم اللامركزي أو النمط الفدرالي. فمجالس

المقاطعات ستتولى كلّ السلطة المحلية، بينما يُقرّ المؤتمر العام القوانين الوطنية للصحة والتعليم والعمل والدفاع. وسيتم تعزيز الوحدة [السورية] بواسطة اللغة الرسمية المشتركة ومناهج المدرسة الوطنية.

شدد سلطان أيضًا على "قائمة الحقوق" الواردة في الفصل الثالث للدستور، التي تضمن المواطنية لكل سكان سوريا مع الحقوق المتساوية أمام القانون. كما أن [هذه القائمة] تصون حرية الاعتقاد والدين، وتكفل عدم الرقابة على الصحف، بينما منعت العمل الإجباري والنفي والتعذيب وتفتيش المساكن بدون إذن. وفي ما يتعلق بالتعليم، فقد جُعل التعليم الابتدائي المجاني إلزاميًّا لكل المواطنين، وتُركت الحرية لتأسيس المدارس الدينية بما في ذلك المدارس المسيحية.

تحدّث الأستاذ الشاب بإسهاب عن الضمانات الدستورية لحماية الأقليات ولحماية مدارسهم وشعائرهم الدينية. وهكذا فإن القوانين الانتخابية لن تسمح لعصبة بالسيطرة على الحكومة، مع السماح لجميع المواطنين (الذكور) بالتصويت ووضع كوتا لتمثيل الأقلية.

في النهاية اقترح سلطان أن يطلب المؤتمر من رئيس الحكومة الأتاسي أن يبدأ بتنظيم الانتخابات، كي تُجرى ما إن يتمّ إقرار الدستور.

ومع روح النشوة بالإنجاز، صوّت النواب على قبول الدستور بمجمله من حيث المبدأ بانتظار مراجعته مادةً مادة في جلسة ثانية. كما أنهم وافقوا على البدء بإجراءات تنظيم الانتخابات[48]. وهكذا قام المؤتمر خلال أسبوع بالمصادقة على المواد الست الأولى مع تعديلات طفيفة. وقد أسّست هذه المواد في سوريا ملكية نيابية مدنية، وحدّدت سلطات الملك الذي عليه أن يخلص للدستور والقوانين والله (وليس للشريعة الإسلامية كما في الدستور العثماني).

وهكذا بعد سنة بالضبط من عرض المؤتمر للمشروع الدستوري على لجنة كينغ-كراين، كان السوريون مستعدين لتحقيق الديمقراطية الدستورية التي وعدوا بها.

---

(48) حسن الحكيم (محرر)، **الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية 1915-1946** (بيروت: دار صادر، 1974)، ص 194.

## خاتمة: التأييد الماروني في الساعة الحادية عشرة

كانت الصحف الكاثوليكية بشكل عام تتجاهل الأحداث في دمشق، بينما كانت الصحف الأخرى في بيروت تتابع من كثب السياسة السورية. ففي ربيع 1920 خصّصت **لسان الحال**، التي أصدرتها عائلة مسيحية بروتستانتية، ركنًا خاصًا بسوريا يتابع النقاشات حول الدستور، وخاصة في ما يتعلق بحقوق الأقليات. وبشكل متزامن كانت الصحيفة تنشر مقالات نقدية عن مشروع الجنرال غورو لدستور خاص بلبنان. كان الجنرال قد أصرّ على أن يعيّن بنفسه أعضاء اللجنة، وأوضح بجلاء أن الحاكم سيكون فرنسيًا وليس لبنانيًا. وقد نشرت **لسان الحال** في الأسبوع ما بين 30 حزيران/ يونيو و7 تموز/ يوليو مقالات حماسية حول تأكيد الدستور السوري على حقوق الأقلية وعلى عرضه أمام المؤتمر، مع تأكيد المحرر على أن الشعب له الحق في أن يعيّن حكامه[49].

وكانت الشكوك حول النوايا الفرنسية في لبنان قد عادت إلى السطح مع بداية أيار/ مايو. كان الزعماء الوطنيون يخشون من أن لبنان لن يرِد له ذكر في مؤتمر سان ريمو. فقد رُبط مصيره بالقرار لمكافأة فرنسا بالانتداب على كل سوريا. كان المسيحيون، بمن فيهم الموارنة، الذين ألحوا على الاستقلال اللبناني أصبحوا يشكّون في أنه لا يوجد مهرب سريع من الانتداب الفرنسي إلى الاستقلال الكامل. تطلّع بعضهم مرة أخرى إلى إعلان الاستقلال في 8 آذار/ مارس، الذي وعد لبنان بحكم ذاتي كامل بشرط أن تغادر كل القوى الأجنبية (فرنسا) الأراضي [اللبنانية].

خلال النقاش العام بدأ النواب اللبنانيون في المؤتمر السوري يجرون محادثات سرية مع المعارضين السابقين للوحدة مع سوريا. وقد أدّت هذه المحادثات، التي قادها رياض الصلح، النائب عن صيدا الساحلية مع المجلس الإداري لجبل لبنان، إلى نتائج مفاجئة ودراماتيكية.

---

(49) "شعب واحد"، جريدة **لسان الحال**، 1/ 6/ 1920 و"حقوق الأقلية"، جريدة **لسان الحال**، 3/ 6/ 1920. إن الملاحظات العامة حول التغطية الصحفية اعتمدت على سبر الصحف التالية خلال 1919-1920: **لسان الحال**، **الحقيقة**، **البلاغ**، **البرق** و**البشير**. وأشكر هنا كاترين بتروني على مساعدتها لي في البحث.

كان الصلح يعتقد أن مستقبل سوريا يعتمد على رأي اللبنانيين. كان يهدف إلى أن يلغي ادّعاء فرنسا بكونها حامية المسيحيين من خلال كسب ولاء الموارنة للدولة السورية. فبعد 5 تموز/ يوليو مباشرة حمل نسخة محدّثة من الدستور السوري إلى اجتماع مع المجلس الإداري لجبل لبنان. كان العديد من أعضاء المجلس راضين عن كون غير المسلمين سيتمتّعون بحقوق متساوية للمواطنة في سوريا. كما حمل الصلح وعدًا من فيصل بأن الدولة الفدرالية السورية ستحكم الساحل باعتباره دولة لبنان المستقلة ذاتيًا، التي تمتدّ من صيدا في الجنوب إلى طرابلس في الشمال. كان أعضاء المجلس متأثرين أيضًا بالتقارير الإخبارية الكاذبة التي تقول إن فيصل وغورو على وشك التوصل إلى اتفاق يمكن أن يترك لبنان تحت السيطرة الفرنسية.

في 10 تموز/ يوليو صوّتت غالبية أعضاء المجلس الإداري لجبل لبنان (7 من 12 عضوًا) على الانضمام إلى حكومة دمشق. وقد سافر هؤلاء سرًا برئاسة سعد الله الحويّك شقيق البطريرك الماروني في تلك الليلة إلى دمشق لمبايعة فيصل. كانوا يريدون بعد ذلك السفر إلى باريس للتعبير عن تأييدهم للمملكة العربية السورية أمام المجلس الأعلى [للحلفاء]. ولكن عند توقف قطارهم في مركز تفتيش جبلي قام جندي سنغالي باعتقالهم بتهمة الخيانة، وقام غورو فورًا بإلغاء المجلس الإداري لجبل لبنان[50].

كان انشقاق شقيق البطريرك الماروني تأييدًا مرحبًا به للدستور السوري الديمقراطي كـ"سلاح مدني للأمة" ضد الخطط الاستعمارية. كان ذلك "أروع حدث أبهج قلوبنا" كما وصفه يوسف الحكيم في مذكراته. وهكذا لم يستطع اللبنانيون، الذين عاشوا بحرية في العهد العثماني داخل المتصرفية العثمانية لجبل لبنان، أن يحتملوا الإذعان للحكم الفرنسي المباشر تحت الانتداب[51].

---

(50) من غورو إلى ميلران، 12 تموز/ يوليو 1920، في:
Hokayem (éd.), vol. II, pp. 468-469; Zamir, pp. 89-90; Eddé, pp. 96-99; Patrick Seale, *The Struggle for Arab Independence: Riad el-Solh and the Makers of the Modern Middle East* (New York: Cambridge University Press, 2010), pp. 150-152.

(51) الحكيم، ص 164-165.

إلا أن تفاؤل الحكيم لم يستمر طويلًا. فقد جرت الأحداث بسرعة خلال الأسبوعين اللاحقين لتعرقل الخطط السورية بتأسيس ديمقراطية مع عقد انتخابات. فقد فوجئ المؤتمر بمناورات دبلوماسية تريد التحكّم بالمصير السوري.

في فلسطين كان إعلان الدستور قد أثار احتفالات شعبية. إلا أن البريطانيين عرقلوا بإحكام كلّ حركة راهنة باتجاه ضمّ البلاد إلى سوريا الكبرى. وقد أثار دروزة وغيره من النواب الفلسطينيين في أواسط حزيران/ يونيو احتجاجات دون جدوى في المؤتمر ضدّ تعيين بريطانيا لأول مندوب مدني سامٍ على فلسطين.

وفي الساحل اللبناني كانت المفوضية السامية الفرنسية تعمل بشكل سري على أن تمنع أي فيض يؤيّد الانضمام إلى سوريا الكبرى. ومع سابقة سان ريمو مال رئيس الوزراء الفرنسي ميلران إلى استخدام القوة لكبح الرأي العام الشعبي نحو اختيار القوة المنتدبة. فخلال شهر حزيران/ يونيو، حين كان المؤتمر [السوري] يناقش المواد الأخيرة في الدستور، كان ميلران وغورو يخطّطان للتدمير الكامل للدولة [السورية].

# القسم الخامس

# طرد سوريا من العالم المتمدّن

# الفصل الخامس عشر

## خطط المعركة لأجل سوريا

كتب دو كيه إلى برتلو في 4 أيار/ مايو [1920] "إن سياستنا في سوريا أسوأ من أي لحظة منذ أن وصل الجنرال". لم يكن دو كيه مسرورًا بالفوز بالانتداب، بل كان مغتمًّا بسبب الالتباس حول سيادة فرنسا [على سوريا]. فقد كانت حكومة دمشق بالنسبة إليه "دُمّلة" يمكن أن تنشر العدوى في كل سوريا إذا لم يتمّ التخلص منها. ولذلك نصح قائلًا "يجب أن ننهي الأمور مع مسألة فيصل سواء بتحجيم حكومة دمشق إلى أبعد حدود أو بالتخلّص منها. إنّ الإنكليز لا يزالون يفضّلون فيصل كوسيلة لإخراجنا"[1].

مع موافقته على حذف التفاصيل في سان ريمو، ترك وزير الخارجية البريطاني كرزون المجال مفتوحًا لفرنسا كي تحدّد شروط الانتداب. تحرّك دو كيه كي يقنع المسؤولين الفرنسيين بأن الانتداب يكفل لهم سيادة كاملة على المنطقة الداخلية السورية. ولذلك عليهم الآن صدّ البريطانيين والتأكيد على سقوط فيصل. وهكذا تمكّن دو كيه بنهاية الشهر من إقناع ميلران وغورو بوضع الخطط لغزو المنطقة الشرقية العربية. جاء هذا التحول الراديكالي في السياسة الفرنسية، أي التخلي الكامل عن اتفاقية [فيصل] - كليمنصو في 6 كانون الثاني/ يناير، نتيجة لانحسار التهديدات سواء في شمال سوريا أو جنوبها. ففي الوقت الذي كان دو كيه يفاوض على هدنة مع القوميين الأتراك، كان والد فيصل الشريف

---

(1) دو كيه إلى بيرثيلو، 4 أيار/ مايو 1920، في:
Gérard D. Khoury, *Une Tutelle coloniale: Le Mandat français en Syrie et au Liban* (Paris: Belin, 2006), p. 239.

حسين يعاني من الهزائم على يد ابن سعود. من المرجح أن قلة من الأتراك أو العرب قد تأتي لمساعدة فيصل[2].

وإذا استعدنا الأحداث، يبدو أن حكومة فيصل تأخّرت في اكتشاف الخطة الجديدة لفرنسا. ففي أيار/ مايو [1920] وجّه غورو إلى فيصل مذكرة حول قرار سان ريمو. ومع الانتداب، كما قيل، فإن فرنسا تؤكد "اعترافها بحق السكان الناطقين بالعربية من كُلّ الطوائف المقيمة على الأراضي السورية في أن يحكموا أنفسهم كشعوب مستقلة". وقد أكّد لفيصل أن فرنسا ستحمي الاستقلال السوري من العدوان الخارجي "داخل الحدود المعيّنة في مؤتمر الصلح، مع الأخذ بالاعتبار الحاجة إلى مناطق للحكم الذاتي"[3].

ولكن، من دون علم فيصل، بعد ثلاثة أيام، أعطى ميلران التعليمات لغورو "لحل المسألة السورية مع فيصل": فقط فرنسا، وليس المؤتمر السوري، لها الحق في أن تعيّن فيصل ملكًا أو تشكّل حكومة. ولذلك على غورو وضع الخطط لفرض السلطة الفرنسية: "أنا أعطيك كل الحرية للعمل". وفي ترقّب الاحتجاجات أمر ميلران وزيرَ الدفاع أن ينقل بعض القوات إلى سوريا. كما أنه أرسل دو كيه إلى أنقرة للتفاوض على هدنة مع مصطفى كمال كي يُمكن إرسال قوات فرنسية إضافية من كيليكيا إلى سوريا[4].

فاجأت المذكرة الفرنسية في 1 أيار/ مايو السوريين. كان السوريون قد فهموا، بالاستناد إلى اتصالاتهم مع البريطانيين، أن [مؤتمر] سان ريمو قد اعترف باستقلالهم المؤقت. وكان الجنرال ألّنبي قد أرسل برقية في 27 نيسان/ أبريل استعرض فيها التسوية التي صاغها هوبرت يونغ في بيت كرزون في بداية الشهر،

---

(2) Christopher M. Andrew & A. S. Kanya-Forstner, *The Climax of French Imperial Expansion 1914-1924* (Stanford: Stanford University Press, 1981), p. 218.

(3) Antoine Hokayem (éd.), *Documents diplomatiques français relatifs à l'histoire du Liban et de la Syrie à l'époque du mandat: 1914-1945,* vol. 2 (Paris: l'Harmattan, 2003), p. 267.

(4) من ميلران إلى غورو، 4 أيار/ مايو 1920؛ من غورو إلى ميلران، 11 أيار/ مايو 1920، 300-1؛ من ميلران إلى السفير في لندن والمفوضين الساميين في إسطنبول وبيروت، 11 أيار/ مايو 1920، في: Hokayem (éd.), pp. 272-274, 296-298.

وأكّد في هذه البرقية لفيصل أن الحلفاء اعترفوا مؤقتًا بسوريا والعراق كدولتين مستقلتين، وأنه سيتمّ الاعتراف به ملكًا: "في حين أن حكومة جلالته تستعد للاعتراف مؤقتًا بسموّكم على رأس دولة سورية مستقلة، فإن [الحلفاء] يتمسكون بقوة بأن مطالبكم بالملكية يمكن أن تتحقق رسميًا فقط في مؤتمر الصلح"[5].

رغب فيصل في تصديق وعود ألّنبي، وردّ عليه في 15 أيار/ مايو: "يسعدني أن أرى أن مؤتمر سان ريمو قد اعترف بسوريا والعراق دولتين مستقلتين. كما أرى باغتباط استعداد حليفتنا العظيمة بريطانيا للاعتراف بي ملكًا على الدولة السورية"[6]. ولكن منذ ذلك الحين عرف فيصل بقراءة فرنسا المختلفة لـ [قرار] سان ريمو. ففي 14 أيار/ مايو كان فيصل قد كتب إلى ميلران ليعارض اقتراح رئيس الوزراء الذي يقول بأن سوريا ليست أمة موحدة تستحق الاستقلال، بل هي مجموعة مختلفة من "السكان الناطقين بالعربية". كانت مذكرة ميلران كما كتب الملك: "قد تركت بين شعبي أثرًا مؤلمًا واضطرابًا عظيمًا. أولًا، إن الحكومة الفرنسية باعترافها بحق السكان السوريين في الاستقلال لم تقدّم لسوريا حقًا جديدًا: إن هذا الحق تكفله الطبيعة. ثانيًا، السوريون لا ينتمون إلى شعوب مختلفة، بل إلى أمة واحدة سكنت الإقليم ذاته منذ أكثر من ألف عام". أضاف فيصل إن سوريا ستقبل مساعدة فرنسا ضمن اتفاق 6 كانون الثاني/ يناير [مع كليمنصو]، مؤكدًا أنه "من المستحيل قبول تلك [المساعدة] تحت صيغة 'الانتداب'"[7].

وبهذه الروح من التحدي، أقسم وزير الخارجية عبد الرحمن الشهبندر أمام المؤتمر في 8 أيار/ مايو على الدفاع عن استقلال سوريا ومقاومة قرار سان ريمو: "إن قوة وشجاعة الشعوب هي أفضل ضمانة للدفاع عن الحقوق"[8].

---

(5) من ألّنبي إلى كرزون، 27 نيسان/ أبريل 1920، في:
R. Butler (ed.), *Documents on British Foreign Policy,* First Series, vol. 13 (London: Her Majesty's Stationery Office, 1963), pp. 252-253.

(6) عوني عبد الهادي، **مذكرات عوني عبد الهادي**، تحقيق خيرية قاسمية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002)، ص97.

(7) من فيصل إلى ميلران، مرفقة في رسالة من فيصل إلى غورو، 14 أيار/ مايو 1920، في:
Hokayem (éd.), pp. 307, 328-330.

(8) الشهبندر إلى كوس، 9 أيار/ مايو 1920، في: =

أثار هذا التحدي، وخصوصًا الإشارات المتواصلة إلى بريطانيا، غضب ميلران. أمر السفيرَ الفرنسي في لندن بول كامبون بأن يطرح الأمور مباشرة مع كرزون: إن الانتداب منح فرنسا سيادة كاملة على سوريا ومنع بريطانيا من التدخل في الأمر، كما تعهّدت فرنسا بعدم التدخل في الانتداب البريطاني على فلسطين والعراق.

أنكر كرزون أن تكون بريطانيا قد شجعت فيصل على مقاومة الانتداب. ولكنه كإمبريالي عتيق بقي كارهًا للتسليم بقوة انفرادية لفرنسا. ولذلك نصح كرزون أن تقوم الدولتان بتوجيه إنذار مشترك إلى فيصل حيث يمكن استمالته إلى مؤتمر الصلح بواسطة التهديد بقطع المساعدات المالية وتجريده من لقب ممثل الحجاز.

وافق ميلران على اقتراح كرزون بشرطين: أن يُرسل الإنذار المشترك بواسطة غورو فقط، وأن تعلّق بريطانيا كل اتصالاتها مع فيصل وأن تسحب اعترافها به رئيسًا للدولة[9]. كما طالب ميلران أن يرفض الإنذار أيّ دور مستقبلي في الشؤون السورية للشريف حسين ووفد الحجاز. وحسب رأي ميلران، فإن فيصل لم يعد يتصرف كضابط حليف، ولذلك فإن أساس اتفاق 6 كانون الثاني/ يناير لم يعد قائمًا[10]. إلا أن كرزون لم يسلّم بهذه الشروط. فقد بقيت نسخة الإنذار المشترك على جدول مكتبه لشهر أيار/ مايو من دون توقيع[11]. ولذلك قرّر ميلران التصرّف بشكل انفرادي.

---

Hokayem (éd.), pp. 291-292; MAE-Courneuve, Gouraud to Millerand, May 25, 1920, 28, Série = E-Levant 1918-1929, vol. 28; Direction des Affaires Politiques et Commerciales, 15-27 mai 1920, Carton 313 Dossier 1/Syrie-Liban-Cilicie/Dossier générale.

(9) من كرزون إلى كامبون، 18 أيار/ مايو، 1920؛ من ميلران إلى كرزون 25 أيار/ مايو 1920؛ من ميلران إلى غورو 26 أيار/ مايو 1920، في:
Hokayem (éd.), pp. 320-323, 343-346, 351-353.

(10) من ميلران إلى السفير في لندن والمفوضين الساميين في إسطنبول وبيروت، 11 أيار/ مايو 1920؛ من ميلران إلى غورو، 26 أيار/ مايو 1920؛ من ميلران إلى غورو، 23 تموز/ يوليو 1920، في:
Hokayem (éd.), pp. 296-298, 351-353, 525-526.

(11) من كرزون إلى هاردينغ، 26 نيسان/ أبريل 1920، في:
R. Butler (ed.), pp. 251-252; MAE-Courneuve, "Declaration to Prince Faisal," "Response to Curzon on Accord," and "Paris to High Commissioner, Beirut," all May 26, 1920, vol. 28, Série E-Levant 1918-1929, 223-25.

في 27 أيار/ مايو أرسل رئيس الوزراء الفرنسي إنذارًا إلى فيصل. ذكرت الوثيقة أنه على فيصل، الذي هو مجرد "قائد عسكري" للقوات العسكرية المحتلة الباقية من الحرب العظمى، أن يعترف بسيادة فرنسا المعترف بها دوليًا. وصرّح ميلران أن الاحتجاجات السورية المتواصلة ضد الانتداب لم تعد مبرّرة، لأنه لا يمكن الطعن في السلطة السيادية للمجلس الأعلى لمؤتمر الصلح. إن مجلس الصلح يمثل "اتحاد القوى التي قدّمت التضحيات لتحرير الشعوب المضطهدة، وخاصة العرب". وبذلك فإن المجلس الأعلى فحسب - وليس المؤتمر السوري - له الحق في وضع القوانين والحدود للدول الجديدة تحت الانتداب[12].

في اليوم ذاته أمر ميلران غورو بأن يضع خطة حربية لغزو سوريا الداخلية واحتلال دمشق ضد "الحكومة الشريفية المهدّدة والمعزولة"، مشيرًا إلى أن الظروف مناسبة الآن مع الهدنة مع الأتراك ومع منحة الانتداب[13].

كان غورو مستعدًا للدعوة إلى الحرب. ففي لغة قتالية مثل ميلران، لام الجنرال السوريين على عار هزيمته في كيليكيا وعلى وضعه الضعيف في لبنان. وزعم غورو أن فيصل قد أظهر "إخلاصًا سيئًا" وأنه قام بـ"دسائس غادرة" لتهديد فرنسا في لبنان. وبحسب رأيه، فقد كان رفض سوريا لاستخدام سكة الحديد [من قبل فرنسا] التي تحتاجها لنقل القوات إلى كيليكيا "طعنة في الظهر" من حليف سابق.

كان الاستخدام المتكرر لتعبير "الشريفيين" من قبل مختلف الدبلوماسيين الفرنسيين يدلّ على تزايد تأثير دو كيه. كان هذا التعبير يشي بأن المملكة العربية السورية جسم غريب يمثل الحضور الحجازي، ويظهر رفض وضعية المؤتمر

---

(12) من ميلران إلى غورو، 27 أيار/ مايو 1920 [مع مرفق للأمير فيصل]؛ من ميلران إلى كامبو، 11 حزيران/ يونيو 1920، في:
Hokayem (éd.), pp. 359-361, 409-411; MAE-Courneuve, Gouraud to Department, May 20, 1920, Série E-Levant, Carton 313, vol. 28, Dossier 1/Syrie-Liban-Cilicie/Dossier générale, Direction des Affaires Politiques et Commerciales, May 15-27, 1920.

(13) من ميلران إلى غورو، 27 أيار/ مايو 1920، في:
Hokayem (éd.), pp. 356-361.

السوري كممثل للسكان. وفي الواقع كان فيصل قد قطع منذ وقت طويل صلاته مع والده العدائي. وقد رفض الإنذار الفرنسي مدللًا على أنه لا يوجد "شريفيون" في جيشه وأن معظم الضباط في حكومة دمشق هم من سوريا الكبرى، وأن النواب السوريين المنتخبين هم الذين انتخبوه ملكًا.

أما عوني عبد الهادي، الذي كان سكرتير فيصل لوقت طويل، فقد اعتبر تعبير "الشريفيين" هجومًا على مطالب العرب للعضوية المتساوية في أسرة الأمم. وعلى النقيض [من ميلران]، كما لاحظ عبد الهادي، فإن كليمنصو تعاطف مع فيصل حين حذّره من أن القوات الفرنسية الموجودة في سوريا ستضعف قوة الليبراليين لصالح أولئك الذين ينضمون إلى حركة مصطفى كمال المسلحة في الأناضول. وبحسب عبد الهادي، فإن اتفاق 6 كانون الثاني/ يناير وإعلان الاستقلال يمثلان حصانة للقيم الليبرالية ضد اللوبي الاستعماري الفرنسي و"الأيدي الخفية" المحبطة التي تنظّم ميليشيات عقيمة لإشعال الجهاد الإسلامي. كان عبد الهادي وفيصل في الرسائل المتبادلة يؤكدان الرغبة في أن يعيش المسلمون والمسيحيون واليهود معًا بحقوق متساوية[14]. إلا أن كرزون والمسؤولين البريطانيين تجاهلوا مناشدتهم للحفاظ على وعد الحرب العظمى بنظام عالمي ديمقراطي جديد.

نجحت فرنسا في حزيران/ يونيو 1920 بعزل سوريا دبلوماسيًا. فقد تمكّنوا من إقناع الحلفاء بأن الانتداب لا يلغي فقط اتفاق كليمنصو [مع فيصل] في 6 كانون الثاني/ يناير، بل إنه يلغي أيضًا تقرير لجنة كينغ-كراين في آب/ أغسطس 1919 وحتى اتفاق سايكس بيكو الذي وضع سوريا الداخلية تحت النفوذ الفرنسي وليس الحكم الفرنسي، أي إن فرنسا تطالب الآن بالسيطرة الكاملة على كل الإقليم. ونتيجة لذلك، لم يعترف الفرنسيون بوجود أمة سورية. ففي حين أنهم كانوا يشيرون إلى مصطفى كمال والمتمردين الأتراك كـ"قوميين"، كانوا يدعون معارضيهم السوريين "متمردين" و"رجال عصابات" يسعون إلى "الفوضى".

في مطلع تموز/ يوليو أصبحت سوريا معزولة إلى حد أن الاتصالات مع

(14) عبد الهادي، ص 76، 83-84، 88، 92-93، 96-98.

العالم الخارجي كانت تمرّ عبر مكتب الجنرال غورو، بواسطة الخط البرقي الوحيد الذي كان يربط دمشق ببيروت، كما حُرِم فيصل من حق السفر إلى أوروبا. في هذه الحالة من الإحباط، أقام السوريون بسرعة خطًا برقيًا بديلًا مع الحجاز. كما أن القنصل الإيطالي في دمشق كان يسمح للسياسيين السوريين أحيانًا بالتواصل مع العالم الخارجي باستخدام الخطوط الدبلوماسية القنصلية[15].

لم يجتمع فيصل وغورو قط وجهًا لوجه. كانا يتواصلان مع بعضهما فقط بواسطة البرقيات أو بواسطة ضباط الارتباط. رفض غورو كل عرض للتعاون وصله من فيصل[16]. ورفض غورو أيضًا نصيحة العقيد إدوار كوس وأنطوان تولا، اللذين عملا ضابطي ارتباط في دمشق أكثر من عام. حثّ كلاهما غورو على التوصل إلى تسوية، مستندين إلى أن الإعلان السوري للاستقلال لا يتعارض مع الانتداب[17]. ولكن، كما أدرك لورنس جيدًا، فإن رؤساء الوزراء يفضّلون الاستراتيجية الإمبريالية العظيمة، ولذلك يتجاهلون باستمرار حكمة المسؤولين المحليين.

## خطة تدمير المملكة العربية السورية

ما إن حُشرت دمشق في الزاوية، حتى سارع الفرنسيون إلى الهجوم. فحتى 27 أيار/ مايو لم يخطّط ميلران لاحتلال أكثر من سوريا الداخلية. ولكن هذه الأهداف سرعان ما توسّعت بسرعة خلال الأسبوعين اللاحقين كردة فعل على الخلاف المتزايد مع بريطانيا.

---

(15) أحمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** (دمشق: ابن زيدون، 1956)، ص 220-225.

(16) الشهبندر إلى كوس، 2 حزيران/ يونيو 1920؛ من فيصل إلى ميلران، مرفق في غورو إلى ميلران، 10 حزيران/ يونيو 1920؛ من فيصل إلى غورو في 18 حزيران/ يونيو 1920 في:
Hokayem (éd.), pp. 377-378, 402-403, 426.

(17) MAE-Courneuve, de Caix to Kammerer, March 23, 1920, 211-14, in PAAP 353 Robert de Caix papers, microfilm 11203.

إن الرسائل الموجودة في ملف كوس (Cousse) تشير إلى وجود تعاطف بينه وبين المسؤولين المحليين الذين لم يكونوا مبتهجين بتعيين "استعماري كبير قديم" في منصب المفوض السامي. ينظر أيضًا:
Republic of France, Ministry of Foreign Affairs archive at Nantes, Fonds Beyrouth [hereafter MAE-Nantes], HC/Beyrouth to Cousse, October 22, 1919, Carton 2430 Papiers Cousse.

ففي 11 حزيران/ يونيو انتاب ميلران الغضب بعدما علم أن الجنرال أَلّنبي مستمر بالتدخل في الشؤون السورية. فقد كتب إلى كامبو سفيره إلى لندن: "نظرًا لأن الحكومة الفرنسية قرّرت عدم التدخل في تنظيم الانتداب في فلسطين والعراق، فهي تتوقع الاحترام نفسه من الحكومة البريطانية". وكان أَلّنبي قد تجرّأ باقتراح أن يحضر الأمير زيد مؤتمر الصلح عوضًا عن فيصل، ولذلك كتب عنه ميلران في رسالته الثانية "لا يزال (أَلّنبي) يفكّر أنه قائد الاحتلال العسكري في سوريا"[18].

بين هاتين الرسالتين أرسل ميلران توجيهًا جديدًا إلى غورو: إلغِ اتفاق 6 كانون الثاني/ يناير ودمّر المملكة العربية السورية. لم يعد ميلران يرى أي نقطة ممكنة في المفاوضات مع "الشريفيين العدائيين". كان ميلران يلوم فيصل نفسه على سقوطه. فقد كتب قائلًا: "حتى الآن، كانت السياسة الأخيرة تهدف إلى قتالنا ونشر قومية مصطنعة ومعادية للأجانب في أرجاء سوريا، وكان موقفه يفسد باستمرار الروح التصالحية التي عبّر عنها الاتفاق المؤقت في 6 كانون الثاني/ يناير". ولذلك وجّه ميلران غورو للتخطيط لاستبدال فيصل والمؤتمر بحكومة جديدة من خبراء "محليين" طيّعين[19].

كان توجيه ميلران هذا صدى لحديث سابق جرى بينه وبين دو كيه في 5 حزيران/ يونيو. فقد حذّر دو كيه ميلران من العمل مع فيصل قائلًا: "إن السوريين أذكياء جدًا في التفاوض ومبعثرين جدًا للسيطرة عليهم"[20]. بعد ذلك الحديث أعدّ دو كيه مذكرة ورد في ختامها: "لذلك يبدو من الضروري

---

(18) من ميلران إلى كامبون، 11 حزيران/ يونيو 1920، ومن ميلران إلى السفير الفرنسي في لندن، 12 حزيران/ يونيو 1920، في:
Hokayem (éd.), pp. 409-411, 414-415; Gérard D. Khoury, *La France et l'Orient arabe: Naissance du Liban moderne, 1914-1920* (Paris: Albin Michel, 2009), p. 342.

(19) من ميلران إلى غورو، 12 حزيران/ يونيو 1920، في:
Hokayem (éd.), pp. 416-417.

(20) مذكرات مكتوبة بخط اليد عن المحادثة بين ميلران ودو كيه في 5/ 6/ 1920 حول التحرك ضد دمشق وفيصل بمساعدة زعماء في المدن الأربع الداخلية وعشائر بدوية:
MAE-Courneuve, Papiers Millerand, vol. 10, Questions coloniales, 120-21.

تمامًا تدجين أو الأفضل إسقاط الحكومة الشريفية قبل نقاش (شكل) الانتداب"[21].

إن الدور المركزي لـدو كيه في اتخاذ القرار لتدمير المملكة العربية السورية قد أظهرته المراسلة السرية المكتشفة مؤخرًا بينه وبين غورو، التي تشمل المذكرات المكتوبة باليد التي لم تُسجّل في مكاتب البرق، بل كانت تُرسل إلى عنوان البيت. وكما هو الأمر مع ياغو (Iago) وعطيل (Othello) فقد زرع دو كيه القلق والشك في نفس غورو ثم وعده بالخلاص إذا اتّبع نصيحة مرؤوسه. ففي رسالته بتاريخ 8 حزيران/ يونيو حذّر دو كيه غورو: "إنهما (ميلران وباليولوغ (Paléologue) وغيرهما) ينتقدونك لعملك المفرط على أساس كل يوم بيوم، وأنك تكتفي بردة الفعل على الأحداث من دون أن تضع سياستك الخاصة بك. هناك فقط انطباع بأن الأمور تسير بشكل سيئ في سوريا". وقد حذّر دو كيه غورو بأن يبقي هذه النصيحة سرية: "عليك ألا تشير بأنك تعرف ماذا كتبتُ لك عندما تكتب إلى باريس لتبرّر سياسة المفوضية السامية. إن ذلك يبعد عنك صفة المتبرّم". وعوضًا عن ذلك نصحه: "ما أنصحك به هو أن تعمل بالاستناد إلى ما أجده".

كان دو كيه يستحضر واقعًا لم يكن موجودًا في باريس ولا في بيروت. ففي الرسالة ذاتها أخبر غورو أن ميلران سيكون مسرورًا إذا "أنهى احتلال كيليكيا"، ونصح الجنرال بالقيام بـ"عمل فعّال" في سوريا (يتضمن غزوًا عسكريًا). زعم دو كيه أن الشعور في باريس يفضّل تغيير النظام بعد احتلال فرنسا لسوريا، لأن اتفاق 6 كانون الثاني/ يناير مات كما أن بعثه أيضًا انتهى إلى الموت. ختم دو كيه رسالته بتاريخ 8 حزيران/ يونيو بتحذير نهائي للجنرال: إن أي غزو يترك فرنسا من دون قاعدة ثابتة، ولا يبرّر نفقاته، سيؤدي بباريس إلى أن تحلّ كل جيشها في المشرق[22].

---

(21) مذكرة محفوظة في الأوراق الشخصية لميلران في الأرشيف الوطني الفرنسي، التي أعاد نشرها خوري:

Khoury, *Une Tutelle coloniale*, pp. 246-247.

كما أن خوري وضع القضية أيضًا ضمن تأثير دو كيه على ميلران في:

Khoury, *La France et l'Orient* arabe, p. 340.

(22) تمت أرشفة المراسلات في المجموعة التي افتتحت حديثًا من أوراق الجنرال غورو في:

MAE-Courneuve, PAAP 399/142, de Caix to Gouraud, June 8, 1920.

ردّ غورو على دو كيه بـ"صديقي العزيز" قائلًا إن رسالته "صدمتني". ادّعى غورو بأن تأجيل وتحوّل السياسة في سوريا ليست من أخطائه، بل من القرارات التي اتخذها بيكو وكليمنصو، وكتب: "أفهم جيدًا أن ميلران مرتبكٌ ولكنه يحمّلني نتائج أخطائه". وضع غورو ثقته في دو كيه قائلًا: "لحسن الحظ، كما في آذار/مارس، إنك هناك لتحمينا بالحقيقة"[23].

عرف فيصل بدور دو كيه في تغيّر موقف فرنسا. كتب إلى ميلران في 10 حزيران/يونيو "عُدتُ من باريس مفعمًا بالأمل في كانون الثاني/يناير الماضي". ولكنه منذ الهدنة مع تركيا أصبح يُعامل بعدائية من قبل المسؤولين الفرنسيين: "نويتُ أن أتجاهل تصرفات مرؤوسيكم، وخاصة أولئك الذين يعملون دونما انقطاع على تمزيق سوريا واستئصال نفوذي، وهو الهدف (الذي كان) محددًا بشكل واضح في الاقتراحات التي قدّمها دو كيه إليكم، والتي تهدف إلى تأسيس حكومات منفصلة ومختلفة في سوريا"[24].

ناشد فيصل برتلو الدفاعَ عن اتفاق 6 كانون الثاني/يناير ضد مؤامرات دو كيه، إلا أنه لم يتلقَّ جوابًا منه[25]. بقيت وجبات الغداء الودية التي تمتّعا بها في بيت كل واحد في الشتاء الماضي مجرد ذكرى بعيدة.

كان دو كيه في نصيحته لغورو وميلران لا يكتفي باستهداف الملك العربي فقط، بل الحكومة الديمقراطية لسوريا أيضًا. فقد صوّر بشكل غير دقيق المؤتمر السوري بكونه أداة تشكّلت عن عمد من قبل البريطانيين لنزع الشرعية عن فرنسا. فقد كتب ملاحظة لميلران تقول إن البريطانيين لم يسمحوا أبدًا لأي كيان سياسي يعبّر عن الرأي الشعبي في العراق. وحذّر دو كيه ميلران قائلًا: "إن صخب المؤتمر السوري سيسمح للأعضاء المنافقين في عصبة الأمم، الذين يرغبون في خدمة

---

(23) MAE-Courneuve, Gouraud to de Caix, undated response to de Caix's June 8 letter, PAAP 399/142.

(24) من فيصل إلى غورو، مرفق في غورو إلى ميلران، 10 حزيران/يونيو 1920، في: Hokayem (éd.), pp. 402-403.

(25) من فيصل إلى برتلو في مراسلات غورو إلى برتلو، 10 حزيران/يونيو 1920، في: Hokayem (éd.), pp. 404-405.

إنكلترا (وإيطاليا واليابان من دون شك)، أن يصرّحوا بأن الوضع في سوريا يختلف عن العراق".

بشكل ملحوظ توقّع دو كيه أن السوريين المتمرّسين سياسيًا يمكن أن ينجحوا في إقناع عصبة الأمم في أن المادة (22) المتعلقة بالانتداب لا تنطبق عليهم. كتب قائلًا: "من الممكن جدًا أن السياسة البريطانية ستناور لتجرّنا إلى نقاش حول الانتداب مع فيصل أمام مجلس عصبة الأمم". ولذلك على فرنسا أن تمنع فيصل من حضور مؤتمر الصلح[26].

فهم دو كيه أن التهديد الليبرالي الذي يمثله المؤتمر السوري فتّاك مثله مثل الولسونية. فقد رفض رشيد رضا وهاشم الأتاسي وغيرهما من أعضاء المؤتمر دعوات المتمردين لإطلاق ثورة مسلحة مع الأتراك. وعوضًا عن ذلك فقد وضعوا رهاناتهم على مستقبل سوريا في نظام عالمي جديد يقوم على الحقوق والقانون والمساواة. وهذا ما يفسّر كيف أن رضا، حتى بعد سان ريمو، حثّ المؤتمر على الاستمرار في مناقشة وصياغة الدستور.

كان الفرنسيون متوترين بسبب التأثير الممكن للمؤتمر السوري، إلى حدّ أنهم نشروا الجواسيس كي يرسلوا تقارير منتظمة حول نقاشاته. توقف غورو عند ملاحظة خاصة من تقرير مؤرخ في 7 حزيران/يونيو حول حقوق الأقليات غير المسلمة: "لم يُقبل أي واحد من اقتراحاتهم، فانفعل النواب غير المسلمين وغادروا قاعة الاجتماع". استشف غورو أهمية سياسية في هذا الخلاف: "لن أفشل في الاستفادة من أهمية هذه الأخبار كي أفتح عيون المسيحيين على الأخطار التي يرتكبونها بمشاركتهم العشوائية في حكومة فيصل"[27]. وهكذا كان مكتب المخابرات التابع لغورو يستميل ولاء الأقليات المسيحية والدرزية والشيعية والعلوية بتقديم الحماية لهم وتوزيع السلاح عليهم ووعدهم بالحكم الذاتي عندما تؤسّس فرنسا حكمها في المنطقة الداخلية.

---

(26) مذكرة محفوظة في الأوراق الشخصية لميلران في الأرشيف الوطني الفرنسي أعاد نشرها خوري:
Khoury, *Une Tutelle coloniale*, pp. 246-247.

(27) من غورو إلى ميلران، 12 حزيران/يونيو 1920، في:
Hokayem (éd.), pp. 413-414.

كان التفكير الطائفي منتشرًا في الخطاب الفرنسي. وهكذا فقد استخدم ميلران اللغة الشعبوية المأخوذة من الصحف الصفراء (التابلويد (tabloids) كي يدعم دعوته في 27 أيار/ مايو للقتال الضروري لمنع فيصل من دعم "الزعران الذين يرتكبون مجازر ضد المسيحيين". ونصح غورو في أن يعدّ تصريحًا عامًا حول الغزو ليعِدَ بانتداب "ليبرالي وخفيف"، مبررًا ذلك بالقول: "إن احتلال المدن الأربع [دمشق وحمص وحماه وحلب] سيعيد الاطمئنان إلى المسيحيين الذين بدأوا في الشكّ فينا"[28].

في مواجهة ذلك أنّب فيصل غورو لإثارته المخاوف الطائفية. فقد ردّ بأنه لو عمل عوضًا عن ذلك للحفاظ على قيم جمهورية فرنسا في المساواة والتسامح في فرنسا لكان السلام قد عمّ، وبذلك: "لن تحتاجوا بعد الآن إلى أن تشهروا سيفكم لوضع الناس تحت نير الأقلية، ولا أن تلقوا الخطاب التهديدي كما تفعلون الآن"[29].

في غضون ذلك استمرّ الزعماء الموارنة في التأثير على المسؤولين الفرنسيين لأجل دولة مستقلة للبنان الكبير. اجتمع وفد منهم مع دو كيه في الكي دورسيه لمناقشة الحدود المستقبلية للبنان. وأكد دو كيه للبنانيين أن فرنسا ستحمي المسيحيين في نظام جديد في الحكم الذاتي في دول طائفية[30].

## نقاش مجلس النواب

طالب مجلس النواب الفرنسي، مثلما فعل المؤتمر السوري، بمناقشة السياسة الخارجية. كان من نتائج الولسونية الأخيرة التطلّعُ المتواصل إلى أن يكون للجمهور كلمته في أمور الحرب والسلام. وهكذا، مع الذكرى الأولى لتوقيع معاهدة فرساي، عقد مجلس النواب الفرنسي جلسة استماع لمناقشة تمويل غزو

---

(28) من ميلران إلى غورو، 27 أيار/ مايو، 1920؛ فيصل إى غورو، 10 حزيران/ يونيو 1920، في: Hokayem (éd.), pp. 356-358, 399-400.

(29) Khoury, *La France et l'Orient arabe*, p. 350.

(30) Sami Salameh (ed.), *The Mufakkira of Bishop Abdallah Khoury* (Zouk Mikael, Lebanon: Notre Dame University Press, 2001), pp. 59-63, 70.

سوريا. أعاد النواب بذلك النقاش المؤلم حول نفقات الحرب العظمى، ناشدين للسلام ضد الرغبات للانتقام بإراقة الدماء. أبرز النقاش أيضًا في استعادة للماضي كيف أن بعض المواطنين الفرنسيين تنبأوا بشكل فارق بالآثار البعيدة التي يمكن أن يتركها مثل هذا الغزو على العلاقات مع العالم الإسلامي. فقد كتب عضو مجلس الشيوخ بول دستورنل دو كونستان (Paul d'Estournelles de Constant) الدبلوماسي السابق والحائز جائزة نوبل للسلام في مقالة بتاريخ 17 حزيران/ يونيو: "إن فرنسا ليست لوحدها في مواجهة مخاطر المشكلة الشرقية، بل كلّ العالم الذي يتهدده ذلك. وعوضًا عن أن نحوّل أصدقاءنا الشرقيين إلى ثائرين يجب على فرنسا أن تدعو للسلام تحت مظلة القانون الدولي"(31).

أقرّت الجريدة الاشتراكية **لومانيتيه** بأن الجمهور غير مهتم بسوريا. وعوضًا عن ذلك [تمويل الغزو] يجب أن توجّه الميزانية نحو إعادة إعمار فرنسا بعد الحرب(32).

تواصل المدافعون عن السلام في سوريا مع ممثلية الحجاز في باريس. كان هؤلاء يضمّون ممثلين عن رابطة حقوق الإنسان وأعضاء في لجنة الشؤون الخارجية في المجلس وصحافيين. ومع تفاؤل حذر، لاحظ رستم حيدر أن التأييد لأجل السلام في سوريا يتزايد: "يظهر أن السنغاليين يرفضون الذهاب إلى سوريا مدّعين أن خدمتهم قد انتهت"(33).

ولكن في الصحافة الفرنسية كانت أصوات دعاة السلام تغرق وسط الدعوات الصاخبة للغزو. وهكذا كتب الصحافي البارز وعضو اللوبي الاستعماري أوغست غوفان (Auguste Gauvain) في 23 حزيران/ يونيو: "هذه هي اللحظة لتحمّل

---

(31) "M. d'Estournelles de Constant proteste contre le Traité turc et la Campagne de Syrie," *L'Humanité,* 17/6/1920, p. 1.; Jean-Michel Guieu, "La paix par la Société des Nations? Les évolutions du pacifism français dans les années 1920," dans: Stéphane Tison (éd.), *Paul d'Estournelles de Constant: Cocilier les nations pour éviter la guerre (1878-1924)* (Rennes: Presses Universitaires de Rennes, 2015).

(32) Paul Louis, "Les Affaires d'Orient," *L'Humanité*, 18/6/1920, p. 3.

(33) رستم حيدر، **مذكرات رستم حيدر**، تحقيق نجدة فتحي صفوة (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1988)، ص 647-654.

المسؤولية". كانت مقالته في الصفحة الأولى لمجلة **جورنال دي ديبا**. رأى أن فرنسا يجب أن تستردّ كلّ الأراضي العثمانية التي ضحّت لأجلها كي تكسب الحرب. وإذا تخلّت فرنسا عن ذلك، كما حذّر، "فإن العار سيغطيها في كل أرجاء الشرق"[34].

بعد ثلاثة أيام أثارت مقالة غوفان نقاشا في مجلس النواب. قاد الاشتراكيون هذا النقاش كما فعلوا خلال النقاش في آذار/ مارس. ونظرًا إلى أن مارسيل كاشان كان غائبًا (كان قد غادر لحضور المؤتمر الثاني للكومنتيرن (Comintern) في روسيا)، تحدّث إرنست لافون (Ernest Lafont) باسم الحزب. كان لافون، النائب عن وادي اللوار، ضد التجاوز الإمبريالي الذي ينقاد بواسطة التصور البسيط بأن فرنسا يجب "ألا تسمح لإنكلترا أن تتمادى في شهيتها".

توجّه لافون نحو ميلران وسأله عما حصلت عليه فرنسا مقابل الملايين التي أنفقتها في كيليكيا وسوريا وغيرها. كان الجواب نفط الموصل، ذلك "الشيطان الآسيوي" الذي أغرق فرنسا في الإثم. سأل لافون: "هل سنبقى في سوريا؟ هل نحتل بالقوة الرغبة التي لم يمنحنا إياها السكان بحرية؟" انهال التصفيق تأييدًا له من الجانب اليساري للمجلس[35].

في صباح اليوم التالي تصدّر النقاش إدوار دالادييه (Édouard Daladier)، من قدامى الاشتراكيين الذين انتُخب مؤخرًا في مجلس النواب. صرّح قائلًا: "لم تأخذوا في حسابكم المشاعر العميقة التي سادت، وخاصة منذ الحرب العظمى، في العالم الإسلامي". وتابع قائلًا: "إنه لمن الخطأ التام أن نصوّر فيصل باعتباره بلشفي الصحراء أو ولسوني تحت عمامة. إن فيصل، على العكس، معتدل يتهدّده المتطرفون، وهو يحاول بأي وسيلة يمتلكها تجنّب هذا الخطر الراهن".

حذّر دالادييه في كلمته: "إن (السوريين) أثبتوا خلال الارتقاء المتواصل أنهم

---

(34) Auguste Gauvain, "La Conférence de Boulogne," *Journal des Débats*, 23/6/1920, p. 1.

(35) *Journal officiel de la République française. Débats parlementaires. Chambre des deputés,* June 25, 1920, accessed online on 22/6/2018, at: https://bit.ly/3Gn5mPP

يريدون أن يروّجوا للحرية والاستقلال، وأن ينظّموا دولة حقيقية "وفي الواقع إنكم تعرضون عليهم الانتداب على رأس الحراب. وإذا أصررتم على هذه السياسة الغبية فإنكم تخاطرون بنهاية كارثية".

تحول النقاش بعد ذلك إلى استفتاء بين السياستين المتنافستين لميلران وكليمنصو[36]. وقف أريستيد برايان (Aristide Briand)، الخصم اللدود القديم لكليمنصو، ليلقي عدة دروس على زملائه الأصغر سنًا. ذكر في "محاضرته" أن اتفاقية سايكس بيكو ليست معاهدة إمبريالية، بل جرى التفاوض عليها في لحظة قاتمة خلال معركة فردان (Verdun): "كان من واجبنا ألا نتجاهل أي جانب من دفاعنا وأن نحترم حقوق ومصالح فرنسا. وإذا قلنا إن بلادنا لها آراء إمبريالية فهذا اتهام باطل حقًا".

أصرّ برايان على أن فرنسا تتبع مهمة تمدين إيثارية، على عكس بريطانيا التي تعمل بلا كلل لتعظّم فقط مصالحها. وهذا هو السبب في عدم اعتبار بريطانيا لاتفاقية عام 1916 وتنصيب فيصل في المنطقة الفرنسية بسوريا.

أما لوي لونيل (Louis Lenail)، زعيم اللوبي الاستعماري، فلفتَ انتباه المجلس إلى المناطق العثمانية الواسعة التي احتلها البريطانيون: "أخذت إنكلترا 3 ملايين كلم ونحن 220 ألف كلم". عارض بعدها الاقتراح لإعطاء قطعة صغيرة من حصة فرنسا – سوريا – "إلى شريف مكة".

كان لونيل، وهو من قدامى المحاربين الذين جُرحوا خلال الحرب العظمى، قد انتُخب حديثًا عن منطقة ليون موطن الكاثوليك وجماعات الصناعيين الذين يفضّلون الانتداب. ومع إبراز اجتماعاته المتكررة مع الوفد اللبناني الذي يقوده الموارنة، قدّم لونيل صورة قاتمة عن فيصل، غير معروفة لأولئك الذين سحرهم الملك (الأمير آنذاك) في صالونات باريس خلال شتاء 1919.

رأى لونيل أن فيصل لن يلتزم بمبدأ ولسون في حق تقرير المصير. لقد جاء

(36) "Des Accords de 1916 au Moussoulisme," *L'Homme libre* (26 June 1920), p. 1.

الملك ووالده من مكة "أوخم وأقذر مدينة في العالم". وزعم لونيل أن اللبنانيين والأرمن والمسيحيين الشرقيين قد استنجدوا بفرنسا كي تنقذهم من النظام الإسلامي المتخلّف، ثم بكى وهو يقول: "لن نترككم تُقتلون في مجزرة" وسط موجة من التصفيق الصاخب.

كان المتحدث التالي جورج نوبليمير (Georges Noblemaire)، وهو من قدامى المحاربين الذين انتُخبوا حديثًا، يمثل اللجنة المالية التي كان دو كيه قد شبك معها[37]. رأى نوبليمير أن الفرنسيين إذا لم يغزوا سوريا فستكون فرنسا قوة من المرتبة الثانية، و"ليس لأجل ذلك قُتل مليون ونصف مليون فرنسي". أثار هذا عاصفة من التصفيق من الجهة اليمنى للمجلس[38].

في اليوم الثالث، السبت 26 حزيران/يونيو، اتّجه النقاش إلى الإخفاق الفرنسي في كيليكيا. استذكر أحد النواب المجزرة التي لحقت بالثكنة الفرنسية هناك: "أنا أنتمي إلى منطقة سقط العديد من أبنائها في أورفه. إنني أطالب بتجميع قواتكم والتخلي عما لا يمكن لنا الاحتفاظ به".

هبّ ميلران قائلًا: "إن الخطة التي اقترحتموها الآن هي نفسها التي أوصى بها وزير الحربية وأنا الجنرال غورو، المستعد لتطبيقها!".

دافع نائب آخر عن الضربة الوقائية ضد الجهاد، وحذّر قائلًا "وراء تركيا يقف الإسلام ضد أوروبا" وسط تصفيق صاخب.

أدان ليون بلوم، رئيس الوزراء الاشتراكي القادم، الخوف من الجهاد باعتباره سراب البروباغندا القومية. كما خالف التصوّر الاستعماري لسوريا كبلد مسيحي يحب فرنسا: في هذا الإقليم نحن لا نواجه حماسةً جماعيةً للشعب الذي ذكره م. لونيل البارحة. إن الاحتلال لكُلّ المنطقة الداخلية الذي ضمنه الانتداب الدولي يشبه في الواقع، سواء أعجبكم ذلك أو لا، الفتح. لنترك هذا السراب –

(37) MAE-Courneuve, de Caix to Gouraud, July 7, 1920, PAAP 399/142.

(38) *Journal officiel-Chambre,* June 25, 1920, 2430-37, 2443-45, 2447-52. accessed online on 22/6/2018, at: https://bit.ly/3MWuWNR

الخداع حول الذكريات العظيمة والأساطير، والهموا أنفسكم بالمصالح الحالية والحاجات التي تضغط على فرنسا".

قطع ميلران التصفيق اليساري ليصرّ على أن ما يسمى "الأساطير" هي خطرٌ حاضرٌ، وحذّر قائلًا: "العمليات العسكرية القادمة ليست سوى ردٍّ ضروريٍّ - محدود بقدر ما يمكن - على الهجمات التي يقوم بها مَنْ تعرفونه"، في إشارة منه إلى فيصل. وأضاف أن على فرنسا أن تحترم واجبها في الحفاظ على الثقة المقدّسة للانتداب.

تابع ميلران موجهًا الحديث إلى بلوم مباشرة: "إنكم تسألون الحكومة عن الخطط التي تقوم بها، وهي تجيبكم أن فرنسا قوة متوسطية كبرى، وأن فرنسا حليفة لسوريا في ذكريات وتقاليد عديدة، ولذلك لا يحق لها... أن تتخلى عن سوريا". انطلق تصفيق صاخب تردّد صداه في المجلس، وتابع ميلران: "نحن في سوريا. نحن نرفض أن نتركها"(39).

بعد عدة دقائق أقرّ المجلس الميزانية لغزو سوريا بـ 478 صوتًا مقابل 83 صوتًا(40). كان هذا قمة النجاح لـ دو كيه وتأكيدًا لنفوذ اللوبي الاستعماري. كان قرار المجلس لغزو سوريا يعكس أيضًا الأحداث التي لحقت بالمسألة السورية منذ اتفاق كليمنصو [مع فيصل] في 6 كانون الثاني/ يناير: انتخاب حكومة فرنسية محافظة، بروز القوميين الأتراك في كيليكيا، وخيار كرزون في التخلي عن سوريا لحماية المكتسبات الإمبريالية لبريطانيا.

تحت وطأة نقاشات المجلس، سرى جوٌّ من الحزن على التضحيات الكبيرة التي قُدّمت خلال الحرب العظمى. ففي حزيران/ يونيو 1920 بدأت فرنسا لتوها في بناء مقابر للذين سقطوا قتلى خلال الحرب. أطّر كلا الجانبين في المجلس المسألة السورية بظروف الخلاص. وفي حين أن **لو تان** (*Le Temps*)

---

(39) *Journal officiel-Chambre,* June 16, 1920, 2464-65, 2471. accessed online on, 22/6/2018, at: https://bit.ly/3Gnk0Xg

(40) MAE-Courneuve, de Caix to Gouraud, June 24, 1920, PAAP 399/142.

اعتبرت التصويت نصرًا للتنافس الاستعماري ضد بريطانيا، صوّرت **اللومانيتيه** الغزو [لسوريا] كهزيمة لقدامى المحاربين المرهقين. وفي مقالة بعنوان "قُضي الأمر" عبّر بلوم عن امتعاضه لأن الحملة على سوريا ستطيل الخدمة العسكرية الإلزامية(41).

وفي الحقيقة كان القليل من الفرنسيين يرغبون في أن يخدموا الإمبراطورية في هذه الحملة، ولذلك اضطر غورو أن يجمع جيشًا مؤلفًا في غالبيته من القوات الاستعمارية في أفريقيا.

## المناشدة الأخيرة للسوريين

في ردّ على تصويت المجلس قام رئيس حزب الاتحاد السوري ميشيل لطف الله بإرسال أخيه إلى مجلس الشيوخ الفرنسي في 29 حزيران/ يونيو. وصل حبيب لطف الله، ممثل حزب الاتحاد السوري في باريس، إلى قصر لوكسمبورغ للاجتماع بعد الظهر مع اللجنة المالية والدبلوماسية لمجلس الشيوخ في قاعة مشؤومة تحمل اسم برتلو.

كان فيليب برتلو، المستشار السابق لكليمنصو، من عائلة تعود أهميتها السياسية إلى القرن الثامن عشر. كان والده مارسلين برتلو كيميائيًا وسياسيًا مشهورًا مدفونًا في مقبرة البانثيون إلى جوار عظماء فرنسا. وكان صديقًا لأشهر مستشرق فرنسي، إرنست رينان، الذي قال إن الإسلام كان دين التخلّف. في ذلك اليوم بعد الظهر كان فيليب برتلو يعمل في مكتبه بالكي دورسيه لإعداد خريطة حدود لسوريا كي يغزوها غورو.

كان آل لطف الله عائلة معروفة أيضًا. كان والد ميشيل وحبيب رجل أعمال من الروم الأرثوذكس في الساحل، جمع ثروته من صناعة القطن المصري. أصبح في ما بعد مصرفي الشريف حسين، الذي منح الأعضاء الذكور من الأسرة لقب

(41) "Bulletin du jour," *Le Temps*, 28/6/1920, p. 1; "Nous sommes en Syrie. Nous y restons," *L'Homme libre* (27 June 1920), p. 1; "C'en est fait," *L'Humanité*, 27/6/1920, p. 1.

"أمير"[42]. وعلى عكس برتلو لم يكن في وسع آل لطف الله أن يحققوا أهدافهم السياسية في موطنهم، القاهرة، حيث كانوا يملكون أحد القصور المترفة على نهر النيل. كانوا قد تكيّفوا مع ممارسات السياسة الاستعمارية.

كان حبيب لطف الله مربّع الفك يعتمر برنيطة فاخرة على عكس أخيه ميشيل الذي يعتمر الطربوش. مرتديًا البدلة الأوروبية الأنيقة جدًا، ناشد حبيب أعضاء مجلس الشيوخ بأسلوب يُظهر فهمه العميق للسياسة الأوروبية. ترك جانبًا المُثل الولسونية واستخدم عوضًا عنها السياسة الواقعية لمواجهة خطة دو كيه لإضعاف سوريا.

اقترح لطف الله عوضًا عن الغزو أن تقوم فرنسا بجعل سوريا بولونيا الشرق الأوسط. ففي هذه الحالة يمكن لسوريا قوية مثل بولونيا أن تعرقل انتشار البلشفية وتحافظ على المدنيّة في مواجهة البربرية. حذّر أعضاء اللجنة بالقول: "إن الرأي العام في فرنسا لا يعلم كثيرًا عن سوريا. إنه يجهل أن تاريخنا متصل بتاريخ الإنسانية، وأننا أمة متطورة تملك نخبة مؤهلة، وشبيبة شبيهة بـ[خريجي] "المدارس الكبرى" (grandes écoles) الفرنسية، وإنتاجًا صحفيًّا بارزًا ينتشر في آسيا ومصر والأميركتين".

تابع لطف الله حديثه قائلًا: إن سوريا ستكون مفيدة أكثر لفرنسا كدولة حرة قوية، على أن تكون مستعمرة ضعيفة، ونصح "إن عملية بلقنة آسيا الصغرى إلى إمارات صغيرة متعددة، أو حُطم تافهة من الدول، جعلت (فرنسا) تترك الطريق مفتوحًا للفوضى التي ستخلق حالة وبائية من الحرب. إن هناك طريقًا واحدًا لوقف اجتياح هذه الفوضى. أقيموا حاجزًا ثابتًا بالسماح للعرب بإنشاء دولة في آسيا الصغرى. [مثل هذه الدولة] الموحدة والقوية سيكون في إمكانها مقاومة "الوباء الأحمر" وتجنّب الخطر. إن السلام العالمي في خطر"[43].

---

(42) Charles Kurzman, *Democracy Denied 1905-1915* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2008).

(43) "Speech of Habib Lutfallah to Diplomatic and Financial Study Group of the French Senate," June 29, 1920, in: Hokayem (éd.), pp. 440-442.

كانت لجنة مجلس الشيوخ تنصت باهتمام على الأغلب. ففي مطلع حزيران/ يونيو عبّر بعض أعضائها عن ارتيابهم حين عرض عليهم برتلو الاقتراح لغزو سوريا. سألوا عن الحكمة في إزاحة ملك وعن شرعية احتلال المنطقة الشرقية لسوريا، التي وعدت بها اتفاقيات سنوات الحرب في أن تكون دولة عربية مستقلة(44).

وفي الوقت الذي كان فيه لطف الله يجتمع مع اللجنة، كان رستم حيدر يتواصل مع زعيم مجلس الشيوخ المعادي للاستعمار فيكتور بيرار (Victor Bérard). كان بيرار قد انضمّ بما لديه من قوة إلى بول دستورنيل دي كونستانت، كاتب المقالة الذي عارض فيه التدخل في سوريا، والذي أثار نقاشًا عامًا في أواسط حزيران/ يونيو. وقد نجح الاثنان في إقناع أقلية مهمة في مجلس الشيوخ للتصويت ضد الغزو(45).

ولكن بعد أن كسب تصويت مجلس النواب على الميزانية، لم يعد ميلران في مزاج يكترث للمعارضين. وفي ردّ على الخطاب الانتصاري لرئيس الوزراء في المجلس في 30 حزيران/ يونيو، سارع رستم حيدر إلى مكتب موريس باليولوغ، المسؤول عن سوريا في الكي دورسيه. لم يكن حيدر يعرف الكثير عن أن باليولوغ مُنع مؤخرًا من قبل ميلران من أن يقترح العودة إلى الدبلوماسية على أساس اتفاق 6 كانون الثاني/ يناير. وبعد أن عبّر حيدر عن قلقه من تصويت مجلس النواب أجاب باليولوغ باقتضاب أنه لا يمكنه مناقشة الخطط العسكرية، بل يمكنه فقط أن يؤكّد أن فرنسا ستفرض الانتداب. رُوّع حيدر، وأرسل برقية تلك الليلة إلى فيصل: فرنسا تريد الحرب(46).

(44) Dan Eldar, "France in Syria: The Abolition of the Sharifian Government, April-July 1920," *Middle Eastern Studies*, vol. 29, no. 3 (July 1993), pp. 487-504. Reference to 494.

(45) *Journal officiel de la République française. Débats parlementaires. Sénat. Compte rendu*, July 28, 1920, accessed on 10/7/2018, at: https://bit.ly/3z3f5ZL

(46) حيدر، ص 659-660.

# الفصل السادس عشر

## الإنذار الفرنسي وحلّ فيصل المؤتمر

قضى فيصل أسبوعًا عصيبًا في انتظار برقية رستم حيدر. سأل حيدر في 24 حزيران/ يونيو أن يراجع آخر المستجدات في وزارة الخارجية. قبل خمسة أيام كان قد عرف أن الفرنسيين وقّعوا هدنة مع مصطفى كمال زعيم القوميين الأتراك. قلق فيصل (بحق) من أن الهدنة ستمكّن فرنسا من نقل قواتها من كيليكيا إلى سوريا. جاءت برقية حيدر عن خطط فرنسا للحرب لتؤكد أسوأ مخاوفه[1].

أخفى الملك هذه التطورات السيئة عن المؤتمر وحتى عن حكومته. وهكذا حتى 20 حزيران/ يونيو كان وزير الخارجية الشهبندر يؤكد لرشيد رضا أن اتفاق سان ريمو اعترف باستقلال سوريا كما قال ذلك الجنرال أَلّنبي للسوريين سابقًا في أيار/ مايو. كان الشهبندر لا يزال يعتقد أنه من الممكن التفاوض على استقلال افتراضي تحت الانتداب الفرنسي ضمن خطوط اتفاق 6 كانون الثاني/ يناير. ومع أن رشيد رضا لم يشارك الشهبندر اعتقاده في عملية السلام، إلا أنه سلّم بأنّ الحكمة تقضي بإرسال وفد إلى باريس للتفاوض حول الشروط[2].

---

(1) رستم حيدر، **مذكرات رستم حيدر**، تحقيق نجدة فتحي صفوة (بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1988)، ص 659؛ من فيصل إلى أَلّنبي، 19 حزيران/ يونيو 1920، في:
Alan de L. Rush (ed.), *Records of the Hashemite Dynasties,* vol. 10 (London: Archive Editions, 1995), pp. 367-368.

(2) Ali A. Allawi, *Faisal I of Iraq* (New Haven: Yale University Press, 2014), p. 281;

**يوميات رشيد رضا**، 20 حزيران/ يونيو 1920، كما وردت في:
Umar Ryad, "Like a Mill Donkey: Western Politics in the Aftermath of WWI," Paper given at the Conference "Human Catastrophe Then and Now," American University of Beirut, 1 June 2016.

تبيّن يوميات رضا أنه لم تكن لديه فكرة حول خطط فرنسا للقتال حتى مطلع تموز/ يوليو. ولكن أفكاره الموجزة في نهاية حزيران/ يونيو كانت بصيرة بشكل خارق. كانت الحكومة ضعيفة، واعترف بذلك في يومياته الخاصة. كان ما يسمّى حكومة هاشم الأتاسي الدفاعية تفتقد إلى دعم. ومنذ عودته من باريس لم يتمكّن فيصل خلال ستة شهور من فرض النظام بين العاملين لديه في القصر أو بين الوزراء. كانت حكومته تفتقد إلى رؤية ثابتة أو سياسة ولم تحقّق سوى القليل من الإصلاحات. كان مرؤوسوه، كما كان الأمر على النمط التركي، يهدفون إلى إرضائه بقدر ما يسعون إلى الاستفادة من مناصبهم. وعندما تبرز المشاكل، كان فيصل يُرجئ بغضب منتقديه ويحاول أن يفرض رغبته من طرف واحد. كان عمله في باريس بوصفه دبلوماسيًا أفضل من عمله لإثبات نفسه حاكمًا.

ساعد هذا التخبّط في القصر السياسة الشعبوية لكامل القصّاب في الشارع في أن تصبح أكثر خطورة. لم يعد رأي رشيد رضا في صديقه كما كان، بل وصفه معربًا عن أسفه بالقول: "إنه وطني، ولكنه جريء إلى نقطة اللاعودة"[3].

عرف السوريون أن فرصتهم ضئيلة لهزيمة الجيش الفرنسي في أرض المعركة. كان أفضل أمل لهم يكمن في صياغة شروط القبول بالانتداب. ولكن الخلاف بين الملك والمؤتمر - الذي كانت تؤجّجه سياسة القصّاب القوية في الشارع - جعل الردّ على الأخبار حول خطط فرنسا للقتال يتّسم بالانفجار والفوضى.

## 1-8 تموز/ يوليو: أولى إشارات التهديد الفرنسي

في الوقت الذي كان عثمان سلطان يعرض الدستور أمام المؤتمر في 5 تموز/ يوليو، كانت الشائعات حول الغزو قد بدأت تنتشر. ولكن عندما حثّ سلطان وغيره على إقرار سريع [للدستور]، أصرّ رضا على مراجعة المسودة بشكل

---

(3) **يوميات رشيد رضا**، حزيران/ يونيو 1920، كما وردت في:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

مناسب في جلسة أخرى لقراءته مادة مادة[4]. كان عثمان مقتنعًا مع أولئك الذين يقولون إن فيصل سيستخدم إكمال الدستور كحجة لحلّ المؤتمر. ولذلك فإن زعماء المؤتمر طالبوا بالاستماع إلى بيان كامل للحكومة حول الأزمة.

وفي استذكار ما حدث، كانت مؤشرات المشكلة واضحة منذ نهاية حزيران/ يونيو، إضافة إلى التقارير التي تحدثت عن لقاء السياسيين المحافظين مع الفرنسيين. وحتى إن عبد الرحمن اليوسف، زعيم الحزب الوطني السوري النخبوي، شوهد وهو يقوم بزيارة إلى البعثة الفرنسية[5]. كما أن البطاركة المسيحيين، بمن فيهم بطريرك الروم الأرثوذكس المونسنيور غريغوريوس، بدأوا يتردّدون أيضًا على البعثة الفرنسية. في الأسبوع الأخير من حزيران/ يونيو، تجمّع أكثر من 300 شخص حشدهم حزب الوطني السوري. وللردّ على ذلك دعا فيصل 23 من أعيان المدينة للاجتماع به في القصر[6].

في 4 تموز/ يوليو تغيّر مزاج المدينة فجأة. شعر الناس بالخوف مع الأخبار التي جاءت من حيدر حول التحذير من حرب. تضخّمت الشائعات ردًا على أمر وزير الدفاع يوسف العظمة ذلك اليوم بالمطالبة بالطعام لـ 25 ألف جندي وتحضير كل السيارات والعربات لأجل الاستخدام العسكري[7].

أرسل كوس تقريرًا يقول فيه: "يمكنكم الشعور بوضوح في أن عاصفة تهبّ". ومع اندلاع المظاهرات كتب أن بعض المسيحيين يشكون من أنهم يخافون من حدوث مجزرة. ومع أنه لم يكن هناك أي هجوم راهن، إلا أن المسيحيين فقدوا بوضوح الثقة في الحكومة[8].

---

(4) **يوميات رشيد رضا**، 5 تموز/ يوليو 1920، كما وردت في:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

(5) كوس إلى غورو، 24 حزيران/ يونيو 1920، في:
Antoine Hokayem (éd.), *Documents diplomatiques français relatifs à l'histoire du Liban et de la Syrie à l'époque du mandat: 1914-1945,* vol. 2 (Paris: l'Harmattan, 2003), pp. 428-429.

(6) Service Historique de l'Armée de Terre, Vincennes [SHAT-Vincennes], Cousse to HC, July 1, 1920, Renseignements 625, SHD-GR4-H114-004; Cousse to HC Beirut, July 15, 1920. No. 696, SHD-GR4-H114-005.

(7) SHAT-Vincennes, Cousse to HC, July 4, 1920. Renseignements 633, SHD-GR4-H114-004.

(8) SHAT-Vincennes, Memo dated July 4, 1920, on meeting with Faisal and Cousse to HC, July 6, 1920, Renseignements 647, SHD-GR4-H114-004.

بدأ كامل القصّاب في اجتذاب حشود كبيرة من الطبقتين الوسطى والدنيا للمدينة. كانت خطبه تحضّ المواطنين على الدفاع عن أرضهم، بينما منشوراته تطالب بـ"الاستقلال أو الموت". اندفع مئات الدمشقيين، ومن بينهم نساء، للانخراط في ميليشيات شعبية. ومن خلال شبكة اللجنة الوطنية العليا كان القصّاب يقود ميليشيا من آلاف الرجال في المدينة، وأقام صلات مع فروع الميليشيات في المدن الأخرى والمناطق الريفية[9].

حتى 8 تموز/ يوليو كانت الهجمات الشعبية على المخافر الفرنسية قد نسفت جهود فيصل لبناء ثقة مع الجنرال غورو[10]. وفي الرد على التقارير التي ذكرت تقدّم قوات فرنسية نحو الحدود السورية، طالب فيصل من حيدر أن يقوم بزيارة إلى الكي دورسيه. أرسل حيدر برقية يقول فيها إن باليولوغ كان عدائيًا تمامًا. اتّهم السوريين بالتآمر مع الأتراك ضد فرنسا وحذر قائلًا: "لن أخفي عنكم تفاقم الوضع الآن بالذات"[11].

في اليوم ذاته، 8 تموز/ يوليو، استضاف فيصل اجتماعًا لأجل جمع التبرعات للجيش السوري. كان مستوى الإسهام محبطًا. انتشرت الشائعات بأن عائلات النخبة في دمشق رحّبت بالحكم الفرنسي كوسيلة لاستعادة السلطة السياسية التي فقدوها مع المؤتمر ومع من يُسمّون العرب "الأغراب" من الحجاز والعراق وفلسطين.

وجّهت مجموعة قومية سرية تسمى "العين الساهرة" رسالة إنذار إلى أعضاء الحزب الوطني السوري تتهمهم بالعمالة للفرنسيين. كانت المنشورات تذكر بشكل خاص زعماء الحزب ونائبي المؤتمر عبد الرحمن اليوسف والشيخ عبد القادر الخطيب باعتبارهم "خونة". ولذلك تراجع الإقبال على الحزب الوطني السوري.

(9) James L. Gelvin, *Divided Loyalties: Nationalism and Mass Politics in Syria at the Close of Empire* (Berkeley: University of California Press, 1998), pp. 114-124; Eliezer Tauber, *The Formation of Modern Syria and Iraq* (London: Frank Cass, 1995), pp. 177-178.

(10) SHAT-Vincennes, Cousse to HC, July 8, 1920. Renseignements 662; Branet, Adjunct Liaison Damas to HC letter, July 10, 1920. Renseignements 671, SHDGR-GR-4-H-114-004; Gelvin, p. 213.

(11) حيدر، ص 662-663.

## 8-12 تموز/ يوليو: المواجهات في دمشق وسبا (Spa)

في 7 تموز/ يوليو تحرّك رضا والمؤتمر لتحدّي حكومة الأتاسي. فمنذ أيار/ مايو كان رضا والمؤتمر يشكون من أن الأتاسي قد بنى سياسته المضلّلة على القراءة الحرفية والمبسطة لاتفاق سان ريمو، الذي ذكر بالكاد الاعتراف المؤقت بالاستقلال السوري. ولذلك فإن المفاوضات المتواصلة مع الفرنسيين كانت خطرة[12].

في السياسة الدفاعية للأتاسي كان فيصل يهدّد بحلّ المؤتمر بحجة أنه أكمل مهمته في صياغة الدستور. اعتمد فيصل على مادة في الدستور المصوغ تسمح للملك بإعلان الأحكام العرفية إذا ظهر تهديد للسلامة العامة ولم يكن المؤتمر في حالة انعقاد.

في هذه المواجهة في آذار/ مارس تمسّك رضا بالجانب القانوني. فقد كانت لديه عريضة بتواقيع النواب الذين تعهدوا بالاستمرار في انعقاد المؤتمر إلى أن يتم إجراء الانتخابات البرلمانية الجديدة. دعا فيصل مجموعة من النواب إلى مقرّه ليناقشهم في أنه لا دور لهم في مفاوضة الفرنسيين على مستقبل سوريا، حيث إنه الوحيد الذي يعرف التفاصيل الضرورية للدبلوماسية[13].

في صباح 13 تموز/ يوليو استدعى المؤتمر الحكومة إلى مقرّه في ساحة المرجة كي تقدّم تقريرًا علنيًا حول الأزمة. دخل رئيس الحكومة هاشم الأتاسي ووزير الخارجية عبد الرحمن الشهبندر ووزير الحربية يوسف العظمة إلى قاعة المؤتمر في الوقت الذي كان النواب يناقشون المادة 7 من الدستور التي تتعلق بسلطات الملك.

وقف العظمة الوسيم، مع شعره الكثيف المتموّج وشاربيه المعقوفين إلى

---

(12) MAE-Nantes, Prime Minister to President of the Syrian Congress, May 19, 1920, Carton 2358.

(13) SHAT-Vincennes, Cousse to High Commissioner, July 7, 1920. Renseignements 654; Cousse to High Commissioner, July 9, 1920. Renseignements 665; Cousse to High Commissioner, July 10, 1920. Renseignements 673 in SHD-GR4-H114-004-0001.

الأعلى، ليتحدث باسم الحكومة. قال إن الفرنسيين احتلوا مركزين في المنطقة الشرقية لسوريا، على طول سكة حديد حلب-رياق. أمطر النواب العظمة بالأسئلة حول الاستعدادات للحرب. إلا أن الوزير كان يرد بشكل مبهم[14].

أكّد لهم العظمة "لقد طالبنا بأن تُحال هذه المسألة إلى لجنة دولية"، وأن رئيس الحكومة سيرسل وفدًا إلى باريس "لنثبت للعالم ولكل الدول أننا لسنا أعداء لأيّ أحد ولا نرفض قرارات مؤتمر الصلح طالما أنها تخدم استقلالنا وشرفنا"[15].

في غضون ذلك أمر الملك سكرتيره الشخصي عوني عبد الهادي بتوجيه احتجاجات إلى الكيانات الدولية. وكما ورد في مذكراته لاحقًا فإن "فيصل اعتمد في مناشدته على اتفاقه مع كليمنصو". كان لا يزال يأمل في أن يعيد فرنسا إلى الاعتدال، إلى عصبة الأمم. ولكي يتجنب الرقابة الفرنسية أرسل برقيات الاحتجاج بواسطة القنصلية الإيطالية[16].

بعد ذلك أعلن فيصل الأحكام العرفية.

بين الصدمة والغضب جمع رشيد رضا ثلاثين من أعضاء المؤتمر المعارضين تلك الليلة في 13 تموز/ يوليو في بيت أحمد قدري (مع أن قدري بقي الطبيب الخاص لفيصل ويتمتع بحرية دخول القصر، إلا أنه كان أيضًا عضو المؤتمر النشيط في معكسر "الرافضين"). اتفق المجتمعون على إسقاط حكومة الأتاسي، وعلى أن سوريا تحتاج إلى دفاع قوي. رأوا أنه من الأفضل أن يكون ياسين الهاشمي،

(14) SHAT-Vincennes, Liaison Français Damas, Renseignements No. 694, July 13, 1920, SHD-GR4-H114-004.

(15) يوسف مازن الصباغ، **المؤتمر السوري: برلمان الاستقلال لبلاد الشام** (دمشق: دار الشرق، 2011)، ص 290-295؛
SHAT-Vincennes, Cousse to Gouraud, July 13, 1920, Renseignements No. 691, SHD-GR4-H114-004; Abu Khaldun Sati al-Husri, *The Day of Maysalun* (Washington, DC: Middle East Institute, 1966), p. 61.

(16) عوني عبد الهادي، **مذكرات عوني عبد الهادي**، تحقيق خيرية قاسمية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002)، ص 99؛ حيدر، ص 99؛ أحمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** (دمشق: ابن زيدون، 1956)، ص 224، 237.

وزير الحربية السابق، رئيسًا للحكومة[17]. وعندما عاد رضا والنواب المعارضون إلى بيوتهم للنوم، لم يعرفوا أن فيصل كان قدّم لتوه عرضًا إلى الهاشمي. ولكن الهاشمي، الجندي الديناميكي الذي اعتقله البريطانيون في تشرين الثاني/ نوفمبر وأطلقوا سراحه مؤخرًا في فلسطين خلال أيار/ مايو، لم يقبل بذلك[18].

في غضون ذلك حثّ روبير دو كيه من باريس الجنرال غورو على أن يسرّع الغزو. طلب فيصل أن يسافر لحضور اجتماع المجلس الأعلى الذي سيعقد خلال ذلك الأسبوع في سبا (Spa) في بلجيكا. إلا أن الفرنسيين كانوا لا يزالون متوترين ويخشون من تدخل بريطانيا باسمه. كتب دو كيه "إن رغبتنا لا تزال تكمن في إبعاد كل الآلة السياسية البريطانية"، ولكنه حذّر من أن المجتمع الدولي لا يزال يؤيد بريطانيا: "من الممكن أن يأتي البريطانيون بوفد "فيصلي" أمام عصبة الأمم كي يعارضوا انتدابنا"[19].

استجاب غورو للطعم. في 10 تموز/ يوليو رفض طلب فيصل للسفر إلى بلجيكا بحجة عدم وجود سفينة. كتب بعد ذلك إلى ميلران يعده بإصدار إنذار للسوريين قبل 20 تموز/ يوليو[20].

كما أن دو كيه حذّر غورو من أن التمهّل في الوقت يمكن أن يساعد السوريين على توجيه المسيحيين ضد الانتداب. في تلك الليلة في 10 تموز/ يوليو بدت نبوءة دو كيه تتحقق، حيث حاول أعضاء في المجلس الإداري لجبل لبنان الفرار إلى دمشق. ارتاح غورو بعد اعتقالهم، وللحفاظ على سمعة فرنسا أمر الرقابة بالتغطية على هذا الأمر، وضغط على الزعماء الموارنة لإرسال تعهدات بالولاء لباريس[21].

---

(17) **يوميات رشيد رضا**، 13-14 تموز/ يوليو 1920، كما وردت في:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

(18) قدري، ص 239.

(19) MAE-Courneuve, de Caix to Gouraud, July 7, 1920, 399 PAAP/142.

(20) من غورو إلى ميلران 10 حزيران/ يونيو 1920، في:
Hokayem (éd.), pp. 460-461.

(21) من غورو إلى ميلران، 11 تموز/ يوليو 1920؛ من غورو إلى ميلران، 12 تموز/ يوليو 1920؛ من غورو إلى ميلران، مرسلًا برقيتين من لبنان، 12 تموز/ يوليو 1920؛ من غورو إلى حويك، 12 تموز/ يوليو 1920، في:
Hokayem (éd.), pp. 465, 468-471, 476-477.

في مكتب آخر بالكي دورسيه اجتمع حيدر مع باليولوغ كي يعرف لماذا رُفض طلب سفر فيصل. فسّر باليولوغ بأن السبب يعود لأن الملك لا يزال يتآمر مع بريطانيا ضد فرنسا: "يجب أن يدرك أن الإنكليز لا يقفون خلفه"[22].

كان لدى حيدر شعور بالتشاؤم. كتب في تلك الليلة في يومياته: "باليولوغ يعتقد أنّ الشرقي يخضع أمام التهديد ويخاف، ولعله مصيب. يجب على الشرق أن ينفض عار الخوف عن جبينه بحرب تجعل العالم في مأتم مستمر"[23].

في ذلك اليوم بالذات، في سبا، خاض رئيس الوزراء ميلران مواجهة مع اللورد كرزون. فخلال استراحة بعد اجتماع في 12 تموز/يوليو ذكر كرزون عَرَضًا أن بريطانيا عرضت على فيصل زورقًا للسفر إلى أوروبا من ميناء حيفا. انفجر ميلران قائلًا إن فيصل فقدَ الحقّ في حضور مؤتمر الصلح بعد انتهاك حقوق فرنسا في لبنان، مشيرًا إلى دعم الملك للعصابات في وادي البقاع: "إن الرد على فيصل يجب أن يكون بأن فرنسا مُنحت الانتداب على سوريا، وأن الأمر يعود إليها في معالجة مخاوفه"[24].

استمع كرزون إلى ذلك في صمت. في وقت لاحق من ذلك اليوم نصح كرزون أَلّنبي أن يخبر فيصل بعدم وجود مكان له في اجتماع المجلس [الأعلى][25]. وهكذا فقد أُغلق بقوة باب الاعتراف الدولي بسوريا الذي كانت قد فتحته بريطانيا في كانون الثاني/ يناير 1919.

---

(22) حيدر، ص 665-666؛ باليولوغ إلى ميلران، 12 تموز/يوليو 1920، في:
Hokayem (éd.), p. 470.

(23) حيدر، ص 666.

(24) من ميلران إلى وزارة الخارجية، 13 تموز/يوليو 1920، في:
Hokayem (éd.), pp. 473-474.

(25) من كرزون إلى أَلّنبي، 12 تموز/يوليو 1920، في:
Hokayem (éd.), p. 472.
كانت فرنسا تعتقد بوجود تواطؤ للقصر، ولذا كانت تحتاج إلى ذلك لتبرير الغزو. في 9 تموز/يوليو علم رشيد رضا بسرقة سجلات من الخزانة الملكية تتضمن أدلة على الإنفاق على الميليشيات التي تقاتل في البقاع. كل شخص كان يفترض أن السجلات سُلّمت إلى الفرنسيين. ينظر: **يوميات رشيد رضا**، 9 تموز/ يوليو 1920، كما وردت في:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

## 14 تموز/ يوليو: إنذار الجنرال غورو

في 14 تموز/ يوليو 1920 توقفت جلسات الجمعية الوطنية الفرنسية لتكريم العيد الوطني الفرنسي المخصّص لجان دارك. منذ زمن نابليون كُرّمت جان دارك كبطلة وطنية لانتصارها على الإنكليز في أورليان (Orleans) في القرن الخامس عشر. وفي 16 أيار/ مايو 1920 قام البابا بنديكت الخامس عشر بتطويبها[26]. وبتزامن العيد العلماني، الذي استحدثته الجمهورية الثالثة للاحتفال بذكرى اقتحام الباستيل في الثورة الفرنسية، مع عيد القديسة جان دارك، برز تحوّل راديكالي في السياسة الفرنسية بعد الحرب: تحوّل الاتحاد المقدس خلال أعوام (1914-1918) إلى مهمة مقدسة للتنافس الإمبريالي ضد بريطانيا.

قضى جورج كليمنصو، الأب الروحي للجمهورية الثالثة، ذلك اليوم 14 تموز/ يوليو في منتجع فيشي (Vichy). لم يكن نمرًا عجوزًا وملحدًا فقط، ولكنه كان أيضًا مؤمنًا بالحاجة إلى تحالف وثيق مع بريطانيا. تعهّد ذلك اليوم لذوي النوايا الطيبة بأنه لن يعود أبدًا إلى السياسة. وفي الواقع كان يخطّط لجولة خارجية أخرى يلبي فيها شغفه الحياتي في الفن البوذي والفلسفة في الهند وجنوب شرق آسيا[27].

في باريس بقي رستم حيدر في شقّته لتفادي الاحتفالات التي جرت طيلة اليوم. وكتب في مذكراته: "يظهر أن الحالة حرجة والحرب على الأبواب". كان الرئيس السابق بوانكاريه قد نشر مقالًا يشكّك فيه بوجود أمة عربية في سوريا، ورد فيه أن العرب ليسوا سوى إحدى الأمم في الإقليم الذي يعيش فيه أيضًا الكلدان والسريان والفينيقيون والآشوريين. وعلّق عليه حيدر في مذكراته: "رجل جاهل بأمور الشرق، وجهله نابع من تعصّبه العنصري ليس إلا"[28].

---

(26) Olivier Bouzy, "Idéologie ou historiographie: Evolution de l'image politique de Jeanne d'Arc du XVIe au XXIe siècle," dans: *Connaissance de Jeanne d'Arc*, 3 (2004), pp. 25-45, accessed online on 12/7/2018, at: https://bit.ly/3z4KCuw; Jay Winter, *Sites of Memory, Sites of Mourning* (New York: Cambridge University Press, 1995), pp. 15-28.

(27) Duroselle, *Clemenceau*, pp. 867-868; Gregor Dallas, *At the Heart of a Tiger: Clemenceau and His World 1841-1929* (New York: Carroll and Graf, 1993), p. 585.

للمزيد حول شغف كليمنصو بالفلسفة البوذية والفن ينظر:
https://bit.ly/3NHMKMC, accessed on 11/7/2018.

(28) حيدر، ص 670.

أما الجريدة الفرنسية المؤيدة للسوريين **آسيا العربية** (*L'Asie arabe*) فقد أدانت التخطيط للحرب على سوريا باعتبارها "حملة صليبية اختلقها ببراعة اليسوعيون ورجال الدين، بمساعدة اللوبيين والمتعصبين البارزين الذين حرفوا السياسة الفرنسية بتصويرهم سوريا بلدًا مسيحيًا يسعى إلى التحرر من النير المسلم المتمثل في فيصل"[29].

ومع هذا المزاج القومي-الديني الجديد، نظّم غورو الاحتفال بيوم 14 تموز/ يوليو في لبنان بكلّ الأبّهة والألوان. خرج في بذلته الرسمية البيضاء ممتطيًا حصانه للمشاركة في استعراض في بيروت إلى جانب الجنرال ماريانو غوابيه (Mariano Goybet) قائد الفرقة الثالثة في جيش المشرق الفرنسي. كان هذان يتباهيان بسيرهما في الشوارع المحاطة بالجنود، بينما كان السكان يحيّونهما من على الشرفات. بعد ذلك ذهب الزعماء المسيحيون والسياسيون إلى السرايا للتعبير عن احترامهم لفرنسا[30].

كان الجنرال غوابيه قد وصل بيروت في نيسان/ أبريل للمساعدة في خطة الغزو. أخبره صديقه الأب كلاوديوس شانتور (Claudius Chanteur) من جامعة القديس يوسف أن المسيحيين اللبنانيين خائفون من المسلمين والمجازر، ونصحه بـ "احتلال دمشق وإعادة فيصل إلى الصحراء العربية"[31].

في دمشق امتنع الملك فيصل عن المشاركة في احتفالات 14 تموز/ يوليو. في العام السابق وجّه بتزيين دمشق بالأعلام الفرنسية، وعزف الموسيقيون السوريون النشيد الوطني الفرنسي "المارسلييز"، كما قام فيصل بزيارة رسمية إلى مقر البعثة الفرنسية، وحتى إنه استضاف في حفلة 250 شخصًا على شرف العقيد إدوارد كوس، ضابط الارتباط السامي الذي حارب في الثورة العربية.

---

(29) "Grave Situation en Syrie," *l'Asie arabe* (15 July 1920), p. 1, accessed online on 11/7/2018, at: https://bit.ly/3wUiicA

(30) SHAT-Vincennes, M. Goybet (Général), *De Beyrouth à Damas: Carnet de campagne du Général M. Goybet* (Savoie, 1922), SHAT-Vincennes, SHGDR-GR-4-H-246-009-0074 through -0125, 23.

صورة العرض في بيروت تم الإطلاع عليها في 10 تموز/ يوليو 2018، في: https://bit.ly/3NYxfQT

(31) Goybet, pp. 4-5.

أما في هذه السنة، وبالتحديد في ظهر ذلك اليوم، فقد قام العقيد كوس بزيارة إلى مقرّ الملك. سلّم كوس فيصل مغلفًا يحتوي على إنذار الجنرال غورو: القبول بالانتداب الفرنسي أو مواجهة الجيش الفرنسي الفاتح[32].

تضمّنت الوثيقة المؤلفة من عشر صفحات سبب الغزو. فنظرًا لأن فيصل فشل في تحقيق شروط اتفاق 6 كانون الثاني/ يناير، كما ذكر غورو، فإن فرنسا مضطرة لتأكيد حقوقها التي مُنحت لها من قبل مؤتمر الصلح. عدّد غورو كلّ انتهاكات السوريين للاتفاق التي شملت هجمات العصابات على حدود المنطقة الفرنسية، والتسلّل السوري غير الشرعي إلى البقاع، وحدوث مجازر ضد المسيحيين. كما أدان غورو الموقف الدفاعي لحكومة الأتاسي "المسيء إلى كلّ من فرنسا التي رُفضت مساعدتها وإلى المجلس الأعلى [للحلفاء] الذي منح فرنسا الانتداب على سوريا". واتّهم غورو الأتاسي بأنه يعامل مؤيدي فرنسا كمجرمين بينما يعامل أعداءها كأبطال، وبرشوة أعضاء المجلس الإداري لجبل لبنان لبيع بلادهم.

ذهب الإنذار إلى أبعد من ذلك، بنفي ادعاءات العرب بكونهم حلفاء حرب. أكد غورو أن السوريين لم يهزموا في الواقع أبدًا الأتراك العثمانيين، ولذلك فإن الحكومة المدنية [في دمشق] والمؤتمر [السوري] غير شرعيين. أما فيصل فهو مجرد قائد لجيش محتل، ولذلك فإن تتويجه ببساطة هو عمل متمرد ضد مؤتمر الصلح. كان ما يغيب تمامًا في الوثيقة هو روح "الانتداب" باعتباره فترة مؤقتة لتقديم المشورة والمساعدة كما جاء في رؤية ولسون في كانون الثاني/ يناير 1919.

كان استخدام القوة لفرض الانتداب ينتهك بوضوح المادة 22 من ميثاق عصبة [الأمم]، التي تطالب بأن تُعيّن الانتدابات بالاستناد إلى رغبات الشعب. عوضًا عن ذلك تصرّف غورو بالاستناد إلى الدرس الذي تعلّمه من الحاكم الاستعماري الكبير للمغرب الجنرال هوبير ليوتي (Hubert Lyautey): مهمة فرنسا

---

(32) SHAT-Vincennes, Cousse to HC Beirut, July 15, 1920, Renseignement 696, SHD-GR4-H114-005; MAE-Nantes, HC to Cousse, July 10, 1920, Carton 2372, dossier "Correspondance Cousse"; Edouard Brémond (Général), *Le Hedjaz dans la Guerre Mondiale* (Paris: Payot, 1931), p. 332; قدري، ص 225.

أن تفرض النظام وليس أن تحافظ على حقوق الإنسان[33]. ولذلك لم يتردّد غورو في إلغاء حقوق اللبنانيين في حكومة تمثيلية حين حلّ المجلس الإداري اللبناني المنتخب في 10 تموز/ يوليو. أما الآن فهو يعتزم أن يستبدله بلجنة تكون تحت السيطرة الكاملة للحاكم الفرنسي. وعلى هذا المنوال لم يعترف غورو بالمؤتمر السوري ولم يكن في خططه إجراء انتخابات لاستبداله.

في ختام إنذاره ذكر غورو "لم يعد من الممكن الثقة بحكومة أظهرت بوضوح عداءها لفرنسا وارتكبت خطأ كبيرًا في حق بلادها". وزعم غورو أن السوريين عانوا من الفوضى في الحكم ومن دعاية العصابات، ومن الضرائب الباهظة والنقص العام في الاستثمار الاقتصادي الذي سبّب المعاناة للسكان: "لذلك إن فرنسا مجبرة على اتخاذ إجراءات لحماية قواتها وسكان البلاد".

هدّد الجنرال بالغزو إذا لم يقبل فيصل بردّ مكتوب على خمسة شروط يرسلها قبل 18 تموز/ يوليو:

1. وضع سكة حديد رياق-حلب تحت تصرّف الجيش الفرنسي.
2. إلغاء التجنيد الإجباري وتسريح المجندين ابتداء من 1 كانون الأول/ ديسمبر 1919.
3. قبول الانتداب الفرنسي، والذي لن ينطوي على ضم أو إدارة مباشرة.
4. قبول الأوراق النقدية التي أصدرها البنك السوري.
5. معاقبة المجرمين الذين استرسلوا في معاداة فرنسا.

وإذا لم ينفذ فيصل هذه الشروط حتى 31 تموز/ يوليو فسيواجه عواقب وخيمة[34].

---

(33) Martin Thomas, *The French Empire between the Wars* (Manchester: Manchester University Press, 2005), pp. 45, 56-57, 63.

(34) من غورو إلى فيصل، 14 تموز/ يوليو 1920، في:
Hokayem (éd.), pp. 479-486.

الترجمة الإنكليزية في:
"The Case of Emir Feisal," *Current History*, 13 (March 1921), pp. 251-254.

## 14-20 تموز/ يوليو: الرد السوري على الإنذار

وصل الإنذار إلى دمشق كقنبلة ليغمر العاصمة السورية المعزولة بخوف مسعور. وكما يتذكر دروزة "صدمت اللهجة الحازمة أعصابنا وعقولنا. خلال الأيام العشرة التالية كانت دمشق وسوريا تغليان بالشائعات والتوتر والاضطراب"(35). سارع دروزة إلى اجتماع للجنة الوطنية العليا في النادي العربي دعا إليها كامل القصّاب. صوتت الغالبية على رفض الإنذار والاستعداد للحرب. كان الحشد المؤلف من 300 شخص من المؤيدين ينشدون الأغاني الوطنية ويقسمون على الدفاع عن البلاد. انضموا بعد ذلك إلى مظاهرة مع الحزب الديمقراطي، الحزب المنافس للحزب الوطني السوري الذي يمثل الأعيان.

خطب القصّاب قائلًا: "أيها الأخوة، إن أسلافنا ليسوا جبناء. لقد أعلنوا الحرب ضد أعدائهم الأقوياء بقلوب مليئة بالإيمان والقناعة. لنقتدِ بأسلافنا وليختلط دمنا وعرقُنا مع الأرض التي ورثناها منهم". ومع نهاية الخطاب كان 1500 عضو جديد قد انضموا [للجنة](36).

في الليلة ذاتها حضر دروزة اجتماعًا ثانيًا نظّمه رضا، وكان أكبر من الأول. شارك فيه أعضاء جمعية العربية الفتاة الذين أيّدوا فيصل منذ الثورة العربية. كان التصويت على الإنذار منقسمًا. وافق على الإنذار الموالون لرضا الركابي، الذين انضم معظمهم إلى الجمعية بعد الحرب. أما الأعضاء القدامى، مثل دروزة، فقد بقوا مخلصين للمبدأ ورفضوا الإنذار.

أوضح ذلك دروزة في مذكراته: "كانت حجتنا هي اعتقادنا أنّ فرنسا سوف تسير في سوريا، كما تسير في تونس والجزائر والمغرب، التي جاءت إليها بحجة

---

(35) محمد عزة دروزة، **مذكرات محمد عزة دروزة 1887-1984** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، ج 1، ص 472.

(36) Gelvin, pp. 280-281,

الاقتباس من **الكنانة** 15 تموز/ يوليو 1920، ص 3؛
SHAT-Vincennes, in Zone West Cabinet Politique: No. 1270 Daily Bulletin, July 23, 1920, SHD-GR4-H60-001.

المساعدة ثم سارت فيها سيرة استعمارية... مع شدة القسوة والإرهاب"، ولكن "إذا قبلنا الإنذار نكون قد قبلنا الاندحار".

كان رضا، مثل دروزة، يعتقد أن سوريا ستخسر حقوقها إذا لم تقاتل للدفاع عنها. وقد حذّر في **المنار** من أنّ أولئك الذين يتنازلون بشكل سلبي يستحقون الاضطهاد. كان رضا لا يزال يحافظ على شيء من الأمل الولسوني بأن الدول الصغرى يمكن لها ويجب عليها أن تطالب بحقوق متساوية مع الدول الكبرى: "لا يزال في الشعب الإنكليزي... رجال يرجى أن يراعوا الانقلاب الاجتماعي الجديد الذي فجّرت هذه الحرب قواه. وإذا قدر هؤلاء الرجال على مقاومة الأطماع الاستعمارية ووضعوا لدولتهم سياسة جديدة تتفق مع مصالح مصر والهند والعرب والفرس وسائر الشعوب... فإنهم يؤسّسون لشعبهم السكسوني مجدًا يُرجى أن يكون خالدًا"[37].

اقترح دروزة أن أفضل استراتيجية هي تجنيد قوات متطوعة كافية لإبطاء التقدم الفرنسي، مضيفًا أن الانكسار في نهاية المطاف مؤكد، ولكنّ "كان من شأن ذلك لفت نظر العالم الأوروبي وحمله على التدخل لإيجاد حلّ فيه كرامة وشرف إلى ما يُلمس من تقزّز الأفكار الأوروبية من أي حركة جديدة"[38].

وافق قدري الذي حضر الاجتماع أيضًا على ذلك: "المقصود كان المقاومة المستميتة مدة طويلة علّ ذلك يؤثر في ضمير العالم المتمدّن الخارج من مجزرة الحرب العظمى وحكوماته القائلة بأن الحق يعلو ولا يُعلى عليه"[39].

كان السوريون يرون في الإنذار الفرنسي اختبارًا لإيمانهم بالقانون الدولي ولالتزام عصبة الأمم بحقوق الدول الصغيرة أيضًا. ولكن لم يردّ أي قنصل أو أي كيان دولي على مناشدتهم. أخبر القنصل الأميركي السوريين أن بلاده غسلت يدها من السياسة الأوروبية. في مطلع ذلك الشهر كان الرئيس ولسون خسر ترشيح الحزب

---

(37) محمد رشيد رضا، "نتائج الحرب العظمى"، مجلة **المنار**، مج 21 (نيسان/ أبريل 1920)، ص 337-344.

(38) دروزة، ص 474.

(39) قدري، ص 238.

الديمقراطي لإعادة انتخابه رئيسًا، متجاهلًا رؤيته العالمية[40]. وقد نصح السكرتير العام الجديد لعصبة الأمم إريك دروموند (Eric Drummond) مبعوث فيصل بعدم تقديم أي استئناف علني لأنه، كما ادّعى، سيصعّب على فرنسا تقديم تنازلات[41].

في 15 تموز/ يوليو عقد المؤتمر جلسة استثنائية. اقترح رياض الصلح، النائب الذي تمكّن من جذب المجلس الإداري اللبناني إلى جانب فيصل، أن يقوم المؤتمر بإقرار الدستور جملة واحدة بالاستناد إلى المسودة التي وُزّعت بعد جلسة 5 تموز/ يوليو. أراد من المصادقة على الدستور تأسيس الوجود القانوني لسوريا. ولكن عثمان سلطان أشار إلى أنه بعد المصادقة يمكن للملك فيصل أن يحلّ المؤتمر. وقد حظي اقتراحه بتأجيل المصادقة بغالبية الأصوات.

تبع ذلك اقتراح الدكتور قدري بإبقاء المؤتمر في حالة انعقاد طيلة الأزمة. صوّت النواب عليه بالإجماع ووعدوا بالتمسك بثلاثة مبادئ: الوحدة والاستقلال التام، الأساس الدستوري للمملكة، وإشراف المؤتمر على السياسة الخارجية: "لن يعترف المؤتمر بأي معاهدة أو اتفاقية أو بروتوكول تخص مستقبل البلاد إذا لم يوافق عليها المؤتمر"[42].

في تلك الليلة قاد رضا وفدًا من المؤتمر إلى المقرّ الملكي لحثّ فيصل على رفض الإنذار. احتدم النقاش بينهما كما في شهر آذار/ مارس. هدّد فيصل مرة أخرى بحلّ المؤتمر. وكتب رضا عن ذلك في يومياته: "إنه رجل مجنون وجاهل. لا أنوي زيارته مرة أخرى"[43].

---

(40) John Milton Cooper, Jr., *Breaking the Heart of the World: Woodrow Wilson and the Fight for the League of Nations* (New York: Cambridge University Press, 2001), pp. 384-390.

(41) League of Nations Archives in Geneva [LN-Geneva], Eric Drummond, memo on conversation with Mrs. Forbes, emissary of Prince [*sic*] Feisal, July 22, 1920, Série 4284 Events in Syria, Boxes R21-28; Dossier 3: Mandates for Arab Countries doc. 5690.

كانت مبعوثة فيصل إلى جنيف روزيتا فوربس R. Forbes وهي رحالة وصحفية كانت قد زارت دمشق في نيسان/ أبريل. التقت رستم حيدر عدة مرات في باريس قبل أن تغادر إلى عصبة الأمم في جنيف.

(42) الصباغ، ص 297؛ قدري، ص 241-242.

(43) **يوميات رشيد رضا**، 15 تموز/ يوليو 1920، كما وردت في:

Ryad, "Like a Mill Donkey."

في يوم الجمعة 16 تموز/ يوليو عرض فيصل مسألة الإنذار على الشعب. تجمع المئات لصلاة الجمعة في الجامع الأموي الذي بُني في القرن السابع، وضمن هؤلاء فرسان البدو الذين ساروا عبر شوارع المدينة. خطب فيصل في الحشد عن إنذار غورو: "فكروا وقرّروا، ومهما اتخذتم من قرار فأنا معكم، إذا أردتم السلام فسنصنع السلام، وإذا أردتم الحرب سنقوم بالحرب". إلا أن فيصل لم يسمع الجواب الذي يريده.

كان الحشد يصرخ "الحرب! الحرب! النار ولا العار! الموت ولا العبودية!". تحرّك الحشد من الجامع الأموي نحو ثكنات الحميدية مع رفع الأعلام والهتاف "الدفاع حتى الموت!". دعا الخطباءُ الشبابَ إلى الالتحاق بالجيش. وقد ادّعى المنظمون أن أربعة آلاف شخص قد سجّلوا أسماءهم حتى المساء. أما النقّاد فزعموا أن العدد يقترب من 400 شخص[44].

في تلك الليلة اكتشف فيصل الحقيقة المخيفة بعد أن عقد اجتماعًا مع القادة العسكريين لمناقشة الاستعدادات للحرب. ورد في تقاريرهم أن الجيش لا يملك سوى القليل من العتاد والرجال المدربين، ولذلك فإن المعركة مع الفرنسيين يمكن أن تستمر عدة ساعات فقط. أما بعض الضباط فعبّروا عن خوفهم من أن المعركة يمكن أن تستمر خمس دقائق فقط[45]. سارع قدري إلى القنصلية الإيطالية ليحصل على معلومات حول قدرات القوات الفرنسية. قدّر القنصل الإيطالي أن فرنسا تملك في الأقل 75 ألف جندي من القوات المجهزة بالكامل في سوريا وكيليكيا. بعد اجتماعه مع الإيطاليين ذهب قدري إلى وزارة الحربية السورية للاجتماع مع أعلى ضابط هناك. كتب قدري عن ذلك: "وجدته يجهل مقدار القوة العظيمة التي حشدتها فرنسا لمهاجمتنا، واستولى عليه العجب لما سمع مني".

---

(44) SHAT-Vincennes, Cousse to HC Beirut, July 16, 1920, SHD-GR 4-H114-005; July 21 and 23, 1920: Zone West daily bulletins 1266 and 1270, SHD-GR4-H60-001 and SHD-GR4-H114-004;

قدري، ص 242.

(45) دروزة، ص 475-476؛

Allawi, p. 286.

نقل قدري إلى فيصل ما اكتشفه تلك الليلة:" فقال (فيصل) والألم يحزّ في نفسه إن الحكمة أصبحت تقتضي علينا بمسالمة فرنسا"[46].

وافقت على ذلك حكومة الأتاسي، كما أوضح ساطع الحصري وزير المعارف: "رفض شروط الإنذار سيؤدي إلى الحرب، والحرب ستنتهي بانكسار الجيش انكسارًا سريعًا، ففي هذه الحالة ستخسر سوريا كل شيء وستدخل تحت إدارة الفرنسيين مباشرة"[47].

في اليوم التالي أرسل الأتاسي مذكرة إلى رضا يدعو فيها المؤتمر إلى المقرّ الملكي في مساء يوم السبت 17 تموز/ يوليو. وافق رضا بتردّد مع أنه كان لا يزال غاضبًا من نقاشه مع فيصل. كان لديه بصيص أمل بأن الملك يمكن أن يقتنع. كان الحشد كبيرًا إلى حدّ أن الضيوف كان عليهم أن يجتمعوا خارجًا في الحديقة.

استعرض فيصل الضعف العسكري وعدّد الأسباب التي تدعوه للقبول بشروط غورو. احتج دروزة بصوت عال: ليس من المناسب لفيصل، كقائد للنضال القومي منذ عام 1916، أن يسلّم سوريا إلى الفرنسيين. على الحكومة أن تستقيل احتجاجًا. اعتمد فيصل على تكتيك جرّبه في شباط/ فبراير الماضي، حين رفض قادة جمعية العربية الفتاة الاتفاق مع كليمنصو. فلتجنّب الضغط من الأنداد طلب من كل واحد من الحضور الإدلاء بصوته بشكل سري في ورقة مطوية، وأنه سيتصرف بحسب رأي الأغلبية. إلا أن رضا رفض ذلك مدركًا نية الملك في تقسيمهم[48].

بعد الاجتماع تواجه قدري ورضا مع وزير الحربية يوسف العظمة. سأله قدري: "كيف وقعنا بهذا المأزق الحرج"، فأقرّ العظمة أنه كان يبالغ في كلامه حتى يخيف الفرنسيين. كان يعرف كلّ شيء حول نقص الاستعداد للجيش. وكما يذكر قدري في مذكراته: "كان جوابه بأنه كان يرمي إلى خداع الفرنسيين، ولا يخطر على

---

(46) قدري، ص 239-241.

(47) al-Husri, pp. 62-63.

(48) Allawi, p. 287;

دروزة، ص 475-476؛ **يوميات رشيد رضا**، 17-19 تموز/يوليو 1920، كما وردت في:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

باله أنهم يقدمون على مهاجمة حلفائهم حربًا ومجلس الصلح لمّا يزل منعقدًا"[49].

كان رضا مصدومًا من هذا التضليل لأنه هو من رشّح العظمة لتولّي وزارة الحربية بعد أن وثق بوعده في أن يقود السوريين إلى الثورة، كما فعل مصطفى كمال مع الأتراك. اعترف العظمة الآن أن تبجّحه استند إلى الاعتقاد الواهي بأن العشائر العربية ستدعم فيصل. وبّخ رضا العظمة بقسوة فردّ العظمة: "إني مذنب وأتحمل تبعة عملي وكدتُ البارحة أنتحر من الغمّ"[50].

في اليوم التالي، الأحد 18 تموز/ يوليو، استدعى فيصل العقيد كوس إلى مكتبه ليطلب منه نقل موافقته الشفوية على شروط غورو إلى بيروت. كانت مغامرة كما أوضح فيصل للعقيد. فمع قبوله بالإنذار سلّم سوريا إلى غورو. أكّد كوس، الذي لم يكن يعلم بخطط فرنسا للمعركة، لفيصل أن الحكومة الفرنسية ستحترم الاستقلال السوري[51].

في صباح الاثنين 19 تموز/ يوليو عقد المؤتمر جلسة خاصة لإصدار إنذاره إلى فيصل. فتح رضا الجلسة للعموم، فتجمّع أعيان المدينة وقادة الأحزاب لمشاهدة إبطال غالبية النواب القبول بالانتداب. كان إعلان الاستقلال في 8 آذار/ مارس، الذي صادق عليه الأتاسي في أيار، قد اعتبر الانتداب انتهاكًا للوحدة السورية. وإذا خان رئيس الوزراء تعهده فإن المؤتمر سيعلن عدم دستورية حكومته. وقد وزّع المؤتمر نسخًا من قراره في أرجاء العاصمة[52].

في مساء ذلك اليوم قاد رضا وفدًا آخر إلى مقرّ فيصل. قبل أسبوع من ذلك

---

(49) قدري، ص 242؛ **يوميات رشيد رضا**، 17 تموز/ يوليو 1920، كما وردت في:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

(50) محمد رشيد رضا، "حقائق واضحة حول المسألة العربية: مقالة تاريخية"، مجلة **المنار**، 22 (حزيران/ يونيو 1921)، ص 442-479.

(51) SHAT-Vincennes, Cousse to General Commandant en Chef Armée Levant, July 19, 1920, SHD-GR 4-H114-005.

(52) SHAT-Vincennes, Zone West Cabinet Politique, No. 1275 Daily Bulletin, July 24, 1920, SHD-GR4-H114-004;

رضا، "حقائق واضحة حول المسألة العربية"، ص 466-468.

كانت أبواب المقر فُتحت لفيض من الزوار المتحمسين لمناقشة الملك. أما الآن فقد كان الحراس يقفون عند البوابة. كان فيصل غاضبًا. تناقش الرجلان [فيصل ورضا] مرة أخرى.

صرخ فيصل: "من أنتم؟ أنا من أنشأتُ دولة سوريا".

ردّ عليه رضا: "أنتم من أنشأتم سوريا؟ إنّ سوريا موجودة قبل أن تولدوا!"[53].

بعد مغادرة رضا أبرق فيصل بموافقة خطية على إنذار غورو. كان غورو قد مدّد مهلة قبول الإنذار 24 ساعة كي يمهل الحكومة لتطبيق شروطه. أمر العظمة الذي تعرّض للانتقاد بتسريح الجيش السوري، وحتى إن القوات [السورية] انسحبت من ثكنة مجدل عنجر التي كانت تحمي الممر الجبلي بين لبنان ودمشق.

في صباح اليوم التالي، 20 تموز/ يوليو، جاء هاشم الأتاسي ويوسف العظمة إلى مقرّ المؤتمر. قرأ العظمة إرادة ملكية بتعليق عمل المؤتمر لشهرين. قفز النواب من مقاعدهم للحديث، إلا أن العظمة أمرهم بالجلوس في مقاعدهم قائلًا بصرامة: "إن القانون يطلب منكم أن تنفضّوا". قامت الشرطة العسكرية بإخلاء القاعة بينما بقي الوزراء صامتين ووجوههم شاحبة[54].

لم يكن رضا منزعجًا تمامًا من إغلاق المؤتمر لأن اللوم لن يقع عليه من الكارثة القادمة. في رأي رضا كان فيصل يتحمّل وحده المسؤولية. فقد تجاهل التماس رضا لتنظيم البدو السوريين كقوة دفاعية، مدعومين بقبائل من جزيرة العرب. وعوضًا عن ذلك أدى سماح فيصل لهجمات العصابات على القرى اللبنانية إلى استثارة الغزو الفرنسي الآن[55].

---

(53) **يوميات رشيد رضا**، 19 تموز/ يوليو 1920، كما وردت في:
Ryad, "Like a Mill Donkey"; Allawi, p. 288,
مذكور في قاسمية، **الحكومة**، ص 202، الهامش 1.

(54) دروزة، ص 475-476؛ قدري، ص 248؛
SHAT-Vincennes, Cousse to General Commandant en Chef Armée Levant, July 20, 1920, SHD-GR 4-H114-005.

(55) محمد رشيد رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (10)"، مجلة **المنار**، مج 34، ج 9 (نيسان/ أبريل =

## 20 تموز/ يوليو: انتفاضة شعبية

ظهرت الطائرات الفرنسية فوق دمشق في 19 و20 تموز/ يوليو. ألقت الطائرات آلاف المنشورات التي أنكرت أن فرنسا تقوم بعمل استعماري. وبحسب تصريح غورو "إن فرنسا تسعى إلى تعزيز اهتمامها بازدهار البلاد (السورية) مع ضمان استقلال الشعب السوري، الذي تمّ الآن الاعتراف به رسميًا". وقد وُصف المؤتمر [السوري] بأن من يديرونه لم يكونوا آباء الديمقراطية بل متعصبون جاحدون. تابع الجنرال مخاطبًا السوريين: "أيها السوريون، أنتم لا تجهلون حقيقة أنّه في الشهور الستّة الأخيرة لحكومة دمشق، التي كانت تحت ضغط أقلية متطرفة، تجاوزت كل الحدود في اتّباع أعنف سياسة هجومية ضد الفرنسيين". وفي لغة مأخوذة مما نشره جان غو وروبير دو كيه اختُتمت المنشورات بتهديد المسلمين:

> بدافع من الإنسانية المعروفة عن كلّ الشعب الفرنسي، لا يوجد في نيتي أن أنفذ خططًا ضد الأهالي غير المسلحين، بشرط ألا يُقتل فرنسي أو مسيحي. أما إذا حدثت مجازر فسيتمّ الرد عليها بأعمال انتقامية من الجو[56].

على الأرض، في شوارع دمشق، انفجرت انتفاضة شعبية. بدأت هذه الانتفاضة في 19 تموز/ يوليو حين قاد الشيخ كامل القصّاب الآلاف في مظاهرة ضد قبول الإنذار. انضم إليه في مخاطبة الجماهير حبيب اسطفان، الكاهن السابق، وغيره. تضخّم الحشد وانطلقت الهتافات "يسقط فيصل!" و"يسقط الخائن!". تغنّى البعض بمدح المؤتمر الذي كان في حالة انعقاد في مكان قريب.

أرسل حاكم دمشق ياسين الهاشمي الشرطة إلى الشوارع لفضّ المتظاهرين. حتى المساء تمّ اعتقال العشرات بمن فيهم القصّاب نفسه، فيما نجح إسطفان في اللجوء إلى مصر[57].

---

= 1935)، ص710-712؛ محمد رشيد رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (7)"، مجلة **المنار** (يونيو 1934)؛ محمد رشيد رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (8)"، مجلة **المنار**، مج 34، ج 4 (آب/ أغسطس 1934)؛ محمد رشيد رضا، العبرة في سيرة الملك فيصل (9)"، مجلة **المنار** (تشرين الأول/ أكتوبر 1934).

(56) Hokayem (éd.), pp. 501-503.

(57) كوس إلى المفوض السامي، 20 تموز/ يوليو 1920، في: =

في اليوم التالي، 20 تموز/ يوليو، أُغلقت المحلات وتمرّد جنودٌ احتجاجًا على اعتقال القصّاب. وما إن حلّ الليل حتى تدفق الجنود من ثكناتهم وهم "يلوحون بأسلحتهم ويصيحون بأن الحكومة استسلمت للفرنسيين"، كما جاء في تقرير لطه الهاشمي شقيق ياسين الهاشمي. انضم الجنود إلى أعضاء جمعية العربية الفتاة، الذين أطلقوا النار من بنادقهم في الهواء لتفريق حشود المحتجين.

وفي النسخة السورية لاقتحام الباستيل في عام 1789، اقتحم المحتجون القلعة القروسطية، التي تقع على مدخل دمشق القديمة، وحرروا القصّاب وغيره من المعتقلين هناك. قاموا أيضًا بنهب الأسلحة من مخزن السجن ودعوا المواطنين إلى الدفاع عن أمتهم طالما أن الملك لا يريد ذلك. سُمع إطلاق النار في أرجاء المدينة وتسبّب في فزع السكان. وكما يتذكر دروزة فقد "باتت دمشق في رعب وفزع وغليان عظيم"[58].

كان قدري، الذي أدان طويلًا سياسة الشارع للقصّاب، شاهد عيان على المشهد: "كانت الأصوات تملأ الفضاء بسقوط الحكومة... وفي خلال هذه الفتنة كان بعض المتظاهرين يطلقون حناجرهم باتّهام فيصل بالاشتراك مع الحكومة في عملها الشائن". وقد انفصلت مجموعة "شريرة" من المظاهرة وتوجهت نحو المقرّ الملكي. انتشرت الشائعات بأنهم تآمروا على الفتك بالملك[59].

اشتبكت الشرطة ووحدات الجيش مع المنتفضين طيلة الليل. زعم شهود عيان أن الأمير زيد نفسه كان يطلق النار على المحتجين من بندقية رشاشة. أصبحت الجثث منتشرة في مركز دمشق. سمع رضا أن عدد القتلى تراوح بين

---

Hokayem (éd.), pp. 504-507; SHAT-Vincennes, Zone West Cabinet Politique: No. 1268 Daily Bulletin, = July 20, 1920, SHD-GR4-H60-001; and Cousse to "Mon Général," July 20, 1920, SHD-GR 4H-114-005-0116 and 0117;

**يوميات رشيد رضا**، 20-21 تموز/ يوليو 1920؛

Malcolm B. Russell, *The First Modern Arab State: Syria under Faisal 1918-1920* (Minneapolis: Bibliotheca Islamica, 1985), p. 185.

ملاحظة: يستخدم قدري في مذكراته الكلمة العربية "فتنة" بمعنى الحرب الأهلية.

(58) دروزة، ص 473.

(59) قدري، ص 248-249.

خمسين إلى سبعين، بينما وصل عدد الجرحى إلى مئة وخمسين. وقدّر دروزة أيضًا عدد القتلى والمصابين بمئتين[60].

في تلك الليلة سلّم فيصل العقيد كوس موافقته الخطية النهائية على شروط غورو. كان يجب أن تصل إلى الجنرال بحلول منتصف الليل (الموعد النهائي). أخذ كوس الذي كان متعاطفًا مع فيصل، الموافقة بسرعة إلى مكتب البريد.

بقي الملك ساهرًا حتى وقت متأخر، غاضبًا من العنف الحاصل واتهامه بالخيانة. صرخ "أنا لن أقبل بإهانتي!". قام حراسه بإبعاد المتظاهرين، ولم تخلد الأسرة الملكية إلى الراحة إلا في الساعات الأولى من فجر اليوم التالي.

إلا أن الدمشقيين لم يكونوا في سلام مع ملكهم. وحسب تقرير للمخابرات الفرنسية "سيطر الرعب على عائلات المسلمين. (كانوا) يجتمعون في بيوت قادة النخبة السياسية مثل عبد الرحمن باشا اليوسف والشيخ كامل القصّاب ورضا الركابي والأمير زيد".

كان غورو يسعده بالطبع أن يعرف عن الاضطراب في دمشق، كان يسعده بالتأكيد أن يعرف أن النخبة المتكيّفة يمكن أن تسهّل الاحتلال الفرنسي. لم يكن الحزب الوطني السوري بقيادة اليوسف "معاديًا" للسيطرة الإدارية الفرنسية. كان الحزب يرى أن القيادة الفرنسية ستكون مناسبة لمصلحة الأعمال والتجارة، كما جاء في تقرير للمخابرات [الفرنسية]. لقد تمكّنت قيادة الحزب من إجبار فيصل على القبول بفرنسا بواسطة إحجامها عن المشاركة في القرض الوطني [لمصلحة الجيش] ورفضها تقديم الخيول للجيش[61].

---

(60) رضا، "حقائق واضحة حول المسألة العربية"، ص 469؛

Allawi, pp. 288-289,

نقلا عن: طه الهاشمي، **مذكرات طه الهاشمي** 1919-1943 (بيروت: دار الطليعة، 1967)، ص 61-62؛

Tauber, p. 78.

(61) SHAT-Vincennes, Zone West Cabinet Politique: No. 1266 Daily Bulletin, July 21, 1920, SHD-GR4-H60-001.

في 20 تموز/ يوليو، أي قبل أيام من وصول الجيش الفرنسي، كان المجتمع السياسي في دمشق متشظّيًا. فقد أيّد البطاركة المسيحيون الانتداب الآن علنًا، بعد أن كانوا قد مدحوا فيصل خلال تتويجه في آذار/ مارس. كما أن القوميين الذين حاربوا إلى جانب فيصل في الثورة العربية انقلبوا عليه الآن. أما المواطنون العاديون الذين انضموا في السابق للمشاركة في العملية الديمقراطية، أصبحوا الآن مشحونين بسياسة الشارع العنيفة للقصاب. وفي الرد على ذلك أصبحت النخبة المحافظة، التي شاركت في النقاش البنّاء في المؤتمر، تؤيد الآن فضّ المؤتمر.

كان هجوم المنتفضين على سجن القلعة محاولة يائسة للدفاع عن الديمقراطية السورية ضد ملك مستبد حلّ المؤتمر. فحتى الأتراك الجدد، الذين شنقوا نخبة السوريين خلال الحرب، لم يقوموا بإطلاق النار على المواطنين العاديين في شوارع دمشق. ولكن على عكس الجمهور الغاضب الذي هاجم سجن الباستيل فإن الجمهور الغاضب واجه جيشًا أجنبيًا مستعدًا للإطاحة بكلّ النظام.

# الفصل السابع عشر

## ميسلون: الموقف الأخير للدولة العربية

في صباح الأربعاء 1 تموز/ يوليو صحا فيصل على التقارير التي تفيد بأن قوات فرنسية تحرّكت نحو مجدل عنجر في طريقها نحو العاصمة. وبسبب تسريح الجيش السوري لم تجد القوات [الفرنسية] أي مقاومة[1].

استدعى فيصل العقيد كوس، الذي بدا مذهولًا تمامًا. أقسم العقيد أنه أرسل البرقية التي تضمّنت قبول إنذار غورو بعيد الساعة السادسة من الأمسية السابقة.

سارع كوس وبعض ضباط فيصل إلى سيارة وانطلقوا بها إلى طريق بيروت. التقوا في الطريق بالجنرال غوابيه في طريقه نحو دمشق. كان جنوده، ومعظمهم أفريقيون، يموتون من العطش تحت شمس حارقة. سأل كوس الشاحب بتأثر: "ماذا تفعلون سيدي الجنرال؟ لقد قمتم بغزو الأراضي الشريفية مع أن الأمير (كذا) فيصل قبِل كلّ مطالب المفوض السامي!". تجاوزه غوابيه وهو يقول: "أنا أنفذ أمرًا عسكريًا واضحًا. ابحث في الخلف عن الأمور الدبلوماسية". سارع كوس بسيارته نحو مقرّ القيادة الجبلية لغورو في عاليه[2].

عاد كوس إلى مقرّ فيصل بعد الظهر. أوضح ما حدث: "تأخّر وصول البرقية

---

(1) Abu Khaldun Sati al-Husri, *The Day of Maysalun* (Washington, DC: Middle East Institute, 1966), p. 64.

(2) M. Goybet (Général), *De Beyrouth à Damas: Carnet de campagne du Général M. Goybet* (Savoie, 1922), pp. 23-24.

التي تفيد بقبول شروط الإنذار إلى غورو لأن خطوط البرق قُطعت في منطقة سرغايا. أمر الجنرال [القوات] بالتقدم قبل أن تصله البرقية"[3]. كشف التحقيق لاحقًا أنّ البرقية وصلت بعيد مغادرة القوات الفرنسية معسكرها. قال النقاد إنه كان على غورو أن يتأكد من حصول الاتصال قبل أن يأمر [القوات] بالتحرّك[4].

اعتبر السوريون التقدّم [الفرنسي] الإجهاضي خطوة أخرى نحو إذلالهم وحرمانهم من الحقوق التي يتمتّع بها الأعضاء الكاملون - أي البيض والأوروبيون - في أسرة الدول. أطلق الإحباط العنان للغرائز الدنيا للسوريين. رفع المحتجون شعارات ضد الغالبية الأفريقية في جيش المشرق [الفرنسي]: "في إمكاننا أن نسحق قلّة من الزنوج!"[5].

حاول فيصل خلال يومين أن يستردّ بعض الكرامة. وفي حين أن العظمة أعاد حشد الجيش، أبرق فيصل إلى غورو كي يوقف قواته: "إنّ هذا، سيدي الجنرال، انتهاك للكلمة التي أُعطيتم إياها، وعمل ضد حقوق الإنسان والأخلاقية الدولية"[6]. أرسل ساطع الحصري للتباحث مع غورو وجهًا لوجه. مرّت ساعات مؤلمة لأن وصول الحصري تأخّر بسبب الأعمال العسكرية الفرنسية.

عاد الحصري متأخرًا في ليلة 22 تموز/ يوليو وأخبر أن غورو اعترف بأن البرقية كانت قد أُرسلت حين أمر الجيش بالتحرّك. وافق الجنرال على تأجيل جديد لمدة 24 ساعة ولكن بشرط جديد: إقامة بعثة فرنسية دائمة في دمشق. كان فيصل يصغي بوجه مرهق من دون أي تعليق.

في صباح اليوم التالي، الجمعة 23 تموز/ يوليو، اجتمعت حكومة الأتاسي لآخر مرة لمناقشة الشرط الجديد لغورو. كان الوزراء مستائين من طلب إقامة بعثة

---

(3) al-Husri, pp. 64-65.

(4) أحمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** (دمشق: ابن زيدون، 1956)، ص 248.

(5) SHAT-Vincennes, Cousse to Gouraud, Renseignements No. 690, July 12, 1920, SHD-GR4-H114-004.

(6) SHAT-Vincennes, "Feissal" to Général Commandant en Chef Armée Levant, July 22, 1920, SHDGR 4-H114-005-0108.

فرنسية دائمة في دمشق، لكونه ينتهك الاستقلال المؤقت الذي وعدت به عصبة [الأمم].

قطع كوس الاجتماع كي يسلّم برقية أخرى من غورو مع شرط آخر: السماح للجيش الفرنسي العطش أن يتقدّم إلى القاعدة السورية في خان ميسلون، حيث توجد هناك آبار ماء غزيرة. وكما يورد الحصري في مذكراته: "إن الجنرال غورو كان يريد بطلبه هذا إيصال جيوشه إلى مسافة خمسة وعشرين كيلومترًا من دمشق في انتظار وسيلة جديدة لطلب جديد يوصل الجيوش المذكورة إلى قلب العاصمة نفسها"[7].

انتهى هناك كُلّ النقاش حول قبول الشروط. سارع الحصري إلى حثّ القناصل الأجانب على دق ناقوس الخطر. كانت هذه آخر مناشدة للرأي العالمي الليبرالي. وافق الإيطاليون فقط على نشر الخبر حول الغزو غير الشرعي لفرنسا. بقيت الصحافة الفرنسية صامتة. أما في بريطانيا فقد نشر لورنس وعدد قليل من الصحافيين احتجاجات، ولكن وزارة الحربية ولويد جورج حافظا على صمتهما[8].

انتشرت الدعوة إلى القتال في أرجاء دمشق[9]. حضر فيصل مرة أخرى صلاة الجمعة في الجامع الأموي. في هذه المرة حثّ المواطنين على القتال لأجل دينهم ودولتهم. أما رشيد رضا، وعلى العكس من ذلك، فقد رفض الدعوات كي يخطب ويحثّ على الجهاد. كتب في يومياته: "لا أريد أن أخدع أحدًا". كان الوقت متأخرًا لتجهيز دفاع موثوق. لم يكن في وسعه أن يحثّ بضمير حي المواطنين على القتال في حرب يمكن أن تجلب لهم الدمار فقط[10].

---

(7) al-Husri, pp. 65-76.

الاقتباس في ص 76.

(8) T. E. Lawrence, "Letter to the Editor," *The Times*, 22/7/1920;

الجنرال بانوس إلى وزارة الحرب، 30 تموز/ يوليو 1920، في:
Antoine Hokayem (éd.), *Documents diplomatiques français relatifs à l'histoire du Liban et de la Syrie à l'époque du mandat: 1914-1945*, vol. 2 (Paris: l'Harmattan, 2003), pp. 555-557.

(9) أعيد نشر دعوات فيصل للحرب في: أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى** (دمشق: دار رسلان، 2015)، ج 2، ص 191-193.

(10) **يوميات رشيد رضا**، 23 تموز/ يوليو 1920، كما وردت في:
= Umar Ryad, "Like a Mill Donkey: Western Politics in the Aftermath of WWI," Paper given at the

في غضون ذلك تدافع الآلاف للحصول على السلاح وتأمين وسيلة نقل إلى الجبهة. أصبح الدفاع الوطني يأخذ بشكل متزايد طابعًا طائفيًا ليشتّت أكثر السياسة الليبرالية والاحتوائية التي روّج لها طويلًا فيصل والمؤتمر. تجمّع المسيحيون واليهود في بيوتهم بعد أن وصلتهم تهديدات بالموت من "العين الساهرة". وفي حين أن بعض الجماعات المسلمة حمت الأحياء المسيحية واليهودية، استمرّ رجال الدين المسلمون في حشد أتباعهم للقتال.

قاد الشيخ كامل القصّاب حشدًا صاخبًا إلى المقرّ الملكي. قام فيصل الآن بمدّ يده لمعارضه: "لقد نزلتُ أنا وحكومتي عند الرغبة التي طالما ناديتم بها لمقابلة العدوان بالقوة... فهيّا أرنا عملك الآن". مدّ القصّاب يده للملك وتعهد قائلًا: "ما دمتَ قد قرّرت الدفاع فأنا أعدك بتجنيد عشرة آلاف حامل بندقية هذا المساء"[11].

شاركت النساء أيضًا في الحشد [للقتال]. منح فيصل نازك العابد، الزعيمة النسائية، رتبة شرف في قسم الصحة بوزارة الحربية لتنظيم كتيبة ممرضات باسم "الهلال الأحمر". ولأجل ما قدّمته من خدمات فقد أطلق عليها لاحقًا: "جان دارك سوريا"[12].

عاد كوس إلى مقرّ فيصل عند الغروب لمعرفة جوابه على شرط غورو الجديد. لم يكن هناك أحد. كانت الحكومة قد أكّدت فقط تلبية الإنذار الأصلي في 14 تموز/ يوليو. في هذه المرة كان الاتصال مع غورو سهلًا. اتصل تولا هاتفيًا ببساطة مع الجنرال وقال له إن الجواب كان "لا". وكإجراء جيد له أضاف غورو

= Conference "Human Catastrophe Then and Now," American University of Beirut, 1 June 2016;
محمد رشيد رضا، "حقائق واضحة حول المسألة العربية: مقالة تاريخية"، مجلة **المنار**، 22 (حزيران/ يونيو 1921)، ص 471.

(11) al-Husri, p. 77;
أحمد قدري، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** (دمشق: ابن زيدون، 1956)، ص 251.

(12) جرجي باز، **نازك عابد** (بيروت: مطبعة السلام، 1927)، ص10-11
Nadia Muhanna, "Behind the Legends, Naziq al-Abed," accessed on 21/4/2019, at: https://bit.ly/3t25VsT

تبريرًا آخر للغزو: لقد تعرّضت فرنسا لاستفزاز بهجوم مفاجئ من 200 شريفي في تل كلخ قرب حمص[13].

بعد العشاء جاء العظمة إلى المقرّ الملكي ليودّع الملك. وخلال مغادرته انتحى بالحصري جانبًا وأوصاه بالعناية بزوجته وابنته. كان لدى الحصري إحساس مروّع بأن وزير الحربية لن يعود [حيًا].

## 24 تموز/ يوليو: يوم ميسلون

قبل الفجر، استعرض الجنرال غوابيه كُلّ قواته المؤلفة من تسعة آلاف: الرماة الجزائريون في المقدمة، وإلى الشمال عدة كتائب سنغالية وسرية دبابات وكتيبة من الفرسان المغاربة. مع شعاع الضوء نُفذت خطط الاستطلاع الجوي، ثم انطلقت ثلاثة أسراب من قاذفات القنابل. وكما كتب غوابيه لاحقًا في مذكرة وزّعتها وزارة الحرب الفرنسية: "مع طلوع الشمس اتّجهت كلّ الأنظار نحو الشرق، حيث في واحتها الغناء تنهض دمشق المقدسة، دمشق الغامضة، التي حلمنا بها لأيام عديدة".

لم يكن لدى غوابيه شكّ في صوابية مهمته. ففي وثيقة نشرتها وزارة الدفاع الفرنسية في عام 1922 روى غوابيه قصة المعركة كحكاية سحرية في مسرح تتداخل فيه الأشكال الشفافة مثل ألوان مائية حسّاسة. كان الجنود يقاتلون عبر الجبال والوديان حتى تلال جبال لبنان الشرقية. سمعوا فجأة صوت "تك، تك، تك" لبنادق رشاشة تأتي من بيت مدمّر كان يختبئ فيه السوريون[14].

خلف غوابيه، على طول الحدود السورية، كان يقف جيش المشرق. كان هذا الجيش المكوّن في السابق من 32 كتيبة يضمّ الآن 52 كتيبة مشاة وثلاث سرايا دبابات و22 بطارية مدفعية وتسعين طائرة. أما عدد القوات المرابطة في كيليكيا وسوريا معًا فقد أصبح أكثر من 80 ألفًا[15].

---

(13) Goybet, p. 27;

من غورو إلى ميلران 24 تموز/ يوليو 1920، في:

Hokayem (éd.), p. 529.

(14) Goybet, pp. 30-37.

(15) من غورو إلى ميلران، 9 تموز/ يوليو 1920، في:

=

اندفعت قوات الفرقة الثالثة لغوابيه باتجاه خان ميسلون، وهي قرية تبعد 20 ميلًا عن دمشق. قبل التاسعة اخترقت الخنادق الدفاعية واشتبكت بقوة مع القوات السورية.

كان السوريون قد جمعوا بالكاد نصف عدد القوات الفرنسية، حوالى أربعة آلاف، بينما لم يظهر العشرة آلاف متطوع الذين يتبعون القصّاب. كان السوريون يفتقدون أيضًا إلى الطائرات والدبابات[16]. وعندما وصل الفرنسيون إلى أول قمة، جرى الانسحاب بسرعة من الجبهة السورية، ثم تبعه الانسحاب فورًا من خط الدفاع الثاني.

عند الظهر انتهت المعركة، كان يوسف العظمة ملقىً ميتًا في مركز قيادته. تخلّى المتطوعون السوريون عن المدافع والبنادق الرشاشة وهم يحاولون تجنّب قصف الطائرات. كانت الساحة منثورة بالجثث. حوالى العصر تجمّعت بقايا الجيش السوري إلى الجنوب من دمشق بعشرة أميال. خسر الفرنسيون 42 عسكريًا بينما خسر السوريون أكثر من 1200. قبل ذلك كانت القوات الفرنسية قد احتلت حلب، واستسلمت حمص وحماة من دون مقاومة في 28 تموز/ يوليو. أرسل غورو تهانيه إلى غوابيه وقواته واعدًا بأن أسماءهم ستكون "مسطّرة في صفحة المجد لتاريخ فرنسا وسوريا"[17].

بدأ فيصل بمشاهدة المعركة من خط الدفاع الثاني. ولكنه سرعان ما اضطر إلى البحث عن ملجأ من الهجوم المباغت للطائرات الفرنسية. ظهر سائق العظمة ليخبره أن وزير الحربية استشهد. ومع الشعور بالرغبة في قيادة التقدّم نحو ساحة المعركة، قرّر فيصل أنه لا بدّ من الانسحاب. توقّف عند بيت الأمير زيد في غرب دمشق، وأرسل قدري إلى المدينة كي يخبر الوزراء ورئيس البلدية بالهزيمة[18].

---

Hokayem (éd.), pp. 457-460; Général (CR) du Hays, *Les Armées françaises au Levant, 1919-1939,* vol. 2 = (Paris: Ministère de la Défense, État-Major de l'Armée de Terre, Service Historique, 1978), pp. 93-97.

(16) أخذتُ هنا بإحصاء تاوبر Tauber الذي يستند إلى سبر التقديرات حول عدد القوات والوفيات، التي تتفاوت كثيرًا:

Eliezer Tauber, *The Formation of Modern Syria and Iraq* (London: Frank Cass, 1995), pp. 217-218.

(17) Gouraud, "General Order no. 22," dans: Goybet, p. 48.

(18) قدري، ص 263-264.

لم يعد جيش الثورة العربية كما كان عليه من بسالة. كانت فرنسا وبريطانيا قد عملتا على تفكيكه في عام 1919 من خلال سيطرتهما على الموانئ والطرق وحرمانه من شحنات الأسلحة، كما قطعتا عنه الإعانات المالية. وبسبب الضغط الأجنبي المتواصل، لم تتمكن الحكومة قط من أن تنعم بالاستقرار اللازم لتقدير الضرائب ووضع خطط للمعركة[19].

وكما جاء في مذكرات دروزة الذي قضى الليلتين الأخيرتين في وزارة الحربية لتقديم المساعدة: "لم تلبث أخبار الكَسْرة المتوقعة أن انتشرت، والباقون أحياء من الجنود أخذوا يعودون إلى دمشق في حالة محزنة، فسادَ الهرج والاضطراب"[20]. وزّع قادة جمعية العربية الفتاة على أعضائها النقود لأجل السفر. أخذ دروزة أربعين جنيهًا ترك نصفها في البيت مضيفًا: "ركبتُ القطار مع حقيبة ثياب مع الراكبين إلى درعا"[21].

كانت محطة الحجاز مليئة بالقوميين الخائفين الهاربين من العقاب الفرنسي. اجتمع الحصري برئيس الوزراء الأتاسي هناك. خطّط الاثنان لإنشاء حكومة مؤقتة في الكسوة، التي تبعد 12 ميلًا إلى الجنوب من دمشق. أما الناشطون الآخرون، مثل دروزة، فذهبوا أبعد نحو الجنوب إلى درعا، حيث يمكن تنظيم مقاومة عسكرية. قرّر رشيد رضا ألا ينضم إليهم. كان لا يزال يأمل، كما أخبر قدري، في تحرّك ضمير العالم المتمدن بالاستناد إلى أن الفرنسيين انتهكوا حقوق البلاد[22].

رافق العقيد كوس الجنرال نوري السعيد إلى ميسلون. في الساعة الرابعة

---

(19) al-Husri, pp. 53-54; Malcolm B. Russell, *The First Modern Arab State: Syria under Faisal 1918-1920* (Minneapolis: Bibliotheca Islamica, 1985), pp. 189-190; Ali A. Allawi, *Faisal I of Iraq* (New Haven: Yale University Press, 2014), p. 291.

(20) محمد عزة دروزة، **مذكرات محمد عزة دروزة 1887-1984** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، ج 1، ص 480.

(21) دروزة، ص 481-482.

(22) al-Husri, pp. 79-80;

قدري، ص 265-266؛ **يوميات رشيد رضا**، 24 تموز/ يوليو 1920، كما وردت في:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

والنصف بعد الظهر اجتمعا مع الجنرال غوابيه للتباحث حول الشروط. طلب الجنرال فورًا الطعام لقواته، بينما سينتظر حتى الغد ليقود قواته نحو المدينة.

عند الغروب غادر فيصل نحو الكسوة، من حيث انطلق لدخوله الانتصاري إلى دمشق قبل 21 شهرًا. وفي انتظار جواب من نوري السعيد رفض الملك المهزوم أي نقاش. وكما يتذكر دروزة عن فيصل: "رأيته جالسًا قرب قطاره وحوله حاشيته حزينًا كئيبًا"[23].

## الاحتلال الفرنسي لدمشق

في صباح اليوم التالي عيّن فيصل وزيرَ الداخلية المؤيد لفرنسا علاء الدين الدروبي رئيسًا جديدًا للوزراء. ضمّت الحكومة زعيم الحزب الوطني السوري عبد الرحمن اليوسف ووزيرين مسيحيين كانا في حكومة الأتاسي: فارس الخوري ويوسف الحكيم. كان فيصل يأمل في أن يشجع وجود المسيحيين في الحكومة الجديدة فرنسا على أن تحتفظ به على رأس الدولة[24].

في عصر 25 تموز/يوليو تحرّك الجيش الفرنسي نحو دمشق مع الفرسان المغاربة في الطليعة. هرع الأطفال إلى الشوارع ليشاهدوا باندهاش الدبابات. حيّا بعض الأوروبيين [القوات] من على شرفة فندق فيكتوريا، حيث أقام رضا في البداية قبل عام تقريبًا. أما الآن فقد نزلت فيه القيادة الفرنسية.

دار الجنرال غوابيه على رأس الاستعراض حول ساحة المرجة ثم توجّه شمالًا متجاوزًا المستشفيات والقنصليات نحو مقرّ فيصل وجبل قاسيون، من حيث شاهد الإمبراطور الألماني فيلهلم الثاني المدينة قبل 22 سنة. توقف غوابيه ليتمتع بالمنظر مستذكرًا في ما بعد: "من المستحيل الاعتقاد أنه كانت هناك معركة دامية قبل يوم".

على العشاء تسلّم غوابيه طلبَ فيصل للعودة إلى المدينة. كان فيصل استكتب

---

(23) دروزة، ص 481.

(24) al-Husri, pp. 79-80; Allawi, pp. 291-292.

عبد الهادي مذكرة بالفرنسية مذكّرًا الجنرال أنه حاول تجنّب الحرب. كان فيصل يرى أنه من الأفضل التعاون من أن يترك سوريا كليًا للفرنسيين. وكان نوري السعيد وكوس قد نقلا إليه الانطباع بأن فرنسا يمكن أن تتركه في الحكم[25].

أجاب غوابيه "لا أرى مشكلة في تركه يقضي الليلة الأخيرة في دمشق". كان من الأفضل أن يترك فيصل قريبًا منه في حال طلب منه غورو أن يأخذه سجينًا إلى بيروت[26]. أنهى غوابيه تناول العشاء وتوجّه إلى بيت الأمير زيد للنوم هناك.

حين عاد فيصل إلى مقرّه تلك الليلة اكتشف أن غوابيه يخطّط لعزله عن العرش في الصباح.

في احتفال هادئ في المفوضية الفرنسية في الصباح الباكر من 26 تموز/ يوليو أعلن غوابيه نهاية "النظام "الشريفي": "إنّ الأمير فيصل قد أوصل بلاده إلى قيد أصبعين من الهلاك، وإن مسؤوليته في الاضطرابات الدموية التي وقعت في سوريا منذ شهرين أعظم وأوضح من أن تسوّغ له المثابرة في الحكم". فرض غوابيه غرامة قدرها 200 ألف دينار (10 ملايين فرنك فرنسي) على السكان بسبب الهجمات على المنطقة الغربية. وعد الجنرال أن الأموال ستُمنح للعائلات المنكوبة بالخراب والقتل. كما وعد غوابيه بمعاقبة "رؤساء العصابات"، وأن يتمّ تحويل الجيش السوري إلى "قوة ضابطة" أو جندرمة[27].

بعد ذلك بدقائق أمر الجنرال غورو فيصلَ أن يغادر سوريا[28].

قضى فيصل الليلة الأخيرة في دمشق 27 تموز/ يوليو وهو يستقبل الزوار. جاء الأعيان والناشطون الشباب لتوديعه. طلب من كلّ واحد التوقيع على عريضة إلى دول الحلفاء للمطالبة ببقائه زعيمًا لسوريا لأنه انتُخب بحرية من قبل الشعب.

---

(25) عوني عبد الهادي، **مذكرات عوني عبد الهادي**، تحقيق خيرية قاسمية (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002)، ص 100.

(26) Goybet, pp. 40-45; SHAT-Vincennes, "État-Major, L'Occupation de Damas par l'Armée du Levant," SHDGR-$ -H246-009/0046-52.

(27) Goybet, pp. 45-46.

(28) تعليمات الجنرال غورو إلى العقيد تولا، 26 تموز/ يوليو 1920، في:
Hokayem (éd.), p. 538.

استمرّ في الدفاع عن قراره بالتفاوض مع الفرنسيين. كان يسعى فقط إلى إنقاذ البلاد، على عكس الخديوي توفيق سيئ السمعة، الذي باع المصريين للاحتلال البريطاني في عام 1882. أوضح فيصل ذلك قائلًا: "عندما عاينت الخطر بأم عيني أشرتُ بضرورة اتّباع سياسة الاعتدال والحكمة"[29]. كان من الواضح أن فيصل لم يكن يعرف أن الفرنسيين كانوا يخطّطون لإبعاده منذ شهور.

وعلى الرغم من العلاقات الباردة بينهما قرّر رضا أيضًا أن يأتي لتوديع الملك. وصل بعد العاشرة ليلًا ليجد رجال الشرطة في كل مكان بالقصر لحماية الأثاث من اللصوص كما يبدو، ولكن على الأغلب لحماية فيصل.

تحادث رئيس المؤتمر والملك حوالى ساعة. كان الملك مرتاحًا بشكل ملحوظ، بل إنه، كما كتب رضا، ابتسم لأول مرة منذ أسبوعين. ذكّر رضا بأن الخسائر الجسيمة التي عانت منها سوريا كانت بسبب التخطيط الضعيف لحكومته. جفل فيصل ولكنه أقسم بأنه سيتابع النضال حتى النصر أو الموت. لم يستطع رضا أن يمسك لسانه. فقد أدّت مفاوضاته الغبية مع الفرنسيين إلى تبديد الفرصة الوحيدة التي كانت لسوريا بالاستقلال. قال له رضا قبل أن يغادر: "ليس في يدك شيء"[30].

لم يلتق الملك والشيخ بعد ذلك قط.

## نفي فيصل

قبل منتصف الليل أوصل العقيد تولا فيصل وعبد الهادي إلى محطة سكة الحجاز. قابلا هناك الحصري والدكتور قدري والمرافق العسكري تحسين قدري وغيرهم من رجال الحاشية. جاء كوس لتوديعهم إلى جانب بضعة أشخاص[31].

---

(29) قدري، ص 273؛ تولا إلى غورو، 28 تموز/يوليو 1920، في:
Hokayem (éd.), pp. 548-549.

(30) **يوميات رشيد رضا**، 18 تموز/يوليو 1920، كما وردت في:
Ryad, "Like a Mill Donkey";
رضا، "حقائق واضحة حول المسألة العربية"، ص 470.

(31) تولا إلى غورو، 30 تموز/يوليو 1920، في:
Hokayem (éd.), p. 558.

عندما همّا بركوب القطار سلّم عبد الهادي تولا رسالتين من فيصل. كانت الأولى تعلن أن كلّ إجراءات غورو "باطلة وغير شرعية أمام عصبة الأمم". وكانت الثانية أيضًا تعلن أن نفي فيصل غير شرعي في القانون الدولي. كانت فرنسا ترمي العالم إلى الوراء، إلى عصر البربرية، ولذلك حذّر فيصل:

> لو كانت الشعوب تعيش اليوم كما كانت في القرون الوسطى، يوم كان الحق للقوة وكان السيف هو الحكم في الاختلافات، لكان تصرّفكم متطابقًا مع القانون القائم. ولكن الحرب العظمى وقد خضنا غمارها إلى جانب الحلفاء لنفوز باستقلالنا، قد بلغت غايتها بإقرار مبدأ الحق وسحق الروح العسكرية... فالقوة العسكرية الفرنسية التي احتلّت المنطقة الشرقية إنما تمثل الاحتلال ويجب أن يغيّر ذلك.

سلّم تولا المذكرتين إلى غورو مع ملاحظة ساخرة: "من الواضح أنها من صياغة عبد الهادي. لا يحتاج الأمر إلى تعليق"[32]. ومرة أخرى طارت كلمات فيصل في الهواء.

عندما غادر القطار المحطة "كانت السماء تبدو حمراء بسبب حريق اندلع في المدينة"، كما يتذكر الحصري. في درعا انضموا إلى القوميين في المقرّ المؤقت للحكومة. وكما يتذكر أسعد داغر، القومي المسيحي من الساحل اللبناني: "نزل الملك من القطار وكان رابط الجأش وابتسامته المعهودة لم تفارق ثغره، ولكنها كانت تشفّ عن كثير من الألم. فذهبنا معه إلى مقهى المحطة، حيث تناولنا الطعام في صمت عميق كانت تتخلّله مداعباته اللطيفة"[33]. وكما يتذكر دروزة "كان الملك وحاشيته ينامون ويأكلون في عربة القطار"، حيث عقدوا هناك عدة اجتماعات حول الاستراتيجية [الجديدة] في تلك العربة.

كانت درعا مفترق طرق. كان في وسع فيصل أن يسافر جنوبًا إلى عمان لينظّم

---

(32) عبد الهادي، ص 100-101؛
MAE-Courneuve, Toulat to HC, Aley, and Faisal to General Gouraud, July 28, 1920, PAAP 399, Carton 134.

(33) Allawi, p. 293.

هناك ثورة مسلحة، أو أن يسافر بالقطار شرقًا إلى ميناء حيفا في فلسطين البريطانية، كي يفتح معركة دبلوماسية في أوروبا. كان مقيّد الحركة بسبب نقص المال، حيث لم يحمل معه شيئًا من دمشق[34]. استدعى فيصل الزعماء المحليين، كما فعل في درعا في أيلول/ سبتمبر 1918 خلال تقدّمه شمالًا نحو دمشق. ولكنه هذه المرة شعر أن زعماء العشائر المحليين وزعماء الريف لن يشاركوا في القتال. ولذلك كتب إلى والده "اضطررتُ حينئذ للمطالبة بحقوقنا في جبهة الاجتماعات السرية الدولية"[35].

في اليوم الثالث لوجود فيصل في معسكر درعا ظهرت طائرات فرنسية في السماء. ألقت الطائرات نسخًا من أمر الدروبي لفيصل وحاشيته بمغادرة سوريا. وفي حالة الرفض فإن الطائرات ستقصف القرى القريبة. قرّر فيصل أن الوقت قد حان ليأخذ القطار إلى حيفا[36].

في 1 آب/ أغسطس 1920 ودّع الرجال الذين بنوا المملكة العربية السورية الحاضرين في البلدة الصغيرة، التي انطلقوا منها لفتح سوريا. من درعا تشتّت هؤلاء في أرجاء الشرق الأوسط ليتابعوا نضالهم السياسي في الدول التي أصبحت تحت الانتداب مثل العراق والأردن وفلسطين، وفي الحجاز ومصر، وحتى في سوريا ولبنان التي عادوا إليها.

## محو المملكة العربية السورية

في 29 تموز/ يوليو أمَرَ ميلران بالاستيلاء الكامل على دمشق: "يجب أن يختفي كل أثر لحكم فيصل المرتجَل وغير الشرعي". حذّر دو كيه ميلران وغورو من أن السوريين يمكن أن يتحدّوا فرنسا في عصبة الأمم[37]. قام الجنرال غوابيه بحصار وتأمين كلّ المباني الحكومية بما في ذلك قاعات المؤتمر [السوري]. أمر غورو

(34) al-Husri, pp. 82-83.

(35) Allawi, p. 300.

(36) دروزة، ص 483؛
Allawi, p. 294.

(37) MAE-Courneuve, de Caix to Gouraud, July 17/21, 1920, 399 PAAP/142

أيضًا بمصادرة كل الممتلكات العائدة إلى فيصل وأخيه زيد. وعندما علم غورو بالسماح لفيصل بالعودة إلى مقرّه أنّب تولا بغضب[38].

في ذلك اليوم رتّب غورو فصل كُلٍّ من تولا وكوس ليزيد في سرور دو كيه. في نهاية الشهر أصبحت المفوضية الفرنسية في دمشق بيد جورج كاترو (Georges Catroux)، أحد قدامى الإداريين الاستعماريين الذي لم يكن متعاطفًا كثيرًا مع "الشريفيين"، أو مع المادة 22 التي تعترف بالاستقلال المؤقت. كانت أول مهمة له اعتقال ثمانين من كبار ضباط فيصل وإخضاع الثورة التي اندلعت قرب درعا[39].

لم يرد اسم رشيد رضا ضمن القائمة السوداء الفرنسية، ربما لأنه لم يظهر كثيرًا خلال أزمة تموز/يوليو، وحتى إنه كان في مساء 31 تموز/يوليو على مائدة العشاء مع رئيس الوزراء الجديد الدروبي. ناقش الاثنان الحاجة إلى الإصرار على حق سوريا في الحفاظ على جيشها. ولكن رضا سرعان ما أدرك أنه لم يعد في وسعه أن يفعل شيئًا للاستقلال السوري. انتقل بهدوء إلى بيت في ضواحي المدينة في انتظار تأشيرة خروج[40]. ومثله أيضًا أفلت من الاعتقال هاشم الأتاسي الرزين، الذي انسحب عائدًا إلى أملاك أسرته في حمص.

بدأ غورو في تطبيق خطط دو كيه لتقسيم سوريا إلى كانتونات. حدّد بوضوح الدول على أساس طائفي: "واحدة بغالبية مسيحية واثنتان بغالبية مسلمة"[41]. أصرّ ميلران على ألا تبقى دولة سورية كبيرة. وهكذا فصل غورو وادي البقاع عن سوريا

---

(38) MAE-Nantes, Millerand to Commandant Armée du Levant, July 29, 1920, Carton 2358; and "Directives," orders to Goybet, July 24, 1920, Carton 2371; Gouraud for Goybet, in: Hokayem (éd.), p. 534; MAE-Courneuve, Gouraud to Toulat, July 29, 1920, PAAP 399 Carton 178, folder "Déroulement."

(39) Gouraud to Department, July 29, 1920, and Gouraud to Millerand, July 29, 1920, in: Hokayem (éd.), pp. 552-554; Catroux (Général), *Deux missions en Moyen Orient* (Paris: Plon, 1958), pp. 30-34, 86-88.

(40) **يوميات رشيد رضا**، 31 تموز/يوليو و2 آب/أغسطس 1920، كما وردت في:
Ryad, "Like a Mill Donkey."

(41) Gouraud to Millerand and Millerand to Gouraud, August 2, 1920; Gouraud to Millerand, August 3, 1920; Millerand to Gouraud, August 6, 1920; Gouraud to Millerand, August 7, 1920, in Hokayem (éd.), pp. 567-569, 571-572, 574-576, 581-589; Gérard D. Khoury, *La France et l'Orient arabe: Naissance du Liban moderne, 1914-1920* (Paris: Albin Michel, 2009), pp. 395-396.

وألحقه بلبنان إلى جانب المدينة الساحلية طرابلس. أما شمال سوريا فقد قُسّم بين دولة حلب ودولة للعلويين في الساحل، شمال لبنان. حكم كاترو كيانًا منكمشًا باسم دولة دمشق، وبدأ مفاوضات لأجل دولة درزية إلى الجنوب منها.

في 5 آب/ أغسطس رفضت عصبة الأمم طلب الشريف حسين لحماية حقوق المسؤولين السوريين الذين انتُخبوا بشكل شرعي، وهو الأمر الذي تأسّست لأجله العصبة. كان السكرتير العام الأول للعصبة السير إريك دروموند، المستشار السابق لبلفور، الذي كان يشارك آراء رئيسه المعادية للولسونية. ردّ دروموند بأنّ العصبة لا يحق لها أن تتدخّل لأن سوريا لا تزال جزءًا من الإمبراطورية العثمانية، أي إنها من الناحية التقنية منطقة حرب، ولذلك لا تشملها عصبة الأمم: "إن عصبة الأمم قد وُجدت للحفاظ على السلام بعد أن تأسّست بواسطة المعاهدات، ولذلك لا يمكن لأحد أن يطلب منها التدخل في أقطار لا يتحقق فيها مثل هذا الشرط"[42].

عمليًا كانت رسالة دروموند في 5 آب/ أغسطس تعني إلغاء وجود المملكة العربية السورية. فحسب العصبة كان يوجد في سوريا فقط نظام عسكري مؤقت للحلفاء منذ تشرين الأول/ أكتوبر 1918. كان زَعْم دروموند مثيرًا جدًا للجدل. ففي أي معنى مفهوم بشكل عام، لم تكن سوريا تنتمي إلى الإمبراطورية العثمانية. والمادة 22 من ميثاق العصبة، التي دخلت في القانون الدولي في كانون الثاني/ يناير 1920، اعترفت مؤقتًا بسوريا دولة مستقلة تحت الانتداب. وعلى هذا الأساس منح [مؤتمر] سان ريمو فرنسا الانتداب على سوريا تحت رعاية العصبة. وبالاستناد إلى هذه الرعاية أصرّ رئيس الوزراء ميلران على الحق باحتلال المنطقة الداخلية. كان يمكن بالمعنى القانوني الضيّق لدروموند أن يزعم أن العصبة لا تتمتع بولاية [على سوريا] إلا بعد التسوية السلمية القانونية، معاهدة سيفر (Sèvres)، التي كان سيتمّ التوقيع عليها خلال الأسابيع التالية[43].

---

(42) Eric Drummond, Secretary-General of the League of Nations, to Hussein, King of Hijaz, August 5, 1920, in: Hokayem (éd.), pp. 578-579; Susan Pedersen, *The Guardians: The League of Nations and the Crisis of Empire* (New York: Oxford University Press, 2015), pp. 46-55; Andrew Patrick, "Woodrow Wilson, the Ottomans, and World War I," *Diplomatic History*, vol. 42, no. 5 (November 2018), p. 905.

(43) أوضحت المادتان (27) و(94) من معاهدة سيفر الحدود التركية-السورية واعترفتا بالاستقلال =

في اليوم ذاته اعترف لويد جورج لوودرو ولسون: "سوريا لا تزال في فوضى. ولكن تأسيس السلطة الفرنسية يجب أن ينقّي الجو"(44). تواطأ لويد جورج في محو مطالبة السوريين باستقلالهم المؤقت. وحتى ولسون أيضًا ساهم فعليًا في تدمير المملكة العربية السورية لفشله في القيام بأي لفتة رمزية للحفاظ على الروح الأصلية لنظام الانتداب. كان الرئيس الأميركي المغادر لمنصبه رجلًا منكسرًا محطم الأحلام.

بعد عدة أيام كتب دو كيه إلى غورو: "عليك ألا تخشى من النظام الدولي. إن لويد جورج قاد بابتهاج جنازة الشريفيّة (Sharifianism) حين أخبر ميلران في آخر مرة شاهده 'أن فيصل ليس شابًا جادًا (غرسون)'"(45).

في يوم السبت 7 آب/ أغسطس قام غورو بدخول دمشق رسميًا عبر محطة سكة الحجاز، التي كان الجيش العربي الشمالي احتلها قبل سنتين. كانت الآن مزيّنة بالأعلام الفرنسية والفرقة العسكرية تعزف نشيد "المارسلييز". كان الحضور، ومعظمهم من المسيحيين، يتّسم بالوقار والخضوع أيضًا. امتطى غورو حصانه، بقامته الطويلة والمستقيمة على السرج، ليقوم بجولة في أحياء المسلمين بالمدينة. كانت هناك بيوت ومحلات قليلة ترفع العلم الفرنسي، ولكن لم يكن هناك حشد لتحيّته.

وصل غورو إلى المقرّ السابق لفيصل لينضم إلى الغداء مع أبطال ميسلون. أصبحت الدارة مقرًا لقيادة غورو في دمشق، وبقيت إلى اليوم مقرّ السفير الفرنسي. من هناك أقام غورو الحكم الانتدابي من خلال الحكومة التي شكّلها فيصل قبل نفيه. كان الحكم الفرنسي يمثل عودة إلى الوراء، إلى أيام الاستبداد العثماني قبل الثورة الدستورية في عام 1908. كان رئيس الوزراء علاء الدين الدروبي الطبيب

---

= المؤقت لسوريا تحت مشورة دولة منتدبة. دخول في 27/ 4/ 2019 إلى موقع: https://bit.ly/3wVjNY7
نص مراسلات الشريف حسين- درومو، في:
Hokayem (éd.), pp. 561, 578-579.

(44) David Lloyd George to Mr. President, August 5, 1920, *The Papers of Woodrow Wilson Digital Edition*, https://bit.ly/3MW8HI7, accessed on 17/5/2018.

(45) MAE-Courneuve, de Caix to Gouraud, August 9, 1920, 9 and 11, PAAP 399, Carton 142.

الخاص للسلطان عبد الحميد، وكان حاكم حلب ضابطًا عثمانيًا متقاعدًا أدار في وقت ما الجهاز السري لعبد الحميد في المدينة[46].

في تلك الليلة أقام غورو حفلة في قاعة البلدية، القاعة التي تُوّج فيها فيصل قبل خمسة أشهر. كان الضيوف يستعرضون بحماسة معرفتهم بالفرنسية. إلى جانب غورو جلس رئيس الوزراء علاء الدين الدروبي ومستشاره الرئيسي عبد الرحمن اليوسف. كان اليوسف أحد الأعضاء المحافظين في المؤتمر السوري الذي أيّد الحكم الفرنسي. قال الرجلان بافتخار لغورو إن أولادهما يدرسون في فرنسا. بعد ذلك وقف المفوض السامي ليلقي كلمة، عدّد فيها بجفاء آثام فيصل أمام الحضور الصامت: "كانت فرنسا صبورة لوقت طويل. لم نأتِ إلى هنا كأسياد، كمستعمرين، أو كأعداء للإسلام. إن طموحي أن أعمل لأجل ازدهار كلّ سوريا، وخاصة جوهرة الإسلام الموجودة في زمرّد دمشق"[47].

كانت وعود غورو صدى لخطاب الجنرال فريديرك مود (Frederick Maude) بعد فتحه بغداد في عام 1917: أعلن مود أيضًا أن بريطانيا جاءت محررة وليست فاتحة. كانت هذه اللغة القديمة للاستعمار الأوروبي: وعد نابليون بتحرير المصريين بعد غزوه مصر في عام 1798، ليفرض بعدها الضرائب الثقيلة والحكم الوحشي بالقوة.

في اليوم الثاني، الأحد، انضم غورو إلى المسؤولين للصلاة في الكنيسة الكاثوليكية. وصف المونسنيور جيانيني (Giannini) مبعوث البابا وصول فرنسا على أنه "أحد أجمل الانتصارات للمدنيّة الحقيقية"[48]. بعد ذلك استقلّ غورو السيارة متوجهًا إلى الجامع الأموي وضريح صلاح الدين. رحّب الشيخ عبد القادر

---

(46) Philip S. Khoury, *Syria and the French Mandate* (Princeton: Princeton University Press, 1987), pp. 97-99.

(47) SHAT-Vincennes, Speech of General Gouraud at Damascus City Hall, August 7, 1920, SHDGR-GR 4-H-114-005-0055 to 0061; and Zone West Cabinet Politique, Daily Bulletin 1324, August 11, 1920, SHD-GR4-H60-001.

(48) SHAT-Vincennes, Sermon by Monsignor Giannini at Damascus Latin Church, August 8, 1920, SHDGR-GR 4-H-114-005.

الخطيب، العدو اللدود لرشيد رضا لوقت طويل، بالجنرال باسم رجال الدين المسلمين[49]. بعد عدة عقود بقيت الشائعات تنتشر في دمشق بأن غورو وقف على ضريح صلاح الدين، الذي هزم الصليبيين في القرن الثاني عشر، قائلًا: "ها قد عدنا"[50].

في 9 آب/ أغسطس، في اليوم الذي غادر غورو دمشق، أصدرت محكمة عسكرية فرنسية أحكامًا بالإعدام بحق العشرات من القوميين السوريين. ومن بين هؤلاء حُكم غيابيًا على كامل القصّاب وأحمد قدري وعوني عبد الهادي وعزة دروزة، وعلى رياض الصلح وشكري القوتلي[51] اللذين أصبحا لاحقًا رئيسين للحكومة في لبنان وسوريا[52].

في اليوم التالي، 10 آب/ أغسطس، استضاف ميلران التوقيع الرسمي على معاهدة سيفر في ضاحية باريس. قسّمت هذه المعاهدة الإمبراطورية العثمانية بين الحلفاء، ونفّذت قرار سان ريمو بمنح فرنسا الانتداب على سوريا. ولم تكتفِ هذه المعاهدة بتقسيم الأراضي العربية إلى انتدابات متعددة، بل إنها قسّمت الأناضول أيضًا بين الفرنسيين والبريطانيين واليونانيين والأرمن والأتراك. ومع الأحكام الأخرى حول التعويضات ومحاكمات جرائم الحرب، كان على الدولة العثمانية

---

(49) MAE-Courneuve, "Entrée du Général Gouraud à Damas le 7 août 1920," PAAP 399, Carton 178.

(50) Michael Provence, *The Last Ottoman Generation and the Making of the Modern Middle East* (New York: Cambridge University Press, 2017), p. 3,

مقتبسًا الصحافي بيير لا مازييه،

Pierre La Mazière, *Partant pour la Syrie* (Paris: Audinière, 1928), p. 191; James Barr, *A Line in the Sand* (New York: W. W. Norton, 2012), p. 94.

أشار بار في ما بعد إلى أن الجنرال غوابيه هو من قال ذلك. يُنظر:

"Gen. Gouraud: 'We're Back!' Did He Really Say It?" *Syria Comment,* accessed on 27/4/2019, at: https://bit.ly/3lSIRZx

(51) كان القوتلي (1891-1967) وزيرًا للدفاع في حكومة جميل مردم بك (1936-1938) ورئيسًا للجمهورية السورية بين 17/ 8/ 1943 و29/ 3/ 1949 وبين آب/ أغسطس 1955 وشباط/ فبراير 1958). (المترجم)

(52) قدري، ص277-278؛

TNA-London, Easton, Untitled Cairo Bureau intelligence report, October 10, 1920, FO 371/5040, 213-18.

أن تدفع ثمنًا باهظًا أكثر بكثير من الألمان. فقد حُرمت من ثلاثة أرباع أراضيها تاركة لها أن تكون بقايا دولة على ساحل البحر الأسود في الشمال.

أدان القوميون العرب والأتراك فورًا هذه المعاهدة. ولكن، على عكس السوريين، كان الأتراك قادرين على دعم احتجاجهم بشنّ الحرب ضد الحلفاء. وبحلول آب/ أغسطس، نشبت في العراق ثورة شعبية مسلحة احتاجت بريطانيا إلى شهور لإخمادها.

أما في سوريا فقد تمكّن القوميون المتمردون من إشعال انتفاضة رمزية في درعا فقط. ففي 20 آب/ أغسطس كان كبار المسؤولين السوريين في القطار نحو الجنوب لإخماد الاضطراب في المنطقة. كَمِن حوالى 200 متمرد للقطار وقادوه إلى أول محطة شمال درعا. أخرجوا المسؤولين من القطار وقتلوا منهم 12 شخصًا كان من بينهم ضيوف غورو في عشاء 7 آب/ أغسطس: رئيس الوزراء علاء الدين الدروبي وأغنى الملّاكين في سوريا عبد الرحمن اليوسف[53].

كان رشيد رضا على صلة عمل مع الاثنين الدروبي واليوسف. في اليوم الثاني لاغتيالهما حصل على تأشيرة خروج لمغادرة سوريا. كان خلال الأسابيع الثلاثة الأخيرة يعاني من ارتفاع الحرارة وحيدًا في غرفته بالفندق. كان قد أغلق بيته وباع أثاثه قبل أن يسقط مريضًا. كان الوقت قد حان لمغادرته. نصحه تاجر ألا يذهب إلى بلده [بالقطار] عبر درعا وفلسطين، بعد أن جعلت الانتفاضة في الجنوب السفرَ خطيرًا جدًا. كانت القطارات تحمل الجنود الفرنسيين إلى هناك.

في 23 آب/ أغسطس، بعد أقلّ من سنة على قدومه، غادر رضا دمشق بالقطار إلى بيروت. وبواسطة أصدقائه حصل على تأشيرة دخول إلى مصر. ولحسن الحظ لم يذكر مدير الشرطة في دمشق على وثيقة السفر أنه ناشر **المنار** ورئيس المؤتمر السوري سابقًا. ركب رضا أول سفينة وجدها في 30 آب/ أغسطس. كانت سفينة تجارية بريطانية غير مريحة. رفض أن ينتظر سفينة ركاب تغادر بعد يومين لأن

(53) SHAT-Vincennes, Toulat to Général Commandant en Chef, August 21, 1920, Archives SHD-GR 4-H114-005; Tauber, pp. 37-38.

الفرنسيين كانوا يستعدون لإعلان لبنان الكبير في 1 أيلول/ سبتمبر. لم يكن يطيق أن يكون شاهدًا على ذلك.

في ذلك الوقت أخذ المسؤولون الفرنسيون في استخدام تعبير جديد عن المتمردين القوميين: الأوباش (apaches)[54]. كان تعبيرًا عنصريًا مخصّصًا للبرابرة دونما وجه حق. وكما هو الأمر مع هنود أميركا الشمالية، كان أعضاء المقاومة السورية يستحقون فقط الإخضاع وحتى الموت. وكان الجنرال غورو قد فرض دفع تعويضات على السوريين لتغطية نفقات إخضاع انتفاضتهم، بالقدر الذي أرادت دول الوفاق أن تفرضه على عدوتها ألمانيا لدفع نفقات الحرب العالمية الأولى.

وهكذا فقد تعرّض الوطنيون الذي بقوا من الثورة العربية، الذين حاربوا مع الحلفاء خلال الحرب العظمى لأجل الديمقراطية، للطرد من المجتمع الدولي. فقد خصّصت معاهدة سيفر للعرب مكانة أدنى في عالم ما بعد الحرب، كرعية مهانة لقوة عدوة. ومع سيادة الصمت في العالم الخارجي مُحيت المملكة العربية السورية من التاريخ. لازمت ذكرى هذه الخيانة الدكتور قدري سنوات: "كأنّ العرب لم يكونوا قط من الحلفاء"[55].

---

(54) في مطلع القرن العشرين كان الفرنسيون يستخدمون تعبير "الأباشي" لوصف الأشرار العنيفين في الشوارع. ينظر:

https://bit.ly/3wWhDpP; and https://bit.ly/3wT7Thu accessed on 23/7/2018.

(55) قدري، ص 237.

# الفصل الثامن عشر

## شبح ولسون في جنيف

صادف يوم 13 آب/ أغسطس 1921 عيد الأضحى، أكبر عيد في السنة. بعد عام من مغادرته دمشق، كان رشيد رضا مستلقيًا على ظهره من دوار البحر في السفينة الإيطالية "كليوباترا"، التي كانت تبحر في طريقها إلى تريستا (Trieste): "دعوتُ الله أن يشفي ابني وأن يبارك أسرتي وأن ينجينا هنا (في السفينة) جميعًا". كان يسافر مع صديقه المسيحي، جورج يوسف سالم، الذي كان يعرف الإيطالية بما فيه الكفاية ليساعد الإمام على تجنّب أطباق لحم الخنزير في قاعة الطعام عندما كان يشعر بالرغبة في الأكل. قرب كريت هاجَتْ كثيرًا أمواج البحر.

كان ميشيل لطف الله، رئيس حزب الاتحاد السوري، يقود وفدًا إلى جنيف لتقديم التماس ضدّ الانتداب على سوريا وفلسطين عندما تبدأ عصبة الأمم عملها في نهاية الشهر.

كاد رضا أن يتخلّف عن السفر. كان قد عاد إلى بيته في القاهرة في أيلول/ سبتمبر الماضي، حيث سُرّ برؤية ولده محمد شافعي يذهب في أيامه الأولى إلى الروضة. في الخامسة والخمسين رُزق بولد ثالث في ذلك الصيف، إلا أن الولد لم يعش طويلًا بعد ولادته وبقيت زوجته تعاني طويلًا خلال تعافيها. بعد ذلك، في مطلع آب/ أغسطس، أصيب محمد الشافعي بمرض حرج في المعدة، وبقي رضا إلى جانبه. ولذلك وضع جانبًا التماس لطف الله للسفر معه.

ولكن عندما جاء لطف الله إلى باب البيت في 10 آب/ أغسطس لانَ رضا:

"أدركتُ أن خدمة الأمة يجب أن تكون قبل العائلة. قررتُ أن أذهب وأتوكّل على الله". أبحر من الإسكندرية قبل يومين من العيد.

رست "كليوباترا" أخيرًا في تريستا في 17 آب/ أغسطس. تمّ توقيف المجموعة في الجمارك لأن لطف الله كان يحمل الكثير من السجائر. وبينما هم في الانتظار سارع رضا إلى مكتب البريد ليرسل برقية إلى عائلته وليعيد إرسال المقالات للنشر في **المنار**. كان يعيش على الدخل الذي يأتيه من أعمال النشر[1].

كان رضا مسحورًا بأوروبا. نقلهم القطار من تريستا إلى جنيف عبر سهول اللومباردي. ذكّره منظر الألب الغني بالأزهار البرية بمسقط رأسه في لبنان. كتب عن ذلك قائلًا: "إن البحيرات الجبلية مثل هذه بحيرة ماجيوره (Maggiore) وبحيرة لوتسرنه (Lucerne) من أجمل ما خلقه الله على الأرض. إن هذه المناظر ألهمت أسمى التأمّلات عند الفلاسفة وأجّجت خيال الشعراء". خفّ حماسه قليلًا عندما عبروا الحدود السويسرية، حيث تابع القطار سيره نحو جنيف تحت مطر غزير.

كان رضا بسفره إلى جنيف لا يزال يؤمن، على الرغم من الكارثة التي حلّت في دمشق، بالقوة العالمية الليبرالية الكامنة. فقد كتب إلى قرائه في عدد حزيران/ يونيو 1921 لـ **المنار**: "إنني مؤمنٌ يرى اليأس من روح الله والقنوط من رحمته كفرًا"[2]. كان المجلس الأعلى [للحلفاء] قد انتهك مبادئ ولسون بموافقته على احتلال فرنسا بالقوة [لسوريا]. ولكن ها هو الآن مجلس عصبة الأمم يعقد جلسته الأولى أخيرًا في جنيف. فربما لا يزال ممكنًا إبطال هذا الاحتلال، لأنه وفقًا للمادة 22 فإن العصبة (وليس المجلس الأعلى للحلفاء) لها السلطة العليا في تعيين الانتدابات. ولأجل هذه النتيجة فقد استمرّ رضا وغيره من المنفيين في القاهرة في حملتهم منذ تموز/ يوليو 1920 للمطالبة بحقوق سوريا.

---

(1) محمد رشيد رضا، "الرحلة الأوربية"، القسم 1، مجلة **المنار**، مج 23 (شباط/ فبراير 1922)، ص 114-120.

(2) محمد رشيد رضا، "حقائق واضحة حول المسألة العربية: مقالة تاريخية"، مجلة **المنار**، 22 (حزيران/ يونيو 1921)، ص 478.

كانت جنيف بالنسبة إلى السوريين وغيرهم من شعوب العالم مركزًا للمجتمع الدولي، ومركزًا جاذبًا لمعارضي الإمبريالية الأوروبية. كان أعضاء اللوبيات يلتقون في جنيف لالتماس عصبة الأمم، التي كانت بعد هزيمة السوريين في ميسلون قد استقرت في مقرها المطلّ على بحيرة جنيف. كما أن اللجنة الدائمة للانتدابات لم تتشكل سوى في الربيع الماضي. ولذلك فقد بقيت هذه المؤسسات الدولية تمثل الأمل لدى حزب الاتحاد السوري بأن النظام العالمي الولسوني يمكن أن يظهر[3]. أدرك رضا الأهمية الملحمية للحظة: إذا أنكرت العصبة حقوق المسلمين تحت مظلة القانون الدولي فإن النتيجة ستكون اندلاع قرن من النزاع بين الشرق والغرب.

## عصبة الأمم: بين الإمبراطورية والقانون

في طريقه من ميلانو إلى جنيف، عبر القطار برضا قرب بحيرة كومو (Como) حيث أقام فيصل ثلاثة شهور في نهاية عام 1920. فقد وفّر الإيطاليون المتعاطفون للملك المخلوع لجوءًا ومحاميًا. أعدّ فيصل القضية القانونية لسوريا، بالاستناد إلى الوثائق التي حملها هو وساطع الحصري من دمشق، لتوثيق الاحتجاجات لدى عصبة الأمم.

كان رضا، باعتباره رئيس المؤتمر السوري، قد رفع إلى عصبة الأمم في أيلول/ سبتمبر 1920 احتجاجًا ضدّ تدمير فرنسا للقرى و"مجازر النساء والأطفال" التي جرت بعد اغتيال رئيس الوزراء الدروبي. إلا أن السكرتير العام للعصبة إريك دروموند، المساعد السابق لبلفور، لم يكن ميالًا للتدخل في ما يخصّ الاحتلال الفرنسي. فقد أجاب آنذاك: "إنّ الأمر ليس ضمن اختصاص عصبة الأمم"[4].

---

(3) Susan Pedersen, *The Guardians: The League of Nations and the Crisis of Empire* (New York: Oxford University Press, 2015), p. 7; Marie-Renée Mouton, "Le Congrès syrio-palestinien de Genève (1921)," *Relations Internationales*, 19 (Autumn 1979), pp. 313-338,

الإحالة على الصفحة 320.

(4) LN-Geneva, Series 4284 Box R21 Events in Syria, File 2, Doc. 6882, Habib Lotfallah to Drummond, September 17, 1920, and Drummond to Lotfallah, September 22, 1920.

كان رضا يتوقع الكثير من مجلس عصبة الأمم. ففي حين كان دروموند يرأس الفرع التنفيذي للعصبة، كان المجلس يمثل الكيان التداولي العام الذي يتألف من ممثلي كلّ الدول الأعضاء. أما الكيان الأصغر، مجلس العصبة، فقد كان يعمل مثل مجلس شيوخ أو كسلف لمجلس الأمن في الأمم المتحدة، حيث تسيطر على عضويته القوى العظمى. عقد المجلس أول اجتماع له في 15 تشرين الثاني/ نوفمبر 1920، حيث شارك فيه ممثلون لـ 42 دولة في قاعة اجتماعات بفندق قديم قرب مقرّ العصبة. كان أول عمل له تبني قرار بتكريم وودرو ولسون باعتباره الأب المؤسّس للعصبة[5].

وكان رضا قد أرسل برقية تهنئة إلى المجلس بتوقيعه كرئيس للمؤتمر السوري. وقد أرفق مع هذه التهنئة التماسًا جاء فيه: "بمناسبة اجتماعكم العام فإنّ أعضاء المؤتمر السوري – الذين انتُخبوا ممثلين للشعب السوري وأُرغموا من قبل السلطة العسكرية الفرنسية على اللجوء إلى مصر – لهم الشرف في أن يذكّروكم باستقلال سوريا المعلن بحسب المادة 22 من ميثاق العصبة. ونحن نحتج ضدّ الإطاحة بالحكومة الوطنية (في) دمشق (من) قبل التسلط العسكري (Militarism) الأجنبي"[6].

سُرّ رضا أن يقوم مجلس عصبة الأمم بالتصويت لصالح تنظيم فوري للجنة الدائمة للانتدابات (Permenant Mandates Commission (PMC)) ضد مماطلة بريطانيا وفرنسا. كانت هاتان القوتان الكبيرتان تريدان وقتًا أكثر لتكريس أمر واقع (faits accomplis) من دون إشراف العصبة.

إلا أن مجلس العصبة سعى إلى عرقلة حركة المجلس. فقد أصرّ الأعضاء الإمبرياليون في المجلس على أن تضمّ اللجنة الدائمة للانتدابات ممثلين للقوى الانتدابية. وهكذا فقد تمّ تعيين الحاكم الفرنسي السابق في إندونيسيا والحاكم البريطاني السابق في نيجيريا وضابط استعماري هولندي فيها.

(5) Paul Hymans, president of the Assembly of the League of Nations, to President Wilson, November 16, 1920, *The Papers of Woodrow Wilson Digital Edition*, accessed on 24/7/2018, at: https://bit.ly/3wSNYiH

(6) LN-Geneva, Series 4284 Box R21, File 5, Doc. 8876. Telegram from Rashid Rida arrived November 26, 1920.

بعد ذلك حثّ بلفور، ممثل بريطانيا في مجلس العصبة، اللجنة الدائمة للانتدابات على أن تؤجّل عملها حول الانتدابات من فئة "أ" على المنطقة العربية لأن وزير المستعمرات البريطاني ونستون تشرشل يخطّط لمؤتمر في القاهرة لمناقشة مصير الأقاليم التي تسيطر عليها بريطانيا في الشرق الأوسط(7). ومع الموافقة على هذا الاقتراح سمحت اللجنة الدائمة للانتدابات لبريطانيا أن تُحكم سيطرتها الاستعمارية على الأراضي العربية.

وهكذا عندما أرسل رضا برقيته في تشرين الثاني/ نوفمبر 1920 للاحتجاج على إطاحة فرنسا المملكة العربية السورية، لم تصل هذه البرقية أبدًا إلى المجلس للنظر فيها. فقد قام بول مانتو (Paul Mantoux) السكرتير السابق لكليمنصو والمسؤول الآن في العصبة، بتحويل هذه البرقية إلى الوفد الفرنسي قائلًا: "أرى أنه يجب أن لا نوزع هذه الوثيقة لأنه لا يوجد مبرّر للأمانة العامة لأن تتعامل مع دعاية كلّ جماعة منفية أو مع المتذمرين في كلّ بلد". وكما فعل ميلران قبل ستة أشهر فقد أنكر مانتو الوجود القانوني للمؤتمر السوري ومحاه من الذاكرة الدولية.

منع مانتو أيضًا وصول البرقيات اللاحقة إلى المجلس بما في ذلك الاحتجاجات الواردة من رئيس حزب الاتحاد السوري ميشيل لطف الله ضد تمزيق سوريا، ومن كامل القصّاب ورياض الصلح وعوني عبد الهادي ضد أحكام الإعدام الصادرة بحقهم. بقيت كل هذه العرائض من دون ردود. أما الاحتجاج الذي قدّمه رستم حيدر باسم الحجاز، فقد حظي باهتمام خاص لأن حيدر كان يمثل دولة اعتُبرت مستقلة بحسب معاهدة سيفر(8).

نبع القرار لإرسال وفد إلى جنيف خلال الاحتفال بالذكرى الأولى لإعلان

---

(7) LN-Geneva, Series 248/Box 6/Doc. 8654, 11496, 10779; Pedersen, pp. 50-52; Friedhelm Hoffmann, *Die Syro-Palästinensische Delegation am Völkerbund und Šakīb Arslān in Genf, 1921-1936/46* (Berlin: Lit, 2007), pp. 43-73.

ممتن لروان الزعبي على ترجمتها.

(8) LN-Geneva, Series 4284/Box R21/File 5. Handwritten memo dated November 29, 1920; File 8/ doc. 9053, telegram protesting death sentences; File 11/doc. 9954, from former Hejaz delegate, December 25, 1920; File 33/doc. 8666 Syrian Union protest, November 22, 1920.

الاستقلال في 8 آذار/ مارس الذي أقامه حزب الاتحاد السوري لأول مرة في فندق كونتيننتال بالقاهرة. فقد أرسل مندوبو الحزب برقية يطالبون فيها بحقوقهم القومية. وتبع ذلك في نيسان/ أبريل قيام رضا ولطف الله بإرسال الدعوات للاجتماع ثانية في جنيف(9).

كما خصّ فيصل أيضًا ذكرى 8 آذار/ مارس ببرقية منفصلة يطالب فيها بمراجعة معاهدة سيفر لتحرير وتوحيد الأراضي العربية، واحتج فيها على أن سجن ضباط الجيش الذين حاربوا إلى جانب الحلفاء يمثل انتهاكًا لوصاية العصبة(10).

بعد ذلك اختار فيصل طريقًا مختلفًا في الكفاح لأجل الاستقلال العربي. فقد استمر يعمل ضمن نظام القوى العظمى بدلًا من التمرّد عليه. وهكذا بعد أسابيع من المداخلات تمكّن لورنس من إقناع اللورد كرزون بدعوة فيصل إلى لندن للتشاور. وافق فيصل على الدعوة لأنه سمع شائعات عن إمكانية تعيينه ملكًا على العراق. فبعد إخضاعهم ثورة العشرين (الثورة العراقية في أواخر عام 1920) قرّر البريطانيون أنهم يحتاجون إلى وجه عربي لأجل نظامهم الانتدابي هناك(11).

زادت آمال فيصل في بداية عام 1921 خلال المباحثات في لندن. بعد ذلك عقد وزير المستعمرات تشرتشل اجتماعًا حول شؤون الشرق الأوسط في آذار/ مارس 1921. أُعلم فيصل بأن بريطانيا ستكون فخورة بترشيحه للعرش العراقي. ولكن كان عليه أولًا أن يُظهر أن العراقيين سيرحبون به. قام فيصل مباشرة بعد الاحتفال بعيد ميلاده الثامن والثلاثين بزيارة إلى العراق برفقة رستم حيدر وساطع الحصري. قضوا الصيف وهم يحضرون الحفلات مع الزعماء الدينيين والعشائريين. في تموز/ يوليو فاز فيصل في الاستفتاء الذي نظّمه البريطانيون. أراد فيصل أن يحكم العراق بانضباط أكبر مما فعل في سوريا. ففي هذا الوقت

---

(9) LN-Geneva, Series 4284/Box R21/File 21/Doc. 11504.

(10) LN-Geneva, Series 15122/Box 589/Doc. 11691, General Haddad Pasha to Drummond, 14 March 1921.

(11) Ali A. Allawi, *Faisal I of Iraq* (New Haven: Yale University Press, 2014), pp. 310-313, 334.
الاقتباس في الصفحة 313.

تقريبًا أصرّ على أن تكون له سلطة للسيطرة على السياسة ورسم طريقٍ متدرج نحو الاستقلال[12]. حُدّد موعد تتويج فيصل في 23 آب/ أغسطس 1921، أي بعد أن وصل رضا إلى جنيف.

في وقت مبكر من ذلك الصيف نشر رضا في **المنار** نقدًا عنيفًا لاستراتيجية فيصل في العراق. كتب أن الشريف حسين وأولاده فكروا في إزعاج إنكلترا كـ"مرتدّين فقدوا رحمة الله". ولكن تواطأ فيصل مع أخيه عبد الله، الذي نُصّب ملكًا على شرق الأردن، مع إخضاع بريطانيا العرب بالعنف. وهكذا فقد قامت بريطانيا بـ"تزويده بالقوة العسكرية والطائرات ما يمكنه من إخضاع كُلّ من يقاوم خططهم من عرب تلك البلاد".

كتب رضا في المقالة المذكورة: "أودّ لو تعلم الشعوب العربية أن الانتداب لن يصير أمرًا مقضيًّا، وأنّ عصبة الأمم لن تكون ألعوبة في يد المستعمرين... وأن الرجاء في بناء قواعد العلاقة بين الشرق والغرب على أساس العدل وتبادل المنافع". ونصح في النهاية بأن مستقبل الديمقراطية العربية يجب أن ينتشر بدون الملكية الهاشمية.

خطّط رضا في جنيف لأن يُفهم بريطانيا وفرنسا بأنهما لن تنجحا في إخضاع العرب: "أنا لا أزال أرجو إقناع الدولتين [بريطانيا وفرنسا] المقتسمتين لبلادنا بأن الخير لهما أن يتركونا أحرارًا... ومن سوء الحظ أن سعيي السابق كان مع غلاة المستعمرين منهم. وأرجو أن أوفّق للسعي مع أحرار المنصفين منهم وهم والحمد لله كثيرون"[13].

## رضا في اللجنة الدائمة للانتدابات

في 24 آب/ أغسطس 1921، أي في اليوم التالي لتتويج فيصل في بغداد، ذهب رضا وأعضاء آخرون في حزب الاتحاد السوري إلى مقرّ العصبة للاجتماع مع وليام رابار (William Rappard) المدير الإداري للجنة الدائمة للانتدابات. كان رابار عالمًا سويسريًا، مولودًا في الولايات المتحدة ومعجبًا بوودرو ولسون. عبّر

(12) Allawi, pp. 319-336, 361-381.

(13) رضا، "حقائق واضحة حول المسألة العربية"، ص 478-479.

عن أسفه لأن رؤية ولسون للانتداب، كشكل محدود للإرشاد الحيادي، جرى تخريبها من قبل بريطانيا وفرنسا. ففي الحقيقة قامت بريطانيا وفرنسا بفرض الانتداب بواسطة القوة ضد المعارضة الشعبية. إلا أنّ رابار، مثله مثل رضا، بقي متفائلًا. كان يؤمن بأن اللجنة الدائمة للانتدابات يمكن لها أن تجعل هذه القوى مسؤولة أمام العالم الآخذ بالتحوّل إلى الديمقراطية، بالاستناد إلى ما تقوله المؤرخة سوزان بدرسن (Susan Pedersen)[14].

لاحظ رضا أن رابار كان "مهذب الأخلاق"، مضيفًا: "بدأتُ الكلام ببيان نظرية الرئيس ولسون في مشروع عصبة الأمم التي اقترحها ومكيدة الدولتين الاستعماريتين [بريطانيا وفرنسا] وخداعهما بإدخال مسألة الوصاية [الانتداب] في عهدها لتكون منفذًا لهما". رأى رضا أن الانتداب يتعارض مع الهدف الأساسي للعصبة "السلم الدائم بحرية الأقوام"، وقال إن بريطانيا وفرنسا تعتبران الانتدابات وسيلة لـ "استعبادهما الأقوام قانونيًّا ومؤيدًا من العالم المدني كلّه".

سأل رابار: "إذا خرج الجيش المحتل من بلادكم وترك أمرها إليكم أتقدرون على حفظ الأمن والقيام بشؤون الإدارة؟".

أجاب رضا "نعم"، موضحًا أن السوريين قاموا بذلك في عام 1918 لأنّ "الحكومة كانت في عهد الأتراك بيد الأهالي".

ردّ رابار: "نحن لا نعرف شيئًا عن ذلك". انتهى الاجتماع بينهما بصورة ودّية[15].

## بيان المؤتمر السوري-الفلسطيني

كان الهدف الثاني للسفر إلى جنيف إعادة إحياء المؤتمر السوري في المنفى. استأجر لطف الله قاعة اجتماعات في فندق آخر. إضافةً إلى لطف الله كان الوفد

---

(14) Pedersen, pp. 45-55.

الاقتباس في الصفحة 52.

(15) محمد رشيد رضا، "الرحلة الأوربية (4)"، مجلة **المنار**، مج 23 (حزيران/يونيو 1922)، ص441-459. الاستشهاد مأخوذ من ص 442-443.

اللبناني الموجود يضمّ رياض الصلح وسليمان بك كنعان، أحد أعضاء المجلس الإداري اللبناني الذي اعتُقل قبل معركة ميسلون، والأمير شكيب أرسلان، وهو درزي لبناني يعيش في المنفى بألمانيا. كان الوفد من سوريا الداخلية يضمّ جورج يوسف سالم، الذي رافق رضا في سفره، وإحسان الجابري الأمين الخاص السابق لفيصل. وانضم أربعة مندوبين من فلسطين إلى الاجتماع، إلى جانب مندوبين وصلوا من الولايات المتحدة والأرجنتين وتشيلي.

نشب خلاف حينما اقترح المندوبون الفلسطينيون أن يتغيّر الاسم ليصبح المؤتمر السوري - الفلسطيني كي يعبّر عن الواقع الجديد بأن سوريا وفلسطين تُحكمان من قوتين مختلفتين. عارض لطف الله تغيير الاسم لأن ذلك يسيء إلى مطالبة المؤتمر السوري بالوحدة. اقترح رضا حلًا وسطًا: القبول بتغيير الاسم مع إعطاء الأولوية للوحدة في الميثاق. وبعد نقاش طويل وافق الممثلون على اقتراح رضا.

بعد ذلك انتخبت الغالبية المسلمة لطف الله رئيسًا لأن مسيحيته ستؤكد التزامهم وحدةً وطنية تضم الطوائف الدينية. كما انتخب هؤلاء رضا والمندوب الفلسطيني توفيق حماد نائبين للرئيس، وشكيب أرسلان سكرتيرًا. كان أرسلان مُصلحًا إسلاميًا مثل رضا، ولكنهما افترقا خلال الحرب العظمى، حين أصرّ أرسلان على تأييد الخلافة العثمانية واختار رضا التمرد ضد الاستبداد العثماني. في جنيف تصالح الاثنان وأصبحا شريكين نشيطين وصديقين مقرّبين خلال العقد التالي.

بعد هذا الخلاف الاستهلالي أجمع أعضاء المؤتمر على صياغة عريضة رسمية موجهة إلى الجمعية العامة لعصبة الأمم تطالب بإلغاء الانتداب. قدّم المندوبون البيان المنجز في 22 صفحة في 21 أيلول/ سبتمبر[16].

(16) LN-Geneva, Congrès Syrio-Palestinien, *Appel addressé à la 2ème Assemblée Générale de la Société des Nations* (Geneva: Geneva Tribune Press, 1921), Series 4284/Box R21.

أوردتُ هنا الترجمة من النسخة العربية التي نشرها رضا في: رضا، "الرحلة الأوربية"، ص 455.

وبلغة متوقّعة الحركات المعادية للاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية، دعا المؤتمر الفلسطيني السوري إلى عالم متساو ومتحرر من الاضطهاد الاستعماري:

> نقرعُ باب جمعيتكم واثقين بالمبادئ التي كانت أساسًا لبناء عصبة الأمم، والتي أنعشت في جميع الأقطار آمالًا مشروعة ألا وهي احترام القوميات وحق الأمم في تقرير مصيرها، وإقامة العدل ومراعاة الشرف في العلاقات الدولية، ونبذ سياسة الفتح، والدقة في رعاية العهود في الصلات المتبادلة بين الشعوب المنظمة.

أعاد البيان التأكيد لوضعية العرب كحلفاء خلال زمن الحرب الذين أيّدوا حكم القانون ضد العدوان العسكري: "إنّ الحرب الطويلة التي وضعت أوزارها وأنجبت عصبة الأمم كانت صراعًا بين فكرتين: فكرة القوة والغصب وفكرة الحق والحرية"، و"كان كبراء رجال الأمم المتحالفة يعلنون واحدًا بعد الآخر... أن الحرب لن تؤدي إلى فتوحات جديدة أو إلى ضمّ أقطار جديدة، وإنما يجب أن تسفر عن ظفر الحضارة واستقلال الشعوب".

بعد ذلك طرحت قضية الحكم الذاتي السوري بالاستناد إلى المادة 22. فقد أثبت الشعب نضجه بـ"تأسيس الدولة السورية بالاستناد إلى النظام والحرية والسلام". وقد قام مؤتمرهم المنتخب، باعتباره جمعية تأسيسية، بإعلان الاستقلال انسجامًا مع الرأي العام.

وبحسب البيان، فإن الفرنسيين قد انتهكوا روح المادة 22 في سوريا. وفي إشارة إلى تصرف الجنرال غورو كفاتح، ذكر البيان: "قضى الانتداب الذي ينفذون حكمه على استقلالنا وكيف أصبح يهوي بنا إلى دركة مستعمرة من مستعمرات المنتدبين علينا". فقد فرض غرامة حربية واعتقل الأعضاء المنتخبين للمجلس الإداري اللبناني وطرد ملك سوريا المنتخب. وهو الآن يمنع السوريين الموجودين في دمشق من القدوم إلى جنيف.

نبّه البيان إلى أن هذه هي اللحظة لإعادة الاعتبار إلى العصبة: "نحن نبسط هذه الوقائع لعصبة الأمم، فهي تُقترَف باسمها، ولا شكّ في أنكم تأبون أيها السادة

المندوبون أن يُستعبد شعب باسم مقاصدكم السامية". وخلص البيان إلى أنه على العصبة أن تستعيد نفسها بمطالبة فرنسا وبريطانيا بسحب جيوشهما للسماح لسوريا ولبنان وفلسطين بالاتحاد "بحكومة مدنية مسؤولة أمام مجلس نيابي ينتخبه الشعب"[17].

## آخر أمل لرضا في الليبراليين الأوروبيين

كان رضا يعتبر المؤتمر الفلسطيني السوري أداة لإنقاذ روح عصبة الأمم. تواصل مع أعضاء الجمعية العامة [للعصبة] للانضمام إلى حملة المؤتمر الفلسطيني السوري ضد الإفساد الاستعماري [لنظام]) الانتداب. كانت إيران والصين الأكثر حماسةً للتضامن مع هذه الدعوة.

أخبر رضا العضو الإيراني في الجمعية العامة أن بريطانيا هي أسوأ عدو للمسلمين. حذّر رضا من أن التوسّع الإمبريالي البريطاني سيثير ردة فعل عنيفة من رعايا بريطانيا: "لقد بدت آثار الانحدار والسقوط، فقد ثارت عليها إيرلندا ومصر والعراق بثورات دموية، وثارت فلسطين بثورة سياسية والهند بثورة اجتماعية".

ذكر رضا للعضو الإيراني أن المهمة المقدسة للدول المستقلة دعم المقاومة: "آيات الله قد ظهرت للمسلمين بتسخير الأمة الروسية لدولتي الإسلام-العثمانية والإيرانية لتنصرهما". وافقه العضو الإيراني بالقول: "لولا مصطفى كمال لكان كل مسلم في الدنيا ذليلًا الآن".

أصدر رضا أجرأ إنذار إلى رئيس الجمعية العامة بول هايمن (Paul Hymans). فقد حذّر هايمن من أن بريطانيا وفرنسا حوّلتا أهداف العصبة ضد نفسها.

> إن هذه الجمعية التي اقترح الرئيس ولسون تأليفها من جميع أمم الحضارة لخير جميع البشر لا يليق بشرفها وشرف أممها وشرف المبدأ والغاية الموضوعين لعملها أن تكون آلة لدولتين استعماريتين تكفل لهما استعباد مَن استوليتا عليه من الشعوب باسم الانتداب.

---

(17) رضا، "الرحلة الأوربية (4)"، ص 455.

تابع رضا قائلًا إن السلام العالمي ومستقبل القانون في خطر: "إذا كان البلقان هو مسعى الفتن والحرب في الغرب، فإنّ سوريا وفلسطين وسائر البلاد العربية ستكون مسعى نيران الفتن والحرب في الغرب والشرق معًا"[18].

استفاد رضا من أحاديثه مع الصحافيين الذين كانوا يملؤون جنيف بمناسبة اجتماع العصبة. كتب لقرّائه في **المنار**: "لقيتُ أفرادًا من هؤلاء الأحرار في جنيف وغيرها فألفيتهم يعتقدون أن هذه الحرب لم تزد رجال السياسة في الدول الكبرى إلا رسوخًا في الطمع المردي والدسائس، وتماديًا في إثارة الفتن والشرور، وضراوة بسفك الدماء". كان هؤلاء لا يصدقون افتراء زعمائهم ضد المسلمين، أو ادّعاءات زعمائهم الزائفة لـ"حماية المسيحيين الشرقيين من تعصّبهم". تمتّع رضا خاصة بحديث مع محرر **جنيفا تريبيون** (*Geneva Tribune*) على عشاء في الفندق الذي ينزل فيه لطف الله. لم يكن المحرّر يشارك رضا رأيه في الليبراليين: "هؤلاء السياسيون لا يحوّلهم عما تربوا ومرنوا عليه من المطامع والدسائس إلا القوة القاهرة". نصحه المحرر بالقول: "اجمعوا كلمتكم وحافظوا على دينكم وآدابكم وفضائلكم واستعدوا للاستفادة من الحرب الآتية"[19].

غادر رضا جنيف في أواخر أيلول/ سبتمبر بعد تقديم الالتماس باسم المؤتمر الفلسطيني السوري. كان أعضاء المؤتمر قد صوّتوا لتأسيس مكتبين في جنيف والقاهرة لمتابعة حملتهم. ولكن ما أحبطهم أن مجلس العصبة والجمعية العامة صوّتا للإبقاء على نظام الانتداب. وبينما قام رابار بتقديم التماسهم إلى لجنة الانتدابات الدائمة، أقرّ أعضاء المؤتمر بأنهم لا يستطيعون تحدّي التصويت للإبقاء على نظام الانتداب. كما أن لجنة الانتدابات الدائمة قرّرت أنها لا تملك السلطة للتحقيق في شروط الانتدابات التي وضعتها بريطانيا وفرنسا، بل ستكتفي بمراجعة التقارير السنوية حول أساليب الحكم. في الشهور التالية أرسل المؤتمر

---

(18) محمد رشيد رضا، "الرحلة الأوروبية (5)"، مجلة **المنار**، مج 23 (تموز/ يوليو 1922)، ص553-560.

(19) محمد رشيد رضا، "الرحلة الأوروبية (6)"، مجلة **المنار**، مج 23 (تشرين الأول/ أكتوبر 1922)، ص 635-657.

الفلسطيني السوري عرائض أخرى، نظرًا إلى أن مجلس العصبة كان يستعدّ للتصويت الرسمي للمصادقة على تعيين الانتدابات. إلا أن رابار لم يحوّل قط أي عريضة منها[20]. وهكذا كُتمت أصوات المنفيين السوريين ثانية، ووُضعت عرائضهم في أدراج اللجنة الدائمة للانتدابات.

كان الصمت في فرنسا مُحبِطًا بالدرجة نفسها. فمع أن الاشتراكيين نشروا بيان المؤتمر الفلسطيني السوري، إلا أن **لو تان** أهملته باعتباره ينطق باسم "ما يدعى الوفد السوري" الذي يضم رجالًا طامحين من دون أن يكون لهم تواصل مع الشعب السوري. أما في وزارة الخارجية، فقد نبَذ برتلو "الضوضاء" التي يقوم بها "نوع من مؤتمر للجامعة الإسلامية في جنيف"[21].

## تشارلز كراين واحتجاج الشهبندر في دمشق

مع اقتراب التصويت النهائي لمجلس العصبة على المصادقة على الانتداب الفرنسي ازدادت التوترات في دمشق. كان عضو حزب الاتحاد السوري عبد الرحمن الشهبندر، آخر وزير للخارجية في المملكة العربية السورية، يخطّط للقدوم إلى جنيف، ولكن قبل سفره صدر العفو [الفرنسي] عنه للعودة إلى موطنه في دمشق، ومع إعادة فتح عيادته أسّس منظمة وطنية سرية. وجد فرصة للظهور أمام الجمهور في نيسان/ أبريل 1922 مع زيارة تشارلز كراين.

كان كراين، صديق ولسون ورئيس لجنة كينغ-كراين، أحد الليبراليين الذين تواصل معه رضا وحزب الاتحاد السوري في الشهور التي تلت ميسلون. قاموا بحثّه على نشر تقرير لجنة كينغ-كراين. كتب كراين لاحقًا: "من التفاهة القول إن هؤلاء الناس غير مناسبين للحكم الذاتي. إن هؤلاء الناس بالتأكيد أكثر جاهزية للحكم الذاتي من البلغار والصرب واليونان حين يحصلون على الاستقلال".

في مطلع عام 1922 قرّر كراين أن يزور المنفيين السوريين في القاهرة. قال

---

(20) Société des Nations, Commission Permanente des Mandats, *Procès Verbaux de la Première Session*, Geneva, October 4-8, 1921, 1-10, accessed on 12/6/2019, at: https://bit.ly/3PQoQQS

(21) Mouton, pp. 323-326.

له أحد السوريين: "السيد كراين، نحن كلّ المسلمين نشعر أن السيد ولسون أهم إنسان جاء إلى العالم منذ زمن محمد. نحن نؤمن بأن عقيدته عادلة كما هي عقيدة المسلمين وعقيدة المسيحيين". طلب منه المنفيون أن يعدّ مختارات من خطب ولسون لنشرها في ترجمة عربية مناسبة. استذكر كراين لاحقًا: "كان السيد ولسون متأثرًا جدًا بهذا الطلب"، وقد قام شخصيًا بتسليم النصوص المختارة في العام اللاحق[22].

ولكن قبل عودته إلى الولايات المتحدة، قرّر كراين أن يتوقف في دمشق. كان يتملّكه الفضول لمعرفة كم تغيّرت المدينة خلال ثلاث سنوات. حين انتشر الخبر عن وصوله في 1 نيسان/ أبريل اعتقد السوريون أن الأمر يتعلق بـ"كذبة نيسان". كانوا يعيشون في عزلة تامة عن العالم الخارجي تحت الرقابة القمعية للنظام الفرنسي.

جاءت رسالة من رئيس الجامعة الأميركية في بيروت، الجامعة الأم للشهبندر، تحثّ وزير الخارجية السابق على لقاء كراين في محطة سكة الحجاز. كان وجه كراين متجعدًا أكثر وأصبح ظهره منحنيًا أكثر، ولكن كراين تذكّر الشهبندر الذي كان مترجمًا له في عام 1919[23].

في تلك الليلة دعا كراين الشهبندر إلى غرفته في فندق قصر دمشق قرب ساحة المرجة. أوضح كراين أنه جاء إلى دمشق ليعدّ الإصدار المتأخر لتقرير لجنة كينغ-كراين: "أريدك أن تجمعني مع أهل هذه البلاد، وخاصة المتعلمين منهم،

---

(22) Columbia University Rare Books and Manuscripts Library, Bakhmeteff Archive, "Memoirs of Charles R. Crane," 429-30, Papers of Charles R. Crane, Box 20.

نُشرت الخطابات باعتبارها نقاط ولسون الأربعة عشر،

*Wilson's Fourteen Points* (Cairo: Mokattam Press, 1925); *Crane and Syria* (Cairo: Salafiya Press, 1927).

كانت المطبعة السلفية مطبعة دينية، ولها صلة برضا.

(23) King-Crane Commission Digital Collection, Oberlin College Archives [KCDC], Donald Brodie, "Mr. Crane's Visit to Syria, April 1-9, 1922," accessed on 27/7/2018, at: https://bit.ly/3t5yx4u;

عبد الرحمن الشهبندر، "كراين في سوريا"، في: **مذكرات وخطب**، تحقيق محمد كامل الخطيب (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1993)، ص 9-68.

لأرى إذا كانت أذهانهم قد تغيّرت، ولأرى إذا كانت المعلومات التي جمعناها صحيحة".

انتهز الشهبندر هذه الفرصة لينظّم لقاء وطنيًا مع كراين. اتفق أعضاء المنظمة السرية "اليد الحديدية" على تقديم ثلاثة مطالب: الاستقلال التام، وحدة سوريا الكبرى والحفاظ على الخلافة العثمانية، التي يمكن أن توفر التضامن بين الأقطار المسلمة والعربية الصغيرة. ولتفادي جواسيس الفرنسيين قرّروا أن يعقدوا اللقاء في حديقة زهور خارج دمشق.

وكما يستذكر كراين "في حديقة تلك المدينة كان العلماء يريدون أن يسمعوا قصص ولسون. رويتُ لهم عدة قصص لأشير إلى أن المبادئ الجوهرية للرئيس ولسون تجعله مسلمًا صالحًا، لأنّ العالَم الإسلامي يعني أن تكون في سلام مع الخالق وأن تكون في سلام مع جارك". في ردّهم على ذلك ذكر العلماء آيات قرآنية عن السيد المسيح، الذي يعتبره المسلمون نبيًا. كان أفراد الشرطة السرية الفرنسية الموجودون في محيط الحديقة يستمعون أيضًا إلى الحديث. كانوا يتابعون كراين في كل خطوة، وكانت تقاريرهم تصل إلى مكتب دو كيه في بيروت[24].

حاول كراين تجاوز الخلاف السياسي، إلا أن السوريين المجتمعين في الحديقة بقوا يثيرون المسائل الحادة. كانوا يريدون أن يعرفوا لماذا لم يُنشر تقرير لجنة كينغ-كراين، ولماذا فقدَ الأميركيون اهتمامهم بهذه القضية. شكوا من الضرائب والوحشية الفرنسية، وبقوا يزدرون البريطانيين لسماحهم بطرد فيصل. رجوا كراين أن يتبنّى قضيتهم. أثار الشهبندر الحماسة السياسية بترجمته المجمّلة للخطاب الدمث لكراين: "لا نقبل بأي كلمة أخرى، لذلك يجب أن تتبنوها!".

في استذكاره لذلك يقول كراين: "كانت دمشق تموج خلال وجودي، وقال البعض إن ذلك بسبب خطاباتي السياسية. كنت فقط أروي لهم قصصًا"[25]. كان

---

(24) Philip S. Khoury, *Syria and the French Mandate* (Princeton: Princeton University Press, 1987), p. 122.

(25) Brodie, p. 8; "Memoirs of Charles R. Crane," 430-32; Philip S. Khoury, "'Abd al-Rahman Shahbandar: An Independence Leader of Interwar Syria," in: C. Mansour & L. Fawaz (eds.), *Transformed Landscapes* (New York: American University in Cairo Press, 2009), pp. 31-60.

مساعد كراين دونالد برودي (Donald Brodie) قلقًا لأنّ العلاقات المسيحية المسلمة في سوريا عانت من الحكم الفرنسي. كتب يقول: "في عام 1918 كانت هناك فرصة ممتازة لعتاب (كذا) أقرب أو أكثر ودًا بين العالمين المسيحي والمسلم. هناك الآن أدلة كثيرة في سوريا على أن هذه الفرصة غير المسبوقة قد فُقدت بسبب الأخطاء الأوروبية، وأن الصدع الديني يتوسّع ولا يتقارب".

في الصباح الباكر من 6 نيسان/ أبريل، اليوم المقرر لمغادرة كراين، وصل عشرات السوريين إلى بهو فندق قصر دمشق. وكما يروي برودي فوجئ كراين برؤيتهم وهو ينزل الدرج من غرفته. شكر بحرارة زوّاره وتمنّى لهم الخير. وحين فتح باب سيارته أخذ السوريون في الهزيج والمطالبة بالاستقلال ووحدة سوريا. كانت في مقدمتهم امرأة سورية بارزة اقتربت من السيارة وطرحت الحجاب كي تناشد كراين في العربية. حيّاها الحشد عندما انطلقت السيارة. كانت ربما على بعد إنش من الشارع الضيق، الذي أصبح آنذاك ممتلئًا بالمحتجين. قفز البعض منهم على السيارة السائرة وأجبر السائق أن يتّجه نحو الساحة المركزية للمدينة. هرعت الشرطة المحلية وراءهم، ولكن الحشد رفض أوامرها بالتفرّق.

بعد عشرين دقيقة أوقف كراين السيارة في ساحة المرجة، حيث قال كلماته الوداعية الأخيرة ثم تابع سيره إلى بيروت. أثارت زيارته أوسع دائرة من الاحتجاج منذ يوم ميسلون. في مساء ذلك اليوم سمع كراين في بيروت أن الشرطة اعتقلت خمسة مواطنين بارزين من بينهم الشهبندر[26].

في اليوم التالي بعد صلاة الجمعة في الجامع الأموي انطلقت مظاهرة من ثمانية آلاف مواطن للاحتجاج على الاعتقالات. سار المسلمون والمسيحيون معًا عبر أسواق المدينة. وصلوا إلى القلعة، حيث كان الشهبندر في زنزانة لا تبعد كثيرًا عن الزنزانة التي كان فيها كامل القصّاب قبل سنتين. لم يكن الفرنسيون مستعدين للسماح باقتحام السجن كما حدث في تموز/ يوليو 1920. ولذلك أحضروا الدبابات والسيارات المدرعة والخيالة لإخلاء الشوارع، واعتقلوا 46 دمشقيًا.

---

(26) Khoury, *Syria*, pp. 121-125.

في 8 نيسان/ أبريل قادت زوجة الشهبندر أربعين امرأة في مظاهرة احتجاجية كبيرة أخرى. من بين المتظاهرات كانت نازك العابد الداعية إلى منح المرأة حق التصويت، التي عالجت يوسف العظمة في ميسلون. كان الحشد يهتف "سنشتري استقلالنا بدمائنا!". فضّ الفرنسيون الحشد بالقوة المميتة فقتلوا ثلاثة متظاهرين وسجنوا العشرات في القلعة. وردًا على ذلك اندلعت الاحتجاجات في حمص وحماة وحلب.

تولّى فارس الخوري، وزير المالية السابق في عهد فيصل والمحامي البارز الآن في المدينة، الدفاع عن الشهبندر في المحاكمة. ولكنهما خسرا القضية حيث حُكم على الشهبندر بالسجن عشرين سنة لتنظيم احتجاجات وأخذ أموال من كراين لأجل ثورة مسلحة في سوريا. كما اعتُقلت نازك العابد أيضًا وفي حوزتها ألف دولار. أصرّ كراين على أن المبلغ هو منحة للدراسة في الولايات المتحدة. انتشرت الشائعات أن كراين قد حُكم عليه غيابيًا أيضًا[27].

وقبيل وضعه في السجن كتب الشهبندر رسالة بالإنكليزية إلى "سعادة الدكتور و. ولسون، الرئيس السابق للولايات المتحدة الأميركية"، مذكرًا إياه بأنه أرسل له رسالة خلال الحرب: "إن تعهداتك المشهورة في جبل فرنون (Vernon) كانت في تلك الأيام، كما هي الآن، ملهمة لكل الشعوب في الشرق. ولكن للأسف! ما حاولنا أن نتجنّبه سقط كحجر الطاحون على رأس شعبنا".

وجاء في رسالته أيضًا: "إن صديقكم الأكثر وفاء السيد كراين مبعوث العناية الإلهية لسوريا المعذبة، سيخبركم لاحقًا بعد زيارته القصيرة إلى بلادنا عن الحالة البائسة لشعبنا". أخبر الشهبندر الرئيس أيضًا أنه اعتُقل مع زملائه فقط بسبب حديثهم عن كراين: "في هذه البلاد تُعتبر جريمةً المطالبة بالاستقلال أو تطبيق مبادئ الدولة الأميركية كما عبّر عنها الدكتور ولسون". وقد وقع على

(27) "Crane Sentenced by French in Syria but Free in Paris," *New York Times*, 26/5/1922, p. 1.
بطاقة بريدية للشهبندر وشخصين آخرين تم الحكم عليهما، تم الاطلاع عليها بتاريخ 27 تموز/يوليو 2018 في: https://bit.ly/3NFSV3N

رسالته كما يلي: "الأستاذ الشهبندر الوزير السابق للخارجية في الحركة الوطنية السورية"[28].

وكما كان يأمل المعارضون السوريون، تعاملت الصحافة العالمية مع قضية كراين كفضيحة[29]. في مقابلاته الصحفية زعم كراين أن المعارضة السورية قوية إلى حد أن فرنسا ستحتاج إلى أن تنفق نصف مليار فرنك للحفاظ على جيشها المحتل المؤلف من 100 ألف جندي.

أما جريدة **نيويورك تايمز** فقد نشرت مقالًا استشهدت فيه بميشيل لطف الله الذي توقّع اندلاع حرب أخرى إذا أقرّت عصبة الأمم الانتداب الفرنسي. وورد في تصريحه للجريدة: "من الواضح الآن أنّ الإمبرياليين يحوّلون مبادئكم النبيلة في سوريا إلى مسخ. إن الشعب السوري... يضع كل آماله وثقته في الشعب الأميركي"[30].

استفاد كراين من الاحتجاج العام لكسب موافقة ولسون لنشر تقرير لجنة كينغ-كراين. إلا أن التقرير لم ينشر إلا بعد أن اتخذت عصبة الأمم قرارها المشؤوم لإدراج الانتدابات على الأقطار العربية في القانون الدولي[31]. كان كراين لا يعرف سوى القليل عن أن هاردينغ (Harding) وزير خارجية الرئيس كان يتفاوض حول الاعتراف الرسمي بالانتدابات البريطانية والفرنسية في فلسطين وسوريا ولبنان

---

(28) KCDC,

الشهبندر إلى ولسون 6 نيسان/ أبريل 1922. في خطأ واضح أرّخ الأرشيف الرسالة 6 أيار/ مايو 1922. تم الاطلاع عليها في 23 أيلول/ سبتمبر 2018، في: https://bit.ly/3a4gaGc

(29) "French Military Court Sentences Charles R. Crane," *Sacramento Union*, 26/5/1922.

أعيد نشر الخبر في ذلك اليوم في صحيفة **شيكاغو ديلي نيوز** (Chicago Daily News). ينظر أيضًا:
"The Damascus Riots," *The Times*, 26/5/1922, p. 10; Catroux (Général), *Deux missions en Moyen Orient* (Paris: Plon, 1958), pp. 96-99.

(30) "Syrians Threaten War on the French," *New York Times*, 14/5/1922, p. 3; "No Question at Paris of Bringing Crane to Account," *Boston Globe*, 27/5/1922, p. 7; "Crane Again Jars French on Syria," *New York Times*, 27/5/1922, p. 1.

أبرز سَبْرٌ في موقع Newspapers.com وجود مقالات في 433 صحيفة أرمنية تذكر اسم كراين في 1922.

(31) "First Publication of the King-Crane Report on the Near East," *Editor and Publisher*, vol. 55, no. 27 (December 1922).

في معاهدات منفصلة. إلا أن الولايات المتحدة لم تعمد إلى أي اشتراط يتعلق بالسيادة أو موافقة السكان المحليين، بل إنها ركّزت في المفاوضات على الرغبات الأميركية لحماية إرسالياتها ومؤسساتها التعليمية، وكذلك لأجل شروط عادلة للاستثمار الصناعي والتجاري، وهي ما تمّت بهدوء في اتفاقيات جانبية[32].

## الهجوم المضاد للإمبراطورية

كان لاختيار مجلس العصبة لندن مقرًا للاجتماع لإقرار المصادقة على الانتدابات له بعد رمزي، سواء بقصد أو بدون قصد. فالمحاضر أكّدت معايير العاصمة الإمبريالية أكثر من تأكيد المُثل العليا في جنيف. وفي ردّهم على المظاهرات الجماهيرية في نيسان/ أبريل قام الفرنسيون بحشد آلتهم الدعائية لضمان الموافقة على الانتداب على سوريا.

كتب غورو إلى أخته بعد زيارة كراين "إن رياح الاستقلال تهبّ في الشرق". وقد سجّل أنه في شباط/ فبراير نجح المصريون في التفاوض حول معاهدة تنهي الحماية البريطانية. وكان مكتب غورو قد موّل نشر كتب ومقالات تبيّن كيف قام الفرنسيون بتوطيد الاستقرار في سوريا بعد أن عانت من "الفوضى الشريفية". أما الخبراء الفرنسيون فقد وضعوا اللوم حول مشاكل سوريا على التعصّب الإسلامي والتأثير البريطاني[33].

---

(32) وزير الخارجية إلى السفير في فرنسا والسفير في فرنسا (هيريك) إلى وزير الخارجية، 19 أيار/ مايو و30 حزيران/ يونيو 1922؛ بلفور إلى هيوز، 13 كانون الثاني/ يناير 1922؛ وزير الخارجية إلى بلفور، 27 كانون الثاني/ يناير 1922؛ وزير الخارجية إلى السفير في بريطانيا العظمى (هارفي)، 3 نيسان/ أبريل 1922؛ هارفي إلى وزير الخارجية، 1 أيار/ مايو 1922؛ وزير الخارجية إلى هارفي، أيار/ مايو 1922؛ القائم بالأعمال البريطاني (شيلتون) إلى وزير الخارجية، 10 تموز/ يوليو 1922؛
State Department, *Papers Relating to the Foreign Relations of the United States 1922,* vol. 2 (Washington, DC: Government Printing Office, 1938), pp. 117-133, 268-300.

(33) Philippe Gouraud, *Le Général Henri Gouraud au Liban et en Syrie 1919-1923* (Paris: L'Harmattan, 1993), pp. 147-149, 163-164; Comte R. de Gontaut-Biron, *Comment la France s'est installée en Syrie (1918-1919)* (Paris: Plon, 1922), pp. 185-212; Alfred Fabre, *La crise des Alliances* (Paris: Société d'Études et d'Informations Économiques, 1922), pp. 15-39, 51-61; Haut Commissariat de la République française, *La Syrie et le Liban en 1921* (Paris: Émile Larose, 1922), p. 242; Philippe = David, *Un Gouvernement arabe à Damas: Le Congrès syrien* (Paris: Marcel Giard, 1923), pp. 56-63,

زوّد دو كيه مجلس العصبة بتقرير سنوي عن حكم فرنسا في السنة الأولى، حيث ألقى تبعة استمرار المشاكل على عدم كفاءة السوريين. جادل دو كيه في أن كلّ الموظفين من ذوي الخبرة غادروا إلى الأناضول بعد نهاية الحرب العظمى. وبسبب هذا الفراغ كان على فرنسا أن ترسل كوادرها. محا التقرير افتراضيًا عهد الحكم الذاتي الذي استمر 22 شهرًا ضمن المملكة العربية السورية، مع الإشارة في ما يلي من التقرير إلى أن الاستياء الموجود يعود إلى "فساد النظام المركزي الذي أقامه فيصل"[34].

قاد ميشيل لطف الله وفدًا إلى لندن لتقديم آخر التماس. ومع أن الصحافة عرضت قضيتهم إلا أن مجلس العصبة رفض لقاء السوريين. وببساطة تم تجاهل 613 عريضة تلقتها العصبة من سوريا ولبنان[35].

في 24 تموز/ يوليو أعلن مجلس العصبة عن موافقته على الانتدابات في جلسة علنية عقدت في قصر القديس جيمس. رحّب العضو الفرنسي في المجلس بالانتدابات كالتزام شهم، مشيرًا إلى أن فرنسا وبريطانيا كان في إمكانهما أن تضمّا فلسطين وسوريا في لحظة الانتصار. أما بلفور، العضو البريطاني في المجلس، فقد أكد للجمهور باقتضاب أن بريطانيا ستحمي الأماكن المقدسة في فلسطين وتعامل عرب فلسطين بالعدل، في حين أن العضو الإيطالي لم يعلق بشيء واكتفى بتهنئة بلفور بعيد ميلاده[36]. احتجت الحكومة القومية التركية في أنقرة دون جدوى ضد التوزيع الصلف للانتدابات التي شملت أراضيَ عثمانية قبل التوقيع على معاهدة سلام رسمية[37].

---

73-79, 118-120; Auguste Gauvain, "Five Years of French Policy in the Near East," *Foreign Affairs*, = vol. 3, no. 2 (December 1924), pp. 277-292.

(34) LN-Geneva, Annual report for 1922 in Series 4284/Box 22/File 1/Doc. 22042, 2-10. Quote from 10.

(35) الأمير شكيب أرسلان، **أعمال الوفد السوري الفلسطيني**، تحقيق سوسن النجار نصر (الشوف، لبنان: الدار التقدمية، 2009)، ص 50-54؛
Pedersen, pp. 80-92, 107-111.

(36) "A Mandates Approved," *The Times*, 25/7/1922, p. 9; Quincy Wright, *Mandates under the League of Nations* (Chicago: University of Chicago Press, 1930), pp. 56-59.

(37) Turkish Diplomatic Mission to Department of State, May 18, 1922, enclosed in Ambassador in France (Herrick) to Secretary of State, May 26, 1922, in *FRUS 1922,* 2: 280-81.

في آب/ أغسطس نشرت فرنسا صكّ الانتداب الذي حدّد شروط حكمها في سوريا ولبنان. وهكذا ستكون الفرنسية لغة رسمية إلى جانب العربية، كما أن مشورة "السلطات الأهلية" لن تكون مطلوبة في الحكم إلا بعد 3 سنوات، حين يتطلب الأمر تبنّي دستور. كما أن الفرنسيين لن يكونوا مطالبين باحترام الحقوق المدنية التي كفلها الدستور السوري في عام 1920، بل سيكونون مطالبين فقط بضمان حرية الاعتقاد الديني وحكم القانون الديني [أحكام الشريعة]. كان أكثر ما يجرح في هذا الصك أن السوريين كانوا ملزمين بدفع نفقات استعمارهم. فقد كان على السكان المحليين أن يدفعوا نفقات الحفاظ على القوات الفرنسية المحتلة. وحتى بعد تبنّي الدستور وإنهاء الانتداب، كان السوريون ملزمين بأن يردّوا لفرنسا كل النفقات الإدارية، بما في ذلك تقاعد الموظفين الفرنسيين[38].

وبالعودة إلى جنيف، فقد حذّر لطف الله الجمعية العامة للعصبة من أن تصادق على قرار المجلس. قال في نصيحته إن شعوب العالم لا تزال تثق بالعصبة لضمان السلام: "لكن إذا اكتفت الجمعية العامة بالمصادقة على قرار المجلس وتبرير هذا الظلم، فإن هذه الثقة ستضمحل وتجعل الشعوب لا تؤمن بعد ذلك بعصبة الأمم. وبذلك فإن القوة ستنتصر على الحقيقة مرة أخرى"[39].

في سوريا، وُزّع منشور يدين "استبداد" فرنسا وبريطانيا اللتين أنكرتا حق الشعب في اختيار حكامه: "إن حلفاءنا تحولوا إلى أعداء، إنهم يفعلون أمورًا لم يفعلوها من قبل في أكثر الأقطار بدائية وأقلها مدنية مثل السنغال"[40].

أثّرت هذه الهزيمة كثيرًا على رشيد رضا. ففي تشرين الثاني/ نوفمبر نشر رسالة تنبؤية مريرة موجهة إلى الليبراليين الأوروبيين في **المنار**. حذّر رضا من أن التاريخ سيحاكمهم بقسوة إذا لم يحرّروا العصبة من سيطرة القوى العظمى. كتب رضا "نرجو من هؤلاء الأحرار المنصفين تعاون الكتّاب والعلماء والصنّاع والزرّاع

---

(38) LN-Geneva League of Nations, "Mandate for Syria and the Lebanon," August 12, 1922, Series 4284, Box 22, Articles 2, 15, and 19. Published in English as "French Mandate for Syria and Lebanon," supplement to *American Journal of International Law*, vol. 17, no. 3 (July 1923), pp. 177-182.

(39) أرسلان، ص 120، 130-132.

(40) MAE-Courneuve, "Independence Is Not Given," PAAP 399, Carton 130.

على قلب سياسة المطامع، المعزّزة بالبنادق والمدافع، المفضية من حرب إلى حرب، لا تنتهي إلا بخراب الأرض وإهلاك الحرث والنسل".

ومما جاء فيها أيضًا: "كان الشرقي إذا أراد أن يؤكد صدق قول أو الوفاء بوعد يقول "كلمة إفرنجية أو إنكليزية"، كيف لا وقد وعدهم هؤلاء بالتحرير وعودًا عامة وخاصة... ثم كانت عاقبتها احتلالًا عسكريًّا قاهرًا لسوريا والعراق مع بيع فلسطين لليهود، واستعبادًا وإذلالًا للعرب من قبل المحررين المنقذين لهم، المنتدبين باسم عصبة الأمم".

كان رضا، مثل لطف الله، يستحضر رؤية سوداء عن المستقبل: "إذا أعرض أحرار أوروبا عن هذه الدعوة، أو عجزوا عن إصلاح ذات البين بين الشرق والغرب، ورأى زعماء الشعوب الشرقية أن عصبة الأمم رضيت لنفسها أن تكون آلة شر وجدت في الأرض.. فستكون عاقبة ذلك خراب أوروبا بحرب أخرى"[41].

في تلك اللحظة، في تشرين الثاني/ نوفمبر 1922، غادر الجنرال غورو منصبه كمفوّض سامٍ. فمع نشر صكّ الانتداب رسميًا في آب/ أغسطس، قدّم رسالة استقالة من تسع عشرة صفحة احتجاجًا على اقتطاعات الميزانية. فقد جادل معارضو الغزو الفرنسي، بمن فيهم المحارب القديم الذي كُرّم بوسام على شجاعته في معركة فردان، ضد الخفض الكبير في حجم القوات المحتلة الفرنسية. كان جيش المشرق ضعف حجم الجيش البريطاني المحتل في العراق ومصر معًا. وحسب هذا المحارب القديم [غورو]، فإن [جيش المشرق] كان عاجزًا عن أن يحول دون تحول مظاهرة بسيطة خلال زيارة تشارلز كراين إلى فضيحة دولية.

أبرز غورو وثيقة يؤكد فيها المفوض على انتداب خفيف يسمح للسوريين بالحرية والحكم الذاتي. لقد فهم ما لم يفهمه البرلمان في باريس: إن السوريين لن يقبلوا الانتداب بقمع عسكري قوي، فكتب إلى رئيس الوزراء: "للمرة الأخيرة ألتمس من سعادتكم أن تطلبوا من البرلمان وأن تحافظوا على الـ 13

---

(41) محمد رشيد رضا، "الرحلة الأوربية" القسم 7، مجلة **المنار**، مج 23 (تشرين الثاني/نوفمبر 1922)، ص 700-702.

مليون (فرنك) المطلوبة". إلا أن باريس لم تقدّم التمويل [المطلوب]، ولذلك غادر غورو بيروت في 20 تشرين الثاني/ نوفمبر 1922 تاركًا دو كيه مفوّضًا ساميًا مؤقتًا[42].

وهكذا بعد 16 شهرًا تقريبًا من احتلال دمشق، كان أكثر المدافعين العلنيين عن مهمة فرنسا في سوريا قد تركها. كما أن البرلمان في كلّ من لندن وباريس تراجع اهتمامه بالانتدابات. فمع استمرار الأزمة الاقتصادية بعد الحرب في أوروبا قام النواب الذين صوّتوا للحفاظ على الشرف الوطني في عام 1919 بتخفيض الميزانيات الآن. إلا أنهم لم يذهبوا أبعد من ذلك ليحرروا العرب [من الانتدابات].

وعوضًا عن ذلك، فقد اختاروا الاستمرار في الانتدابات بميزانية ضئيلة وبأسلوب إنساني أقل وأكثر فظاظة، واستخدموا لذلك الاستعلاء العرقي لتبرير تصرفاتهم. فقد استحدث تشرشل في العراق حلًا متطرفًا لسدّ نقص القدرة المالية لبريطانيا كي تحكم العراق. وهكذا عوضًا عن وجود الدرك على الأرض ستقوم القوة الجوية الملكية بمراقبة الريف من الجو، وقصف العشائر والقرى التي ترفض دفع الضرائب[43]. وفي سوريا كانت فرنسا قد استخدمت سابقًا الإرهاب الجوي في معركة ميسلون، كما أن إحراق القرى أصبح وسيلة روتينية للقمع. كما أن كل دائرة في الحكومة في الأنظمة التي أقامتها [فرنسا وبريطانيا] في سوريا والعراق، بما في ذلك الصحة العامة، أصبحت فرعًا من جهاز الاستخبارات[44]. وبذلك أصبحت الدول المحكومة بالانتداب نموذجًا للدكتاتورية البعثية المستقبلية في كل من سوريا والعراق.

---

(42) MAE-Courneuve, Gouraud to Poincaré, August 17, 1922, and November 9, 1922, PAAP 399, Carton 130, File 2, "Officiel Départ"; *Journal officiel-Chambre,* 2ème séance du 23 juin 1922, 1971-84.

انضم إدوارد دالادبير وليون بلوم إلى النائب لويس شابيدلين في اقتراح تخفيضات فورية في الميزانية. وتلقوا تصفيقًا من أعضاء البرلمان. حول تكريم تشابدلين في فردان، يُنظر: https://bit.ly/38R6Gy6

(43) Priya Satia, *Spies in Arabia: The Great War and the Cultural Foundations of Britain's Covert Empire in the Middle East* (New York: Oxford University Press, 2008), pp. 439-462.

(44) Daniel Neep, *Occupying Syria under the French Mandate* (New York: Cambridge University Press, 2012), pp. 50-57; Martin Thomas, *Empires of Intelligence: Security Services and Colonial Disorder after 1914* (Berkeley: University of California Press, 2007), pp. 14-44.

استعاد رضا ذرّة أمل في أن معاهدة السلام الجديدة مع تركيا يمكن أن تلغي الانتدابات. فقد تمكن أخيرًا مصطفى كمال في نهاية 1922 من هزيمة الجيش اليوناني، وبدأت بعدها المفاوضات في لوزان بسويسرا. إلا أن الأتراك لم يدفعوا باتجاه تحرير رعاياهم السابقين من العرب. ففي معاهدة لوزان، الموقعة في 24 تموز/ يوليو 1923، تنازلوا عن كل مطالبهم بالسيادة على الأراضي العربية في الإمبراطورية العثمانية مقابل استقلالهم.

تلاشى الأمل نهائيًا في 29 أيلول/ سبتمبر 1923 حين أُدرجت الانتدابات في القانون الدولي. منذ ذلك الحين تولى دو كيه منصبه الجديد كممثل فرنسا في اللجنة الدائمة للانتدابات في جنيف. وهكذا أصبح الإمبرياليون الآن يحكمون الانتدابات التابعة لهم دون أي حرج من الولسونية. وخلال السنوات الـ 15 التالية كان دو كيه يكتب شخصيًا التقارير السنوية المنمّقة، مؤكدًا أنه لن تؤخذ في الاعتبار من قبل اللجنة الدائمة للانتدابات أي عريضة سورية معارضة. وقد رعى نظام الكانتونات للأقليات الذي أقامه ضد كفاح الوطنيين بإقامة مجتمع مشترك. كان أثر السلطة الثابتة لـ دو كيه في عصبة [الأمم] مدمّرًا ومستمرًا[45]. كان يزعم أنه يحارب القومية العربية، ولكنه في الحقيقة كان ينسف أي أساس لانتعاش الديمقراطية الليبرالية من جديد.

حول ذلك كتب دروزة لاحقًا: "إن انهيار عهد فيصل كان صدمة شديدة... وكان لهذه الصدمة أثر قوي في سائر أنحاء البلاد العربية العثمانية". ويعزو سبب ذلك الانهيار أولًا إلى "غدر الحلفاء" وإلى القيادة الضعيفة. فقد كان العرب السوريون لا يملكون الوقت الكافي لكسب الخبرة المطلوبة لمواجهة الأساليب المراوغة للدبلوماسيين الإمبرياليين في أوروبا[46].

---

(45) Gérard D. Khoury, *Une Tutelle coloniale: Le Mandat français en Syrie et au Liban* (Paris: Belin, 2006), pp. 66-70, 83-86.

(46) محمد عزة دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة** (بيروت: المطبعة العصرية، 1959)، ج 3، ص 136، كما وردت في: محمد موفاكو الأرناؤوط، **دراسات حول الحكومة: الدولة العربية في دمشق 1918-1920** (عمان: دار الشروق، 2000)، ص 95-96.

توفي ولسون بعد أربعة شهور من قوننة الانتدابات. انضمّ تشارلز كراين إلى حاملي النعش في تشييع صغير جرى في بيت ولسون في واشنطن العاصمة بعد ظهر يوم بارد في 6 شباط/ فبراير 1924[47].

أرسل السوريون تعازيهم إلى إديث ولسون. بعد عام من ذلك صدر في القاهرة كتيب بعنوان: **ولسون الرئيس الديمقراطي**. كان الكتاب من إصدار جمعية الرابطة الشرقية، التي كان رشيد رضا نائبًا لرئيسها. تضمّن الكتيب ترجمة عربية للكلمة التأبينية عن ولسون التي ألقاها في جلسة مشتركة للكونغرس في 24 كانون الأول/ ديسمبر إدوين أندرسون ألدرمان (Edwin Anderson Alderman)، رئيس جامعة فرجينيا وصديق الطفولة لولسون. استذكر ألدرمان ولسون كشهيد مسيحاني في سبيل مُثله العليا، كإنسان متأثر بالمبدأ الديني لخدمة المصلحة العامة. وقال في كلمته: "أنا ممن يعتقدون أنه كسب أكثر مما ضحى في فرساي، وأنا أعرف أنه وحده بين الأموات الذي يمكن أن ينجو من بحر الآلام لعصبة الأمم".

ولكن ألدرمان اعترف بأن السنوات الأربع الأخيرة من حياة ولسون أصبحت كئيبة: "فيها خيبةٌ كبيرةٌ وفوضى مهينةٌ للسلام ونوعٌ من الخجل من الذات والاستخفافُ باستعادة أحلام تلك السنوات والإيمانُ بانتصار المُثل الأخلاقية، كُلّ هذه كانت تبدو كأنها تستبقي الأمة والعالم في قبضتها"[48].

كان ألدرمان كأنه يصف حالة روح رشيد رضا والاحتمالات الصعبة التي واجهها الشهبندر بعد إطلاق سراحه من السجن. كان يبدو أن مرحلة السياسة الجماهيرية الليبرالية قد ماتت، وظهرت عوضًا منها مرحلة العسكريتاريا (militarism) الشعبوية، وحتى الفاشية. بهتت ذكريات شعبية ولسون. وحتى

(47) "Simplicity Marks Service in the Home," *New York Times*, 7/2/1924, p. 2; F. W. Brecher, "Charles R. Crane's Crusade for the Arabs, 1919-39," *Middle Eastern Studies*, vol. 24, no. 1 (1988), p. 43.

(48) "Memorial Services for Woodrow Wilson," *Congressional Record, House of Representatives*, 15/12/1924, pp. 628-635; Rabitat Sharqiya, *The Democratic President Wilson* (Cairo: Mokattam Press, 1925).

المؤيدون السابقون تركوا الولسونية باعتبارها مثالية زائفة، أو فكرة حُكم عليها بالإخفاق[49].

في جنيف استذكرت عصبة الأمم أباها المؤسس بإعادة تسمية واجهة مقرّها المطل على البحيرة باسم "مبنى ولسون"، حيث نُقش على نُصُب حجري لوحة تقول "إلى ذكرى وودرو ولسون". وهكذا تحول الفندق الفيكتوري الضخم، الذي سرعان ما تُرك لتنتقل العصبة إلى مقرها الجديد، إلى ضريح افتراضي لمُثل ولسون العليا[50].

(49) Trygve Throntveit, *Power without Victory: Woodrow Wilson and the American Internationalist Experiment* (Chicago: University of Chicago Press, 2017), p. 299.

(50) Pedersen, p. 45.

# خاتمة

## افتراق الطرق: الليبرالي والشيخ والملك

عاد الدكتور عبد الرحمن الشهبندر إلى دمشق في صيف 1924، بعد سنتين من اعتقاله. كان قد أمضى 17 شهرًا في السجن ثم عدة شهور أخرى في المنفى. في غضون ذلك، سافر إلى الولايات المتحدة لزيارة تشارلز كراين ولجمع التبرعات للمؤتمر الفلسطيني السوري. جاء انتخاب حكومة جديدة يسارية في باريس لتفتح الباب أمام الشهبندر ليستأنف نشاطه السياسي. ولم تقم باريس بالعفو عنه فحسب، بل رفعت أيضًا القيود السياسية عنه. وهكذا استأنف وزير الخارجية السابق عمله في المجال الطبي وأعاد بهدوء ربط شبكة علاقاته القديمة في العاصمة السورية. كما أنه حافظ على صلاته مع رشيد رضا وغيره من أعضاء المؤتمر الفلسطيني السوري في القاهرة.

في حزيران/ يونيو 1925 أعلن الشهبندر عن تأسيس حزبه الجديد حزب الشعب في دار الأوبرا في دمشق[1]. وعد في خطابه الحماسي بالتحرر من الانتداب "الاستبدادي" وإعادة توحيد سوريا وإحياء حكم دستوري. ادّعى الحزب أن عدد أعضائه وصل إلى الألف، من بينهم وزيران مسيحيان من حكومة عام 1920،

(1) المقصود هنا دار أوبرا العباسية التي بناها عباس منيني القادم من بيروت في عام 1920 لتكون مقهى في طابقها الأرضي وملهى في الطابق العلوي، الذي تحول إلى سينما في عام 1934، ثم هُدمت في نهاية الأربعينيات وشيّد مكانها في مطلع الخمسينيات مجمع عمراني يضم فندق سميراميس وسينما العباسية (مجمع 8 آذار حاليًا). (المترجم)

فارس الخوري ويوسف الحكيم، وزعماء المسلمين في العاصمة. وصرح الشهبندر قائلًا: "دون شك، هذه مرحلة جديدة في التاريخ السياسي لسوريا"[2].

كان الشهبندر يخطّط لتوسيع حزب الشعب ليشمل المدن الرئيسية الأخرى في سوريا. كان الحزب يموّل من قبل المؤتمر الفلسطيني السوري والتجار المحليين، كما كانت أسرة رستم حيدر في بعلبك تموّل جريدته. أحيا حزب الشعب بوضوح الروح الليبرالية للحزب التقدمي في المؤتمر السوري. كان رفيق الشهبندر المقرب حسن الحكيم يملك نسخة نادرة من دستور عام 1920 قام بنشرها لاحقًا.

إلا أنّ هذه الخطط انقلبت بسبب الانتفاضة المسلحة في سوريا الجنوبية في آب/ أغسطس 1925 بقيادة سلطان باشا الأطرش، زعيم طائفة الدروز. تمرّد الدروز ضد حاكم فرنسي متعصرن ومتطفل، فتخلى الشهبندر عن سياسته السلمية وتحالف مع الدروز لتنظيم ثورة وطنية. أثارت "الثورة السورية الكبرى" في بيانها الشعبَ للثأر لأولئك الذين هُزموا في ميسلون لإعادة إعلان الدستور وإحياء الديمقراطية. ومما ورد في البيان: "تذكروا أن يد الله معكم وأن رغبة الشعب رغبة الله". ودعا البيان السوريين لمحاربة الفرنسيين لأجل الحفاظ على "مبادئ الثورة الفرنسية وحقوق الإنسان"[3].

في هذه المرة، وعلى النقيض من عام 1920، تطوّع آلاف السوريين للقتال ضد الفرنسيين. لم يأتِ هؤلاء من دمشق فقط وإنما من موطن الدروز في الجنوب ومن حلب في الشمال. وبحلول تشرين الأول/ أكتوبر 1925 كانت هذه الثورة قد انتشرت في الريف حتى وصلت إلى غوطة دمشق. ردّ الفرنسيون على ذلك بقصف مكثف للعاصمة بالطائرات والمدافع. احترق قسم كامل من المدينة وقتل مئات المدنيين، إلا أن السخط الدولي أجبر المفوض السامي على الاستقالة.

---

(2) حسن الحكيم (محرر)، **عبد الرحمن الشهبندر، حياته وجهاده** (بيروت: دار المتحدة للنشر، 1985)، ص 110.

(3) Michael Provence, *The Great Syrian Revolt and the Rise of Arab Nationalism* (Austin: University of Texas Press, 2005), pp. 81-83.

أعلن الشهبندر من ملجئه في جبل الدروز عن حكومة مؤقتة كما أعلن الاستقلال. وقد أصبح الشهبندر بسرعة معروفًا في الشرق الأوسط مثل مصطفى كمال في تركيا وسعد زغلول في مصر(4). في غضون ذلك أصدر مكتب المؤتمر الفلسطيني السوري في جنيف بيانًا صحافيًا وترجمات لكتيبات الشهبندر. كما وسافر رياض الصلح من لبنان، الذي انضم إلى المؤتمر الفلسطيني السوري حين كان في المنفى، إلى فرنسا ليحشد الرأي العام ضد رؤوس اللوبي الاستعماري القوي(5). وما إن حلّ الشتاء حتى كانت الثورة قد انتشرت في شمال سوريا.

في ربيع 1926 أطلقت فرنسا حملة عنيفة مضادة للثورة أجبرت الشهبندر على اللجوء إلى المنفى. بعد أن عبر الحدود إلى فلسطين التقى هناك صديقه القديم تشارلز كراين. تجوّل الاثنان في جبل الزيتون بالقدس. وكما يتذكر كراين كان [الشهبندر] "يبدو ثابتًا وواضحًا حول موقف ووضعية وأهداف الحركة الثورية". كان الأميركي معجبًا بشكل خاص بالخبرة السورية في حرب العصابات وبمستوى التأييد العام للمقاتلين(6).

ولكن حتى نهاية العام كان الثوار قد أُسقط في يدهم، وسقط أيضًا أيّ أمل في تدخل عصبة الأمم. ومرة أخرى اختبأت عصبة الأمم وراء جدار الإقصاء القانوني. ومع أن اللجنة الدائمة للانتدابات عقدت جلسة خاصة في روما حول الثورة السورية، إلا أنها رفضت أن تسمح للسوريين بالإدلاء بشهادتهم. وكما أوضح وليام رابار فقد كان من المستحيل السماح لمواطن سوري أن يجلس إلى جانب فرنسي على قدر المساواة(7). خلال جلسة الاستماع نفى دو كيه وجود شعب سوري. وفي دفاعه عن الحاجة إلى عمل عسكري فرنسي أصرّ قائلًا:

---

(4) Michael Provence, *The Last Ottoman Generation and the Making of the Modern Middle East* (New York: Cambridge University Press, 2017), pp. 163-164.

(5) Patrick Seale, *The Struggle for Arab Independence: Riad el-Solh and the Makers of the Modern Middle East* (New York: Cambridge University Press, 2010), pp. 202-205; William L. Cleveland, *Islam against the West: Shakib Arslan and the Campaign for Islamic Nationalism* (London: Al Saqi, 1985), pp. 52-55.

(6) Columbia University Rare Books and Manuscripts Library [CURBML], "Memoirs of Charles R. Crane," 499-500, Bakhmeteff Archive, Papers of Charles R. Crane, Box 20.

(7) Provence, *The Last Ottoman Generation*, pp. 170-175.

"إنه من الخيال المحض الزعمُ، كما يفعل بعض السوريين والفرنسيين، بأننا وجدنا في المشرق أمة منظمة مستعدة لأن تحكم نفسها"[8].

أعاق دو كيه وصول العرائض الموجّهة إلى عصبة الأمم التي جاءت من الداخل السوري. وعندما سألت اللجنة الدائمة للانتدابات عن عدم استلام أي واحدة كذب دو كيه واخترع نظرية تقول إن السوريين كانوا مضطهدين خلال الحكم العثماني إلى حدّ أنهم لا يزالون يخافون من إرسال العرائض. وهكذا بعد 17 سنة من إعلان السلطان عبد الحميد أن الشعوب العثمانية أصبحت ناضجة بما فيه الكفاية للحكم الدستوري، يجادل دو كيه أنّ السوريين ليسوا ناضجين بما فيه الكفاية كي يحكموا أنفسهم[9].

غيّرت هذه الهزيمة العسكرية الثانية، التي جاءت الآن بتواطؤ عصبة الأمم، السياسة العربية السورية. بعد عام 1926، لم يعد لأحد أمل في جنيف أو في العصبة أو في الليبراليين الأوروبيين. أدّت خسارة الثقة الدولية إلى نسف الثقة في العدالة المحلية أيضًا. كانت الولسونية هي المادة اللاصقة التي أبقت الائتلاف الديمقراطي متماسكًا في دمشق بعد الحرب. فقد بعثت الاعتقاد من العهد العثماني بأن الحكومة الديمقراطية يمكن أن ترسخ سيادة الدولة بتحديد سلطة الحاكم الذي يمكن أن تفسده الدول الأجنبية. إلا أن هذه المعادلة سقطت في الحالة العثمانية، ولكن الولسونية منحت السوريين الإيمان بنوع جديد: إن الحكومة الدستورية يمكن أن تضمن الحماية الدولية ضد العدوان الأجنبي. إن هذا الإيمان جمع الأطراف المختلفة في المؤتمر السوري: الغني الدمشقي عبد الرحمن اليوسف وموظف البريد من نابلس عزة دروزة، والشيخ المحافظ عبد القادر الخطيب والشيخ الشعبوي كامل القصّاب. كان الإيمان في الولسونية أيضًا الأرضية المشتركة التي استطاعت أن تجمع بين الملك فيصل ورشيد رضا.

(8) French Ministry of Foreign Affairs archive at Nantes, Fonds Beyrouth, Robert de Caix, "L'organisation donnée à la Syrie et au Liban depuis 1919 et l'élaboration du Statut Organique," November 20, 1925, Carton 1359, Dossier 1 Statut Organique.

بعد أيام من البحث، خلصت إلى أنه تم محو كل ذكر لدستور 1920 من الأرشيف.

(9) Provence, *The Last Ottoman Generation*, p. 175.

ولكن هزيمة الثورة السورية أدّت بالتجمع الدستوري الليبرالي الذي كان ثابتًا في عام 1920 إلى أن ينشق جزئيًا بطريقة لا رجعة فيها. كما أن صمت عصبة الأمم والرأي العام العالمي المطبق نسف التأييد للسياسيين الليبراليين. كذلك فإن امتداد الانتداب الذي يفترض أن يكون مؤقتًا جعل العودة إلى الائتلاف الدستوري الإسلامي الليبرالي في عام 1920 أقل احتمالًا. كما أن الإدارة القمعية الفرنسية ورعاية نخبة معادية للديمقراطية أقامت حواجز هيكلية جديدة أمام السياسة الديمقراطية. كانت الدعاية لدى كلا الطرفين تتواطأ لمحو عام 1920 كلحظة نجاح ديمقراطي مكثف واستبدالها بمذكرات مسيّسة للإخفاق الأخلاقي، والقيادة الضعيفة، والخيانة الوطنية[10].

وسط هذا التشوش والانكسار نبتت بذور الدكتاتورية والإسلاموية (Islamism) المعادية لليبرالية.

## انشقاق في المؤتمر الفلسطيني السوري[11]

تأسّس المؤتمر الفلسطيني السوري عام 1921 لتمثيل سوريا الكبرى أمام عصبة الأمم، ولإحياء المؤتمر السوري أيضًا. استمرّ رشيد رضا في التوقيع على العرائض باعتباره رئيس المؤتمر وفي التوسّط بين المحافظين الدينيين والليبراليين العلمانيين. كما أن ميشيل لطف الله استمر في تمويل المؤتمر الفلسطيني السوري وحزب الشعب للشهبندر والثورة السورية في بداياتها.

ولكن حين تراجع تمويل لطف الله، توجّه رشيد رضا إلى طلب المساعدة من عبد العزيز آل سعود، الذي كان فتح مكة لتوه وطرد الشريف حسين من الحجاز. وفي حين أن والد فيصل كان قائدًا متواضعًا ومثيرًا للخلاف، قام ابن سعود بتوحيد وتوطيد معظم شبه الجزيرة العربية ضمن دولة عربية واحدة مستقلة صمدت أمام مؤتمر الصلح في باريس. إلا أن رضا لم يكن متفقًا تمامًا

---

(10) Elizabeth F. Thompson, *Justice Interrupted: The Struggle for Constitutional Government in the Middle East* (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2013).

(11) كان شكيب أرسلان يستخدم في كتاباته تعبير "الوفد السوري الفلسطيني". (المترجم)

مع النسخة السعودية للإسلام، الوهابية. ولكن رضا بروحه البراغماتية المعتادة تبع ابن سعود بسبب الأهمية السياسية لقيادته. ففي (1923-1924) أسّس الأتراك جمهورية وألغوا الخلافة العثمانية، التي كانت توحّد العرب والمسلمين إلى عهد قريب.

إلا أن لطف الله، الذي كان القائم بالأعمال المالية للشريف حسين لوقت طويل، استاء من التأثير السعودي، معتبرًا ذلك ابتعادًا عن العلمانية المتسامحة لعام 1920. كان الشهبندر أيضًا من هذا الرأي. استاء الاثنان من التأثير المتزايد لصديق رضا شكيب أرسلان، اللبناني المسلم الموجود في المنفى الذي أخذ الجنسية السعودية. وخلال الخلافات حول صرف الأموال السعودية على الثورة السورية أصبح الشهبندر وأرسلان عدوين لدودين[12].

تحت تأثير هذه وغيرها من الضغوط السياسية انشق المؤتمر الفلسطيني السوري إلى أطراف متنافسة في عام 1927. وفي حين أن الشهبندر ولطف الله اختارا التفاوض مع فرنسا وقبلا بفصل سوريا ولبنان، اتهمهما رضا وأرسلان بالخيانة[13].

كان انقسام المؤتمر الفلسطيني السوري يعكس انقسامًا سياسيًا واسعًا في أرجاء سوريا الكبرى. فقد قام الوطنيون السوريون تحت قيادة هاشم الأتاسي بوضع دستور لجمهورية سورية. على الورق كان يشابه دستور عام 1920 في مطالبته بأن يكون الرئيس مسلمًا وإسقاط الإشارة إلى الإسلام بوصفه دينًا للدولة أو مصدرًا للتشريع. ولكن مسودة الدستور في جوهرها كانت خلافية. فقد استُبعد عن الاشتراك في وضع الدستور رجال الدين المسلمون والمحافظون، الذين كان رشيد رضا يحتويهم في مؤتمر عام 1920. وهكذا أصبحت الدستورية الليبرالية

---

(12) Philip S. Khoury, "'Abd al-Rahman Shahbandar: An Independence Leader of Interwar Syria," in: C. Mansour & L. Fawaz (eds.), *Transformed Landscapes* (New York: American University in Cairo Press, 2009), pp. 38-42; Cleveland, pp. 56-58, 64-65.

(13) The National Archives of the United Kingdom, London [TNA-London], Henderson to Chamberlain, November 7, 1927, FO 141/810/6; "Scission du comité syro-palestinien," *Le Temps*, 3/12/1927, p. 2.

في سوريا نخبوية ومسألة علمانية، وبذلك ولدت معارضة من المحافظين الذين كانوا يتعاونون مع فرنسا. كما إنها أثارت احتجاجات من المجموعات الإسلامية الشعبوية التي لم تكن تشارك الآخرين بالتزام الديمقراطية مثلما هو الأمر مع كامل القصّاب[14].

وعلى عكس هاشم الأتاسي والوطنيين في دمشق، فقد حافظ قدامى عهد عام 1920 في فلسطين على خط صارم بعدم التعاون مع الانتداب البريطاني. فقد أسّس عزة دروزة مدرسة وطنية في مسقط رأسه، نابلس، كانت تعلّم اللغة العربية والثقافة من الكتب المدرسية التي ألفها بنفسه. كما قام أيضًا بإلقاء دروس في العصيان المدني على نمط وسائل المهاتما غاندي، وأصبح رئيسًا لجمعية الشبان المسلمين، التي استلهمت جمعية الشبان المسيحيين (YMCA) التي كانت تجنّد الرجال من الطبقات الشعبية من أجل القضية الوطنية. كانت هذه هي القاعدة لإعادة بعث حزب الاستقلال، الذي أسّسه مع عوني عبد الهادي بعد جولة جديدة من العنف في فلسطين، أي اضطرابات حائط المبكى[15] في عام 1929[16].

وفي حين أن الليبراليين العلمانيين تحالفوا مع القوى الاستعمارية، فقد تحالفت المقاومة مع الجماعات الإسلامية الشعبوية. أدى هذا الانقسام السياسي إلى نسف التحالف الذي حافظ على المؤتمر السوري. إلا أن الثقة المتبادلة التي نمّاها رشيد رضا، تمّ إحياؤها خلال الثورة السورية لفترة وجيزة قبل أن تنهار مهزومة. كما أن التضامن المسيحي الإسلامي الذي تألف في المملكة العربية السورية انهار أيضًا تحت ضغط السياسات الطائفية لفرنسا وبريطانيا ولغة الخطاب الإسلامي لحركة المقاومة[17].

---

(14) Philip S. Khoury, *Syria and the French Mandate* (Princeton: Princeton University Press, 1987), pp. 262-268, 346-354.

(15) حائط البراق عند المسلمين. (المترجم)

(16) Weldon C. Matthews, *Confronting an Empire, Constructing a Nation: Arab Nationalists and Popular Politics in Mandate Palestine* (New York: I. B. Tauris, 2006), pp. 44-74.

(17) Noah Haiduc-Dale, *Arab Christians in British Mandate Palestine* (Edinburgh: Edinburgh University Press, 2013), pp. 97-120.

## القدس عام 1931: آخر فرصة للعودة

جاءت آخر محاولة لإعادة توحيد قدامى رجال المملكة العربية السورية في عام 1931 على هامش تجمّع ديني في القدس.

في عام 1929 كانت المدينة المقدسة في فلسطين عانت من اضطرابات مميتة نشبت بسبب خلاف حول حرية دخول اليهود والمسلمين إلى الأماكن المقدسة. وردًّا على ذلك عقد مفتي القدس المؤتمر الإسلامي العام بتأييد قوي من مسلمي الهند. كان هذا المؤتمر الذي عقد في كانون الأول/ ديسمبر 1931 أكبر تجمّع للمسلمين منذ إلغاء الخلافة في عام 1924، وساعد في الإعداد له رشيد رضا وعزة دروزة. وصل للمشاركة في هذا المؤتمر حوالى 150 من الزعماء الدينيين والسياسيين من أقصى أرجاء العالم الإسلامي، من المغرب إلى روسيا وجنوب شرق آسيا. كان هؤلاء يتشاركون في قلق المسلمين على المنشآت الدينية في القدس التي تعتبر المدينة الثالثة المقدسة للإسلام. وكانت الخلافة العثمانية قد حمت وحافظت على هذه المنشآت خلال قرون. أما الآن، في وقت نشوب النزاع على الموقع، لم تكن هناك سلطة مسؤولة.

افتتح المؤتمر الإسلامي العام في المسجد الأقصى من القرن الثامن، الواقع أعلى حائط الهيكل اليهودي[18]، حيث بدأت من هناك اضطرابات عام 1929. وكما يتذكر دروزة عن المؤتمر: "كان منظمًا بشكل مهيب". و"كان أسبوعا المؤتمر مشهودَيْن في حياة فلسطين وتاريخها"[19].

ألقى رضا محاضرة حول معراج الرسول إلى السماء، الذي قيل إنه انطلق من تلك البقعة. اجتمع آلاف الفلسطينيين في الخارج للترحيب بأعضاء المؤتمر، في إشارة إلى نموّ التنظيم الديني من قبل المفتي وجمعية الشبان المسلمين[20].

---

(18) مع أن ابن خلدون ذكر في مقدمته أن الهيكل اليهودي بُني تحت قبة الصخرة، إلا أن الدراسات الأكاديمية العربية تنفي ذلك. (المترجم)

(19) محمد عزة دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة** (بيروت: المطبعة العصرية، 1959)، ج 3، ص 82. دخول الموقع بتاريخ: 11/ 8/ 2018: https://bit.ly/3a4p0Ul

(20) Charles W. Anderson, "From Petition to Confrontation: The Palestinian National Movement and =

وخلال جلسات اليوم التالي ترأس رضا جلسة واحدة حول الإصلاح الإسلامي والتعليم، حيث اقترح فيها توحيد المسلمين حول منهاج تعليمي مشترك. كما واعتبر هذا المؤتمر خطوة مهمة نحو بناء أخوّة عالمية للمسلمين دعا إليها خلال 35 سنة[21].

قرّر عوني عبد الهادي، الذي لم يُعرف عنه التديّن، الاستفادة من هذا التجمع لإعادة توحيد قدامى رجال المملكة العربية السورية، الذين لم يلتقوا طيلة عشر سنوات. وكما يتذكر دروزة "كانت فرحة طيبة... لتجديد عهد الحركة العربية بعدما مرّ من المدة الطويلة التي شُغل رجالات العرب فيها بما كان من مشاغل وسياسات محلية". وكان ممن تجمّع في بيت عبد الهادي في 13 كانون الأول/ ديسمبر رشيد رضا وكامل القصّاب ورياض الصلح. تغيّب فيصل عن الحضور لأن البريطانيين لم يشجعوا حضوره.

في تلك الليلة، وقّع الحاضرون على الميثاق القومي العربي الذي دعا السياسيين إلى مقاومة الأساليب الاستعمارية "فرّق تسُد"، وإلى تركيز كفاحهم على الهدف المشترك: الوحدة العربية والاستقلال. أدان الميثاق كل [أشكال] التعاون مع القوى الانتدابية. كما وعيّن لجنة تنفيذية (تضم عبد الهادي ودروزة وأسعد داغر اللبناني الماروني) لإعداد مؤتمر أوسع لاحقًا، ربما في بغداد. كان التوقيع الأول في أسفل الوثيقة لرشيد رضا.

كان الميثاق العربي القومي في عام 1931 يهدف إلى تجديد روح الوحدة التي فُقدت في عام 1920، ولكن مع فارق مهم. ففي حين أن المؤتمر السوري ووضع الدستور كانا جزءًا من الكفاح في سبيل الاستقلال الديمقراطي في عام 1920، لم ترد في ميثاق عام 1931 أي إشارة إلى الديمقراطية أو السلطة التشريعية أو

the Rise of Mass Politics, 1929-1939," PhD dissertation, New York University, 2013, pp. 127-135,= 149-156, 182-200.

(21) محمد رشيد رضا، "المؤتمر الإسلامي العام في القدس"، قسم 2-3، مجلة **المنار**، مج 23 (آذار/ مارس 1932)، ص 192-208 وعدد نيسان/ أبريل 1932، ص 284-292؛
Basheer M. Nafi, "The General Islamic Congress of Jerusalem Reconsidered," *Muslim World*, vol. 86, no. 3-4 (1996), pp. 243-272.

الحقوق المدنية. بقيت أهداف الوحدة والاستقلال واحدة، ولكن وسائل تحقيق هذه الأهداف بقيت مفتوحة. وبذلك انفصلت القومية عن الليبرالية.

## طريق فيصل غير الديمقراطي لاستقلال العراق

مع أنه لم يتمكّن من حضور [تجمّع] إعادة التوحيد في القدس، إلا أنّ فيصل ملك العراق كان متحمّسًا لفكرة عقد المؤتمر اللاحق في بغداد. أرسل رستم حيدر للتحدث مع القوميين في سوريا وفلسطين، حيث اتفقوا على عقد المؤتمر العربي ببغداد في خريف 1933. إلا أن البريطانيين تدخلوا مرة أخرى لإجبار فيصل على إلغاء الخطة[22]. لم يكن بوسع فيصل مقاومة المطالب البريطانية لأنه كان في المراحل النهائية للمفاوضات لإنهاء الانتداب. وهكذا تمّ قبول العراق رسميًا كدولة مستقلة في عصبة الأمم في 3 تشرين الأول/ أكتوبر 1932[23].

جاء الاستقلال العراقي مكلفًا بالنسبة إلى فيصل. فقد غادر دمشق شابًا، ولكنه في عام 1931 كان يبدو ذابلًا في الستين مع أنه لم يكن بلغ الخمسين. كان مدخنًا مدمنًا بسبب العادة والضغوط. عانى من نوبات مرضية حادة ألزمته أن يقضي فصول الصيف في أوروبا، حيث بقي جذابًا للسيدات الإنكليزيات في موهبته في لعب البريدج، كما كان يحضر مرارًا سباقات الخيل. في عام 1925، بعد سقوط مكة في يد ابن سعود جاءت زوجته وأولاده إلى بغداد. كان فيصل قلقًا من أن ابنه الأكبر الذي أهمله، غازي، كان غير مستقرّ نفسيًا وغير مناسب في أن يخلفه كملك[24].

جاء الاستقلال بثمن سياسي كبير أيضًا. في مطلع العشرينيات وافق فيصل على الاقتراح البريطاني بدستور [للعراق] على نمط مصر يسمح له أن يمارس سلطة كبيرة في الحكم. كان فيصل لا يزال يلوم المؤتمر السوري على انهيار المملكة العربية السورية، ولذلك صمّم على ألا يتكبّد ميسلون أخرى. وهكذا تنصّل الدستور العراقي من سيادة الشعب التي دافع عنها رشيد رضا في سوريا،

(22) دروزة، **حول الحركة العربية**، ص 86-89. لدينا هنا نص قرار 13 كانون الأول/ ديسمبر 1931.

(23) Ali A. Allawi, *Faisal I of Iraq* (New Haven: Yale University Press, 2014), pp. 489-533.

(24) Ibid., pp. 431, 467-468, 489.

حيث ورد فيه "إن سيادة الشعب أمانة في يد الملك". وكما اعترف مستشار قانوني في ذلك الوقت "لا يمكن القول بوجود دستور ديمقراطي حقيقي"[25].

في عام 1929 كان فيصل يستلهم أنظمة مصطفى كمال ورضا شاه بهلوي في إيران وحتى بنيتو موسوليني، الذي أرسل نحاتًا إلى بغداد لينجز تمثالًا فروسيًا لأول ملك للعراق. عيّن فيصل في حكومته قدامى العسكريين من المملكة العربية السورية مثل جعفر العسكري ونوري السعيد وياسين الهاشمي، أصبح لهؤلاء نفوذ مع منح أراضي الدولة والمناصب الحكومية للزعماء المحليين، وتحوّل الفلاحون العراقيون إلى مزارعين معوزين يعملون بنظام المرابعة. وفي حين أن القنصل البريطاني كان قلقًا من ظهور "أوتوقراطية القصر"، كانت وزارة الخارجية مرتاحة إلى الاستقرار الظاهري في العراق إلى حد أنها قررت أن تمنحه الاستقلال بالتدريج - ولكن بثمن. كان على فيصل أن يزوّر انتخابات 1930 حتى يضمن أن البرلمان سيوافق على معاهدة الاستقلال غير الشعبية، التي مدّدت الوجود العسكري البريطاني في الأراضي العراقية 25 سنة أخرى[26].

إلا أنّ فيصل كسب شعبية كبيرة خارج العراق لإنجاز الاستقلال إلى حدّ أنه قرّر تجديد جهوده لعقد مؤتمر عربي في بغداد. وهكذا زار القدس في صيف 1933 حيث رحب به حشد كبير وهو يهتف له "فيصل ملك العرب!". وافق هاشم الأتاسي وغيره من زعماء الكتلة الوطنية في سوريا على حضور مؤتمر بغداد بعد حثهم على ذلك من قبل رضا. كان هؤلاء قد تجاهلوا سابقًا مبادرات فيصل لتوحيد سوريا والعراق تحت ملكيته، لأنهم كانوا ملتزمين بسيادة شعبية في نظام جمهوري. ولكن الوحدة في فدرالية مع عدة دول عربية أخرى كانت تبدو جذابة[27].

---

(25) Tawfiq al-Suwaydi, *My Memoirs: Half a Century of the History of Iraq and the Arab Cause*, Nancy Roberts (trans.) (Boulder: Lynne Reinner, 2013), p. 122.

(26) Allawi, pp. 434-449, 508-516; Charles Tripp, *A History of Iraq*, 3rd ed. (Cambridge: Cambridge University Press, 2000), pp. 44-74; Samira Haj, *The Making of Iraq 1900-1963* (Albany: State University of New York Press, 1997), pp. 28-31.

(27) Allawi, pp. 542-547, 552-553; Basheer M. Nafi, "King Faysal, the British, and the Project for a Pan-Arab Congress, 1931-33," *Islamic Studies*, vol. 37, no. 4 (1998), pp. 479-503;

دروزة، **حول الحركة العربية**، ص 86-89.

ولكن هذه اللحظة ضاعت بعد ذلك. ففي حزيران/ يونيو 1933 سافر فيصل برفقة نوري السعيد ورستم حيدر من القدس إلى لندن، حيث اعترف به الملك جورج الخامس ملكًا مستقلًا. ولكن فيصل شعر بالوهن نتيجة لتعقيدات إصابته بالقلب. قطع زيارته للذهاب إلى العلاج الطبي في برن بسويسرا. وقبل أن يتعافى اندلعت أزمة في العراق وعاد لفترة وجيزة إلى العراق في آب/ أغسطس. فخلال غيابه كان المتشددّون في الجيش العراقي قمعوا بوحشية انتفاضة مسيحية آشورية في شمال العراق، فقتلوا الكثير من المسيحيين وطردوا الآخرين إلى سوريا. كان أسوأ كابوس مروّع لفيصل: ما إن حصل العرب على استقلالهم حتى هاجموا أقلية مسيحية، تمامًا كما كان يروّج خصومهم الأوروبيون.

كان مثل هذا الضغط كبيرًا على ملك مريض. كان فيصل مضطرًا للعودة إلى سويسرا. خلال توقّفه في مصر اعترف لوطني سوري أن الأزمة الآشورية كانت حصيلة سياساته. أقرّ بالثمن الغالي للتعاون مع بريطانيا والحاجة إلى ضمان استقلال حقيقي للعرب من خلال التضامن: "إن هذه الحالة سوف تستمرّ إلى أن يخرج الحقد والغضب من داخلنا، أو أن نوحّد مواقفنا ونضمّ صفوفنا"[28].

اجتمع فيصل بعد ذلك مع الدكتور الشهبندر، الذي بقي في منفاه بمصر. وكما يتذكر الشهبندر: "حين التقينا رأيتُ وجهه الباهت وجسمه الضامر". أخبره نوري السعيد أن هذا بسبب عدم نوم الملك بما فيه الكفاية خلال سفره من بغداد. قال فيصل للشهبندر إنه قلق من قوة الجيش وأن الحكم الاستعماري قسّم الشعوب التي كانت متعايشة خلال القرون. وكما يتذكر الشهبندر: "ابتسم لي بعدها وقال: لو أعطتنا فرنسا فرصة مثل الانتفاضة الآشورية لنثير القضية السورية، ربما كان العالم استمع إلينا"[29].

بعد ستة أيام، 8 أيلول/ سبتمبر 1933، توفي الملك فيصل في غرفة فندقه بيرن. كان بالكاد بلغ الخمسين. كانت أخبار وفاته تؤشر إلى نهاية مرحلة. ملأ

---

(28) Allawi, pp. xx-xxii, 553-560.

(29) الحكيم، ص 52-54.

المشيّعون شوارع بغداد بالبكاء الصاخب من شدة الحزن ليوقظوا أولئك الذين ينامون على سطوح البيوت في الليل. رُفعت أعلام الحداد السوداء في المدن في أرجاء سوريا الكبرى، في دمشق وبيروت وحلب والقدس وعمان. وبحسب جريدة **نيويورك تايمز** فقد كان هناك مئة ألف من المشيّعين في استقبال جثمان فيصل لدى وصوله إلى ميناء حيفا[30].

كانت "صدمة للحركة العربية" كما قال دروزة في مذكراته. حُشر مع عبد الهادي في سيارة مليئة سارت بهم عشرين ساعة عبر الصحراء حتى بغداد. انضموا هناك إلى الموكب الطويل للمشيّعين وراء عربة النعش التي تجرّها الخيول. كانت أكبر جنازة في ذاكرة العالم الناطق بالعربية. ولكن حين أثاروا إمكان الاستمرار لعقد المؤتمر العربي رفض العراقيون ذلك[31]. ترك فيصل بغداد مدينة غير مستقرة تحت سيطرة القوميين المعادين للديمقراطية ومجموعات الضباط المتنازعين ووريثًا شابًا، الملك غازي، وهو الوضع الذي سيتزعزع بانقلاب عسكري في غضون ثلاث سنوات[32].

## فوات جيل وتبدّد الإجماع الإسلامي-الليبرالي

أثارت وفاة فيصل مراجعة جماعية للماضي. كانت أول خسارة لجيل عشرينيات القرن العشرين. كانت ذاكرة المملكة العربية السورية سواء بشكل جزئي أو مشوه - تتمثل في خطب التشييع وصفحات النعي وما شابه. وبشكل تدريجي بهت الإجماع الإسلامي الليبرالي في دمشق.

امتدحت **نيويورك تايمز** فيصل "لإنهاء الانتداب البريطاني" في العراق،

---

(30) "Amity with Britain Is Pledged by Iraq,"; "100,000 Arabs Pay Homage to Feisal," *New York Times*, 12/9/1933, p. 4, and 15/9/1933, p. 12;

يقدّر علاوي عدد الذين خرجوا في حيفا 30 ألفًا فقط:

Allawi, pp. xxiii-xxvii.

(31) محمد عزة دروزة، **مذكرات محمد عزة دروزة 1887-1984** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993)، ج 1، ص 834-835.

(32) Tripp, pp. 77-91; Peter Wien, *Iraqi Arab Nationalism* (New York: Routledge, 2006), pp. 34-42.

ولكنها عبّرت عن قلقها من أن العراق بعد فيصل قد يسير في طريق دكتاتورية جديدة، في إشارة غير مباشرة إلى نهوض الفاشية في أوروبا: "إن القضية البشعة للمجازر السورية ستبيّن أن العراق لم ينجُ من الميل نحو قومية مستفحلة جرّبتها دول أكبر من العراق"[33]. إلا أنّ الجريدة تجاهلت دور القوى الاستعمارية في تقويض الديمقراطية في كل من العراق وسوريا.

كما أن جريدة **التايمز** اللندنية تبنّت نظرة تشكيكية عن مكانة فيصل في التاريخ، وهي تكرّر في ذلك الآراء الإمبريالية التي تبرّر تدمير المملكة العربية السورية: "لقد أُعلن ملكًا على سوريا الشرقية من قبل القوميين المتهورين المحيطين به. وخلال عدة شهور تمّت الإطاحة بالمتهورين من قبل الجيش الفرنسي وأصبح الملك المخلوع في المنفى. ولكن حالفه الحظ"[34]. كان فيصل محظوظًا لأن بريطانيا منحته فرصة ثانية. إلا أن الجريدة لم تشر إلى نقض بريطانيا وعودها أو إلى تخريبها نظام الانتداب.

كذلك فإن الجريدة الفرنسية الأولى **لو تان** (*Le Temps*) ربطت ما حدث بخيانة الثقة في عام 1920. فقد صوّرت فيصل في صفحتها الأولى باعتباره جنديًا عربيًا مندفعًا وجد نفسه في "نزاع" مع فرنسا في سوريا. وعلى الرغم من "المصاعب" مع القوميين المتطرفين، فقد استمر أن يكون دمية بريطانيا كملك على العراق، كما وصفته الجريدة بشكل لاذع[35].

إلا أنّ الآراء الاستعمارية حول سوريا استمرت بشكل متواصل في فرنسا على سجيتها. فقد غضب الجنرال غورو من مدح شكيب أرسلان لفيصل في جريدة بجنيف "لطبعه الشهم وذكائه وقلبه". ففي رسالة غاضبة إلى صديق له، كُتبت بعد 13 سنة من ميسلون، استذكر كيف أن أحد قواد فيصل في حلب أصدر

---

(33) "Feisal, Twice King, Dreamt of Empire,"; "King Feisal," *New York Times*, 9/9/1933, and 12/9/1933.

(34) "Feisal of Iraq," and "King Feisal," *The Times*, 9/9/1933, and 11/9/1933.

(35) "Morte Subite du Roi Fayçal," *Le Temps*, 9/9/1933, p. 1.

أوامره بـ"إلقاء الفرنسيين في البحر"[36]. فاضت مرارة غورو ثانية بعد أن علم أن السوريين أقاموا نُصُبًا في ميسلون للجنرال يوسف العظمة، فشكى قائلًا: "لقد زعم أنه أطلق المدفع الذي أصابني في الدردنيل"[37]. كان غورو ودو كيه من دون شك يشعران بالمرارة لكونهما يعلمان أن العديدين في فرنسا يلومون سياستهما تجاه الثورة السورية في عام 1925. كان منافسهما، فيليب برتلو، قد وصل به الأمر إلى حدّ الاعتذار لفيصل والتصالح معه. كان الاثنان غورو ودو كيه، اللذان تسبّبا بهزيمة فيصل في ميسلون، ينشطان في الدوائر الاستعمارية لنسف أي جهود للتفاوض حول معاهدة استقلال مع سوريا[38].

أما ذكرى عام 1920، فقد بدت مختلفة في العالم العربي. فقد كتب رشيد رضا في **المنار** "فُجعت الأمة العربية بوفاة فيصل... واهتزت لموته البلاد العربية وزلزلت زلزالًا شديدًا"، الذي أصيب "بسكتة عرضت لذلك القلب الخفّاق بحب قومه ووطنه"، وأن الفيض الشعبي في الثناء على فيصل "كان لا مثيل له في السنوات السابقة، باستثناء يوم دخل دمشق فاتحًا"[39].

وفي تشرين الأول/ أكتوبر 1933 نشر رضا عشر مقالات متتالية بعنوان: "العبر من سيرة الملك فيصل" لأجل أن يعرّف الجيل الجديد على المملكة العربية السورية وعلى سبب سقوطها. بدأ أولًا بمدح فيصل لتجاوزه التعليم البسيط الذي وفّره له الشريف حسين. وعلى عكس أخوته كان فيصل ذكيًا وصبورًا وذا مبادئ. إلا أنه لم يكن مستعدًا لأزمة عام 1920 بسبب جهله بالحقائق الثلاث الأساسية التي قادت إلى الكارثة.

---

(36) French Ministry of Foreign Affairs archive at La Courneuve [MAE-Courneuve], Gouraud to Senator Fernand David, November 4, 1933, PAAP 399, Carton 178.

(37) MAE-Courneuve, Gouraud to General Huntzinger, October 30, 1937, and Huntzinger to Gouraud, November 25, 1937, PAAP 399, Carton 178.

(38) MAE-Courneuve, "Le Retour de Fayçal à Damas," n.d. (likely 1925), PAAP 202, vol. 63, Syrie I; Peter A. Shambrook, *French Imperialism in Syria 1927-1936* (Reading, UK: Ithaca Press, 1998), pp. 47-51, 55-60, 254-255; Khoury, *Syria*, pp. 353-354.

(39) محمد رشيد رضا، "الملك فيصل الحسيني الهاشمي"، مجلة **المنار**، مج 33، ج 5 (أيلول/ سبتمبر 1933)، ص 387.

الحقيقة الأولى بحسب رضا أن الوحدة بين العرب يجب أن تُبنى من خلال أنظمة سياسية غير إقصائية، وألا تُفرض من فوق بواسطة دكتاتور. فقد كان فيصل معارضًا لإشراك الجماهير السورية، وكان مستاء من المؤتمر. كان على فيصل أن يقف مع إعلان الاستقلال ومع "فرض الواقع على الأرض"، عوضًا عن أن يسعى إلى تسويات مع الفرنسيين. فخلال تموز/ يوليو 1920، كما ذكّر رضا قرّاءه، أيّد الشعب المؤتمر وانقلب على فيصل.

الحقيقة الثانية أن الوحدة العربية كانت المفتاح لمقاومة أوروبا. فلم يصغ فيصل قط إلى تنبيه رضا إلى الحاجة للتضامن السياسي في الحلقة الأضعف للعالم العربي، شبه الجزيرة العربية[40]. ومع استشهاده بيومياته، أظهر رضا أنه حثّ فيصل على تأمين الصلح بين الشريف حسين وابن سعود. وفي هذه الحالة كان يمكن لسوريا أن تطلب القوات من شبه الجزيرة وأن توحّد البدو لمقاومة فرنسا. وعوضًا عن ذلك فقد ركّز فيصل جهوده على دعم الغارات على لبنان التي أثارت الجنرال غورو وكانت وراء إرسال إنذاره.

وأما الحقيقة الثالثة، بحسب رضا، فهي أن العرب يجب أن لا يتنازلوا أبدًا عن سيادتهم. كان على فيصل أن يقيل حكومة هاشم الأتاسي الضعيفة التي ركّزت على التفاوض مع فرنسا أكثر من بناء الدفاع [عن البلاد].

هذه "العبر" كانت الكلمة الأخيرة بين الرجلين اللذين قامت بينهما علاقة قوية ومثمرة وعاصفة في عام 1920. أبرز رضا دوره كمستشار مقرب لفيصل، الذي لم يعرفه جيدًا في السابق. كان ما يجمعهما لقاء ثري بين عقلين وبناء نموذج ديمقراطي إسلامي يوحّد لفترة وجيزة الليبراليين العلمانيين مع الشعبويين المتدينين. إلا أن فيصل ورضا انفصلت علاقتهما منذ 24 تموز/ يوليو 1920، حيث كسر الإنذار الفرنسي شراكة فريدة. وما إن جاءت الثلاثينيات حتى كان الدور المحوري في المؤتمر السوري قد نُسي.

---

(40) محمد رشيد رضا، "العبرة في سيرة الملك فيصل (1) و(2)"، مجلة **المنار**، مج 33، ج 6 (تشرين الأول/أكتوبر 1933)، ص 457-461، ومج 33، ج 7 (تشرين الثاني/نوفمبر 1933)، ص 555-560. الملخص الموجود في هذه السلسلة مأخوذ من الحلقات 2-10.

ما إن تخلى فيصل عن النموذج الديمقراطي الذي تشكّل في دمشق، حتى تخلّى رضا أيضًا عن التعهد الليبرالي الذي تبناه في عام 1920. فمع مرارة الإحباط من عصبة الأمم، تحولت اهتماماته في نهاية العشرينيات إلى القضايا الدينية، ونشر الكتب عن الخلافة الحديثة، والوهابية، وحقوق المرأة في الإسلام. كما أنه أصبح نائبًا لرئيس الرابطة الشرقية، التي كانت تنظم المحاضرات والمؤتمرات، والإصدارات لتعزيز صلات المسلمين العرب مع آسيا.

مَالَ رضا، الذي تجنّب الطائفية في عام 1920، نحو التحريض الواسع للشرق ضد الغرب، والإسلام ضد المسيحية. كان قد حذّر لويد جورج في عام 1919 من أن تطبيق اتفاقية سايكس بيكو سيؤدي إلى كره المسلمين لبريطانيا. وبعبارة أخرى إن تقسيم سوريا بين بريطانيا وفرنسا سيكون دليلًا على أن "الحق والعدل والحرية مخصصة فقط للمسيحيين" في أوروبا ما بعد الحرب[41].

وذكّر رضا قرّاءه في كتاب **الخلافة** الصادر في 1923 أنّ لويد جورج لم يكتف بعدم الرد، بل إنه جعل اللورد كرزون المعادي للإسلام مسؤولًا عن سياسة الشرق الأوسط[42]. فقد أدى الاستعمار الأوروبي للأراضي العربية إلى إضعاف القيم العالمية ونزاهة القانون الدولي. كما أن رضا انقلب الآن ضد الليبرالية العلمانية. فبعد انفصاله عن الشهبندر ترك الرابطة الشرقية حيث كان الليبراليون العلمانيون يسيطرون على مجلتها[43]. إلا أن رضا لم يرفض علانية الإجماع الليبرالي-الإسلامي لعام 1920، حتى إنه في كتابه **الخلافة** بقي يؤمن

---

(41) Eliezer Tauber, "Rashid Rida's Political Attitudes during World War I," *Muslim World*, vol. 85, no. 1-2 (1995), pp. 118-119.

ينظر أيضًا:

Umar Ryad, "Islamic Reformism and Great Britain: Rashid Rida's Image as Reflected in the Journal *Al-Manar* in Cairo," *Islam and Christian-Muslim Relations*, vol. 21, no. 3 (July 2010), pp. 263-285.

(42) محمد رشيد رضا، **الخلافة** (القاهرة: هنداوي، 2013)، ص 109-110.

(43) Israel Gershoni & James P. Jankowski, *Egypt, Islam, and the Arabs* (New York: Oxford University Press, 1986), pp. 60-63, 264-267; Reinhard Schulze, *A Modern History of the Islamic World*, Azizah Azodi (trans.) (New York: I. B. Tauris, 2000), pp. 65-74.

بالسيادة الشعبية. ولكنه لم يعد يؤمن بالانسجام الكامل بين الإسلام والمدنيات الأوروبية.

إن هذا التغيّر في آراء رضا واضح في كتابه الرئيس الأخير **الوحي المحمّدي** الذي صدر في عام 1934. فكتابه بشكل رئيس يتضمّن دفاعًا حماسيًا عن رسالة الرسول محمد ضد انتقادات العلماء المستشرقين الأوروبيين والمبشرين المسيحيين، إلا أنه كان لا يحمل البغض في لهجته. يناقش رضا في أن الوحي الذي نزل على الرسول في القرن السابع كان معجزة إلهية، وأن هذا الوحي لم يعارض أو يتعارض مع معتقدات اليهود أو المسيحيين بقدر ما أبرزَ جوهر الرسالة في شكل نقي. حثّ رضا المسلمين على أن يبقوا معتدلين ومحترمين للآخرين، وأدان التعصب الذي يسعى إلى إرغام الآخرين على اعتناق الإسلام. واستشهد رضا هنا بالآية "لا إكراه في الدين"(44).

في الكتاب لدينا رسالة سياسية. طرح رضا الإسلام عقيدةً عالمية يمكن أن تكون بديلًا للولسونية كأداة للسلام العالمي. فالإسلام يحثّ البشر على اختيار طريق السلام، بحسب رضا، كما أنه يطرح برنامجًا لمحاربة الظلم: "وهكذا، إنّ الحل لمشاكل العالم يكمن في الإيمان بالكتاب الذي يمنع الظلم وكل أشكال الفساد". فالإسلام يسمح بالحرب العادلة التي تهدف إلى الدفاع عن الحقيقة ضد الافتراء. إن الإسلام، كما يقول رضا، قبل كل شيء يمنع العدوان لأجل المكاسب المادية التي كانت وراء اندلاع الحرب العالمية الأولى:

> اشتدّت هذه المفاسد (التنازع والتعادي) في هذا الزمان حتى خيف أن تقضي على العمران العظيم في وقت قصير، بما استحدثه العلم الواسع من وسائل التخريب والتدمير، كالغازات السامة ومواد الهدم والحرق تقذفها الطائرات المحلقة في السماء، على المدائن المكتظة بالألوف من الرجال والنساء والأطفال فتقتلهم في ساعة واحدة(45).

---

(44) Muhammad Rashid Rida, *The Muhammadan Revelation*, Yusuf Talal DeLorenzo (trans.) (Alexandria, VA: Al-Saadawi Publications, 1996), p. 116.

كان العنوان الأصلي كما نُشر في عام 1934 **الوحي المحمدي**.

(45) Ibid., p. 136.

كان رضا، مثل ولسون، يلحّ على أن أساس السلام يجب أن يكون حقوقَ وكرامةَ الأفراد. وعلى الرغم من تحوّله نحو الأخلاقية المحافظة، إلا أن رضا بقي يؤمن في أن السياسة يجب أن تقوم على السيادة الشعبية.

إن الإسلام، كما يراه رضا، سيُقيم نظامًا عالميًا حقيقيًا للعدالة العالمية، لأنه يدعو إلى إنسانية عامة ومساواة كل الشعوب. كما أن الإسلام يرفض المنظومة العنصرية التي سببت الحرب في أوروبا وأفسدت عصبة الأمم: "إنّ إصرار الإفرنج على الكبرياء بجلدتهم البيضاء واحتقارهم للسود والحمر والسمر والصفر وهضمهم لحقوقهم واستباحتهم لظلمهم لَمِن أكبر العار على حضارتهم"[46].

رحّب تشارلز كراين بحماسة بكتاب **الوحي المحمّدي**. فبعد لقائه مع رضا خلال زيارة للقاهرة في ربيع 1934 أمّن كراين توزيع هذا الكتاب على علماء الأديان في الولايات المتحدة، كما أنه موّل إصدار الطبعة العربية الثانية لاستخدامها في معاهد التعليم في أرجاء آسيا[47].

كان رضا يعتبر كراين أحد أصدقاء العرب الحقيقيين القليلين في الغرب. وكان كراين قد حافظ على صلاته مع العديد من جيل دمشق [1920]. فقد استمر في مراسلة الشهبندر وزار فيصل في بغداد، واجتمع مع مفتي القدس للحفاظ على المؤتمر الإسلامي العام على أساس دائم. كما أنه أقام صداقة مع ابن سعود في الجزيرة العربية، حيث أقدم على الذهاب إلى هناك باسم مصالح النفط الأميركية. وخلال زيارته إلى رضا كان يموّل البحث لأول تاريخ يكتبه كاتب عربي عن الثورة العربية بالإنكليزية، ألا وهو **اليقظة العربية**[48] الذي صدر في الولايات المتحدة في عام 1939 قبل أسابيع من وفاة كراين في سن الثمانين. وكتبت عنه آنذاك

(46) Ibid., p. 121.

(47) محمد رشيد رضا، "أميركي كريم ينشر الوحي المحمدي في الشرق"، مجلة **المنار**، مج 43، ج 9 (آذار/ مارس 1935)، ص 718-719.

(48) المقصود هنا كتاب جورج أنطونيوس، الذي صدرت طبعته العربية في بيروت عام 1961 بترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس. (المترجم)

**نيويورك تايمز:** "إن الشرق والغرب سيحزنان معًا على قدر المساواة بهذا المحب للإنسانية"[49].

في غضون ذلك كان رضا قد أتمّ سلسلة مقالاته "العبر من سيرة حياة فيصل" في 1935. كان آنذاك في السبعين تقريبًا، تظهر عليه البدانة ويعاني من التهاب المفاصل وارتفاع ضغط الدم. وفي حين كان فيصل يواجه الضغوط بالتدخين كان رضا يلجأ إلى الأكل. كان يحب الوجبات السورية التي تعدّها زوجته ويشارك في الولائم السياسية العديدة في القاهرة. إلا أنه بقي يعيش على حافة الديْن. كان قد انتقل مع عائلته إلى بيت مريح قرب ضاحية غاردن سيتي الراقية، إلا أن دخله الذي كان يكسبه من السعوديين كان يغطي بالكاد مصاريف دار النشر، التي كانت في المبنى نفسه. ولذلك بقي رضا يتنقّل في المدينة في الدرجة الثانية بالترام، الذي وجده الآن مرهقًا للغاية.

في 22 آب/ أغسطس 1935، وعلى الرغم من صحته المعتلّة، عرض على الأمير سعود بن عبد العزيز أن يصحبه إلى السويس، حيث كان يريد أن يستقلّ سفينة للعودة إلى بلاده. وجد رضا في هذه الرحلة مناسبة ليقدم له مزيدًا من النصح. كانت تلك أيضًا لفتة لطيفة تجاه من يموّل نشر أعماله. في طريق العودة أحسّ رضا بإرهاق كبير. حاول أن يقرأ القرآن في السيارة، ولكن الطريق كان وعرًا للغاية. ومع شعوره بالدوار والغثيان استلقى على المقعد الخلفي للسيارة وأغلق عينيه. وإلى أن وصلت السيارة إلى القاهرة بعد الظهر "كانت روحه ذهبت إلى خالقها"[50].

كان الدكتور الشهبندر في انتظار السيارة حينما وصلت إلى البيت. ونظرًا إلى كونها أمسية حارة، فقد نصح العائلة أن تحيط جثمان رضا بالثلج. وكما أشار إلى ذلك ابن أخيه، فقد كان رضا "يحب دائمًا الماء بالثلج حتى في الشتاء". كانت الحديقة في الخارج ممتلئة بالمشيّعين. في السابعة والنصف مساء بثت الإذاعة

---

(49) "Charles R. Crane," *New York Times*, 16/2/1939, p. 16; CURBML, Crane Memoirs, 609-10.

(50) أحمد الشرباصي، **رشيد رضا صاحب المنار** (القاهرة: مطبعة الأهرام التجارية، 1970)، ص 207-213. الاستشهاد مأخوذ من ص 213.

خبر وفاة رضا. ونظرًا إلى أن الشريعة الإسلامية تحبذ الدفن السريع، فقد تمت هذه الشعيرة في مدرسة قريبة. دُفن رشيد رضا إلى جوار أستاذه محمد عبده، المفتي السابق للديار المصرية[51].

ومع أن الصحافة اهتمت بوفاة فيصل أكثر من وفاة رضا، إلا أن كراين يؤكد أن **نيويورك تايمز** كتبت عنه. فقد نشرت الجريدة صورة له ومدحته باعتباره مفكرًا قائدًا وناشطًا في العالم الإسلامي: "لقد دعا العالم المتمدن إلى أن يكون شاهدًا على المعاناة المفروضة على سوريا، وناشد الضمير الأميركي للحفاظ على العدالة وتجنّب سفك الدماء"[52].

أقيم حفل تأبين عام لرشيد رضا في 2 نيسان/ أبريل 1936 في مقرّ جماعة إسلامية جديدة، الشبيبة المحمّدية. ترأس رئيس جامعة الأزهر الإسلامية المعروفة هذا التجمع الذي شارك فيه وزراء من الحكومة ومحافظ القاهرة والكثير من علماء الدين والأدباء. وعلى الرغم من اختلافهما مع رضا فقد حضر أيضًا هذا التجمع ميشيل لطف الله وعبد الرحمن الشهبندر.

جاء دور الشهبندر بعد متحدثين عدة من رجال الدين، فقام وقدّم شهادة في رضا، بدأ باستذكار أيامه الأولى كطالب لدى أساتذة التجديد الإسلامي في دمشق، الذين كانوا يستلهمون كثيرًا من مجلة **المنار**. التقى برضا خلال زيارته إلى دمشق بعد ثورة عام 1908 الدستورية. ذكر الشهبندر استماعه إلى الجرأة السياسية لرضا خلال محاضرته المشهورة في الجامع الأموي، حيث قام معارضوه لإبعاده عن المنصّة. وكما ورد في ذكرياته: "تآمر عليه الحاقدون على التجديد الديني والحرية والدستور، وتألّبوا عليه بصورة كادت أن تنتهي بسفك الدماء".

نصح الشهبندر بأن العرب يجب أن يتابعوا معركة رضا ضد أعداء الديمقراطية الذين يزيّفون الدين لخدمة أهدافهم الخاصة: "متى عرفنا أن هناك تفاعلًا شديدًا

(51) محي الدين رضا، المرحوم محمد رشيد رضا (1)"، مجلة **المنار**، مج 35 (نيسان/ أبريل 1936)، ص 215-221.

(52) "Rashid Rida Dies," *New York Times*, 24/8/1935, p. 15.

بين العقائد الدينية والعقائد السياسية، وعلاقة وثيقة، أدركنا شأن الخدمات التي أدّاها رشيد رضا في النهضة العربية"[53].

أما المتحدّث التالي فقد أثار روح عام 1920 بشكل مباشر. كان هذا حبيب جاماتي الصحافي المسيحي من لبنان، الذي قاتل في الثورة العربية. كان طويل القامة مثل فيصل، وتحدث في صوت سلس كأنه يرسم صورة شخصية لرضا: "لا أنسى ذلك اليوم من أيام آب/ أغسطس الماضي الذي سافرنا فيه معًا إلى السويس بمعية صاحب السمو الأمير سعود. كان السيد محمد رشيد في ذلك اليوم شديد الفرح، يكثر من الحركة والكلام والضحك، وكنا نتساءل قائلين: ما سبب ذلك يا ترى؟ لم نكن ندري أنه، رحمه الله، كان يودّعنا".

بعد ذلك، قدّم جاماتي تصحيحًا تاريخيًا لأولئك الذين يسعون لحجب ذكرى رضا في الإسلام. كان رئيس الأزهر قد أشار إلى أن رضا واجه ثلاثة معارضين رئيسيين: العلمانيون وغير المسلمين والمسلمون التقليديون، وهو ما اعتبره جاماتي غير صحيح. فرشيد رضا لم يصادق المسيحيين من أمثاله فقط، كما أضاف جاماتي، بل كافح معهم لأجل الدولة المشتركة.

"يشرّفني أن يكون صوتي قد ارتفع في هذا المجمع الإسلامي الحافل، كما ترتفع الآن موسيقى قرع الأجراس والنواقيس الشرقية العربية... داعية إلى التآخي، إلى التضامن، إلى التكاتف، إلى التعاون في سبيل القومية العربية". وبحسب جاماتي، كان رضا مخلصًا لوطنه الثاني [مصر]، ولكنه لم ينسَ قط وطنه الأول.

"عاد إلى سورية بعد الحرب العظمى مباشرة، ونظرًا إلى مكانته السامية في النفوس، انتخبه السوريون رئيسًا لمؤتمرهم الوطني... وكان لآراء السيد محمد رشيد رضا ونصائحه وإرشاداته، فضل كبير في نجاح تلك الحركة المباركة، ولكن الأقدار لم تلبث أن قلبت لسورية المجاهدة ظهر المِجَنّ"[54].

---

(53) "كلمة د. عبد الرحمن الشهبندر في التأبين"، مجلة **المنار**، مج 35 (نيسان/ أبريل 1936)، ص 234-236.

(54) "كلمة السيد حبيب جاماتي"، مجلة **المنار**، مج 35 (نيسان/ أبريل 1936)، ص 208-210.

وُضِعَ اسم رشيد رضا في آخر الأمر إلى جانب أولئك الرؤساء المتعاقبين للبرلمان السوري على جدار مدخل المبنى الجديد الذي بُني خلال العهد الفرنسي. فقد تم تذكّر أن دوره في صياغة إعلان الاستقلال لا يُنسى، إلى جانب الآباء المؤسسين لـ 8 آذار/ مارس الذين يُذكرون في المناسبة السنوية لذلك اليوم، الذي أصبح عيدًا وطنيًا في عام 1943، في نهاية الانتداب الفرنسي(55).

## الإخوان المسلمون: ربيبو رضا

بقي رشيد رضا في ذاكرة جيل الشباب، ولكن من دون ذكريات عن ثورة عام 1908 أو مؤتمر عام 1920. كان من بين الطلاب الذين يحضرون دروس رضا شاب من قرية في دلتا النيل. كان حسن البنّا قد جاء إلى القاهرة بعد الحرب العالمية الأولى ليدرس في كلية دار المعلمين. صُدم هناك من التصرف الإباحي لأفراد القوات البريطانية، الذين كانوا يرتادون صالات الموسيقى ويظهرون سكارى في الشوارع. كان ما يصدمه أكثر سلوك النخبة الليبرالية التي كانت ترفض ثقافة المصريين العاديين من أمثاله. وجد البنّا الراحة في حضور دروس المصلحين الإسلاميين. ومع إصراره على العمل بما يتجاوز الأعمال الخيرية، ترك رضا في البنّا تأثيرًا كبيرًا(56).

ألهم رضا البنّا بشكل غير مباشر لتأسيس جمعية الإخوان المسلمين في عام 1928 بالإسماعيلية، وهي بلدة بنتها شركة على قناة السويس، أصغر من بورسعيد. كانت الحالة في الإسماعيلية تجسّد تضخّم الثقافة الأوروبية العلمانية التي أشعرت البنّا بالغربة في القاهرة. كانت حتى إشارات الشوارع مكتوبة بالفرنسية. أما العرب فكانوا يعيشون في القسم الخاص بهم في المدينة، حيث كانوا يستمعون إلى دروس البنّا في المقاهي. وبنى هؤلاء مسجدًا وطوّروا برنامجًا تعليميًا كشكل من المقاومة للسيطرة الأوروبية. ومع وفاة رضا انتقل البنّا إلى القاهرة ليؤسّس مقرًا

---

(55) مقابلتان شخصيتان مع سامي مبيض وعمر ملا، أيار/ مايو 2019.

(56) David Commins, "Hasan al-Banna (1906-1949)," in: Ali Rahnema (ed.), *Pioneers of Islamic Revival* (Atlantic Highlands, NJ: Zed Books, 1994), pp. 125-133; Richard P. Mitchell, *The Society of Muslim Brothers* (New York: Oxford University Press, 1993), p. 322.

وطنيًا لجمعية الإخوان المسلمين، الذين أصبح لهم الآن ثلاثون فرعًا في أرجاء مصر الشمالية[57].

لم يحضر البنّا حفل التأبين الذي أقيم لرضا، ولكنه قرّر أن ينقل رسالة رضا مباشرة إلى الملك الشاب فاروق. نُشرت هذه الرسالة في عام 1936 بعنوان: "نحو النور" وكانت تعكس آراء رضا في **الوحي المحمّدي**. ولكن في حين أن رضا صوّر الإسلام كاكتمال للدين المشترك مع المسيحية واليهودية، ركز البنّا على الإسلام كنظام سياسي واجتماعي مختلف عن الغرب.

كتب البنا يقول: "صاحب الجلالة، سترون أمامكم طريقين... فأما الأول فطريق الإسلام وأصوله وقواعده وحضارته ومدنيته. وأما الثاني فطريق الغرب ومظاهر حياته ونظمها ومناهجها"[58]. ومع استعراضه للأزمات السياسية والاقتصادية في أوروبا، أكّد البنا أن مدنية الغرب التي زهت بجمالها العلمي حينًا من الدهر "تُفلس الآن وتندحر وتندكّ أصولها وتنهدم نظمها وأصولها. فأصولها السياسية هذه تقوّضها الدكتاتوريات".

كان الإسلام، كما ورد في نصيحة البنّا للملك فاروق، هو الحل للشعوب التي يستغلها الأوروبيون: "الإنسانية كلها معذّبة شقيّة قلقة مضطربة، وقد اكتوت بنيران المطامع والمادة، فهي بأشدّ الحاجة إلى عذب من سؤر الإسلام الحنيف يغسل عنها أوضار الشقاء، ويأخذ بها إلى السعادة". وعلى عكس القومية الأوروبية كان الإسلام، كما أكّد للملك، لا يدعو إلى الكره: "الإسلام... ليس التعصّب العنصري والفخر الكاذب بل قيادة العالم إلى الخير".

---

(57) Brynyar Lia, *The Society of the Muslim Brothers in Egypt: The Rise of an Islamic Mass Movement 1928-1942* (Reading, UK: Ithaca Press, 1998), pp. 53-76, 94.

(58) Mitchell, p. 15; Commins, p. 132.

نشرت جماعة الإخوان المسلمين نسخة لاحقة من هذه المقالة بزعم أن البنا قدمها (مرة أخرى؟) إلى فاروق في عام 1947. تم الوصول إلى الترجمة العربية الأصلية والإنكليزية في 17/ 8/ 2018، على العنوان التالي: https://bit.ly/3lVGxAQ

ترجمها إلى الإنكليزية تشارلز ويندل، وقد كرر الخطأ في التاريخ الذي ارتكبه الإخوان. وهنا أعتمد ترجمة ويندل.

Charles Wendell (trans.), *Five Tracts of Hasan al-Banna (1906-1949)* (Berkeley: University of California Press, 1978), pp. 103-132.

لم يردّ فاروق على دعوة البنّا لتوحيد العالم الإسلامي لمعارضة التحريض العنصري على الحرب الذي تقوم به أوروبا. كان فاروق، مثل غازي ابن فيصل في العراق، ملكًا ضعيفًا غير مهتم بالإصلاح الاجتماعي. وفي غضون عدة سنوات كان قد أصبح بدينًا منغمسًا في الملذات تحت سيطرة الترف والهوى اللذين كان البنّا يدينهما عند الأوروبيين.

في غضون ذلك، كان البنّا قد طوّر الإخوان المسلمين إلى قوة للسياسة الجماهيرية. كانت المصطلحات التي يستخدمها لتعريف دور الإسلام السياسي مختلفة كثيرًا عن تصور رضا في عام 1920. وعلى عكس رضا، لم يترك البنّا فسحة للتشريع المدني خارج إطار الشريعة الإسلامية. كان القرآن بالنسبة إليه برنامج عمل لثورة اجتماعية. تساءل البنّا في خطاب له في عام 1938 أعلن فيه عن دخول جمعية الإخوان المسلمين في المعترك السياسي: "أيها الإخوان، أخبروني، إذا كان الإسلام لا يعني السياسة والمجتمع والاقتصاد والثقافة فما هو إذن؟ إنه مجرد أفعال جوفاء خالية من نبض القلوب. إنّ هذا التفسير الضيق للإسلام وحشره في الحدود الضيقة هو ما يريده بالضبط أعداء الإسلام كي يبقوا المسلمين متأخرين والسخرية منهم"[59].

كانت رؤية البنّا تتعارض كليًا مع إلحاح رضا على أن هناك مجالات واسعة من المصلحة العامة (مثل تصويت المرأة) تقع خارج اختصاص الشريعة الإسلامية. أما في برنامج البنّا فلم تكن هناك مساحة لتسوية ليبرالية-إسلامية توصّل إليها رضا في عام 1920.

ومع أن البنّا لم يكن عالمًا دينيًا متمرسًا، إلا أنه أعلن في عام 1939 أن جمعية الإخوان المسلمين ستستأنف إصدار مجلة **المنار**. فقد كتب البنّا في هذه المناسبة: "إن المجلة ستستأنف جهادها وستظهر ثانية في الميدان العام". ادّعى البنا أن رضا بارك "الإخوان المسلمين" قبل وفاته: "الحمد لله، إن الإخوان المسلمين هي الجماعة التي يعقد الأمل عليها السيد رشيد رحمة الله عليه"[60].

---

(59) Lia, p. 202.

(60) حسن البنا، "في الميدان العام مرة أخرى"، مجلة **المنار**، مج 35، ج 5 (تموز/يوليو 1939)، ص 3-7. الاستشهاد من ص 5.

استمرت هذه الصورة العامة عن رضا باعتباره جدّ "الإخوان المسلمين"، على الرغم من عدم وجود دليل على أن رضا أيّد حركة البنا. إن إعادة تصنيف رضا كزعيم أصولي حجبت عن التاريخ دوره الرئيسي في تعزيز الإسلام الليبرالي في عام 1920.

## نهايات الحلم في دمشق

بحلول عام 1939 عاد الشهبندر إلى دمشق بعد أن منحته حكومة يسارية أخرى في باريس العفو. كانت الساحة السياسية قد تغيّرت منذ مغادرة الشهبندر في عام 1925، حيث أصبح هاشم الأتاسي الآن يرأس الكتلة الوطنية التي تأسّست بعد الثورة السورية. وكان الأتاسي والنخبة الوطنيون في الكتلة قد صاغوا دستورًا جديدًا يؤسّس للجمهورية السورية في عام 1930. في بعض النواحي، كان أكثر ديمقراطية من دستور عام 1920. لم يعد في الدستور وجود لمجلس الشيوخ الذي كان يعيّنه الملك. حلّ الرئيس الآن على رأس السلطة التنفيذية مكان الملك، الذي بقي مطلوبًا [بحسب الدستور الجديد] أن يكون مسلمًا[61]. همّشت هذه العملية [الجديدة] كلًا من نخبة المحافظين والشعوبيين الإسلاميين، الذين أصبحوا يعارضون الآن الكتلة الوطنية والجمهورية العلمانية. لم يعد يوجد رشيد رضا ليقرّب بين هذه الأطراف.

إلا أنّ الاتفاقية بين حكومة الكتلة الوطنية وفرنسا سرعان ما كلفتها خسارة التأييد الشعبي. وكانت الكتلة تفاوضت على معاهدة استقلال مع حكومة الجبهة الشعبية في فرنسا في عام 1936 أقرّها البرلمان السوري، ولكن الحكومة الفرنسية لم تفعل ذلك قط[62]. ومع الحصار وجدت حكومة الكتلة الوطنية نفسها، فيما انتهز الشهبندر الفرصة للابتعاد عن التفاوض مع فرنسا والعودة إلى الشعب.

وهكذا رحّبت حشود ضخمة بالشهبندر لدى عودته إلى سوريا في عام 1937. كانت الحشود تتذكّره كبطل الثورة السورية التي ضعُفت نتيجة للتنازلات

(61) Khoury, *Syria*, pp. 327-345.

(62) Ibid., pp. 464-471.

التي قدّمتها الكتلة الوطنية لفرنسا. كان زعماء الكتلة الوطنية يخشون الشهبندر كمنافس لهم، ممّا اضطُرّ إلى وضع الحراس حول بيته على مدار الساعة. ولذلك، رفضوا أن يسمحوا له بفتح مقر للحزب وأجبروا الصحف على عدم الإشارة إليه باعتباره "الزعيم السوري الكبير".

إلا أن هذا لم يمنع الشهبندر من إلقاء خطاب أمام حشد كبير بمناسبة الذكرى الـ 19 لإعلان الاستقلال السوري. أدان بلهجة خطابية نارية معاهدة عام 1936 لأنها سمحت بتقسيم سوريا الكبرى ولم تسمح بانضمام سريع [لسوريا] إلى عصبة الأمم، كما جرى مع العراق. وذكّر الحضور بأنه مع أعضاء آخرين بجمعية العربية الفتاة رفضوا اتفاق كليمنصو [فيصل] في 6 كانون الثاني/ يناير 1919 لأنه مسّ أيضًا بسيادة سوريا. كان الحلفاء يعتقدون أنه تحت حكم الأتراك الجدد "نحن العرب أمة تُضرب وتُنهب وتُقتل قبل أن تتمكّن من فتح فمها". ولكن السوريين أثبتوا العكس. طلب بعدها من الحشد أن يحفظوا في قلوبهم كلمات إعلان الاستقلال:

> نحن أعضاء المؤتمر... أعلنا بإجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية ومنها فلسطين... على الأساس المدني وحفظ حقوق الأقلية ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطنًا قوميًا لليهود.

توقف الشهبندر قليلًا ثم طالب بأن يستحضر السوريون سجلًا تاريخيًا يبيّن كم تقهقروا:

> هذه حالنا في يوم 8 آذار/ مارس 1920، فقولوا لي بربكم ما صرنا إليه اليوم وإلى أين وصلنا؟ لقد أقامت الإدارة الأجنبية حكومة في هذه البلاد لم تستحِ أن تسمّي الحماية استقلالًا، ولم تستحِ أن تسمّي الخضوع والخنوع حرية تامةً، ولم تستحِ أن تدعو الأغلال الموضوعَة في رقاب الناس سياسة واعتلاء.

صاح الحضور "نعم، نعم". وتابع الشهبندر خطابه: "إنّ الذين أتوا بها [معاهدة عام 1936] لم يكتفوا بما فعلوه من الافتئات على حقوق الأمة، بل عادوا وسافروا إلى باريس ودخلوا في مفاوضات سرية واتفاقات لا تزال مجهولة حتى عند بعض الوزراء أنفسهم... بشروط لو قُبلت لحوّلت هذه البلاد إلى أمثال بلاد (نيام نيام) في جنوب أفريقيا".

أدان الشهبندر أولئك الذين تفاوضوا حول الكرامة السورية باعتبارهم خونة لحلم عام 1920 وعملاء للإذلال والامتهان وحَيْونة البشر: "إنّ الذي يقتل القتيل ويترحّم عليه في جنازته أقلّ شرًّا على التحقيق من يبيع الوطن وينوح على استقلاله".

أضاف الشهبندر أنه يجب على السوريين محاربة الجهود الفرنسية لتجزئة الأمة العربية: "ليس لأننا لدينا سلاح وطائرات ومدافع، بل لأننا نعتقد أن الإيمان الذي نحمله هو روح من السماء وقوة الله أقوى من قوة البشر". واختتم الشهبندر خطابه بآية من القرآن ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (آل عمران: 137-139)[63].

كان ما أثاره الشهبندر من الغضب والعار في ذلك اليوم له صدى المنشورات نفسها التي كانت توزّع في عام 1919 حين أطلقت بريطانيا قواتها، وحين وزّعت فرنسا جيشها الاستعماري على طول الحدود. وهكذا بعد عقدين تذكّر السوريون الخيانة بشكل حي. فالاعتداء على الدين والكرامة الإنسانية من قبل بريطانيا وفرنسا في عام 1920 حين تآمرتا على تدمير ديمقراطية سوريا لم يكن فقط في ذاكرة السوريين، بل انتقل أيضًا إلى السياسة السورية والعربية. لقد فتح ذلك جرحًا في السياسة العربية لا يزال يوحي بالألم حتى اليوم.

أصبح الشهبندر الزعيم السياسي في سوريا. كان يرفع مشعل عام 1920 للسيادة والديمقراطية. كان يتحدث عن الحقائق التي لم يكن أحد يرغب في ذكرها سواء من الوطنيين النخبويين والشعبويين الإسلاميين أو من الفرنسيين بالطبع. انتقد الوطنيين الذين يحصلون على النفوذ من خلال رعاية العملاء الشخصيين أكثر من الالتزام بالمبادئ السياسية.

كان الشهبندر يغرّد خارج السرب، يفتقد إلى قاعدة اجتماعية، إذ إنّه كان طبيبًا وليس زعيمًا عشائريًا أو مالكًا للأراضي. ولذلك كان المعارضون يتربصون به. فحين شوهد الشهبندر يزور السفارة البريطانية انتشرت الشائعات بأنه يتفاوض حول إعادة توحيد سوريا الكبرى تحت قيادة شقيق فيصل عبد الله ملك الأردن.

(63) الحكيم، ص 123-129.

وفي حين أن الشهبندر فهم خطر معاداة الكتلة الوطنية، لم يتوقع التهديد من قبل قوة سياسية أخرى، من الشبكة المزدهرة للشعبويين الإسلاميين، التي كان على رأسها الشيخ كامل القصّاب. كان القصّاب قد حصل على العفو أيضًا بعد أن بقي طويلًا في منفاه بمكة. عاد [إلى دمشق] بنموذج متشدد للإسلام. كان أتباع "جمعية العلماء" التي أسّسها يدعون إلى حكم الشريعة الإسلامية، ويهاجمون النساء بحرية في العلن. وفي النهاية نجحت شبكة القصّاب في إسقاط الحكومة في معركة حول الشريعة الإسلامية. كانت الكتلة الوطنية قد تعاونت بمساعدة المجهود الفرنسي لسحب ولاية الشريعة الإسلامية لمصلحة قانون مدني. وكما في عام 1920 قاد القصّاب الحشود في الشوارع، ولكن ليس لصالح المشروع الليبرالي كما في عام 1920. كان، مثله مثل البنّا، يطالب الآن بحكم يقوم على الشريعة الإسلامية[64].

في 6 تموز/يوليو 1940 تعرّض الشهبندر لكمين وقُتل بالرصاص في دمشق. شُيع وسط الفزع والحزن كبطل وطني ودُفن إلى جوار صلاح الدين الأيوبي. اتهم الفرنسيون زعماء الكتلة الوطنية بقتله، الذين هربوا إلى العراق. إلا أن الأفراد المدانين بالاغتيال من المستوى الأدنى اعترفوا أنهم قتلوا الشهبندر لدواع دينية، معتقدين أنه كان صديقًا لبريطانيا وعدوًا للإسلام. ولكن الكثير من السوريين كانوا يعتقدون أن فرنسا كانت في الواقع وراء المؤامرة[65].

وعلى الرغم من المحاكمة واعتراف الذين قاموا بالاغتيال، إلا أن احتمالية مؤامرة سياسية وراء اغتيال الشهبندر تبقى غير محدّدة. فالرمزية التاريخية واضحة أيضًا. كان الشهبندر مكروهًا لدى فئة من السكان السوريين الذين يؤمنون بأن الإسلام يجب أن يكون أساس الحكم، ويرونه علمانيًا متغرّبًا. إلا أنه كان يرى نفسه في التعابير التي استخدمها في عام 1920 رجلًا صالحًا يمكن أن يكون

---

(64) Elizabeth Thompson, *Colonial Citizens* (New York: Columbia University Press, 2000), pp. 152-153.

(65) Khoury, *Syria*, pp. 584-589; Khoury, "'Abd al-Rahman Shahbandar," pp. 31-60; Sami Moubayed, *Steel and Silk: Men and Women Who Shaped Syria 1900-2000* (Seattle: Cune Press, 2006), pp. 329-330;

الحكيم، ص 231-232.

مسلمًا وليبراليًا في الوقت نفسه. كان يلحّ على أن الإسلام يجب أن يبقى خارج السياسة، في المجال الشخصي فقط، وهو ما قُبل في المؤتمر السوري في عام 1920.

ولكن حكم الانتداب الفرنسي الذي استمرّ عشرين سنة غيّر المجال السياسي السوري تمامًا بعدما أفضى إلى انقسام حاد بين الليبراليين والإسلاميين. أدى هذا الانقسام إلى إضعاف قضية الديمقراطية منذ ذلك الحين. في عام 1950، بعد رحيل فرنسا، سيقوم السوريون بإعادة صياغة دستورهم وإضافة حقوق اقتصادية واجتماعية إلى قائمة الحقوق المدنية التي وردت في [دستور] عام 1920. في ذلك الوقت اندمجت الحركة الإسلامية في [جمعية] الإخوان المسلمين السورية. وبذلك فقد حظيت بقوة سياسية كافية لتفرض إدخال مادة جديدة [في الدستور] على الرغم من معارضة الليبراليين والاشتراكيين والأقليات الدينية. فإلى جانب المطلب الوارد في [دستور] عام 1920 يكون دين الملك/ الرئيس هو الإسلام، أصبحت المادة 3 من الدستور الآن: "الإسلام مصدر رئيسي للتشريع"[66]. ومنذ ذلك الحين أُدخلت مادة مشابهة في كل دستور عربي تقريبًا. وبذلك كان الموت الفاجع للشهبندر بمثابة نعي لموت الإسلام الليبرالي الذي نجح في أن يحكم فترة وجيزة في عام 1920.

(66) "The Constitution of Syria of September 5, 1950," in: Helen Miller Davis, *Constitutions, Electoral Laws, Treaties of States in the Near and Middle East* (Durham, NC: Duke University Press, 1953), pp. 402-433.

# الملاحق

# الملحق (أ)

## أعضاء المؤتمر في آذار/ مارس 1920

تقلّبت العضوية في المؤتمر السوري ما بين حزيران/ يونيو 1919 وتموز/ يوليو 1920. ولا يوجد لدينا سجلات دقيقة لأن أرشيف المؤتمر السوري اختفى بعد الغزو الفرنسي. كل ما نملك صورة عن ملصق وُضع في آذار/ مارس 1920 يحمل صورة غير كاملة لأعضاء المؤتمر الذين أعلنوا الاستقلال السوري. وقد ألحقنا هنا الملصق وأسماء معظم الأعضاء الـ 84 (بعض الأسماء غير مقروءة). ولا يوجد هنا [مثلًا] صور بعض الأعضاء مثل نائب الرئيس مرعي الملاح وبعض الأعضاء الذين شاركوا في النقاش حول تصويت المرأة في نهاية نيسان/ أبريل مثل المعارض إبراهيم الحاج حسين من دير الزور والمؤيدين الثلاثة: صبحي الطويل ودعاس جريس من اللاذقية والشيخ مراد سعيد من غزة. ويمكن لنا أن نفترض أن ما يقارب تسعين نائبًا اجتمعوا في الجلسات المهمة للمؤتمر في ربيع دمشق 1920[1].

إن الملصق يصوّر أيضًا التوزيع الجغرافي لأعضاء المؤتمر في ربيع 1920. من هؤلاء لدينا 38 نائبًا، حوالى نصف الموجودين في الصورة، من سوريا الحالية. ولدينا ربع هؤلاء - عشرون عضوًا - من لبنان الحالي و15 عضوًا من فلسطين/ إسرائيل، وخمسة نواب من الأردن الحالي وعضوان من المدن الموجودة حاليًا في تركيا. أما الغائبون في الملحق فهم أعضاء المؤتمر من لبنان وفلسطين الذين مُنعوا من السفر إلى دمشق في 8 آذار/ مارس من قبل فرنسا وبريطانيا[2].

---

(1) إضافةً إلى الصورة اعتمدت بشكل أساسي على قائمة أعضاء المؤتمر الموجودة لدى: ماري ألماظ شهرستان، **المؤتمر السوري العام** 1919-1920 (بيروت: دار أمواج، 2000)، ص 38-41. وتتضمن المصادر الأخرى: محمد عزة دروزة، **حول الحركة العربية الحديثة** (بيروت: المطبعة العصرية، 1959)، ج 3، ص 97-100؛

and BNA, FO 5040/162744, note 1171, Ernest Scott, acting high commissioner, Ramleh, to Lord Curzon, October 18, 1920, enclosure from Col. G. L. Easton, 215-17;

وكذلك على النسخة العربية من ويكيبيديا المتعلقة بالمؤتمر السوري العام: https://bit.ly/3MWDDYp

(2) يمكن ملاحظة فرق بسيط في صورة أعضاء المؤتمر في موقع آل الصلح ضمن الجدول الزمني لعفاف الصلح. شوهد في: 28/ 10/ 1919، في: https://bit.ly/3MYZY7X

أخيرًا، إنّ الصور الموجودة في الملصق توحي بالفوارق في الخلفية الاجتماعية بين الأعضاء. ففي نهاية العهد العثماني وعهد ما بعد الحرب كان لباس رأس الرجل يؤشّر إلى وضعه الاجتماعي. كان يعتمر الطربوش أفراد الجيل الأكبر من الموظفين العثمانيين والمهنيين. وفي الملصق هناك حوالى ثلثي الأعضاء يعتمرون الطربوش. ولدينا حوالى عشرة يضعون العمامة التي تشير إلى أن واضعيها من نخبة رجال الدين مثل رشيد رضا (الثالث في الصف الأول من اليمين)، بينما لدينا سبعة يضعون الكوفية، التي ترمز إلى شيوخ عشائر من المناطق الصحراوية. وأخيرًا، من كل هؤلاء الأعضاء لدينا حوالى عشرة لا يضعون أي شيء على رؤوسهم، وهم يمثلون نموذجًا للأعضاء الأصغر سنًا في جمعية العربية الفتاة القومية مثل رياض الصلح والدكتور أحمد قدري والدكتور سعيد طليع (مؤلف الإصدار التذكاري عن الاستقلال).



Pierre Fournié & Jean -Louis Riccioli, *La France et le Proche -Orient 1916-1946,* (Tournai, Belgium: Casterman, 1996), pp. 66-67.

عن نسخة أصلية تمت أرشفتها في أرشيف الجيش الفرنسي في فينسين. لا يمكن تحديد موقعها هناك حاليًا.

## أسماء الأعضاء في عام 1920 والمناطق التي يمثلونها

إن الدول الحالية قُسّمت في عام 1920 إلى ثلاث مناطق لسوريا الكبرى: المنطقة الغربية التي تشمل السواحل اللبنانية والسورية والتركية، والمنطقة الشرقية وتشمل مناطق سوريا الحالية والأردن، والمنطقة الجنوبية التي تشمل حاليًا المناطق المتنازع عليها بين فلسطين وإسرائيل. وفي حين أن معظم الأعضاء كانوا يقيمون في الواقع في الدوائر التي يمثلونها كانت هناك استثناءات قليلة. ومن أبرز هذه كانت حالة الدكتور أحمد قدري، ابن دمشق الذي كان يمثل الخليل في فلسطين.

إن أسماء الأعضاء والدوائر الواردة أدناه تمثل ما هو موجود في الملصق، مع أن الأسماء في بعض الحالات غير مقروءة أو مختلفة عما هو موجود في المصادر الأخرى. ويجدر هنا ذكر رشيد رضا، الذي يرد في الملصق أنه ممثل بيروت بينما يرد في معظم المصادر الأخرى أنه ممثل طرابلس. وقد أضيفت معطيات أخرى بين قوسين.

1. الأعضاء المحيطون بفيصل في قلب الملصق.
الصف الأول بعكس عقارب الساعة على يسار فيصل

| الاسم | مدينة الإقامة | الموقع الحالي |
|---|---|---|
| مراد غلميه | راشيا | لبنان |
| عزة دروزة | نابلس | فلسطين |
| هاشم الأتاسي | حمص | سوريا |
| الدكتور سعيد طليع | طرابلس (جبل لبنان) | لبنان |
| صلاح الدين الحاج يوسف | صفد | فلسطين |
| الصف الثاني بعكس عقارب الساعة من اليسار | | |
| رياض الصلح | صيدا | لبنان |
| الدكتور أحمد قدري | الخليل | فلسطين |
| سعد الله الجابري | حلب | سوريا |
| وصفي الأتاسي | حمص | سوريا |

2. الكتلة اليسارية
(من اليسار إلى اليمين ومن فوق إلى أسفل)

| العمود 1 | | |
|---|---|---|
| الشيخ عبد القادر الخطيب | دمشق | سوريا |
| أمين التميمي | نابلس | فلسطين |
| خليل تلهوني | معان | الأردن |
| رشيد الحاج إبراهيم | حيفا | إسرائيل |
| محمد الشريف | اللاذقية | سوريا |
| عزت الشاوي | دمشق | سوريا |
| حكمت الحراكي | حلب (المعرّة) | سوريا |
| **العمود 2** | | |
| عبد القادر الكيلاني | حماة | سوريا |
| حسين الزغبي | الناصرة | إسرائيل |
| محمود نديم | منبج | سوريا |
| دعاس الجرجس | اللاذقية | سوريا |
| جورج حرفوش | بيروت | لبنان |
| عبد الحميد البارودي | حماة | سوريا |
| سعيد (غير مقروء) | السلط | الأردن |
| **العمود 3** | | |
| رفيق التميمي | الخليل | فلسطين |
| أحمد العياش | إدلب | سوريا |
| عبد الرحمن إرشيدات | عجلون | الأردن |
| عبد المهدي محمود | غير مقروء (دمشق) | سوريا |
| سليم عبد الرحمن | طولكرم | فلسطين |
| عبد الفتاح السعدي | عكا | إسرائيل |
| عادل زعيتر | نابلس | فلسطين |

| العمود 4 | | |
|---|---|---|
| سليم علي سلام | بيروت | لبنان |
| حكمت النيال | حلب | سوريا |
| عبد الفتاح الشريف | عكار | لبنان |
| إلياس إيوشاق | دمشق | سوريا |
| أحمد القضماني | دمشق | سوريا |
| توفيق مفرج | جبل لبنان (الكورة) | لبنان |
| الشيخ طاهر الطبري | طبريا | إسرائيل |

3. الكتلة الوسطى، حول دائرة فيصل
(الأعمدة من اليسار إلى اليمين ومن فوق إلى أسفل)

| العمود 1 | | |
|---|---|---|
| سعيد حيدر | بعبك | لبنان |
| زكي يحيى | إدلب | سوريا |
| محمد حيدر | بعلبك | لبنان |
| يوسف ليندا و | دمشق | سوريا |
| **العمود 2** | | |
| فوزي البكري | دمشق | سوريا |
| مسلم الحسني | دمشق | سوريا |
| مصطفى لطفي الرفاعي | أنطاكية | تركيا |
| سليمان السوري | جبل الدروز (عجلون) | الأردن |
| **العمود 3** | | |
| محمد الفاعور | القنيطرة | سوريا |
| صبحي بركات | أنطاكية | تركيا |
| رشيد المدرس | حلب | سوريا |
| محمود أبو رمية | حوران | سوريا |

| العمود 4 | | |
|---|---|---|
| فايز الشهابي | حاصبيا | لبنان |
| محمد المجتهد | دمشق | سوريا |
| منح هارون | اللاذقية | سوريا |

| العمود 5 | | |
|---|---|---|
| معين الماضي | حيفا | إسرائيل |
| عفيف الصلح | صور | لبنان |
| ناجي علي الأديب | جبلة | سوريا |
| إسماعيل أبو شير | النبك | سوريا |

4. الكتلة على اليمين
(الأعمدة من اليسار إلى اليمين ومن فوق إلى الأسفل)

| العمود 1 | | |
|---|---|---|
| عبد الرحمن اليوسف | دمشق | سوريا |
| جلال القدسي | إعزاز | سوريا |
| تامر حمادة | الهرمل | لبنان |
| عثمان سلطان | طرابلس | لبنان |
| إبراهيم هنانو | حارم | سوريا |
| سعيد الصليبي | السلط | الأردن |
| يوسف العقيل | طبريا | إسرائيل |

| العمود 2 | | |
|---|---|---|
| الشيخ رشيد رضا | بيروت (طرابلس) | لبنان |
| شريف الدرويش | الباب | سوريا |
| إبراهيم الخطيب | جبل لبنان | لبنان |
| عارف النعماني | بيروت | لبنان |
| نوري الجسري | حلب | سوريا |
| إبراهيم العكّة | عكا | إسرائيل |

| | | |
|---|---|---|
| صبحي الطويل | اللاذقية | سوريا |
| العمود 3 | | |
| تيودور أنطاكي | حلب | سوريا |
| توفيق البيصار | طرابلس | لبنان |
| عبد الرحمن النوحي | صفد | إسرائيل |
| جميل بيهم | بيروت | لبنان |
| رشيد نفاع | المتن | لبنان |
| فؤاد عبد الكريم | إدلب | سوريا |
| ناصر فواز | حوران | سوريا |
| العمود 4 | | |
| فاتح المرعشي | إعزار | سوريا |
| إبراهيم عبد الهادي | نابلس | فلسطين |
| عيسى المدانات | الكرك | الأردن |
| يوسف كيخيا | حلب | سوريا |
| خالد البرازي | حماة | سوريا |
| أمين بيهم | بيروت | لبنان |
| سعيد رمضان | الزبداني | سوريا |

الأعضاء الذين لم ترد صورهم في الملصق، والذين ترد أسماؤهم في المذكرات كأعضاء في المؤتمر السوري خلال (1919-1920):

**أعضاء من سوريا الحالية (لم ترد صورهم)**

دمشق: فوزي العظم (الراحل)، فوزي البكري، الشيخ حسين تاج الدين ومحمود البارودي.

حلب: يوسف الكيالي ومرعي باشا الملاح

حمص: مشير رسلان

دوما: محمود الشيشكلي

الزبداني: حسن (أو سعيد) رمضان

دير الزور: فاسي (أو فاديل) عبود، محمود نوري الفاتح وإبراهيم الحاج حسين.

اللاذقية: يوسف الحكيم (ترك المؤتمر وانضم إلى الحكومة بعد 8 آذار/ مارس 1920) ومحمد خير.

حصن الأكراد: دعاس الحاج حسين

### أعضاء من لبنان الحالي (لم ترد صورهم)

طرابلس: عبد المجيد المغربي

صيدا: رياض الصلح (ترك المؤتمر وانضم إلى الحكومة بعد 8 آذار/ مارس 1920).

### أعضاء من فلسطين الحالية (لم ترد صورهم)

القدس: راغب النشاشيبي، سعيد الحسيني، عارف الدجاني ويعقوب فرج.

يافا: راغب الدجاني

صفد: صلاح الدين قدورة

طولكرم: سعيد الكرمي

غزة: رشدي الشوا وسعيد مراد

### أعضاء من الأردن الحالي

السلط: سعيد أبو ناجي

# الملحق (ب)

## إعلان الاستقلال السوري في 8 آذار/مارس 1920

نشرت صورة من إعلان الاستقلال مع تواقيع [أعضاء المؤتمر] في الكتاب التذكاري الذي صدر في 10 أيار/ مايو 1920 من إعداد سعيد طليع ونشر يوسف السيوفي. وقد اعتمدت الترجمة الإنكليزية هنا على ترجمة قام بها سيدني كلازر[1].

إنّ المؤتمر السوري العام الذي يمثّل الأمة السورية العربية في مناطقها الثلاث الداخلية والساحلية والجنوبية-فلسطين تمثيلًا تامًا يضع في جلسته العامة المنعقدة نهار الأحد الموافق لتاريخ 16 جمادى الثانية عام 1338 وليلة الاثنين التالي له الموافق لتاريخ 7 آذار/ مارس 1920 القرارَ الآتي:

إنّ الأمة العربية ذات المجد القديم والمدنية الزاهرة لم تقم جمعياتها وأحزابها السياسية في زمن الترك بمواصلة الجهاد السياسي، ولم تُرِق دم شهدائها الأحرار وتثُر على حكومة الأتراك إلا طلبًا للاستقلال التام والحياة الحرة بصفتها أمة ذات وجود مستقل وقومية خاصة لها الحق في أن تحكم نفسها أسوة بالشعوب الأخرى التي لا تزيد عنها مدنية ورقيًّا.

وقد اشتركت في الحرب العامة مع الحلفاء استنادًا إلى ما جهروا به من الوعود الخاصة والعامة في مجالسهم الرسمية وعلى لسان ساستهم ورؤساء حكوماتهم وما قطعوه، خاصة من العهود مع جلالة الملك حسين بشأن استقلال البلاد العربية، وما جهر به الرئيس ولسون من المبادئ السامية القائلة بحرية الشعوب الكبيرة والصغيرة واستقلالها على مبدأ المساواة في الحقوق وإنهاء سياسة الفتح

---

(1) يوسف سيوفي، **ذكرى استقلال سوريا: 17 جمادى الثانية 1338 الموافق 8 مارس سنة 1920** (القاهرة: سيوفي إخوان؛ مطبعة طه ابراهيم ويوسف برلادي، 1920)؛
"Text of the Resolution on the Independence of Syria Passed by the General Syrian Congress," in: Abu Khaldun Sati al-Husri, *The Day of Maysalun* (Washington, DC: Middle East Institute, 1966), pp. 138-140.

والاستعمار وإلغاء المعاهدات السرية المجحفة بحقوق الأمم وإعطاء الشعوب المحررة حق تقرير مصيرها، ما وافق عليه الحلفاء رسميًّا كما جاء في تصريحات المسيو بريان رئيس وزراء فرنسا بتاريخ 3 تشرين الثاني/ نوفمبر 1915 أمام مجلس النواب، واللورد غراي وزير خارجية بريطانيا العظمى في 23 تشرين الثاني/ نوفمبر 1916 أمام لجنة الشؤون الخارجية وتصريح الحلفاء في جوابهم على مذكرة الدول الوسطى التي رفعها المسيو بريان بواسطة السفير الأميركي في باريس، وجواب الحلفاء على مذكرة الرئيس ولسون بتاريخ 10 كانون الثاني/ يناير 1917، وبيان مجلس الشيوخ في 6 منه أيضًا، وما جاء في الخطاب الذي ألقاه المستر لويد جورج في غلاسكو بتاريخ 29 حزيران/ يونيو 1917.

وقد كان ما قام به جلالة الملك حسين المعظم من الأعمال العظيمة في جانب الحلفاء، هو الباعث الأكبر لتحرير الأمة العربية، وإنقاذها من ربقة الحكم التركي، فخلّد لجلالته في التاريخ العربي أجمل الآثار وأفضلها. وقد أبلى أنجاله الكرام مع الأمة العربية في جانب الحلفاء البلاء الحسن مدة ثلاث سنوات، حاربوا خلالها الحرب النظامية التي شهد لهم بها أقطاب السياسة وقادة الجند من الحلفاء أنفسهم وسائر العالم المدني، وضحّى العدد الكبير من أبناء الأمة الذين التحقوا بالحركة العربية من أنحاء سورية والحجاز والعراق، فضلًا عما قام به السوريون خاصة في بلادهم من الأعمال التي سهّلت انتصار الحلفاء والعرب مع ما أصابهم من الاضطهاد والتعذيب، والقتل والتغريب، تلك الأعمال التي كان لها الأثر الكبير في انكسار الترك وجلائهم عن سورية، وانتصار قضية الحلفاء انتصارًا باهرًا حقّق آمال العرب بوجه عام، والسوريين منهم بوجه خاص، فرفعوا الأعلام العربية، وأسّسوا الحكومات الوطنية في أنحاء البلاد قبل أن يدخل الحلفاء هذه الديار.

ولما قضت التدابير العسكرية بجعل البلاد السورية ثلاث مناطق، أعلن الحلفاء رسميًّا ألا مطمع لهم في البلاد السورية، وأنهم لم يقصدوا من مواصلتهم تلك الحروب في الشرق سوى تحرير الشعوب من سلطة الترك تحريرًا نهائيًّا، وأكدوا أن تقسيم المناطق لم يكن إلا تدبيرًا عسكريًّا مؤقتًا، ليس له تأثير في مصير البلاد واستقلالها ووحدتها، ثم إنهم قرّروا ذلك رسميًّا في الفقرة الأولى من المادة

الثانية والعشرين من معاهدة الصلح مع ألمانيا، فاعترفوا فيها باستقلالنا لما وعدوا به من إعطاء الشعوب حق تقرير مصيرها، ثم أرسلوا اللجنة الأميركية للوقوف على رغبات الشعب، فتجلّت لها هذه الرغبات في طلب الاستقلال التام والوحدة التامة.

وقد مضى نحو عام ونصف والبلاد لا تزال رازحة تحت الاحتلال والتقسيم العسكري الذي ألحق بها أضرارًا عظيمة وأوقف سير أعمالها ومصالحها الاقتصادية والإدارية وأوقع الريبة في نفوس أبنائها من أمر مصيرها، فاندفع الشعب في كثير من البلاد وقام بثورات أهلية منتفضًا على الحكم العسكري الغريب، ومطالبًا باستقلال بلاده ووحدتها.

فنحن أعضاء هذا المؤتمر رأينا، بصفتنا الممثلين للأمة السورية في جميع أنحاء القطر السوري تمثيلًا صحيحًا نتكلّم بلسانها ونجهر بإرادتها، وجوب الخروج من هذا الموقف الحرج استنادًا إلى حقنا الطبيعي والشرعي في الحياة الحرة، وإلى دماء شهدائنا المراقة وجهادنا المديد في هذا السبيل المقدس، وإلى الوعود والعهود والمبادئ السالفة الذكر، وإلى ما شاهدناه ونشاهده كل يوم من عزم الأمة الثابت على المطالبة بحقها ووحدتها والوصول إلى ذلك بكل الوسائل، فأعلنّا بإجماع الرأي استقلال بلادنا السورية بحدودها الطبيعية (ومنها فلسطين) استقلالًا تامًّا لا شائبة فيه على الأساس المدني النيابي وحفظ حقوق الأقلية، ورفض مزاعم الصهيونيين في جعل فلسطين وطنًا قوميًّا لليهود، أو محل هجرة لهم.

وقد اخترنا سمو الأمير فيصل ابن جلالة الملك حسين، الذي واصل جهاده في سبيل تحرير الأمة التي ترى فيه رجلها العظيم، ملكًا دستوريًّا على سوريا بلقب صاحب الجلالة الملك فيصل الأول، وأعلنا إنهاء الحكومات العسكرية الحاضرة في المناطق الثلاث، على أن تقوم مقامها حكومة ملكية نيابية مسؤولة تجاه هذا المجلس في كل ما يتعلق بأساس استقلال البلاد التام، إلى أن تتمكن الحكومة من جمع مجلسها النيابي، على أن تُدار مقاطعات هذه البلاد على طريقة اللامركزية الإدارية، وعلى أن تراعى أماني اللبنانيين الوطنية في كيفية إدارة مقاطعاتهم، لبنان

ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العامة، بشرط أن يكون بمعزل عن كل تأثير أجنبي.

ولما كانت الثورة العربية قد قامت لتحرير الشعب من حكم الترك، وكانت الأسباب التي يستند إليها في استقلال القطر العراقي، وبما أن بين القطرين صلات وروابط لغوية وتاريخية واقتصادية وطبيعية وعرقية تجعل أحد القطرين لا يستغني عن الآخر، فنحن نطلب استقلال القطر العراقي استقلالًا تامًّا، على أن يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي اقتصادي.

هذا وإننا باسم الأمة السورية العربية التي انتدبتنا عنها، نحتفظ بصداقة الحلفاء الكرام، محترمين مصالحهم ومصالح جميع الدول كل الاحترام، وأن لنا الثقة العامة بأن يتلقى الحلفاء الكرام وسائر الدول المدنية عملنا هذا المستند إلى الحق الشرعي والطبيعي في الحياة، فيما نتحقّقه فيهم من نبالة القصد وشرف الغاية فيعترفون بهذا الاستقلال، ويجلي الحلفاء جنودهم عن المنطقتين الغربية والجنوبية، فيقوم الجند الوطني والإدارة الوطنية بحفظ النظام والإدارة فيها، مع المحافظة على الصداقة المتبادلة، حتى تتمكن الأمة السورية العربية من الوصول إلى غاية الترقي، وتكون عضوًا عاملًا في العالم المدني.

وعلى الحكومة السورية التي تتألّف استنادًا إلى هذا الأساس تنفيذ هذا القرار.

# الملحق (ج)

## الدستور السوري لـ 19 تموز/يوليو 1920

هذه النسخةُ من الدستور السوري تمّت صياغتها في 19 تموز/ يوليو 1920، وأقرّها المؤتمر السوري من حيث المبدأ، ولكنه طالب بالمصادقة عليها مادةً مادة. قامت المؤلفة بترجمة النص مع مساعدة باسم الزاويلي مترجم اللغة العربية في واشنطن العاصمة، ونائل جورج وهو محامٍ سوري متخصص في الشؤون الدستورية ومتعاون مع "معهد المساعدة للانتخابات والديمقراطية" (Institute for Democracy and Electoral Assistance (IDEA)) الذي يتخذ من استوكهولم في السويد مقرًّا له.

بعد شهور من البحث لم أتمكن من العثور على النسخة الأصلية. ولكني كنت محظوظة في التشاور مع المرحومة خيرية قاسمية، مؤلفة أول كتاب مرجعي عن حكومة المملكة العربية السورية، قبل وفاتها المبكرة. ومن خلال زميلنا الدكتور عبد الكريم رافق، المؤرخ السوري، أخطرتني قاسمية بأنها تعتبر النسخة التي نشرها حسن الحكيم[1] صحيحة. كان هذا يعني الكثير لي لأن الحكيم كان وزير البرق والبريد في المملكة [العربية السورية]، وكانت له صلة وثيقة مع الدكتور عبد الرحمن الشهبندر، السياسي الليبرالي القيادي في عشرينيات القرن الماضي. ولذلك من المعقول الاعتقاد أنه احتفظ بنسخة من الدستور، وهي

---

(1) حسن الحكيم (1886-1982) كان من موظفي الإدارة العثمانية حتى أيلول/ سبتمبر 1918 ثم انضمّ إلى الحكومة العربية مديرًا عامًا للبرق والبريد ولجأ إلى مصر مع عبد الرحمن الشهبندر بعد الاحتلال الفرنسي، وشارك معه في تأسيس حزب الشعب في عام 1925. عُيّن رئيسًا للحكومة في 20/ 9/ 1941 التي احتفلت باستقلال سوريا في 27/ 9/ 1941 بحضور مفوضي بريطانيا وإيطاليا وبلجيكا والسعودية ومصر، ولكنه قدّم استقالته في 17/ 4/ 1942 احتجاجًا على تدخلات رئيس الجمهورية تاج الدين الحسني. شارك في وضع دستور عام 1950 وألّف حكومة في صيف 1951 لم تدم سوى شهور لينسحب من الحياة السياسية ويتفرغ للتأليف عن الفترة التي عايشها مثل **مذكراتي** (1965) و**الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية في العهدين الفيصلي والانتداب الفرنسي** (1974) وغيرها. (المترجم)

النسخة التي تتضمن 147 مادة بعد قرار [المؤتمر] بشطب المادة 3 بعد 5 تموز/ يوليو 1920[2].

نحن نعرف أن الفرنسيين حازوا نسخة من الدستور الذي يحتوي على 148 مادة، الذي قُدم إلى المؤتمر السوري في 5 تموز/ يوليو 1920. وقد ضمّن فيليب ديفيد (Philippe David)، الموظف في المفوضية السامية [الفرنسية] نصّ الدستور السوري في رسالته للدكتوراه كما تُرجم في بيروت في 26/ 8/ 1920 من قبل لويس مرسييه (Louis Mercier)، المترجم الأفضل في المفوضية السامية[3]. كان مرسييه معروفًا بإتقانه العربية نظرًا لنشأته في الجزائر الفرنسية. ولذلك فإن الخطأ الجسيم الذي وقع في ترجمة المادة الأولى له مغزاه. فعوضًا عن قراءة المادة كما هي في العربية "دين المَلِك الإسلام" جاءت الترجمة الفرنسية "دين **الدولة** الإسلام". إن هذا الخطأ يعكس الادّعاء الدبلوماسي الفرنسي بأن فيصل ينوي تأسيس دولة ثيوقراطية، وهو ما أثر في محو وجود ديمقراطية عربية. كما أن ديفيد أخطأ في أمر آخر يتعلّق بالدستور يعبّر عن نقص الاستشهاد أو الانضباط في رسالته. فقد ادّعى أن الدستور قُرئ في 3 تموز/ يوليو بينما في الواقع قُرئ في 5 تموز/ يوليو – وأقرّ في اليوم ذاته، وهو ما لم يحدث[4]. وكما ظهر في الفصل العاشر فإن الدعوات التي نادت بإقرار كُلّ النص رُفضت بسبب الخشية من أن ذلك يسمح لفيصل بحلّ المؤتمر.

وفي لغة سجالية طرح ديفيد الدستور كإثبات غير مناسب على قدرة السوريين على الحكم الذاتي باعتباره "مجرد تبنٍّ شرقي للأنظمة البرلمانية في بريطانيا العظمى وفرنسا، وحشدِ صيغٍ من مصادر متعدّدة". وادّعى ديفيد أن الدستور كُتب من قبل أقلية من النواب "الكارهين للأجانب" من سوريا الداخلية، على الرغم من الإثبات بأن أكثر من نصف النواب جاؤوا من مناطق الساحل الغربي وفلسطين

---

(2) حسن الحكيم (محرر)، **الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية 1915-1946** (بيروت: دار صادر، 1974)، ص 194-213.

(3) Philippe David, *Un Gouvernement arabe à Damas: Le Congrès syrien* (Paris: Marcel Giard, 1923), pp. 135-153.

(4) Ibid., p. 135.

الجنوبية. وكما أضاف ديفيد فإن الدستور قد مركزَ السلطة في مجلس النواب وجعل المسؤولين المنتخبين يتمتّعون بالسلطة على الملك، ما يُظهر "نقصًا صادمًا للتوازن بين السلطتين التنفيذية والتشريعية".

لقد دفعت النيّة السياسية لتحليل ديفيد أيضًا إلى إنكار شرعية إعلان الدستور في 8 آذار/ مارس. وهكذا يصف الغزو الفرنسي لسوريا في 24 تموز/ يوليو بأنه "ليس أكثر من عملية للشرطة" لأن سوريا لم تكن موجودة قانونيًا في القانون الدولي[5]. وعلى نمط رؤسائه قام ديفيد بطمس الروح القانونية للمادة 22 من ميثاق العصبة، التي أُدرجت في كُلّ اتفاقيات السلام، والتي نصّت على الاعتراف المؤقت باستقلال سوريا. ومن الواضح أن رسالته سرّت رؤساءه، ولذا فقد بقي ديفيد يعمل في المفوضية السامية أكثر من عشرين سنة أخرى.

وفي كتابها عن المؤتمر السوري خالفت المؤرخة السورية ماري ألماظ شهرستان ما توصّل إليه ديفيد. فقد أبرز الدستور حسب رأيها قدرة السوريين على الحكم الذاتي، حيث إنه "شكّل دحضًا للحجج والأسباب الواهية المزعومة التي كانت تدبّجها الدول الكبرى لتبرير وجودها واحتلالها وانتدابها"[6].

إن صحة النسخة العربية [للدستور] عند حسن الحكيم يؤكدها مصدران آخران. أما الأول فهو الاختلاف القليل بين نسخ الدستور السوري التي نُشرت، والتي توحي بوجود أكثر من نسخة مخطوطة. إن هذا مرجّح كثيرًا لأننا نعرف أنه في 5 تموز/ يوليو طالب النواب عثمان سلطان أن تقوم اللجنة الدستورية بطبع نسخ من الدستور[7]. إلا أننا لا نملك دليلاً على أن مثل ذلك قد تحقّق، آخذًا في الاعتبار الأحداث التي تلت ذلك اليوم[8]. ولكن كل النسخ العربية تتطابق في

---

(5) Ibid., pp. 101, 118-120, 130-132.

(6) ماري ألماظ شهرستان، **المؤتمر السوري العام** 1919-1920 (بيروت: دار أمواج، 2000)، ص 193.

(7) المرجع نفسه، ص 188. إنّ نص الدستور المنشور عند شهرستان يتضمّن اختلافات طفيفة، ولكن نص المادة (1) نفسه. ينظر ص 245-262.

(8) في الحقيقة طُبع "القانون الأساسي للمملكة العربية السورية" في نيسان/ أبريل 1920 ووزّع على أعضاء المجلس لإقراره، وقد أعيد نشره مع صورة الصفحة الأولى منه كملحق لكتاب **من الحكومة إلى** =

النص على الإسلام دين المَلك وليس دين الدولة. وأما المصدر الثاني الذي يدعم صحّة نسخة الحكيم فهو كتابات رشيد رضا، الذي أعاد نشر النقاش الذي توافق فيه النواب على عدم النصّ على الإسلام دينًا للدولة، وهو النقاش الذي تمّ تناوله بإسهاب في الفصلين العاشر والثاني عشر.

وللأسف فإن محاولة فرنسا لمحو النظام الديمقراطي في سوريا قد تركت تأثيرها طويلًا في البحث العلمي بالإنكليزية. فقد اعتمد أولًا المؤرخ المعروف مجيد خدوري على الترجمة الفرنسية لديفيد في دراسته المرجعية عن التاريخ الدستوري السوري، حيث كرّر فيها الرأي الزائف في أن دستور عام 1920 قد اعتمد الإسلام دينًا للدولة[9]. وعلى هذا النمط فقد اعتمدت أول ترجمة إنكليزية للدستور وردت في أطروحة ماجستير في الجامعة الأميركية في بيروت، على الترجمة الفرنسية غير الدقيقة[10].

## القانون الأساس للمملكة السورية

### الفصل الأول
### في المواد العامة

المادة 1 إنّ حكومة المملكة العربية السورية حكومة ملكية مدنية نيابية عاصمتها دمشق الشام ودين ملكها الإسلام.

المادة 2 المملكة السورية تتألف من مقاطعات ذات وحدة سياسية لا تقبل التجزئة.

---

= **الدولة: تجربة الحكومة العربية في دمشق 1918-1920** الذي صدر في صيف 2020 في عمّان (الآن ناشرون وموزعون، بدعم من وزارة الثقافة). (المترجم)

(9) Majid Khadduri, "Constitutional Development in Syria," *Middle East Journal*, vol. 5, no. 2 (Spring 1951), pp. 137-160,

ينظر أيضًا القسم الخاص بخدوري عن دستور 1920 في الكتاب المرجعي:
*Dustur: A Survey of the Constitutions of the Arab and Muslim States of Islam* (Leiden: E. J. Brill, 1966), pp. 65-70.

(10) Angus M. Mundy, "The Arab Government in Syria from the Capture of Damascus to the Battle of Meisalun," Master's Thesis, American University of Beirut, 1965, pp. 144-168.

كان مندي Mundy موظفًا حكوميًا أميركيًا في دمشق.

المادة 3 اللغة الرسمية في جميع المملكة السورية اللغة العربية.

## الفصل الثاني
## في الملك وحقوقه

المادة 4 ينحصر ملك المملكة السورية في الأكبر فالأكبر من أبناء الملك فيصل الأول، متسلسلًا على هذه القاعدة، وإن لم يكن لأحدهم ابن يكون الملك للأكبر من أقرب عصابته الذكور، وإن لم يبق من صلب الملك فيصل الأول ولد ذكر ينتخب المؤتمر مجتمعًا بموافقة ثلثي أعضائه ملكًا لسورية من سلالة الملك حسين الأول ملك الحجاز.

المادة 5 يجلس الملك على سرير الملك عندما يتم السنة الثامنة عشرة من عمره. فإذا انتقل إلى من هو دون السن، ينتخب المؤتمر بالأكثرية المطلقة نائبًا له يدير المملكة باسم الملك ويشترط أن يكون النائب من صنف الجند، وعلى نائب الملك أن يقسم يمين الاحترام للشرائع الإلهية والأمانة للأمة والملك والمراعاة للقانون الأساسي.

المادة 6 على الملك حين جلوسه أن يقسم أمام المؤتمرين يمين احترام الشرائع الإلهية والأمانة للأمة ومراعاة القانون الأساسي.

المادة 7 الملك محترم وغير مسؤول.

المادة 8 الملك هو القائد العام، وهو يعلن الحرب، ويعقد الصلح والمعاهدات، على أن يعرض ذلك على المؤتمر ليصدق عليه. ولا تكون المعاهدات نافذة إلا بعد التصديق عليها، وله أن يعلن العفو العام بعد موافقة المؤتمر، وهو يعين رئيس الوزراء، ويصدق على تأليف الوزارة، ويقبل استقالتها، ويرسل السفراء إلى الدول، ويقبل سفراءها، ويصدق على القوانين والنظم، ويعفو عفوًا خاصًا، ويخفف الجزاء على المحكومين، ويفتتح المؤتمر ويفضّه، ويدعوه في غير أوقاته العادية، ويحدّد أمد الاجتماع حين الضرورة، ويفتتح المجلس النيابي، ويضرب النقود باسمه، ويمنح الأوسمة، ويوجه الرتب العسكرية والمناصب الملكية بموجب قوانينها الخاصة.

## الفصل الثالث
## في حقوق الأفراد والجماعات

المادة 9 يطلق شعار "سوري" على كل فرد من أهل المملكة السورية العربية، ويسوّغ الحصول على الجنسية السورية وفقدانها بحسب الأحوال التي يعينها قانون التابعية.

المادة 10 السوريون متساوون أمام القانون في الحقوق والواجبات.

المادة 11 الحرية الشخصية مصونة من كل تعدٍّ، ولا يجوز توقيف أحد إلا بالأسباب والأوجه التي يعيّنها القانون.

المادة 12 لا يجوز التعذيب وإيقاع الأذى على أي شخص كان لأي سبب كان.

المادة 13 لا يجوز مطلقًا التعرّض لحرية المعتقدات والديانات، ولا يعارض بإجراء الحفلات الدينية لجميع الطوائف، على أن لا تخلّ بالأمن العام، ولا تمسّ شعائر الأديان والمذاهب الأخرى.

المادة 14 كيفية إدارة المحاكم الشرعية والمجالس الطائفية التي تنظر بحسب شرائعها في الأحوال الشخصية المذهبية وكيفية إدارة الأوقاف العامة تُعيّن بقوانين تصدر من المؤتمر.

المادة 15 للأهالي أن يرفعوا شكاواهم الخطية العامة والخاصة منفردين ومجتمعين للمراجع الإيجابية وللمجالس النيابية.

المادة 16 تأليف الجمعيات وعقد الاجتماعات وتأسيس الشركات حر في ضمن قوانينها الخاصة التي يسنّها المؤتمر.

المادة 17 جميع المساكن مصونة من التعدي، ولا يجوز دخولها إلا في الأحوال التي يعيّنها القانون.

المادة 18 أموال الأفراد والأشخاص بضمان القانون، ولا يجوز للحكومة نزع ملكية مالك إلا للمنافع العامة بعد دفع التعويض وفقًا لقوانينها الخاصة.

المادة 19 المطبوعات حرة ضمن دائرة القانون، ولا يجوز تفتيشها ومعاينتها قبل الطبع.

المادة 20 يجب أن يكون أساس التعليم والتربية في المدارس الرسمية والخصوصية واحدًا، على أساس المبادئ الوطنية في جميع المقاطعات السورية.

المادة 21 التعليم الابتدائي إجباري وفي المدارس الرسمية مجاني.

المادة 22 تأسيس المدارس الخصوصية حرّ ضمن قانونها الخاص الذي يسنّه المؤتمر.

المادة 23 لا يجوز إجبار أحد على دفع شيء من المال باسم ضريبة أو رسم أو إعانة أو غير ذلك إلا بالاستناد إلى مادة قانونية.

المادة 24 السخرة والمصادرة ممنوعان.

المادة 25 لا يجوز محاكمة أحد إلا في المحاكم التي يعينها القانون.

المادة 26 النفي الإداري ممنوع منعًا باتًّا.

## الفصل الرابع
## في الحكومة السورية العامة

المادة 27 الحكومة العامة للمقاطعات السورية تتألف من هيئة الوزارة وهي مسؤولة عن أعمالها أمام المجلس النيابي العام.

المادة 28 رئيس الوزراء ينتخب الوزراء، ويعرض أسماءهم على الملك.

المادة 29 على كل وزارة أن تبيّن خطتها للمجلس النيابي العام لدى تأليفها.

المادة 30 كل وزير مسؤول عن وزارته تجاه المجلس النيابي العام.

المادة 31 لا ينشر قانون ولا قرار ما لم يكن موقعًا عليه من رئيس الوزراء والوزير الذي يعود إليه تنفيذ ذلك ومصدقًا عليه من قبل الملك.

المادة 32 يجب أن تكون أوامر الملك موقّعة من رئيس الوزراء والوزير الذي يعود إليه تنفيذ ذلك الأمر.

المادة 33 لا يجوز دخول أحد من الأسرة المالكة في هيئة الوزارة.

المادة 34 الجندية والقوى البحرية والخارجية وإدارة البرق والبريد والجمارك والتليفونات العامة بين المقاطعات وسكك الحديد والمرافئ والمنائر البحرية والمناجم وضرب النقود وإصدار الطوابع والأوراق المالية وتأسيس المصرف الرسمي وصنع الأسلحة والأدوات البحرية والانفجارية وإنشاء الطرق العامة وإدارتها، كُلّ ذلك من خصائص الحكومة العامة.

المادة 35 على الحكومة العامة تأسيس كليات العلوم والفنون العالية، وهي تقوم بإدارتها ونفقاتها ولها حق الإشراف على وحدة أساس التعليم والتربية في جميع أنحاء المملكة.

المادة 36 الحكومة العامة توحد الأوزان والمقاييس وأسعار النقود على الطريقة العشرية وتحدد أسعار النقود الأجنبية في جميع أنحاء المملكة.

المادة 37 الواردات التي تخصّص للميزانية العامة، هي الريع المتحصل من أجرة أراضي الخزينة العامة وأثمانها، وواردات الأحراج العامة والجمارك والتليفونات العامة والبرق والبريد ومصرف الحكومة ورسوم الإبل والغنم والانحصارات والامتيازات والمواد الكحولية والمناجم والمرافئ والمنائر البحرية والدمغة والحجر الصحي العام وسير السفن البحرية والصيد البحري وواردات المواد الانفجارية وريع السكك الحديد ماعدا السكة الحجازية وفروعها التي هي من الأوقاف الإسلامية.

المادة 38 لا يجوز للحكومة العامة أن تبيع أو تؤجر أراضي الخزينة العامة إلا بقانون خاص تراعى فيه منفعة زراعها أولًا ومنفعة مقاطعتها ثانيًا.

المادة 39 إذا باغتت المملكة أخطار وأحداث تخلّ بالأمن العام في أثناء عطلة المؤتمر وضاق وقت تلافيها عن استدعائه لأجل وضع ما تقتضيه الحال من

القوانين، فلهيئة الوزارة أن تضع المقرّرات اللازمة وتنّفذها بموجب قانون يصادق عليه الملك، على أن تُعرض القرارات المذكورة على المؤتمر في أول اجتماع له.

المادة 40 إذا ظهرت في أحد أنحاء المملكة ثورة أو دخلت الحكومة في حرب أو أعلنت النفير العام، فللحكومة العامة أن تعلن الأحكام العرفية مؤقتًا بموجب قانونها الخاص الذي يصدر من المؤتمر، على شرط أن تكون الإدارة العرفية في حال ظهور الثورة مقتصرة على المنطقة التي تظهر فيها.

المادة 41 يحق لكل وزير من الوزراء أن يحضر مذاكرت كل من مجلسي الشيوخ والنواب متى أراد، وله حق التقدم بالكلام.

المادة 42 على كل وزير من الوزراء أن يجيب دعوة كل من مجلسي الشيوخ والنواب وأن يعطي بنفسه أو من ينيب عنه من المعلومات في أي مادة من المواد العائدة إلى وزارته.

المادة 43 إذا دُعي أحد الوزراء إلى المجلس النيابي للاستيضاح منه عن قضية ولم ينل اعتماد الأكثرية بنتيجة الاستيضاح يسقط من الوزارة، وإذا سقط رئيس الوزراء تسقط معه الوزارة. وللوزير أو الوزارة أن تطلب تأخير الجواب عن مسؤوليتها.

المادة 44 إذا رُفع تقرير من خمسة نواب فأكثر بحق هيئة الوزراء أو أحدهم عن عمل يوجب المسؤولية، ووافقت أكثرية المجلس على إجراء التحقيق في ذلك، فإن المجلس يحوّل ذلك التقرير بالقرعة إلى إحدى شعبه، وهذه تجري التحقيق وتستدعي الوزراء أو الوزير وتستوضح منهم عما ينبغي ثم تقدّم تقريرها إلى المجلس، فإذا وافق ثلثا الأكثرية على لزوم المحاكمة تحال إلى المحكمة العليا وتعيّن أصول المحاكمة بقانون خاص.

المادة 45 متى تقرّر في المجلس النيابي وجوب محاكمة هيئة الوزارة أو أحدهم، يسقط من الوزارة.

المادة 46 لا فرق بين الوزير وغيره في الجرائم العادية والحقوق الشخصية والتضمينات المالية، فتجرى محاكمة في هذه الأمور في المحاكم العامة.

## الفصل الخامس
## في المؤتمر

المادة 47 يتألف المؤتمر من مجلسي الشيوخ والنواب.

المادة 48 يجتمع المؤتمر في أول شهر أيلول من كل سنة ومدة اجتماعه أربعة أشهر، ويجوز تمديد أمده ودعوته في غير وقته المعين حين الضرورة.

المادة 49 يفتتح الملك المجلس بخطاب ملكي يتضمن جميع الحوادث السياسية والإدارية المهمة التي حدثت خلال عطلة المجلس، وما يجب إجراؤه بالسنة التالية وذلك بحضور الوزارة والمؤتمر معًا.

المادة 50 يسنّ كل من مجلسي الشيوخ والنواب نظامًا خاصًّا لإدارته، ومذاكراته الداخلية، وينتخب كل سنة من أعضائه الرئيس الأول ونائبه والكتّاب وهيئة الإدارة بمقتضى ذلك النظام.

المادة 51 كلّ من مجلسي الشيوخ والنواب يدقق في مضابط أعضائه الانتخابية وفي قبول استقالاتهم وفي إسقاط أحدهم، إذا طرأت عليه أسباب الإسقاط القانونية.

المادة 52 مذاكرات كل من المجلس علنية، ويجوز عقد جلسة سرية إذا اقترحها عشرة من الأعضاء أو طلبتها الوزارة، ووافقت أكثرية المجلس عليها.

المادة 53 إن أعضاء كل من المجلسين أحرار فيما يبدونه من الأفكار والمطالعات في المجلس، ولا يجب عليهم أي مسؤولية من جراء ذلك، شرط ألا يخالفوا نظام المجلس الداخلي.

المادة 54 لا يجوز البدء بالمذاكرات في أحد المجلسين ما لم يكن أكثر من نصف أعضائه حاضرًا. وتتخذ القرارات بأكثرية أصوات حاضري الجلسة إلا في المسائل المشروط فيها موافقة ثلثي الأعضاء.

المادة 55 آراء الأعضاء في اتخاذ القرارات تكون بتعيين الأسماء أو بإشارة مخصوصة أو بالرأي الخفي ويشترط في الأخير موافقة الأكثرية.

المادة 56 إذا عزي إلى أحد الشيوخ والنواب خيانة وطنية، ووافق ثلثا أعضاء مجلسه على لزوم محاكمته، فإنه يحال إلى المحكمة العليا.

المادة 57 لا يجوز توقيف أحد الشيوخ أو النواب ولا محاكمته بسبب جرم من الجرائم العادية في مدة اجتماع المجلس إلا بموافقة ثلثي أعضاء مجلسه، وتستثنى من ذلك الجرائم المشهورة. ولا بد في مثل هذه الحال من إخبار المجلس المنسوب إليه العضو حالًا.

المادة 58 لا يجوز لأحد من الشيوخ أو النواب عقد المقاولات مع الحكومة العامة ولا الحكومات المحلية والبلديات ولا الدخول في الالتزامات، ولا أخذ نوع من الامتيازات لنفسه أو بالاشتراك مع غيره.

المادة 59 لكل من مجلسي الشيوخ والنواب أو الوزارة حق تكليف لوائح القوانين التي يراد وضعها، وحق تكليف تعديل القوانين الموجودة. والقوانين المقترح وضعها أو تعديلها تدقّق بداية في مجلس النواب ثم في مجلس الشيوخ.

المادة 60 القوانين المدنية والجزائية والتجارية والبحرية والقوانين المتعلقة بالصحة العامة والتأليف والاختراع والمطبوعات والتعليم الرسمي والخصوصي والجمعيات والاجتماعات والشركات والمهاجرة والتأمين والتابعية ووحدة المكاييل والمقاييس والموازين والنقود وقوانين العمال والقوانين التي تتعلق بالأمور الداخلة في اختصاصات الحكومة العامة تصدر من المؤتمر وتكون نافذة الحكم في جميع المقاطعات.

المادة 61 إذا تقرر في مجلس النواب قانون من القوانين وأُرسل إلى مجلس الشيوخ فعدّله وأرجعه إلى مجلس النواب، وأصرّ هذا على رأيه الأول ولم يتحول مجلس الشيوخ عن قراره، يعاد المشروع ثانية إلى مجلس النواب فإذا أصرّ المجلس هذا على رفض التعديل تؤلف لجنة متساوية العدد من المجلسين لإزالة الخلاف، فإذا لم يمكن فقرار المجلس النيابي هو النافذ، على شرط أن يكون بموافقة ثلثيه. أما قانون الميزانية فليس لمجلس الشيوخ أن يعيده إلا مرة واحدة، وإذا أصرّ المجلس على رأيه الأول فإن قراره يكون نافذًا.

المادة 62 لا يجوز تنقيح القانون الأساسي إلا إذا اتفق على وجوبه ثلثا كل من المجلسين، فيجتمع المجلسان هيئة عامة، ويقرران بالأكثرية المطلقة ما يرونه من التنقيح.

المادة 63 إن القوانين التي تقرّر في مجلسي النواب والشيوخ وتُرفع إلى الملك للتصديق نافذة، وإلا أعيدت إلى مجلس النواب مصحوبة ببيان الأسباب الموجبة للنظر فيها مرة أخرى. وأما القوانين التي أعطي قرار بكونها مستعجلة فمدة التصديق عليها وإعادتها أسبوع واحد، وإذا أعيدت القوانين نظر مجلسا النواب والشيوخ فيها مرة أخرى، وبعد المذاكرة الثانية يصدق عليها الملك ويأمر بإجرائها خلال المدة المعينة.

المادة 64 لا يحق لأحد الكلام في المجلسين من غير أعضائهما إلا للوزراء أو من ينيبونه عنهم.

## مجلس الشيوخ

المادة 65 ينتخب المجلس النيابي في كل مقاطعة أعضاء لمجلس الشيوخ بنسبة ربع نوابها في المجلس النيابي العام، ويعيّن الملك عددًا مساويًا لنصف عدد الأعضاء المنتخبين.

المادة 66 إذا كان عدد نواب المقاطعة في المجلس النيابي العام غير قابل للتربيع، فيُجبر ثم يتعيّن العدد الذي يجب انتخابه من قبل مجلس نواب المقاطعة بعد الجبر. وكذلك إذا كان عدد الأعضاء المنتخبين لمجلس الشيوخ من المقاطعات غير قابل للتنصيف، فيّجبر ثم يتعيّن العدد الذي يعينّه الملك بعد الجبر.

المادة 67 الأعضاء المنتخبون لمجلس الشيوخ من الأقلية يكونون بنسبة ربع نوابها عن جميع المملكة في المجلس النيابي العام، ويفرزون من مجموع العدد الذي يخصّ كل مقاطعة. ويسنّ قانون خاص من قبل المؤتمر يبيّن فيه كيفية انتخاب شيوخ الأقلية وعددهم بالنسبة إلى المقاطعات. وكذلك تراعى النسبة في ما يعيّنه الملك بعد الجبر.

المادة 68 مدة عضوية مجلس الشيوخ تسع سنوات ويتجدد ثلث الأعضاء في كل ثلاث سنوات، أما تجديد الثلثين الأول والثاني في السنوات الست الأولى فيكون بالاقتراع، على أن لا يدخل الثلث المجدد الأول في القرعة الثانية. وبعد ذلك يتجدد الأعضاء الذين يتممون مدتهم القانونية ويجوز إعادة العضو المنقضية مدته أو الذي وقعت عليه القرعة.

المادة 69 إذا وقعت القرعة على المعيّنين فيعيّن بدل لهم من قبل الملك. وإذا وقعت على المنتخبين بدلًا لهم فينتخب من قبل مجالس المقاطعات.

المادة 70 لا تجتمع عضوية الشيوخ والوظيفة في شخص واحد إلا في الوزارة.

المادة 71 تجب مراعاة الأوصاف الآتية في أعضاء مجلس الشيوخ:

(أ) أن يكون العضو سوريًا متمّمًا سن الأربعين، غير محكوم عليه بجنحة، وغير مفلس لم يعد اعتباره، وغير ساقط من حقوق المدنية.

(ب) أن يكون ممن سبقت لهم الخدمة في الوظائف العالية إدارية كانت أو عسكرية أو سياسية أو قضائية أو من النواب الذين تكرر انتخابهم أو ممن اشتهروا بسعة العلم والفضيلة.

المادة 72 إذا مات أحد الشيوخ أو استقال أو سقط من عضوية المجلس وكان من المنتخبين ينتخب مجلس مقاطعته بدلًا منه، وإذا كان معيّنًا يعيّن الملك مكانه وتكون مدة العضو الجديد توفية لمدة سلفه.

## مجلس النواب

المادة 73 ينتخب أعضاء المجلس النواب بالرأي الخفي على درجتين.

المادة 74 الانتخابات النيابية العامة للمجلس النيابي تجري في كل أربع سنين مرة، ويُبتدأ بها من أول حزيران، وتنتهي في نصف شهر أغستوس.

المادة 75 مدة النيابة أربع سنوات، ويجوز تجديد انتخاب النائب المنقضية مدته.

المادة 76 تبقى نيابة النائب معتبرة إلى أن تتم الانتخابات الجديدة بموجب المادة (75).

المادة 77 الانتخابات حرة، لا يجوز للحكومة أن تتداخل فيها أو تتصدى لها.

المادة 78 لكل سوري أتمّ العشرين من سنه ولم يكن ساقطًا من حقوقه المدنية حق في أن يكون ناخبًا أول، ويكون لحائزي شهادة المدارس العالية رأيان. وكل سوري أتمّ الخامسة والعشرين من سنّه ولم يكن فاقدًا حقوقه المدنية ولا محكومًا عليه بالسجن شهرًا فأكثر يجوز أن يكون ناخبا ثانيًا. ويشترط أن يكون الناخب الثاني ممن يحسنون الكتابة والقراءة وأن لا يكون موظفًا ولا ضابطًا ولا خادمًا خاصًا.

المادة 79 كلّ سوري أتمّ الثلاثين من عمره، ولم يكن ساقطًا من الحقوق المدنية ولا مفلسًا لم يعد إليه اعتباره ولا محكومًا عليه بجنحة يجوز انتخابه للنيابة.

المادة 80 لا يشترك في الانتخاب الجنود الموجودون في الخدمة الفعلية، أما المأذون منهم في دائرته الانتخابية فيشترك بها.

المادة 81 لا يجوز ترشيح الموظف ولا انتخابه للنيابة عن الدائرة الموظف هو فيها، إلا إذا استقال قبل البدء بمعاملة الانتخابات بشهرين على الأقل.

المادة 82 لا يجوز للضباط ولا أمراء الجيش وأركانه الموجودين في الخدمة الفعلية أن ينتخبوا أو أن يُنتخبوا للنيابة، إلا إذا استقالوا من سلك الجندية قبل البدء بمعاملة الانتخاب.

المادة 83 لا تجتمع النيابة والوظيفة في شخص واحد إلا في الوزارة.

المادة 84 لا تجتمع النيابة وعضوية الشيوخ في شخص واحد.

المادة 85 كل نائب يعتبر ممثلًا للسوريين.

المادة 86 ينتخب نائب واحد عن كل أربعين ألفًا من السكان السوريين والكسر المعتبر في ما دون النصاب عشرون ألفًا.

المادة 87 كل مديرية تُعَدّ دائرة انتخابية والمديرية التي لا يبلغ عدد سكانها أربعين ألفًا ولا ينقص عن عشرين ألفا تنتخب نائبًا واحدًا، وأما المديرية التي يقلّ عدد سكانها عن عشرين ألفًا فتُضمّ إلى أقرب مديرية لها.

المادة 88 تعتبر كل مقاطعة دائرة انتخابية واحدة بالنسبة إلى الأقليات ويكون النصاب لها ثلاثين ألفًا والكسر المعتبر في ما دون النصاب خمسة عشر ألفًا.

المادة 89 لكل مائتي ناخب أول أن ينتخبوا ثانيًا والكسر المعتبر في ما دون النصاب مئة نائب.

المادة 90 تقسّم المديريات إلى مناطق انتخابية على ألا ينقص عدد الناخبين الأولين في كل منطقة عن المئتين.

المادة 91 يسنّ للانتخابات قانون خاص تبيّن فيه كيفية إجرائها وسائر المعاملات المتفرعة عنها، والقاعدة التي يجري عليها انتخاب الأقلية.

المادة 92 إذا مات أحد النواب أو استقال أو سقط من النيابة، فالناخبون الثانويون في دائرته ينتخبون غيره، وتكون مدة النائب الجديد توفية لمدة سلفه.

المادة 93 إذا اختلف مجلس النواب مع الوزارة ولم تنل اعتماده سقطت. وإذا أصرّت الوزارة الجديدة على رأي سلفها يحوّل الخلاف إلى مجلس الشيوخ. فإذا أيد مجلس النواب تجبر الوزارة على الامتثال، وإلا فالملك يفضّ المجلس على أن يتجدّد الانتخاب ويجتمع المجلس الجديد في مدة ثلاثة أشهر. فإذا أصرّ المجلس على قرار سلفه فقراره هو النافذ.

المادة 94 مدة المجلس الذي يتجدّد انتخابه بموجب المادة الرابعة والتسعين هي أربع سنوات كاملة ما عدا الاجتماع الذي يعقده هذا المجلس على إثر انتخابه توفية لمدة الاجتماع السنوي الذي انفسخ فيه المجلس السابق.

المادة 95 لكل نائب أن يطلب تأليف لجنة من النواب لتحقيق حادثة من الحوادث المهمة التي تقع في إحدى الوزارات أو الدوائر أو المقاطعات، فإذا قبل الطلب بالأكثرية تؤلف اللجنة وتباشر عملها ثم ترفع نتائج تحقيقاتها إلى المجلس، وليس لها أن تدخل في الأعمال الإجرائية.

## الفصل السادس
## في المحكمة العليا

المادة 96 تتألف المحكمة العليا عند الحاجة بأمر من الملك من ستة عشر عضوًا، نصفهم من الشيوخ ونصفهم من رؤساء محاكم التمييز، وينتخبون من الهيئات المنسوبين إليها بالقرعة.

المادة 97 تنقسم المحكمة العليا إلى قسمين: اتهامي يتألف من سبعة أعضاء، أربعة من الشيوخ وثلاثة من التمييز والاستئناف، ويكون انتخاب هؤلاء بالقرعة من بين الستة عشر عضوًا، وحكمي ويشكل من التسعة الباقين.

المادة 98 قرار الاتهام ينبغي أن يكون بموافقة خمسة من أعضاء القسم الاتّهامي، وقرار الحكم يكون بموافقة ستة من أعضاء القسم الحكمي على الأقل.

المادة 99 أحكام المحكمة العليا قطعية، وتطبق معاملاتها وأحكامها على القوانين الموضوعة.

## الفصل السابع
## في المالية

المادة 100 يجب على الحكومة أن تقدم في كل عام ميزانيتها للسنة المقبلة إلى المجلس النيابي في أوائل اجتماعه السنوي.

المادة 101 الميزانية العامة قانون يبيّن فيه الدخل والخرج السنويان على وجه التقريب في مواد مرتبة على فصول ويحتوي على مواد أخرى في كيفية تطبيقها. ويدقق النظر في المواد القانونية في المجلس مادة مادة، وتدقق وتقبل فصول الميزانية فصلًا فصلًا.

المادة 102 لا يجوز للحكومة أن تتجاوز حدود الميزانية المصدق عليها إلا إذا طرأت أسباب اضطرارية مبرمة تقضي بإنفاق شيء خارج على الميزانية في أثناء عطلة المجلس، فيجوز للحكومة حينئذ تدبيره وإنفاقه بموجب قرار يصادق عليه الملك على أن يقدم ذلك القرار للمجلس النيابي حين انعقاده.

المادة 103 حُكم كل ميزانية سنوية نافذ في تلك السنة فقط، وإذا فسخ المجلس قبل التصديق على الميزانية فللحكومة العمل على تطبيق حكم الميزانية السابقة بقرار يصادق عليه الملك إلى أن يجتمع المجلس.

المادة 104 على الحكومة أن تقدّم للمجلس النيابي الحساب القطعي لكل سنة في السنة التي تليها. ويتضمن هذا الحساب ما تحقق تحصيله من الدخل وما تحقّق إنفاقه عن الخَرج، ويكون مرتبًا بحسب مواد الميزانية وفصولها.

## الفصل الثامن
## في ديوان المحاسبات

المادة 105 يتألف ديوان المحاسبات من رئيس وأربعة أعضاء تنتخبهم الحكومة ويصدق عليه مجلس النواب ثم ترفع أسماؤهم إلى الملك للمصادقة على وظائفهم، وتمتد وظائفهم مدة حياتهم ولا يبدلون ولا يعزلون إلا بموافقة ثلثي الأعضاء الحاضرين في جلسة النواب ومصادقة الملك. وإذا وقع منهم ما يستوجب محاكمتهم من جراء وظيفتهم فإنهم يحاكمون بالمحكمة العليا بموافقة ثلثي الأعضاء الحاضرين في جلسة النواب أيضًا.

المادة 106 يدقق ديوان المحاسبات النظر في حسابات الحكومة العامة السنوية وحسابات المحاسبين ويراقب تطبيق الميزانية العامة، ويرفع في كل عام إلى مجلس النواب عند افتتاحه تقريرًا عامًا يبين فيه نتيجة تدقيقه ومراقبته في تلك السنة. وكذلك يرفع للحكومة العامة، مرة كل ثلاثة أشهر، تقريرًا عن الأحوال المالية، ويقدّم إلى المجلس النيابي صورة عن هذه التقارير.

المادة 107 تنظيم أقلام هذا الديوان وأوصاف أعضائه وتفصيلات وظائفه وسائر ما يعود إليه من المعاملات تُعيّن بقانون خاص.

## الفصل التاسع
## في الموظفين

المادة 108 يشترط في أساس انتخاب الموظفين الجنسية السورية والكفاءة والاستحقاق.

المادة 109 تُسنّ قوانين عامة تعيّن فيها وظائف الموظفين ودرجات صفوفهم وطرق تعيينهم وترقيتهم وحدود مسؤوليتهم.

المادة 110 كل موظف مسؤول عن أعماله في وظيفته ضمن القوانين والنظم الموضوعة.

المادة 111 لا يجوز عزل موظف ولا تبديله إلا بالأسباب المعينة في القوانين والنظم.

المادة 112 على الموظف إطاعة أوامر آمره في ما لا يخالف القوانين والنظم المقررة.

## الفصل العاشر
## في المحاكم

المادة 113 المحاكم مستقلة ومصونة من كل تعدٍّ.

المادة 114 تشكيلات المحاكم ودرجاتها ووظائفها وصلاحيتها تعيّن بقانون خاص يشمل جميع المقاطعات.

المادة 115 انتخاب الحكام وتعيينهم وأوصافهم ودرجاتهم وكيفية ترفيعهم وعقوبتهم تعيّن بقانون خاص يشمل جميع المقاطعات.

المادة 116 الحاكم لا يُعزل ولا يجازى إلا بحكم.

المادة 117 المحاكمات تكون علنية ما عدا المحاكمات التي يجيز القانون جعلها سرية.

المادة 118 لكل إنسان الحق بالدفاع عن نفسه لدى المحاكم بالوسائل المشروعة.

المادة 119 الدعاوى بين الدوائر الرسمية والأشخاص ترى في المحاكم العامة.

المادة 120 لا يجوز تأليف محاكم غير المحاكم القانونية، ولا تأليف لجان يكون لها صلاحية القضاء غير لجان التحكيم التي ينصّ عليها القانون.

المادة 121 لا تجتمع الحاكمية ووظيفة رسمية أخرى في شخص واحد.

## الفصل الحادي عشر
## في المقاطعات

المادة 122 المقاطعات تدار على طريقة اللامركزية الواسعة في إدارتها الداخلية، ما عدا الأمور العامة التي تدخل في خصائص الحكومة العامة كما هو مصرح في مواد هذا القانون.

المادة 123 لكل مقاطعة مجلس نيابي يدقق ميزانية المقاطعة ويسنّ قوانينها ونظمها المحلية وفقًا لحاجاتها ويراقب أعمال حكومتها، وليس له أن يسنّ قانونًا يخالف نصّ هذا القانون الأساسي والقوانين العامة المعطى حق وضعها للمؤتمر.

المادة 124 يشترط في أساس تقسيم المقاطعات على ألا تقل مساحة كل مقاطعة منها عن خمسة وعشرين ألفًا من الكيلومترات المربعة، وألا يقل عدد سكانها عن خمسمائة ألف، وأن تراعى فيها الارتباطات الطبيعية والاقتصادية.

المادة 125 انتخابات المجلس النيابي للمقاطعة تكون على درجة واحدة وأوصاف الناخب الأول وأوصاف النائب المعينة في المادة 78 والمادة 79 من هذا القانون، تراعى أيضًا في انتخاب نواب مجالس المقاطعات، ما عدا سن النائب في مجلس المقاطعة، فإن الحد الأصغر لها يجب أن يكون خمسًا وعشرين سنة.

المادة 126 مدة أعضاء مجلس المقاطعة النيابي سنتان، وتدوم نيابة النائب إلى أن تتم الانتخابات الجديدة، ويجوز إعادة انتخابه.

المادة 127 ينتخب نواب مجالس المقاطعات بنسبة نائب واحد عن كل عشرين ألفًا من نفوس المقاطعة، والكسر المعتبر في ما دون النصاب عشرة آلاف.

المادة 128 يعيّن عدد نواب الأقليات في مجالي المقاطعات النيابية بنسبة مجموع نفوسهم في المقاطعة، وباعتبار نائب واحد عن كل خمسة عشر ألفًا، والكسر المعتبر في ما دون النصاب سبعة آلاف وخمسمائة.

المادة 129 المقاطعات تسنّ قوانين لانتخاب مجالسها النيابية.

المادة 130 تبتدئ انتخابات مجالس المقاطعات النيابية في أول شهر تموز/ يوليو من كل سنتين، وتجتمع هذه المجالس في شهر أيلول/ سبتمبر من كل سنة وتدوم مدة اجتماعها شهرين، ويجوز تمديد المدة بناء على طلب الحكومة أو سبعة من أعضاء المجلس شريطة أن يوافق على هذا الطلب ثلثا النواب الحاضرين في الجلسة.

المادة 131 القوانين التي تسنّها مجالس المقاطعات ترفع بواسطة الحاكم العام إلى الملك للتصديق عليها والأمر بإجرائها على أن يصدق عليها وتعاد إلى المقاطعات خلال شهر واحد.

المادة 132 إذا أعيدت القوانين المرفوعة من قبل المقاطعات دون تصديق من الملك بدعوى مخالفتها للقانون الأساسي أو القوانين العامة، نظر مجلس نواب المقاطعة فيها مرة أخرى، فإذا أصر على الشكل الأول ولم يصادق عليه الملك في المرة الثانية حكم مجلس الشيوخ وكان حكمه هو النافذ. ويشترط تصديقه في المرة الثانية أو إيداعه إلى مجلس الشيوخ خلال أسبوعين. وأما قانون الميزانية فيشترط أن يكون التصديق عليه أو إعادته في المرة الأولى في مدة أسبوعين، ويشترط التصديق عليه في المرة الثانية أو تحويله إلى مجلس الشيوخ في مدة أسبوع واحد.

المادة 133 يسنّ مجلس المقاطعة النيابي قانونه الداخلي، وينتخب في كل سنة رئيسه ونائبه وهيئة إدارته.

المادة 134 يدير المقاطعة من قبل حاكم عام يعيّنه الملك، ويُشترط في الحاكم العام أن يكون سوريًا عربيًا متصفًا بالصفات المشروطة في عضو مجلس الشيوخ.

المادة 135 الحاكم العام يعيّن مديري دوائر المقاطعة الرئيسية خلا الدوائر المربوطة بالحكومة العامة، ويصدق على تعيين الموظفين المنوط بهم بحسب النظم المخصوصة، وله حق الإشراف على الدوائر المربوطة بالحكومة العامة.

المادة 136 الحاكم العام مكلّف بإدارة شؤون المقاطعة، وتطبيق ميزانيتها وتنفيذ القوانين فيها.

المادة 137 الحاكم العام يقدّم في كل سنة لمجلس نواب المقاطعة تقريرًا عامًا في الأعمال التي قامت بها حكومة المقاطعة في أثناء السنة وفي الأعمال المنوي القيام بها في السنة المقبلة ويقدّم للحكومة العامة نسخة عن هذا التقرير.

المادة 138 إذا حدث خلاف بين الحاكم العام ومجلس نواب المقاطعة يحكم مجلس الشيوخ في هذا الخلاف ويكون حكمه قطعيًا. ولمجلس الشيوخ أن يقترح إقالة الحاكم إذا رأى ذلك.

المادة 139 إذا وقع من الحاكم العام ما يستوجب محاكمته من جراء وظيفته فإنه يحاكم في المحكمة العليا.

المادة 140 لكل من الحاكم العام ونواب المقاطعة حق اقتراح اللوائح القانونية لمجلس نواب المقاطعة.

المادة 141 إذا طلب سبعة من نواب المقاطعة تأليف لجنة تحقيق من النواب للتحقيق في حادثة من الحوادث المهمة التي تقع في إحدى دوائر الحكومة أو في أي ناحية من نواحي المقاطعة، وقُبل الطلب بالأكثرية تؤلف اللجنة وتباشر عملها وترفع نتيجة تحقيقاتها إلى المجلس، وليس لها أن تتعرض للأمور التنفيذية.

المادة 142 إذا نُسبت إلى نائب من نواب مجلس المقاطعة خيانة وطنية ووافق ثلث أعضاء المجلس على وجوب محاكمته فإنّه يحاكم في المحكمة العليا.

المادة 143 من حقوق المقاطعات تنظيم جميع أنواع المحاكم بدرجاتها بحسب قانونها كما جاء في المادة (120).

المادة 144 تقسم المقاطعة في إدارتها إلى متصرّفيات ومديريات، ويسنّ المجلس العمومي قانونًا خاصًا يبيّن فيه تنظيم هذين القسمين وخصائصهما وما يتبعه من تنظيم القرى وعمدتها ووظائفهم.

## الفصل الثاني عشر
## في مواد شتى

المادة 145 يسنّ المجلس العمومي قانونًا يبين فيه كيفية إدارة العشائر وحلّ الخلافات التي تحدث بينهم.

المادة 146 تسنّ كل مقاطعة قانونًا لتنظيم بلدياتها على أساس الانتخاب، وتبيّن فيه خصائصها ووظائفها.

المادة 147 تظلّ القوانين الموجودة مرعية إلى أن تنقّح أو تبدّل.

# قراءات إضافية

للقرّاء العاديين الذين يرغبون بمعرفة المزيد حول الجوانب المختلفة لهذه القصّة، سيجدون أدناه اقتراحات للقراءة. وتشمل هذه الاقتراحات الكتب الصادرة في الإنكليزية فحسب، بينما يجد الباحثون والمتخصصون مصادر إضافية في هوامش الفصول.

## كتب عامة حول العرب والعثمانيين والتاريخ السوري

للمزيد حول منظور واسع للتاريخ العربي، ينظر:

Hourani, Albert. *A History of the Arab Peoples.* Cambridge, MA: Belknap Press, 2010.

Rogan, Eugene. *The Arabs: A History.* New York: Basic Books, 2009.

للمزيد حول الليبرالية والدستورية في الشرق الأوسط، ينظر:

Campos, Michelle U. *Ottoman Brothers: Muslims, Christians, and Jews in Early Twentieth -Century Palestine.* Stanford: Stanford University Press, 2011.

Der Matossian, Bedross. *Shattered Dreams of Empire: From Liberty to Violence in the Late Ottoman Empire.* Stanford: Stanford University Press, 2014.

Kurzman, Charles (ed.). *Liberal Islam: A Sourcebook.* New York: Oxford University Press, 1998.

Thompson, Elizabeth F. *Justice Interrupted: The Struggle for Constitutional Government in the Middle East.* Cambridge, MA: Harvard University Press, 2013.

للمزيد حول التاريخ السوري واللبناني في الشرق الأوسط في مطلع القرن العشرين، ينظر:

Gelvin, James L. *Divided Loyalties: Nationalism and Mass Politics in Syria at the Close of Empire.* Berkeley: University of California Press, 1998.

Khoury, Philip S. *Syria and the French Mandate.* Princeton: Princeton University Press, 1987.

Thompson, Elizabeth. *Colonial Citizens: Republican Rights, Paternal Privilege and Gender in French Syria and Lebanon.* New York: Columbia University Press, 2000.

Traboulsi, Fawaz. *A History of Modern Lebanon.* New York: Pluto Press, 2007.

## الحرب العالمية الأولى في الشرق الأوسط والمملكة العربية السورية

للمزيد حول التاريخ السياسي والدبلوماسي والعسكري والاجتماعي للحرب العالمية الأولى في الشرق الأوسط، ينظر:

Aksakal, Mustafa. *The Ottoman Road to War in 1914.* New York: Cambridge University Press, 2008.

Fromkin, David. *A Peace to End All Peace: The Fall of the Ottoman Empire and the Creation of the Modern Middle East.* New York: Henry Holt, 1989.

Rogan, Eugene. *The Fall of the Ottomans: The Great War in the Middle East.* New York: Basic Books, 2016.

للمزيد حول الخبرات الخاصة في سنوات الحرب للشعوب الموجودة في سوريا الكبرى وفي المهاجر، ينظر:

de Ballobar, Conde. *Jerusalem in World War I: The Palestine Diary of a European Diplomat.* New York: I.B. Tauris, 2011.

Çiçek, M. Talha. *War and State Formation in Syria.* New York: Routledge, 2014.

Fahrenthold, Stacy D. *Between the Ottomans and the Entente: The First World War in the Syrian and Lebanese Diaspora, 1908-1925.* New York: Oxford, 2019.

Fawaz, Leila Tarazi. *A Land of Aching Hearts.* Cambridge, MA: Harvard University Press, 2014.

Jacobson, Abigail. *From Empire to Empire: Jerusalem between Ottoman and British Rule.* Syracuse: Syracuse University Press, 2011.

Kayali, Hasan. *Arabs and Young Turks: Ottomanism, Arabism, and Islamism in the Ottoman Empire, 1908-1918.* Berkeley: University of California Press, 1997.

Tamari, Salim. *The Year of the Locust.* Berkeley: University of California Press, 2015.

Tanielian, Melanie S. *The Charity of War: Famine, Humanitarian Aid and World War I.* Stanford: Stanford University Press, 2017.

Watenpaugh, Keith David. *Being Modern in the Middle East: Revolution, Nationalism, Colonialism and the Arab Middle Class.* Princeton: Princeton University Press, 2006.

للمزيد حول الثورة العربية والحكومة العربية في دمشق بعد الحرب العالمية الأولى، ينظر:

Allawi, Ali A. *Faisal I of Iraq.* New Haven: Yale University Press, 2014.

Anderson, Scott. *Lawrence in Arabia: War, Deceit, Imperial Folly and the Making of the Modern Middle East.* New York: Anchor Books, 2014.

Antonius, George. *The Arab Awakening: The Story of the National Arab Movement*, reprint ed. London: H. Hamilton, 1939.

Lawrence, T. E. *Seven Pillars of Wisdom.* Ware: Wordsworth, 1997.

Russell, Malcolm B. *The First Modern Arab State: Syria under Faysal, 1918-1920.* Minneapolis: Bibliotheca Islamica, 1985.

Wilson, Jeremy. *Lawrence of Arabia: The Authorized Biography of T. E. Lawrence.* New York: Atheneum, 1990.

بشأن وجهة النظر حيال الجنود العرب، يُنظر:

Parsons, Laila. *The Commander: Fawzi al-Qawuqji and the Fight for Arab Independence 1914-1948.* New York: Farrar, Straus and Giroux, 2016.

Provence, Michael. *The Last Ottoman Generation.* New York: Cambridge University Press, 2017.

## وودرو ولسون، مؤتمر الصلح وعصبة الأمم

للمزيد حول وودرو ولسون ومؤتمر الصلح في باريس، ينظر:

Cooper, John Milton Jr. *Breaking the Heart of the World: Woodrow Wilson and the Fight for the League of Nations.* New York: Cambridge University Press, 2001.

Knock, Thomas J. *To End All Wars: Woodrow Wilson and the Quest for a New World Order.* new ed. Princeton: Princeton University Press, 2019.

MacMillan, Margaret. *Paris 1919: Six Months That Changed the World.* New York: Random House, 2001.

Manela, Erez. *The Wilsonian Moment: Self-Determination and the International Origins of Anticolonial Nationalism.* New York: Oxford University Press, 2007.

Throntveit, Trygve. *Power without Victory: Woodrow Wilson and the American Internationalist Experiment.* Chicago: University of Chicago Press, 2017.

بشأن لجنة كينغ-كرين، يُنظر:

Patrick, Andrew. *America's Forgotten Middle East Initiative.* New York: I.B. Tauris, 2015.

للمزيد حول العنصرية والاستعمار والإمبراطورية في زمن مؤتمر الصلح، ينظر:

Andrew, Christopher M. & A. S. Kanya-Forstner. *The Climax of French Imperial Expansion 1914-1924.* Stanford: Stanford University Press, 1981.

Fogarty, Richard S. *Race and War in France: Colonial Subjects in the French Army, 1914-1918.* Baltimore: Johns Hopkins University Press, 2008.

Gualtieri, Sarah M. A. *Between Arab and White: Race and Ethnicity in the Early Syrian American Diaspora.* Berkeley: University of California Press, 2009.

Lake, Marilyn & Henry Reynolds. *Drawing the Global Colour Line: White Men's Countries and the International Challenge of Racial Equality.* New York: Cambridge University Press, 2008.

Lewis, David Levering. *W. E. B. Du Bois: A Biography 1868-1963.* New York: Henry Holt, 2009.

McWhirter, Cameron. *Red Summer: The Summer of 1919 and the Awakening of Black America.* New York: Henry Holt, 2011.

Stovall, Tyler. *Paris Noir: African Americans in the City of Light.* Boston: Houghton Mifflin, 1996.

بشأن الإمبريالية ونظام إدارة الانتداب، يُنظر:

Pedersen, Susan. *The Guardians: The League of Nations and the Crisis of Empire.* New York: Oxford University Press, 2015.

للمزيد حول الإخوان المسلمين، ينظر:

Abd-Allah, Umar F. *The Islamic Struggle in Syria.* Berkeley: Mizan Press, 1983.

Lia, Brynjar. *The Society of the Muslim Brothers in Egypt.* Reading, UK: Ithaca Press, 1998.

Wickham, Carrie Rosefsky. *The Muslim Brotherhood: Evolution of an Islamist Movement.* Princeton: Princeton University Press, 2013.

للمزيد حول النزاع القومي والطائفي في سوريا ولبنان ينظر:

Beshara, Adel (ed.). *The Origins of Syrian Nationhood.* New York: Routledge, 2011.

Hakim, Carol. *The Origins of the Lebanese National Idea 1840-1920.* Berkeley: University of California Press, 2013.

Provence, Michael. *The Great Syrian Revolt and the Rise of Arab Nationalism.* Austin: University of Texas Press, 2005.

Robson, Laura. *States of Separation: Transfer, Partition, and the Making of the Modern Middle East.* Berkeley: University of California Press, 2017.

Salibi, Kamal. *A House of Many Mansions: The History of Lebanon Reconsidered.* Berkeley: University of California Press, 1990.

Seale, Patrick. *The Struggle for Arab Independence: Riad el-Solh and the Makers of the Modern Middle East.* New York: Cambridge University Press, 2010.

Weiss, Max. *In the Shadow of Sectarianism: Law, Sh`ism, and the Making of Modern Lebanon.* Cambridge, MA: Harvard University Press, 2010.

White, Benjamin Thomas. *The Emergence of Minorities in the Middle East: The Politics of Community in French Mandate Syria.* Edinburgh: Edinburgh University Press, 2011.

# مصادر الصور

الصور: (14–1) **إعدامات 1916**؛ (14–2) **مجاعة الحرب**؛ (14–4) **الشريف حسين**؛ (14–28) **رشيد رضا**؛ (14–34) **بطاقة بريدية عن التتويج**؛ (14–42) **القصّاب**؛ (14–54) **لوحة ولسون**؛ (14–55) **دمشق تشتعل**؛ (14–57) **الشهبندر**؛ (14–59) **البنّا**: تُنشر بإذن من ويكي ميديا، المصورون غير معروفين.

الصورة (14–3) **جورج بيكو**: مأخوذة من مجلة *L'illustration*، العدد 3908، 26 كانون الثاني/ يناير 1918.

الصور: (14–5) **الجيش العربي**؛ (14–6) **من شوارع دمشق**؛ (14–11) **فيصل يغادر فندق فكتوريا**: تُنشر بإذن من متحف الحرب الملكي.

الصورة (14–7) **ت. إي. لورنس**: للمصوّر لووِل توماس (Lowell Thomas)، 1919.

الصور: (14–9) **الأمير فيصل**؛ (14–17) **الأربعة الكبار**؛ (14–48) **كرزون**: تُنشر بإذن من:

George Grantham Bain Collection, Library of Congress Prints and Photographs Division, LC-USZ62-55640; LC-DIG-ggbain-29038, photographed by Edward Jackson; LC-DIG -ggbain-35223.

الصورة (14–8) **محطة القطارات في درعا**: تُنشر بإذن من نايغل توت (Nigel Tout)، 12 أيلول/ سبتمبر 2000.

الصورتان: (14-10) **ألّنبي**؛ (14-26) **كراين**: تُنشر بإذن من:

The Library of Congress Prints and Photographs Division, Underwood and Underwood; 1921, LG-DIG-anrc-14227; 1920, LC-USZ62-35870.

الصورة (14-12) **فيصل في حلب**: تُنشر بإذن من:

Fonds Iconographique, Service Historique de l'Armée de Terre at Vincennes, Paris.

الصور: (14-13) **الركابي**؛ (14-31) **الأتاسي**؛ (14-32) **تتويج فيصل**؛ (14-37) **عبد الرحمن اليوسف**؛ (14-38) **نازك العابد** (14-49) **العظمة**: تُنشر بإذن من أرشيف سامي مبيّض.

الصورتان: (14-14) **المسجد الأموي**؛ (14-27) **لجنة كينغ - كراين**: تُنشر بإذن من: SALT Research, Ali Saim Ülgen Archive.

الصورتان: (14-15) **رستم حيدر**؛ (14-60) **احتجاج درعا**: تُنشر بإذن من:

Getty; Hulton Archive; AFP PHOTO/YOUTUBE.

الصور: (14-16) **عبد الهادي**؛ (14-43) **دروزة**؛ (14-52) **المؤتمر السوري - الفلسطيني**: تُنشر بإذن من مؤسسة الدراسات الفلسطينية، المصورون غير معروفين، 1921، 1932، ca.1931.

الصورة (14-18) **خريطة أميركية**: تُنشر بإذن من:

Library of Congress Manuscripts Division, Papers of Tasker H. Bliss, box 354.

الصورتان: (14-19) **الرئيس ولسون**؛ (14-21) **حيدر وفيصل**: مأخوذة من مجلة *L'illustration*، العدد 3960، 25 كانون الثاني/ يناير 1919، غلاف، ص 87.

الصورة (14-20) **المنار**: مأخوذة من غلاف مجلة **المنار**، 2 كانون الأول/ ديسمبر 1918.

الصورة (14-23) **بليس**: تُنشر بإذن من:

American University of Beirut, Jafet Library Archives and Special Collections.

الصورة (14-22) **دو كيه:** تُنشر بإذن من:

Archive du Ministère des Affaires Ètrangères, Série G, Image no. A007860, passport photo 1915.

الصورتان: (14-24) **استقبال فيصل؛** (14-36) **القانون الأساسي للولايات السورية المتحدة** 1919: تُنشر بإذن من:

Oberlin College Archives.

الصورتان: (14-25) **زوجات الانتداب؛** (14-50) **غورو:** تُنشر بإذن من:

Library of Congress Prints and Photographs Division; CAI-Rogers, no. 252; LC-USZ62-122341, photographer unknown, ca. 1923.

الصور: (14-29) **تظاهرات وطنية؛** (14-41) **الحويّك؛** (14-45) **مؤتمر سان ريمو؛** (14-46) **ميلران؛** (14-47) **كاشان:** تُنشر بإذن من:

Bibliothèque nationale de France, département Estampes et photographie.

الصورة (14-30) **دمشق مغطاة بالثلوج:** بطاقة بريدية من عام 1923 نُشرت في:

Original postcard postmarked, 1923, published by Ed Angell, Beyrouth et Damas.

الصورتان: (14-33) **كوس؛** (14-35) **خريطة الاستقلال:** مأخوذتان من كتاب: **ذكرى استقلال سوريا** (دمشق: سيوفي إخوان، 1920)، الذي أُعيدت طباعته في القاهرة من قبل مطبعة طه إبراهيم ويوسف برلدي.

الصورة (14-39) **ساحة المرجة:** تُنشر بإذن من:

Matson Photograph Collection, Library of Congress Prints and Photographs Division, LC-DIG-matpc-11717.

الصورة (14-40) **أرسلان:** تُنشر بإذن من:

Hassan Eltaher, ©eltaher.org.

الصورة (14-44) **اجتماع جمعية العربية الفتاة**: تُنشر بإذن من حفيد سكرتير المؤتمر السوري عزة دروزة.

الصورة (14-51) **الجيش الفرنسي**: مأخوذة من مجلة *L'illustration* من الموقع العائلي للجنرال ماريانو غوييبه (Gen. Mariano Goybet):

http://goybet.e-monsite.com/pages/prise-de-damas-en-1920-par-le-general-goybet-presse-du-monde-et-reportage-de-l'illustration.html

الصورة (14-53) **رابار**: تُنشر بإذن من:

United Nations Archives at Geneva.

الصورة (14-56) **الثورة السورية**: مأخوذة من:

*Le Petit Journal*, November 29, 1925, cover, "Un contre Dix: I'Héroisme de nos Troupe en Syrie".

الصورة (14-58) **فيصل الأول ملك العراق**: تُنشر بإذن من:

Matson Photograph Collection, Library of Congress Prints and Photographs Division, LC-DIG-matpc-16055.

# المراجع

## 1 - العربية


أرسلان، شكيب. **أعمال الوفد السوري الفلسطيني**. تحقيق سوسن النجار نصر. الشوف، لبنان: الدار التقدمية، 2009.

الأرناؤوط، محمد موفاكو. **دراسات حول الحكومة: الدولة العربية في دمشق 1918-1920**. عمان: دار الشروق، 2000.

إسطفان، فريد. **حبيب إسطفان، رائد من لبنان**. بيروت: دار لحد خاطر، 1983.

"إعلان الدستور والقرار التاريخي للمؤتمر حوله". مجلة **المنار**. مج 21 (تموز/ يوليو 1920).

باروت، محمد جمال. "المؤتمر السوري العام (1919-1920): الدستور السوري الأول، السياق والطبيعة والوظائف، المراحل والقضايا". مجلة **تبيّن**. العدد 3 (كانون الثاني/ يناير 2013).

باز، جرجي. **نازك عابد**. بيروت: مطبعة السلام، 1927.

" بريد سوريا". **الكوكب** (7 كانون الثاني/ يناير 1920).

البنا، حسن. "في الميدان العام مرة أخرى". مجلة **المنار**. مج 35، ج 5 (تموز/ يوليو 1939).

"تأييد الوفاق والاستقلال بين المسلمين والمسيحيين". جريدة **العاصمة**. العدد 108 (11 آذار/ مارس 1920).

جحا، ميشال. **ماري عجمي**. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، 2001.

الحكيم، حسن (محرر). **الوثائق التاريخية المتعلقة بالقضية السورية 1915-1946**. بيروت: دار صادر، 1974.

________ . **عبد الرحمن الشهبندر، حياته وجهاده**. بيروت: دار المتحدة للنشر، 1985.

الحكيم، يوسف. **سوريا والعهد الفيصلي**. ط 2. بيروت: دار النهار للنشر، 1980.

حيدر، رستم. **مذكرات رستم حيدر**. تحقيق نجدة فتحي صفوة. بيروت: الدار العربية للموسوعات، 1988.

الخطيب، إبراهيم حسن. "حقوق المرأة قبل وبعد الإسلام". مجلة **نور الفيحاء**. مج 1، العدد 10 (شباط 1920).

الخطيب، حنيفة. **تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان**. بيروت: دار الحداثة، 1984.

دروزة، محمد عزة. **حول الحركة العربية الحديثة**. بيروت: المطبعة العصرية، 1959.

________ . **مذكرات وتسجيلات**. دمشق: الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار، 1986.

________ . **مذكرات محمد عزة دروزة 1887-1984**. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1993.

رافق، عبد الكريم. **تاريخ الجامعة السورية: البداية والنمو 1901-1946**. دمشق: مكتبة نوبل، 2004.

رضا، محمد رشيد. "الرحلة السورية". مجلة **المنار**. مج 11 (كانون الثاني/ يناير 1909).

________ . "الدستور والحرية والدين الإسلامي". مجلة **المنار**. مج 12، ج 8 (أيلول/ سبتمبر 1909).

________ . "التحوّل في ميادين الحرب وقرب أجل الصلح". مجلة **المنار**. مج 20، ج 1 (تشرين الأول/ أكتوبر 1918).

________ . "فاتحة المجلد الحادي والعشرين". مجلة **المنار**. مج 21، ج 1 (كانون الأول/ ديسمبر 1918).

________ . "مبادئ الانقلاب الاجتماعي الأكبر وحرية العموم". مجلة **المنار**. مج 21، ج 1 (كانون الأول/ ديسمبر 1918).

________ . "المسألة السورية والأحزاب". مجلة **المنار**. مج 21 (حزيران/ يونيو 1919).

________ . "نتائج الحرب العظمى". مجلة **المنار**. مج 21 (نيسان/ أبريل 1920).

________ . "باب التاريخ: استقلال سوريا والعراق". مجلة **المنار**. مج 21، ج 8 (حزيران/ يونيو 1920).

________ . "حقائق واضحة حول المسألة العربية: مقالة تاريخية". مجلة **المنار**. 22 (حزيران/ يونيو 1921).

________. "الرحلة الأوربية (4)". مجلة **المنار**. مج 23 (حزيران/ يونيو 1922).

________. "الرحلة الأوربية (5)". مجلة **المنار**. مج 23 (تموز/ يوليو 1922).

________. "الرحلة الأوربية (6)". مجلة **المنار**. مج 23 (تشرين الأول/ أكتوبر 1922).

________. "الرحلة الأوربية" القسم 1. مجلة **المنار**. مج 23 (شباط/ فبراير 1922).

________. "الرحلة الأوربية" القسم 7. مجلة **المنار**. مج 23 (تشرين الثاني/ نوفمبر 1922).

________. "الرحلة السورية الثانية (10)". جريدة **المقطم** (31 آب/ أغسطس 1908).

________. "الرحلة السورية الثانية (10)". مجلة **المنار**. مج 23، ج 4 (نيسان/ أبريل 1922).

________. "الرحلة السورية الثانية (10ب)". مجلة **المنار**. مج 22 (أيار/ مايو 1922).

________. "الرحلة السورية الثانية (2)". مجلة **المنار**. العدد 23 (آذار/ مارس 1922)

________. "الرحلة السورية الثانية (3)". مجلة **المنار**. مج 21 (آب/ أغسطس 1920).

________. "الرحلة السورية الثانية (5)". مجلة **المنار**. مج 22 (نيسان/ بريل 1921).

________. "الرحلة السورية الثانية (6). مجلة **المنار**. مج 22 (أيلول/ سبتمبر 1921).

________. "الرحلة السورية الثانية (7)". مجلة **المنار**. مج 22 (تشرين الأول/ أكتوبر 1921).

________. "الرحلة السورية الثانية (8)". مجلة **المنار**. مج 22 (شباط/ فبراير 1922).

________. "المؤتمر الإسلامي العام في القدس". قسم 2-3. مجلة **المنار**. مج 23 (آذار/ مارس 1932).

________. "الملك فيصل الحسيني الهاشمي". مجلة **المنار**. مج 33، ج 5 (أيلول/ سبتمبر 1933).

________. "العبرة في سيرة الملك فيصل (1) و (2)". مجلة **المنار**. مج 33، ج 6 (تشرين الأول/ أكتوبر 1933)؛ مج 33، ج 7 (تشرين الثاني/ نوفمبر 1933).

________. "العبرة في سيرة الملك فيصل (3)". مجلة **المنار**. مج 34 (كانون الأول/ ديسمبر 1933).

________. "العبرة في سيرة الملك فيصل (4)". مجلة **المنار**. مج 33 (شباط/ فبراير 1934).

________. "العبرة في سيرة الملك فيصل (5)". مجلة **المنار**. مج 33 (نيسان/ أبريل 1934).

________. "العبرة في سيرة الملك فيصل (6)". مجلة **المنار**. مج 34 (أيار/ مايو 1934).

________. "العبرة في سيرة الملك فيصل (7)". مجلة **المنار** (يونيو 1934).

________. "العبرة في سيرة الملك فيصل (8)". مجلة **المنار**. مج 34، ج 4 (آب/ أغسطس 1934).

________. "العبرة في سيرة الملك فيصل (9)". مجلة **المنار** (تشرين الأول/ أكتوبر 1934).

________. "العبرة في سيرة الملك فيصل (10)". مجلة **المنار**. مج 34، ج 9 (نيسان/ أبريل 1935).

________. "أمريكي كريم ينشر الوحي المحمدي في الشرق". مجلة **المنار**. مج 43، ج 9 (آذار/ مارس 1935).

________. **الخلافة**. القاهرة: هنداوي، 2013.

رضا، محي الدين. المرحوم محمد رشيد رضا (1)". مجلة **المنار**. مج 35 (نيسان/ أبريل 1936).

ريماوي، سهيلة. **الحكم الحزبي في سوريا: أيام العهد الفيصلي 1918-1920**. عمان: دار مجدلاوي، 1997.

ساطع الحصري، أبو خلدون. **يوم ميسلون**. بيروت: دار الاتحاد، 1965.

سعيد، أمين. **أسرار الثورة العربية الكبرى**. بيروت: دار الكتاب العربي، 1965.

________. **الثورة العربية الكبرى**. دمشق: دار رسلان، 2015.

سلطان، علي. **تاريخ سورية 1918-1920: حكم فيصل بن الحسين**. دمشق: طلاس، 1987.

سيوفي، يوسف. **ذكرى استقلال سوريا: 17 جمادى الثانية 1338 الموافق 8 مارس سنة 1920**. القاهرة: سيوفي إخوان؛ مطبعة طه ابراهيم ويوسف برلادي، 1920.

الشرباصي، أحمد. **رشيد رضا صاحب المنار**. القاهرة: مطبعة الأهرام التجارية، 1970.

الشهبندر، عبد الرحمن. "كراين في سوريا"، في: **مذكرات وخطب**، تحقيق محمد كامل الخطيب (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، 1993).

شهرستان، ماري ألماظ. **المؤتمر السوري العام 1919-1920**. بيروت: دار أمواج، 2000.

الصباغ، يوسف مازن. **المؤتمر السوري: برلمان الاستقلال لبلاد الشام**. دمشق: دار الشرق، 2011.

طليع، سعيد (محرر). **ذكرى الاستقلال السوري**. دمشق: سيوفي إخوان، 1919.

______. **ذكرى استقلال سوريا**. القاهرة: مطبعة إبراهيم ويوسف برلادي، 1920.

عبد الهادي، عوني. **مذكرات عوني عبد الهادي**. تحقيق خيرية قاسمية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2002.

عجمي، ماري. "يعيش أمير سوريا". مجلة **العروس**. مج 6، العدد 1 (شباط/ فبراير 1920).

العمري، صبحي. **أوراق الثورة العربية، ج 1: المعارك الأولى على طريق دمشق**. لندن: رياض الريس، 1991.

الغصين، فايز. **مذكراتي عن الثورة العربية**. دمشق: 1939.

قاسمية، خيرية. **الحكومة العربية في دمشق بين 1918-1920**. ط 2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1982.

قدري، أحمد. **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى**. دمشق: ابن زيدون، 1956.

القصاب، كامل. "مظاهرة في دمشق" و"بريد سوريا". **الكوكب** (27 كانون الثاني/ يناير 1920).

كرم، جورج أديب (إعداد). **مراسلات فيصل-غورو**. بيروت: دائرة منشورات الجامعة اللبنانية، 2009.

"كلمة السيد حبيب جاماتي". مجلة **المنار**. مج 35 (نيسان/ أبريل 1936).

"كلمة د. عبد الرحمن الشهبندر في التأبين". مجلة **المنار**. مج 35 (نيسان/ أبريل 1936).

الكواكبي، عبد الرحمن. **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد**. بيروت: دار الكتاب اللبناني، 2011.

**اللجنة العليا لحزب اللامركزية، المؤتمر العربي الأول**. القاهرة: مطبعة البوسفور، 1913.

"مبايعة الرؤساء الروحيين". جريدة **العاصمة**. العدد 108 (11 آذار/ مارس 1920).

"مظاهرات السوريين". **الكوكب** (25 تشرين الثاني/ نوفمبر 1919).

موسى، سليمان (محرر). **المراسلات التاريخية 1919: الثورة العربية الكبرى**. عمان: 1975.

**نظام اللجنة الوطنية العليا في العاصمة السورية**. دمشق: مطبعة الترقي، 1919.

الهاشمي، طه. **مذكرات طه الهاشمي 1919-1943**. بيروت: دار الطليعة، 1967.

"الوزارة أمام الشعب: الوزارة تجيب على أسئلة المؤتمر". جريدة **الدفاع**. العدد 25-26 (نيسان/ أبريل 1920).

يوسف، السيد. **رشيد رضا والعودة إلى طريق السلفية**. القاهرة: ميريت، 2000.

## 2 - الأجنبية

*Abd al-Rahman al-Kawakibi: Islamic Reform and Arab Revival.* London: Oneworld, 2015.

Abrams, L. & D. J. Miller. "Who Were the French Colonialists? A Reassessment of the *Parti Colonial,* 1890-1914." *Historical Journal.* vol. 19, no. 3 (1976).

"Des Accords de 1916 au Moussoulisme." *L'Homme libre* (26 June 1920).

*Address of President Wilson Delivered at Mount Vernon July 4, 1918.* Washington DC: Government Printing Office, 1918.

"Address of President Wilson, Opening the Campaign for the Fourth Liberty Loan." New York City. September 27, 1918. at: https://bit.ly/3MB4kSB

Adelson, Roger. *London and the Invention of the Middle East.* New Haven: Yale University Press, 1995.

Ahmed, Leila. *Women and Gender in Islam.* New Haven: Yale University Press, 1992.

Akarlı, Engin. *The Long Peace: Ottoman Lebanon, 1861-1920.* Berkeley: University of California Press, 1993.

Akçam, Taner. *From Empire to Republic: Turkish Nationalism and the Armenian Genocide.* New York: Zed Books, 2004.

Akın, Yiğit. *When the War Came Home: The Ottomans' Great War and the Devastation of an Empire.* Stanford: Stanford University Press, 2018.

Aksakal, Mustafa. *The Ottoman Road to War in 1914.* New York: Cambridge University Press, 2010.

Allawi, Ali A. *Faisal I of Iraq.* New Haven: Yale University Press, 2014.

Allerfeldt, Kristofer. "Wilsonian Pragmatism? Woodrow Wilson, Japanese Immigration, and the Paris Peace Conference." *Diplomacy and Statecraft.* vol. 15, no. 3 (2004).

Altug, Seda. "1915 Armenian Genocide in Syrian-Arabic Sources." unpublished paper presented at Clark University. Worcester, MA. April 10-11, 2010.

Ambrosius, Lloyd E. "Woodrow Wilson and the Birth of a Nation: American Democracy and International Relations." *Diplomacy and Statecraft.* 18 (2007).

American University of Beirut. Jafet Library, Special Collections. "Condolence Letters Received on the Death of Dr. Howard Bliss." file in Howard Bliss Collection 1902-1920, AA: 2.3.2.1.1.19.

________. Letters to Reverend D. Stuart Dodge, November 5 and 27, and December 4, 1918. AA:2.3.2.10.2 File Letters from Howard Bliss to David Stuart Lodge and others. Howard Bliss Collection.

Anderson, Betty S. *The American University of Beirut: Arab Nationalism and Liberal Education.* Austin: University of Texas Press, 2011.

Anderson, Charles W. "From Petition to Confrontation: The Palestinian National Movement and the Rise of Mass Politics, 1929-1939." PhD dissertation. New York University. 2013.

Anderson, Scott. *Lawrence in Arabia: War, Deceit, Imperial Folly and the Making of the Modern Middle East.* New York: Anchor, 2014.

Andurain, Julie d'. *Colonialisme ou impérialisme? Le Parti colonial en pensée et en action.* Lechelle: Zeillige, 2016.

_______. *Henri Gouraud: Photographies d'Afrique et d'Orient.* Paris: Éditions Pierre de Taillac, 2016.

Andrew, Christopher M. & A. S. Kanya-Forstner. *The Climax of French Imperial Expansion 1914-1924.* Stanford: Stanford University Press, 1981.

Anghie, Antony. *Imperialism, Sovereignty and the Making of International Law.* Cambridge: Cambridge University Press, 2004.

"Anglo-French Joint Statement of Aims in Syria and Mesopotamia." at: https://bit.ly/39I5Mnj

Antonius, George. *The Arab Awakening.* London: H. Hamilton, 1939.

_______. *The Arab Awakening.* reprint ed. New York: Routledge, 2010.

Aqbiq, Izzat. "Nazik al-Abid: The Damascus Story of a Woman Activist." *E-Syria al-Mufakkira al-Thiqafiya* (1 November 2011). at: https://bit.ly/3LE5yLr

Atassi, Radwan. *Sagesse syrienne: Histoire de la Syrie à travers la biographie de Hachem Atassi (1873-1960).* Paris: L'Harmattan, 2013.

Baddoura, Rita. "Chékri Ganem: Pionner et vertuose du verbe." *L'Orient Littéraire.* 3 (2013). at: https://bit.ly/3sPmZSG

Baron, Beth. *The Women's Awakening in Egypt.* New Haven: Yale University Press, 1994.

Barr, James. *A Line in the Sand.* New York: W. W. Norton, 2012.

"Basic Law of the United States of Syria." in King-Crane Commission Digital Collection, Oberlin College Archive [KCDC-Oberlin]. 13/3/2019. at: https://bit.ly/3MDh2Qv

Ben-Basset, Yuval & Fruma Zachs. "From Șikayat to Political Discourse and 'Public Opinion': Petitioning Practices to the King-Crane Commission." *New Middle Eastern Studies*. 4 (2014).

Bell, Gertrude. "Syria in October 1919." 15-16, in L/P25/10/802. India Office Library and Records. British Library. London.

Beşikçi, Mehmet. *The Ottoman Mobilization of Manpower in the First World War.* Leiden: Brill, 2012.

Bilge Criss, Nur. *Istanbul under Allied Occupation 1918-1923.* Leiden: Brill, 1999.

Bishara, Khalil A. *The Origin of the Modern Syrian.* New York: Al-Hoda Publishing House, 1914.

BNA, FO 5040/162744, note 1171. Ernest Scott, acting high commissioner. Ramleh, to Lord Curzon. October 18, 1920, enclosure from Col. G. L. Easton, 215-17.

Bodleian Libraries at Weston Library, Special Collections, Oxford [Bodleian Library]. Original of Faisal's addendum, in Lawrence's hand, and text of Faisal-Weizmann agreement in T. E. Lawrence Oddments. MS. Eng. d3348.

_______. Lawrence to Curzon, September 27, 1919, in MS.Eng.d.3327. Letters from T. E. Lawrence, 94-100. Fareedah el Akle to Lawrence, March 30, 1920, in MS Eng.d.334. Copies of the Letters of T. E. Lawrence.

_______. Lawrence. "Reconstruction of Arabia." 6-7. MS.Eng.d.3348, fol. 56-63.

_______. Lawrence to Major Scott. October 14, 1918. MS.Eng.d.3328: Letters from T. E. Lawrence, fol. 148.

_______. Lawrence to Yale. October 22, 1929. T. E. Lawrence Correspondence. MS.Eng.c.6737, fol. 305-7.

_______. Photo 123/2 fol. 200 of crowd at Town Hall. October 1, 1918. T. E. Lawrence Correspondence. MS Eng.c.6750. Nuri al-Said 1888-1959. Photographs 1914-18.

_______. T. E. Lawrence Correspondence. MS.Photogr.C.123/2, Fol. 203.

Bonsal, Stephen. *Suitors and Suppliants: The Little Nations at Versailles.* New York: Prentice-Hall, 1946.

Borah, William E. "The League of Nations," November 19, 1919, in: *The Senate: Classic Speeches 1830-1993,* vol. 3 (Washington, DC: Government Printing Office, 1994).

Bouchard, Carl. *Cher Monsieur le Président.* Ceyzerieu: Champ Vallon, 2015.

Bouzy, Olivier. "Idéologie ou historiographie: Evolution de l'image politique de Jeanne d'Arc du XVIe au XXIe siècle," dans: *Connaissance de Jeanne d'Arc*, 3 (2004).

Brecher, F. W. "Charles R. Crane's Crusade for the Arabs, 1919-39." *Middle Eastern Studies*. vol. 24, no. 1 (1988).

Brémond, Edouard (Général). *Le Hedjaz dans la Guerre Mondiale.* Paris: Payot, 1931.

British Library, India Office Library and Records, London. Mark Sykes to G.H.Q. November 22, 1918. War Office Records. WO95/4372, 279.

Brodziak, Sylvie. *Clemenceau.* Saint-Denis: Presses Universitaires de Vincennes, 2015.

_______ & Jean-Noel Jeanneney (eds.). *Georges Clemenceau: Correspondance 1858-1929.* Paris: Robert Laffont, Bibliothèque National de France, 2008.

Bromhead Birdwood, Christopher (Lord Birdwood). *Nuri al-Said: A Study in Arab Leadership*. London: Cassell, 1959.

Brown, Nathan J. "Reason, Interest, Rationality, and Passion in Constitution Drafting." *Perspectives in Politics*. vol. 6, no. 4 (December 2008).

Butler, R. (ed.). *Documents on British Foreign Policy.* First Series. vol. 13. London: Her Majesty's Stationery Office, 1963.

Cabanes, Bruno. *La victoire endeuillée.* Paris: Éditions du Seuil, 2004.

Campos, Michelle. *Ottoman Brothers.* Stanford: Stanford University Press, 2010.

"The Case of Emir Feisal." *Current History*. 13 (March 1921).

Catroux (Général). *Deux missions en Moyen Orient.* Paris: Plon, 1958.

Chancel, Jules. "Les massacres du 28 février 1919 en Syrie." *L'Illustration: Journal Universel* (5 April 1919).

Clemenceau, Georges. *Claude Monet: Les Nymphéas*. 2nd ed. Paris: Bartillat, 2010.

Cleveland, William L. *Islam against the West: Shakib Arslan and the Campaign for Islamic Nationalism.* London: Al Saqi, 1985.

Columbia University Rare Book and Manuscript Library [CURBML]. typescript of William Westermann's diary of the peace conference. December 11, 1918, discussion with French ambassador Jusserand; December 29, 1918, meeting with General Bliss, 4, 14. William Linn Westermann Papers.

_______. Diary of William L. Westermann. January 20, 1919, 23.

_______. Charles R. Crane. "Memoirs of Charles R. Crane." Crane Family Papers, 367.

_______. "Memoirs of Charles R. Crane." 499-500, Bakhmeteff Archive, Papers of Charles R. Crane. Box 20.

_______, Bakhmeteff Archive. "Memoirs of Charles R. Crane." 429-30, Papers of Charles R. Crane. Box 20.

Commins, David. "Religious Reformers and Arabists in Damascus, 1885-1914." *International Journal of Middle East Studies*. 18 (1986).

_______. *Islamic Reform: Politics and Social Change in Late Ottoman Syria.* New York: Oxford University Press, 1990.

_______. "Hasan al-Banna (1906-1949)," in: Ali Rahnema (ed.), *Pioneers of Islamic Revival* (Atlantic Highlands, NJ: Zed Books, 1994).

"The Constitution of Syria of September 5, 1950," in: Helen Miller Davis, *Constitutions, Electoral Laws, Treaties of States in the Near and Middle East* (Durham, NC: Duke University Press, 1953).

Contee, Clarence G. "Du Bois, the NAACP, and the Pan-African Congress of 1919." *Journal of Negro History*. vol. 57, no. 1 (January 1972).

Cooper, John Milton, Jr. *Breaking the Heart of the World: Woodrow Wilson and the Fight for the League of Nations.* New York: Cambridge University Press, 2001.

________. *Woodrow Wilson: A Biography.* New York: Alfred A. Knopf, 2009.

"The Covenant of the League of Nations." Avalon Project. Yale Law School. at: https://bit.ly/3PDburd

*Crane and Syria.* Cairo: Salafiya Press, 1927.

"The Crowning of Faisal I as King of Syria on March 8, 1920." *Syrian History.com.* at: https://bit.ly/38blabJ

Culang, Jeffrey. "Liberal Translations: Secular Concepts, Law and Religion in Colonial Egypt." PhD dissertation. City University of New York. 2017.

Dallal, Ahmad. "Appropriating the Past: Twentieth-Century Reconstruction of Pre-Modern Islamic Thought." *Islamic Law and Society.* vol. 7, no. 1 (2000).

Dallas, Gregor. *At the Heart of a Tiger: Clemenceau and His World 1841-1929.* New York: Carroll and Graf, 1993.

David, Philippe. *Un Gouvernement arabe à Damas: Le Congrès syrien.* Paris: Marcel Giard, 1923.

Dennis, Michael. "Race and the Southern Imagination: Woodrow Wilson Reconsidered." *Canadian Review of American Studies.* vol. 29, no. 3 (1999).

Department of State. *Papers Relating to the Foreign Relations of the United States, 1920.* vol. 3. Washington, DC: Government Printing Office, 1936.

Department of State. *Papers Relating to the Foreign Relations of the United States: The Paris Peace Conference, 1919.* vol. 3: *Minutes of the Plenary Sessions.*

"The Destruction of the Fourth Army." *Arab Bulletin.* no. 106.

Du Bois, W. E. B. *The Souls of Black Folk.* Chicago: A. C. McClurg, 1903.

Dupont, Anne-Laure. "Réforme et Revolution dans la Pensée Arabe après 1908," dans: F. Georgeon (éd.), *L'ivresse de la liberté: La révolution de 1908 dans l'Empire ottoman* (Walpole, MA: Peeters, 2012).

*Dustur: A Survey of the Constitutions of the Arab and Muslim States of Islam.* Leiden: E. J. Brill, 1966.

Eddé, Carla. *Beyrouth: Naissance d'une capitale (1918-1924).* Paris: Sindbad, 2010.

Eldar, Dan. "France in Syria: The Abolition of the Sharifian Government, April-July 1920." *Middle Eastern Studies.* vol. 29, no. 3 (July 1993).

El-Ghussein, Fa'iz. *Martyred Armenia.* New York: George H. Doran, 1918.

Eliot, T. S. *The Waste Land: A Facsimile and Transcript of the Original Drafts.* Valerie Eliot (ed.). New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1974.

Elshakry, Marwa. *Reading Darwin in Arabic. 1860-1950.* Chicago: University of Chicago Press, 2013.

Erakat, Noura. *Justice for Some: Law and the Question of Palestine.* Stanford: Stanford University Press, 2019.

Escovitz, Joseph H. "He Was the Muhammad `Abduh of Syria": A Study of Tahir al-Jaza'iri and His Influence." *International Journal of Middle East Studies.* 18 (1986).

Fabre, Alfred. *La crise des Alliances.* Paris: Société d'Études et d'Informations Économiques, 1922.

Fahrenthold, Stacy. "Transnational Modes and Media: The Syrian Press in the Mahjar and Emigrant Activism during World War I." *Mashriq and Mahjar.* 1 (2013).

_______. *Between the Ottomans and the Entente: The First World War in the Syrian and Lebanese Diaspora, 1908-1925.* New York: Oxford University Press, 2019.

Fawaz, Leila Tarazi. *A Land of Aching Hearts: The Middle East in the Great War.* Cambridge: Harvard University Press, 2014.

"First Publication of the King-Crane Report on the Near East." *Editor and Publisher.* vol. 55, no. 27 (December 1922).

Fisher, John. *Curzon and British Imperialism in the Middle East 1916-1919.* New York: Routledge, 1999.

Forbes, Rosita. *Quest: The Story of Anne, Three Men, and Some Arabs.* London: Cassell, 1922.

Fournié, Pierre & Jean-Louis Riccioli. *La France et le Proche-Orient 1916-1946.* Tournai, Belgium: Casterman, 1996.

Fraser, T. G. (ed.). *The First World War and Its Aftermath.* London: Gingko Library, 2015.

"French Mandate for Syria and Lebanon." Supplement to *American Journal of International Law.* vol. 17, no. 3 (July 1923).

French Ministry of Foreign Affairs archive at La Courneuve [MAE-Courneuve]. de Caix to Gouraud, January 22, 1920. in 399 PAAP. Gouraud Papers. Carton 142: Correspondance avec Robert de Caix.

_______. de Caix to Gouraud. June 24, 1920, PAAP 399/142.

_______. de Caix to Gouraud. July 7, 1920, 399 PAAP/142.

_______. de Caix to Gouraud. July 17/21, 1920. 399 PAAP/142.

_______. de Caix to Gouraud. August 9, 1920. 9 and 11, PAAP 399. Carton 142.

_______. de Caix to Kammerer. March 23, 1920, PAAP 353 vol. 3/microfilm 11203, 211-14.

_______. De France to Pichon. July 3, 1918. Jean Gout Papers, 196 PAAP/7.

_______. "Declaration to Prince Faisal." "Response to Curzon on Accord." and "Paris to High Commissioner, Beirut." May 26, 1920. vol. 28. Série E-Levant 1918-1929.

_______. "Discourse prononcé par le Général Gouraud . . . le 21 Novembre 1919." in PAAP 399 Carton 151.

_______. "Entrée du Général Gouraud à Damas le 7 août 1920." PAAP 399. Carton 178.

_______. French translation of Faisal's letter to Wilson, April 1, 1920, and telegram received April 13 from Jusserand, Washington, in P1312 Levant 1918-1929. Syrie Liban. vol. 26.

_______. Gouraud to de Caix. undated response to de Caix's June 8 letter. PAAP 399/142.

_______. Gouraud to Department. May 20, 1920. Série E-Levant. Carton 313. vol. 28. Dossier 1/Syrie-Liban-Cilicie/Dossier générale, Direction des Affaires Politiques et Commerciales. May 15-27, 1920.

_______. Gouraud to General Huntzinger. October 30, 1937, and Huntzinger to Gouraud. November 25, 1937. PAAP 399. Carton 178.

_______. Gouraud to Millerand. May 25, 1920, 28, Série E-Levant 1918-1929. vol. 28. Direction des Affaires Politiques et Commerciales. 15-27 mai 1920. Carton 313 Dossier 1/Syrie-Liban-Cilicie/Dossier générale.

_______. Gouraud to Poincaré. August 17, 1922, and November 9, 1922. PAAP 399. Carton 130. File 2. "Officiel Départ"; *Journal officiel-Chambre*, 2ème séance du 23 juin 1922, 1971-84.

_______. Gouraud to Senator Fernand David. November 4, 1933. PAAP 399. Carton 178.

_______. Gouraud to Toulat. July 29, 1920. PAAP 399 Carton 178. folder "Déroulement."

_______. "Mission au Levant." memoir dictated by Robert de Caix. likely in the 1960s, in PAAP 353.

_______. "Note de R. de Caix sur la politique de l'accord avec Feysal." January 26, 1920, 51, in Série Levant 1914-1918 Syrie-Liban. vol. 22. microfilm P1311.

_______. Papiers Jean Gout. 196 PAAP/7. Reports of July 3 & 12; November 14, 18, 22, 24, and 27; December 14; and January 2, 10 &14.

_______. Père Chanteur. "Note sur la Syro-Palestine et la Turquie." August 1919. enclosed with a note from Père Jalabert on October 16, 1919, and notes from a conversation with M. Huvelin, dated December 1919, in PAAP 399 Carton 130.

_______. Petition signed by Azm and Darwazeh. October 28, 1919, in Serie Levant 1918-1940, Syria-Lebanon.

_______. "Philippe Berthelot et l'émir." clip from unknown paper that mentions the February 17, 1920. article in *Bonsoir*, in PAAP 399 Carton 135.

_______. "La Question Syrienne et la Révision Eventuelle des Accords de 1916." Gout Papers, 196 PAAP/7.

_______. "Le Retour de Fayçal à Damas." n.d. (likely 1925). PAAP 202. vol. 63. Syrie I.

_______. Robert de Caix. undated handwritten memoir. "Mission au Levant." PAAP 353 de Caix/Vol. 4/Microfilm P 11204.

_______. Toulat to HC. Aley, and Faisal to General Gouraud, July 28, 1920. PAAP 399. Carton 134.

_______. "Weekly Report on Political Affairs." Beirut, April 20, 1920. Série E-Levant 1918-1929. vol. 28.

French Ministry of Foreign Affairs archive at Nantes, Fonds Beyrouth [MAE-Nantes]. "The Central Syrian Union Party in Egypt." in Carton 2368. Program enclosed in a February 12, 1919. Memo from Colonel Cousse on the distribution of SUP pamphlets in Damascus.

_______. HC/Beyrouth to Cousse. October 22, 1919. Carton 2430 Papiers Cousse.

_______. HC to Cousse. July 10, 1920. Carton 2372. dossier "Correspondance Cousse".

_______. Millerand to Commandant Armée du Levant. July 29, 1920. Carton 2358.

_______. Paul Huvelin. "La Syrie au Lendemain de la Guerre." 27-9, Carton 2357.

_______. "Le Premier Cri/First Cry to Diplomatic Traitors in the Civilized World." author's translation of a leaflet dated September 20, 1919. Carton 2372.

_______. Prime Minister to President of the Syrian Congress. May 19, 1920, Carton 2358.

_______. Robert de Caix. "L'organisation donnée à la Syrie et au Liban depuis 1919 et l'élaboration du Statut Organique." November 20, 1925. Carton 1359. Dossier 1 Statut Organique.

Fromkin, David. *A Peace to End All Peace: The Fall of the Ottoman Empire and the Creation of the Modern Middle East.* New York: Henry Holt, 2009; [1989].

Garnett, David (ed.). *The Letters of T. E. Lawrence.* New York: Doubleday, 1939.

Gauvain, Auguste. "Five Years of French Policy in the Near East," *Foreign Affairs.* vol. 3, no. 2 (December 1924).

Gelfand, Lawrence E. *The Inquiry: American Preparations for Peace, 1917-1919.* New Haven: Yale University Press, 1963.

Gelvin, James L. *Divided Loyalties: Nationalism and Mass Politics in Syria at the Close of Empire.* Berkeley: University of California Press, 1998.

_______. "Post Hoc Ergo Propter Hoc? Reassessing the Lineages of Nationalism in Bilad al-Sham," in: C. Philipp & T. Schumann (eds.), *From the Syrian Land to the States of Syria and Lebanon* (Beirut: 2004).

_______. "'Modernity,' 'Tradition,' and the Battleground of Gender in Early 20th-Century Damascus." *Die Welt des Islams*. 52 (2012).

"Gen. Gouraud: 'We're Back!' Did He Really Say It?." *Syria Comment.* at: https://bit.ly/3lSIRZx

Général (CR) du Hays. *Les Armées françaises au Levant, 1919-1939.* vol. 2. Paris: Ministère de la Défense, État-Major de l'Armée de Terre, Service Historique, 1978.

Gershoni, Israel & James P. Jankowski. *Egypt, Islam, and the Arabs.* New York: Oxford University Press, 1986.

Gerwarth, Robert. *The Vanquished: Why the First World War Failed to End.* New York: Farrar, Straus and Giroux, 2016.

De Gontaut-Biron, Comte R. *Comment la France s'est installée en Syrie (1918-1919).* Paris: Plon, 1922.

Gouraud, Philippe. *Le Général Henri Gouraud au Liban et en Syrie 1919-1923.* Paris: L'Harmattan, 1993.

*Governing the World: The History of an Idea, 1815 to the Present.* New York: Penguin: 2012.

Goybet, M. (Général). *De Beyrouth à Damas: Carnet de campagne du Général M. Goybet.* Savoie, 1922.

Graham, Malbone W. *New Governments of Eastern Europe.* New York: Henry Holt, 1927.

"Grave Situation en Syrie." *l'Asie arabe* (15 July 1920). at: https://bit.ly/3wUiicA

Grew, Joseph C. *Turbulent Era: A Diplomatic Record of Forty Years, 1904-1945.* vol. 1. Freeport, NY: 1952.

Grigor Suny, Ronald & Fatma Müge Goçek (eds.). *A Question of Genocide: Armenians and Turks at the End of the Ottoman Empire.* New York: Oxford University Press, 2011.

Grovogui, Siba N'Zatioula. *Sovereigns, Quasi Sovereigns, and Africans: Race and Self-Determination in International Law.* Minneapolis: University of Minnesota Press, 1996.

Gruber, Josef (ed.). *Czechoslovakia: A Survey of Economic and Social Conditions.* New York: Macmillan, 1924; reprint ed., New York: Arno, 1971.

Gualtieri, Sarah M. A. *Between Arab and White: Race and Ethnicity in the Early Syrian American Diaspora.* Berkeley: University of California Press, 2009.

"Le Guêpier Syrien." *L'Homme libre* (14 March 1920).

Guieu, Jean-Michel. "Pour la paix par la Société des Nations." *Guerres Mondiales et Conflits Contemporains*. no. 222 (April 2006).

Guieu, Jean-Michel. "La paix par la Société des Nations? Les évolutions du pacifism français dans les années 1920," dans: Stéphane Tison (éd.), *Paul d'Estournelles de Constant: Cocilier les nations pour éviter la guerre (1878-1924)* (Rennes: Presses Universitaires de Rennes, 2015).

Haddad, Mahmoud. "Arab Religious Nationalism in the Colonial Era: Rereading Rashid Rida's Ideas on the Caliphate." *Journal of the American Oriental Society*. vol. 117, no. 2 (1997).

Haiduc-Dale, Noah. *Arab Christians in British Mandate Palestine*. Edinburgh: Edinburgh University Press, 2013.

Haj, Samira. *The Making of Iraq 1900-1963*. Albany: State University of New York Press, 1997.

Hakim, Carol. *The Origins of the Lebanese National Idea, 1840-1920*. Berkeley: University of California Press, 2013.

Hamzah, Dyala. "Intérêt général (*maslaha âmma*) ou le triomphe de l'opinion: Fondation délibératoire et esquisses délibératives dans les écrits du publiciste syro-égyptien Muhammad Rashîd Rîdâ (1865-1935)." Thèse/Doktorarbeit. EHESS. Paris. and Freie Universität. Berlin (2008).

_______. "From *'Ilm* to *Sahafa* or Politics of Public Interest (*Maslaha*): Muhammad Rashid Rida and His Journal *al-Manar* (1898-1935)," in: Dyala Hamzah (ed.), *The Making of the Arab Intellectual* (New York: Routledge, 2013).

Hannigan, Robert E. *The Great War and American Foreign Policy, 1914-24*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 2017.

Haut Commissariat de la République française. *La Syrie et le Liban en 1921*. Paris: Émile Larose, 1922.

Helmreich, Paul C. *From Paris to Sèvres: The Partition of the Ottoman Empire at the Peace Conference of 1919-1920*. Columbus: Ohio State University Press, 1974.

Hertzog-Cachin, Marcelle. *Regards sur la vie de Marcel Cachin*. Paris: Éditions Sociales, 1980.

Hochschild, Adam. *To End All Wars*. Boston: Houghton Mifflin Harcourt, 2011.

Hoffmann, Friedhelm. *Die Syro-Palästinensische Delegation am Völkerbund und Šakīb Arslān in Genf, 1921-1936/46*. Berlin: Lit, 2007.

Hokayem, Antoine (éd.). *Documents diplomatiques français relatifs à l'histoire du Liban et de la Syrie à l'époque du mandat: 1914-1945*. vol. 1. Paris: l'Harmattan, 2003.

_______. *Documents diplomatiques français relatifs à l'histoire du Liban et de la Syrie à l'époque du mandat: 1914-1945*, vol. 2. Paris: l'Harmattan, 2003.

House, Edward Mandell. *The Intimate Papers of Colonel House*. Charles Seymour (ed.). vol. 4. Boston: Houghton Mifflin, 1928.

Howard, Harry N. *The King-Crane Commission*. Beirut: Khayats, 1963.

Hull, Isabel V. *A Scrap of Paper: Breaking and Making International Law during the Great War.* Ithaca, NY: Cornell University Press, 2014.

"Hurray for the Syrian Prince." *al`Arus*. vol. 6, no. 1 (February 1920).

Al-Husri, Abu Khaldun Sati. *The Day of Maysalun.* Washington, DC: Middle East Institute, 1966.

"The Ideals of America." *Atlantic Monthly* (December 1902).

Jackson, Hampden. *Clemenceau and the Third Republic*. London: Hodder and Stoughton, 1948.

Jackson, Peter. *Beyond the Balance of Power: France and the Politics of National Security in the Era of the First World War.* New York: Cambridge University Press, 2013.

James, C. L. R. *The Black Jacobins: Toussaint L'Ouverture and the San Domingo Revolution*. 2nd ed. New York: Vintage Books, 1963.

*Journal officiel-Chambre.* June 25, 1920, 2430-37, 2443-45, 2447-52. at: https://bit.ly/3MWuWNR

*Journal officiel-Chambre.* June 16, 1920, 2464-65, 2471. at: https://bit.ly/3Gnk0Xg

*Journal officiel de la République française.* Débats parlementaires. Chambre des deputés, June 25, 1920. at: https://bit.ly/3Gn5mPP

*Journal officiel de la République française.* Débats parlementaires. Sénat. Compte rendu. July 28, 1920. at: https://bit.ly/3z3f5ZL

Kaufman, Asher. *Reviving Phoenicia.* New York: I. B. Tauris, 2004.

Kawakibi, Salam. "Postface," dans: `Abd al-Rahman al-Kawakibi, *Du despotism et autres textes*, Hala Kodmani (trans.) (Arles: Actes Sud, 2016).

Kayali, Hasan. *Arabs and Young Turks.* Berkeley: University of California Press, 1997.

Kerr, Stanley E. *The Lions of Marash.* Albany: State University of New York Press, 1973.

Khadduri, Majid. "Constitutional Development in Syria." *Middle East Journal.* vol. 5, no. 2 (Spring 1951).

Khalidi, Anbara Salam. *Memoirs of an Early Arab Feminist.* Tarif Khalidi (trans.). London: Pluto Press, 2013.

Khater, Akram (trans.). "Women and the Vote in Syria," in: Akram Fouad Khater (ed.), *Sources in the History of the Modern Middle East*, 2nd ed. (Belmont, CA: Wadsworth, 2011).

Khoury, Gérard D. *Une Tutelle coloniale: Le Mandat français en Syrie et au Liban.* Paris: Belin, 2006.

_______. *La France et l'Orient arabe: Naissance du Liban moderne, 1914-1920.* Paris: Albin Michel, 2009.

Khoury, Philip S. *Urban Notables and Arab Nationalism: The Politics of Damascus 1860-1920.* New York: Cambridge University Press, 1983.

_______. *Syria and the French Mandate.* Princeton: Princeton University Press, 1987.

_______. "Abd al-Rahman Shahbandar: An Independence Leader of Interwar Syria," in: C. Mansour & L. Fawaz (eds.), *Transformed Landscapes* (New York: American University in Cairo Press, 2009).

King-Crane Commission Digital Collection, Oberlin College Archives [KCDC]. Donald Brodie. "Mr. Crane's Visit to Syria, April 1-9, 1922." at: https://bit.ly/3t5yx4u

_______. "Interview of Commissioners, Advisers Present, with the Kadi, Mufti, and Six Others of the Ulema of Damascus." at: https://bit.ly/3wDmHAs

_______. King to Crane. November 18, 1919. at: https://bit.ly/3G9FF4V

_______. Letter to W. F. Bond. July 23, 1919. at: https://bit.ly/39GinYm

_______. "Menu for Dinner." at: https://bit.ly/3G9iOGM

_______. "Petition from Ibtihaje Kaddourah." July 5, 1919, and "Petition from Muslim Women of Beirut." July 1919. at: https://bit.ly/3PBD6wT & https://bit.ly/3wBS5iW

_______. "Statement of Syrian Conference, Damascus, July 3, 1919." at: https://bit.ly/3wxVBee

_______.Yale report #65. "Political Situation in the Arab Provinces of the Ottoman Empire." September 16, 1918, 17. Notes to William Yale's lecture. "Arabian and Syrian Situation." by Donald M. Brodie. May 5-6, 1919, at Hôtel de Crillon, 15. at: https://bit.ly/3ySlmHO

________.Yale to Westermann. July 8, 1919. at: https://bit.ly/38Cc2gA

King, Henry Churchill. *A New America in a New World.* Paris: Young Men's Christian Association, 1919.

Knightley, Philip & Colin Simpson. *The Secret Lives of Lawrence of Arabia.* New York: McGraw-Hill, 1969.

Knock, Thomas J. *To End All Wars: Woodrow Wilson and the Quest for a New World Order.* Princeton: Princeton University Press, 1992.

Kouyoumdjian, Ohannès Pacha. *Le Liban à la veille et au début de la guerre: Mémoires d'un gouverneur, 1913-1915.* Paris: Centre d'Histoire Arménienne Contemporaine, 2003.

Kurzman, Charles. "Introduction," in: Charles Kurzman (ed.), *Liberal Islam* (New York: Oxford University Press, 1998).

_______ (ed.). *Modernist Islam 1840-1940.* New York: Oxford University Press, 2002.

_______. *Democracy Denied 1905-1915.* Cambridge, MA: Harvard University Press, 2008.

Lake, Marilyn & Henry Reynolds. *Drawing the Global Colour Line: White Men's Countries and the International Challenge of Racial Equality.* New York: Cambridge University Press, 2008.

Lansing, Robert. *The Big Four and Others of the Peace Conference.* Boston: Houghton Mifflin, 1921.

_______. *The Peace Negotiations: A Personal Narrative.* Boston: Houghton Mifflin, 1921.

Lauren, Paul Gordon. "Human Rights in History: Diplomacy and Racial Equality at the Paris Peace Conference." *Diplomatic History*. vol. 2, no. 3 (1978).

Lawrence, T. E. *Seven Pillars of Wisdom: A Triumph.* New York: Doubleday, 1935.

_______. *Seven Pillars of Wisdom: A Triumph. The Complete 1922 Text.* Blacksburg, VA: Wilder Publications, 2011.

_______. *Diary of the Peace Conference*. at: https://bit.ly/3G7XWQ3

League of Nations Archives in Geneva [LN-Geneva]. Annual report for 1922 in Series 4284/Box 22/File 1/Doc. 22042, 2-10. Quote from 10.

_______. Congrès Syrio-Palestinien. *Appel addressé à la 2ème Assemblée Générale de la Société des Nations*. Geneva: Geneva Tribune Press, 1921. Series 4284/Box R21.

_______. Eric Drummond, memo on conversation with Mrs. Forbes, emissary of Prince [sic] Feisal, July 22, 1920. Série 4284 Events in Syria. Boxes R21-28. Dossier 3: Mandates for Arab Countries doc. 5690.

_______. "Mandate for Syria and the Lebanon." August 12, 1922. Series 4284. Box 22. Articles 2, 15 & 19.

_______. Series 248/Box 6/Doc. 8654, 11496, 10779.

_______. Series 4284 Box R21 Events in Syria, File 2, Doc. 6882. Habib Lotfallah to Drummond. September 17, 1920, and Drummond to Lotfallah, September 22, 1920.

_______. Series 4284 Box R21, File 5, Doc. 8876. Telegram from Rashid Rida arrived November 26, 1920.

_______. Series 4284/Box R21/File 5. Handwritten memo dated November 29, 1920. File 8 /doc. 9053, telegram protesting death sentences. File 11/doc. 9954, from former Hejaz delegate, December 25, 1920. File 33/doc. 8666 Syrian Union protest, November 22, 1920.

_______. Series 4284/Box R21/File 21/Doc. 11504.

_______. Series 15122/Box 589/Doc. 11691. General Haddad Pasha to Drummond, 14 March 1921.

Levering Lewis, David. *W. E. B. Du Bois: A Biography.* New York: Henry Holt, 2009.

Lia, Brynyar. *The Society of the Muslim Brothers in Egypt: The Rise of an Islamic Mass Movement 1928-1942.* Reading, UK: Ithaca Press, 1998.

Library of Congress. Manuscript Division. Bliss to Wilson, February 7 and February 11, 1919. docs. 9753-54, 10182. Wilson Papers Series 5B.

_______. Manuscript Division. Curtis to Bliss, January 12, 1919, and Lawrence to Bliss, January 22, 1919, in Tasker H. Bliss Papers. Box 232.

_______. Manuscript Division. James Barton to Wilson. January 31, 1919. docs. 8841-8843.

_______. Manuscript Division. File 804: Arab State, December 1918 - October 1919. Tasker H. Bliss Papers. Box 354.

_______. Manuscript Division. Telegrams dated October 28 & November 7, 16 & 26, 1919. Mark L. Bristol Papers. Box 76 "Syria, General, 1919" file.

_______. Manuscript Division. William Yale. "Great Britain, France and the Near East." Report 174, December 16, 1918, in U.S. American Commission to Negotiate Peace Records. Box 1.

_______. Manuscript Division. William Yale. "The Political Situation in Syria." report no. 112, November 9, 1918. U.S. American Commission to Negotiate Peace. Box 1.

_______. Manuscript Division. William Yale. "Report in Detail of Interview in London (Sept. 27th 1919 to Oct. 14th 1919)." in Tasker H. Bliss Papers. Box 354. Arab State File. Quote on 3.

_______. Manuscript Division. Woodrow Wilson Papers, General Bliss to Secretary of State, January 29, 1919, doc. 8567, Series 5B.

_______. Manuscript Division. Woodrow Wilson Papers, Peace Conference Correspondence 1918-1920.

_______. Manuscript Division. Woodrow Wilson Papers, Wilson to Nubar, January 23, 1919, doc. 7917,

_______. Manuscript Division. Woodrow Wilson Papers, Nubar to Wilson, January 29, doc. 8659.

_______. Manuscript Division. Woodrow Wilson Papers, Polk to Wilson on Senate food bill for Syrians and "other Christians," January 24, doc. 7992.

_______. Manuscript Division. Woodrow Wilson Papers, Wilson to Cleve Dodge declining invitation to Armenian Banquet, January 25, doc. 8124.

_______. Manuscript Division. Woodrow Wilson Papers, Wilson's refusal to meet Armenian delegation, January 27, doc. 8303.

_______. Manuscript Division. Woodrow Wilson Papers, Hoover to Wilson, January 27, doc. 8348.

_______. Manuscript Division. Woodrow Wilson Papers, Wilson to Carter Glass, January 28, doc. 8470.

_______. Manuscript Division. Woodrow Wilson Papers, Supreme War Council Report on the Occupation of Turkish Territories, February 6, 1919, doc. 9551-56.

_______. Manuscript Division. Woodrow Wilson Papers, Wilson to Secretary of War, February 8, 1919, doc. 9908-9.

_______. Manuscript Division. Woodrow Wilson Papers, Supreme War Council memo, February 9, 1919, doc. 9993. Secretary of War to Wilson, February 11, 1919, doc. 10175-76.

_______. Manuscript Division. Woodrow Wilson Papers, Wilson to Bliss, February 11, 1919, doc. 10183. Wilson to Secretary of Treasury, February 11, 1919, doc. 10198, Series 5B.

_______. Manuscripts Division. Woodrow Wilson Papers, Lansing memo dated January 24, 1919, doc. 8044, Series 5B.

_______. Manuscript Division. Woodrow Wilson Papers, Peace Conference Correspondence. "Resolutions in Reference to Mandatories." January 30, 1919. Series 5B Reel 391.

_______. Manuscripts Division. Woodrow Wilson Papers, Wilson to "Prince Faissal," February 14, 1919, doc. 10668, Series 5B.

_______. Minutes of League Commission Meeting, February 4, 1919, in Wilson Papers Series 5B Reel 392.

_______. Prints and Photographs Division. "Arab Demonstration." and "Anti-Zionist Demonstration at Damascus Gate, March 8th, 1920." LC-M31-13945.

Lieshout, Robert H. *Britain and the Arab Middle East: World War I and Its Aftermath.* New York: I. B. Tauris, 2016.

Link, Arthur S. (ed.). *The Papers of Woodrow Wilson*. vol. 54. Princeton: Princeton University Press, 1986.

_______. *The Papers of Woodrow Wilson*. vol. 65. Princeton: Princeton University Press, 1986.

_______. *Papers of Woodrow Wilson*. vol. 56. Princeton: Princeton University Press, 1987.

_______. *The Papers of Woodrow Wilson*. vol. 57. Princeton: Princeton University Press, 1988.

Lloyd George, David. *Memoirs of the Peace Conference*. vol. II. 1939, reprint New York: Howard Fertig, 1972.

MacMillan, Margaret. *Paris 1919: Six Months That Changed the World*. New York: Random House, 2001.

Makdisi, Ussama. *The Culture of Sectarianism*. Berkeley: University of California Press, 2000.

_______. *Faith Misplaced: The Broken Promise of U.S.-Arab Relations: 1820-2001*. New York: Public Affairs, 2010.

Manela, Erez. *The Wilsonian Moment*. New York: Oxford University Press, 2007.

Matossian, Bedross Der. *Shattered Dreams of Revolution*. Stanford: Stanford University Press, 2014.

Matthews, Weldon C. *Confronting an Empire, Constructing a Nation: Arab Nationalists and Popular Politics in Mandate Palestine*. New York: I. B. Tauris, 2006.

La Mazière, Pierre. *Partant pour la Syrie*. Paris: Audinière, 1928.

Mazower, Mark. *No Enchanted Palace: The End of Empire and the Ideological Origins of the United Nations*. Princeton: Princeton University Press, 2009.

McGilvary, Margaret. *The Dawn of a New Era in Syria*. New York: Fleming H. Revell, 1920.

Méouchy, Nadine. "Le Mouvement des *`Isabat* en Syrie du nord à travers le témoignage du Chaykh Youssef Saadoun (1919-1921)," in: Nadine Méouchy & Peter Sluglett (eds.), *The British and French Mandates in Comparative Perspectives* (Leiden: Brill, 2004).

Miller, David Hunter. *My Diary at the Conference of Paris: Documents*. vol. 4. New York: Appeal Printing Company, 1924.

Mitchell, Richard P. *The Society of Muslim Brothers*. New York: Oxford University Press, 1993.

Morris, Aldon D. *The Scholar Denied: W. E. B. Du Bois and the Birth of Modern Sociology*. Oakland: University of California Press, 2015.

Mouawad, Youssef. *Maronites dans l'histoire*. Beirut: L'Orient des Livres, 2017.

Moubayed, Sami. *Steel and Silk: Men and Women Who Shaped Syria 1900-2000*. Seattle: Cune Press, 2006.

_______. "Two September Weeks That Saved Damascus in 1918." *Arab Studies Quarterly*. vol. 37, no. 4 (Fall 2015).

Mousa, Suleiman. *T. E. Lawrence: An Arab View*. Albert Butros (trans.). New York: Oxford University Press, 1966.

Mouton, Marie-Renée. "Le Congrès syrio-palestinien de Genève (1921)." *Relations Internationales*. 19 (Autumn 1979).

Mundy, Angus M. "The Arab Government in Syria from the Capture of Damascus to the Battle of Meisalun." Master's Thesis. American University of Beirut. 1965.

Nafi, Basheer M. "The General Islamic Congress of Jerusalem Reconsidered." *Muslim World*. vol. 86, no. 3-4 (1996).

_______. "King Faysal, the British, and the Project for a Pan-Arab Congress, 1931-33." *Islamic Studies*. vol. 37, no. 4 (1998).

The National Archives of the United Kingdom, London [TNA-London]. "Comité Central du Parti de l'Union Syrienne au Caire." and "Programme Constitutionel du Parti de l'Union Syrienne." FO 371/4178.

_______. Easton, Untitled Cairo Bureau intelligence report. October 10, 1920. FO 371/5040.

_______. "Emir Faisal's Speech at the Arab Club at Damascus." translation from *al-Ahram*. February 1, 1920, in FO 371/5187.

_______. Faisal to Commander of Egyptian Expeditionary Force, November 19, 1918. 11, FO 141/438 Papers of the Residency in Cairo.

_______. "General Organic Law of the Arab Empire." translation enclosed in Storrs to Clayton. "Note on Proposals Drawn Up by Sheikh Rashid Rida, for the Formation of an Arab Kingdom." December 9, 1915, in FO 882/15.

_______. Henderson to Chamberlain. November 7, 1927, FO 141/810/6.

_______. Michel Lutfallah to Lloyd George, September 16, 1919. FO 371/4183.

_______. "Oilfields of Persia and Mesopotamia." February 26, 1919. "Secret: Memorandum on the Oil Fields of Persia and Mesopotamia." FO 608/97/15.

_______. "Les regrets de Lord Curzon." *Le Matin*, February 13, 1920. Enclosed in note of same date from Graham to Curzon, alerting the foreign minister that high-ranking officials in Paris were upset at his lack of tact. FO 800/153.

_______. "Report on a Conversation in Cairo with Michel Bey Lotfullah on His Return from Syria August 5th 1919." FO 371/4182.

_______. Telegram to King Hussein and Sherif Zaid FO 608/92/7.

_______. Walrond to Cornwallis, January 13, 1919. with addendum "Fundamental Statutes by the Party of Syrian Union." in FO 882/24.

Neep, Daniel. *Occupying Syria under the French Mandate*. New York: Cambridge University Press, 2012.

Neu, Charles E. *Colonel House: A Biography of Woodrow Wilson's Silent Partner.* New York: Oxford University Press, 2015.

Nevakivi, Jukka. *Britain, France, and the Arab Middle East.* London: Athlone Press, 1969.

Nicolson, Harold. *Curzon: Last Phase 1919-1925.* London: Constable, 1934.

"Nous sommes en Syrie. Nous y restons." *L'Homme libre* (27 June 1920).

"The Official Program for Celebrations of March 8, 1920, Crowning Faisal I as King of Syria." *Syrian History.com.* at: https://bit.ly/3NqJUeS

Opwis, Felicitas. *Maslaha and the Purpose of the Law.* Leiden: Brill, 2010.

Painter, Nell Irvin. *Standing at Armageddon.* New York: W.W. Norton, 2008; [1987].

*The Papers of Woodrow Wilson Digital Edition.* at: https://bit.ly/3MW8HI7

*The Papers of Woodrow Wilson Digital Edition.* November 12, 1919. at: https://bit.ly/3sTWmMs

*Papers Relating to the Foreign Relations of the United States: The Paris Peace Conference 1919.* vol. XII, 751-863 [*FRUS 1919*]. at: https://bit.ly/3yT0EHQ

Parian, Levon & Ishkhan Jinbashian (eds.). *Crows in the Desert: Memoirs of Levon Yotnakhparian.* Tujunga, CA: Parian Photographic Design, 2012.

Paris, Timothy J. *Britain, the Hashemites and Arab Rule 1920-1925.* London: Frank Cass, 2003.

Parsons, Laila. *The Commander: Fawzi al-Qawuqji and the Fight for Arab Independence, 1914-1948.* New York: Hill and Wang, 2016.

Patrick, Andrew. *America's Forgotten Middle East Initiative: The King-Crane Commission of 1919.* New York: I. B. Tauris, 2015.

________. "Woodrow Wilson, the Ottomans, and World War I." *Diplomatic History.* vol. 42, no. 5 (November 2018).

Pattie, Susan P. *The Armenian Legionnaires.* New York: I. B. Tauris, 2018.

Payk, Markus M. & Roberta Pergher. *Beyond Versailles: Sovereignty, Legitimacy, and the Formation of New Polities after the Great War.* Bloomington: Indiana University Press, 2019.

Pedersen, Susan. *The Guardians: The League of Nations and the Crisis of Empire.* New York: Oxford University Press, 2015.

Polonsky, Antony. *Politics in Independent Poland 1921-1939.* Oxford: Clarendon Press, 1972.

"President Wilson's Fourteen Points." Avalon Project. Yale Law School. at: https://bit.ly/3wy9xos

Provence, Michael. *The Great Syrian Revolt and the Rise of Arab Nationalism* Austin: University of Texas Press, 2005.

_______. *The Last Ottoman Generation and the Making of the Modern Middle East.* New York: Cambridge University Press, 2017.

Rabitat Sharqiya. *The Democratic President Wilson.* Cairo: Mokattam Press, 1925.

Rafeq, Abdul-Karim. "Arabism, Society, and Economy in Syria 1918-1920," in: Youssef M. Choueiri (ed.), *State and Society in Syria and Lebanon* (Exeter, UK: University of Exeter Press, 1993).

_______. "al-Awraq al-Mashiya fi Dimashq min khilal watha'iq al-mahakim al-shara`iya al-`uthmaniya." *Chronos: Revue d'Histoire de l'Université de Balamand.* 37 (2018).

Reibman, Max. "The Case of William Yale: Cairo's Syrians and the Arab Origins of American Influence in the Post-Ottoman Middle East, 1917-19." *International Journal of Middle East Studies*. 46 (2014).

Rida, Muhammad Rashid. *The Muhammadan Revelation*. Yusuf Talal DeLorenzo (trans.). Alexandria, VA: Al-Saadawi Publications, 1996.

Robson, Laura (ed.). *Minorities and the Modern Arab World.* Syracuse, NY: Syracuse University Press, 2016.

Rogan, Eugene. *The Arabs.* New York: Basic Books, 2009.

_______. *The Fall of the Ottomans.* New York: Basic Books, 2015.

Rominger, Chris. "Nursing Transgressions, Exploring Difference: North Africans in French Medical Spaces during World War I." *International Journal of Middle East Studies*. vol. 50, no. 4 (October 2018).

Rosenberg, Emily S. "World War I, Wilsonianism, and Challenges to U.S. Empire." *Diplomatic History*. vol. 38, no. 4 (2014).

Roshwald, Aviel. *Ethnic Nationalism and the Fall of Empires.* New York: Routledge, 2001.

Rosin, Michael L. "The Five-Fifths Rule and the Unconstitutional Presidential Election of 1916." *Historical Methods*. vol. 46, no. 2 (April-June 2013).

Rudin, A. James. *Pillar of Fire: A Biography of Rabbi Stephen S. Wise.* Lubbock: Texas Tech University Press, 2015.

Rush, Alan de L. (ed.). *Records of the Hashemite Dynasties*. vol. 10. London: Archive Editions, 1995.

Russell, Malcolm B. *The First Modern Arab State: Syria under Faisal 1918-1920.* Minneapolis: Bibliotheca Islamica, 1985.

Ryad, Umar. *Islamic Reformism and Christianity.* Leiden: Brill, 2009.

_______. "Islamic Reformism and Great Britain: Rashid Rida's Image as Reflected in the Journal *Al-Manar* in Cairo." *Islam and Christian-Muslim Relations*. vol. 21, no. 3 (July 2010).

_______. "Like a Mill Donkey: Western Politics in the Aftermath of WWI." Paper given at the Conference "Human Catastrophe Then and Now". American University of Beirut. 1 June 2016.

Sadeh, Roy Bar. "Islamic Modernism between Colonialism and Orientalism: *Al-Manar*'s Intellectual Circles and Aligarh's Mohammedan Anglo-Oriental College, 1898-1914," in: Susannah Heschel & Umar Ryad (eds.), *The Muslim Reception of European Orientalism* (New York: Routledge, 2018).

Salameh, Sami (ed.). *The Mufakkira of Bishop Abdallah Khoury.* Zouk Mikael, Lebanon: Notre Dame University Press, 2001.

Satia, Priya. *Spies in Arabia: The Great War and the Cultural Foundations of Britain's Covert Empire in the Middle East.* New York: Oxford University Press, 2008.

Al-Sayyid-Marsot, Afaf Lutfi. *Egypt's Liberal Experiment: 1922-1936.* Berkeley: University of California Press, 1977.

Schatkowski-Schilcher, L. "The Famine of 1915-1918 in Greater Syria," in: John P. Spagnolo (ed.), *The Problems of the Modern Middle East in Historical Perspective* (Reading, UK: Ithaca Press, 1992).

Schulze, Reinhard. *A Modern History of the Islamic World.* Azizah Azodi (trans.). New York: I. B. Tauris, 2000.

Seale, Patrick. *The Struggle for Arab Independence: Riad el-Solh and the Makers of the Modern Middle East.* New York: Cambridge University Press, 2010.

Service Historique de l'Armée de Terre, Vincennes [SHAT-Vincennes]. Cousse to General Commandant en Chef Armée Levant. July 19, 1920, SHD-GR 4-H114-005.

_______. Cousse to General Commandant en Chef Armée Levant. July 20, 1920, SHD-GR 4-H114-005.

_______. Cousse to Gouraud. Renseignements No. 690, July 12, 1920. SHD-GR4-H114-004.

_______. Cousse to Gouraud. July 13, 1920. Renseignements No. 691, SHD-GR4-H114-004.

_______. Cousse to HC. July 1, 1920. Renseignements 625, SHD-GR4-H114-004. Cousse to HC Beirut. July 15, 1920. No. 696, SHD-GR4-H114-005.

_______. Cousse to HC. July 4, 1920. Renseignements 633, SHD-GR4-H114-004.

_______. Cousse to HC. July 8, 1920. Renseignements 662. Branet, Adjunct Liaison Damas to HC letter. July 10, 1920. Renseignements 671, SHDGR-GR-4-H-114-004.

_______. Cousse to HC Beirut. July 15, 1920. Renseignement 696, SHD-GR4-H114-005.

_______. Cousse to HC Beirut. July 16, 1920, SHD-GR 4-H114-005.

_______. Cousse to High Commissioner. July 7, 1920. Renseignements 654.

_______. Cousse to High Commissioner. July 9, 1920. Renseignements 665.

_______. Cousse to High Commissioner. July 10, 1920. Renseignements 673 in SHD-GR4-H114-004-0001.

_______. "État-Major, L'Occupation de Damas par l'Armée du Levant." SHDGR-$ -H246-009/0046-52.

_______. "Feissal" to Général Commandant en Chef Armée Levant, July 22, 1920. SHDGR 4-H114-005-0108.

_______. Liaison Français Damas. Renseignements No. 694. July 13, 1920, SHD-GR4-H114-004.

_______. Memo dated July 4, 1920. on meeting with Faisal and Cousse to HC. July 6, 1920. Renseignements 647, SHD-GR4-H114-004.

_______. Sermon by Monsignor Giannini at Damascus Latin Church. August 8, 1920, SHDGR-GR 4-H-114-005.

_______. Speech of General Gouraud at Damascus City Hall. August 7, 1920, SHDGR-GR 4-H-114-005-0055 to 0061.

_______. Toulat to Général Commandant en Chef. August 21, 1920. Archives SHD-GR 4-H114-005.

_______. Zone West Cabinet Politique: No. 1268 Daily Bulletin, July 20, 1920, SHD-GR4-H60-001.

_______. Zone West Cabinet Politique: No. 1266 Daily Bulletin, July 21, 1920, SHD-GR4-H60-001.

_______. Zone West Cabinet Politique: No. 1270 Daily Bulletin. July 23, 1920. SHD-GR4-H60-001.

_______. Zone West Cabinet Politique: No. 1275 Daily Bulletin. July 24, 1920, SHD-GR4-H114-004.

_____. Zone West Cabinet Politique: Daily Bulletin 1324. August 11, 1920, SHD-GR4-H60-001.

Seymour, Charles (ed.). *The Intimate Papers of Colonel House*. vol. 3. Boston: Houghton Mifflin, 1928.

Shahin, Imad Eldin. *Through Muslim Eyes: M. Rashid Rida and the West.* Herndon, VA: International Institute of Islamic Thought, 1994.

Shambrook, Peter A. *French Imperialism in Syria 1927-1936.* Reading, UK: Ithaca Press, 1998.

Al-Sharabasi, Ahmad. *Rashid Rida, the Owner of al-Manar*. Cairo: Higher Council of Islamic Affairs, 1970.

Shemmassian, Vahram. "The Repatriation of Armenian Refugees from the Arab Middle East, 1918-1920," in: Richard G. Hovannisian & Simon Payaslian (eds.), *Armenian Cilicia* (Costa Mesa, CA: Mazda Publishers, 2008).

Shimazu, Naoko. *Japan, Race and Equality: The Racial Equality Proposal of 1919.* New York: Routledge, 1998.

Shorrock, William I. *French Imperialism in the Middle East.* Madison: University of Wisconsin Press, 1976.

Shotwell, James T. *At the Paris Peace Conference.* New York: Macmillan, 1937.

"Sir Edmund Allenby's Assurance to the Amir Faisal," reported to London, October 19, 1918, and reprinted as Annex H in: "Report of a Committee to Consider the Correspondence between Sir Henry McMahon and the Sharif of Mecca in 1915 and 1916". London: His Majesty's Stationery Office, 1939.

Skowronek, Stephen. "The Reassociation of Ideas and Purposes: Racism, Liberalism, and the American Political Tradition." *American Political Science Review.* vol. 100, no. 3 (August 2006).

Smith, Leonard V. "The Wilsonian Challenge to International Law." *Journal of the History of International Law.* 13 (2011).

_______. *Sovereignty at the Paris Peace Conference of 1919.* New York: Oxford University Press, 2018.

_______ et al. *France and the Great War 1914-1918.* New York: Cambridge University Press, 2003.

Société des Nations, Commission Permanente des Mandats. *Procès Verbaux de la Première Session*. Geneva. October 4-8, 1921. at: https://bit.ly/3PQoQQS

St. Antony College, Oxford, Middle East Archive. "Open Letter to the Commander in Chief of the Fourth Army." Private Papers of Feisal, Emir of Hedjaz. Box 195, translation of document from Akaba archive no. Akaba I/Q/17.

State Department. *Papers Relating to the Foreign Relations of the United States 1922.* vol. 2. Washington, DC: Government Printing Office, 1938.

Al-Suwaydi, Tawfiq. *My Memoirs: Half a Century of the History of Iraq and the Arab Cause*. Nancy Roberts (trans.). Boulder: Lynne Reinner, 2013.

"The Sykes-Picot Agreement: 1916." at: https://bit.ly/3lfKVug

Tachjian, Vahe. *Daily Life in the Abyss: Genocide Diaries, 1915-1918.* New York: Bergahn Books, 2017.

Tamari, Salim. *Year of the Locust: A Soldier's Diary and the Erasure of Palestine's Ottoman Past.* Berkeley: University of California Press, 2011.

Tanielian, Melanie S. *The Charity of War: Famine, Humanitarian Aid and World War I in the Middle East.* Stanford: Stanford University Press, 2018.

Tauber, Eliezer. *The Arab Movements in World War I.* New York: Routledge, 1993.

_______. "Three Approaches, One Idea: Religion and State in the Thought of `Abd al-Rahman al-Kawakibi, Najib `Azuri and Rashid Rida." *British Journal of Middle Eastern Studies*. vol. 21, no. 2 (1994).

_______. "Rashid Rida's Political Attitudes during World War I." *Muslim World*. vol. 85, no. 1-2 (1995).

_______. *The Formation of Modern Syria and Iraq*. London: Frank Cass, 1995.

Taylor, Alan. *American Revolutions.* New York: W.W. Norton, 2016.

Teitelbaum, Joshua. *The Rise and Fall of the Hashemite Kingdom of Arabia.* New York: New York University Press, 2001.

Tejel, Jordi. *Syria's Kurds: History, Politics, and Society.* New York: Routledge, 2009.

Terry, Janice. *William Yale.* Limassol, Cyprus: Rimal Books, 2015.

Thomas, Martin. *The French Empire between the Wars.* Manchester: Manchester University Press, 2005.

_______. *Empires of Intelligence: Security Services and Colonial Disorder after 1914.* Berkeley: University of California Press, 2007.

Thompson, Elizabeth. *Colonial Citizens.* New York: Columbia University Press, 2000.

_______. *Justice Interrupted: The Struggle for Constitutional Government in the Middle East.* Cambridge, MA: Harvard University Press, 2013.

Throntveit, Trygve. "The Fable of the Fourteen Points: Woodrow Wilson and Self-Determination." *Diplomatic History*. vol. 35, no. 3 (June 2011).

_______. *Power without Victory: Woodrow Wilson and the American Internationalist Experiment.* Chicago: University of Chicago Press, 2017.

Tooze, Adam. *The Deluge: The Great War, America and the Remaking of the Global Order, 1916-1931.* New York: Viking, 2014.

Toynbee, Arnold J. *Acquaintances.* New York: Oxford University Press, 1967.

Trask, David F. "General Tasker Howard Bliss and the 'Sessions of the World,' 1919." *Transactions of the American Philosophical Society*. vol. 56, no. 8 (1966).

Tripp, Charles. *A History of Iraq*. 3rd ed. Cambridge: Cambridge University Press, 2000.

U.S. National Archives and Records Administration, College Park, MD, Jackson to Admiral Mark L. Bristol. Constantinople, May 1, 1920. RG 890d.00/16, microfilm M727, roll 8.

U.S. National Archives and Records Administration, Jackson (consul at Aleppo) to Secretary of State, March 13, 1920, RG59 890d.00/9, microfilm 722, roll 8; Postcard "Tatwij al-Amir Faisal Malikan `ala Suriya, Hama Da'ira al-Baladiya" [Coronation of Prince Faisal as King of Syria, Hama City Hall]. at: www.alamy.com

Üngör, Uğur Ümit. *The Making of Modern Turkey: Nation and State in Eastern Anatolia, 1913-1950.* New York: Oxford University Press, 2011.

Urofsky, Melvin I. *A Voice That Spoke for Justice.* Albany: State University of New York Press, 1982.

Vitalis, Robert. *White World Order, Black Power Politics.* Ithaca, NY: Cornell University Press, 2015.

Von Sanders, Otto Liman. *Five Years in Turkey.* Carl Reichmann (trans.). Annapolis: United States Naval Institute, 1927.

Voss, Carl Hermann (ed.). *Stephen S. Wise, Servant of the People: Selected Letters.* Philadelphia: Jewish Publication Society of America, 1969.

Watenpaugh, Keith David. *Being Modern in the Middle East: Revolution, Nationalism, Colonialism and the Arab Middle Class.* Princeton: Princeton University Press, 2006.

Weber, Stefan. *Damascus: Ottoman Modernity and Urban Transformation (1808-1918).* vol. II. Damascus: Danish Institute, 2009.

Weismann, Itzchak. *Abd al-Rahman al-Kawakibi: Islamic Reform and Arab Revival.* London: Oneworld, 2015.

Weitz, Eric D. "From the Vienna to the Paris System: International Politics and the Entangled Histories of Human Rights, Forced Deportations, and Civilizing Missions." *American Historical Review* (December 2008).

Wendell, Charles (trans.). *Five Tracts of Hasan al-Banna (1906-1949).* Berkeley: University of California Press, 1978.

White, Benjamin Thomas. *The Emergence of Minorities in the Middle East.* Edinburgh: Edinburgh University Press, 2011.

Wien, Peter. *Iraqi Arab Nationalism.* New York: Routledge, 2006.

Wilson, Jeremy. *Lawrence of Arabia: The Authorized Biography of T. E. Lawrence.* New York: Atheneum, 1990.

Wilson, Woodrow. *The State: Elements of Historical and Practical Politics.* Boston: D. C. Heath, 1898.

_______. "Speech at the Stadium in Balboa Park in San Diego, California." American Presidency Project. at: https://bit.ly/3LDHCYo

*Wilson's Fourteen Points.* Cairo: Mokattam Press, 1925.

Winter, Jay. *Sites of Memory, Sites of Mourning.* New York: Cambridge University Press, 1995.

Winter, Stefan. "The Other Nahdah: The Bedirxan, the Millis and the Tribal Roots of Kurdish Nationalism in Syria." *Oriente Moderno.* vol. 25, no. 3 (2006).

Wise, Stephen. *Challenging Years.* New York: G. P. Putnam's Sons, 1949.

Wood, Simon A. *Christian Criticisms, Islamic Proofs: Rashid Rida's Modernist Defense of Islam.* Oxford: Oneworld, 2010.

Woodward, E. L. & R. Butler (eds.). *Documents on British Foreign Policy 1919-1939.* Series 1. vol. 4. no. 192. London: Her Majesty's Stationery Office, 1952.

World Peace Foundation. *A League of Nations.* vol. 2. Special Number, February 1919 (Boston).

Wright, Herbert F. (ed.). *The Constitutions of the States at War 1919.* Washington, DC: Government Printing Office, 1919.

Wright, Quincy. *Mandates under the League of Nations.* Chicago: University of Chicago Press, 1930.

Yale University Library Digital Collections, MSS 466. Edward Mandell House Papers. Series 2, Diaries, vol. 7. at: https://bit.ly/3wC3k9U

Yanıkdağ, Yücel. "Ottoman Empire/Middle East." *1914-1918-Online: International Encyclopedia of the First World War.* Ute Daniel, Peter Gatrell, Oliver Janz, Heather Jones, Jennifer Keene, Alan Kramer and Bill Nasson (eds.) Freie Universität Berlin, 19-12-2017. at: https://bit.ly/3sG5cNI

Yergin, Daniel. *The Prize: The Epic Quest for Oil, Money, and Power.* New York: Free Press, 2009; [1991].

Young, Major Sir Hubert. *The Independent Arab.* London: John Murray, 1933.

Zaman, Muhammad Qasim. *Modern Islamic Thought in a Radical Age.* New York: Cambridge University Press, 2012.

Zamir, Meir. *The Formation of Modern Lebanon.* Ithaca, NY: Cornell University Press, 1985.

_______. "Faisal and the Lebanese Question, 1918-1920." *Middle Eastern Studies*. vol. 27, no. 3 (1991).

Zeine, Zeine N. *The Struggle for Arab Independence: Western Diplomacy and the Rise and Fall of Faisal's Kingdom in Syria*. Beirut: Khayat's, 1960.

_______. *The Emergence of Arab Nationalism*. 3rd ed. New York: Caravan, 1973.

Zisser, Eyal. "Rashid Rida: On the Way to Syrian Nationalism in the Shade of Islam and Arabism," in: Adel Beshara (ed.), *The Origins of Syrian Nationhood: Histories, Pioneers and Identity* (New York: Routledge, 2007).

Zürcher, Erik J. *The Young Turk Legacy and Nation Building*. New York: I. B. Tauris, 2010.

# فهرس عام

ب

ت



ث



ج

## ح

ر



س



ش